الدِّينَ وَالعَقل

تأليف

محمد جواد مغنية

الامامة والعقل

المهدي والعقل

عقليات اسلامية

المعقول واللا معقول

الحسين والقرآن

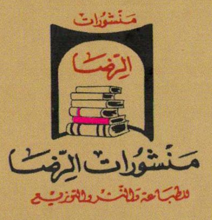
مفاهيم في كلمات الامام الصادق (ع)

كل القلوب مع الحسين

حل المشكلات

الصلة بين التصوف والتشيع

المناجاة



دار التيار الجديد



الدِّيْن وَالعَقْل

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



الدّين والعقل

تأليف



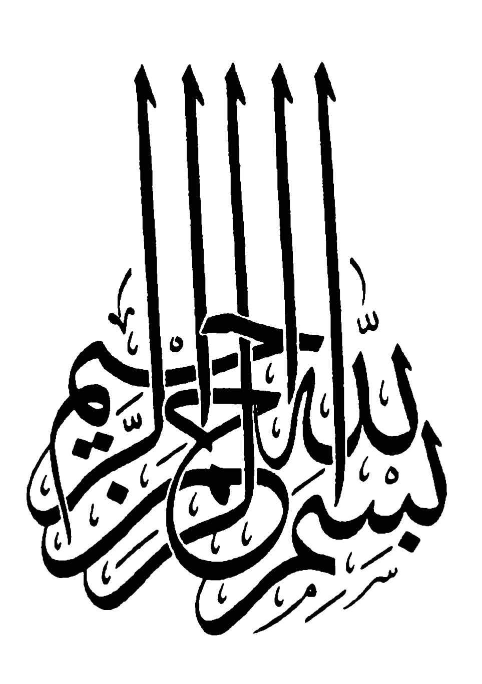








دار التيار الجديد


بسم الله الرحمن الرحيم

فَهْرِس المَوضُوعَات

الحُسَين و القُرآن

مَفَاهِيم إنسَانيَّة فِي كَلمَات الإمَام جَعفَر الصَّادِق عليه السلام

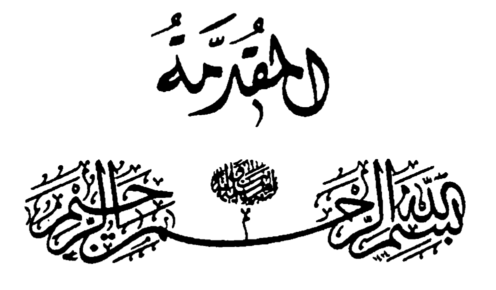
المَهدِيّ المُنتظَر وَ العَقْل

مَن المُنَاجَاة



الحُسَين والقُرْآنَ

المقدمة



وَالحمْد لله رَبّ العَالَمِين ، وَالصَّلاَة عَلىٰ مُحَمَّد وَآله الطَّيبين

هَذِهِ الأَوراق :

وَبَعد :

فَإِنَّ أَورَاقي هَذِهِ لَيْسَت سِيرَة لحَيَاة الأَمام الحُسَين عليه السلام . أَو تَحلِيلاً لشَخصِيّته ، أَو عَرضاً لمَا تَركَت موَاقفه ، وَتَضحيَاته مِن آثَار ، أَو لمَا وَرَد فِيهِ مِن أَحَادِيث عَن جدّه رَسُول الله صلى الله عليه وآله ، وإِنَّمَا مُجرّد مُحَاولَة أَو إِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ الحُسَين تَرجَم ٱلْقُرْءَان برُوحَه وَعمَلَه ، وَلَحمَه وَدَمه ، لأَنّـه أَعْـطىٰ للإِنْسَـانيَّة مَـا لَـم يُـعطِهِ أَحـد مِـن العَالَمِين ... فَأي هَادٍ ، أَو مُصلح ضَحّىٰ بدَمه وَمُهجَته ، وَدمَاء أَهْـلَه ، وَأَطـفَاله ، وَأُخوَته ، وَصَحبَه لاَ لشَيء إِلَّا لتَكُون هَذِهِ الدّمَاء الطَّاهرَة ، الثَّائِرة صَاعقَة عَلىٰ كُلّ ظَالم ، وَقوّة لكُلّ مَظلُوم ، وَحُجّة تَدمَغ كُـلّ مَـن سَكَت ، وَتَـعَامىٰ عَـن الظُّـلم ، والعُدْوَان فِي كُلّ زَمَان ، وَمَكَان .

وَهَكَذَا ٱلْقُرْءَان صَوَاعق ، وَطَـوفَان عَـلىٰ الطُّـغَاة ، وَالبُـغَاة ... فَـمِن أَخـصّ

خَصَائِصَه الدَّعوَة إِلَىٰ القَتل ، وَالقتَال لخلاَص المَحرُومِين مِن المُستَغلِين ، قَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَمَا لَكُمْ لَاتُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ (١) . وقَالَ سُبْحَانَه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ (٢) .

ونَحْنُ نَعْرف الكَثِير مِن الَّذين قَاتلُوا وَقُتلُوا فِي سَبِيل الله وَالمُستَضعفِين ، ولَكن لاَ نعرف أَحداً ـ غَير الحُسَين ـ آثَر أَنْ يُقتَل قَذفاً بالحِجَارَة ، وَرَمياً بالسِّهَام ، وَطَعناً بالرِّمَاح ، وَضَرباً بالسُّيُوف ، وأَنْ يُذَبّح أَهْله ، وَأَطفَاله ، وَصَحبَه ، وَأُخوَته ، وأَنْ تُحرَق خِيَامه ، وَتُسبىٰ نِسَاؤه ، آثَر ذَلكَ عَلىٰ أَنْ يُسَاوم عَلىٰ الحَقّ ، وَأَبىٰ إِلَّا أَنْ يَمضي عَلىٰ « دِين النَّبيّ » (٣) . مُخَضّباً بدَمه ، وَمُحَامياً عَنْهُ بكُلّ مَا يَملك مِن نَفسٍ وَنَفِيس .

الشِّيعَة وَذِكرَىٰ الحُسَين عليه‌السلام :

كَتَب المُفكّرُون ، وَالمؤرّخون عَن الحُسَين ، وَكَيف عَصَفَت موَاقفَه بالبَغي وَدَولَته ، وأَنَّهَا عَلّمت الأَجيَال كَيف يَستَهِينُون بالمَوت مِن أَجل الحُرّيَّة ، وَالكَرَامَة . . . ومَع هَذَا مَا قَدّر الحُسَين حَقّ قَدرَه إِلَّا الشِّيعَة حَيْث أَحيُوا ذِكرَاه عَلىٰ مَدىٰ اللَّيَالي ، والأَيَّام ، وَاعتَبرُوا ذَلكَ مِن أَفضَل الطَّاعَات ، وَأَقوىٰ البَوَاعث عَلىٰ

---

(١) النِّسَاء : ٧٥.

(٢) التَّوْبَة : ١١١.

(٣) أُنظر ، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ١٩٧ ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٣ / ٢٥٨.

الأمر بالمَعرُوف، وَالنّهي عَن المُنكَر، وَذَهب بَعْض عُلمَائهم إلَىٰ أنّ زيَارَة المَشهَد الحُسَيني وَاجبَة عَلىٰ القَادر للنّص[١]، وَوفَاء لحَقّ الإمَام الحُسَين، وَبَعثاً لرُوح الجِهَاد.

ورُبّمَا يَقُول قَائِل: أنّ فُقهَاء الشّيعَة ذَكرُوا شُرُوطاً للأمر بالمَعرُوف، مِنْهَا الأمن مِن الضّرر عَلىٰ النّفس، وَالمَال، وَالعِرض... وَإذَن كَيف تَكُون شهَادَة الحُسَين أمْراً بِالمَعرُوف، أو بَاعثاً عَلَيهِ؟.

الجَوَاب:

قَد يُوَاجه الإنسَان مَوقفاً يُحتم عَلَيهِ أنْ يَختَار بَيْنَ التّضحِيَة بنَفْسَه لإنقَاذ الدّين أو الوَطن مِن الضّيَاع، وَالهَلاك، وبَيْنَ أنْ يَتَمسك بالحَيَاة، وَيَذهَب الدّين وَالوَطن... ولَيْسَ مِن شَكّ أنّ عَلَيهِ ـ وَهَذي هِي الحَال ـ أنْ يَختَار الإسْتشهَاد عَملاً بقَاعدَة تَقدّيم الأهَم عَلىٰ المُهم، وَدَفع الضّرر الأشدّ بالضّرر الأخَف... قَالَ العَقّاد فِي كتَاب أبُو الشّهدَاء: «وَصَل الأمر فِي عَهْد يَزيد إلَىٰ حَدّ لاَ يُعَالج بغَير الإسْتشهَاد»[٢].

وَلَو كَان الأمن مِن الضّرر وَاجباً إطلاَقاً وفِي سَائِر الأحوَال ـ لمَا وَجَب الجِهَاد،

(١) اُنظر كتَاب الوَسَائِل آخر بَاب الحَج. وَلَكن أكثَر عُلمَاء الشّيعَة قَالُوا: برُجحَان الزّيَارَة، وَأستحبَابهَا. أمّا فِي كُتب السُّنّة فَقَد رَوىٰ المُحبّ الطّبري فِي ذَخَائِر العُقبىٰ: ١٥١ طَبْعَة سَنَة (١٣٥٦م): «أنّ مَن زَار قَبر الحُسَين عَارفاً بحَقّه كَتَب الله لهُ فِي عِلّيّين». (مِنهُ ﵀).

عَنْ مُوسىٰ بن عَليّ الرّضَا بن جَعْفر قَالَ: سُئل جَعْفَر بن مُحَمّد عَنْ زِيَارَة قَبْر الحُسَيْن؟ فَقَالَ: أخبَرَني أبِي أنّ مَنْ زَار قَبْر الحُسَيْن ﷺ عَارفًا بحَقّه كَتَب الله لهُ فِي عِلّيّين. وَقَالَ: إنّ حَول قَبْر الحُسَيْن سَبعِين ألف مَلَك شُعثاً غُبراً يَبكُون عَلَيه إلَىٰ يَوْم القِيَامة».

(٢) اُنظر، كتَاب «أبُو الشُّهدَاء الحُسَين بن عَليّ»: ١٤٥، طَبعَة القَاهرَة. (مِنْهُ ﵀).

وكَانَت الشَّهادَة فِي سَبِيل الله مَعصيَة لهُ !... وَكَلاَم الفُقهَاء بَعِيد عَن هَذَا الغَرض، وَيَختَصّ فِيمَا إِذَا تَولّد مِن النَّهي عَن المُنكَر فَسَاد أَشدّ وَأَعظَم.

كُلّ القُلوب مَع الحُسَين عليه السلام :

كُلّ النَّاس يُحبّونَ حُسَيناً، المُؤمن مِنْهُم وَالمُلحِد، وَالغَني وَالفَقِير، وَالطَّيب وَالخَبِيث... حَتَّىٰ الَّذِين قَاتَلُوه وَقتَلُوه كَانَت عَلَيهِ سيُوفهِم، وَمَعهُ قُلوبهم، كَمَا قَالَ لهُ الفَرَزْدَق: «قُلُوبهُم مَعَك وَسُيُوفهُم عَلَيك»[1]. لأَنّه فَوق الشُّبهَات، لاَ مَهمز لقَائِل فِيهِ وَلاَ مَغمَز... وَلَقد بحَثتُ وَتَتَبعتُ أَقوَال يَزِيد، وَأَعوَانه لعَلّي أَجد فِيهَا ذَنباً وَاحداً يَنسبه هَؤُلاَء إِلَىٰ سَبِيل الشُّهدَاء وَلَو كذباً وَبُهتَاناً، كَمَا فَعَل المُشركُون مَع جَدّه رَسُول الله صلى الله عليه وآله، وَالنَّاكثُون، وَالقَاسطُون مَع أَبِيهِ أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام، تَتَبعتُ وَنَظرتُ فمَا وَجَدتُ شَيْئاً مِن ذَلكَ... مَع أَنَّ الإِمَام الحُسَين نَعَتهُم بكُلّ خَزيَّة وَدَنيَّة، وَذَكرّهُم بمَنزلَته وَعَظمَته عِند الله وَرَسُوله:

«فَأَخذُوا لاَ يُكلمُونه. فَنَادىٰ: يَا شِبث بن رِبعي، وَيَا حَجَّار بن أَبْجُر، وَيَا قَيس بن الأَشعث، وَيَا يَزِيد بن الحَارث، أَلَم تَكتبُوا إِليَّ: إِنْ قَد أَينَعت الثِّمَار، وَأَخضَّر الجنَاب، وَطَمت الجمَام، وإِنَّما تَقْدم عَلىٰ جُند لكَ مُجَند، فَأَقْبِل.

قَالُوا لهُ: لَم نَفْعَل.

فَقَال: سُبْحَان الله !، بَلىٰ والله، لَقَدْ فَعَلتُم.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّها النَّاس: إِذ كَرهتمُوني فَدعُوني أَنصرف عَنكم إِلىٰ مَأمني مِن

(١) أنظر، تأرِيخ الطَّبري: ٤/ ٢٩٠، و: ٦/ ٢١٨، و: ٣/ ٢٩٦ طَبعَة آخر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ لِابن الأَثِير: ٤/ ١٦، و: ٢/ ٥٤٧، الفُتُوح لِابن أَعثَم: ٣/ ٧٩، مَقتل الحُسَين للخوَارزمي: ١/ ٢٢٣.

الأَرْض.

فَقَال لهُ قَيس بن الأَشعث أَوْلاَ تَنْزل عَلىٰ حُكم بَني عَمّك، فإنَّهم لَن يَروك إلاَّ مَا تُحبّ، وَلَن يَصل إليك مِنهُم مَكرُوه.

فَقَالَ لهُ الحُسين: أَنْت أَخُو أَخِيك، أتريد أنْ يَطلبك بَنُو هَاشم بِأكْثر مِن دَم مُسْلم بن عَقِيل؟[1].

وَإذن فَذَنب الإمَام أنَّه رَفَض الخضُوع لطُغَاة الفَسَاد، وَالبَغي، وقَالَ: أَلاَ وَإنَّ الدعِيَّ ٱبْنَ الدَّعِيّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ ٱثْنَتَيْن بَيْنَ السِّلَّة وَالذِّلَّة، وَهَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّة، يَأْبي اللهُ لَنا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ، وَجُدُودٌ طَابَتْ، وَحُجُورٌ طَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّة، وَنُفُوسُ أَبِيَّة، لاَ تُؤثِرُ طَاعَةَ اللِّئَامِ عَلَىٰ مَصَارِعِ الكِرامِ..[2]. هَذَا هُو الخَطّ الحُسَيني الَّذِي سَار عَلَيهِ الإمَام قَولاً وَعملاً: أَنْ يَمُوت الإِنْسَان حُرّاً كَرِيماً، وَلاَ يُطِيع فَاجِراً لَئِيماً... وهُنَا يَكمُن السِّر فِي أنَّ النَّاس، كُلّ النَّاس يُحبّون حُسَيناً حُبّاً جَمّاً.

وَبهَذَا الخَطّ الحُسَيني وَأَمثَاله ٱفتَرق شِيعَة عَليّ، والحُسَين عَن غَيرهِم مِن الطَّوائف الَّذِين أوجبُوا عَلىٰ كُلّ مُسلِم أنْ يَسمَع وَيُطِيع للحَاكم وَإنْ أفسَد وَجَار... فَقَد رَوىٰ البُخَاري فِي أَوَّل كتَاب الفِتَن عَن رَسُول الله ﷺ أَنَّه قَالَ: «مَن رَأىٰ مِن أَمِيرِه شَيئاً يَكرَهه فَليَصبر عَلَيه؛ فَإنَّ مَن فَارَق الجَمَاعة شِبراً فَمَات إلاَّ مِيتَة جَاهِلِيَة»[3].

---

(١) مُحَمَّد بن الأشعث ـ أَخُو قَيس ـ هُو الَّذي آمّن مُسْلم بن عَقِيل ثُمَّ لَم يَفِ بِأَمَانه، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٢) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ طَبعَة سَنَة ١٩٦٤م، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٣) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٦ /٢٥٨٨ ح ٦٦٤٦، صَحِيح مُسْلم: ٣ /١٤٤٧ ح ١٨٤٩، سُنن الدَّارمي:

وَرَوىٰ مُسلِم فِي بَاب طَاعَة الأُمرَاء وَإِنْ مَنعُوا الحقُوق، أَنَّ رجَلاً سَأَل رَسُول الله ﷺ وقَالَ: أَرَأيتَ إِنْ قَامَت عَلَينَا أُمرَاء يَسألُونَا حقُوقهُم، وَيَمنَعُونا حقَّنَا، فمَا تَآمرنَا؟.

فَقَالَ لهُ الرَّسُول: «آسمعُوا وَأَطِيعُوا!...»[1] وَلَو صَحت هَذِهِ الرِّوَايَة لصَدق قَوْل مَاركس: «الدِّين أَفيُون الشّعُوب»[2]. تَعَالىٰ دَين الله عَن ذَلكَ عُلوّاً كَبِيراً.

تَقْدِير العُظمَاء:

بَعْد كتَابَة مَا تَقَدَّم، وكَان العَزم الإِكتفَاء بِهِ كمُقَدّمَة، قَرَأتُ مقَالاً فِي بَعْض الصُّحف عَن «بيكَاسو» وَهُو رَسّام إِسبَاني، تُوفّي فِي عَام (١٩٧٣م) وَكُنتُ قَرَأتُ وَعَرفت عَنهُ الكَثِير، لأَنّه ذَائِع الصِّيب، وَلكنّي كُنتُ أَجهَل أَنَّ أَربَاب الأَقلاَم كَتبُوا عَنهُ مِئَات الكُتب، وَهُو حَيّ يَرسم اللّوحَات حَتّىٰ قَرَأتُ هَذَا المَقَال، فَمرَّ بخَاطري نَابليُون بونَابرت، وأَنَّ مَا كُتبَ عَنهُ وَعَن عَشِيقَاته، وَمُغَامرَاته تَجَاوز المِئَة أَلف كتَاب، ورُبَّمَا أَكْثَر مِن مليُون مقَال... مَع أَنَّه لَم يَكُن مَرضي السِّيرَة فِي أَفعَاله الخَاصّة، وأَنَّ سِيَاسته، وَطمُوحه سَاق الرَّزَايَا، وَالويلاَت إِلَىٰ وَطَنه فَرنسَا... وَقِيمَته الأُولىٰ أَنَّه بَطَل المُغَامرَات، وَعَظِيم الغُرُور

↔ ٢/ ٣١٤ح ٢٥١٩، مُسْنَد أَحْمَد: ١/ ٢٧٥ح ٢٤٨٧.

(١) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٣/ ١٤٧٤ح ١٨٤٦، المُعْجَم الكَبِير: ٢٢/ ١٦، رِيَاض الصَّالِحِين: ٣٣٨، تَهذِيب الكَمَال: ١١/ ٣٣٠، تَهذِيب التَّهذِيب: ٤/ ١٤٢ح ٢٧٧، مُسنَد أَبِي عوَانَه: ٤/ ٤١٥ح ٧١٥٢، السُّنَّة لِإبْن أَبِي عَاصم: ٢/ ٥١٦ح ١٠٨٣، شُعب الإِيمَان: ٦/ ٦١ح ٧٥٠٠، البَيَان وَالتَّعرِيف: ١/ ٩٧، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد: ٩/ ٣١١.

(٢) أُنظر، كِتَاب أَفيُون الشُّعُوب لِلعَقّاد، وسُبل الْهُدَىٰ والرَّشاد: ١/ ٣١.

بالذَّات.

وإذا كَانَت هَذِهِ عنَايَة الغَربيِّين برَسّام، وَمُغَامر فمَا ظنّك لَو كَان عِندهُم عَظِيماً كَالحُسَين برُوحَه، وَموَاقفه، وَمَبَادئه، وَتَضحيَاته ؟. ومَاذَا كَانُوا يَفعلُون أَكْثَر مِمَّا تَفْعَله الشِّيعَة مِن أَجل الحُسَين، ولَكن عَلىٰ طَـرِيقَتهُم وَمَـنهجَهُم، وَمِـن زَاويَـة حَيَاتهُم وَتَفكِيرهُم.

وَبَعد، فَإِنَّ ذِكر الحُسَين، وَمنَاقب الحُسَين تمَامَاً كَٱلْقُرْءَان لاَ تُبلىٰ جِدَته، وَلاَ يُمل تِكرَارَه... وَمَن لاَ يُؤمن بِٱلْـقُرْءَان والإِسْـلاَم فَـإِنَّه يُـؤمن بـالإِنسَانيَّة، أَو « بالقَوميَّة العَربيَّة، أَو الشَّخصيَّة الشَّرقيَّة » مَثلاً، وَسِيرَة الحُسَين مَظهَر، وَمصدَاق لِهَذِه الشّعَارَات، وَلكُلّ خَير وَفَضِيلَة، وَإِذَن فَالوفَاء لَهُ وَاجب إِنسَاني، وَقَومي بَل وَعِلمي بقَدَر مَا هُو وَاجب دِيني، وَقرآني.

وَهُو سُبْحَانَه المَسئُول أَنْ يُوفقنَا جَمِيعَاً لطَاعَته، والصَّلاَة عَلىٰ مُحَمَّد وَعِترَته.

أَسَاس الإِخْتِلاَف بَيْنَ الشِّيعَة وَالسُّنَّة

مَا حُكم أهل البَيت؟

اتّفق كَافّة المُسْلِمِين اتّفَاقاً يَقِيناً عَلىٰ وجُوب العَمَل بالكتَاب، وَاتّباع الرّسُولﷺ، وَاختَلفُوا فِي اتّباع آله مِن بَعدَه هَل هُو أيضاً وَاجب بحَيث يَكُون قَولهُم قَوْلَه، وَفِعلَهُم فِعْلَه، وَتَقرِيرهُم تَقرِيرَه، كَمَا يَقُول الشِّيعَة، أو أَنَّ آل الرّسُول مِن هَذِهِ الجِهَة غَير مُتمَيزين عَن سَائِر المُسْلِمِين، كَمَا يَقُول السُّنَّة؟.

وَمِن المُؤكّد أَنَّ دَعوىٰ الشِّيعَة هَذِهِ كَبِيرة وَخَطِيرَة حَيْث لاَ مَعصُوم بَعد رَسُول الله إلَّا إِذَا أُثبِت ذَلكَ عَنْهُ بالدَّلِيل الجَلي فَأَين هُو؟.

الجَوَاب:

للشِّيعَة العَدِيد مِن الأَدلّة، وَكُلّها أَو جُلّها مِن كتَاب الله وَسُنّة نَبيّه الثّابتَة بروَايَة أَهْل السُّنَّة أَنفسهم، وَقَد أَفرَد عُلمَاء الشِّيعَة لهَذِه الأَدلّة كُتباً خَاصّة، ومِنْهَا عَلىٰ سَبِيل المِثَال الشَّافِي للمُرتَضىٰ، ونَهج الحَقّ وغَيْرَه للعَلّامَة الحِلّي مِن القَدِيم، وَمِن الجَدِيد دَلاَئِل الصّدق للمُظفر، وَالوَشِيعَة للسَّيِّد مُحسن الأَمِين، وَالمُرَاجعَات لشَرف الدِّين، وَفَضَائِل الخَمسَة مِن الصّحَاح السّتَة للفيروز آبَادي، وَالغَدِير للأَمِيني... وَنَذكر مِن هَذِهِ الأَدلّة دَلِيلاً وَاحِداً، وَهُو حَدِيث الثّقلين كنَمُوذَج وَمِثَال.

حَدِيث الثَّقَلين :

رَوىٰ هَذَا الحَدِيث الكَثِير مِن الصَّحَابَة وَغيرهم مِن الثّقَات بشهَادَة أَهْل السُّنَّة، وَسَجّلَه عُلمَاؤهُم فِي كُتب الحَدِيث، وَالسِّيرَة، وَالمَنَاقب، وَتَتبَع الشَّيخ قوّام الدِّين الوشنُوي هَذِهِ الكُتب، وَأَحصىٰ مِنْهَا أَكْثَر مِن أَربَعِين أَشَار إِلَيهَا فِي رسَالَتِهِ المُسمَاة «حَدِيث الثّقلَين» وَنَشرتهَا دَار التَّقرِيب فِي القَاهرَة، وَمِن هَذِهِ الكُتب عَلىٰ سَبِيل المِثَال: صَحِيح مُسلِم[1]، وَسُنن التِّرمذي[2]، وَالدَّارمي[3]، وَمُسنَد أَحمَد وخَصَائِص النَّسائي[4]، وعَلىٰ رَغم الجُهد الجَهِيد الَّذِي بَذَله هَذَا الشَّيخ

(١) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٤ /فَضَائِل عَليّ ح ٣٦ و ٣٧ و: ٧ / ١٢٠.

(٢) أُنظر، سُنن التِّرمِذي: ٥ /باب ٣٢، و: ١٣ / ١٧١.

(٣) أُنظر، سُنن الدّارمي: ٢ / ١٧٩ ح ٢١٦٩.

(٤) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ١ / ١٨٥، و: ٣ / ٢٥٩، و: ٦ / ٢٩٨ طَبْعَة المَيمنِية بمَصْر، وطَبَقَات اَبن سَعد: ٨ / ١٣٥ طَبْعَة أُوربا، وصَحِيح البُخَاريّ: ٣ / ١٣٧، و: ٤ / ٢٢، صَحِيح مُسْلِم: فَضَائِل أَهْل البَيْت عليهم السلام: ٢ / ٣٦٨ ح ٣١ و ٣٤، طَبْعَة عِيسَىٰ الحَلبي، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٤ / ١٩٨، و: ٥ / ١٩٨، سُنن التِّرمِذي: ٥ / ٣٢٧ ح ٣٢٠٥، صَحِيح التِّرمِذي: ٥ / ٣١ ح ٣٢٥٨ و ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ و ٣٦١ ح ٣٩٦٣ و: ١٣ / ٢٤٨، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٢٩٧، شوَاهد التَّنزِيل: ٢ / ٣٩ ح ٦٥٩ و ٧٠٦ و ٧٠٧ ـ ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧٢٠ و ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٩ و ٧٣١ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٤٠ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٥٢ و ٧٥٥ و ٧٥٧ ـ ٧٦١ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٨، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣ / ١٤٧، ٥ / ١٩٨، نُظم دُرر السّمطِين: ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩، ١٣٣، الرِّيَاض النَّضرَة: ٢ / ٢٤٨ الطَّبعَة الثَّانِيَة، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشَّافعي: ١ / ١٩، ذَخَائِر العُقبَىٰ: ٢٣، تَفْسِير اَبن كَثِير: ٣ / ٤٨٣، مَجْمَع الزَّوَائد للهَيثمي الشَّافعي: ٧ / ٩١، و: ٩ / ١٦٨، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسُّيوطي: ١٦٩، مشكَاة المَصَابِيح للعُمري: ٣ / ٢٥٤.

أُنظر، فَتْح القَدِير للشّوكَاني: ٤ / ٢٧٩، كفَايَة الطَّالب للحَافظ الكَنجي الشَّافعي: ٥٤ و ٣٧٣ و ٣٧٤ طَبعَة الحَيدريَة، نُظم دُرَر السّمطَين للزَّرندي الحَنفي: ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩، ١٣٣، الرِّيَاض

البَاحث المُنَقّب، وَالعَدَد الضّخم الّذِي أرشدنَا إِلَيهِ ـ فَقَد غَاب عَنهُ أَكثَر مِن مَصْدَر، كتَعليق الشّيخ عَبده عَلىٰ الخُطْبَة (٨٥) مِن خُطَب النّهج، وَمَا ذَكَره الشّيخ العُبَيدي مُفتي المُوصل فِي كتَاب النّوَاة بعُنْوَان الإِسْلاَم وَالمُسلمُون:

«جَاء فِي الحَدِيث الشّرِيف: «وَإِنّي تَارك فِيكُم الثّقلين: أَوّلهُما، كِتَاب الله، ـ فِيهِ الهُدىٰ وَالنّور، فَخُذوا بِكتَاب الله، وَاستَمسكُوا بِهِ، ثُمّ قَالَ: وَعِترَتِي أَهْل بَيْتِي، أُذكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي، أُذكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي، أُذكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي.... وفِيهِ: حَتّىٰ يَردَا عَليّ الحَوض، فَانظرُوا كَيف تُخلفُوني فِيهما، رَوَاه التّرمذي، وَلَعل فِي هَذَا التّأكيد إِشَارة إِلَىٰ مَا حَدَث بَعْد لأَهل بَيْتَه مِمّا كَان وَصْمَة عَلىٰ المُسْلمِين، وَطَعنَة فِي صَمِيم الإِسْلاَم نجلاَء مَا يزَال يَسِيل دَمها طَرباً عَلىٰ

↔ النّضرَة لمحبّ الدّين الطّبري الشّافعي: ٢ / ٢٤٨ الطّبعَة الثّانِيَة. ذَخَائِر العُقبَىٰ لمُحبّ الدّين الطّبري الشّافعي: ٢٣. يَنَابِيع المَوَدّة للقُندوزي الحَنفي: ١٩٣ و ٢٣٠ طَبعَة اسلاَمبُول. ١٠٧ و ١٠٨ و ١٩٤ و ٢٢٨ ـ ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٨١ و ٢٩٤ طَبعَة اسلاَمبُول. تَأريخ ابن عسَاكر الشّافعي: ١ / ٢١ ح ٣ و ص ١٨٤ و ٢٤٩ و ٢٧١ ـ ٢٧٣. تَفْسِير الفَخر الرّازي: ٢ / ٧٠٠.

أُنظر. كَنز العُمّال بهَامش مُسْنَد أَحمَد: ٥ / ٥٣. مَصَابِيح السُّنّة للبَغوي الشّافعي: ٢ / ٢٧٨ طَبعَة محمّد عَليّ صَبيح. المُعْجَم الصّغِير للطّبراني: ١ / ٦٥. مَعَالِم التّنزيل للبَغوي الشّافعي مَطبُوع بهَامش تَفْسِير الخَازن: ٥ / ٢١٣. الصّوَاعِق المحرِقَة لابْن حَجر: ١١٩ و ١٤١ ـ ١٤٣ و ٢٢٧ طَبعَة المُحَمّديّة. مرآة الجنَان لليَافعي: ١ / ١٠٩. التّأريخ الكَبِير للبُخَاري: ١ / ق ٢ / ٦٩ رَقم ١٧١٩ و ٢١٧٤ طَبعَة سَنَة ١٣٨٢ هـ. أَسْبَاب النّزُول للوَاحدي: ٢٠٣. الإتحَاف للشّبرَاوي الشّافعي: ٥. الإِستِيعَاب لابْن عَبد البرّ بهَامش الإِصَابَة: ٣ / ٣٧ طَبعَة السّعادَة. تفْسِير الطّبري: ٢٢ / ٦. تَفْسِير ابن كَثِير: ٣ / ٤٨٣ و ٤٨٤. فَتح البَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧ / ٣٦٥ طَبعَة القَاهرَة. أَنسَاب الأَشرَاف للبَلاَذري: ٢ / ١٠٤ ح ٣٨. فرائد السّمطَين للحموَيني الشّافعي: ١ / ٣١٦ ح ٢٥٠. و: ٢ / ٩ ح ٣٥٦ و ٣٦٢ و ٣٦٤. إِسعَاف الرّاغِبين للصّبّان بهَامش نُور الأَبصَار: ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ طَبعَة السّعِيديّة.

مرّ الأَيَّام وَكرّ العصُور »[١]. وَمَا جَاء فِي مُقَدّمَة التَّفسِير الكَبِير المُسمىٰ البَحر المُحِيط لمُحَمَّد بن يُوسف الأُندُلسي مِن عُلمَاء القَرن السَّادس الهِجري... وعَلىٰ أيّة حَال فكُلّ الرّوَايَات تَلتَقي فِي مَضمُونهَا عِندَ هَذَا النَّص: «إِنِّي تَركت فِيكم الثَّقلِين: كِتاب الله، وعِتْرَتِي أَهْل بَيْتي، لَنْ تَضلُّوا مَا إِنْ تَمسكتُم بِهمَا، وَلَنْ يَفْتَرقا حَتَّىٰ يَردَا الحَوض »[٢].

وَيَتلخص مَعْنَىٰ الحَدِيث أَنَّ ٱلْقُرْءَان والآل يَنُوبَان عَن النَّبيّ مِن بَعدَه فِي إِرشَاد الخَلق إِلَىٰ الحَقّ، وأَنَّ كُلّ وَاحد مِنْهُمَا هُو حُجّة الله عَلىٰ عِبَاده... وقَوْل النَّبيّ ﷺ: «لاَ يَفتَرقَان» إِشَارَة صَرِيحَة إِلَىٰ أَنَّ أَهْل الْبَيْت هُم تُرجمَان ٱلْقُرْءَان، وَلسَانَه النَّاطق، وأَنَّ قَولهُم قَوْلَه، وَفِعلهُم تَعبِير وَتَفسِير عَن حَلاَلَه وَحَرَامَه، وَتَعَالِيمَه وَأَحكَامه[٣]. وفِي ذَلكَ يَقُول الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام:

---

(١) أُنظر، كتَاب النَّوَاة فِي حَقل الحَيَاة، لمُفتي المُوصل الشَّيخ حَبِيب مُحَمَّد العُبيدي: ١٠٩. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ١/ ١٨٥، و: ٣/ ٢٥٩، و: ٦/ ٢٩٨ طَبْعَة المَيمنية بمَصْر، وطَبقَات ابن سَعد: ٨/ ١٣٥ طَبْعَة أُوربا، صَحِيح البُخَارِيّ: ٣/ ١٣٧، و: ٤/ ٢٢، صَحِيح مُسْلِم: فَضَائِل أَهْل الْبَيْت: ٢/ ٣٦٨ح ٣١و ٣٤، طَبْعَة عِيسَىٰ الحَلبي.

أُنظر، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٤/ ١٩٨، و: ٥/ ١٩٨، سُنن التِّرمِذي: ٥/ ٣٢٧ح ٣٢٠٥، صَحِيح التِّرمِذي: ٥/ ٣١ح ٣٢٥٨ و ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ و ٣٦١ ح ٣٩٦٣ و: ١٣/ ٢٤٨، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢/ ٢٩٧، شوَاهد التَّنزِيل: ٢/ ٣٩ح ٦٥٩ و ٧٠٦ و ٧٠٧ ـ ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧٢٠ و ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٩ و ٧٣١ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٤٠ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٥٢ و ٧٥٥ و ٧٥٧ ـ ٧٦١ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٨، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣/ ١٤٧، ٥/ ١٩٨، نُظم دُرر السِّمطِين: ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩، ١٣٣، الرِّيَاض النَّضرَة: ٢/ ٢٤٨ الطَّبعَة الثَّانِيَة، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشَّافعي: ١/ ١٩، ذَخَائِر العُقبَىٰ: ٢٣، تَفسِير ابن كَثِير: ٣/ ٤٨٣، مَجْمَع الزّوَائد: ٧/ ٩١، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسُّيوطي: ١٦٩، مشكَاة المَصَابِيح للعُمري: ٣/ ٢٥٤.

(٣) أُنظر، صَحِيح التِّرمِذي: ٥/ ٢٩٧ ح ٣٧٩٨ و: ١٢/ ١٢٦، وجَامع التِّرمِذي: ٢/ ٢١٣، التَّفسِير

«أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ «ٱلْقُرْءَان» عَلَىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجْمَلاً، وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِبِهِ مُكَمَّلاً، وَوَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مُفَسَّراً»[(١)].

وفِي أُصُول الكَافِي عَن أَهْل الْبَيْت أَنَّهُم المَعنيُون بالَّذين أُوتُوا العِلْم فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾[(٢)].

وَأَنَّهم المُصطَفَون المَعنيُون بقَوله تَعَالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[(٣)]؟.

↔ الكَبِير للفَخر الرَّازي: ١ / ٢٠٥، فَيض القَدِير: ٦ / ٣٥٦، مَجمَع الزَّوائد: ٧ / ٢٣٥ و: ٩ / ١٣٤، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٤ / ٣٢١، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٧٨، شَرح الأَخبَار للقَاضي النُّعمان المغربِي: ٢ / ٦٠، رَبِيع الأَبرَار للزَّمخشري: ١ / ٨٢٨، فرَائد السِّمْطَين: ١ / ١٧٧ ح ١٣٨، المنَاقب لِابن المغَازلي: ١١٧ و ٢٤٤، والمُستَدرَك: ٣ / ١٩ و ١٢٤، العِقد الفَرِيد: ٣ / ١٠٨ الطَّبعة الثَّالثة، تَأرِيخ ابن عسَاكر تَرجمَة الإِمَام عَليّ: ٣ / ١١٩ ح ١١٦٢ و: ٤٢ / ٤٤٩، كَنز العُمَّال: ١١ / ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢، أَنسَاب الأَشرَاف: ٢ / ٢٨١ الطَّبعة الأُولَىٰ، فَضل آل البَيْت للمَقريزِي: ٦٠، جوَاهر المطَالِب فِي منَاقب الإِمَام عَليّ لِابْن دِمَشْق: ١ / ٣٤٣، المِلَل وَالنِّحل: ١ / ١٠٣.

(١) أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجَّاديَّة: الدُّعَاء الثَّاني وَالأَربعُون دُعَاؤُهُ عِندَ خَتمِهِ القُرْءَان.

(٢) ٱلعَنْكَبُوت: ٤٩. أُنظر، الكَافي: ١ / ٢١٣ ح ١ و ٣، دَعَائِم الإِسلَام: ١ / ٢٣، مُستَدرَك الوَسَائِل: ١٧ / ٢٧ ح ٥ و ٦.

(٣) فَاطِر: ٣٢. أُنظر، عيُون أَخبَا الرِّضَا: ٢ / ٢١٤، أَمَالي الصَّدُوق: ٦٢٣، مُسنَد الإِمَام الرِّضَا: ٢ / ١١٩، تَفسِير الفَخر الرَّازي: ٨ / ٨٥ و ٨٦ طَبْعَة البَهيّة بمِصْر، و: ٢ / ٦٩٩ طَبْعَة دَار الطِّبَاعَة العَامرة بمِصْر، دَلَائِل النُّبُوَّة لأَبي نَعَيم: ١ / ٢٩٧، فَرَائد السِّمْطَين للحمُويني: أَوَائِل السمط الثَّانِي ح ٣٧١، السِّيرَة الحَلَبِية للحَلبي الشَّافعي: ٣ / ٢١٢ طَبْعَة البَهيّة بِمِصْر، السِّيرَة النَّبَوِيَّة لزَين دَحلان بهَامش السِّيرَة الحَلَبِية: ٣ / ٥، أَحكَام القُرْآن للجصَّاص: ٢ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦ طَبْعَة عبدالرَّحمَان مُحَمَّد بمِصْر و ٢٩٥ الطَّبعة الثَّانِيَة تَحقِيق القَمحَاوي، التَّسهيل لعُلوم التَّنزيل للكَلبي: ١ / ١٠٩، فَتح البَيَان فِي ↔

وَحَدِيث الثَّقلَين[1] تَفْسِير وَبَيَان لِهَاتَين الآيَتَين[2].

حَدِيث كِتَاب الله وَسُنَّتِي:

جَاءَ فِي بَعْض الأَحَادِيث أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي تَركت فِيكم الثَّقلين: كِتَاب الله وَسُنّتي»[3] بَدَلاً مِن عِتْرَتي، فَأي الحَدِيثَين أوثَق؟ وَإِنْ كَانَا فِي الصِّدق

↔ مقَاصد القُرْآن: ٢ / ٧٢، زَاد المَسير لِابْن الجَوري: ١ / ٣٩٩، جَامع الأُصُول لِابْن الأَثِير: ٩ / ٤٧٠، تَفْسِير الحَبري: ٥٠، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣ / ١٥٠، تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عَساكر: ١ / ٢٥٥ الطَبعة الثَّانِيَة، تَفْسِير الجَلالين للسّيوطي: ١ / ٣٣ طَبْعَة مِصْر و ٧٧ طَبْعَة دَار الْكِتَاب العَرَبِي بَيْرُوت.

(١) أُنظر، حَدِيث الثَّقَلَيْن: (صَحِيح مُسْلِم: ٤ /فَضَائِل عَليّ ح ٣٦ و ٣٧، وسُنن التّرمِذي: ٥ /بَاب ٣٢، وسُنن الدّارمِي: ٢ /فَضَائِل القُرْآن، وخصَائص النَّسَائي: ٥٠، وذَخَائِر العُقْبَىٰ للمُحبّ الطَّبَرِيّ: ١٦، وتَذكرَة الخوَاصّ: البَاب ١٢، وأُسد الغَابَة: ٢ / ١٢، وتَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٠٢، والمُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ١٠٩، ومُسْنَد أَحمَد: ٣ / ١٧ و ٥ / ١٨١ و ٣٧١، والصَّوَاعِق المحرِقَة: ٢٥ المَطْبَعة المِيمَنِيَة بِمِصْر، وص: ٤١ المَطْبَعة المُحمَّدية بمِصْر، ومَجْمَع الزَّوائد: ٩ / ١٦٤، وتَأرِيخ دِمَشْق لِابْن عسَاكر: ٢ / ٤٥ ح ٥٤٥، وكَنز العُمَّال: ١ / ١٦٨ ح ٩٥٩ الطَّبعة الأُولَىٰ، ويَنَابِيع المَوَدَّة: ٣٧ طَبع إسلاَمبُول ... إلخ).

أُنظر، البُخَاريّ فِي صَحِيحه: ٢ / ٢٠٠، وصَحِيح مُسْلِم: ٧ / ١٢٠، والتّرمِذي: ١٣ / ١٧١، والطَّيَّالِسِي: ١ / ٢٨ / ٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٣، وأبْن مَاجه: ح ١١٥، وأحمَد فِي مُسْنَده: ١ / ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠، و: ٣ / ٣٢ و ٣٣٨، و: ٦ / ٣٦٩ و ٤٣٨، ومُسْتَدرَك الحَاكِم: ٢ / ٣٣٧، وطبقَات أبْن سَعد: ٣ / ١ و ١٤ و ١٥، ومَجْمَع الزّوَائد: ٩ / ١٠٩.

(٢) أُنظر، الأُصُول الثَّمَانِيَّة: ٦٧، مَجْمَع الزَّوَائد: ٩ / ١٦٢، مُسْتَدرك الحَاكِم: ٣ / ١٠٩، أبن كَثِير: ٥ / ٢٠٩، مَن هُم الزَّيدِيَّة، السَّيِّد يَحيَىٰ أبن عَبدالكَرِيم الفَضِيل: ٥٩، الأَمالي الخَمِيسِيَّة: ١ / ١٥٦. هَذَا الحَدِيث الأَخذ وَالعَمَل بِهِ ثَقِيل وَخَطِير؛ وَلِذا سُمّي «بِحَدِيث الثَّقلين» ـ كتَاب الله وَالعِتْرَة.

أُنظر، تَفْسِير الطَّبري: ٩ / ٦، مَجْمَع البَيَان: ٦ / ١٥٩، تَنْبِيه الغَافلين: ٢٦٧، بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرفة المَذْهَب: ١٢٤.

(٣) أُنظر، العِلَل لأَحمَد بن حَنبَل: ١ / ٩، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ١ / ١٧٢ ح ٣١٩، سُنَن البَيهقي

سوَاء فَمَا هُو وَجْه الجَمع ؟ .

الجَوَاب :

إِنَّ أتّباع الرَّسُول والعَمَل بسُنّته مِن ضَرُورَات الدِّين بـالإتّفَاق، كَـمَا سَـبَقت الإِشَارَة، وَمَن أَنْكَر ذَلكَ فَقَد أَنْكر الإِسْلاَم، وَعَانَد القُرْءَان الَّـذِي قَـالَ : ﴿وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] .

وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[2] ؛

وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3] .

وإِذَن فَلاَ مُبَرّر إِطلاَقاً للبَحْث عَن سَنَد حَدِيث « سُنَّتي »، وَالمُقَارنَة بَيْنَه وبَيْنَ سَنَد حَدِيث « عِتْرَتي » ثُمَّ الحُكم بأَنَّ الأَوَّل أَصحّ وَأَوثَق كَمَا فَعل بَعْض شيُوخ السُّنَّة ! إِذْ المَفرُوض أَنَّ مَضمُونَه ثَابت كَالشَّمس حَتَّىٰ وَلَو سَكَتَت السُّـنَّة عَـنْهُ، وَهَل يُسَوّغ لعَاقل بأَنْ يَقُول : فِي رَأيي أَنَّ الشَّمس مَوجُودَة، أَو فِي رَأيـي مَـن رَوىٰ أَنَّ لَهَا ضيَاء وَسنَاء فَهُو صَادق فِي روَايَته .

أَمَّا وَجْه الجَمع فَهُو أَنَّ حَدِيث « عِتْرَتي » تَـفسِير وَبَـيَان لحَـدِيث سُـنّتي أَنَّ لسُّنَته ﷺ فردَين : مَا يَصْدر عَنْهُ، وَمَا يَصْدر عَن عِتْرَته وَكأَنَّه يَقُول : أَنَّ وجُـود عِتْرَتي مِن بَعْدي أمتدَاد لوجُودي بالذَّات مِن حَيْث بَيَان الحَقّ، وَالحُـجّة عَـلىٰ

↔ الكُبرىٰ : ١٠ / ١١٤، سُنن الدَّار قُطني : ٤ / ٢٥٤ ح ١٤٩، إِعتقَاد أَهْل السُّنَّة : ١ / ٨٠ ح ٩٠، البَيَان وَالتَّعريف : ٢ / ١١، التَّمهيد لِإبْن عَبد البَر : ٢٤ / ٣٣١، شَرْح الزَّرقَاني : ٤ / ٣٠٨، مِيزَان الإِعتدَال : ٣ / ٣١٥ ح ٣٨٣٦، الإِحكَام لِإبْن حَزم : ٦ / ٢٤٣، أَبجَد العُلُوم : ١ / ٢٢٩.

(١) ٱلحَشر : ٧.

(٢) ٱلنِّسَاء : ٦٥.

(٣) ٱلنِّسَاء : ٨٠.

الخَلق تَماماً كالْقُرْءَان الكَريم... وَيُؤيد ذَلكَ قَولَه ﷺ: «النُّجُوم أَمَان لأَهل السَّمَاء، وَأَهْل بَيْتي أَمَان لأُمّتي... نَحنُ أَهْل بَيْتٍ لاَ يُقَاس بِنَا أَحَد»[١].

قَرَأت هَذَا الحَدِيث فِي كتَاب فَضَائِل الخَمسَة مِن الصّحَاح السّتة[٢]. بالإضَافَة إلَى حَدِيث: «أَنَا مَدِينَة العِلْم وعَليّ بَابهَا»[٣]، وَحَدِيث: «عَلِيّ مَع القُرءَان،

---

(١) أُنظر، ذَخَائر العُقبى: ١٧، المُعجم الكَبِير: ٧ / ٢٥، طَبعَة بَغدَاد، تَسدِيد القَوس فِي تَرتِيب مُسْنَد الفِرْدَوْس مَخطُوط وَرَقة (٢٦٦)، المُستَدرك عَلىٰ الصّحِيحَين: ٢ / ٤٨٦ ح ٣٦٧٦، يَنَابِيع المَودّة: ١ / ٧١ ح ٢، مَنَاقب أَمِير المُؤمِنِين للكُوفي: ٢ / ١٤٢ ح ٦٢٣، فرَائد السّمطَين: ٢ / ٤٢٣ ح ٥١٧، كَنز العُمّال: ١٢ / ح ٣٤١٩٠، بِشَارة المُصْطَفىٰ: ٣٢، مِئَة مَنْقَبة: ٦٥، تَذكرَة الخوَاصّ: ١٨٢، فَضَائل الصّحابَة لأَحمد بن حَنْبل: ٢ / ٦٧١ ح ١١٤٥، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ٤ / ٣١١ ح ٦٩١٣. تَذكرَة الخوَاصّ: ١٨٢.

(٢) أُنظر، فَضَائِل الخَمسَة مِن الصّحَاح السّتة طَبعَة حَيدَر آبَاد سَنَة (١٣٢٤ هـ). نَقلاً عَن المُستَدرَك عَلىٰ الصّحِيحَين: ٣ / ٤٥٨. (مِنْهُ ﷺ).

(٣) الحَدِيث الأَوَّل مَوجُود فِي مُستَدرَك الصَّحِيحَين، وَتَأرِيخ بَغدَاد، وَكَنْز العُمّال، وَالرّيَاض النّضرَة، وَكنُوز الحَقَائق، وَالصّوَاعق المُحرقَة، وَالحَدِيث الثّانِي مَوجُود فِي سُنن التّرمذي وغَيْرِه، وَالحَدِيث الثَّالث مَوجُود فِي المُستَدرَك، وَالصّوَاعق. أُنظر الجُزء الثّانِي مِن كتَاب فَضَائِل الخَمسَة للفَيروز آبَادي. (مِنْهُ ﷺ).

لَقد وَصل إلينَا الحَدِيث متوَاتِراً عَن طَرِيق الشّيعَة، وَالسُّنّة كمَا صَرح بِذَلِكَ أَكثَر الْفُقَهَاء، وَالْعُلَمَاء، وأَصْحَاب الْحَدِيث، والسُّنن مَع وجُود بَعْض الإخْتِلاَف فِي اللّفظ. أُنظر، تَأرِيخ دِمَشْق / تَرجمَة الإمَام عَليّ ﷺ: ٣ / ٤٦٧، والمنَاقِب لِابْن المغَازلي: ٨١، وصَحِيح التّرمِذي: ٢ / ٢٩٩ ح ٣٨٠٧، سُنن التّرمِذي: ٥ /بَاب ٨٧/ ٣٠١، وَأَخرجَه الطّبرانِي فِي الْمُعْجَم الْكَبِير: ٣ / ١٠٨، و: ١١ / ٥٥ / ١١٠٦١ عن أبن عبّاس، الْحَاكِم فِي المنَاقِب: ٢٢٦، مُسْتَدرَك الصّحِيحَين: ٣ / ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٩، أَسنىٰ المطَالِب للجزري: ٧٠ و ٧١، تَأرِيخ بَغدَاد: ١١ / ٢٠٤ و ٤٨ و ٤٩ و: ٢ / ٣٧٧ و: ٤ / ٢٤٨، و: ٧ / ١٧٢، لِسَان المِيزَان لِابْن حَجَر: ١ / ١٩٧ تحت رَقم ٦٢٠، الصّوَاعِق الْمحرِقَة: ٧٣ و ١٢٠ و ١٢٢ / ٩ طَبعَة الْمحمّدية أورَد الْحَدِيثَين «أَنَا مَدِينَة العِلْم...» و «أَنَا دَار الْحِكْمَة...».

وأُنظر تَهْذِيب التّهذيب: ٦ / ٣٢٠، و: ٧ / ٤٢٧، تَذكِرة الحفّاظ: ٤ / ٢٨ طَبعَة حَيدرآبَاد، الفِرْدَوْس لأَبي شجَاع الدَّيلمي: ١ / ٧٦ / ١٠٩، مَودّة القُربىٰ: ٢٤، مصَابِيح السُّنّة للبَغوي: ٢ / ٢٧٥،
↔

والقُرءَان مَع عَليّ »(١).

وفِي أُصُول الكَافِي أَنَّ رَجُلاً سَأَل الإمَام جَعْفَر الصَّادِقعليه السلام عَن رَأيهِ حُكْم مَن الأَحْكَام، فَقَالَ لهُ: مَه، نَحْنُ نَقُول عَن رَسُول اللهصلى الله عليه وآله لاَ عَن رَأي

↔ الجَامِع الصَّغِير للسّيوطي: ١ / ٣٧٤ ح ٢٧٠٥ و ٢٧٠٤ طَبعَة مُصطفىٰ مُحمَّد. مُنتَخَب كَنز العُمَّال بهَامش مُسْنَد أَحْمَد: ٥ / ٣٠، وَكَنز العُمَّال: ٦ / ١٥٢ و ١٥٦، و ١١ / ٦١٤ / ٣٢٩٧٩، و ٦٠٠ / ٣٢٨٨٩، و: ١٣ / ١٤٧ / ٣٦٤٦٢ و ٣٦٤٦٣، و: ١٥ / ١٢٩ / ٣٧٨ الطّبعة الثّانِيَة. الفَتْح الكَبِير للنَّبهاني: ١ / ٢٧٢ و ٢٧٦، البدَاية والنّهَايَة لِابْن كَثِير: ٧ / ٣٥٨، مَجْمَع الزّوائد للهَيثمي: ٩ / ١١٤، حليَة الأَوْلِيَاء: ١ / ٦٤ و ٦٣، فرَائد السِّمْطَين: ١ / ٩٨، شوَاهد التَّنزيل للحَافظ الحَسكَاني: ١ / ٣٣٤ / ٤٥٩ و ٨١ / ١١٨ و ٨٢ / ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ طَبعَة أُخرىٰ، الرّيَاض النّضرة: ٢ / ١٩٣ و ٢٥٥ الطّبعة الثّانِيَة.

وَرَاجع فَضَائِل الخَمْسَة: ٢ / ٢٤٨ و ٢٥٠، جَامع الأُصُول: ٩ / ٤٧٣ / ٦٤٨٩، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢ / ٢٣٦ طَبعَة بيْرُوت، و: ٧ / ٢١٩ طَبعَة مِصْر بتَحقِّيق مُحمَّد أبُو الفَضْل، مِيزَان الإعْتِدَال للذَهبي: ١ / ٤١٥ و ٤٣٦ تَحت رَقم ٤٢٩، و: ٢ / ٢١٥، و: ٣ / ١٨٢، و: ٤ / ٩٩، أُسد الغَابَة: ٤ / ٢٢، تَأرِيخ دِمَشْق لِابْن عسَاكر الشّافعي / تَرجمَة الإمَام عَلي عليه السلام: ٢ / ٤٥٩ / ٩٨٣ و ٤٦٤ و ٤٧٦ حَدِيث ٩٨٤ و ٩٨٦ و ٩٩٧.

(١) أُنظر، صَحِيح التّرمِذي: ٥ / ٢٩٧ ح ٣٧٩٨ و: ١٢ / ١٢٦، جَامع التّرمِذي: ٢ / ٢١٣، التَّفْسِير الكَبِير للفَخر الرَّازي: ١ / ٢٠٥، فَيض القَدِير: ٦ / ٣٥٦، مَجْمَع الزّوائد: ٧ / ٢٣٥ و: ٩ / ١٣٤، تَأْرِيخ بَغدَاد: ١٤ / ٣٢١، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٧٨، شَرح الأَخبَار للقَاضي النّعمان المغربي: ٢ / ٦٠، رَبِيع الأبرَار للزّمخشري: ١ / ٨٢٨، فرَائد السِّمْطَين: ١ / ١٧٧ ح ١٣٨، المنَاقبِ لِابْن المغَازلي: ١١٧ و ٢٤٤، والمُسْتَدرَك: ٣ / ١٩ و ١٢٤، العِقد الفَرِيد: ٣ / ١٠٨ الطَّبعة الثَّالثة، تَأرِيخ أَبن عسَاكر تَرجمَة الإِمَام عَليّ: ٣ / ١١٩ ح ١١٦٢ و: ٤٢ / ٤٤٩، كَنز العُمَّال: ١١ / ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢، أَنسَاب الأَشرَاف: ٢ / ٢٨١ الطَّبعة الأُولَى، فَضل آل البَيْت للمَقرِيزي: ٦٠، جوَاهر المطَالِب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ لِابْن دِمَشق: ١ / ٣٤٣، المِلَل وَالنِّحل: ١ / ١٠٣، الصَّوَاعِق المُحرِقَة: ١٢٤، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٩٠، المطالب العَالية: ٤ / ٦٦، المحصُول للرَّازي: ٦ / ١٣٤، وفِي بَعْض المصادر بِلفظ: « رحمَ الله عَلِيّاً أَدِرْ الحَقّ مَعه حَيثُ دَار ». أُنظر، المُعْجَم الأَوسط: ٦ / ٩٥ ح ٥٩٠٦، تُحفَة الأَحْوَذي: ١٠ / ١٤٩، فَيض القَدِير: ٤ / ١٩، تَهذِيب الكَمَال: ١٠ / ٤٠٢ ح ٢٢٥٦، الرِّيَاض النَّضرة: ١ / ٢٤٣ ح ٨٧.

وَإجْتهَاد...»[١]، وَفِي روَايَة ثَانيَة عَن أَهْل الْبَيْت: رَوَاها الجنَابذِي فِي مَعَالم العِتْرَة الطَّاهرَة عَنْ صَالح بن الأسوَد: سَمعتُ جَعْفَر الصَّادق يَقُول: «سَلُوني قَبل أَنْ تَفقدُوني، فإِنَّه لاَ يُحَدّثكُم أَحد بَعْدي بِمِثل حَدِيثي، فَكَان يَقُول: حَدِيثي حَدِيث أَبِي، وحَدِيث أَبِي حَدِيث جَدّي، وحَدِيث جَدّي حَدِيث عَليّ بن أَبِي طَالب، وحَدِيث عَليّ حَدِيث رَسُول الله»[٢].

العِصْمَة لِمَنْ؟

وَرُبَّ قَائِل: أَنْ هَذَا الدَّلِيل يَبدُو سَلِيماً مِن الوجهَة النَّظريَّة، وَالبُرهَان الجَدَلي،

---

(١) أنظر، الكَافي: ١/٣٦٨ ح ٥.

(٢) أُنظر، مَعَالم العِتْرَة النَّبويّة للحَافظ الجنَابذِي (مَخطُوط): وَرق ٦٣، الكَافِي: ١/٥٣ ح ١٤، الإرشَاد للشَّيخ المُفيد: ٢/١٨٦.

قَد أَخَذ أَهْل البَيْت عليهم السلام عُلُوم الكِتَاب، والسُّنَّة، وَفَهمُوها، وَوَعوهَا عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وآله، تَمَاماً كمَا أَخَذها وَوَعَاها رَسُول الله صلى الله عليه وآله عَنْ جِبرَائِيل عليه السلام، وَكمَا وَعَاها جِبرَائِيل عَنْ الله، وَلاَ فَرق أَبَداً فِي شَيء إلاَّ بِالوَاسطة فَقط لاَ غير، وَنَظم الشَّاعر الإمَامي هَذَا المَعْنَىٰ فَقَال:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبتَغي لِنَفْسك مَذْهَباً ... يُنْجِيكَ يَوْم البَعْث مِنْ لهَبِ النَّار

وَوَالِ أُنَاساً نَقْلهُم وَحَدِيثهُم ... رَوىٰ جَدّنا عَنْ جِبرئِيل عَنْ البَاري

أُنظر، عَوَلي اللَّئالي: ١/٣٠١، الصِّرَاط المُسْتَقِيم: ٣/٢٠٧.

أَخَذ عَليّ عليه السلام عَنْ النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وَأَخذ الحَسنَان عَنْ أَبِيهمَا، وَأَخذ عَليّ بن الحُسَيْن عَنْ أَبِيه، وَهكَذَا كُلّ إِمَام يَأخذ العِلْم عَنْ إِمَام، وَلَم تَروِ أَصْحَاب السِّير وَالتَّوَاريخ أَنَّ أَحداً مِنَ الأئِمَّة ال(١٢) أَخَذ عَنْ صَحَابي، أَو تَابعي أَو غَيرَه، فَقَد أَخَذ النَّاس العِلْم عَنْهُم، وَلَم يَأخذُوه عَنْ أَحدٍ، قَالَ الإمَام الصَّادق: «عَجَباً للنَّاس يَقُولُون: أَخَذُوا عِلْمهُم كُلّه عَنْ رَسُول الله، فَعَملوا بِهِ، وَاهتدُوا، وَيَرَون إنَّا أَهْل البَيْت لَم نَأخذ عِلْمه، وَلَم نَهتَد بِهِ، وَنَحنُ أَهْله وذُرِّيَّته فِي مَنَازلنَا أُنْزِل الوَحي، وَمِنْ عِندنَا خَرَج العِلْم إِلَى النَّاس، أَفتَرَاهُم عَلمُوا، وَاهتدُوا، وَجَهلنَا وَضَللنَا»؟ إِنَّ هَذَا مُحَال.

أُنظر، أَمَالي الشَّيْخ المُفِيد: ١٢٢، بحَار الأنوَار: ٢/١٧٩.

ولَكنَّه صَعْب التَّطبِيق ؛ لأَنَّه يُثبت العِصْمَة لغَير الرَّسُول ، وَلاَ تَقوىٰ النُّفُوس عَلىٰ إحتمَالَه .

الجوَاب :

١ ـ إنَّ العِبرَة بالدَّلِيل لاَ بمَا تَهوىٰ الأَنْفُس ، وَالمَفرُوض أَنَّ النَّبيّ ﷺ سَاوىٰ العِترَة بٱلْقُرْءَان المَعْصُوم فِي حَدِيث الثَّقلَين ، ومَعْنَىٰ ذَلكَ أَنَّهُم مَعصُومُون عَن الخَطأ تَمَاماً كَٱلْقُرْءَان ، وَمَن نَصّ المَعْصُوم عَلىٰ عِصْمَته فَهُو كَذَلكَ ، لأَنَّ العِصْمَة لاَ تَتَجزأ ، وَأَيضاً نَصّ ٱلْقُرْءَان عَلىٰ طَهَارَة أَهْل الْبَيْت مِن الذَّنب ، وَالدَّنس فِي الآيَة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] . وَتَأتي إِلَيهَا الإِشَارَة .

٢ ـ إنَّ عَبدالرَّحمن بن عَوف أَبىٰ أَنْ يُبَايع عَلِيّاً إِلَّا بشَرط الإِقْتدَاء بِالشَّيخَين : أَبي بَكْر ، وَعُمر ، وَلَم يَكْتَف بالعَمل بكتَاب الله ، وَسُنَّة نَبيِّه ، فَرَفَض عَليّ هَذَا الشَّرط ، وَقَبلَه عُثْمَان فَصَار خَلِيفَة المُسْلِمِين ، وَأَقرّ أَهْل السُّنَّة ذَلكَ ، وَرضُوا بهِ ، وَلَم يُنْكرُوا عَلىٰ عَبدالرَّحمَن ، وَلاَ عَلىٰ عُثمَان ، ومَعْنَىٰ وجُوب الإِقْتدَاء بالشَّيخَين إثبَات العِصْمَة لهمَا ، وَبالتَالي لغَير الرَّسُول ﷺ فَكَيف خَفّت عَلىٰ النُّفُوس عِصْمَة عَليّ الَّذِي قَالَ فِيه ﷺ : « الْحَقّ مَع عَليّ ، وَعَليٌّ مَع الْحَقّ لَنْ يَفْتَرقا حَتَّىٰ يَردا عَليَّ الحَوض »[2] .

٣ ـ قَالَ الغزّالي فِي المُسْتَصفىٰ البَاب الثَّانِي فِي أَركَان الإِجمَاع : « إِذَا ٱتّفقت

(١) ٱلأَحْزَاب : ٣٣.

(٢) تَقَدَّمَت تخْرِيجَاته .

كلمة الأُمّة ولو لحظة انعقد الإجماع، ووجبت العصمة عن الخطأ»[1]. وهذا اعتراف صريح بإثبات العصمة لغير الرّسول.

٤ ـ نقل صاحب المنار عند تفسير الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾[2].

أنّ الكرخي، وهو من أئمة الأحناف، قال: «الأصل وجوب العمل بقول أبي حنيفة، فإن وافقه نصّ الكتاب والسُّنّة فذاك، وإلّا وجب تأويل الكتاب، والسُّنّة على وفق قول أبي حنيفة»[3]. ومعنى هذا بأنّ عصمة أبي حنيفة فوق عصمة ٱلقرءان، والرّسول.

٥ ـ ذكر الدّواليبي في المدخل إلى أُصول الفقه نقلاً عن كتاب ابن حنبل للشيخ أبي زهرة: «أنّ أئمّة المذاهب الأربعة، وجماهير فقهاء السُّنّة أجمعوا على الأخذ بأقوال الصّحابة، والإحتجاج بفتاويهم»[4].

وقال الغزّالي في المستصفى: «ذهب قوم إلى أنّ مذهب الصّحابي حجّة مطلقاً»[5].

---

(١) أنظر، المستصفى من علم الأُصول، لمحمّد بن محمّد الغزّالي: ١٥٢.

(٢) أنظر، تفسير المنار للآية (١٦٥) من سورة ٱلبقرة.

(٣) أنظر، تفسير المنار للآية (١٦٧): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ من ٱلبقرة. وكتاب ما لا يجوز فيه الخلاف لوزير الأزهر الشّيخ عبدالعزيز عيسى الفصل الثّامن. (منهُ).

(٤) أنظر، المدخل إلى أُصول الفقه للدّواليبيّ: ٣٧ و ٣٨٩، مسلّم الثّبوت، لمحبّ الله بن عبدالشّكور: ٢ / ٣٧٤، الإحكام في أُصول الأحكام، لعليّ ابن محمّد الآمدي: ٤ / ١٧٥، المستصفى من علم الأُصول: ٢ / ٣٥٤، التّحرير، الكمال بن الهمام مع التّيسير: ٤ / ١٩٣، شرح البدخشي: ٣ / ١٩٥.

(٥) أنظر، المستصفى من علم الأُصول، لمحمّد بن محمّد الغزّالي: ١ / ٢٦٠ طبعة (١٣٢٢ هـ).

وَمَعلُوم أَنَّ الْإِحتجَاج بالرِّوَايَة يُشَكِّل اَعترَافاً بعَدَالَة الرَّاوي أَو الثِّقَة بنَقله، أَمَّا الْإِحتجَاج بفَتوىٰ المُفتي، أَو بقَول صَاحب المَذْهَب وَرَأيه فإِنَّه يُشَكِّل اَعترَافاً لعِصْمَته، لأَنَّ كُلَّ مَن يَحتَج بقَول آخر وَيَجعَله دَلِيلاً عَلىٰ الحَق فَقَد أَثبَت لهُ العِصْمَة مِن حَيْث يُرِيد أَو لاَ يُرِيد.

وفِي أَعْلاَم المُوقعِين: «أَنَّ فَتَاوىٰ الصَّحَابَة أَولىٰ أَنْ يُؤخَذ بهَا... وَإِنْ اَختَلفُوا فَإِنْ كَان الخُلَفَاء الْأَربعَة فِي شقّ فَلاَ شَكّ أَنَّه الصَّواب، وإِنْ كَان أَكْثَرهُم فِي شقّ فَالصَّواب الشّق الْأَغلَب، وَإِنْ كَانُوا اَثْنَين وَاَثْنَين فشقّ أَبي بَكْر، وَعُمَر أَقرَب إِلَىٰ الصَّواب، فَإِنْ اَختَلف أَبُو بَكْر وَعُمَر فَالصَّواب مَع أَبي بَكْر»[١]... وأَيضاً قَال صَاحب أَعْلاَم المُوقِعين: «كُلّما كَان العَهد بالرَّسول أَقرَب كَان الصَّواب أَغْلَب»[٢].

وطبَعد، فَإِنَّ الرَّأي عُذر لصَاحبِه، وَلاَ حُجّة فِيهِ عَلىٰ غَيْرِه، والرِّوَايَة عَن المَعْصُوم حُجّة لمَن وَثق بهَا، وَاَطمَأن إِلَيهَا، مَا فِي ذَلكَ رَيب، ولَكن السُّنَّة أَو بَعْضهُم يَرون أَنَّ آرَاء الصَّحَابَة مُجْتَمِعين وَمُنفَرِدين ـ حُجّة بَالغَة عَلىٰ النَّاس بخَاصّة رَأي أَبي بَكْر، وَبصُورَة أَخصّ إِذَا وَافقه عُمَر... وأَيضاً يَرىٰ السُّنَّة أَنَّ روَايَة الصّحَابي عَادلَة دُون أَنْ يَعتَمدُوا فِي هَذَا وذَاك عَلىٰ أَسَاس وَثِيق سِوىٰ مُجرّد الصُّحبَة. ومَع ذَلكَ نَقُول لهُم: «أَنْتُم وَمَا تَرون... وَلَكن لمَاذَا تَستَكثرُون وَتُنكرُون عَلىٰ الشِّيعَة إِذَا اَحتَجّوا بقَول أَهْل الْبَيْت»؟.

أَلَم تَتّفق المَذَاهب الْأَربعَة عَلىٰ الْأَخذ بأَقوَال الصَّحَابَة، وَالْإِحتجَاج بتَفَاوتهم

(١) اُنظر، أَعْلاَم المُوقعِين: ٤ / ١١٨ وَمَا بَعدهَا طَبْعَة (١٣٧٤ هـ). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) اُنظر، أَعْلاَم المُوقِعين: ٤ / ١٢٠ وَمَا بَعدهَا طَبْعَة (١٣٧٤ هـ). (مِنْهُ ﷺ).

فَهَلّ الصُّحبَة وَالصَّحَابَة أَقوىٰ وَأولىٰ مِن الأَهل وَالقَرَابَة ؟ وَفَوق ذلكَ ثَبَت أَنَّ أَهْل الْبَيْت مُطَهرُون مِن الرِّجس ، وأَنَّهُم وَٱلْقُرْءَان بمَنزلَة سَوَاء فِي وجُوب العَمَل وَالتَّمسك .

مَن هُم أَهل البَيت عليهم السلام ؟

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] .

قَالَ مُسْلِم فِي صَحِيحه بَاب فَضَائل أَهْل الْبَيْت : نَزَلت هَذِهِ الآيَة فِي مُحَمَّد ، وَعَليّ ، وَفَاطِمَة ، وَالحَسَن ، والحُسَين . . . وَمِثلَه فِي مُسنَد ٱبْن حَنبَل ، وَمُستَدرَك الصَّحِيحَين ، وَالدُّر المَنثُور للسُّيوطي ، وَكَنز العُمّال ، وَسُنن التّرمَذي ، وَتَفْسِير الطَّبري ، وخَصَائِص النَّسَائي ، وَتَأرِيخ بَغدَاد ، والإِستيعَاب ، وَالرِّيَاض النَّضرَة ، وَمُسنَد أَبي دَاود ، وَأُسد الغَابَة ، وَغير ذَلكَ[2] .

---

(١) ٱلأَحْزَاب : ٣٣.

(٢) ٱلأَحْزَاب : ٣٣.

أُنظر ، الجُزء الأَوّل مِن كتَاب فَضَائِل الخَمسَة للفَيرُوز آبَادي : (البَاب ١٩ و ٢١ و ٢٢ مِن المَقصَد الثَّانِي) . (مِنهُ ﷺ) .

لاَ بُدّ لنَا مِن تَحدِيد مَعْنَى (الأَهْل) لُغَتة وَاصْطلاَحاً ـ كمَا وَرَدت فِي كتَاب الله ، وَأَحَادِيث رَسُوله ﷺ وَقوَامِيس اللُّغَة العَرَبيَّة ، وذَلِكَ لقَطع الطَّرِيق عَلَىٰ المُتلاَعِبين ، وَإِلقَاء الحُجّة عَلَىٰ الآخرِين ، ولْيَكُنْ تَحْدِيدنَا عَلَىٰ نَحو الإِسْتعرَاض السَّرِيع .

فَالأَهْل فِي اللُّغَة : أَهْل الرَّجُل ، عَشِيرَته ، وَذُوو قُربَاه ، جَمْعَه : أَهلُون ، وَأَهَلات ، وَأَهـل . يَأهـل وَيَأهِل أَهولاً وَتَأهل وَٱتّهل : أَتّخذ أَهلاً .

وأَهْل الأَمْر : وُلاَتِه ، وللبَيْت سكّانه ، وللمَذْهَب مَن يُدِين بِه ، وَللرَّجُل زَوجَته كأَهلَته ، وَللنَّبيّ ﷺ أَزوَاجَه ، وَبَنَاته ، وَصهرَه عَليّ عليه السلام أَو نسَاؤه ، وَالرِّجَال الّذين هُم آله ، وَلكلّ نَبيّ أُمّته ، وَمكَان آهل ، لَهُ ↔

↔ أهْل وَمَآهُول، فِيهِ أهْل... (أنظر القَامُوس المُحِيط للفيرُوزآبَادي).

وَذكر فِي المُعْجَم الوَسِيط تَعريفاً آخر للأهل: الأهْل: الأقَـارب، وَالعَشِـيرَة، وَالزّوْجَـة، وأهْـل الشّيء: أصْحَابه، وأهْل الدّار وَنحوها: سكّانها.

وَذكر الرّازي صَاحب مُختَارَات الصّحَاح مَعْنَىٰ الأهْل فَقَالَ: مِن الأهَالة، وَالأهَـالة لُـغَةً: الوَدَك وَالمُستَأهل هُو الّذي يَأخذ الأهَالة، وَالوَدَك دِسم اللّحم، والبَيْت عِيَال الرّجُل... وَالأهْل، وَالأقَارب، وَالعَشِيرَة، وَالزّوْجَة، وَأهْل الشّيء أصْحَابه، وَأهْل الدّار سكّانها.

إذَنْ، كَلِمَة «أهْل» عِندَما تُطلَق فَإنّهَا تَحْتَمل عِدّة مَعَان، فرُبّمَا تَعني: الزّوْجَـة فَـقط، أو الأوْلاَد فَقط، أو الزّوْجَة والأوْلاَد مَعاً، أو الأقَارب وَالعَشِيرَة، إلَىٰ غَيْر ذَلِك. وَلذَا نَجد كُلّ وَاحِدَة مـن هَـذِه المَعَانِي قَد وَرَدت فِي القُرْآن الكَريم، حَيْث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٱلْقَصَصِ: ٢٩.

فأهْل مُوسَىٰ ﷺ فِي الآيَة الكَرِيمَة هِي الزّوْجَة الّتي خَرَج بهَا عَائِداً مِن مَدْين إلَىٰ مِصْر، ولَيْس يَصحَبهُ أحد سوَاهَا، فَلاَ تَنصرف كَلِمَة «أهْله» إلَىٰ مَعنىً آخر. (أنظر تَفْسِير السَّيِّد عبدالله شُبّر: ٣٧٣ الطّبعَة الثّالثَة دَار إحيَاء التّرَاث).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يُوسُفَ: ٢٥.

وَالأهْل هُنا أيضاً تَعْني الزّوْجَة، وَهِي زَوْجَة عَزِيز مِصْر لاَ غَيْر.

وأمّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ الْعَنْكَبُوتِ: ٣٣، وَقَـوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. طه: ١٣٢. فكَلِمَة «الأهْل» فِي الآيَتين الشّرِيفَتَين تَعْني الأسرَة المكوّنة مِن الزّوجَين، والأوْلاَد، ومُتَعَلّقِي الرّجَال، عَلَىٰ الرّغـم مِـن اسـتثنَاء زَوجَـة لُوطٍ ﷺ فَنَالَهَا العَذَاب.

وأمّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...﴾ هُودٍ: ٤٥ و ٤٦. فكَلِمَة «الأهْل» هُنا تَعْني أسرَة الرّجُل السّالِكِين لدَربه، وَالسّائرين عَلَىٰ خَطّه، وَلذَا خَرج ابْنِهِ عَن الأسرَة، وَلذَا لَم يَعدّ أحد أبنَائه، لأنّه خَرَج عَن خَطّ أبِيه ﷺ. وَكَانَ نُوح ﷺ يَحْمل زَوْجه وأولاَده وَزَوجَات أوْلاَده. (لاَحظ تَفْسِير الآيَة فِي كُتب التّفْسِير وخَاصّةً تَفْسِير الجَلاَلَين).

↔

أَمَّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ٱلنِّسَاء: ٣٥. وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ يُوسُفَ: ٢٦، فكَلِمَة «الأَهْل» فِي الآيَة الأُولَىٰ تَعْني أَقَارب وَعَشِيرَة الزّوجَين. أَمَّا فِي الآيَة الثَّانِيَة فَتَعني أَقَارب وَعَشِيرَة إمْرَأَة عَزِيز مِصْر. (لاَحظ تَفْسِير الآيَة فِي كُتب التَّفْسِير وخَاصّةً تَفْسِير الجَلاَلَين، وَلاَحظ تَفْسِير المِيزَان: ١٢/١٤٢).

وأَمَّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ٱلأَنْبِيَاء: ٨٤. فكَلِمَة «أَهْل» فِي الآيَة هُنَا تُشِير إِلىٰ أَبنَاء النَّبِيّ أَيُوب عليه السلام بَعد كَشف الضّرّ عَنْه.

أَمَّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ فَاطِر: ٤٣، وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ ٱلنِّسَاء: ٥٨، وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ ٱلْكَهْفِ: ٧١، فكَلِمَة «أَهْل» فِي هَذِهِ الآيَات الشَّرِيفَة تَعْني أَصْحَاب الشّيء أَو أَصْحَاب ٱلْعَمَل.

وَالخُلاَصة: أَنّ كَلِمَة «أَهْل» قَد وَرَدت فِي ٱلْقُرْآن ٱلْكَرِيم (٥٤) مرّة (اُنظر الـمُعْجَم المُـفَهرس لأَلفَاظ ٱلْقُرْآن ٱلْكَرِيم لِمحَمَّد فُؤَاد عَبد البَاقي).

أَمَّا كَلِمَة «بَيْت» الّتي وَرَدت فِي مَوَاطن عَدِيدَة مِن كتَاب الله تَعَالَىٰ وَسُنّة نَبِيّه ﷺ، أَيضاً حَمَلَت عَدّة مَعَانٍ، مِنْهَا: ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَام. ومِنْهَا: ٱلْبَيْت النّسبي، ومِنْهَا: ٱلْبَيْت المَادّي المُعدّ للسّكن، وغَيْر ذَلِكَ. فَقَد وَرَدت بِمَعْنَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَام (١٥) مرّة؛ (اُنظر، ٱلْبَقَرَة: ١٢٥ و ١٢٧ و ١٥١، ٱلأَنفَالِ: ٢٥، هُودٍ: ٧٣، ٱلْحَجّ: ٢٦ و ٢٩ و ٣٣، آلِ عِمْرَانَ: ٩٦ و ٩٧، ٱلْمَائِدَةِ: ٢ و ٩٧، ٱلأَحْزَابِ: ٣٣، ٱلطُّورِ: ٤، إِبْرَاهِيم: ٢٧) لأَنَّهَا مِن الأَلْفَاظ المُشتَرَكَة.

أَمَّا إِذَا أَضفنَا كَلِمَة «ٱلْبَيْت» إِلىٰ الأَهْل فَقَد وَرَدت فِي ٱلْقُرْآن ٱلْكَرِيم مرّتَين كمَا فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ هُودٍ: ٧٣. وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ٱلأَحْزَابِ: ٣٣.

أَمَّا كَلِمَة «أَهْل ٱلْبَيْت» فِي السُّنّة المُطهّرة فكَثِيرَة الوُرُود، وَلاَ يُمكن لنَا ٱستعرَاضها، لإِستلزَام ذَلِكَ مُرَاجعَة قَوْله، وَفِعْله، وَتَقرِيره ﷺ، وَهَذَا مِمَّا لاَ يُمكن حَصرُه.

وَبِمَا أَنّ المَدلُول الْحَقِيقِي لِهَذَا المُصْطَلح الجَلِيل قَد تَعرّض لحَملةٍ مِن التّزوير، وَالتّشويه، وهُو مَدَار بَحثنَا فَيَقتضي التّنويه عَمّا وَرَد عَنه ﷺ عَلَىٰ سَبِيل الإِجمَال لاَ التّفصيل. فَقَد وَرَد عَنه ﷺ عَن طَرِيق أَهْل السُّنّة وَالشّيعَة مَا يُقارب الثّمانِين، رَوىٰ مِنْهَا أَهْل السُّنّة مَا يَقرب مِن أَرْبَعِين حَدِيثاً. وَرَوىٰ

أهْل الشّيعَة أكْثر مِن ثلاثين طَرِيقاً (راجع تَفْسِير المِيزَان: ١٦ / ٣٢٩). وَعَلَىٰ الرّغم مِن ذلِكَ فَقد تمخّض عَن إهمَال القَرينَة قِيَام عِدّة آرَاء وَمذَاهب كلّ مِنْهَا تَزعَم سَلاَمَة الإتجَاه و التّفْسِير لِهَذَا المُصْطَلح.

فَمِنْهُم مَن يقُول: إنَّ أَهْل ٱلْبَيْت الّذين عَنَتهُم آيَة التَّطْهير هُم: بَنُو هَاشم ـ أي بَنُو عَبدالمُطّلبِ جَمِيعاً ـ. ومِنهُم مَن قَالَ: إنّهم مُؤمنُو بَني هَاشِم وَعَبدالمُطّلب دُونَ سَائِر أَبنَائهمَا (أنظر، رُوح المَعَانِي للآلُوسي: ٢٤ / ١٤).

وَمِنْهُم مَن يقُول: إنّهُم العَبَّاس بن عَبدالمُطّلب وَأبنَاؤه (أنظر، المَصْدَر السّابق).

وَمِنْهُم مَن يقُول: هُم الّذين حرموا مِن الصَّدَقَة: آل عَليٍّ، وَآل عَقِيل، وآل جَعفرٍ، وآل العَبَّاس (أنظر، تفْسِير الخَازن: ٥ / ٢٥٩).

ومِنْهُم مَن يقُول: هُم نِسَآءَ النَّبِيّ ﷺ، وَعليّ، وفَاطِمَة، والحَسَن، والحُسَيْن: (أنظر، تفْسِير الخَازن: ٥ / ٢٥٩، تَفْسِير الكَشّاف: ٣ / ٦٢٦، فَتْح القَدِير للشّوكَاني: ٤ / ٢٧٨ و ٢٨٠).

ومِنْهُم مَن يقُول: هُم نِسَآءَ النَّبِيّ ﷺ خَاصَّة، حَتَّىٰ أنّ عِكرِمَة كَانَ يقول: مَن شَاء بَاهلته بأنّهَا نَزَلت بِأزوَاج الرَّسُول ﷺ.

ولَسْنَا بِصَدَد مُنَاقشَة هَذِه الأقوَال، وَلَكن نُذكّر القَارىء ٱلْكَرِيم بِأنّ عِكرِمَة بن عَبدالله يَرىٰ رَأي نَجدَة الْحَرُورِيّ وهُو مِن أشدّ الْخَوَارِج بُغضاً لعَليّ بن أبي طَالب ؑ. وَيَرىٰ أيضاً كُفر جَمِيع ٱلْمُسْلِمِين مِن غَيْر الْخَوَارِج. وهُو القَائِل فِي مَوسم ٱلْحَجّ: وَدَدتُ أنّ بِيَدي حَرِبةً فَأعْتَرض بهَا مَن شَهد المَوسم يَمِيناً وَشمَالاً. وهُو القَائِل أيضاً عِندمَا وَقَف عَلَىٰ بَاب المَسْجِدِ ٱلْحَرَام: مَا فِيهِ إلّا كَافر.

وَمِن مَفَاهِيمه الإعتقَادِيّة: إنّما أنزَل الله مُتشَابه ٱلْقُرآن لِيُضلّ بِهِ. وَقَد ٱشتَهر بكِذبِهِ وَوضعه للحَدِيث ٱبن عَبَّاس، وَٱبن مَسعُود، وَلذَا وَصَفه يَحيىٰ بن سَعِيد الأنْصَاري بأنّه كَذّاب. (أنظر، تَرجمَة عِكرِمَة فِي مِيزَان الإعْتِدَال للذَّهبي: وَالمعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ٤٥٥ الطّبعة الأُولَىٰ قُم مَنشُورَات الشَّرِيف الرَّضِي، طَبقَات ٱبن سَعد). أفيَصحّ بَعد هَذَا أنْ نَأخذ بحَدِيثٍ يَروِيه ؟!

أمَّا الرّاوي الثَّانِي بَعد عِكرِمَة فَهُوَ مُقَاتل بن سُليمَان البَلخي الأزْدِيّ الخرَاسَاني، كَانَ مُفسّراً لِلْقُرْآن ٱلْكَرِيم عَلَىٰ طَرِيقَته الْخَاصَّة، حَتَّىٰ قَالَ فِيهِ ٱبن المُبَارك: مَا أحسن تَفْسِيره لَو كَانَ ثقَة. (أنظر، مِيزَان الإعتدَال للذهبي: ٤ / ١٧٣ الطّبعَة الأُولَىٰ بَيرُوت، تَهذِيب العُمَّال فِي أسمَاء الرِّجَال للحَافظ الخزْرَجي الأنْصَاري). وكَانَ مِن غُلاَة المُجسّمة يُشبّه الْخَالِق بالْمخلُوقِينَ، حَتَّىٰ قَالَ أبُو حَنِيفَة: أفرَط

↔ جَهم فِي نَفي التّشبيه حتّىٰ قَالَ: إنّه تعَالَىٰ لَيسَ بشَيء، وأفرَط مُقَاتل فِي الإثبَات حتّىٰ جَعَله مِثل خلقه. (أنظر، المَصْدَر السَّابق). وَقَالَ النَّسائي: والكذّابُون المَعْرُوفُون بوَضع الحَدِيث: أبن أبي يَحيىٰ بالمَدِينَة، والوَاقدي ببَغدَاد، وَمُقَاتل بن سُليمَان. (مِيزَان الإعْتِدَال: ٣ / ٥٦٢ فِي تَرجمَة مُحمَّد بن سَعِيد المَصلُوب). وكَانَ مُقَاتل عَلَىٰ مَذهَب المُرجئة. (الفَصْل لِابْن حَزم: ٤ / ٢٠٥)، وَيأخذ عَن اليَهُود، وَالنَّصارىٰ وَيغرّر بالمُسْلِمِين، حَتّىٰ قَالَ فِيهِ الذّهبي: كَانَ مُقَاتل دَجَّالاً جَسُوراً. (أنظر، مِيزَان الإعْتِدَال: ٣ / ٥٦٢).

عَود عَلَىٰ بدء: كَيفَ يُفسّر عِكْرِمَة أو مُقَاتل بِأنّ الآيَة نَزَلت فِي نِسَآءِ النَّبِيّ ﷺ خَاصّةً مَع أنّ المُرَاد مِن الرّجس هُو مُطلق الذّنب؟! وَهَذَا يَلزم إذهَاب الرّجس عَنهنّ وَبالتّالي لاَ يَصحّ أنْ يُقَال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ...﴾ ٱلْأَحْزَابِ: ٣٢، ولمَا صَحّ قَوله تَعالَىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ٱلْأَحْزَابِ: ٣٠.

وكَيْفَ يُفسّران إيذَاءهنّ لهُ ﷺ مَع إذهَاب الرّجس عَنهنّ؟! حَيثُ ذَكَر البُخَاريّ: إنّ النَّبِيّ ﷺ هَجَر عَائِشَة، وَحَفصة شَهراً كَاملاً، وذلِكَ بِسَبب إفشَاء حَفصَة الحَدِيث الَّذي أسرّه لهَا إلىٰ عَائِشَة. فَقَالَت للنَّبيّ ﷺ: إنّك أقسمتَ أنْ لاَ تدخل عَلَينا شَهراً. (أنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٣ / ٣٤). وفِي روَايَة أنس: قَالَ ﷺ: «آليتَ مِنهنّ شَهراً». (أنظر، نَفس المَصْدَر السّابق). وَهَا هُو أبن عَبَّاس يَقول: لَم أزل حَريصاً عَلَىٰ أنْ أسأل عُمَرَ بن الخطَّاب عَن المَرأتَين مِن أزوَاج النَّبيّ ﷺ اللّتَين قَالَ الله تَعَالَىٰ فِيهِمَا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ٱلتَّحْرِيم: ٤. حَتّىٰ حَجّ وَحَجَجتُ مَعهُ... حَتّىٰ قَالَ أبن عَبَّاس: فَقُلتُ لِلْخَلِيفَة: مَن المَرأتَان؟ فَقَالَ عُمَرَ بن الخطَّاب: وَاعجباً لَك يَا أبن العَبَّاس! هُما عَائِشَة وَحَفصَة. (أنظر، لمَصْدَر السّابق: ٧ / ٢٨ ـ ٢٩، و: ٣ / ١٣٣). وَهَا هِي عَائِشَة وَتعقّبها للنَّبيّ ﷺ بَعدمَا فَقَدتهُ فِي ليَالي نَوبتهَا، وقَوله ﷺ لهَا: «مَالك يَا عَائِشَة! أغرتِ؟ فَقَالت: وَمَالي أنْ لاَ يغَار مِثلي عَلَىٰ مِثلك؟! فَقَالَ لهَا ﷺ: أفَأخذكِ شَيطانكِ؟! (أنظر، مُسْنَد أحْمَد: ٦ / ١١٥، تَفسِير الطَّبَريّ: ٢٨ / ١٠١، طَبقَات أبن سَعد: ٨ / ١٣٥ طَبعَة أوربَا، وصَحِيح البُخَاريّ: ٣ / ١٣٧، و: ٤ / ٢٢، صَحِيح مُسْلِم كتَاب الطَّلاقِ ح ٣١ ـ ٣٤).

وكَيفَ يُفسّران قَوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ٱلْأَحْزَابِ: ٥٧، وقَوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٱلتَّوْبَة: ٦١، وَقَوله تَعَالَىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ ↔

↔ قَنِتَتٍ تَئِبَتٍ عَبِدَتٍ...﴾ اَلتَّحْرِيم : ٥ ، وَقَوْله ﷺ لأُمّ سَلمَة عِندمَا سَأَلته : يَا رَسُول الله أَلستُ مِن أَهْل اَلْبَيْت ؟ قَالَ : أَنتِ إِلىٰ خَير إِنّك مِن أَزوَاج النَّبِيّ . وَمَا قَالَ : إِنّك مِن أَهْل اَلْبَيْت ؟ ! (أُنظر ، شوَاهد التَّنزيل لِلْحَاكِم الحَسكَاني : ٢ / ١٢٤ تَحقِّيق الشّيخ المَحمُودي نَـقلاً عَـن كـتَاب مُـعْجَم الشّـيوخ : ٢ /الوَرق ٧ مِن المُصوّرة ، تَفْسِير الطَّبَرِيّ : ٢٢ / ٧).

أَمَّا المَدلول الْحَقِيقِي لأَهْل اَلْبَيْت بَعد تَخصِيص هَذَا التّعمِيم وَتَقيِيد الإِطلاَق فِي الآيَة اَلْكَرِيمَة مِن خِلاَل القَرِينَة الَّتي تُرَافق الإِستعمَال ، وكَذَلِكَ مِن خِلاَل الأَحَادِيث النَّبوِيَّة المُحدّدة للمُرَاد مِـن أَهْـل اَلْبَيْت فِي آيَة التَّطْهِير ، وَهِي مَا أَجمَعت عَلَيْهِ الأُمّة مِن خلاَل كُتب الْحَدِيث المُعتَبرة أَو كُتب التَّفْسِير فإِنّه يَظهَر لنَا أَنّ هَذِه الآيَة نَزلت فِي خَمسةٍ ، وهُم : مُحمَّد ، وَعليّ ، وفَاطِمَة ، والْحَسَن ، و الحُسَيْن : . وَمَصَادر تِلك الأَحَادِيث غَيْر مَحصُورَة ، ولَكن نُشِير إِلىٰ مَاهُو مُتدَاول وَمَنشُور مِنْهَا :

١ ـ رَوَت أُمّ اَلْمُؤْمِنِين أُمّ سَلمَة بشَأن نُزول هَذِه الآيَة : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ﴾ قَالَت : إِنَّهَا نَزلت فِي بَيْتِي ، وفِي اَلْبَيْت سَبعَة : جِبْرِيلَ ، وَمِيكَال ، وَعليّ ، وفَاطِمَة ، والْحَسَن ، والحُسَيْن رَضي الله عَنْهُم وَأَنا عَلَىٰ بَاب اَلْبَيْت ، قُلتُ : يَا رَسُول الله ، أَلست مِن أَهْل اَلْبَيْت ؟ قَالَ : إِنّك إِلىٰ خَير ، إِنّكِ إِلىٰ خَير ! إِنّكِ مِن أَزوَاج النَّبِيّ . (أُنظر ، الدُّر المَـنثُور للسُّـيوطي : ٤ / ١٩٨ ، وَمِشكـل الآثَار : ١ / ٢٣٣ ، وَروايَة أُخرىٰ فِي سُنن التِّرمِذي : ١٣ / ٢٤٨ ، ومُسْنَد أَحمَد : ٦ / ٣٠٦ ، أُسد الغَابَة : ٤ / ٢٩ ، وتَهذِيب التَّهْذِيب : ٢ / ٢٩٧).

٢ ـ وَرَوىٰ عَبدالله بن جَعْفر بن أَبي طَالب قَالَ : لمّا نظر رَسُول الله ﷺ إِلىٰ الرَّحْمَة هَابطَة قَالَ : أُدعوا لِي ، أُدعوا لِي ، فَقَالت صَفيَّة بِنْت حُيي بن أَخطب زوّج رَسُول الله ﷺ : مَن يَا رَسُول الله ؟ قَـالَ : أَهْـل بَيْتِي : عَلِيّاً ، وفَاطِمَة ، والْحَسَن ، والحُسَيْن . (أُنظر ، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين : ٣ / ١٤٧ ، صَحِيح مُسْـلِم : ٥ / ١٥٤ ، مُسْنَد أَحمَد : ١ / ٩ ، سُنن البَيْهَقِيّ : ٦ / ٣٠٠). فَجِيء بِهِمْ ، فَأَلقىٰ عَلَيْهِمْ النَّبِيّ ﷺ كسَاءه ، ثُمّ رَفع يَدَيه ، ثُمّ قَالَ : أَللَّهُمَّ هَؤُلاَء آلي فَصلّ عَلَىٰ مُحَمَّد وآل مُحمَّد . فَنَزل قَول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ...﴾ .

٣ ـ وَرَوت أُمّ اَلْمُؤْمِنِين عَائِشَة بشَأن نُزول هَذِه الآيَة قَالَت : خَرَج رَسُول الله غَدَاةً وعَلَيْهِ مَـرط مُرَحّل مِن شَعرٍ أَسْوَد ، فَجَاء الْحَسَن بن عَليّ فأَدْخَلَه ، ثُمّ جَاء الحُسَيْن فَدَخل مَعهُ ، ثمّ جَاءَت فَاطِمَة فأَدْخَلَها ، ثُمّ جَاء عَليّ فأَدْخَلَه . (أُنظر ، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين : ٣ / ١٤٧ طَـبعَة حَـيدَر آبَـاد ، تَـفْسِير الطَّبَرِيّ : ٢٢ / ٥ طَبعَة بُولاَق) ، ثُمّ قَالَ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ ↔

تَطْهِيرًا﴾.

٤ ـ وَعَن أنَس بن مَالك قَالَ: إنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَمرّ ببَاب فَاطِمَة سِتة أشهر كُلّما خَـرَج إلىٰ صَلاة ٱلْفَجْرِ يَقول: الصَّلاة يَا أهْل ٱلْبَيْت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (أنظر، المصَادر السَّابقة، وتَفْسِير أبْن كَثِير: ٣/ ٤٨٣، وَالدُّر المَـنثور، ٥/ ١٩٩، ومُسْـنَد الطَّيَالسِي: ٨/ ٢٧٤).

فهَؤلاَء أهْل بَيْت النَّبِيّ ﷺ عَليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن: كَمَا جَاء فِي النَّقل المُتوَاتر الَّذي لاَ يَقبل اللّبس، وكَمَا هُو مَعرُوف مِن أحوَال النَّبِيّ ﷺ وَسِيرَته مَعَهُم.

وَنَظراً لكثرَة المَصَادر التَّأرِيخية، وَالحَدِيثيَة، والتَّفسِيريَة نكتَفِي بِذكرهَا فَقط دُونَ تَدوِين ٱلْوَاقِعَة.

أوّلاً: بِدءً بالسَّيِّدة عَائِشَةَ زَوْجَة النَّبِيّ ﷺ وَٱعترَافهَا بِأنَّ أهْل ٱلْبَيْت هُم: عَليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن والحُسَيْن ﷺ، وَهِي خَارِجَة عَنْهُم، أي لَم تَشملهَا الآيَة.

أنظر، صَحِيح مُسْلِم بَاب فَضَائِل أهْل ٱلْبَيْت: ٢/ ٢٦٨ طَبْعَة عِيسَىٰ الحلَبي بِمِصْر، و: ١٥/ ١٩٤ طَبْعَة مِصْر أيضاً بشَرح النَّووي، فَتْح الْبَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧/ ٣٦٥، فَتح القَـدِير للشَّـوكاني: ٤/ ٢٧٩، شوَاهد التَّنزيل للحَسكَاني الحَنفي: ٢/ ٥٦ ح ٦٧٦ ـ ٦٨٤ تَـحقِّيق الشَّـيخ المَـحمُودي، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣/ ١٤٧، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٥/ ١٩٨، كفَايَة الطَّـالب للـحَافظ الكَـنجي الشَّافعي: ٥٤ و ٣٧٣ و ٣٧٤ طَبْعَة الحَيدريَة، نُظم دُرر السِّمطَين للزَّرندي الحَنفي: ١٣٣.

وَثَانياً: ٱعْترَاف أمّ ٱلْمُؤْمِنِين أمّ سَلمَة زَوْج النَّبِيّ ﷺ بِأنَّ أهْل ٱلْبَيْت هُم: عليّ، و فَاطِمَة، والْحَسَن والحُسَيْن ﷺ، وَهِي خَارِجَة عَنْهُم.

أُنظر، شوَاهد التَّنزِيل للحَسكاني الحَنفي: ٢/ ٣٩ ح ٦٥٩ و ٧٠٦ و ٧٠٧ ـ ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧٢٠ و ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٩ و ٧٣١ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٤٠ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٥٢ و ٧٥٥ و ٧٥٧ ـ ٧٦١ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٨، الرِّيَاض النَّضرة لمُحبّ الدِّين الطَّبَرِيّ الشَّافعي: ٢/ ٢٤٨ الطَبعة الثَّانِيَة، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشَّافعي: ١/ ١٩ طَبْعَة النَّجف، سُنن التّـرمِذي: ٥/ ٣٢٧ ح ٣٢٠٥، صَحِيح التِّرمِذي: ٥/ ٣١ ح ٢٢٥٨ و ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ و ٣٦١ ح ٣٩٦٣.

وأُنظر، فَتح الْبَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧/ ٣٦٤، فَتح القَدِير للشَّوكاني: ٤/ ٢٧٩، مَنَاقب الإمَام عَليّ بن أبي طَالب لِابْن المغَازلي الشَّافعي: ٣٠٣ ح ٣٤٧ و ٣٤٩، تَفْسِير أبْن كَـثِير: ٣/ ٤٨٤، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٥/ ١٩٨، نُظم دُرر السِّمطِين للزَّرندي الحَنفي: ٢٣٨، كـفَايَة الطَّـالب للـحَافظ

↔ الكنجي الشّافعي : ٣٧٢ طَبْعَة الحَيدريّة ، يَنَابِيع المَوَدَّة للحَافظ القُندُوزي الحَنفي : ١٠٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٩٤ طَبْعَة أسلاَمبُول ، أُسد الغَابَة لِابْـن الأَثِـير : ٢ / ١٢ ، و : ٣ / ٤١٣ ، و : ٤ / ٢٩ ، السِّـيرَة النَّبَوِيَّة بهَامِش السِّيرَة الْحَلَبية : ٣ / ٣٣٠ طَبْعَة البَهية بمِصْر ، تَفْسِير الطَّبَرِيّ : ٢٢ / ٧ ، إسعَاف الرّاغبين بهَامِش نُور الأَبْصَار : ٩٧ طَبْعَة العُثْمانِية .

وَثَالِثاً : اَختصَاص أَهْل اَلْبَيْت بعَليّ ، وفَاطِمَة ، والْحَسَن ، والحُسَيْن عليهم السلام مِـن خِـلاَل قَـوْله صلى الله عليه وآله : « أَللّهُمَّ هَؤُلاَء أَهْل بَيْتي فَأَذْهِبْ عَنْهُم الرِّجْس وَطَهِّرْهُم تَطْهِيراً . وقَرِيب مِنْهُ أَلفَاظ أُخرىٰ كمَا وَرَد عَن جَابر بن عَبدالله : أَنّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله دَعَا عَلِيّاً ، وَأبنَيه وفَاطِمَة ، فَألبسهُم مِن ثَوبِهِ ، ثُمّ قَالَ : أَللّهُمَّ هَؤُلاَء أَهْلي ، هَؤُلاَء أَهْلي .

أُنظر ، شوَاهد التّنزيل لِلْحَاكِم الحَسكاني الحَنفي : ٢ / ٢٨ تَحقّيق الشّيخ المَحمُودي ح ٦٤٧ ـ ٦٤٩ و ٦٥٤ و ٦٥٩ و ٦٧٠ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٥ و ٦٨٢ و ٦٨٤ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩١ ـ ٦٩٣ و ٧١٨ ـ ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٦ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٤ و ٧٣٧ ـ ٧٤١ و ٧٤٣ و ٧٥٤ و ٧٥٨ ـ ٧٦١ و ٧٦٥ و ٧٦٨ ، فَرَائد السّمطَين : ١ / ٣١٦ ح ٢٥٠ و ٣٦٨ ح ٢٩٦ ، و : ٢ / ١٤ ح ٣٦٠ ، الرّياض النّضرة لمحبّ الدّين الطَّبَرِيّ الشّافعي : ٢ / ٢٤٨ الطّبعة الثّانِيَة ، السِّيرَة الْحَلَبية للحَلبي الشّـافعي : ٣ / ٢١٢ طَـبْعَة البَـهية بمِصْر ، صَحِيح التِّرمِذي : ٥ / ٣١ ح ٣٢٥٨ و ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ و ٣٦١ ح ٣٩٦٣ ، صَحِيح مُسْلِم بَـاب فَضَائِل عَليّ بن أَبي طَالب : ١٥ / ١٧٦ طَبْعَة مِصْر بشَرح النّووي .

وأُنظر أَيضاً ، مَنَاقب الإِمَام عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن المَـغَازلي الشّـافعي : ٣٠٢ ح ٣٤٦ ـ ٣٥٠ ، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشّافعي : ١ / ١٩ طَبْعَة النّجف ، المَناقب للخوَارزمي الحَنفي : ٦٠ ، مَقْتَل الحُسَيْن للخوَارزمي : ١ / ٧٥ ، خَصَائِص أَمِير اَلْمُؤْمِنِين للنّسائي : ٤ و ١٦ طَـبْعَة القَـاهرَة و ص ٤٦ بتَحقّيق الشّيخ المَحمُودي ، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين لِلْحَاكِم : ٢ / ١٥٠ و ٤١٦ ، و : ٣ / ١٠٨ و ١٤٦ .

وأُنظر كَذَلِكَ ، السِّيرَة النَّبَوِيَّة لزَين دَحلان بهَامِش السِّيرَة الْحَلَبية : ٣ / ٣٣٠ طَبْعَة البَهية بمِصْر ، فَتح الْبَيَان لصدّيق حَسن خَان : ٧ / ٣٦٤ ، فَتح القَـدِير للشّـوكاني : ٤ / ٢٧٩ ، الدُّر المَـنثُور للسُّـيوطي : ٥ / ١٩٨ ، تَفسِير أبْن كَثِير : ٣ / ٤٨٣ ، مَجْمَع الزّوائد : ٧ / ٩١ ، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسُّيوطي : ١٦٩ ، يَنَابِيع المَوَدَّة للحَافظ القُندوزي الحَـنفي : ١٠٧ و ١٠٨ و ١٩٤ و ٢٢٨ ـ ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٨١ و ٢٩٤ طَـبْعَة أسلاَمبُول ، مُسْنَد أَحمَد : ١ / ١٨٥ ، و : ٣ / ٢٥٩ ، و : ٦ / ٢٩٨ طَبْعَة المَيمنية بمِصْر ، مشكَاة الْمَصَابِيح للعُمري : ٣ / ٢٥٤ تَأرِيخ أبْن عَسَاكر الشّافعي : ١ / ٢١ ح ٣ و ص ١٨٤ و ٢٤٩ و ٢٧١ ـ ٢٧٣ ، تَفْسِير ↔

الفَخر الرّازي: ٢/٧٠٠، أُسد الغَابَة لإِبْـن الأَثِـير: ٢/١٢، و: ٣/٤١٣، و: ٤/٢٦، و: ٥/٦٦ و ١٧٤ و ٥٢١ و ٥٨٩.

ورَاجع مُنْتَخَب كَنز الْعُمَّال بهَامِش مُسْنَد أحمَد: ٥/٥٣، مَصَابِيح السُّنّة للبَغوي الشّافعي: ٢/٢٧٨ طَبْعَة مُحمَّد عليّ صَبيح، الْمُعْجَم الْصَّغِير للطَّبرَاني: ١/٦٥، نُظم دُرر السِّمطَين للزَّرندي الحَنفي: ١٣٣ و٢٣٨ و ٢٣٩، مَعَالِم التّنزيل للبَغوي الشّافعي مَطبُوع بهَامِش تَفْسِير الخَازن: ٥/٢١٣، الصَّوَاعِق الْمحرِقَة لِابْن حَجر: ١١٩ و ١٤١ ـ ١٤٣ و ٢٢٧ طَبْعَة الْمحَمَّدية، تَفْسِير الخَازن: ٥/٢١٣، مِرآة الجنَان لليَافعي: ١/١٠٩، التَّأريخ الْكَبِير للبُخاري: ١/ق ٢/٦٩ رَقم ١٧١٩ و ٢١٧٤ طَبْعَة سَنَة ١٣٨٢ هـ. أَسْبَاب النّزول للوَاحدي: ٢٠٣، الإِتْحَاف للشَّبرَاوي الشّافعي: ٥، الإِسْتِيعَاب لِابْن عَبد البرّ بهَامِش الإِصَابَة: ٣/٣٧ طَبْعَة السّعادة، كفَاية الطّالب للحَافظ الكَنجي الشّافعي: ٥٤ و ١٤٢ و ١٤٤ و ٢٤٢ طَبْعَة الحَيدريّة.

وَرَابعاً: اَختصَاص أَهْل اَلْبيْت بعَليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن: وذَلِكَ مِن خِلاَل أَقْوَاله ﷺ عِندَما يَخرج للصَلاة، وَيمرّ ببَاب عَليّ وفَاطِمَة ﷺ، كروَايَة أنس بن مَالك قَالَ: إنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَمرّ بباب فَاطِمَة سِتة أَشهر، فَإِذَا خَرج إِلَىٰ صَلاة اَلْفَجْرِ يَقول: الصَّلاة يَا أَهْل اَلْبيْت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

أُنظر، شوَاهد التّنزيل للحَسكاني الحَنفي: ٢/١٨ ح ٦٣٧ ـ ٦٤٠ و ٦٤٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٧٧٣ تَحقِّيق الشّيخ المَحمُودي، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشّافعي: ١/١٩، صَحِيح التِّرمِذي: ٥/٣ ح ٣٢٥٩، مُسْنَد أَحمَد: ٣/٢٥٩ و ٢٨٥ طَبْعَة المَيمنية بمِصْر، مُنْتَخَب كَنز الْعُمَّال بهَامِش مُسْنَد أَحمَد: ٥/٩٦، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٥/١٩٩، تَفْسِير الطَّبَريّ: ٢٢/٦، مَجْمَع الزّوائد للهَيثمي الشّافعي: ٩/١٦٨، تَفْسِير اَبْن كَثِير: ٣/٤٨٣ و ٤٨٤، الْمُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣/١٥٨، يَنَابِيع المَودَّة للقُندوزي الحَنَفي: ١٩٣ و ٢٣٠ طَبْعَة اَسلاَمبول، فَتح الْبَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧/٣٦٥ طَبْعَة القَاهرَة، أَنْسَاب الأَشْرَاف للبلاَذري: ٢/١٠٤ ح ٣٨، أُسد الغَابَة لِابْن الأَثِير: ٥/٥٢١.

وَخَامساً: اَختصَاص أَهْل اَلْبيْت بعَليّ، وفَاطِمَة، والحَسَن، والحُسَيْن ﷺ مِن خِلاَل سَبب النّزول، وَمَا قَاله ﷺ فِيهِمْ كَحَدِيث أُمّ سَلمَة: إنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِها، عَلَىٰ مَنَامة لهُ، عَلَيْهِ كسَاء خَيبري، فَجَاءت فَاطِمَة ببُرمَة فِيْهَا خَزِيرَة، فَقَالَ: اُدعي زوجك واَبنَيك، فَدَعتهُم، فَبينَّما هُم يَأكُلُون إذ نَزلت عَلَىٰ النَّبِيّ ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فَأَخذ

↔ النَّبِيّ ﷺ بفضلة الْكِسَاء فغشّاهم إيّاها، ثمّ قَالَ: أَللّهُمَّ هٰؤُلاَءِ أَهْل بَيْتِي وَحَامّتي فَأَذْهب عَنْهُم الرِّجس وَطَهّرهُم تَطْهِيراً. قَالهَا النَّبِيّ ﷺ ثَلاَث مَرّات. قَالَت أُمّ سَلمَة: فَأَدخلتُ رَأسي فِي ٱلْبَيْت، فَقُلتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: إِنّكِ إِلىٰ خَير.

أُنظر، شوَاهد التَّنزيل لِلْحَاكِم الحَسكَاني: ٢ / ١٣ ح ٦٣٧ ـ ٦٤١ و ٦٤٤ و ٦٤٨ ـ ٦٥٣ و ٦٥٦ ـ ٦٦١ و ٦٦٣ ـ ٦٦٨ و ٦٧١ ـ ٦٧٣ و ٦٧٥ و ٦٧٨ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٤ و ٧٠٧ و ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧٢٩ و ٧٤٠ و ٧٥١ و ٧٥٤ ـ ٧٦٢ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٧ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧٤ طَبْعَة وزَارة الثّقَافَة والإرْشَاد ٱلإِسْلاَمي. صَحِيح مُسْلِم: فَضَائِل أَهْل ٱلْبَيْت ٢ / ٣٦٨ طَبْعَة عِيسَىٰ الحَلبي. صَحِيح التِّرمِذي: ٥ / ٣٠ ح ٣٢٥٨، و: ٥ / ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ طَبْعَة دَار الفِكْر. مُسْنَد أَحمَد: ١ / ٣٣٠ طَبْعَة المَيمنية بمِصْر. فرَائِد السِّمطِين للحمُويني الشَّافعي: ١ / ٣١٦ ح ٢٥٠، و: ٢ / ٩ ح ٣٥٦ و ٣٦٢ و ٣٦٤. إِسعَاف الرّاغِبين للصبّان بهَامِش نُور الأَبْصَار: ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ طَبْعَة السّعيدية. فَتْح القَدِير للشّوكاني: ٤ / ٢٧٩.

وَأُنظر كَذَلِكَ، نُور الأَبْصَار للشّبلنجي: ١٠٢ طَبْعَة السّعيدية. فَتح ٱلْبَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧ / ٣٦٣ ـ ٣٦٥. الرِّيَاض النَّضرة لمحبّ الدِّين الطَّبَرِيّ الشَّافعي: ٢ / ٢٤٨ الطّبعة الثّانِيَة. فَضَائِل الْخَمْسَة: ١ / ٢٢٤ ـ ٢٤٣. يَنَابِيع المَوَدَّة للقُندوزي الحَنفي: ١٠٧ و ١٠٨ و ٢٢٨ ـ ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٦٠ و ٢٩٤ طَبْعَة أَسلاَمبُول. العِقد الفَرِيد لِابْن عَبد رَبّه المَالِكي: ٤ / ٣١١ طَبْعَة لُجنة التَّأْلِيف والنّشر بمِصْر. الاِسْتِيعَاب لِابْن عَبدالبرّ بهَامِش الإِصَابَة: ٣ / ٣٧ طَبْعَة السّعادة. خصَائِص أَمِير ٱلْمُؤْمِنِين للنسَائي الشّافعي: ٧٢ تَحقِّيق الشّيخ المَحمُودي. مُنتَخَب كَنز الْعُمَّال بهَامِش مُسْنَد أَحمَد بن حَنْبَل: ٥ / ٩٦.

وأُنظر أَيضاً، السِّيرَة النَّبَوِيَّة لزَين دَحلان بهَامِش السِّيرَة الْحَلَبِية: ٣ / ٣٢٩ و ٣٣٠ طَبْعَة البَهية بمِصْر. كفَايَة الطّالب للحَافظ الكنجي الشّافعي: ٥٤ و ٣٧٢ ـ ٣٧٥. أُسد الغَابَة فِي مَعْرِفَة الْصَّحَابَة لِابْن الأَثِير الشّافعي: ٢ / ١٢ ـ ٢٠، و: ٣ / ٤١٣، و: ٥ / ٥٢١ و ٥٨٩. أَسْبَاب النّزول للوَاحدي: ٢٠٣ طَبْعَة الحَلبي بمِصْر. الصَّوَاعِق الْمحرِقَة لِابْن حَجر الشّافعي: ٨٥ و ١٣٧ طَبْعَة المَيمنية بمِصْر. الْإِتقَان فِي عُلُوم ٱلْقُرْآن للسُّيوطي: ٤ / ٢٤٠ مَطبعَة المَشهد الحُسَيْني بمِصْر. التّسهيل لعُلوم التّنزيل للكَلبي: ٣ / ١٣٧. التّفسِير المُنِير لمَعَالِم التّنزيل للجَاوي: ٢ / ١٨٣. أَحْكَام ٱلْقُرْآن للجصّاص: ٥ / ٢٣٠ طَبْعَة عبدٱلرّحْمَان مُحمّد. منَاقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن المغَازلي الشّافعي: ٣٠١ ح ٣٤٥ و ٣٤٨ ـ ٣٥١.

وَرَاجع مَصَابِيح السُّنّة للبَغوي الشّافعي: ٢ / ٢٧٨ طَبْعَة مُحَمَّد عَليّ صَبيح، روَاية عَن عَمْرو بن ↔

وقَالَ صَاحب تَفْسِير المَنَار عِندَ تَـفْسِير الآيَـة : ﴿وَمَـا نُـرْسِلُ ٱلْـمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَـحْزَنُونَ﴾(١) لَقد ثبَت عَن رَسُول الله أنَّه قَالَ: «كلّ وُلد أب فَإِنَّ عُصبَتهُم لأَبِيهِم مَا خَلا وُلد فَاطِمَة، فَإنّي أنَا أبُوهُم وعُصبتهُم»(٢). وَيَدل هَذَا الحَدِيث عَـلىٰ سَـبِيل القَـطع أنَّ أبْـنَاء فَاطِمَة مِن أهْل بَيْت رَسُول الله فِي الصَّمِيم. وَأَوضَح مِنْهُ فِي الدَّلاَلَة مِن الحَدِيث

↩ يَزِيد عَن مَكحُول وفِيهَا قَالَ جِبْرِيل: وَأنَا مِنكُم يَا مُحمَّد.... مَجْمَع البَيَان: ٧ـ٨: ٣٥٦ و ٣٥٧ طَبْعَة إحيَاء التّراث العَرَبِي بَيرُوت، تَفْسِير الشّوكَاني: ٤ / ٢٨٠، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣ / ١٤٦، تَفْسِير جَامع البَيَان: ١ / ٢٩٦ دَار المَعْرفَة، تَفْسِير النّيسابوري: ٢٢ / ١٠، تَفْسِير الطَّبَرِيّ: ٢٢ / ٦ و ٧ و ٢٨ طَبْعَة مِصر، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٥ / ١٩٨ و ١٩٩، مشكَاة المَصَابِيح للعُمري: ٣ / ٢٥٤، الكشّاف للزَّمَخشري: ١ / ١٩٣ طَبْعَة مُصطَفىٰ مُحمَّد، تَفْسِير القُرطُبي: ١٤ / ١٨٢ الطّبعة الأُولَـىٰ بـالقَاهرَة، تَفْسِير ابْن كَثِير: ٣ / ٤٨٣ ـ ٤٨٥ و ٤٩١ الطّبعة الثَّانِيَة بِمِصر، تَذكرَة الخواصّ للسّبط بـن الجَـوزي الحَنفي: ٢٣٣، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشّافعي: ١ / ١٩ و ٢٠ طَبْعَة دَار الكُتب فِي النّجف، أحْكَام القُرآن لِابْن عَربي: ٢ / ١٦٦ طَبْعَة مِصر.

(١) أنظر، تَفْسِير المَنَار للآيَة (٤٨) مِن سُورَة الأنْعَام.

(٢) أنظر، فَضَائِل الصَّحَابة للإمَام أحْمَد: ٢ / ٦٢٦ ح ١٠٧٠، وَرَد الحَدِيث بِألفَـاظ مُـتقَاربة، فَـمَثلاً: «لِكلّ بَني أمّ يَنْتمُون إلَىٰ عُصبَة إلاّ وِلْد فَاطِمَة، فَأنَا وَلِيُّهم، وَأنَا عُصْبتهُم». أنظر، المُـعجم الكَـبِير: ٢٢ / ٤٣٣، مُسْنَد أبي يَعلىٰ: ١٢ / ١٠٩ ح ٦٧٤١، البَيَان وَالتَّعرِيف: ٢ / ١٤٥، سُبل السَّـلاَم لِابْـن حَجر: ٤ / ٩٩، مَجْمَع الزَّوائِد: ٩ / ١٧٢، تَأرِيخ بَغدَاد: ١١ / ٢٨٥، مُستَدرك الصَّحِيحَين: ٣ / ١٦٤، الجَامع الصَّغِير: ٢ / ٩١، كَنز العُمَّال: ١٢ / ٩٨ ح ٣٤١٦٨ و ص: ١١٦ ح ٣٤٢٦٦، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير: ٥ / ٢٢، كَشْف الخَفَاء: ٢ / ١٢٠، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٣٦ / ٣١٣، تَهذِيب الكمَال: ١٩ / ٤٨٣، يَنَابِيع المَودَّة: ٢ / ٩٨، وَقَال ﷺ: «إنّ الله جَعل ذُرّيّة كلّ نَبي فِي صُلْبه، وَجَعل ذُرّيَتي فِي صُلْب عَليّ. (الجَامع الصَّغِير: ١ / ٢٦٢ ح ١٧١٧، كَنز العُـمَّال: ١١ / ٦٠٠ ح ٣٢٨٩٢). وَقَـال ﷺ: «كلّ بَني أُنثىٰ يَنْتمُون إلَىٰ عُصبَتهُم إلاّ وِلْد فَاطِمَة فَأنَا وَلِيُّهم، وَأنَا عُصبتهُم، وَأنَـا أبُـوهُم. (الجَـامع الصَّغِير: ٢ / ٢٧٨، كَنز العُمَّال: ١٢ / ١١٦)، فرَائد السّمْطَين: ١ / ٣٢٤، بِشَارة المُصْطَفىٰ: ٤٠.

المَشهُور : « (« إِبْنَاي هَذَان ـ الحَسَن وَالحُسَين ـ إِمَامَان قَامَا أَوْ قَعدَا » [١] .

وتَسْأَل : أَجل ، أَنَّ عَلِيّاً ، والحَسَن ، والحُسَين مِن أَهْل الْبَيْت ، ولَكن الشّيعَة الإِثنَي عَشَريَّة يَعطفُون عَلَيهِم تِسعَة آخرِين ، فَأَينَ الدَّلِيل ؟ .

الجَوَاب :

بَعْد التَّسلِيم بعِصْمَة الخَمسَة يَجب بأَنَّ نُسَلِّم بعِصْمَة مَن نصّوا عَلىٰ عِصْمَته مُجتَمِعين ، أَو مُنْفَرِدين ، لأَنَّ مَن نصّ عَلَيهِ المَعْصُوم فَهُو كَذَلكَ ، كَمَا سَبقَت الإِشَارَة ، وَمِن هُنَا آمَن جَمِيع المُسْلِمِين بالأَنْبيَاء السَّابقِين لخَبر المَعْصُوم وَكَفىٰ وَقَد ثَبَت عِندَ الشّيعَة أَنَّ كُلّ مَعصُوم ، نَصّ عَلىٰ مَن يَلِيه ... هَذَا ، إِلَىٰ مَا رَوَاه البُخَاري عَن النَّبيّ أَنَّه قَالَ : « يَكُون إِثنَا عَشَر أَمِيراً كلّهُم مِن قُرَيْش » [٢] ، وَمَا رَوَاه مُسْلِم : « أَنَّ هَذَا الأَمر لاَ يَنْقَضي حَتَّىٰ يَمضي (١٢) خَلِيفَة كُلّهم مِن قُرَيْش » [٣] . وَمِثلَه فِي التّرمذي [٤] ، وَمُستَدرَك الصَّحِيحَين [٥] ، وَمُسنَد أَحمَد [٦] ، وَكَنز العُمَّال [٧] .

---

(١) أنظر ، صَحِيح البُخَاري : كتَاب الأَحكَام ، وَصَحِيح مُسْلِم : كتَاب الإِمَارَة وَغَيرهُما . (مِنْهُ ﷺ) .
أُنظر ، سُنن التّرمذي : ٣٢٣ ، الإِستِيعَاب : ١ / ٢٨٧ ، التّنبِيه وَالأَشرَاف : ٢٦٠ ، تَهْذِيب التَّهذِيب : ٢ / ٢٩٩ ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٣ / ١٤١ ، كَشف الغُمَّة : ١ / ٥٣٣ ، مَجْمَع البَيَان : ٨ / ٣٦١ .

(٢) أُنظر ، صَحِيح البُخَاري : ٩ / كتَاب الأَحكام . (مِنْهُ ﷺ) .

(٣) أُنظر ، صَحِيح مُسْلِم : ٢ / ١٩١ طَبْعَة (١٣٤٨ هـ) . (مِنْهُ ﷺ) .

(٤) أُنظر ، سُنن التِّرمِذي : ٤ / ٥٠١ ، طَبْعَة مُصطفىٰ البَابي الحَلبي .

(٥) أُنظر ، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٣ / ٦١٧ .

(٦) أُنظر ، مُسْنَد أَحْمَد : ٥ / ٨٦ و ٨٧ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ ، و : ١ / ٣٩٨ و ٤٠٦ .

(٧) أُنظر ، كَنز العُمَّال : ١٣ / ٢٦ ، كتَاب فَضَائِل الخَمْسَة : ٢ / ٢٣ وَمَا بَعْدهَا طَبْعَة (١٣٨٤ هـ) . (مِنْهُ ﷺ) .

هُنالِكَ مَن ٱلتبَسَ عَلَيْهِ الإِسْتدلاَل بِحَدِيث الإثني عَشَر إمَاماً ؟.

فَالجَوَاب بِشكلٍ مُختَصر : أنّ ٱلمُسْتَشْكِل لَم يَقرَأ الأحَاديث ، أو الحَدِيث المُسمىٰ بِحَدِيث الخُضر ، وَالحَدِيث المُسَمىٰ بِحَدِيث اللَّوح ، أو الصَّحِيفة الَّذي أهدَاها الله سُبْحَانَه وتَعَالَىٰ إلىٰ رَسُولِ الله ﷺ ، وبدُوره ﷺ دَفعه إلِىٰ فَاطِمَة عليها السلام ، فَعرضتهُ عَلىٰ جَابر بن عبدالله الأنْصَاري رضي الله عنه ، حتَّىٰ قَرَأه ، وانْتَسخه ، وَأخبر بِهِ أبَا جَعْفَر مُحمَّد بن عَليّ البَاقر عليه السلام بَعد ذَلِكَ ، وَلِيعلم ٱلمُسْتَشْكِل بِأنّ كُلّ ذَلِكَ حَدَثَ فِي زَمان قَبل ٱلحَيْرَة كمَا يَدّعي .

وَكَذلِك ذَكر الشَّيخ مُحمَّد بن عَليّ الصَّدوق رحمه الله ، فِي كتَابه عُيُون أخْبَار الرّضا فِي : ٢ / ٤٩ أحَادِيث كَثِيرَة ، بل عَنون عِنواناً خَاصاً بِهِ وهُو (ذِكر النَّص عَلىٰ القَائم عليه السلام فِي اللَّوح . .) ، وَكَذَلِك ذِكر الحَدِيث فِي إكمَال الدِّين وَتَمام النِّعْمَة فِي : ١ / ٢٨٢ ح ٣٥ وَأفْرَد لهُ بَاباً أيْضاً .

أُنظر ، حَدِيث : « الأَئِمَّة بَعْدِي إثنَا عَشَر أَوَّلهم عَليّ وَآخرهُم القَائِم ، هُم خُلفَائِي وَأوصِيَائي » كمَا ذَكره عَليّ بن بَابويه الصَّدوق المُشار إليهِ ، وأخرَجَه الشَّيخ الصَّدوق أيْضاً فِي إكمَال الدِّين : ١ / ٢٨٢ ح ٣٥. وَحَدِيث « الأَئِمَّة من بَعْدِي إثنَا عَشر ، أوَّلهُم أنْتَ يَا عَليّ ، وآخرهُم القَائِم الَّذي يَفْتَح الله عزَّ وجلّ عَلىٰ يَدَيه مشَارق الأَرْض وَمَغَاربهَا » أخْرَجَه الصَّدوق فِي كمَال الدِّين : ٢٧٦ . وَحَدِيث « إنَّ أوصِيَائي وَحُجج الله عَلىٰ الخَلق بَعْدِي إثنَا عَشر أوَّلهم أخِي وَآخرهُم وَلدي . قِيل : يَا رَسُول الله مَن أخُوك ؟ قَالَ : عَليّ . قِيل : مَن وَلَدك ؟ قَالَ : المَهْدِيّ . . . » غَايَة المرَام : ٦٩٢ / ٦ ، فَرَائِد السِّمطِين : ٢ / ٣١٢ / ٥٦٢ . وَحدِيث « أنَا سَيِّد ٱلنَّبِيِّين وعَليّ سَيِّد الوَصِيِّين ، وَإنَّ أوصِيَائي بَعْدِي إثنَا عَشر ، أوَّلهُم عَليّ وَآخرهُم المَهْدِيّ » غَايَة المرَام : ٦٩٣ / ٨ ، فَرَائِد السِّمطِين : ٢ / ٣١٣ / ٥٦٣ و ٥٦٤ .

وَحَدِيث « أنَا السَّمَاء ، وَأمّا ٱلبُرُوج فَالأَئِمَّة مِن أَهْل بَيْتِي وعِتْرَتِي ، أوَّلهُم عَليّ وَآخرهُم المَهْدِيّ ، وَهُم إثنَا عَشر » غَايَة المرَام : ٧٥٦ / ١١٢ وَرُوي عَن الأَصْبَغ بن نُبَاتة عَن ٱبن عَبَّاس فِي تَفْسِير قَوْله تَعَالَىٰ : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ . وَحَدِيث جَابر بن عبدالله الأنْصَاري « قَالَ : دَخَل جَندل بن جُنادة بن جُبير ٱليَهُودي عَلىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقَال : يَا مُحمَّد أخبرني عَمَّا لَيْسَ لله ، وَعَمَّا لَيْس عِند الله ، وَعَمَّا لا يَعلمه الله ؟ فَقَال ﷺ أمَّا مَا لَيس للهِ فَلَيْس لله شَرِيك . . . ـ إلىٰ أنْ قَالَ ﷺ ـ : أوصِيَائي الاثنَا عَشر . قَالَ جَندل : هَكذا وَجدنَاهُم فِي التَّوْرَاة ، وَقَال : يَا رَسُول الله سَمّهم لِي ، فَقَال : أوَّلهُم سَيِّد الأوْصِيَاء أبُو الأئِمَّة عَليّ ، ثُمَّ ٱبنَاه الحَسَن وَالحُسين . . . وَأخذ ﷺ يَذكرهُم وَاحِداً تلو الآخَر » غَايَة المرَام : ٧٤٣ / ٥٧ .

وَلَسنَا بِصَدد بَيَان ذَلِكَ فَمن أَرَاد فَليرَاجع المصَادر الَّتي تَذكر حَدِيث « لاَ يَزَال هَذا الدِّين عَزِيزاً مَنِيعاً إِلىٰ آثني عَشر خَلِيْفَة كُلُّهم مِن قُرَيْش » وَغَيْره مِن الأَحَاديث. وَهَذا الحَدِيث أَخْرَجَه الخَمْسَة إِلاّ النِّسائي كمَا جَاء فِي تِيسِير الوصُول: ٣٢٢ مِن كتَاب الخِلاَفَة مِن المجَلَّد الأَوَّل.

وَذكر البُخَاريّ فِي صَحِيحه: ٤ / ١٦٥: يَكُون إِثنَا عَشر أَمِيراً كُلُّهُم مِن قُرَيْش.

وأُنظر، سُنن أَبِي دَاود: ٢ / ٤٢١، طَبْعَة مُصطفىٰ البَابي الحَلبي سَنَة ١٣٧١، أَوَّل كِتَاب المَهْدِيّ، و: ٣ / ١٠٦، وَمُسْنَد الطَّيَّالسِي: ح ٧٦٧ و ١٢٧٨، وَمُسْنَد أَحْمَد: ٥ / ٨٦ و ٨٧ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨، و: ١ / ٣٩٨ و ٤٠٦، وَكَنز العُمَّال: ١٣ / ٢٦، وَحِلية الأَوْلِياء لأَبِي نَعِيم الإِصبهَاني: ٤ / ٣٣٣، وَفَتح البَاري: ١٦ / ٣٣٨، وَمُسْتَدرَك الصَّحِيحَين: ٣ / ٦١٧، مُسْنَد أَبِي عوَانة: ٤ / ٣٩٦ و ٣٩٨ و ٣٩٩، وَمُنْتَخَب الكَنز: ٥ / ٣٢١، وَتَأْرِيخ أبن كَثِير: ٦ / ٢٤٩، البدَاية والنِّهاية: ٦ / ٢٤٨، وَتَأْرِيخ الْخُلَفَاء: ١٠، وَالصَّوَاعِق الـمحرِقَة: ٢٨، وَصَحِيح مُسْلِم بِشَرح النَّووي: ٦ / ٣ ح ٦، بَاب أَنّ النَّاس تَبع لقُرَيْش، كتَاب الإِمَارَة، و: ١٢ / ٢٠٢، وَتَلخِيص المُسْتَدرَك للـذَّهبي: ٤ / ٥٠١، وَمَـجْمَع الزَّوائِـد: ٥ / ١٩٠، وَالجَـامِع الصَّـغِير: ١ / ٧٥، وَشوَاهد التَّنْزِيل: ١ / ٤٥٥ / ٦٢٦، سُنن التِّرمِذي: ٤ / ٥٠١، طَبْعَة مُصطفىٰ البَابي الحَـلبي، ونَـهج آلبَلاَغَة آلخُطْبَة (١٤٢)، وَيَنابِيع المَوَدَّة: ٥٢٣ بَاب ١٠٠، وإِحيَاء عُلُوم الدِّين: ١ / ٥٤، وَالعَهد القَدِيم سِفر التَّكوِين: ١٧ / ٢٠ و ٢٢، كما جَاء فِي الْمُعْجَم الحَدِيث عِـبري عَـربي: ٣١٦ و ٣٦٠، وَتَأْرِيـخ اليَعقوبي: ١ / ٢٤، الْمُعْجَم الكَبِير: ٩٤ و ٩٧، كنُوز الحقَائِق: ٢٠٨.

وَهُناكَ رِوَايَات تَذكر أَسمَاء الإِثني عَشر، وَسَبق وأَنْ أَوضَحنا ذَلِكَ مُفصّلاً، وَهُنا نَذكر بَعضاً مِنْهَا، وَمَن شَاء فليرَاجع المصَادر السَّابقة، فَقَد رَوىٰ الجُويني كمَا ورد فِي فَرَائِد السِّمطِين المَخْطُوط فِي المَكتَبة المَركزِية لجَامعَة طَهران برَقم ١١٦٤ / ١٦٩٠ و ١٦٩١ الورَقة ١٦٠ عن عبد الله بن عبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُول الله: أَنَا سَيِّد آلنَّبِيِّين، وعَلِيّ بن أَبِي طَالِب سَيِّد الوَصِيِّين، وَأَنّ أَوْصِيائي بَعْدِي إِثنَا عَشر، أَوَّلهُم عَلِيّ بن أَبِي طَالب وآخرهُم المَهْدِيّ. وفِي حَدِيث آخر أَيضاً بِسَنده قَالَ: سَمعتُ رَسُول الله ﷺ يَقول: أَنَا وعَلِيّ والحَسن والحُسين وتِسْعَة مِن وِلد الحُسِين مُطَهَّرُون مَعْصُومُون.

وأُنظر، كَشف اليَقِين فِي فضَائِل أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين عليه السلام: ٣٣١، عِلم اليَقِين: ١ / ٤١٣ و ٤١٤، كَشف الغُمَّة: ١ / ٥٨، دَلاَئِـل الصِّـدْق: ٢ / ٤٨٨، يَـنَابِيع المَـودَّة: ٣ / ٢٠٧، و: ١ / ٣٤٩ و ٤٤ و ٣٧٧، و: ٢ / ٣١٦ و ١٠٥، و: ٣ / ٢٨٩ ـ ٢٩١ و ٣٨٤ و ٣٩٤ طَبعَة أُسوة، سُنن التِّرمِذي: ٣ / ٣٤٢ / ٢٣٣٠،

سُنن أَبِي دَاود : ٣ / ٣٠٢ / ٤٢٥٢ ، كَنز العُمَّال : ١٢ / ١٦٥ / ٣٤٥٠١ ، مَوَدَّة القُربىٰ : ٢٩ ، فَرَائد السِّمطِين : ٢ / ٣١٣ / ٥٦٣ ، غَاية المرَام : ٦٩٣ / ٧ ، مَقتل الحُسين للخوَارزمي : ١٤٦ / ٣٢٠ ، إكمَال الدِّين : ١ / ٢٦٩ / ١٢ ، صَحِيح مُسْلِم : ٢ / ١٨٤ / ١٨٢٢ ، عُيُون أخبَار الرِّضا : ٢ / ٢٦٢ / ٤٣ .

وَعَن عَليّ بن أَبِي طَالب ، فِي حَدِيثٍ طَوِيل قَالَ : « ... ذَاكَ الفَقِيد الطَّرِيد الشَّرِيد مُحَمَّد بن الحَسن أبن عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُوسَىٰ بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن عَليّ بن الحُسين هَذا ، ووضع يَده عَلىٰ رَأس الحُسين » . أُنظر ، مُقتَضب الأَثر : ٣١ ، كَنز الفوَائد : ١٧٥ ، إثبات الهُداة : ٣ / ٤٦٣ ح ١١٤ ، كمَال الدِّين : ١ / ٣٠٣ ح ١٣ ، مُنْتَخَب الأَثر : ٢٤٠ ح ٦ ، مسَائِل عَليّ بن جَعْفَر : ٢٣ ، الكَافِي : ١ / ٢٥٩ ح ١٤ ، الإرْشَاد لِلمُفِيد : ٢ / ٢٧٦ ، إعْلاَم الوَرىٰ : ٢ / ٩٢ ، بحَار الأَنوَار : ٥٠ / ٢١ ح ٧ ، مرآة الـعُقُول : ٣ / ٣٧٨ ح ١٤ ، شَرح أُصول الكَافِي : ٦ / ١٩٤ ، الوَافِي : ٢ / ٩١ ، كَشف الغُمَّة : ٢ / ٣٥١ و : ٣ / ١٤٣ ، الإمَامَة والتَّبْصرة : ١١٥ ، وَسَائِل الشِّيعة : ١٧ / ١٧٤ ، دَلاَئل الإمَامَة : ٤٨٦ ، شَرح الأَخْبَار : ٣ / ٣٦٨ ، كتَاب الغَيْبَة لِلنُّعماني : ١٧٩ ، مَدِينَة المعَاجز : ٧ / ٢٦٨ ، مُسْنَد الإمَام الرِّضا : ١ / ٢١١ ح ٣٥٦ .

وَعَن الأَصْبَغ ، عَن أَمِير الْمُؤمِنِين عليه السلام قَالَ : « الحَادِي عَشر مِن وِلدي ، يَمْلَؤُها عَدْلاً كـمَا مُـلِئَتْ جَوْرَاً وظُلْماً » . أُنظر ، العِدد القَوِيَّة : ٧٠ ح ١٠٧ ، الهِدَايَة الكُبْرَىٰ : ٣٦٢ ، الكَافِي : ١ / ٣٣٨ ح ٧ ، دَلاَئِل الإمَامَة : ٢٨٩ ، رَسَائِل المفُيد : ٤٠٠ ، مَلاَحم أبن طَاووس : ١٨٥ ، الإمَامَة وَالتَّـبْصرة : ١٢٠ ، كـمَال الدِّين وَتمَام النِّعْمَة : ٢٨٩ ح ١ ، كفَاية الأَثر : ٢٢٠ ، شَرح أُصول الكَافِي : ٦ / ٢٥٥ ، الإخْتِصَاص : ٢٠٩ ، كتَاب الغَيْبَة للطُوسي : ١٦٥ ، الصِّراط الْمُسْتَقِيم : ٢ / ١٢٦ ، إعلاَم الوَرىٰ بِإعْلاَم الْهُدَىٰ : ٢ / ٢٢٨ .

وسُئل أَمِيرُ الْمُؤمِنِين عليه السلام ، عَن مَعْنَىٰ قَول الرَّسُول صلى الله عليه وآله : « إنِّي مُخلف فِيكُم الثَّقَلَيْن ... مِن الْعِتْرَة ؟ فَقَال : أنَا ، وَالحَسن ، والحُسين ، وَالأَئِمَّة مِن وِلد الحُسين ؛ تَاسعهُم مَـهْدِيهم ... » . أُنـظر ، البُـرهان : ١ / ١٣ ح ٣٠ ، إعْلاَم الوَرىٰ : ٣٧٥ ، كَشف الغُمَّة : ٣ / ٢٩٩ ، كمَال الدِّين : ١ / ٢٤٠ ح ٦٤ ، مُـختصر إثبَات الرَّجعة : ٤٤٨ ، العيُون : ١ / ٥٧ ح ٢٥ ، غَاية المرَام : ٢١٨ ح ٥٨ ، مُـنْتَخَب الأَثـر : ٩٤ ح ٣١ ، عُيُون أخبَار الرِّضا : ٢ / ٦٠ ح ٢٥ ، شَرح الأَخْبَار : ٣ / ٣٥١ ح ٤ ، قِصص الأَنْبِيَاء للرَّاوندي : ٣٥٨ ، مَجْمَع البَحْرين : ٣ / ١١٥ ، خَاتِمة المُسْتَدرَك : ٥ / ٧٦ .

وَعَن أَبِي هَاشِم الجَعْفري قَالَ : « قُلْتُ لأَبِي مُحَمَّد الحَسن بن عَليّ : جَلاَلتك تَمْنَعني مِن مُسَاءلَتك فَتَأذن لِي أنْ أَسألك ؟ فقَالَ : سَلْ ، فَقُلتُ : يَاسَيِّدي هَل لَكَ وَلد ؟ قَالَ : نَعَم ، قُلتُ : فَإنْ حَدَثَ حَادِث فَأين أَسأل عَنهُ ؟ قَالَ : بالْمَدِينَة » . أُنظر ، الكَافِي : ١ / ٢٦٤ ح ٢ ، و : ٣٢٨ ح ٢ باب ٧٦ ، طَبْعَة أُخرىٰ ،

↔ الْغَيْبَة للشَّيخ الطّوسي : ٢٣٢ ح ١٩٩ ، إعْلاَم الوَرىٰ : ٤١٣ ، الإِرْشَاد : ٢ / ٣٤٨ ، الفصُول المُهِمَّة : ٢٩٢ ، كَشف الغُمَّة : ٣ / ٢٤٦ ، المُستجَاد مِن الإِرْشَاد : ٢٣٨ ، الصِّراط الْـمُسْتَقِيم : ٢ / ١٧١ ، رَوضة الوَاعظِين : ٢٦٢ ، شَرح أُصول الكَافِي : ٦ / ٢٢٦ .

وَهُناك حَدِيث وَرد عَن الإِمَام الرِّضا عليه السلام فِي مُخاطَبته لِدعبل الخُزَاعيّ « ... يَا دِعبل ! الإِمَام مِن بَعْدِي مُحَمَّد أبني ، وَبَعد مُحَمَّد أبنَه عَليّ ، وَبَعد عَليّ أبنَه الحَسن ، وَبَعد الحَسن أبنَه الْـحُجَّة القَائِم المُنْتَظَرَ فِي غَيْبَتَه ، المُطاع فِي ظُهُوره ... » .

روىٰ هَذا الحِدِيث الشَّيخ الصَّدوق فِي كمَال الدِّين : ٢ / ٣٧٣ ح ٦ ، عُيُون أخبَار الرِّضا : ٢ / ٢٦٣ ح ٣٥ ، كَشف الغُمَّة : ٣ / ١١٨ ، كفَايَة الأَثر : ٢٧١ ، فَرائِدُ السِّمطِين : ٢ / ٣٣٧ ح ٥٩١ ، مُنْتَخَب الأَنْوَار المُضِيئة : ٣٨ ، حلية الأَبرَار : ٢ / ٤٣٣ ، إعْلاَم الوَرىٰ : ٢ / ٦٩ ، تَأريخ أبن الخشاب : ١٩٧ ، غَايَة المرَام ، : ٧٠١ ح ١١٢ وح١١٣ ، يَنابِيع المَوَدَّة : ٣ / ٣٩٢ طَبعة أُسوة ، شَرح الأَخْبَار : ٣ / ٣٥٢ ح ٧ ، مَدِينَة المعَاجز : ٧ / ١٩٠ ، الفصُول المُهمة : ٦٩ ، الصِّراط المُسْتَقِيم : ٢ / ٢٣٠ ، مُسْنَد الإِمَام الرِّضا : ١ / ٢٢٤ ح ٣٩١ .

رُويت هَذِه القِصَّة لمَّا أَنشد دِعبل الخُزَاعي مَولاي الرِّضا هَذِه القَصِيدَة وَلمَّا أنتهىٰ إِلىٰ :

خُـرُوج إِمَـام لاَ مَـحَالَةَ خَـارِجٌ ... يَقُوم عَـلىٰ أسـم الله وَالبَـركَاتِ
يُـمَيِّز فِـينا كُـلّ حَـقّ وَبَـاطِل ... وَيَجزي عَلىٰ النَّعماء والنَّـقماتِ

بَكىٰ الرِّضا عليه السلام ثُمَّ رَفع رَأسه إليَّ وَقَالَ : يَا خُزَاعي نَطَق رُوح القُدس عَلىٰ لِسَانك بِهَذِين الْـبَيْتَين أتَدري مَن هَذا الإِمَام الَّذي تَقُول ؟ فَقُلت : لاَ أَدري إلاَّ أَنِّي سَمعتُ يَا مَولاي بِخُرُوج إِمَام مِنْكُم يَملأ الأَرض عَدْلاً ، فَقَال : يَا دِعبل الإِمَام بَعْدِي مُحَمَّد أبني وَبَعْدَه عَليّ أبنَه وَبَعد عَليّ أبنَه الحَسن وَبَعد الحَسن أبنَه الْحُجَّة القَائِم المُنْتَظَرَ فِي غَيبته المُطاع فِي ظُهُوره ، وَلَو لَم يَبْقَ مِن الدُّنْيَا إلاّ يَوْم وَاحد لِطَوّلَ الله ذَلِكَ اليَوْم حتَّىٰ يَخرُج فَيَملأ الأَرض عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً .

وَنُقلت هَذِه القِصَّة فِي كَثِير مِن المصَادر التَّأرِيخِيه وَلِشُهرتها بَيْن النَّاس حَفظوهَا وَتناقَلوها وَتَغنُوا بِها حتَّىٰ أَعدَاء أَهْل الْبَيْت : وَلِذا نَجد بَعْض أَلفاظها تَخْتَلف مِن مَصدرٍ إِلىٰ آخر ، وَبِدورنا نَنقُل المصَادر بِشَكل إجمَالِي وَالَّتي تَحت أَيْدِينَا وَنَترك لِلقَاري الكَرِيم أَنْ يُفتش عَنْهَا فِي المصَادر الأُخرىٰ وَكَذَلِك يَبْحَث عَن مَغْنَاها لأَنَّ فِيها مَا فِيها مِن كرَامَات أَهْل الْبَيْت : مِن نَاحية ، وَمظلُوميتهُم مِن قِبل أَعدَائِهم مِن نَاحِية أُخرىٰ ، ثُمَّ أرتَيِينا أَنْ نَنقل المصَادر :

↔

وَمِن مَجْمُوع مَا تَقدّم تَتّضح مَعنَا صِلَة الحُسَين بٱلْقُرْءَان، وأَنَّه فُرقَان يُفرّق بِهِ بَيْنَ حَلاَل الله وَحَرَامه، وَيَهتَدي بِهِ مِن ظُلمَة الجهَالَة، وَالضَّلاَلَة، وكَـذلكَ سَـائِر

↔ أُنظر، الأَبيَات الشّعرية فِي ديوَان دِعبل: ٤٢، وَالقصَّة فِي أمَالي الطّـوسي: ٢/ ٢٦٥ ح ٣٥، عُيُون أخبَار الرِّضا: ٢/ ٢٦٣ ح ٣٤، كـمَال الدِّيـن: ٣٧٣ ح ٦، رِجـال الكشّـي: ٥٠٤، الوَسَـائِل: ١٠/ ٤٣٨ و٣٩٣ ح ٢٢، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٩/ ٣٩١، إِعْلاَم الوَرىٰ: ٣٢٩، مناقب آل أَبِي طَـالِب: ٣/ ٤٥٠، مَدِينَة المعَاجز: ٥٠٣ ح ١١٩، حلية الأَبرَار لِلمُحدّث البَحْراني: ٢/ ٣٢٠ و ٤٣٣، إثبَات الهُداة: ٦/ ٩٩ ح ١٠٢، ٢/ ٣٤٧، كَشف الغُمّة: ٢/ ٢٦١ و ٣٢٨، كفَاية الأثر للخزّاز القُمّي: ٢٧١، فرَائِد السِّمطين لِلجُويني: ٢/ ٣٣٧ ح ٥٩١، يَنابِيع المَوَدَّة للقندوزي الحَنفي: ٤٥٤، الإتْحَاف بِحُبّ الأَشْرَاف للشّبراوي: ١٦٤، نُور الأَبصار: ٣٠٩ ـ ٣١٢، مُنْتَخَب الأَنْوَار المُضِيئة: ٣٩، مَقصد الرَّاغب: ١٦٧، الفَرَج بَعد الشِّدَّة: ٣٢٩.

وأُنظر، أيضاً إحقَاق ٱلْحَقّ: ١٢/ ٤٠٣ و ٣٩٩ و ٤٠٨، و: ١٩/ ٥٧١ ـ ٥٧٦ و ٦٤٧ و ٦٥٠، دَلاَئِل الإمَامَة للطّبري: ١٨٢، العدد الْقَوِيَّة: ٢٩٢ ح ١٦، الغَدِير: ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٦٣، مطالب السّـؤول: ٨٥، مُعجم الأُدبَاء: ٤/ ١٩٦، أعيَان الشِّيعة: ٦/ ٤١٨، تَذكرة الخوَاصّ لسبط أبن الجَوري: ٢٣٨، البحَار: ٤٩/ ٢٤٥ ح ١٢، و ٢٤٢ و ٢٣٧، مَقَاتِل الطَّالبيِّين لأبي الفَرج الإصفهاني: ٥٦٥، ديوان دِعبل: ١٢٤.

وَقَالَ الشّيخ الصّدوق ﵀: «إنّ الأَئِمَّة قَد أُخبرُوا بِغَيبَته، وَوَصفُوا كونَها لِشِيعَتهم فِي ما نُقل عَنْهُم، وَٱستحفظ فِي الصُّحف، وَدوّن فِي الكُتب المؤلفة مِن قبل أَنْ تَقع الْغَيْبَة بِمئتِي سَنَة، أو أَقل، أو أَكثَر، فَلَيْس أَحد مِن أتبَاع الأَئِمَّة: إلاَّ وقَد ذكر ذَلِكَ فِي كَثِير مِن كُتبه، ورُوايَاته، ودُونه فِي مُصنفاته، وَهِي الكُتب الّتي تُعرف بِالأُصول مُدونة مُسْتحفظة عِند آل مُحمّد: من قَبل الْغَيْبَة في كتَاب كـمَال الدّيـن وتَمام النِّعْمَة ـ فِي موَاضعها. فَلا يَخلوا حَال هَؤُلاَءِ الأَتْبَاع المُؤلّفين للكُتب أَنْ يكُونوا عَلموا ٱلْغَيْبِ، بمَا وَقع الآنْ مِن الْغَيْبَة فَألفوا ذَلِكَ فِي كُتبهم، وَدَونُوه فِي مُصْنفَاتهم مِن قبل كَونها. وهَذا مُحال عِند أَهْل اللُّب، والتَّحصِيل، أو أنْ يكُونوا قَد أَسسوا فِي كُتبهم ٱلكَذِب فأتفق الأَمْر لهُم كمَا ذكروا، وَتحقّق مَـا وصَفوا من كِذْبِهم عَلَىٰ بُعد دِيَارهم، وَأختلاف آرَائِهم، وتِبيَان أَقْطَارهم، ومحَالِهم. وهَذا أَيْضاً مُحال كَسبِيل الوَجه الأَوّل. فَلم يَبْق فِي ذَلكَ إِلاَّ أَنَّهم حَفظوا عن أَئمّتهم المُسْتَحفظِين للوصِيّة». أُنظر، كمَال الدِّين وَتَمام النِّعْمَة: ١٩. وَرَاجع كتَاب «فَلْسَفَة التَّوحِيد والوِلاَيَة» لِلشَّارح، وَكِتَاب فَرَائِدُ فَوائِدِ الفِكرْ فِي الإِمَام المَهْدِيّ المُنْتَظَر ﵇ تَأْلِيف الشّيخ مَرْعِيّ بن يُوسُف المَقْدِسي الـحَنْبَلِيّ مِـن عُـلَمَاء القَـرن الحَادي عَشر الهِجري، بِتَحقِّيقنَا الطَّبعَة الثَّانِيَة، مُحقّقة، ومَزِيدَة، ومُنَقّحَة.

المَعْصُومِين وَمَن نصّوا عَلَيهِ. وأَيضاً يَتّضح أَنَّ الفَرق الأَسَاس بَيْنَ السُّنَّة والشِّيعَة الإِثنَي عَشريّة هُو أَنَّ هَؤُلاَء يَقُولُون: أَنَّ قَوْل أَهْل بَيْت النَّبيّ هُو قَوْل جدّهُم وَفِعلَه فِعْلهُم، وَتَقرِيرَه تَقرِيرَهُم، لحَدِيث الثّقلَين وغَيْرَه، ويَقُول السُّنَّة: لاَ فَرق مِن هَذِهِ الجِهَة بَيْنَ آل الرَّسُول وَغَيرهم مِن المُسْلِمِين، وَمَا عَدَا ذَلكَ مِن الفُرُوق فَهُو تمَامَاً كَالفَرق أَو كالخِلاَف بَيْنَ المَذَاهب الأَرْبعَة.

شهادة إيمان وإيقان

الشّيعة وزيارة الحُسَين عليه السلام :

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

وَعَمَل الحُسَين لله، وللإِنْسَان، وَجَاهد أَعْدَاء الحَقّ، وَالعَدل. وَٱستُشهد فِي هَذَا السَّبِيل، وَرَأىٰ عَـمَله، وَفـدَاءه الله وَرسُـوله، وَٱلْـمُؤْمِنُون الطَّـيبُون الَّـذِين يَزُورُون حَرَمه المُقدّس، وَيُخَاطبُونَه بهَذِه التَّحيَة أَو الشَّهادَة :

« أَشْهَد أَنَّكَ قَد أَقَمت الصَّلَاة، وَآتَيتَ الزَّكَاة. وَأَمرتَ بِالمَعرُوف، وَنَهيتَ عَنْ المُنْكَر. وَعَبدتَ الله مُـخلصاً حَـتّىٰ أَتَـاك اليَـقِين. السَّـلاَم عَـلَيكَ وَرَحـمَة الله وَبَركَاته » (٢).

وَهَذِهِ الشَّهادَة عَلَىٰ إِيجَازهَا تُحَدّد حَقِيقَة الحُسَين عليه السلام تَحدِيداً وَاضحاً، وَكَاملاً عَلَىٰ أَسَاس عَمَله، وَبكلاَم آخر عَلَىٰ أَسَاس ٱلْقُرْءَان، وَمَبدَئه الَّذِي يَحكُم عَلَىٰ الإِنْسَان بمَا يَتمثّل فِي سلُوكهِ مِن قِيَم.

---

(١) ٱلتَّوْبَة: ١٠٥.

(٢) أنظر، كَامِل الزِّيَارَات، لجَعْفَر بن مُحَمَّد بـن قَـولَوَيه القُـمّيّ: ٢٠٦ ـ ٢٠٧، بَـاب « ٧٩ »، و: ٣٧٦ و ٤٠٢، بحَار الأَنوَار: ٩٨ / ١٧٨ و ٢٣٠.

الصَّلاَة:

لكُلّ إنْسَان هموُمَه، وَمتَاعبه فِي هَذِهِ الحَيَاة، وَلاَ مَفرّ مِنْهَا لمَخلُوق... ولَكنَّه يُحَاول أَحيَاناً تَخدِيرهَا وَالسّلو عَنْهَا بقرَاءَة صَحِيفَة، أَو روَايَة، أَو بشُرب الشَّاي وَمَا أَشبَه، أَو بالحَدِيث إِلَىٰ صَدِيق يُتْقن فَنّ الإِصغَاء «يُوَاسِيه، أَو يُسَلّيه، أَو يَتَوجع». أَمَّا أَهْل الله، وَأَوليَاؤه، وهُم قُلّ، فَإِنَّهُم يَفرُون مِن الدُّنيَا وَهمُومهَا إِلَىٰ الصَّلاَة حَيْث يشعرُون مَعَهَا أَنَّهُم فِي كَنَف الله، وَرحَابه مُنْقَطِعين إِلَيهِ وَحدَه لاَ يَشغلهُم عَنْهُ مَال، وَلاَ بَنُون، وَلاَ جَاه وشُؤون.

وفِي الحَدِيث: «أَنَّ النَّبيّ ﷺ كَان إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلّىٰ»[(١)] أَي إِذَا اشتَدّ بِهِ أَمْر. وَفِي ثَانٍ: «قُرّة عَيْنِي الصَّلاَة»[(٢)]. أَي رَأَت عَينَه مَا كَانَت مُتشوقَة إِلَيهِ، وَاشتَهر عَنْهُ: «أَرحنَا بهَا يَا بلاَل»[(٣)]. وَصَلاَة الأَوليَاء بنشُوتهَا وَحَلاَوتهَا هِي الَّتي عنَاهَا

(١) أنظر، سُنن أَبِي دَاود: ٢ / ٣٥ح ١٣١٩، مُسْنَد أَحْمَد: ٥ / ٣٨٨ح ٢٣٣٤٧، فَتح البَاري: ٣ / ١٧٢، النّهايَة فِي غَريب الحَدِيث: ١ / ٣٦٥، عَون المَعبُود: ٤ / ٤٤، مُسْنَد أَبي عَوَانَه: ٤ / ٣٢١، شُعب الإِيمَان: ٣ / ١٥٤ح ٣١٨١، شَرْح الزَّرقَاني: ٤ / ٣٤٢، الإِصَابَة: ٥ / ٢٤٩ رَقم «٦٧٢٥»، تحفَة الأَحوَذي: ١٠ / ٢٦٧، فَيْض القَدِير: ١ / ٣٦٠، التَّأرِيخ الكَبِير: ١ / ١٧٢ح ٥١٥، الثّقَات: ٥ / ١٣٦ ح ٤١٦١، مُعْجَم الصَّحَابَة: ٢ / ١٨٩ح ٦٨٤.

(٢) أَنظر، مُسْنَد أَحمَد: ٣ / ١٢٨ح ١٢٣١٥ و ١٢٣١٦، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٦ / ١٩٩ح ٣٤٨٢، المُعْجَم الصَّغِير: ٢ / ٣٩ح ٧٤١، الرِّيَاض النَّضرَة: ١ / ٢٦٥ح ١٠٩، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ: ٧ / ٧٨ح ١٣٢٣٢، السُّنن الكُبرىٰ: ٥ / ٢٨٠ح ٨٨٨٧، سُنن النَّسَائي: ٧ / ٦١ح ٣٩٣٩، المُصنّف لعَبدالرَّزاق: ٤ / ٣٢١ح ٧٩٣٩، المُعْجَم الأَوسَط: ٥ / ٢٤٧ح ٥٢٠٣، الأَحَادِيث المُختَارَة: ٤ / ٣٦٧ح ١٥٣٣، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٢ / ١٧٤ح ٢٦٧٦، كَشف الخَفَاء: ١ / ٤٠٦.

(٣) أَنظر، سُنَن أَبي دَاود: ٣ / ٤٧٤، مَجْمَع الزَّوَائِد وَمَنبع الفَوَائِد: ١ / ١٤٥، كَنز العُمَّال: ٧ / ٢٩٤، مَجْمَع البَحْرَين: ٢ / ٢٤٧، تَيسِير الوصُول: ٢ / ٢٩٧، شَرْح مُسْنَد أَبي حَنِيفَة: ٩٩، فَيض القَدِير شَرْح الجَامِع الصَّغِير: ٢ / ٢٤١، عِلل الدَّار قُطني: ٤ / ١٢١.

سُبْحَانَه فِي الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[١].

وَالَّتي شَبّهها رَسُول الله ﷺ بِالنَّهر يَغْتَسل مِنْهُ الرَّجُل فِي اليَوْم، وَاللَّيلَة خَمس مَرّات، فَلاَ يَبْقىٰ عَلَيهِ مِن الدَّرن شَيء... أَمَّا صَلاَتنا نَحْنُ الَّتي نُحرك بهَا أَلسنَتُنا، وَتَتصرف عَنْهَا قُلوبنَا إِلَىٰ المَتَاع وَالحُطَام ـ فإِنّها لاَ تَنْهىٰ عَن فُحشٍ، وَلاَ تُطَهر مِن دَنَس... وَفِي الحَدِيث: «مَن صَلّىٰ رُكعَتَين لاَ يُحدّث فِيهمَا نَفْسَه غَفَر الله مَا تَقدّم مِن ذَنْبه»[٢].

وَصَلاة الإِمَام الحُسَين تَمَاماً كَالحُسَين طَيّبَة زَاكيَة، لاَ شَيء فِيهَا إِلَّا التَّجرّد والتَّوحِيد، وإِلَّا الشَّوق وَالإِقبَال، وَمَشهَد وَاحد مِن مَشَاهد الإِمَام الحُسَين نُدرك مِنْهُ مكَان الصَّلاَة وَعَظمتهَا فِي نَفْسه... ويَوْم كَرْبُلاَء حَان أَوَانهَا، وَهُو فِي قَـلْب المَعْرِكَة تُحِيط بهِ السُّيوف، وَالرِّمَاح، وَالسّهام مِن جَمِيع جَوَانبه، وَالعَطَش يَـلح عَلَيهِ، وَبُكَاء النِّسَاء، وَعَوِيل الأَطفَال يَصم أُذنَيه.. وَرَغم هَذَا ذَهَل عَن كُلّ شَيء وَشمّر للصَّلاة بشَغَف، وَوقَار، كَأَنّه فِي بَيْت الله الحَرَام يَوْم الحَجِيج[٣]... وهَكَذَا يَفرّ إِلَىٰ الله، وَالتَّعبد لهُ مِن كُلّ هَمٍ وَغَمٍ ـ مَن تَوكّل عَلَىٰ الله، وَوثقَ بهِ، وفِي حَدِيثٍ قُدّسي: «أَنا عِنْدَ ظَنّ عَبدي بِي، إِنْ خَيراً فَخَير، وَإِنْ شَرّاً فَشَر»[٤].

---

(١) ٱلْعَنكَبُوت: ٤٥.

(٢) أنظر، كَنْز العُمّال: ٧ / ٣٠١ ح ١٨٩٧، الدِّيبَاج عَلىٰ مُسْلِم: ٢ / ١٤، شَرح النَّووي: ٣/٦ ح ١٠٨.

(٣) أنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥ / ٤٢٢ وفِي ٤٣٦ كَرَر أَبو مَخْنَف ذِكر عَدَد الفُرسَان. (مِنْهُ ﷺ). أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٢٠، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١١٣، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٩٥، الأَخبَار الطّوَال: ٢٥٦.

(٤) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٦ / ٢٦٩٤ ح ٦٩٧٠، صَحِيح مُسْلِم: ٤ / ٢٠٦١ ح ٢٦٧٥، صَحِيح أبن حِبّان: ٢ / ٤٠٥ ح ٦٣٩، مَوَارد الظَّمآن: ١ / ١٨٣ ح ٧١٦، الجَامع الصَّغير فِي أَحَادِيث البَشِير النَّذِير: ↔

الزّكاة:

كَان الإمَام الحُسَين عليه السلام يَنظُر إلَى الدُّنيَا نَظرَه مَن يُعطي لاَ مَن يَأخُذ، وَمَن يُضحي ويُؤثر لاَ مَن يُمسك وَيَحتكر... وَكَان يُنشد وَيُردّد قَوْل مَن قَالَ[1]:

إذَا جَادَت الدُّنيَا عَلَيكَ فَجُد بهَا عَلَىٰ النَّاس طُرّاً قَبْل أَنْ تَتَفلّت
فَلاَ الجُوْد يُفْنِيهَا إذَا هِي أَقْبَلَت وَلاَ البُخْل يُبقِيها إذَا مَا تَولّت

هَذَا هُو مَبدَأ العَطَاء وَالسَّخَاء.

وَمَن شَاء أَنْ يَقرَأ عَن سخَاء الحُسَين وَكَرَمه ـ أُحِيلَه عَلَىٰ الجُزء الرَّابع مِن أَعيَان الشِّيعَة وغيْرَه مِن كُتب السِّير وَالفَضَائِل... وَأَكتَفي هُنَا بحَادثَه جَمَعَت العَدِيد مِن أَخلاَق اَلْقُرْءَان، كَالعَفُو عَن حِلمٍ، وَالصَّبر عَن إيمَان، وَالتَّأدِيب بالنَّظرَة وَاللَّمحَة، وَالفَضل عَلَىٰ المُعَادي وَالمُوَالي... وَقَد غَابَت هَذِهِ الحَادثَة عَن كَثِير مِن البَاحِثِين وَالجَامِعِين، وَاكتَشفهَا الشَّيخ عبَّاس القُمّي، وَسَجّلها فِي سَفِينَة البحَار مَادّة «خ. ل. ق.». وَهَذَا نَصّها بالحَرف[2]:

«قَالَ عصَام بن المُصطَلق: دَخَلتُ المَدِينَة فَرَأيتُ الحُسَين بن عَليّ، فَأَعجَبني سَمته وَروَاؤه، وَأثَار مِن حَسَدي مَا كُنتُ أَخفِيه فِي صَدري لأَبِيه مِن بُغضٍ، فَقُلتُ لهُ: أَنْتَ ابْن أَبي تُرَاب؟.

فَقَالَ: نَعَم. فَبَالغتُ فِي شَتْمه وَشَتم أَبِيهِ، فَنَظر إلَيّ نَظرَة عَاطف رَؤوف، ثُمَّ

← ٤٥٧/١ ح ٢٩٦٠، سُنن التّرمذي: ٤/٥٩٦ ح ٢٣٨٨، سُنن أَبي دَاود: ٢/١٣٠ ح ١٦٨٢، المُعْجَم الكَبِير: ١٢/٩٧ ح ١٢٥٩١، تَهذِيب الكمَال: ٦/٥٣٨ ح ١٣٦٩.

(١) أنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالِب: ٣/٢٢٢، العَوَالم: ١٧/٦٤، بحَار الأنوَار: ٤٤/١٩١، أَعيَان الشِّيعَة: ١/٥٧٩.

(٢) أُنظر، سَفِينَة البحَار: ١/٤١١، مَنَازل الآخرَة وَالمَطَالب الفَاخرَة: ٢٠٧.

قَالَ :

أعُوذُ بالله مِن الشَّيطَان الرَّجِيم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[١].

ثُمَّ قَالَ لِي : خَفِّض عَلَيكَ أستَغفر الله لِي وَلَك ، إنّك لَو ٱستَعنتنَا لأعنَاك ، وَلَو ٱستَرفدتنَا لأرفدنَاك ، وَلَو ٱستَرشَدّتنا لأرشدنَاك . . .

قَالَ عصَام : فَتَوسم مِنّي النَّدم لمَا فَرَط .

فَقَال : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢].

أمِن أَهْل الشَّام أَنتَ ؟ .

قُلتُ : نَعَم .

فَقَال : شِنْشنَة أَعرفهَا مِن أَخزَم[٣] ، حَيَّانا الله وَإيّاك ، أَبسط إِلينَا فِي حوَائجَك ، وَمَا يَعرض لَكَ تَجدني عِند أَفْضَل ظنّك إنْ شَاء الله .

قَالَ عصَام : فَضَاقت عَليّ الأَرْض بمَا رَحُبت ، وَوَدَدت لَو سَاخَت بِي ، ثُمَّ سَلَلتُ مِنْهُ لوذاً ، وَمَا عَلىٰ الأَرْض أحبّ لِي مِنْهُ وَمِن أَبِيهِ »[٤].

لكُلّ إنْسَان حُرّيّته وَآرَاؤه يُعلنهَا مَتىٰ شَاء ، وَلاَ تَقع تَحتَ طَائِل العُقُوبَة فِي دَار الدُّنيَا سيَاسيَّة كَانَت أَو دِينيَّة مَا دَامَت فِي إطَار المَبَادِيء الأَسَاسيَّة ، وفِي حُدُود

---

(١) ٱلْأَعْرَاف : ١٩٨ ـ ٢٠٢ .

(٢) يُوسُف : ٩٢ .

(٣) أنظر ، مَجْمَع الأَمثَال المَيدَاني : ١ / ٣٦١ رَقم « ١٩٣٣ » ، مقَاتل الطَّالبيّين : ٥٤٨ .

(٤) أنظر ، تَفسِير القُرطُبي : ٧ / ٣٥٠ ، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق : ٤٢ / ٢٢٤ .

الأَدَب، وَالنّقَاش المُهَذّب وَلاَ خير فِيْهَا عَلىٰ الآخرين... ومَع عِلمي أَنَّ الشّامي قَد تجَاوَز الحَدّ، وَنَطق بمَا يَهتَز لَهُ العَرش ـ فإنّي أَلتمس لهُ بَعْض العُذر، لأَنَّ الإثم عَلىٰ مَن جرّأهُ وَضَلّله، وَبَدّد شَمل المُسْلِمِين، وَفَرقهُم شِيعاً، وَسنَّ شَتم آل الرّسُول ﷺ فِي الصّلاَة وعَلىٰ المنَابر بَدَل الصّلاَة عَلَيهم، وَجَعل ذَلكَ نظَاماً، وَأَسَاساً لحُكْمهِ، وَسُلطَانه، وَدِيناً لرَعِيّته. وَنَهجاً لمَن حَكَم بَعدَه[1].

وَمن أَجل هَذَا وَغَير هَذَا رَأينا الإمَام صَاحب الخُلق القُرْءاني الكَريم ـ يُقدّم

(١) قِيل لمُعَاوِيَة: لَقَد بَلَغت مَا أَمّلتَ. فَلَو كَفَفت عَن سبّ عَليّ. فَأَجَاب: لاَ حَتّىٰ يَربُو عَلَيه الصّغِير، يَهْرَمُ عَلَيه الكَبِير. هَذَا قَول مَنْ وصِفَ بِالحِلم الّذي وَرثَهُ عَنْ أُمّه هِند. فَكَيف بِغَير الحَلِيم مِنْهُم!.

أُنظر، شَرْح نَهْج البَلاَغة لاِبْن أَبي الحَدِيد: ٤/٥٧ و: ١٣/٢٢٢.

بِهَذه الكَلمَة الصّغِيرة: «حَتّىٰ يَربُو الصّغِير، وَيَهرم الكَبِير» عَبّر مُعَاوِيَة عَن نَفْسه، وَأَبرزَها عَلىٰ حَقِيقَتهَا. فَلَيس مِنْ قَصده وَغَايته المُلك وَالسّيطرة فَقط. بَل عُقدة فِي نَفْسه يُحَاول حلّها، وَحِقد فِي قَلْبه يَغلي وَيَفور، وَلاَ يَجد مَخرجاً مِنْ لذعَهِ وَأَلَمه إلاّ السّبَاب وَالتّقتِيل، وهَذِه غَايَة الغَايَات عِند مُعَاوِيَة وَمَا عَدَاها وَسِيلة لإشبَاع الحِقد. وإلاّ فَليدُلنا الّذِين وَصفوا مُعَاوِيَة بِالحِلم وَسِعة الصّدر عَن مكَان هَذَا الحِلم فِي قَوله: «حَتّىٰ يَربُو الصّغِير، وَيَهرم الكَبِير»...

وَلَمْ يَشف غَلَيل مُعَاوِيَة السّب عَلىٰ المَنَابر، وَالكتَابة بِهِ إِلَىٰ عُمّاله. وَاتخَاذه سُنّة وَدِيَانه. حَتّىٰ تَعمدَه فِي مَحْضر أَوْلاَد الإمَام وَأَقَاربه. بَل كَان يَدعو أَحدهم إِلَىٰ بَيْتَه، وَيَجمع حَوله شَيَاطِينه وَزبَانِيته، ثُمّ يَشرعُون بِالسّبَاب وَالشّتَائم!... لَقَد سَمعنَا أَنّ عدوّاً اغتَال عَدوّه، وَهُو سَائر فِي طَرِيقه، وَنَائم عَلىٰ فرَاشه. أَمّا أَنْ يَدعُوه إِلَىٰ بَيْتَه، ثُمّ يَغْدر بِهِ، فَلَم نعهَده إلاّ مِنْ مُعَاوِيَة وَأَمثَاله. نَادىٰ مُنَادي الرّسُول يَوْم الفَتْح: «مَنْ دَخَل دَار أَبي سُفْيَان فَهُو آمِنْ». وأَرَاد مُعَاوِيَة أَنْ يَرد لهُ هَذَا الإحسَان.

أُنظر، صَحِيح مُسلم: ٣/١٤٠٨ ح ٨٦، سُنن أَبي دَاود: ٣/١٦٣ ح ٣٠١٢. فَهَذَا أَبُو سُفْيَان أَشدّ عَدَاوة لرَسُول الله ﷺ فِي مُحَاربته، وَغزوَاته تَشهَد بِذَلك، وَإِنّما أَسلَم عَلىٰ يَد العَبّاس الّذي مَنَع النّاس مِن قَتله، وَجَاء بِهِ رَدِيفاً. شَرّفه النّبيّ ﷺ. وَكَرّمه فكَانَ جَزَاء ذَلِك مِن بَنِيه أَنْ حَاربُوا عَليّاً عليه السلام، وَسَمّوا الحَسَن عليه السلام. وَقتلُوا الحُسَيْن عليه السلام. وَحملُوا النّسَاء عَلىٰ الأَقْتَاب حوَاسراً. وَقَيّدوا بِالحَدِيد زَين العَابِدِين عليه السلام الّذي أَوْقفُوه عَلىٰ مَدرج جَامع دِمشق فِي مَحلّ عَرض السّبَايَا.

للشَّامي غُصن الزَّيتُون، وَيُفهمَه بِاللَّمحَة ـ مَع الصَّفَاء وَالرَّحلة ـ إنّه قَد شَتَم ٱلْقُرْءَان النَّاطق، وَأنّه جَاهل مَخدُوع... ثُمَّ عَرَض عَلَيهِ رَفدَه وَمَعُونَته.. فَاتّضحَت الرّؤيَة أمَام الشَّامي، وَأفَاق مِن كَبوَته، وَوَجد نَفْسَه فِي مَأزق لاَ مَنَاص مِنْهُ إلّا بالفرَار فَلاَذ بِهِ، وَبالوَلاَء لعَليّ وأبْنَاء عَليّ عليهم السلام.

وَأحسب أنَّ القَارِيء اللَّبِيب قَد تَنَبّه وَأدرَك أنَّ الإمَام عليه السلام سَلَك مَع هَذَا الشَّامي سَبِيل ٱلْقُرْءَان، وَالتزم بآدَابه وَآيَاته.

مِنْهَا: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[1].

وَمِنْهَا: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

وَمِنْهَا: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[3].

إلَىٰ غَير هَذِهِ مِن الآيَات.

ومِنْهَا: الّتي تَلاَهَا وَٱستَشهد بِهَا الإمَام عَلَيهِ أفضَل الصَّلوَات، وَأزكَىٰ التَّحيَات.

الأمر بالمعرُوف:

لَيسَ الأمر بالمَعْرُوف حِرفَة أو هوَايَة، وَلاَ كَلاَم وَكَفىٰ، وإنَّمَا هُو غَرس وَزَرع مِن شَأنه أنْ يَزهر وَيَثمر فِي العَاجل أو الآجل، وَالزّرَاعَة عِلْم لهُ أُصُول وَقوَاعد،

---

(١) آلِ عِمْرَانَ: ١٢٠.

(٢) ٱلبَقَرَة: ٢٣٧.

(٣) فُصِّلَتْ: ٣٤.

وكَذَلكَ الأَمر بالمَعرُوف لهُ ظُرُوف وَشرُوط تَتَعلق بالآمر وَالمَأمُور، وَأَهـمها أَنْ يَعْرف الآمر هَويَة مَن يَأمرَه وَيُرشدَه، وَلَون حيَاته، وَميُوله، وَنَزعَاته ثُمَّ يَدخُل إِلَىٰ نَفْسَه مِن هَذَا البَاب، ولَكن مَاذَا يَصنَع الحَكِيم النَّاصح مَع الفَاجر الغَرِيق فِي اللَّهو، وَالفَسَاد: «قَالَ عَبدالله بن حَنْظَلة[1]: «وَالله مَا خَرَجنَا عَلىٰ يَزِيد حَتَّىٰ خِفنَا أَنْ نُرمىٰ بِالحِجَارَة مِن السَّماء، إِنَّ رَجُلاً يَنكح الأُمّهات، وَالبَنَات، وَالأَخوَات، وَيَشرَب الخَمر، وَيَدع الصَّلاَة، وَالله لَو لَم يَكُن مَعي أَحد مِن النَّاس لأَبلَيت لله فِيهِ بَلاَءً حَسناً»[2]. أَبداً لاَ دَوَاء لِهَذَا إِلَّا السَّيف.

نَهَض الحُسَين للأَمر بالمَعْرُوف، وَجوّ العَالَم الإِسْلاَمي يَسُودَه اليَأس مِن التَّغيِير وَالإِصلاَح... وَمَع هَذَا ابتَدأَ الإِمَام مِن الكَملَة كمَرحلَتة أُولىٰ وَتَعبِيراً عَن النَّوايا، وَإِتمَاماً للحُجّة... عَسَىٰ وَلعَلَّ... وَانْتَهىٰ بتَصعِيد الضَّغط عَلىٰ السُّلطَة الجَائِرَة الطَّاغيَّة حَتَّىٰ حَصَرها بَيْنَ فَرضَين لاَ ثَالِث لَهما أَمَّا السَّير بالأُمّة عَلىٰ طَرِيق العَدل، لاَ ظَالِم وَلاَ مَظلُوم، وأَمَّا التَّضحِيَة بحَيَاتَه، وَحَيَاة أَهْلَه، وَأَطفَاله، وَصَحبه، وَعَشِيرَته، كَمَا أَشَار فِي قَوْلَه:

«أَمَّا بَعْدُ. فَقَدْ نَزَلَ مِنَ الأَمْرِ بِنَا ما تَرونَ، وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُها، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صَبابَةٌ كَصَبابَةِ الإِنَاءِ، وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالمَرعَىٰ الوَبِيْلِ، أَلاَ تَرونَ إِلىٰ الحَقِّ لا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلىٰ البَاطِلِ لا يُتَنَاهَىٰ عَنْهُ، لِيَرْغَبَ

---

(١) اَستُشهد أَبُوه حَنظَلة بأُحد، وقَالَ النَّبيّ ﷺ: «غَسّلتهُ المَلاَئِكة، وَاستُشهد عَبدالله بن حَنظَلَة بوَقعة الحرّة، وَهُو وَبَنُوه الثَّمانيَة سَنَة (٦٣ هـ). وكَان يَقُول: وَالله مَا خَرجنَا عَلىٰ يَزِيد حَتَّىٰ خِفنَا بأَنْ نُرمىٰ بالحِجَارة مِن السَّماء». (مِنهُ ﷺ).

(٢) اُنظر، تَأريخ دِمَشق: ٢٧ / ٤٢٩، تأريخ الإِسلاَم: ٢ / ٣٥٦، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٥٠، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٥ / ٦٦، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ٣٢.

المؤمنُ فيْ لِقاءِ اللهِ، فَإنّي لاَ أرىٰ المَوْت إلاَّ سَعادَةً، وَالحَيَاة مَعَ الظَّالِمِيْنَ إلاَّ بَرَماً»[١]. قَالَ هَذَا لأَنّه يَعْلَم بأَنَّ القُوّة بَيْنَه وبَيْنَ عَدوّه غَير مُتوَازنَة، وأَيضاً يَعْلَم أَنَّ دَمَه لَنْ يَذْهَب هَدراً، وأَنَّ مِن أُولىٰ ثمَاره، وَنتَائِجه تَقوِيض دَولَة البَغي، وَتحطِيم أركَانها وَأَعوانهَا.

خيَّر الحُسَين عليه السلام يَزِيد بَيْنَ الهِدَايَة وَالضَّلاَلَة، وَبَدِيهي أَنْ يَرفض يَزِيد الهُدَىٰ وَالخَيْر، وَيَختَار الشَّر، والضَّلاَل، وَهُو يَظنّ أَنّه فِي مَأمَن مِن العوَاقب، وَالنَّوائب... ولَكن الدُّنيَا لَفَظت يَزِيداً وكُلّ أُموي بَعد ثَورَة الإِمَام وَمَصرَعه... وَالدَّرس الَّذِي نَنْتَفع بِهِ مِن هَذِهِ العِبرَة هُو أَنَّ كُلّ مَن تَاقَت هِمّته إِلَىٰ شَيء وَصَل إِلَيهِ بشَرط الحُسَين وَتَضحيَاته. وقَدِيماً قِيل: «لَو تَعلّقت هِمّة بَني آدم بالْقَمَر لنَالَته». ومَع الأَيَّام وَموَاصلَة الجهُود تَحقّقت بالفِعل هَذِهِ النُّبُوءَة.

وكَان يُخَيَّل إِلَىٰ مَن قِبل أَنَّ الإِمَام الحُسَين عليه السلام مُعجزَة، وَفَرِيد فِي الإِيثَار وَالتَّضحِيَة، وَأَنَّ يَزِيد لاَ نَظِير لهُ إِطلاَقاً فِي الإِنحطَاط وَالخِسّة... حَتَّىٰ قَرأْتُ وَسَمعتُ، وَعَاصرتُ حرُوباً، وَثورَات فآمَنتُ، وَأَيقنتُ أَنَّ فِي كُلّ عَصْرٍ أَلف يَزِيد وَيَزِيد[٢]. وأَنَّ الإِمَام الحُسَين إِنْ هُو إِلَّا شَاهد وَدَلِيل عَلىٰ أَنَّ المَرء مَتىٰ صَدَقت

---

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٣/٣٠٧، و: ٤/٣٠٥ طَبْعَة آخر، و: ٥/ ٤٢٥ـ ٤٢٦ طَبعَة سَنَة ١٩٦٤م، أبن عَسَاكر (تَرجَمة الإِمَام الحُسَين عليه السلام): ٢١٤.

(٢) فِي سَنَة (١٩٧٠م) نَشَرت الصُّحف العَالميَّة أَنَّ القُوَات الأَمرِيكيَّة طَوَقت فِي فِيتنَام قَريَة «سونج» وَقَتلت جَمِيع سكّانهَا رَمياً بالرَّصَاص وَلَم يَبق طِفلاً، وَلاَ إِمرَأة، وَلاَ شَيخاً، أَو عَاجزاً، وَلَم يَكُن فِيهَا أَي مُقَاتل. وَفي سَنَة (١٩٧٢م) نَشَرت الصُّحف أَنَّ القُوَات البُرتغالِيَة كَانَت تَبْقر بطُون الحُبَالىٰ فِي مُوزنبِيق كَيلاَ يَلدن مُخربِين جُدداً، وَيَجمعُون النّساء، وَالأَطفَال، وَالشيُوخ وَيَحرقُونهُم أَحيَاء بأَسم الدِّفَاع عَن الحَضَارَة الأُوربيَة!! وَأَي فَرق بَين هَذِهِ الفَظَائِع، وَفَظَائِع وَقعَة الحَرّة؟؟ (مِنْهُ رحمه الله).

عَزِيمَته، وَرَسخت عَقِيدَته ـ لاَ يَقف فِي طَرِيقه أي حَاجز، وأَنَّه يُضَحي بِنَفْسَه وَبكُلّ قَرِيب، وَحَبِيب فِي سَبِيل إِيمَانه، وَالذَّود عَنْهُ... أَبداً كُلّ الشُّهدَاء مِن أَجل الوَطن، والحُرّيَّة هُم شُهدَاء المَبدأ، وَالعَقِيدَة.

طَاعَة الله وَالرَّسول ﷺ:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[(١)].

وَتَكُون إِطَاعَة الله وَرَسُوله بالعِبَادَة رُكُوعاً وَسجُوداً، وبالصِّدق والإِخلاَص قَولاً وعملاً، وَبإِغَاثَة مَلهُوف وَمَحرُوم، وَبالصَّلاح وَالإِصلاَح... وَغَير ذَلكَ.

وَأَقْصىٰ دَرجَات الإِطَاعَة لله، وَرَسُول الله الإِستشهَاد لتَحرِير المُسْتَضعَفِين مِن الإِستغلاَل وَالعُبُوديَة، والحُسَين إِمَام الصِّدِّقِين. وَمَنَار الصَّالحِين، وسَيِّد الشُّهدَاء بلاَ اَستثنَاء، فَلَقَد اَستُشهد لإِعلاَء كَلمَة العَدل والحُرِّيَّة ضِدّ البَغي وَالعُبُوديَّة، وَمِن أَجل المَساكِين، وَالفُقرَاء ضِدّ الطُّغَاة الأَقوِيَاء، وَبكَلمَة ثَار وَاَستُشهد كَيلا تَنْتَصر الرَّذِيلَة عَلىٰ الفَضِيلَة، والظُّلم عَلىٰ العَدل. وإِذَا لَم يَكُن الحُسَين مِن البَنِين فَهُو رَيحَانَة خَاتم النُّبوَّة، وَاَمتدَاد لهُ فِي شَمَائِله، وَفَضَائِله، كَمَا يُومِيء حَدِيث: «حُسَين مِنّي، وَأَنَا مِن حُسَين»[(٢)]. وَحَدِيث: «الحَسَن وَالحُسَين رَيحَانتَاي مِنْ

---

(١) اَلنِّسَاء: ٦٩.

(٢) أُنظر صَحِيح التِرمذي: ١٣/ ١٩٥، و: ٥/ ٦٥٦/ ٣٧٧٥، و: ٢/ ٣٠٧، سُنن اَبن مَاجه: ١/ ٥١ ح ١٤٤، مُسْنَد أَحمَد: ٤/ ١٧٢، المُستَدرك عَلىٰ الصَّحيحَين: ٣/ ١٧٧، تَهذِيب الكَمَال: ٧١، أُسد الغَابَة: ٢/ ١٩، و: ٥/ ١٣٠، تَيسِير الوصُول: ٣/ ٢٧٦، مَقتَل الحُسين للخوَارزمي: ١/ ١٤٦، ↔

الدُّنيا »[1].

وبعد، فما من موقف من مواقف الإمام الحسين، أو شيء من سيرته، وسلوكه إلّا ونجد له في القرآن الكريم شاهداً أو أكثر، وهذا يؤيّد ويؤكّد قوّة الصّلة والعلاقة بين كتاب الله، وأهل بيت نبيّه، وأنّهما التّوأمان الخليفتان عن رسول الله لا يفترق أحدهما عن الآخر حتّىٰ يردا عليه الحوض، كما في حديث الثّقلين[2].

↔ البخاري في الأدب المفرد: ح ٣٤٦. كنز العمّال: ٦ / ٢٢١، و: ١٦ / ٢٧٠، و: ١٣ / ١٠١ و ١٠٥ و ١٠٦، و: ١٢ / ١٢٩ ح ٣٤٣٢٨، و: ٧ / ١٠٧. المعجم الكبير للطّبراني: ٣ / ٣٢.

(١) هذه الكلمة مأخوذة من سورة الواقعة ٨٨ و ٨٩: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾. ويشير إليها بقوله « من الدُّنيا » فهو ريحانة رسول الله في الدُّنيا في قبال ريحان الجنّة في الجنّة للمقرّبين. أنظر، مطالب السّؤول في مناقب آل الرّسول: ٢٤٠. مودّة القربىٰ: ٤٣. صحيح البخاري: ٢ / ١٨٨، و: ٤ / ٢١٧. سنن التّرمذي: ٥٣٩. خصائص النّسائي: ٢٦. الإستيعاب: ١ / ٣٨٥. صحيح التّرمذي: ٢ / ٣٠٦. ٥ / ٣٢٢ / ٣٨٥٩. البخاري في الأدب المفرد: ١٤. مسند أحمد: ٢ / ٨٥ و ٩٣ و ١١٤ و ١٥٣. مسند الطّيالسي: ٨ / ٢٦٠. حلية الأولياء: ٥ / ٧٠، و: ٣ / ٢٠١. خصائص النّسائي: ٣٧. فتح الباري في شرح البخاري: ٨ / ١٠٠. كنز العمّال: ٦ / ٢٢٠ ـ و ٢٢٢، و: ٧ / ١٠٩ و ١١٠، و: ١٢ / ١١٣ / ٣٤٢٥١. مجمع الزّوائد: ٩ / ١٨١. ذخائر العقبىٰ: ٤١. مستدرك الصّحيحين: ٣ / ١٦٥. الرّياض النّضره: ٢ / ٢٣٢. الصّواعق المحرقة: ١٩١ ب ١١ فصل ٣. مودّة القربىٰ: ٣٤. ينابيع المودّة: ٢ / ٤٨ و ٣٧ و ٣٢٩، و: ٣ / ١٠ طبعة أسوة.

(٢) تقدّمت تخريجاته.

طَاعَة الله الدَّافع وَالْأَسَاس للمُقَاومَة، وَالمُسَاءلَة عِنْدَ أَهْل الْبَيْت عليهم السلام

« فَعَل أَخي بأَمْر الله ، وَأَنَا أَفْعَل بأَمْر الله »[1]

الإِمَام الحُسَين عليه السلام

الخُلُق العَظِيم :

قَالَ سُبْحَانَه مُخَاطباً نَبيَّه وَنَجيَه صلى الله عليه وآله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وَالخُلْق العَظِيم هُو خُلُق ٱلْقُرْءَان ، وَفِي حَدِيث الرَّسُول صلى الله عليه وآله : « أَدبَني رَبّي فَأَحْسَن تَأدِيبي »[3]. وَنَفهَم مِن هَذَا أَنَّ الإِنْسَان ـ فِي الغَالب ـ مُسَيَّر بِعَادَات قَومَه ، وَتَقَالِيد مُجْتَمعَه ، وَأَخلاَق آبَائه وَأَجدَادَه الَّتي لاَ يُشتَرط فِيهَا أَنْ تَتَّفق مَع الوَحي أَو العَقْل ، أَمَّا عَادَات الرَّسُول الأَعْظَم وَتَصرفَاته فَإِنّها تَلتَحم وَتَنسَجم كُلَّ الإِنْسجَام مَع ٱلْقُرْءَان وَآدَابه وَمِن هُنَا خَاطَبهُ سُبْحَانَه بِقَوْلَه : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ

---

(١) أُنظر ، الثَّاقب فِي المَنَاقب لِابْن حَمْزَة : ٣٢٢ ح ٢٦٦.

(٢) ٱلْقَلَم : ٤.

(٣) أُنظر ، كَنْز العُمَّال : ٧ / ٢١٤ ح ١٨٦٧٣ ، كَشف الخَفَاء : ١ / ٧٢ ح ١٦٤ ، فَيْض القَدِير : ١ / ٢٢٤ ، النِّهَايَة فِي غَرِيب الحَدِيث : ١ / ٨ ، الجَامع الصَّغِير : ١ / ٥١ ح ٣١٠ ، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد : ٣ / ٩٣ ، تَفْسِير القُرطُبي : ٨ / ٣٢٨.

أُمِرْتَ﴾[١].

ثُمَّ شَهدَ لهُ وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢].

وَأَوضَح مِثَال للإِنْسجَام مَع الوَحي وَالتَّخلق بأَخلاَق ٱلْقُرْءَان ـ الحَادثَة التَاليَة:

أَنَّ جَاريَة كَانَت تَحْمل الإِبرِيق، وَتَسْكب المَاء ليَتَوضَأ، فَوَقع عَلَىٰ وَجْهه وَشَجّه. فَرَفع رَأسَه إِليهَا لاَئِماً، فَقَالَت:

﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾.

قَالَ: كَتَمتُ غَيظي.

قَالَت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

قَالَ: عَفوتُ عَنْكِ.

قَالَت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قَالَ: أَنْتِ حُرّة لوَجْه الله[٣].

لاَ يُدرَك الخَير إلاَّ بالجِدّ:

أَبَداً... لاَ جَبْر وَلاَ إِكرَاه فِي دِين الله، ولَكن فِيهِ حَرَج وَمَشقّة، بَل وَقَتل وَقتَال كَبِير فِي سَبِيل مَا هُو أَغلَىٰ مِن الرُّوح وَأَثمَن، وَلاَ وَزن للرُّوح بلاَ حُرّيّة وَكَرَامَة... أَجل، أَنَّ الله سُبْحَانَه لاَ يُكَلّف أَحداً مَا لاَ يَملك، ولَكن مَن الَّذِي لاَ يَملك نَفْسَه

---

(١) هُود: ١١٢.

(٢) ٱلزُّخْرُف: ٤٣.

(٣) الآيَة (١٣٤) مِن سُورَة آلِ عِمْرَانَ. أُنظر، تَأرِيخ دِمَشق: ٤١ / ٣٨٧، الدُّر المَنثُور: ٢ / ٧٣، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٣٩٦، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٩ / ١٢٥، رَوضَة الوَاعظِين: ١٩٩، كَشف الغُمّة: ٢ / ٢٩٨، الإِرشَاد: ٢ / ١٤٧.

وَبَيعهَا للرَّحمٰن أَو الشَّيطَان ؟ ... وَمِن هُنَا عَرض سُبْحَانَه عَلىٰ مَن آمَن بِهِ أَنْ يَشْتَري مِنْهُم الأَنْفُس بالجَنّة خَالدِين فِيْهَا ، كَمَا فِي الآيَة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[١].

أَمَّا الآيَات الَّتي تُوميء إِلَىٰ اليُسر وَالرَّحمَة ، وَنَفي العُسر ، وَالحَرَج فِي دِين الله وَشَرِيعَته - فَإِنَّ مَكَانهَا وَأَطَارهَا العِبَادَات ، وَالمُعَاملاَت ، وَمَا إِلَىٰ ذَلكَ مِمَّا يَعُود إِلَىٰ نظَام الحَيَاة الإِجْتمَاعيَّة ، وَلاَ صِلَة لَهَا إِطلاَقاً بمَا يَلقَاه المُنَاضلُون ضِدّ البَغي وَأَهلَه ، والشَّر وَفَاعِلَه . قَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢] ؛ وَقَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٣].

وَهَل بَعد هَذَا يُسَوّغ لسَاكت عَن الحَقّ أَنْ يُبَرّر تَجَاهلَه ، أَو تَحَايُله بآيَة :﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤]. ، وَروَايَة « لاَ ضَرَر وَلاَ ضِرَار »[٥]. وحَدِيث : « رُفع عَنْ أُمّتي تِسعَة أَشيَاء : الخَطَأ ، وَالنِّسيَان ، وَمَا اَستكرهُوا عَلَيه ، وَمَا لاَ يَعْلمُون ، وَمَا لاَ يُطيقُون ، وَمَا اَضطرُوا إِلَيهِ ، وَالطِّيرَة ، وَالحَسد ، وَالوَسوَسة فِي

---

(١) ٱلتَّوْبَة : ١١١.

(٢) ٱلْأَنفَال : ٣٩.

(٣) ٱلحَجّ : ٧٨.

(٤) ٱلحَجّ : ٧٨.

(٥) أنظر ، تَفسِير القُرطُبي : ٥ / ٤٨ ، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٢ / ٦٦ ح ٢٣٤٥ ، مَجْمَع الزَّوَائد : ٤ / ١١٠ ، مُسْنَد الشَّافعي : ١ / ٢٢٤.

الخَلق »[١] .

وَالخُلاَصَة : أَنَّ الآيَات ٱلْقُرْءَانِيَّة مِنْهَا مَا نَزَلت لتَحدِيد الوَاجبَات الخَاصّة كالصَّوم والصَّلاَة، أَو لتَحدِيد المُحرمَات كأَكل المِيتَة، وَشُرب النَّجس... وهَذِهِ تَقُوم، وَلاَ شَكّ، عَلىٰ أَسَاس اليُسر الَّذِي لاَ يَشُوبَه عُسر، ومِنْهَا تَأمُر وَتَحث عَلىٰ الجِهَاد فِي سَبِيل المَثل الأَعْلَىٰ، وهَذِهِ لاَ تَرحَم، وَتُرفق عَلىٰ الإِطلاَق، وَتُوصي بتَحمّل الأَذىٰ وَالصَّبر عَلىٰ الآلاَم.

قَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢] ؛ وَقَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾[٣] ؛ وَقَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٤] .

وهُنَاك آيَات أَوضَح كقَوْله تَعَالىٰ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٥] .

وَكُلّما كَان البَذل، وَتَحمّل الجُهد أَكْثَر تَضَاعَف الثَّواب، قَالَ سُبْحَانَه : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ

(١) أُنظر، فَتح البَاري : ٣ / ١٠٢، نَصب الرَّاية : ٣ / ٢٢٣، شَرح سُنن أبن مَاجه : ١ / ٦٥ ح ٩٠٨، سُبل السَّلاَم : ٤ / ٨٢، المُحلىٰ : ٥ / ١٩٣ ح ٦٣١، نَيل الأَوطَار : ٢ / ٣٦١.

(٢) ٱلنِّسَاء : ٢٥.

(٣) إِبْرَاهِيم : ١٢.

(٤) لُقْمَان : ١٧.

(٥) ٱلْحَشْر : ٩.

لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١].

نَزَلت هَذِهِ الْآيَة فِي الصَّحَابَة الَّذِين طَلَبُوا مُرَافقَة الْأَنْبِيَاء، وَدَفعُوا أَنْفسهُم لَهَا ثمناً. وفِيمَا يَلي نَذْكر أَمثلَة مِن موَاقفهُم الَّتي أَثنىٰ الله عَلَيهَا وَرَسُولَه.

الإيمان أولاً:

للْإِيمَان رَسُول وَتَعَارِيف، مِنْهَا: «الْإِيمَان إِقرَار بِاللّسان، وَتَصْدِيق فِي الجنَان، وَعَمل بالْأَركَان»[٢]. وَقَال الْإِمَام عَليّ عليه السلام: «الْإِيمَانُ مَعْرِفَة بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»[٣].

وفِي بَعْضَها الآخر: «الْإِيمَان عَملٌ كُلّه»[٤]. وَلاَ إِيمَان بلاَ عَمَل، ولَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ الْإِيمَان مَكَانَه القَلب، وَأَنَّه مَلَكة مِن مَلكَات النَّفس، ولَكنَّه لاَ يَتم وَيَستَقِيم إِلَّا مَع قوّة الْإِصرَار عَلىٰ العَمَل بمُوجِبه حَتَّىٰ وَلَو كَان العَمَل قَطْع الرُّؤوس، وَبَقر البطُون.

قَالَ عَبدالله بن جَحَش فِي وَقْعَة أُحد: «أَللَّهُمَّ أَنّي أُقسِم عَلَيكَ أَنْ أَلقىٰ الْأَعدَاء غَداً فَيَقتلُوني، ثُمَّ يَبقرُوا بَطْني، وَيَجدعُوا أَنْفي وَأُذني، ثُمَّ تَسأَلني فِيمَ تَمّ ذَلكَ؟.

---

(١) اَلتَّوْبَة: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) أنظر، أَمَالي الصَّدوق: ٣٤٠، كَنز الْعُمَّال: ١ / ٢٧٤ ح ١٣٦٢، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٣ / ٢٤٠ ح ٣٠٩٥، الكَافِي: ٢ / ٤٥ ح ١، الخِصَال: ١٧٩، صَحِيح أَبن حبّان: ١ / ٤٤٢.

(٣) أنظر، نَهج اَلْبَلاَغَة: اَلْحِكْمَة (٢٢٦).

(٤) أُنظر، الكَافي: ٢ / ٣٤ ح ١، دَعَائِم الإِسلاَم: ١ / ٤، وَسَائِل الشِّيعَة: ١١ / ١٢٤ ح ١. العَمَل أَثَر للْإِيمَان، وَمُسَبب عَنْهُ. فَإِطلاَق العَمَل عَلَيه فِيهِ ضَرب مِنَ التَّجوز. وَلَستُ أَتصور بحَال أَنَّ مَنْ لاَ يَعْمل يَكُون مُؤمناً، وإِنْ خُيّل إِلَيهِ، وإِلَىٰ الفُقهَاء بِأَنّه مُؤمِن مُتهَاون.

فَأَقُول: فِيكَ!!»[١].

ولَيْسَ هَذَا مُجَرّد أُمنيَة... كَلَّا، أَنّه صَرخَة الإِيمَان، وَلَهفَة الولَهَان إِلَىٰ رِضوَان الله وَمَغْفِرَته.

كَان عَمْرُو مِن أَصحَاب الرَّسُول، وَكَان رَجُلاً أَعْرَج، وَلَهُ بَنُون أَربَعَة يَشهدُون المَشَاهد مَع النَّبيّ، ويَوْم أُحد خَرَج أَوْلاَده مَع الرَّسُول، فَأَرَاد هُو الخُرُوج أَيضاً فَحَاول قَومه أَنْ يَحْبسُوه، وَقَالُوا لهُ: أَنْتَ رَجل أَعرَج، وَلاَ حَرَج عَـلَيك، وَقَـد ذَهَب بنُوك مَع النَّبيّ، وَمَاذَا تَبْغي بَعدَ هَذَا؟!.

فَقَال: يَذْهَب أَوْلاَدي إِلَىٰ الجنَّة، وَأَجْلس أَنَا عِندَكُم ثُمَّ أَخَذَ دِرقَته، وَذَهب وَهُو يَقُول: أَللَّهُمَّ لاَ تَردّني إِلَىٰ أَهلي، فَخَرج وَلحقَه بَعْض قَوْمه. يُكـلمُونَه فِـي القُعُود، فَأَبىٰ وَجَاء إِلَىٰ النَّـبيّ، وَقَـالَ لهُ: يَـارَسُول الله: أَنَّ قَـومي يُـريدُون أَنْ يَحْبسُوني عَن هَذِه المَكْرمَة وَالخُرُوج مَعَك، وَالله إِنّي أَرجُو أَنْ أَطَأ بعَرجَتي هَذِه فِي الجَنَّة.

فَقَال لهُ: أَمَّا أَنْتَ، فَقَدْ عَذَرك الله، وَلاَ جِهَاد عَلَيك، فَأَبـىٰ، فَـقَال النَّـبيّ ﷺ لقَوْمِهِ وَبَنِيه: لاَ عَيلَكُم أَنْ تَمنعُوه، لعَلَّ الله يَرزقَهُ الشَّهادَة، فَخَلّوا سَبِيله فَاَستُشهد رُضوَان الله عَلَيهِ»[٢].

قَالَ سُبْحَانَه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾[٣].

---

(١) أُنظر، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣/٢٢٠ ح ٤٩٠٢، الجِهَاد لِاَبن المُبَارَك: ١/٧٣ ح ٨٥، حلية الأَوليَاء: ١/١٠٩، المُصنّف لعَبدالرَّزَاق الصَّنعَاني: ٥/٢٦٢ ح ٩٥٥٢.

(٢) أُنظر، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ: ٩/٢٤ ح ١٧٥٩٩، الجِـهَاد لِابـن المُـبَارَك: ١/٥٩ ح ٧٨، صَـفوَة الصَّفوَة: ١/٦٤٦، الإِصَابَة: ٦/٤٥١، السِّيرَة النَّبويَّة: ٤/٣٩، تَفْسِير القُرطُبي: ٨/٢٢٦.

(٣) اَلنُّور: ٦١.

رَفقاً بعِبَاده الضُّعفَاء ، وَرَفض عَمْرُو أَنْ يَستَرِيح إِلَىٰ عَرجَته ، وَأَنْ يَكُون لهُ عُذْرَاً وَحُجّة ، وَأَبىٰ إِلَّا القَتل عَن إِصرَار وَعَمد ، وَأَقرّه النَّبيّ ﷺ عَلىٰ ذَلكَ[1] ، وَبَارَك شَهَادَته . . . وكُلّ مَا بَيْنَ هَذَا الأَعرَج الجَمُوح ، وبَيْنَ الَّذِين يَنتسبُون إِلَىٰ الله وَيتُوقُون إِلَىٰ جَنّته ، كَمَا يَتوهمُون ، ثُمَّ يَتملصّون مِن كُلّ وَاجب دِيني وَإِنْسَاني مُتعالِمين بالأَعذَار الكَاذبَة الخَاوِيَة .

وَفِي السِّيرَة العَطِرَة العَدِيد مِن هَذِهِ المَوَاقف ، وكُلّ وَاحد مِنْهَا يَدمَغ الإِنهزَاميِّين ، وَيَفضَح المُضَلِّلين .

الشَّهَادَة بأَكمَل صُورهَا :

كُلّ مَن قَاتَل وَقُتل بَيْنَ يَدي رَسُول الله ﷺ وَبأَمرٍ مِنْهُ فَهُو فِي عِدَاد المُدَافِعين عَن الإِسْلاَم وَالمُستَشهدِين مِن أَجْلهِ . مَا فِي ذَلكَ رَيب وَخلاَف . . . ولَكن هَل كَان خرُوج الإِمَام الحُسَين وَمَن قُتل مَعَه أَيضاً دفَاعَاً عَن الإِسْلاَم ؟ وَقَبل أَنْ نَبحَث عَن جوَاب هَذَا السُّؤَال نَتَساءَل : هَل كَان خرُوج الإِمَام بأَمرٍ مِن الله وَرَسُوله ؟ ؟ فَإِنْ كَان الجَوَاب « نَعَم » كَان قَتلىٰ كَرْبُلاَء بكَاملِهِم شُهدَاء الإِسْلاَم وَدِين ٱلْقُرْءَان . . . وإِلَّا كَان شَأنهم شَأن مَن أَلقىٰ بنَفْسه إِلَىٰ التَّهلكَة .

وَنُجِيب هَذَا السُّؤَال بمَا يَلي :

١ ـ وعَلىٰ وَجْه العُمُوم قَد تَعَدّدت الآيَات ٱلْقُرْءَانِيّة ، وَتوَاتَرت الأَحَادِيث النَّبويّة حَتَّىٰ ثَبَت بضَرُورَة الدِّين وَإِجمَاع المُسْلِمِين أَنَّ الجِهَاد ضِدّ البَغي وَالفَسَاد فِي الأَرْض حَتم لاَ مَفرّ مِنْهُ ، لأَنّه الرَّافد الأَوّل الَّذِي يَحيَا بِهِ الإِسْلاَم ، وَيَنمُو

---

(١) يَدلُ هَذَا عَلىٰ أَنَّ نَفي الحَرَج رُخصَة لاَ عَزِيمَة . (مِنْهُ ﷺ) .

الْإِيمَان، وَيستَتب الأَمن وَالنّظام، وَيُصَان الحَقّ وَالعَدل، والحُرّيَّة وَالكَرَامَـة... وَكُلّ هَذِهِ المَبَادِيء هِي الهَدَف الأَوّل مِن نَهضَة الحُسَين... والتّأرِيخ يَتَكلّم، وَهُو خَير الشّاهدِين. ومَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ الْإِمَام الحُسَين خَـرَج وَٱستُشهد بأَمـرٍ مِـن الله وَرَسُولَه.

٢- ذَكَر الفَيروز آبَادي فِي الجُزء الثّالث مِن فَضَائِل الخَمسَة: أَنَّ ٱبْن الأَثِير فِي أُسْد الغَابَة، وٱبْن حَجَر فِي الْإِصَابَة، وَالمُتّقي فِي كَنْز العُمّال، وَالمُحبّ الطّـبري فِي الذّخَائر، كُلّ هَؤُلآءَ قَالُوا: أَنَّ أَنَس بن الحَرث رَوىٰ عَن أَبِـيهِ الصّـحابي أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «أَنَّ ٱبْنِي هَذَا يَعْنِي الحُسَيْن يُقْتَل بأَرْض مِـنْ العِـرَاق فَـمَن أَدْرَكَه مِنكُم فَلْيَنْصرهُ»[1].

وَمِن أَجل هَذَا الحَدِيث الشّرِيف جَاهَد أَنَس بن الحَارث مَع الحُسَـين حَـتّىٰ ٱستُشهد[2]. وَبَدِيهي أَنَّ الأَمر بنُصرَة الحُسَين هُو أَمْر بكُلّ مَا صَنَع، وَأَنَّ مَن تَخَلف

(١) أُنظر، المُستَدرك عَلىٰ الصّحِيحَين: ٤/ ٤٤٠ ح ٨٢٠٢، مُسْنَد أَحْمَد: ٦/ ٢٩٤، الْإِصَابَة: ١/ ١٢١ رَقم «٢٦٦»، الآحَاد وَالمثَاني: ١/ ٣١٠ح ٤٢٩، المُعْجَم الكَبِير: ٣/ ١٠٩ح ٢٨٢١ و: ٢٣/ ٣٠٨ح ٦٩٧، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٣/ ٢٨٩، الثُّقَات لِابن حِبّان: ٤/ ٤٩، تَأرِيخ دِمَشق: ١٤/ ٢٢٤، مَـعرفَة الثُّقَات للعِجلي: ١/ ١٧، الرّوض النّضِير: ١/ ٩٣، تَهذِيب الكَمَال: ٦/ ٤١٠، تَأرِيخ ٱبـن الوَردي: ١/ ١٧٣، سُبل الهُدىٰ وَالرّشَاد: ١١/ ٧٥، يَنَابِيع المَودّة: ٣/ ٨، تَهذِيب ٱبـن عَسَـاكـر: ٤/ ٣٣٨، الجَرح وَالتّعدِيل للرّازي: ١/ ٢٨٧، تَأرِيخ البُخَاري الكَبِير: ١/ ٣٠ رَقم «١٥٨٣»، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٤٦ طَبعَة (١٣٥٦هـ)، أُسد الغَابَة: ١/ ١٣٢ و ١٤٦، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨/ ١٩٩.

(٢) أَنس بن الحَارِث الكَاهِلي: ذَكرَهُ الشّيخ فِي الرِّجَال فِي عِدَاد صَحَابَة رَسُول الله ﷺ وَنصّ عَلَىٰ أَنّه قُتل مَع الحُسَين. وَفِي عِدَاد أَصْحَاب الحُسَين دُون أَنْ يَنص عَلَىٰ مَقْتله.

أُنظر، رِجَال الشّيخ: ٤ و ٧١. وَقَدْ عَدّه ٱبْن حَجر فِي كِتَاب الْإِصَابَة فِي مَعْرفَة الصّحَابَة، وٱبْـن عَبدالبَر فِي الْإِستِيعَاب، وَالجَزري فِي أُسد الغَابة وَنصّ عَلَىٰ مَقْتله مَع الحُسَين. أُنظر، مُعْجَم رِجَـال ↔

عَن نُصرَته فَقَد حَادّ الله وَرَسُوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾[1].

٣ ـ ذَكَر صَاحِب أَعيَان الشِّيعَة السَّيِّد مُحسن الأَمين : أَنَّ الحُسَين حِينَ إِلتَقىٰ بالحُرّ وَأَصحَابه قَالَ : « أَيّهَا النَّاس أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال : مَن رَأىٰ سُلطَاناً جَائِراً ، مُستَحلاً لحَرَام الله ، نَاكِثاً لعَهْد الله ، مُخَالفاً لسُنَّة رَسُول الله ، يَعْمل فِي عِبَاد الله بِالإِثم وَالعُدْوَان ، فَلَم يُغَيّر مَا عَلَيه بفِعل وَلاَ قَول كَان حَقّاً عَلىٰ الله أَنْ يُدخِلَه مُدخَله . أَلاَّ وَإِنَّ هَؤُلاَء قَد لزَموا طَاعَة الشَّيطَان ، وَتَركُوا طَاعَة الرَّحمٰن ، وَأظهرُوا

↔ الحَدِيث : ٣ / ٢٣٢ . و : ٤ / ١٤٨ رَقم « ١٥٥٩ » .

وَذكرهُ سَيّدنا الأُستَاذ ونُرَجح أَنَّه مُتَحد مَع (أَنس بن كَاهل الأَسَدي) الَّذي ذَكَر فِي الزِّيَارَة ، والرَّجَبِيَّة وَعَدّه سَيِّدنا الأُستَاذ عُنوَانا مُستقلاً . فَإِنَّ الكَاهِلي أَسدي . وأَبن كَاهل نِسبَة إِلَىٰ العَشِيرَة .

وَذكرهُ أَبن شَهرآشُوب ، والخوَارزمي مُصَحفاً بـ(مَالِك بن أَنس الكَاهلي) . وَذكرهُ فِي البِحَار مُصَحفاً بـ(مَالِك بن أَنس المَالكي) وَصَححهُ بَعْد ذَلِكَ عَن أَبن نَما الحِلّي .

أُنظر ، المَنَاقب لِابن شَهر آشوب : ٤ / ١٠٢ ، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي : ١ / ١٥٩ و : ٢ / ١٨ ، بحَار الأَنوَار : ٤٥ / ٢٤ و ٢٥ ، مُثِير الأَحزَان : ٤٦ ، رِجَال أَبن دَاود : ٥٢ رَقم « ٢٠٩ » .

الكَاهِلي : بنُو كَاهل مِن بَني أَسد بن خُزَيمَة . مِن عدنَان ، (عَرَب الشّمَال) . شَيخ كَبِير السّن : لاَ بُدَّ أَنْ يَكُون ذَا مَنْزلة إِجتِمَاعيَّة عَاليَة بحُكم كَونه صَحَابياً . وَيَبدُو أَنَّه مِن الكُوفَة . فَقْد ذَكر أَبن سَعد أَنَّ مَنَازل بَني كَاهل كَانَتْ فِي الكُوفَة .

أُنظر ، الثُّقَات لِابن حِبَّان : ٤ / ٤٩ ، الإِصَابة : ١ / ٩٨ و ٢٧٠ تَحت رَقم « ٢٦٦ » ، تَأرِيخ دِمَشق : ١٤ / ٢٢٤ ، مَعرفَة الثُّقَات للعِجلي : ١ / ١٧ ، الرَّوض النَّضِير : ١ / ٩٣ ، تَهذِيب الكَمَال : ٦ / ٤١٠ ، تَأرِيخ أَبن الوَردي : ١ / ١٧٣ ، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد : ١١ / ٧٥ ، يَنَابِيع المَودَّة : ٣ / ٨ ، تَهذِيب أَبن عَسَاكر : ٤ / ٣٣٨ ، أُسد الغَابَة : ١ / ١٣٢ ، شَرح الأَخبَار : ٣ / ٢٤٥ ، الجَرح وَالتَّعدِيل للرَّازي : ١ / ٢٨٧ ، تَأرِيخ البُخَاري الكَبِير : ١ / ٣٠ رَقم « ١٥٨٣ » ، الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابن سَعد : ٦ / ٥٨ . (طَبْعَة لَيدن ـ أُوفسَت) .

(١) ٱلتَّوْبَة : ٦٣ .

الفَسَاد، وَعَطّلُوا الحُدُود، وَاَستَأثرُوا بِالفَيء، وَأحلُوا حرَام الله، وَحرّمُوا حَلاَله، وَأنَا أَحقّ مَن غَيَّر، وَقَدْ أَتَتني كُتبكُم، وَقَدِمَت عَليّ رُسلكُم بِبَيعتكُم، وَإِنّكم لاَ تُسلمُوني وَلاَ تَخذُلوني، فَإِنْ تَممتُم عَليَّ بَيْعَتكُم تُصيبُوا رُشدكُم، فَإنّي الحُسين بن عَليّ، وَاَبن فَاطِمَة بِنْت رَسُول الله ﷺ نَفسي مَع أَنْفسكُم، وَأَهلي مَع أَهلِيكُم، فَلَكُم فِيَّ أُسوَة. وَإِنْ لَم تَفْعَلوا، وَنَقَضتُم عَهْدكُم، وَخَلعتُم بَيعَتي مِن أَعنَاقكُم فَلعَمري مَا هِي لكُم بِنُكر، لَقَدْ فَعلتمُوهَا بِأَبي، وَأَخي، وَاَبن عَمّي مُسْلم بن عَقِيل، وَالمَغرُور مَن اَغتَرّ بِكُم، فَحَظكُم أَخْطَأتُم، وَنَصيبَكُم ضَيعتُم، وَمَن نَكَث فَإِنّما يَنْكث عَلىٰ نَفْسه»[1].

أي أَنْ يُعَاملهُ مُعَاملَة الجَائر الآثِم... فَهَل يَروي الإِمَام الحُسَين هَذَا عَن جَدّه وَلاَ يَعْمَل بهِ ؟.

٤ ـ تَدُلنا أَقوَال الحُسَين وَمَوَاقفه دَلاَلَة قَاطعَة أَنّه كَان يَرىٰ وَيَعتَقد أَنَّ الله سُبْحَانَه قَد كَتَب عَلَيهِ الخرُوج بنَفْسه، وَعيَاله، وَأَطفَاله، وَأَوجَب عَلَيهِ القِتَال أَيّاً كَانَت النَّتَائج وَتَكُون، وَأَنّه لَو سَكَت وَأَهمَل عَصىٰ الرَّحمٰن، وَخَالَف اَلْقُرْءَان... وَمِن هَذِهِ الدَّلاَئِل وَالموَاقف مَا ذكَرَه الشَّيخ المُفيد فِي الإِرشاد:

«أَنَّ شَيخاً مِن بَني عِكرمَة يُقَال لهُ عَمْرو بن لَوذَان قَالَ لِلإِمَام: اَنشُدك الله لمَا اَنْصَرفت، فوَالله مَا تَقدم إِلّا عَلىٰ الأَسنّة وَحدّ السُّيُوف ؟.

فَقَالَ لهُ الإِمَام: لَيْسَ يَخفىٰ عَليّ الرَّأي، وأَنَّ الله يَغْلب عَلىٰ أَمْره، فَوَالله لاَ

(١) أنظر، أَعيَان الشِّيعَة للسَّيِّد مُحسن الأَمين: ٤ / ٢٢٨ طَبْعَة (١٣٦٧ هـ). (مِنهُ ﷺ). وَتَأريخ الطَّبري: ٣ / ٣٠٧، و: ٤ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥، وَالكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٨٠.

يَدعُوني حَتَّىٰ يَستَخرجُوا هَذِهِ العَلقَة مِن جَوفي »[١] .

وَقَالَعليه‌السلام : « وَأَيّم الله لَو كُنتُ فِي جُحْر هَامَّة مِن هَذِه الهوَام لإسْتَخرجُوني حَتَّىٰ يَقضُوا بِي حَاجَتهُم ، وَالله ليعتَدن عَليَّ كمَا آعتَدت اليَهُود فِي السَّبت »[٢] .

وَقَالَعليه‌السلام : « وَالله لاَ يَدعُوني حَتَّىٰ يَسْتَخرجُوا هَذِه العَلَقة مِن جَوفِي فَإذَا فَعَلوا سَلَّط الله عَليهم مَن يَذلهُم حَتَّىٰ يَكُونوا أَذَّل مِن فَرَام المَرأَة »[٣] .

وَمَعْنَىٰ قَوْل الإِمَام : « لَيْسَ يَخفىٰ عَليّ الرَّأي » أَنَّه عَلىٰ عِلْم اليَقِين أَنَّه مَقتُول لاَ محالَة ، وَهَذَا صَرِيح وَوَاضح مِن قَوْلَه : « فَوَالله لاَ يَدعُوني حَتَّىٰ يَستَخرجُوا هَذِهِ العَلقَة مِن جَوفي » ولَكن مَاذَا يَصْنَع وَأَمر الله لاَ يَغلبهُ عَلَيهِ غَالب ؟ . . . وَسوَاء أكَان الأَمر هُنَا للتَّشرِيع أَم للتَّكوِين فَهُو حَتم بالنّسبة إِلَىٰ الإِمَام فكَيف يُعَانده وَيُخَالفه .

هَذَا ، إِلَىٰ أَنَّ الأَخبَار تَوَاتَرت عَلىٰ الإِمَام ـ وَهُو فِي طَرِيقهِ إِلَىٰ العرَاق ـ أَنَّ سيُوف النَّاس عَلَيهِ ، وإِنْ كَانَت قُلُوبهُم مَعَه ، كمَا قَالَ لهُ الفَرَزْدَق : « قُلُوبهُم مَعَك وَسُيُوفهُم عَلَيك »[٤] . وأَنَّ السُّلطَة قَتَلت رَسُوله الأَوَّل آبْن عمّه مُسْلِم[٥] ، وَالثَّانِي

---

(١) أُنظر ، الإِرشاد للشَّيخ المُفَيد : ٢٠٦ طَبْعَة (١٣٧٧ هـ) . (مِنهُ‌رحمه‌الله) .

(٢) أنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٢٨٩ و ٢٩٦ ، وَالكَامِل فِي التَّأرِيخ : ٣ / ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، وَالأَخبَار الطِّوَال : ٢٢٣ .

(٣) أنظر ، المَصَادر السَّابقَة .

(٤) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته .

(٥) مُسْلِم بن عَقِيل بن أَبِي طَالِب : أُمّه أُمّ وَلد يُقَال لَهَا (حَلِيلَة) وكَانَ عَقِيل آشترَاها مِن الشَّام . وَفِي الأَصل (حَيّلَة) ، وَالتَّصحِيح مِن الطَّبقَات الكُبرىٰ لإبْن سَعد : ٤ / ٢٩ طَبعَة لَيدن ، مقَاتِل الطَّالبيِّين : ٥٥ (علية) بِغَير ضَبط ، وَفِي نَسَب قُرَيْش : ٤٨ ، عُلَيَّة كَسُمَيَّة ، وَفِي كتَاب المُنَمق : ٤٠٢ (خَلِيلَة) مِن آل فَهرِيدي .

وَجّه بِهِ الحُسَين إِلَىٰ الكُوفَة ليَأخذ لهُ البَيْعَة عَلَىٰ أَهْلها ، فَخرج مِن مَكّة فِي مُنْتَصف شَهر رَمضَان سَنَة ستِين للهِجْرَة ، وَدَخل الكُوفَة فِي اليَوْمِ السَّادس مِن شَهر شوّال .

بَايَعهُ ثمَانِيَة عَشر أَلف ، وَقِيل بَايَعهُ خَمْس وَعشرُون أَلفاً . اَستطَاع اَبْن زِيَاد أَنْ يَكْتَشف مَقرّ مُسْلِم اَبن عَقِيل بمَعونَة جَاسُوس تَسَلل إِلَىٰ صفُوف الثُّوَار بَعْد أَنْ أَوْهَم مُسْلِم بن عَوسَجة أَنَّه مِن شِيعَة أَهْل البَيْت . فَقَبض اَبْن زِيَاد عَلَىٰ هَانِي بن عُرْوَة المُرَادِي ، وَاَضْطرّ مُسْلِم إِلَىٰ إعلاَن حَرَكته قَبل مَوعدهَا المُقَرّر ، وقَدْ حَاصر عُبَيد الله بن زِيَاد فِي قَصر الإِمَارة ، وَلَكن سُرعَان مَا تَفرق الجَمْع وَبَقي مُسْلِم وَحِيداً فَلَجأ إِلَىٰ بَيْت السَّيِّدة طَوعة الَّتي آوته ، وَحِين عَلِم اَبْنهَا بلاَل بِذَلِكَ أَخبَر عَبد الرَّحمٰن بن الأَشْعَث الَّذي أَخبَر اَبْن زِيَاد ، فَأَرسَل قوّة هَاجَمت مُسْلِماً فخَاض مَعْهَا ، مَعْرَكَة قَاسِيَة أُسر عَلَىٰ أَثرهَا ، وَقتلهُ اَبْن زِيَاد مَع هَانِي بن عُرْوَة وَأمر بِهمَا فَقَطع رَأْسَهُما فَأَرسَل بِهمَا إِلَىٰ يَزِيد بن مُعَاوِيَة ، وَشُدّت الحِبَال فِي أَرجُلهُما وَجُرّا فِي أَسوَاق الكُوفَة .

أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٥ / ٣٨٠ .

أُنظر ، وَقُوف مُسْلِم بن عَقِيل عَلَىٰ بَاب اَمرَأة يُقَال لهَا طَوعَة أُمّ وَلَد كَانَت للأَشْعَث بن قَيْس فَأعْتَقهَا فَتَزوّجها أُسَيد الحَضْرَمي فَوَلدَت لهُ بِلاَلاً وهُو الَّذي أَخبَر عَبدالرَّحمن بن مُحَمّد بن الأَشْعث بِمكَان اَبن عَقِيل عِند أُمّه .

وَبدَورَه أَخبَر اَبن زِيَاد ، وَبَعث مَع اَبن الأَشْعَث أَلف فَارس وَخَمسِمِئة رَاجل إِلَىٰ قِتَاله ، فَخَرج إِلَيهم مُسْلِم بِسَيفه عِندَما اَقْتَحمُوا عَلَيه الدَّار فَشَدّ عَلَيهم حَتّىٰ أَخرَجهُم مِن الدَّار ، ثُمّ أَشرفُوا عَلَيه مِن فَوق ظَهر البَيْت وَأَخذُوا يَرمُونه بِالحِجَارة وَيُلهبُون النّار فِي أَطنَاب القَصب ، فَخَرج عَلَيهم مُصلتاً سَيفه فِي السِّكة فَقَاتلهُم ، وَلذَا أَقبَل عَلَيه مُحَمّد بن الأَشْعَث ، وَقَالَ لهُ : يَا فَتىٰ لَكَ الأَمَان لاَ تَقْتل نَفسَك ، فَأَقبَل يُقَاتلهُم وَهُو يَقُول :

أَقْسَمتُ لاَ أُقْتَل إِلاّ حُرّا   وَإِنْ رَأيتُ المَوت شَيئاً نُكرَا

فَكَتب إِلَيه : إنّ رَجُلاً وَاحداً يَقْتل مِنْكُم خَلقاً كَثِيراً ، فَكَيف لَو أَرسلنَاك إِلَىٰ مَن هُو أَشدّ مِنْهُ قوّةً وَبَأْساً ؟ ـ يَعْنِي الحُسَينعليه السلام ـ فَكَتب الجَوَاب : إِنّما أَرْسَلتني إِلَىٰ سَيف مِن أَسيَاف آل مُحَمّد ... إِنّما بَعَثتني إِلَىٰ أَسد ضِرغَام ، وَسَيف حُسَام ، فِي كَفّ بَطل هُمَام ، مِن آل خَير الأَنَام . فَأَمدّه بِالعَسكَر الكَثِير ، ثُمّ حَمل مُسْلِم عَلَيهِم فَقتل مِنهُم خَلقاً كَثِيراً وَصَار جِلدهُ كَالقُنْفُذ مِن كَثرَة السِّهَام . فَقَال اَبن الأَشْعَث : لكَ الأَمَان يَا مُسْلِم . فَقَال لهُم : لاَ أَمَان لكُم يَا أَعدَاء الله ، وَأَعدَاء رَسُوله . ثُمّ إِنّهم حَفرُوا لهُ حَفِيرَة فِي

عَبدالله بن بَقْطر[١]، وَالثَّالث قَيْس بن مِسْهر الصَّيدَاوي[٢]، وَبَدلاً مِن أَنْ يَترَاجـع

↔ وَسَط الطَّرِيق، وَأَخفُوا رَأسهَا بِالدّغل وَالتُّرَاب، فَوَقع مُسْلِم فِي تِلكَ الحَفِيرَة، وَأَحَاطوا بِهِ فَضَربه ابن الأَشعَث عَلَىٰ وَجْهه بِالسَّيف فَشقّه، فَأوثقوه وآتوه إِلَىٰ ابن زِيَاد....

وَجَرت بَينَهُما مُحَاورَة طَويلَة ذَات معَانٍ عَالية مِن قِبل مُسْلِم بن عَقِيل... ثُمّ أَمر ابـن زِيَـاد أَنْ يُصعد بِمُسْلِم عَلَىٰ أَعْلَىٰ القَصر وَيُرمىٰ مِنْهُ، وَفِعلاً أَلقوه مِن أَعْلَىٰ القَصر وَعجّل الله برُوحه الطَّاهِرَة إِلَىٰ الجَنّة، ثُمّ أَخذُوا مُسلماً وَهَانياً فَأَلقوهُما فِي الأَسوَاق، فَبَلغ خَبر مُسْلم وَهَانِي إِلَىٰ مَـذحج فَـقَاتلُوا القَوم، فَغسّلوهُما وَدَفنوهُما رَحمهُما الله.

أُنظر، تَأرِيخ الطَّـبري: ٦/ ٢٠٧، ٥/ ٣٤٧، أَنْسَـاب الأَشـرَاف: ٥/ ٣٣٨، مـقَاتِل الطَّـالبيِّين: ١٧/ ١٦٢، الأَخبَار الطّوال: ٢٤٠، شَرح مقَامَات الحَرِيري للشّريشي: ١/ ١٩٢، اللُّهُوف: ٢٩ ـ ٣٠، المَعَارف لِابن قُتَيبة: ٢٥٣، الطَّبقَات لخَلِيفة: ١/ ٣٣١، الكَامِل لِابن الأَثِير: ٤/ ١٢٠، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ١/ ٢٠٨ و: ٢١٤ وَمَا بَعدهَا، نَفَس المَهمُوم: ٥٦، المنَاقب لِابن شَهرآشُوب: ٢/ ٢١٢.

وَأَنظر أَيضاً، مُثِير الأَحزَان: ١٧، أَسرَار الشّهَادة: ٢٥٩، تَأرِيخ الخَمِيس: ٢/ ٢٦٦، المُحبر لِابن حَبِيب: ٤٨١، مُختَصر تَارِيخ الدُّول لِابن العِبري: ١١٦، تَأرِيخ أَبِي الفِدَاء: ١/ ١٩٠، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨/ ١٥٧، تَأرِيخ ابن عَسَاكر: ٤/ ٣٣٢، الإِرشَاد: ٢/ ٤٥ ـ ٦٦، وَقعَة الطَّفّ: ٧٧، بـحَار الأَنـوَار: ٤٤/ ٣٢٤، يَنَابيع المَودّة: ٣/ ٥٦ ـ ٥٧، الإِمَامة وَالسِّيَاسَة: ٢/ ٨ ـ ١٠، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣/ ٥٧ وَمَا بَعدهَا، مُرُوج الذَّهب: ٢/ ٨٨، تَهذِيب التَّهذِيب: ٩/ ٦٤.

(١) عَبدالله بن يَقْطُر: رَضِيع الحُسين، كَان أَحد رُسله إِلَىٰ الكُوفَة. قَبض عَلَيه عُبيدالله بن زِيَاد، وَرَمىٰ بِهِ مِن فَوق القَصْر فَتَكسر، وقَام إِلَيه عَمْرُو الأَزْدِي فَذَبَحهُ، وَيُقَال: بَل فَعل ذَٰلِكَ عَبدالمَـلك بـن عُـمير اللَّخمي. أنظر، الإِرشَاد: ٢/ ٧٠ وهُو الَّذي بَعَثهُ الإِمَام الحُسين عليه السلام إِلىٰ أَهْل الكُوفَة عِلماً بِأَنّ الشَّيخ المُفِيد ذَكَره بِلَفظ: بَل بَعث أَخَاه مِن الرَّضَاعة، وَهُو كَذَا «يَقْطُر» فِي المَصَادر المُعْتَمدَة عِندَ الإِمَامِيَّة إِلاَّ أَنَّ ابن دَاود: ١٢٥ رَقم «٩٢٠» ذَكرهُ بِالبَاء ـ بَقْطُر ـ كَعَصْفُر ـ وَهُو قَول الطَّبري فِي تَأرِيخه: ٤/ ٣٠٠ و ٣٥٩، و: ٥/ ٣٩٨، البِدَاية وَالنّهاية: ٨/ ١٨٢، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤/ ٤٢، القَـامُوس المُـحِيط: ٢٧٦ الثّقَات لِابن حبّان: ٢/ ٣١٠، الإِصَابة: ٥/ ٨رَقم «٦١٨٠».

(٢) قَيس بن مِسْهر الصَّيدَاوي، أَسَدي، مِن عَدنَان، عَرَب الشّمَال شَاب كُوفي. مِن أَشرَاف بَني أَسَـد. أَحد حَمَلة الرَّسَائل مِن قِبل الكُوفيِّين إِلَىٰ الحُسَين بَعد إِعلاَن الحُسَين رَفضَه لبَيْعَة يَزِيد، وخُرُوجَه إِلَىٰ مَكّة. صَحِب مُسْلِم بن عَقِيل حِين قَدم مِن مَكّة مَبعُوثاً مِن قِبل الحُسَين إِلَىٰ الكُوفَة. حَمَل رِسَالة مِن ↔

مَضَىٰ إِلَىٰ العرَاق، وقَالَ لمَن مَعَه بَعد اليَأس: « بِسْم الله الرَّحمٰن الرَّحِيم: أَمَّا بَعد، فَإِنَّه قَد أَتَاني خَبر فَظِيع قَتْل مُسْلم بن عَقِيل، وَهَانىء بن عـرْوة، وَعَـبدالله بـن يَقْطُر، وَقَدْ خَذَلنَا شِيعتنَا فَمَن أَحبَّ مِنْكُم الإِنْصرَاف فَليَنصَرف فِي غَير حَـرج، لَيْس عَلَيه مِنَّا ذمَام»[1].

« فَتَفرق عَنْهُ النَّاس تَفرقَاً، فَأَخذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً حَتَّىٰ بَقي فِي أَصْحَابِهِ الَّذِين جَاؤوا مَعَه مِن مَكَّة»[2]، وإِنَّما فَعَل ذَلِكَ لأَنَّه ظَنَّ إِنَّما اتَّبعه الأَعرَاب لأَنَّهم ظَنوا أَنَّه

↔ مُسْلِم إِلَىٰ الحُسَين يُخبرَه فِيهَا بَيْعَة مَن بَايَع، وَيَدعُوه إِلَىٰ القدُوم. صَحِب الحُسَين حِين خَرَج مِن مَكَّة مُتوَجهاً إِلَىٰ العِرَاق، حَتَّىٰ إِذَا انْتهىٰ الحُسَين إِلَىٰ الحَاجر مِن بَطن الرَّمة حَمل رِسَالة مِن الحُسَين إِلَـىٰ الكُوفيِّين يُخبرهُم فِيهَا بقدُومه عَلَيهِم.

قَبَض عَلَيهِ الحُصَيْن بن نُمَير، فَأَتلَف قَيْس الرِّسَالة، وجَاءَ بِهِ الحُصَيْن إِلَىٰ عُبَيد الله بن زِيَاد الَّذي حَاول أَنْ يَعْرف مِنْهُ أَسْمَاء الرِّجَال الَّذِين أَرسَل إِلَيهِم كتَاب الحُسَين فَفَشل، فَأَمر عُبَيد الله بِهِ فَرُمي مِن أَعْلَىٰ القَصر (فَتَقَطع فمَات).

أنظر، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣ / ٩٢، مَقْتل الحُسَين للـخوَارزمـي: ١ / ٢٢٩ و ٢٣٥، و ٢٤٨ طَـبعَة آخر، بحَار الأَنوَار: ٤٤ / ٣٧٤، عوَالم العُلُوم: ١٧ / ٢٢٤، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف: ٣٢، المَلهُوف: ٦٤، كَشف الغُمَّة: ٢ / ٢٠٢، أَعيَان الشِّيعَة: ١ / ٥٩٥، وَقعَة الطَّفّ: ١٦٦، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٧٨، إِقبَال الأَعمَال: ٣ / ٣٤٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٦٢ و ٣٠٦ و: ٥ / ٣٩٤ ـ ٣٩٥، مَنَاقب آل أَبِي طَالب: ٣ / ٢٤١ و ٢٤٥، بـحَار الأَنـوَار: ٤٥ / ٣٣٣، و: ٩٨ / ٢٧٣ و ٣٤٠، العَـوَالم: ١٨٣، شَـرْح الأَخبَار: ٣ / ٢٤٥، المَزَار للشَّهِيد الأَوّل: ١٥٢، المَزَار للمَشهَدي: ٤٩٣، مُعْجَم رِجَـال الحَـدِيث: ١٥ / ١٠٣ رَقم « ٩٦٩٨ »، اللُّهُوف فِي قَتْلَىٰ الطُّفُوف: ٤٦، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٣٧، البِدَايَـة وَالنِّهايَة: ٨ / ١٨١، الأَخبَار الطِّوَال: ٢٢٩.

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٠٠، ٣ / ٣٠٣، الإِرشَاد: ٢ / ٧٥ طَبْعَة مُؤسَّسة آل البَيت عليهم السلام، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف: ٣٢، البِدَاية وَالنِّهاية: ٨ / ١٨٢، بحَار الأَنوَار: ٤٤ / ٣٧٤، أَعيَان الشِّيعَة: ١ / ٥٩٥، وَقعَة الطَّفّ: ١٦٦، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٤١ ـ ٤٣، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٧٩.

(٢) فِي روَايَة الطَّبري عَن أَبي مَخْنَف: « مِن المَدِينَة » وَنُرَجح أَنَّ هَذَا خَطَأً، فَأَثبتنَا نـصّ ابـن الأَثِـير: ↔

يَأتي بَلداً قَد اَستقَامت طَاعة أَهْله، فكَره أَنْ يَسيرُوا مَعَه إلاَّ وَهُم يَعلمُون عَلاَم يَقدمُون. وَقَدْ عَلِم أَنَّهم إذَا بَيَّن لَهُم لَم يُصحبَه إلاَّ مَن يُرِيد موَاسَاته وَالمَوْت مَعه»[1].

وقَالَ الدِّينَوَري:

«وقَدْ كَانَ صَحِبهُ قَوْم مِن مَنَازل الطَّرِيق فَلمَّا سَمعُوا خَبر مُسْلِم، وقَدْ كَانُوا ظَنّوا أَنَّه يُقدِم عَلَىٰ أَنْصَار وَعَضُد، تَفرقُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَبْق مَعْهُ إلاَّ خَاصّته»[2].

٣/ ٢٧٨. أُنظر، الفُصُول المُهمَّة لاِبْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ١٣٠، بِتَحقِّيقنَا، «مَكّة» وَفِيه أَيضاً: غَير حَرج لَيْس عَلَيه ذِمَامٌ، وَقَريب مِن هَذَا فِي تَأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٣٠٣، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٨٣، بحَار الأَنوَار: ٤٤ / ٣٧٤، عوَالم العُلُوم: ١٧ / ٢٢٥، أَعيَان الشِّيعَة للسَّيِّد مُحسن الأَمِين العَاملي: ١ / ٥٩٦، وَقعَة الطَّفّ لأَبي مَخْنَف: ١٦٧، مُنْتهىٰ الآمَال فِي توَارِيخ النَّبيّ والآل للشَّيخ عبَّاس القُمّي: ١ / ٦٠٦ طَبعَة نَشر جَامعَة مُدرسِين طَبعَة (١٤١٥ هـ) تعرِيب السَّيِّد هَاشم المِيلاَني، أَنسَاب الأَشرَاف: ١٦٨، الكَامل فِي التَّأرِيخ لاِبْن الأَثِير: ٣ / ١٨، ينَابِيع المَودّة: ٣ / ٦٢ طَبعَة أُسوة.

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥ / ٣٩٨ ـ ٣٩٩، وَاَبْن الأَثِير: ٣ / ٢٧٨. (مِنْهُ ﷺ). تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٠٠، وَالكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٧٨، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٧٩ مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ٢٢٩، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٧٥، الفُصُول المُهمَّة لاِبْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ١٣٠، بِتَحقِّيقنَا.

(٢) اُنظر، الأَخْبَار الطِّوَال: ٢٤٨ وَيَبدو أَنَّه قَدْ كَانَ يَسُود فِي تِلكَ الأَيَّام، حَتّىٰ فِي أَوسَاط الخَاصَّة مِن النَّاس، الإِعتقَاد بِأَنَّ أَمر الخِلاَفَة سَيَصِير إِلَىٰ العَلويين أَو - إِلَىٰ الهَاشميِّين بَوجه عَام.

فَفِي حَدِيث لَبْطة بن الفَرَزدَق الشَّاعر: أَنَّ عَبد الله بن عَمْرُو بن العَاص قَالَ لهُ حِينَ أَخبَره لَبْطة بلقَائه للحُسَين حِين خرُوجه مِن مَكّة: «وَيلَك، فهلّا اَتبعته، فوَالله ليَملكنَّ وَلاَ يَجُوز السِّلاح فِيهِ، وَلاَ فِي أَصْحَابه. قَالَ (لَبْطَة). فَهَمَمتُ وَالله أَنْ الحَقَ بِهِ، وَوَقع فِي قَلبي مَقَالته، ثُمَّ ذَكَرت الأَنبيَاء وَقَتْلهم فَصَدني ذَلِكَ عَن اللّحاق بِهِم. قَالَ: وكَانَ أَهْل ذَلِكَ الزَّمَان يَقُولُون ذَلِكَ الأَمْر، وَيَنتظرُونه فِي كُلّ يَوْم وَلَيلَة. قَالَ: وكَانَ عَبد الله بن عَمْرُو يَقُول: لاَ تَبلغ الشَّجرَة وَلاَ النَّخلة، وَلاَ الصَّغِير حَتَّىٰ يَظْهر هَذَا الأَمْر. أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥ / ٣٨٦ ـ ٣٨٧» نُلاَحظ أَنَّ دَاعي الإِتبَاع هُو الأَمل فِي أَنْ يَملك الحُسَين. وَلعَل كَثِيرِين مِن هَؤُلاَء الَّذِين اَتبعُوه مِن الأَعرَاب قَدْ تَأثرُوا فِي اَتبَاعهم لهُ بِهذَا الإِعتقَاد: أَنَّه لاَ بُدَّ أَنْ يَملك،

كُلّ هٰذَا وَغير هٰذَا يَدل بالقَطع عَلىٰ أَنَّ الإِمَام كَان يُؤمن ويُوقن أَنَّه يَسِير بأَمر مِن الله وَرَسُوله، وَمحَال أَنْ يُحِيد أَهْل البَيْت عَن سَبِيل مَرضَاته تَعَالىٰ، وَكَم أَعلَن الحُسَين وَكَرّر فِي كَرْبُلاَء: «رِضَا الله رِضَانَا أَهْل البَيْت نَصْبر عَلَىٰ بَلاَئِهِ وَيُوفِينا أُجُور الصَّابرِين، لَنْ تَشُذَّ عَن رَسُول الله لُحْمَته بَل هِي مَجْمُوعَة لهُ فِي حَظِيرَة القُدس تُقرُّ بِهم عَيْنه، وَيُنْجز بِهم وَعْدَه، مَن كَانَ بَاذِلاً فِينَا مُهْجَتَه، وَمُوطِّناً عَلَىٰ لقَاء الله نَفْسه فَلْيَرحَل مَعَنا فَإِنّني رَاحِل، مُصْبِحاً إِنَّ شَاء الله تَعَالىٰ»[١].

أَمَّا قَوْلَه: «تَبّاً لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ، وَتَـرَحاً، أَحِـينَ آسْـتَصْرَخْتُمُونَا وَالِـهِين، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُوجِفِينَ، سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً لَنَا فِي أَيمَانِكُمْ، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَـاراً أَوْقَدْنَاهَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُم، فَأَصْبَحْتُمْ إِلْباً عَـلَىٰ أَوْلِـيَائِكُمْ، وَيَـداً عَـلَيْهِمْ لأَعْدَائِكُمْ، بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوهُ فِيكُم، وَلاَ أَمَلَ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِم، أَلاَ الْحَرام مِنَ الدُّنْيا أَنَالُوكُم، وَخَسيسَ عَيْشٍ طَمَعْتُمْ فيهِ، مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كَانَ مِنَّا، وَلاَ رَأْيٍ تَفيَّلَ لَنَا

↔ وأَنَّه (لاَ يَجُوز السِّلاح فِيهِ، وَلاَ فِي أَصْحَابه) فَلمَّا اكتَشفوا - نَتِيجَة لمَقتل مَن أَخبَر الحُسَين بِإنَّهم قُتلُوا - أَنَّ السِّلاح يَجُوز فِي أَصْحَابه، تَفرقوا عَنْهُ.

وَهٰذَا الخَبر مَروي فِي مَقْتَل الخوَارزْمي: ١ / ٢٢٢ بصُورَة أُخرىٰ، وفِيهِ: «أَمَّا أَنَّه لاَ يُحِيك فِيهِ السِّلاَح».

وَنَعْتَقد أَنَّه قَدْ سَقَطت مِن الخَبر فِي الرِّوَايَتين بَعْض الحَلقَات الهَامّة الَّتِي تُصور بَعْض الإِعتقَادَات الشَّعبيَّة فِي ذٰلِكَ الحِين، وَتَأثِير العَامل السِّحري فِي موَاقف النَّاس.

وقَدْ عَاش لَبْطَة ابْن الفَرزدَق حَتّىٰ خَرج عَليّ أَبِي جَعْفَر المَنصُور مَع إِبرَاهِيم بن عَبد الله بن الحَسَن (قَتِيل بَاخَمرىٰ) وَجَعلهُ إِبرَاهِيم مِن قوَاده، وقَدْ قُتل بَعْد مَقْتَل إِبرَاهِيم. أُنظر، مقَاتِل الطَّالبيِّين: ٣٦٩. أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٩٠، مَقْتل الطَّالبيِّين: ٢٤٥، الثِّقَات لإِبن حِبَّان: ٧ / ٣٦١، بَيَان خَطَأ البُخَاري للرَّازي: ١٠٩، تَأرِيخ دِمَشق: ١٤ / ٢١٢، الجَرح وَالتَّعدِيل للرَّازي: ٧ / ١٨٣.

(١) أُنظر، شَرْح الأَخْبَار، القَاضِي النُّعمَان المَغربي: ١٤٦، كَشف الغُمَّة: ٢ / ٢٣٩، اللّهُوف فِي قَتْلَىٰ الطّفُوف: ٢٥.

فَهَلا ـ لَكُمْ الوَيلاَت ـ إِذْ كَرِهتُمُونا وَتَرَكْتُمُونا ، تَجَهَّمْتُمُوها وَالسَّيفُ مَشِيمٌ ، والجَأْشُ طَامِنٌ ، وَالرَّأيُ لمَا يَسْتَحْصِفْ ، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْهَا كَطَيْرَةِ الدُّبَا ، وَتَداعَيْتُمْ إِلَيْهَا كَتَداعِيْ الفِراشِ ، فَسُحقاً لَكُمْ يا عَبيْدَ الأَمَة ، وَشُذاذَ الأَحْزابِ ، وَنَبَذَةَ الكِتابِ ، وَنَفْثَةَ الشَّيْطانِ ، وَعَصَبَةَ الآثَامِ ، وَمُحَرِّفِيْ الكِتَابِ ، وَمُطْفِئي السُّنَنِ ، وَقَتَلَةَ أَوْلاَدِ الأَنبياءِ ، وَمُبِيدي عِتْرَةَ الأَوْصِياءِ ، وَمُلْحِقِي العَهَارَ بالنَّسبِ ، وَمُؤذي المؤْمِنِيْن ، وَصُراخَ أَئِمَّةِ المُسْتَهزِئيْن ، الَّذِيْن جَعَلُوا القُرآنَ عِضِين ، وَلَبِئْسَ مَا قَدمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ وَفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُون .

وَأَنْتُمْ ابْنَ حَرْبٍ وَأَشْياعَهُ تَعضُدُون ، وَعَنَّا تَخاذَلُون ، أَجَلْ وَاللهِ ، الخَذلُ فِيْكُمْ مَعْروفٌ ، وَشُجتْ عَلَيْهِ أُصُولُكُمْ ، وَتَآزَرَتْ عَلَيْهِ فُرُوعُكُمْ ، وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ . وَغَشِيَتْ صُدُورُكُمْ ، فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ ثَمَرَةٍ : شَجيً لِلْناظِرِ ، وَأَكْلَةً لِلْغَاصِبِ ، ايلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ النَاكثِين الَّذِيْن يَنْقُضُونَ الأَيْمَان بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ـ وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ـ فَأَنْتُمْ وَاللهِ هُمْ .

أَلاَ وَإِنَّ الدَعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْن بيْنَ السِّلَّة وَالذِلَّة ، وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّة ، يَأْبىٰ اللهُ لَنا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ ، وَجُدُودٌ طابَتْ ، وَحُجُورٌ طَهُرتْ ، وَأُنوفٌ حَمِيَّة ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّة ، لاَ تُؤثِرُ طَاعَةَ اللِّئَامِ عَلَىٰ مَصَارِعِ الكِرامِ ... أَلاَ وَإِنِي قَدْ أَعْذَرْتُ ، وَأَنْذَرْتُ ، أَلاَ وَإِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِه الأُسْرَةِ ، مَعَ قِلَّةِ العَدَدِ وَكَثْرَةِ العَدُوِّ ، وَخِذْلاَنِ النَّاصِر »[1] فَهُو لإِلقَاء الحُجّة وَكَفىٰ ، وَمِثلَه الإِحتجَاج عَلَيهِم بقَوله :

---

(١) أنظر ، الإِحتجَاج ، الشَّيخ الطَّبرسي : ٢ / ٢٥ ، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد : ٣ / ٣٤٤ ، النِّزَاع وَالتَّخاصم ، المَقرِيزي : ١٣٩ ، اللُّهوف فِي قَتلىٰ الطفُوف ، السَّيِّد ابن طَاووس : ٥٩ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٢ / ٢٩٢ ، البدَاية وَالنِّهاية : ٥ / ٨٣ ، السِّيرَة النَّبوِية لِابن كَثِير : ٤ / ١٣٧ .

« وَقَدْ أَتتني كُتبكُم، وَقَدِمَت عَليّ رُسلكُم بِبَيعتكُم، وَإِنَّكم لاَ تُسلمُوني وَلاَ تَخذلُوني » يُؤَيّد ذَلكَ أَنَّ الَّذِين رَغّبُوه فِي المُهَادنَة أَكْثَر مِمَّن طَلَب مِنْهُ الخرُوج، وَإِعْلاَن الثَّورَة.

خِلاَف لاَ جَدْوىٰ مِنهُ:

اَختَلف ثُلّة مِن شيُوخ إيرَان المُعَاصرِين فِي أَنَّ الإِمَام الحُسَين عليه السلام: هَل كَان يَعْلَم بأَنْ سَيُقتَل لاَ محَالَة، أَو غَاب ذَلكَ عَن عِلْمِهِ؟. وَلاَ جَدوىٰ أَو أَثَر دِيني أَو دُنيَوي لهَذَا الخِلاَف، لأَنَّ المَفرُوض أَنَّ الإِمَام ـ كَمَا أَشرنَا ـ مَا نَهَض وَجَاهَد إِلاَّ بَعد عِلْمَه وَيَقِينَه أَنَّ الله قَد فَرَض عَلَيهِ ذَلكَ، ومَعْنَىٰ هَذَا أَنَّه لاَ مَفرّ لهُ مِن الجِهَاد حَتَّىٰ وَلَو عَلِم بكُلّ مَا جَرىٰ وَحَدث... وَهَل مِن عَالِم بحَقِيقَة الحُسَين يَظنّ أَو يَتَصور أَنَّ الحُسَين يَحْجم عَن التَّضحِيَة بنَفْسه وَأَهْله مَع عِلْمَه وَيَقِينَه بأَنَّ هَذِهِ التَّضحِيَة فَرِيضَة وَاجبَة، وَجُنَّة وَاقيَة مِن غَضَب الله وَمَعصِيَته؟.

وَقَد مَرّ مَعنَا فِي فِقرَة الإِيمَان أَوّلاً أَنَّ الله سُبْحَانَه وَضَع الجِهَاد عَن عَمْرُو بن الجَمُوح لعَرجَته، فأَبىٰ إِلاَّ الإِسْتشهَاد مُقبلاً عَلَيهِ. بشَوق وَشَغف... فَهَل عَصَىٰ اَبْن الجمُوح رَبّه فَغَوىٰ؟ كَيف وَقَد بَارك رَسُول الله صلى الله عليه وآله شَهَادَته وَأَريَحيته؟. وَهَل اَبْن الجمُوح لرَبّه أَسمَع وَأَطوَع مِن الحُسَين؟ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]؟ وَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ؟.

وَالخُلاَصَة: أَنَّ السَّبب الأَوّل لنَهضَة الحُسَين هُو عِلْمَه، وَيَقِينَه أَنَّه مَأمُور بذَلكَ مِن رَبّ العَالَمِين فَاَستَمعَ وَصَدَعَ، وَقَالَ: « رِضَا الله رِضَانَا أَهْل الْبَيْت » كَمَا سَبقَت

(١) اَلصَّافَّات: ١٥٤.

الإِشَارَة . وَمَا عَدَا ذَلكَ مِمَّا قِيل فِي فَلْسَفه النَّضهَة الحُسَينيَّة فَهُو شَرْح وَبَيَان لعَظَمتها . وأَنَّ بهَا وبأَمثَالهَا مِن الثَّورَات والإِنتفاضَات يُطَاع الله وَالحَق ، وَيَعم الخَيْر ، وَيُحسَم الشَّر ... وفِيمَا يَلي تَلخِيص كَامِل لمَا قِيل قَدِيماً وحَدِيثاً فِي الثَّورَة الحُسَينيَّة .

فَلسَفَة الثَّورَة الحُسَينيَّة :

فَرَض يَزِيد عَلىٰ النَّاس ، وَانْتَصر البَاطِل فِي أَفظَع صُورَة ، وَاستَشرىٰ الظُّلم وَالفَسَاد حَتَّىٰ فَقَدت البَشريَّة إِحسَاسهَا ، وَخُيِّل إِلَيهَا أَنَّ الخَيْر وَالقِيَم أَوهَام ... وَتَجَاوزت المَسأَلَة الصِّرَاع بَيْنَ سُلطَة ظَالمَة ، وَفِئَة مَظلُومَة إِلَىٰ الصِّرَاع بَيْنَ الحَقّ وَالبَاطِل ، وبَيْنَ الفَضِيلَة وَالرَّذِيلَة ، لأَنَّ وَبَاء السُّلطَة كَان يَنْخَر فِي صَمِيم الكِيَان البَشري حَتَّىٰ أَوشَك أَنْ يُؤدي بهَا إِلَىٰ الفَنَاء .

وَهُنَا عَزَم الحُسَين عَلىٰ الثَّورَة بدَافع لاَ يَملك مَعَهُ التَّرَاجع حَتَّىٰ وَلَو أَرَاد ... فَمَضىٰ ولَيْسَ مَعَهُ إِلَّا العِيَال ، وَالصَّفوَة مِن الأَصْحَاب ، وَهُو يَعْلَم أَنَّ جَيْش العَدوّ سَيعتَرض سَبِيلَه وَتَكُون النّهايَة ، وَلَكن مَاذَا يَصْنَع ! وَطَبِيعَة الأَوضَاع تُحتّم عَلَيهِ أَنْ يُقَدّم فِديَة ضَخمَة يَهتَز لَهَا ضَمِير العَالَم كُلّه ... وَمَا مِن أَحد عَلىٰ وَجْه الأَرْض يَملك هَذِهِ الفِديَة الكُبرىٰ إِلَّا الحُسَين ، فَوَهبهَا عَن رَضىً لله وَللإِنْسَانيَّة ، وَهُو يَقُول بلسَان المَقَال أَو الحَال[1] :

إِنْ كَانَ دِينُ مُحَمَّد لَمْ يَسْتَقم ... إِلَّا بقَتْلي يَا سُيُوفُ خُذِيني

وَكَلمَة « لَمْ يَسْتَقم » تُشِير إِلَىٰ أَنَّ مَصرَع الحُسَين أَحيَا نفُوس أُمّة مُحَمَّد بَعد أَنْ

(١) أُنظر ، أَعيَان الشِّيعَة : ١ / ٥٨١ ، تَرَاث كَرْبَلاَء ، الشَّيخ مُحسن أَبو الحَبّ المُتوفىٰ (١٣٠٥ هـ) : ٨٦ .

أَمَاتها الأُمويُون بالإِرهَاب وَالرَّشوَة، وَأَنَّها ٱنتَقمَت مِنْهُم لحُرّيتهَا وَكَرَامتها وَصَاحَت: يَا لثَارَات الحُسَين... وَهِي تَعْني بكَلمَة الحُسَين دِين مُحَمَّد وَالإِنْسَانيَّة... وكَانَت هَذِهِ الأَصوَات قَبل مَصْرَع الحُسَين تَتَرَدّد أَلف مَرّة قَبل أَنْ تَتفوّه بحَرفٍ وَاحد ضِدّ السُّلطَة البَاغيَة... ثُمَّ أَصْبَحت ثَورَة الحُسَين مَع الأَيَّام النَّهج الوَاضع لخَلاَص المَحرُومِين، وَالمُعَذبِين، وَالرَّافد لصمُود كُلّ مُنَاضل وَمُجَاهد.

وَبهَذَا يَتَبيَّن مَعنَا أَنَّ ثَورَة الإِمَام الحُسَين تَخْتَلف عَن سَائِر الثَّورَات، لأَنَّ كُلّ ثَورَة لاَ تَتَغلّب عَلىٰ القَوي المُعَاند إِلَّا إِذَا ٱستَكمَلت العِدّة والعَدَد، مَا عَدَا ثَورَة الحُسَين فَقَد كَانَت نَفْسَه هِي القوّة، والعَدَد، وَالعِدّة، وَبهَا وَحدهَا تَغلّب عَلىٰ الطُّغَاة المُعتَدِين... أَجل، تسوّغ المُقَارنَة بَيْنَ ثَوْرَة الحُسَين، وَالفِدَاء عِند المَسيحيّين حَيْث قَالُوا: «أَنَّ السَّيِّد المَسِيح قَدَّم نَفْسَه للصَّلب وَتَحمّل الآلاَم ليُخَلصّ العَالَم مِن الخَطِيئَة مَع الفَارق بأَنَّ الحُسَين ضَحّىٰ بنَفْسه ليُخَلصّ الإِنْسَانيَّة مِن ظُلم وَعُدْوَان المُعْتَدِين.

كَربُلاء وَثَارَات بَدر وَأُحد:

أَمَّا الكَاتب المَصْري الشَّهِير الأُستَاذ عَبدالكَرِيم الخَطِيب ـ فَيَرىٰ أَنَّ الدَّافع الأَوَّل عَلىٰ قَتل الإِمَام الحُسَين وَأَهلَه هُو أَنَّ قُرَيْشاً أَرَادَت أَنْ تثأر لقَتلاَهَا فِي بَدْر وَأُحد مِن عِتْرَة النَّبيّ ﷺ قَالَ، مَا نَصّهُ بالحَرْف الوَاحد:

«لَو أَنَّ بطُولَة عَليّ كَانَت مَوضع شَكّ، أَو كَان إِنْفرَادَه بهَا مَوضع مُنَازعَة لمَا سَار الحَدِيث بهَا مَسِير المَثَل، فكَان مِمَّا قِيل فِيهِ وفِي سَيفَه: «لاَ فَتَىٰ إِلَّا عَليّ،

وَلاَ سَيْف إلّا ذُو الفِقَار »[١] . إنّ عَلِيّاً أَكْثَر المُسْلِمِينَ شِدّة عَلَىٰ مُشْرِكِي قُرَيْش ، وإِفْجَاعاً لهُم فِي الأَبْنَاء ، والآبَاء ، والأَعْمَام ، والأَخْوَال ، وهَذِه الإحَن عَلَىٰ عَليّ ، وتِلكَ التِّرَات فِي نفُوس قُرَيْش المُشْرِكَة ظلّت حَيَّة بَعد أَنْ دَخَلت فِي الإِسْلاَم . . . .

وَالَّذِي نُرِيدَه مِن هَذَا هُو أَنْ نَذكُر تِلكَ التِّرَات ، وهَذِهِ الإِحَن الَّتِي وَقَعَت فِي القُلُوب وَغَمزَت النُّفُوس فِي المَعَارك الَّتِي وَقَعت بَيْنَ المُسْلِمِين ، وَمُشركِي قُرَيْش ، وَمَا وَقَع فِيْهَا مِن صَرعىٰ . . . وَأَنْ نَذكُر أَنَّ تِلكَ الإِحَن وهَذِهِ النَّزوَات قَد صَادَفَت مِن قُرَيْش قَلباً خَالِياً مِن الإِيمَان بالله فَتَمكن الحُزن مِنْهَا ، وَاستَمَرّت الحَسرَة فِيْهَا عَلىٰ حِين أَنَّ مَا أَصَاب المُسْلِمِين فِي أَنفسِهِم وفِي أَهلِيهِم لَمْ يَكُن

---

(١) الرِّوَايَة المَشهُورَة هِي أَنّ جِبرَائِيل عليه السلام هُو الَّذِي كَان يُنَادِي : لاَ سَيْف إلّا ذُو الفقَار وَلاَ فَتىٰ إلّا عَليّ .

وقِيل : إِنّ رَضوَان عليه السلام هُو المُنَادِي ، وَهُما مَلكَان كَرِيمَان كمَا وَرد فِي كَنز العُمَّال : ٣ / ١٥٤ بعد أَنْ سَاق حَدِيث الإِمَام عَلِيّ عليه السلام يَوم بَيْعَة عُثْمَانَ فقَال عليه السلام : أَنَاشدكُم الله أَنّ جِبرَائِيل نَزَل عَلىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله فقَال : يَا مُحَمّد : لاَ سَيْف إلّا ذُو الفقَار وَلاَ فَتىٰ إلّا عَليّ . فهَل تَعْلمُون هَذَا كَان لِغَيْرِي ؟ وَوَرد في ذَخَائِر العُقبَىٰ : ٧٤ أَيضاً عَن الإِمَام أَبِي جَعفر مُحمّد بن عَليّ عليه السلام قَال : نَادىٰ مَلك مِن السَّمَاء يَوم بَدْر يُقَال لهُ رضوَان ، أَنْ : لاَ سَيْف إلّا ذُو الفقَار وَلاَ فَتىٰ إلّا عَليّ . ووَرد فِي الرِّيَاض النَّضرة : ٢ / ١٩٠ ، وَالمنَاقب لِابْن المغَازلي : ١٩٧ـ١٩٩ ح ٢٣٤ و ٢٣٥ .

وأُنظر ، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد : ١ / ٢٨ ، و : ٧ / ٢١٩ ، و : ١٠ / ١٨٢ ، و : ١٤ / ٢٥١ ، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ : ٢ / ١٩٧ و ٥١٤ ، فرَائد السِّمطَين : ١ / ٢٥٦ـ٢٥٨ ح ١٩٨ و ١٩٩ ، تَأرِيخ دِمَشق : ١ / ١٤٨ ح ٢١٥ و ١٦٧ ، المنَاقب للخوَارزمي : ١٦٧ و ٢١٣ طَبْعَة الحَيدريَّة ح ٢٠٠ ، كفَاية الطَّالب : ٢٧٧ ، ابن هِشَام فِي السِّيرة : ٣ / ٥٢ و ١٠٦ ، سُنن البَيْهَقِيّ : ٣ / ٢٧٦ ، المُسْتَدرَك : ٢ / ٣٨٥ ، الرِّيَاض النَّضرة : ٣ / ١٥٥ ، مِيزان الإِعْتِدَال : ٢ / ٣١٢ و ٣١٧ ، و : ٣ / ٣٢٤ طَبْعَة بَيرُوت ، الكَامِل فِي التَّأرِيخ : ٢ / ١٠٧ ، تَذكرة الخَوَاصّ : ٢٦ ، مَجْمَع الزّوَائد : ٦ / ١١٤ و ١٢٥ ، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ : ٢ / ١٩٧ طَبْعَة آخر ، رَبيع الأَبرار : ١ / ٨٣٣ ، مَعارج النُّبُوَّة : الرُّكن الرَّابع : ١٠٧ و ١٦٨ طَبْعَة لكنهو ، الأَغَاني لأَبِي الفَرج الاِصفهانِي : ١٥ / ١٩٢ ، نُظم دُرر السِّمطَين للزَّرندِي : ١٢١ .

لِيَجد لهُ مَقَامَاً فِي نفُوس آمَنت بالله، وَآثرَت المَوْت عَلىٰ الحَيَاة، وَطَلَبَت الشَّهَادَة وَتَعجِيلهَا فِي سَبِيل الله.

هَذِهِ الإِحن وتِلْكَ التِّرَات الَّتي وَقَعت فِي نفُوس قُرَيْش المُشركَة قَد ظَلّت حَيّة فِيْهَا بَعد أَنْ دَخَلت فِي الإِسْلاَم هَذَا الدّخُول العَامّ الَّذِي كَان عَن قَهر أَكْثَر مِنْهُ عَن نَظر، وَإقتنَاع.

وَسَنَرىٰ آثار ذَلكَ وَشوَاهدَه حِينَ يُمتَحن المُسْلمُون بتِلْكَ الفِتَن الَّتي أَطَلّت برُؤوسهَا بَعد مَوْت النَّبيّ تَنَاولت قُرَيْش بِسيُوفهَا شِيب بَنِي هَاشم، وشَبَابهَا، وصِبيَانهَا، وشَرّدَت عقَائِلهَا، وحرَائِرهَا، وكَأَنّما تَثأر بهَذا لِقَتلاَها فِي بَدْر وأُحُد، وحَسبُنا أَنْ نَذْكر هُنا مَصرَع الحُسَيْن وَآل بِيْتَه فِي كَرْبُلاء، ومَا تَلا ذَلِكَ من وقَائِع»[١].

وَلَو قَالَ هَذَا كَاتب شِيعي لقَامَت الدُّنيَا وَلَم تُقعد مَع أَنَّ لهُ أَصلاً أَصِيلاً فِي كِتَاب الله، وَسُنّة نَبيّه. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[٢].

وجَاء فِي الحَدِيث النَّبوّي أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ يَرىٰ يَوْم القِيَامة أَكْثَر أُمّته تَدخُل النَّار. وَحِينَ يَسأَل عَنْ السَّبب وَيَقُول «يَا ربِّ، أَصحَابي أَصحَابي! فَيُقال لهُ: إِنَّك لاَ تَدري مَا أَحدثُوا بَعْدك»؟[٣]. وَفِي حَدِيثٍ آخر قَالَ: فَأَقُول سُحْقَاً

---

(١) أُنظر، كِتَابَه «عَليّ بن أَبِي طَالب بَقِيّة النُّبُوَّة، وخَاتَم ٱلْخِلاَفَة: ١٤٥، ومَا بَعدَها طَبعَة سَنَة (١٩٦٧م). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) آلِ عِمْرَانَ: ١٤٤.

(٣) أُنظر، صَحِيح البُخاريّ: ٥/ ٣٤٠٧ح ٦٢١٥و: ٩/ ٨٣ح ٣، صَحِيح مُسلم: ٤/ ١٧٩٦ح ٢٢٩٧، ↔

سُحْقَاً » ؟[١] . وَمِن الأَحدَاث الَّتي عَادَت عَلىٰ الإِسْلاَم والمُسْلِمين بـالنَّكبَات وَالكَوَارث ـ تَولِيَة مُعَاويَة عَلىٰ الشَّام الَّتي تَمَخضَت عَن أَفْدَح السَّيئَات ، ومِنْهَا خلاَفَة يَزِيد .

↔ مُسنَد أَحمَد : ٣ / ١٤٠ ، ٢٨١ ، المُوطّأ : ٢ / ٤٦٢ ح ٣٢ ، المَصَابِيح ، لأَحمَد بن إِبْرَاهِيم : ٢٦١ ، بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرِفة المَذهَب : ١٧٨ .

(١) أنظر ، سُنن ابن مَاجه : ٢ / ١٤٣٩ ح ٤٣٠٦ ، مُسْنَد أَحمَد : ٦ / ٢٩٧ ، مصَابِيح السُّنَّة : ٣ / ٥٣٧ ح ٤٣١٥ .

حَرْم الإِمَام الحُسَين عليه السلام
هُدىً وَذِكْرىٰ لِلعَالَمِين

العَادَة وَالتَّفكِير:

قِيلَ: أَنَّ العَادَة كَالعَاطِفَة تُعمي العَقل عَن الوَاقع، وَتَصدّه عَن التَّفْكِير... وَلَكن قَد تَكُون العَادَة نَفس التَّفْكِير، وَالبَحْث الدَّائِب، وَالدّرَاسَة مِن غَير تَوقُف. ذَلكَ هُو دِيني وَدَيدَني، وَلَولاَه مَاكَتَبتُ وَأَنْتَجتُ... وَأَمْس تَصَفحتُ ـ عَلىٰ عَادتي فِي كُلّ يَوْم ـ الجَرَائِد، وَالمَجلَّات فَرَأيتُ مقَالاً مُطولاً فِي مَجلّة الطَّليعَة المَصْريَّة عَدَد حُزيرَان (١٩٧٤م) لأَدِيب ـ أظنّه مَصريًّا ـ قَضَىٰ أَيَّامَاً فِي العرَاق مَع الأُدبَاء وَأَهْل الفَنّ، وَزَار العَتبَات المُقَدَّسَة، وَتَحدّث فِي مَقَاله الطَّويل عمَّا رَأىٰ وَسَمع.

وَالفَصل الَّذِي أَنَا الآنْ بصَدَده هُو وَعُنوَانه مِن وَحي مَاكَتَب هَذَا الأَدِيب، وَمِن فَقرَة «طَابُوا الشُّهدَاء» أَنْقُل للقَارىء مَا أَحسّه الكَاتب مِن نَفْسَه، وَتَصوره فِي خَيَاله، وَهُو يُشَاهد قُبَاب الوَحي وَمنَائِرَه.

جمهُور الشّيعَة:

لحَيَاه الإِمَام الحُسَين عليه السلام صُور وَجهَات تَمَامَاً كَالحَقِيقَة تَحتَوي العَدِيد مِن المَبَادىء، وَالآرَاء، وَالمُعْتقدَات... ولَكن جمهُور الشّيعَة يَنظرُون إِلَىٰ الإِمَام

الحُسَين نَظرَة جزئيّة، وَمِن زَاوية خَاصّة هِي أَنّه سِبط الرَّسُول، وَريحَانَته، وسَيِّد شَبَاب أَهْل الجَنّة، وَأَنَّ أُميّة أوغَلَت فِي البَغي، وَتسَابقت إِلَىٰ الفتْك بِهِ، وَبأَهـلَه تَمَامَاً كالوحُوش المُفترِسَة الضَّاريَة تَتسَابق إِلَـىٰ فَـرِيستهَا... وَمِـن هُـنَا قَـرَأنا لشُّعْرَاء الشِّيعَة القَصَائِد النَّائحَة البَاكيَة عَلىٰ الحُسَـين، وَنَـعَته عُـلمَاؤهُم بـقَتِيل العَبرَات، وَأَسِير الكُربَات، وَوَضع بَعْضهُم فِيهِ وفِي سَائِر أَهْل الْبَيْت كتَابَاً ضَخمَاً سَمّاه الدَّمعَة السَّاكبَة[1].

وَالكثرَة الكَاثِرَة مِن خُطبَاء الحُسَيني يَهتمُون ببَلوىٰ أَهل الْبَيْت وَمـحَنهم وَلاَ يَهتمُون ورُبَّمَا لاَ يَفنطوُن إِلَىٰ أَسبَابهَا وَالعِبرَة فِيْهَا وَالعِظَة أَو يَفطنُون، وَلَكن العَجز يَقطَع عَتَب العَاتب.

وَقد يَكُون هَذَا مِن تَقلِيد الخَلف للسَّلف، وَالتَّقلِيد ـكَـمَا هُـو مَـعلُوم ـالدّاء العيَاء... وعَلىٰ أَيّة حَال فَقَد كَان للشِّيعَة الأَوَائل عُذرهُم فِي الوقُوف عِندَ النّيَاحَة وَإِشَاعَة كُلّ مَا حَلّ بأَهل الْبَيْت وَكَفىٰ حَـيْث كَـان مِـن قَـصدهم الدّعَـايَة ضِـدّ الأُمويِّين، بَل وَالعبَّاسيِّين أَيضَاً وَتَهدِيدهُم ـوَلو بالإِشَارَة وَالإِيمَاء ـأَنَّ عَاقِبَتهُم لَن تَكُون خَيراً مِن عَاقبَة الَّذِين مِن قَبلِهِم.

واليَوْم لاَ أُميَّة وَلاَ عَبَّاسيَّة، بَل نضَال ضِدّ التَّخلف وَالجمُود، وَضِدّ العُنصريَّة، وَالصّهيُونيَّة، والإِسْتعمَار، وَالإِستغلاَل، وَلاَ شَيء أَكثَر خِصباً وَإِشرَاقاً فِـي هَـذَا المَيْدَان مِن حَيَاة الحُسَين. فَهَل مِن بَأس لَو جَمَع الخَطِيب الحُسَيني بَـيْنَ مِـحنَة الطَّفّ وَدوَافع البَطَل الثّوري، وَأَهدَافه الوَاعيَة النَّافعَة ؟.

(١) أُنظر، حَيَاة مُحَمّد بَاقر البَهبهَاني الدّهشتي النَّجفي.

لو لَمْ يَستَشهد الحُسَين عليه السلام مَات قَهرَاً:

وأَيضاً غَير الشّيعَة مِن أَرباب الأَقلاَم نَظرُوا إِلىٰ الإِمَام الحُسَين مِن جَانب وَاحد، وَنَظرَة جُزئِيّة وَلَكنّها عَظِيمَة وَمُهمَة، وهِي جُرأَته وجُودَه بنَفسه وَأَهْلَه وَصَحبَه لخِدمَة الإِنْسَان وَضِدّ أَعدَاء العَدل والحُرّيّة. قَالَ الأُستَاذ أَحمَد عبَّاس صَالح فِي كتَاب اليَمِين وَاليَسَار فِي الإِسْلاَم ـ مَا لَفظَه أَو مَعنَاه: «كَان الحُسَين يَملك مَزَاجاً ثوريّاً عَجِيباً يَدفعهُ إِلىٰ الثَّورَة ضِدّ الفَسَاد فِي الأَرْض وَلاَ يُبَالي بالخَطَر المِلحق... وَلَو لَم يَطلب النَّاس مِنهُ الخرُوج لمُحَاربَة يَزِيد لكَان قَد خَرَج أَيضَاً أَو مَات قَهرَاً... ثُمَّ تَسَاءَل الكَاتب، وقَالَ: لاَ أَدري لمَاذَا يُؤثّر البَطَل الثَّوري القَتل وَحُجرَات التَّعذِيب عَلىٰ التَّرَاجع وَالسَّلاَمَة فِي اللَّحظَات الحَاسمَة؟.

وَنَجد الجَوَاب عَن هَذَا التَّساؤل فِي قَوْل الإِمَام الحُسَين عليه السلام: «لاَ أَرىٰ المَوْت إلاَّ سَعادَةً، وَالحَيَاة مَعَ الظَّالِمِيْنَ إِلاَّ بَرَماً»[1]. وَمِن قَبل قَالَ أَبُوه أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام لأَصحَابه: «فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلاَ وَإِنَّ مُعَاوِيَة قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ، وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّىٰ جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٣/٣٠٧، العقد الفَرِيد: ٢/٢١٨، حلية الأَوْلِيَاء: ٢/٣٩، مَقتل الحُسَين للخوَارزمي: ٢/٣، مُنْتَخب تَأرِيخ اَبْن عسَاكر: ٤/٣٣٣، تَأرِيخ اَبْن عسَاكر: ١٤/٢١٨، تَرجَمة حَيَاة الإِمَام الحُسَين لِابْن عسَاكر: ٣١٥، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب الإِمَام عَليّ لِابْن الدِّمَشْقِي: ٢/٢٧٠، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٣/٦٢، كَشف الغُمَّة: ٢/٢٤٢، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٣/٣١٠، نُظم دُرر السِّمطِين: ٢١٦، نُزهَة النَّاظر وَتَنبِيه الخَاطر: ٨٨ ح ٢٦، مَجمَع الزَّوائِد: ٩/١٩٢، ذَخَائِر العُقبَىٰ: ١٥٠، منَاقب آل أَبِي طَالب: ٣/٢٢٤، شَرح الأَخبَار: ٢/١٤٩، تُحف العُقول: ٢٤٥، وَسِيلة المآل لِلحَضرمِي: ١٩٨، دُرّ السّمط فِي خَبَر السِّبط: ١٠٣، تَأرِيخ الإِسْلاَم: ٢/٣٤٥، الإِتحَاف للزُّبِيدي: ١٠/٣٢٠.

الْمَنِيَّةِ »[1]. ومِن أَقْوَاله : « إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ ! وَالَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِـي طَـالِبٍ بِيَدِهِ ، لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَـلَىٰ الْـفِرَاشِ فِـي غَـيْرِ طَـاعَةِ اللهِ »[2] !.

طَابُور الشُّهدَاء :

سَبَقَت الإِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ هَذَا الفَصْل مِن وَحي المقَال المَنشُور فِي مَجلَّة الطَّليعَة حُزيرَان (١٩٧٤ م)... وكَاتبهُ الأُستَاذ فَارُوق عَبدالقَادر ، وَعُنوَانـه « أَصـوَات وَأَلوَان » وَيَهمنَا مِنْهُ الجُزء التَالي :

« مَلأتُ عَيني بـزيَارَة العَـتبَات... رَأَيتُ الكَـاظميَّة ، وَالكُـوفَة ، وَالنَّـجف ، وَسَامرَاء : قُبَاب ، وَمَآذن الذَّهب ، مَلاَيين المَرَايا الصَّـغِيرَة ، وَالنَّـقُوش الزَّاهـيَة ، وَالزَّخَارف الرَّائعَة تُجَسّد شَوق الإِنْسَان إِلَىٰ البـطُولَة ، وَالفِـدَاء... وَفِـي بَـاحَة الكَاظميَّة لاَفتَات تَمنَع دخُول السَّافرَات وَتَلعَنهُنَّ... وَرَأيتُ رَجُلاً يَلبَس السَّوَاد يَروي مَشَاهد مِن ٱسْتشهَاد الحُسَين ، وٱلنِّسَاء مِن حَـولَه كَـومَة سَـوَاد ، تَـنْشج وتُعْول حُزناً عَلىٰ الشَّهيد ».

« وَفِي مَسجِد الكُوفَة ضَريح مُسْلِم بن عَقِيل ، وَآخر لاَ يَقل عَنْهُ رَوعَة وَفخَامَة لِهَانيء بن عُروَة... وَمَسَّ قَلْبي أَنْ تَجد الشَّخصيَات الثَّانويَّة ـ أَي بالنِّسبة إِلَـىٰ الحُسَين ـ مكَانهَا اللاَّئق... وفِي هَذَا المَسجِد تُدهمَك صُورَة التَّأرِيـخ... كَأنَّك تَرىٰ حَيدرَة أَسد الله الغَالب يَهوىٰ صَرِيعاً إِلَىٰ جَانب مِنْبَره ، وَكأَنَّ الكَلمَة الَّتي فَاهَ

---

(١) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلخُطْبَة (٥١).

(٢) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : مِن كَلاَمٍ لَهُ عليه السلام قَاله لأَصْحَابه فِي سَاحَة الْحَرْب بصِفِّين رَقم (١٢٣).

بهَا « فُزتُ وَرَبِّ ٱلْكَعْبَة »[١]. جَسدّتهَا الرِّيح، وَكَأنّك تَرىٰ مُسْلِمَاً يَدُور لائبَاً فِي أَزقّة الكُوفَة جَرِيحاً مُطَارداً، وَأَغلَقت البيُوت دُونه أبوَابـهَا، والآذَان صُـمّ فَـلاَ تَسمَعه، وَالْإِرهَاب الأُموي يُحِيط بكُلّ شَيء، وَكَأنّك تَرىٰ وَالي الكُوفَة يَـقْبَض عَلَيهِ وَيَضرب عُنقَه، وَلاَ يَكتَفي، بَل يُلقي الجُثّة مِن فَوق القَصر تَخويفاً وَنَذِيرَاً ».

« وفِي كَرْبُلاَء بالقُرب مِن ضَرِيح الحُسَين ضَرِيح لاَ يَقل عَنْهُ رَوعَة وَفـخَامَة لأَخِية العبَّاس الفَارس الجَمِيل، قُطعَت يَدَاه وَسَاقَاه، وَرُشقَت عَـينَاه بـالسّهام، وَهُو لاَ يَفلت الرَّايَة، الصَّاحب ٱبْن البَدويَّة قَمَر بَني هَاشِم ٱبْـن أَبـي طَـالب... تَتَخيَّل، وَأَنتَ فِي كَرْبُلاَء طَابُور الشُّهدَاء مُنذ تَأرِيخهُم الأَوَّل إِلَـىٰ يَـومهِم هَـذَا، تَتَخيلَه غَارقَاً بالدَّم وَالتَّعذِيب كَي يُقِيم الحُجّة عَلىٰ الكُسَالىٰ وَالخَامِلين، وَيَلعَن المُسَاوِمين، وَبَاعَة الدَّم المَسفُوك ».

« قَبر الحُسَين مَحجّة وَمَزَار، وَقَبر مُعَاويَة فِي الصَّمت البَارد لاَ أَحد يَعرِفه إِلَّا إِذَا دُلّ عَلَيهِ، وَتَحتَ أَقدَام عَليّ تَستَلقي ثَروَات العَالَم... تَاج الشَّاه المُرصّع بالدُّر وَالجَوهَر، وَثَروَات الأَغْنيَاء... وعَلىٰ مَن وَقَف عِندَ مُنعَطف الطَّـرِيق أَنْ يَـختَار

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٥ / ١٤٣، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٢٩ و٤٧، طَبقَات ٱبْـن سَـعَد: ٣ / ٣٥، أَنْسَـاب الأَشْرَاف: ٢ / ٤٨٩ و٤٩٩ و٥٢٤، مُرُوج الذّهب: ٢ / ٤١١، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ١٥٩، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٣٨٩، منَاقب الخوَارزمي: ٣٨٠ ـ ٤١٠، منَاقب أَبن شَهرآشُوب: ٣ / ٣١١، تَأرِيخ أَبن عَسَـاكـر: ٣ / ٣٦٧ ح ١٤٢٤، أَنْسَـاب الأَشـرَاف: ١ / ٤٨٨ و٤٩٠، تَأرِيـخ دِمَشـق: ٣٨ / ٩٧، و: ٣ / ٣٠٣ ح ١٤٠٢ وَمَا بَعدهَا، كَنْز الْعُمَّال: ١٣ / ٦٩٧، ٱلْفَتْح الرَّبَّاني: ٢٣ / ١٦٣، والْحَاكِم فِي المُسْتَدرَك: ٣ / ١٤٤، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ١١٠ فَضَائِل عليّ عليه السلام، الصَّوَاعِق الْمحرِقَة: ١٣٣ بَاب ٩ فصل ٥، الْفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢ / ٢٧٦، الإِسْتِيعَاب: ٣ / ٥٩، أُسد الغَابَة: ٤ / ٣٨، يَنَابِيع المَوَدَّة: ١٦٤، أَرجَح المطَالب: ٦٥١.

أَين يَكُون »[١].

هٰذَا الكَاتِب:

وَهٰذَا الكَاتِب لَيْسَ شِيعيّاً، وَلاَ نَشأ وَتَرعرَع فِي بِيئَة التَّشيُّع، وَلاَ حَضَر فِي صباه مَجَالس التَّعزيَة، وَٱستَمع إِلَىٰ خُطبَاء المِنْبَر الحُسَيني، وَبالتَالي لاَ يَصدق عَلَيهِ قَوْل القَائِل[٢]:

لاَ عَذَّب الله أُمّي أَنَّهَا شَرِبَت ... حُبّ الوَصيّ وَغذّتْنِيه باللَّبنِ

وَلَكنَّه إِنْسَان يَعي وَيُدرك، وَيَحسّ وَيَشعر، وَقَد شَهد لأَوّل مَرّة كَرْبُلاَء أَرْض التَّضحِيَة وَالفِدَاء، والصّرَاع الدَّامي بَيْنَ جَبرُوت البَغي، وَثَورَة العَدل حَتَّىٰ الإِسْتشهَاد الَّذِي تَفجّرت مِنْهُ ثَورَات قَضَت عَلَىٰ الشَّر وَعُتَاته، شَهد هٰذَا الكَاتب الأَرْض الثَّائرَة الظَّافرَة فَحلّقت بِهِ إِلَىٰ عَالَم الشّهَادة، والشُّهدَاء، وَمَا أَعطَوه لله وَالإِنْسَانيَّة مِن أَروَاح وَدمَاء، وَكَيف أَثمَرت هٰذِهِ الدّمَاء ثمَارهَا اليَانعَة الخَالدَة.

عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي أَثَار دَهشَة الكَاتب أَكْثَر مِن كُلّ شَيء ـ الصُّورَة الَّتي تَخَيلهَا ليَزيد، وَٱبْن زيَاد، وَشِمر، وَٱبْن سَعد، وَشِيعَتهُم مِن المُسَاومِين، وَبَاعَة الدَّم المَسفُوح وَقَد رَسَم هٰذِهِ الصُّورَة بكَلمتَين: « الإِنْسَانيَّة الكَلِيبَة الَّتي تَقْتُل أَفْضَل وَأَنبَل أَبنَائهَا ». فَيَزِيد وَأَمثَاله عَلَىٰ هَيئَة إِنْسَان بلاَ شَكّ... وَلَكنّهم فِي وَاقع الأَمر أَخزىٰ مِن الوَحش المُفتَرس... فَالوحُوش لاَ يَقبَل أَبنَاءه، وَيَزِيد وَشِيعَته يَقتلُون

(١) أُنظر، مَجلّة الطَّليعَة المَصْريَّة عَدَد حُزيرَان (١٩٧٤م) لأَدِيب ـ أَظنّه مَصريّاً ـ قَضَىٰ أَيّاماً فِي العرَاق مَع الأُدبَاء وَأَهْل الفَنّ. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، دِيوَان الشَّافعي الطَّبْعَة الثَّالِثَة بَيرُوت: ٥٥، دَلِيل فِقْه الشَّافِعي: ١١.

أَفضَل وَأَنبَل أَبنَاء الإِنْسَانيَّة... ولَكن دمَاء الشُّهدَاء تَقْتَص مِنْهُم لنَفسها، وَأَدنىٰ هَذَا القِصَاص أَنْ تَفْضَحهُم وَتُظهرهُم للمَلأ عَلىٰ حَقيقَتهم لِكي يَمطرهَا بلَعنَة الله وَلَعنَة اللّاعنِين إِلَىٰ يَوْم الدِّين.

وإِلَىٰ جَانب هَذِهِ الصُّورَة الشَّاعرَة الوَاعيَة ـ رَسَم الكَاتب صُورَة دَاميَة تُعَبّر عَن حُزْنه وَأَلمَه بأَهل الْبَيْت مِن كوَارث وَمَجَازر... كَذَلكَ لَم يَنْس الكَاتب أَنْ يُقَارن بَيْنَ حَرَم عَليّ أَمِير المُؤْمِنِين الشَّامخ النَّاطق، وَقَبر مُعَاويَة الصَّامت البَارد... وَهكَذَا، يَنْبَغي لخَطِيب المِنْبَر الحُسَيني أَنْ يَفْعَل... يُمَجّد وَيُقدّس كُلّ مَن نَاضَل وَقَاتل لنُصرَة الحَقّ، وَالعَدل، وَيَفضَح عَلىٰ المَلأ كُلّ خَائِن وَمُبطل ثُمَّ يَختم بالْإِشَارَة إِلَىٰ مَشهَد مِن ٱستشهَاد صَاحب الذّكرىٰ وَإِمَام الهُدَىٰ.

والأَهَم التَّركِيز عَلىٰ أَنَّ الحَقّ لاَ بُدّ أَنْ يَنْتَصر فِي النّهايَة مَهْمَا ٱستَشرَت وَتمَادت القوّة الغَشُوم الَّتي تُوَاجهه...والدَّلِيل القَاطع هَذَا الذّكر الخَالد العَاطر لسَيِّد الشُّهدَاء «فَقَد فَاز بالفَخر الَّذِي لاَ فَخر مِثْلَه فِي توَارِيخ بَني الإِنْسَان لاَ أَسْتَثني مِنْهُم عَربيّاً وَلاَ أَعْجميّاً وقَدِيماً وَلاَ حَدِيثاً»[1].

وَبَعد، فَإِنَّ البَلَد الأَمِين مَهّد الإِسْلاَم وَقبلَة المُسْلِمِين تُكرهُم أَنَّهُم أُمّة وَاحدَة، وَإِنْ تَعَدّدت الأَقطَار، وَٱختَلفَت الأَلسُن والأَلوَان، والمَدِينَة المُنَورَة تُذكّر بالرَّسُول العَظِيم، وأَنَّ رسَالَته رَحمَة للعَالِمين، أَمّا كَرْبلاَء المُقَدّسَة فَهي حُجّة بَالغَة تَدمَغ وَتَفضَح مَن سَكَت، وَهَادَن البَاطِل وَالظَّالم، وَتحَايَل عَلىٰ الدِّين وَنصُوصَه.

(١) مَا بَيْنَ القَوسَين مِن كتَاب «أَبو الشُّهدَاء الحُسَين بن عَليّ»: ١٣٩، طَبعَة القَاهرَة. (مِنْهُ رحمه الله).

البَطَل التَّأريخي
دَوماً مَع الضُّعفَاء وَالبَائِسِين

الإمّعة، وَالذّكي، وَالبَطَل:

كُلّ النَّاس مِن تُرَاب[1]، مَا فِي ذَلكَ رَيب، وَكُلّهم يَسْمَع بأُذن، وَيَنظر بعَين، وَيَمشي عَلىٰ رِجلَين، ويُقَال لهُ فِي العُرف العَامّ: «إِنْسَان»... وَأَيضاً لاَ فَرق فِي شَرِيعَة العَدل بَيْنَ الأَسوَد والأَبْيَض، وَالعَربي وَالأَعْجَمي[2]... وَرَغم ذَلكَ فَإِنَّ بَني آدَم أَشكَال وَأَلوَان، مِنْهُم الإِمّعَة التَّابع لكُلّ نَاعق يَتَأثر بِهِ تَأثِيراً آلياً، إِنْ آمَن بالخرَافَة آمَن بهَا، وَإِنْ أَكَل لحَم البَشَر أكل مَعَه... وإِلَىٰ هَذَا النَّوع مِن النَّاس أَشَار سُبْحَانَه بقَوْلَه: ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

---

(١) نظراً لقَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ ٱلحَجّ: ٥. وَلقَوْلَه ﷺ: «أَيُّها النَّاس رَبّكُم وَاحد، وَأَبُوكُم وَاحد، كُلّكم مِن آدَم، وآدَمَ مِن تُرَاب». أُنظر، سُنن البَيْهَقِيّ: ٩ / ١١٨، سُبل الهُدَىٰ والرّشَاد: ٥ / ٢٤٢، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ١٧ / ٢٨١.

(٢) نَظَراً لقَوْلَه ﷺ: «لَيس لِعَرَبي عَلىٰ عَجَمِي فَضل، ولاَ لأَبْيَض عَلىٰ أَسْوَد فَضل إِلّا بِالتَّقْوَىٰ». أُنظر، سُنن البَيْهَقِيّ: ٩ / ١١٨، سُبل الهُدَىٰ والرَّشَاد: ٥ / ٢٤٢، العِقد الفَرِيد: ٢ / ١٨٥، تَأْرِيخ اليَعقوبي: ٢ / ٩١، نَيل الأَوطَار: ٥ / ١٦٤، حليَة الأَوْلِيَاء: ٣ / ١٠٠، فَتح البَاري: ٦ / ٥٢٧، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ٣ / ٣٧٥ ح ٤٤٩٤، شُعب الإِيمَان: ٤ / ٢٨٩ ح ٥١٣٧، مُسْنَد أَحمَد: ٥ / ٤١١ ح ٢٣٥٣٦، المُعْجَم الأَوسَط: ٥ / ٨٦ ح ٤٧٤٩.

شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١].

وَمِنْهُم الذَّكي الفَطن الَّذِي يُعَاكس بَعْض الأَوضَاع، وَيَنهىٰ عَـنْهَا، ولَكـن لاَ يَعْمَل لتَغيير‌ها لسَببٍ أَو لآخر، كمُؤمِن آل فِرْعَون الَّذِي أَشَارَت إِلَيهِ الآيَة: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾[٢].

وَمِنْهُم البَطَل التَّأرِيخي الَّذِي يُجَاهد وَيُنَاضل مِن أَجل تَغيير الوَضع الفَاسد، وَالسُّلطَان الجَائر كَي يَتحرّر المَظلُوم مِن جَور الظَّالم، وَالفَقِير مِن جَشَع المُحتَكر، وَالجَاهل مِن كُلّ قَيد يَعُوقه عَن الوَعي وَالتَّقدّم... وَهَذَا الخَطّ هُو الأَسَاس لرِسَالَة الأَنْبيَاء وَالمُرسَلين، قَالَ سُبْحَانَه حكَايَة عَن بَعْض أَنْبيَائه يُرشد قَـومَه ويَـقُول: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾[٣]؛ وَقَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٤].

إِلَىٰ عَشرَات الآيَات.

الحُسَين عليه السلام وَالمَقهُورُون:

وَقَد يَتحلىٰ المَرء بفَضِيلَة أَو أَكثَر، كالصِّدق وَإِقَامَة الصَّلاَة، وَالزُّهد وَالتَّوَاضع، ولَكن هَذِهِ وَحدهَا لاَ تَجْعل مِن صَاحبهَا بَطَلاً مَع الخَالدِين، لأَنَّ التَّأرِيخ لاَ شَأن لَهُ إِلَّا بمَن يَترك أَثرَاً نَافعَاً فِي حَيَاة النَّاس، وَيَمتَد وَيَستَمر جِيلاً بَعد جِيل... فَلَولاَ لَمبَة الكَهربَاء ـ مَثَلاً ـ الَّتي أَصبَحت جُزء مِن حَيَاتنَا، مَا عَرفنَا (أَديسُون) حَتَّىٰ

---

(١) ٱلمَائِدَة: ١٠٤.

(٢) غَافِر: ٢٨.

(٣) ٱلأَعْرَاف: ٨٥.

(٤) ٱلبَقَرَة: ١٩٠.

وَلو كَان زَاهداً عَابداً، وَلَولاَ المذيَاع الَّذِي نَستَمع إِلَيهِ صبَاح مسَاء مَا سَمعنَا (بمَاركوني)، إِنْ كَان وَفيّاً بوَعدَه مُتوَاضعاً فِي سلُوكه: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

وَللإِمَام الحُسَين عليه السلام «فَضَائِل جمّة تَعرفهَا قُلُوب المُؤْمِنِين، وَلاَ تَمجّها آذَان السَّامعِين» عَلىٰ نَحو مَا قَالَ نَهج البَلاَغَة فِي وَصف أَهْل الْبَيْت عليهم السلام «أَنَّ قَوْماً ٱسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّىٰ إِذَا ٱسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاتِهِ عَلَيْهِ! أَوَلاَ تَرَىٰ أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ـ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ـ حَتَّىٰ إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ»! وَلَوْلاَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً. تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ»[2].... وَلَكن السَّبب الأَوَّل لخُلُود الحُسَين إِلَىٰ يَوْم الدِّين ـ أَنَّه الصُّورَة الحَيّة فِي حيَال كُلّ مَظلُوم وَبَائِس لاَ يَجد النَّاصر وَالمُعين... لَقَد حَمَل الحُسَين همُوم الضُّعفَاء الَّذِين لاَ عَمّ لَهُم وَلاَ خَال، وَشَعَر بآلاَمهِم، وَتفَانىٰ فِي نُصرتهِم، وَلاَ لإِنتخَابه رَئِيساً أَو نَائباً، وإِنَّمَا إِرَادَة لدِين الله، للحَقّ، وَالعَدل، للجَائِع وَالمَظلُوم، للأَرملَة وَاليَتِيم، للمُشردِين المَطرُودِين مِن أَرضِهِم وَديَارهم[3]. وَمِن هُنَا ٱمتَدت جذُور الثَّورَة الحُسينيَّة إِلَىٰ كُلّ قَلبٍ وَجِيل،

---

(١) ٱلرَّعد: ١٧.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرّسَالَة (٢٨).

(٣) فِي عَصرنَا هَذَا، عَصر الحَضَارَة والإِشعَاع وَضعَت المَوَاثِيق الدّوليَة ضمَاناً لحقُوق الإِنسَان، وَتَكوّنت هَيئَة الأُمم وَمَجلس الأَمن لنَفس الغَايَة... وَرَغم ذَلكَ بَقي أَضعَف بلاَ نَاصر، بتَصَاعد الفَتك وَالقَهر، ⇔

وَسَتَستمر فِي طَرِيقهَا ، وَيَبقىٰ نُورهَا ببقَاء الله وَكتَابه ، لأَنَّها مِن الله وَقُرءَانه ، وَرُوح مُحمَّد وَإِيمَانه ، وَلاَ آنطفَاء لهَذَا آلنُّور السَّاطع ... وقَالَ الشَّاعر الشَّيخ عَبد الحُسَين الأَعْسَم فِي رِثَاء الحُسَين مُشِيراً إِلَىٰ هَذَا المَعْنَىٰ[1] :

إنْ يَبْق مُلقىً بِلاَ دَفنٍ فَإِنَّ لَـهُ ... قَبْراً بِأَحْشَاء مَن وَالاَه مَحفُوراً

وَالمُرَاد هُنَا بمَن وَالَىٰ الحُسَين كُلّ مَظلُوم وَمَحرُوم سوَاء أكَان شِيعيّاً أَم لاَ دِينيّاً ، سَمع بآسم الحُسَين أم لَمْ يَسْمَع ، لأَنّه حَارَب القَهر ، وَالحِرمَان كَمَبدأ ، وَدَافع عَن الإِنْسَان كَإِنْسَان مُؤمناً كَان أَم غير مُؤمن ... والإِنْسَان بطَبعِهِ وَوَاقِعه يُوَالي كُلّ مَن دَافع عَنْهُ وَأَحسَن إِلَيهِ ، وَإِنْ جَهل آسمَه وَهَويتَه ... أَمّا القَبر بالأَحْشَاء فَالمُرَاد بِهِ أَنَّ آسم الحُسَين قوّة فعّالة تَهز قُلُوب الضُّعفَاء وَالمَقهُورِين مِن أَعمَاقهَا .

وَكَم رَأيتُ هَؤُلآء فِي مَجَالس الذّكرىٰ وَالتَّعزيَة الحُسينيَّة يَسفحُون الدَّمع بغَزَارَة حِينَ يَسمعُون آسم الحُسَين وَالعبّاس ، وَكَأَنَّهم يَبكُون أَنْفسهم وَحَيَاتهم المُعذّبة البَائسَة ، أَو يَبكُون حَظّهم حَيْث يَعيشُون فِي ظِلّ أَلف يَزِيد وَيَزِيد وَلاَ حُسَين وَشُبه حُسَين الَّذِي رَفَع أَصوَاتهم وَتَرجَم مَأسَاتهم بنَحرِهِ وَدَمه ... وَمِن هُنَا إِلتَقىٰ المُعذبُون فِي الأَرْض مَع الحُسَين ، وكَان مَثَلهُم الأَعْلَىٰ ، وَلاَ غَضَاضَة مَا دَامَت شَرِيعَة الله لخَير الإِنْسَان وَسعَادَته دُنيَاً وَآخرَة .

وَالَّذِي زَاد رُؤيَتي هَذِهِ قُوّة وَوضُوحَاً أَنَّ قُرّاء التَّعزيَة قَد دَأبُوا مُنذ القَدِيم عَلىٰ

↔ وَآستَشرَت الصّهيونيَّة والإِستعمَار وَالعُنصريَّة ، وَآحتَكر الكِبار حَقّ الفِيتُو ، وَأَحَالوا كُلّ العهُود وَالموَاثِيق ، وكُلّ الحقُوق وَالوَاجبَات إِلَىٰ مَهزلَة و « بَهدلَة » . (مِنهُ ﷺ) .

(١) مِن قَصِيدَة طَوِيلَة للمَرحُوم الشَّيخ عَبد الحُسَين الأَعْسَم يَرثي بهَا الحُسَين ﷺ . وَهُو مِن عُلمَاء الإِمَامِيَّة ، وَشعرَائهم ، تُوفّي (١٢٤٧ هـ) .

أَنْ يَختِمُوا المَجلس الحُسَيني بهَذَا الدُّعَاء: «أَللَّهُمَّ لاَ تَدَع هـمَّاً إِلَّا فَـرَّجتَهُ، وَلاَ جَائعَاً إِلَّا أَشْبَعتهُ، وَلاَ عَارِياً إِلَّا كَسَوتهُ، وَلاَ مَرِيضَاً إِلَّا عَافَيتَهُ، وَلاَ دَيناً إِلَّا قَضَيتَهُ وَلاَ حَاجَةً مِن حوَائِج الدُّنيَا وَالآخرَة إِلَّا سَهلتهَا وَيَسّرتهَا»[1].

أبداً لَيْسَ هَذَا مِن بَاب الصّدفَة والإتّفَاق... أَنّه يَتّصل وَيَرتَبط كُـلَّ الإِتّـصَال بثَورَة الإِمَام الحُسَين عليه السلام مِن أَجل الجِيَاع، وَالعُرَاة، وَالمَقهُورِين عَـلَىٰ حُـرّيتهم وَكَرَامتهِم.. .لَقَد ثَار الحُسَين مِن أَجْل هَؤُلآء لاَ بتَأْثِير مِن مزَاجِهِ الثَّـوري ضِـدّ البَغي وَكَفَىٰ، كَمَا قِيل، بَل تَلبيَة لأَمر الرَّحمٰن وَدَعوَة ٱلْقُرْءَان: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾[2].

عَليّ عليه السلام وَالمَسَاكِين:

وَقِصّة عَلِيّ والحُسَين وَاحدَة... وَأَيـضَاً حَـيثيَات الحُبّ، وَالوَلاَء لِلإِمَـامَين وَاحدَة، وهِي مُشكلَة البُؤسَاء، وَالمَسَاكِين. قَالَ صَـاحب البـحَار فِـي المُـجلّد الثَّالث بَاب زُهد عَلِيّ وَتقوَاه: «أَنَّ رَسُول الله قَالَ: «يَا عَلِيّ إِنّ الله عزّوجلّ قَـد زيّنك بزِينَة لَم يَتزيّن العِبَاد بزِينَة أَحبّ إِلَيْهِ مِنْهَا، وَجعَلك لاَ تَرْزَأ مِنْهَا شَيئَاً...، الزُّهْد فِي الدُّنْيَا... ووَهَب لَكَ حُبّ الْمَسَاكِـين، فَـجعَلَك تَـرضَىٰ بِـهِمْ أَتْـبَاعَاً، ويَرضُون بِكَ إِمَامَاً»[3].

---

(١) أُنظر، مَجْمَع الزَّوَائِد: ١٠/ ١٥٧، المُعْجَم الصَّغِير: ١/ ١٢٤، المُـعْجَم الأَوسَـط: ٣/ ٣٥٨، كـتَاب الدُّعَاء للطَّبَرَاني: ٢٠٢، مِصبَاح الزَّائِر: ٢٠، المَزَار للمَشهدي: ٥٨، المَزَار للشَّيخ المُفِيد: ١٢٣، إِعَانَة الطَّالبين: ٢/ ٢٨٧، مِصبَاح المُتهَجّد: ٥٠٥.

(٢) ٱلنِّسَاء: ٧٥.

(٣) أُنظر، مَجْمَع الزّوَائد: ٩/ ١٢١، فرَائِد السِّمطَين: ١/ ١٣٦ ح ١٠٠، شَرح ٱلنَّهج لِلعلاّمَة الخُـوئِي:

ومَعْنَىٰ « تَرْزَأ » تُصِيب . . . وَكُلّنا يَعْلَم أَنَّ الإِمَام أَمِير المُؤْمِنين هُو القَائِل : « أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً ، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ ؛ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ ٱكْتَفَىٰ مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ »[١] . وَأَنّه كَان يُوزع المَال بالسَّويّة عَلىٰ الأَبْيَض والأَسْوَد ويَقُول : « إِنَّ آدمَ لَم يَلد عَبْداً ، وَلاَ أَمَة ، إِنَّ النَّاس كُلّهم أحرَارٌ »[٢] .

وَقَرأتُ مَقَالاً : « شَرح فِي خِلاَفَة المُسْلِمين » للأَدِيب المَصْري سَامي مَحمُود ، قَالَ فِيهِ مِن جُملَة مَا قَالَ : « أَمَّا عَليّ وَأَبنَاؤه أَحفَاد رَسُول الله فكَان طَرِيقهُم مَعروفاً وَاضحاً مُستَقِيماً لَم يَترَدّدوا فِيهِ ، وَلَم يُفكرُوا لَحظَة وَاحدَة فِي دُنيَا يُصِيبُونها ، وَٱمرَأة يَتزوّجونهَا ، وإِنَّمَا كَانَت هِجرَتهُم إِلَىٰ الله وَرَسُولَه »[٣] .

وَلَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ مَن كَانَت هَذِهِ هِجرَته وَغَايَته فِيمَا يَقُول ويَفْعَل ـ إِنْقَادَت إِلَيهِ تِلقَائيّاً قُلُوب الأَبريَاء ، وَالمُنصفِين ، وَبالخصُوص قُلُوب المَسَاكِين الّذِين يَتُوقُون

↔ ٢ / ٤٠٨ ، وكفَايَة الطَّالب : ٦٦ و ١٩٩ ، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد : ٩ / ١٦٦ و : ١١ / ٢٣٢ ، المُعْجَم الأَوسَط : ٢ / ٣٣٧ ، كَنز العُمَّال : ٦ / ١٥٨ الطَّبعة الأُولى و : ١١ / ٦٢٦ ، شوَاهد التَّنزِيل : ١ / ٤٥٩ ، تَأرِيخ دِمشق : ٢ / ٢١٢ الطَّبعة الأُولىٰ ، و : ٤٢ / ٢٨٢ ، المِعيَار والموَازنة : ٢٢٧ ، المنَاقب للخوَارزمي : ١١٦ ، نُظم دُرر السّمطَين : ١٠٢ ، الرِّيَاض النَّضرة : ٢ / ٢٢٨ ، حليَة الأَوليَاء : ١ / ٧١ ، الفِردَوس بمَأثُور الخطَاب : ٥ / ٤٠٩ ح ٨٣١٧ ، بشَارة المُصْطفىٰ : ١٥٩ ، ذَخَائِر العُقبَىٰ : ١٠٠ ، منَاقب آل أَبِي طَالب : ١ / ٣٦٤ ، أمَالي الطُّوسي : ١٨١ ، شَرح الأَخْبَار : ١ / ١٥١ ، رَوضَة الوَاعظِين : ٤٣٧ ، المَحَاسِن : ١ / ٢٩١ ، أُسد الغَابَة : ٤ / ٢٣ .

(١) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلرّسَالَة (٤٥) .

(٢) أُنظر ، رَوضَة الكافِي : ١ / ١٢٤ طَبْعَة سَنَة (١٣٨٢ هـ) . (مِنْهُ ﷺ) . و : ٨ / ٦٩ ح ٢٦ ، شَرح أُصُول الكَافِي : ١١ / ٤٢٤ ، وَسَائِل الشّيعة : ١١ / ٨٢ .

(٣) أُنظر ، مَقَالاً مُطولاً بعُنوَان : « شَرح فِي خِلاَفَة المُسْلِمين » للأَدِيب المَصْري سَامي مَحمُود ، نَشَرتهُ صَحِيفَة أَخبَار اليَوْم (٢١ / ١٠ / ١٩٧٢ م) . (مِنْهُ ﷺ) .

إِلَىٰ الرَّاحَة وَالخَلاَص مِن الكَبْت وَالقَهر، مِن ظُلم الإِنْسَان لأَخِـيه الإِنْسَـان... وَإِذَن فَلاَ غَرَابَة إِذَا رَضي المَسَاكِين بعَليّ إِمَاماً، وَرَضي بِهم أَتبَاعاً مَا دَامَت مواقفه كلّهَا لله، وَلأَنِين المَنكُوبِين مِن عيَال الله.

أمّا مُعَاوِيَة فَقَد كَتَب عَنْهُ سَامي مَحمُود فِي نَفْس الصَّحِيفَة وقَالَ: «أَمَّا مُعَاوِيَة فَقَد تَكَالَب عَلَىٰ المُلك، وَجَعَلهُ فِي ذرّيته، وَخَالَف أَحكَاماً كَثِيرَة مِن تَعَالِيم الإِسْلاَم، وَلَم يُبَال مُعَاوِيَة وَبنُوه مِن بَعْدَه بحَفِيد رَسُول الله وَاسْتبَاحَة مَكّة والكَعْبَة، وَإِحلاَل المَدِينَة المُنَورَة لجنُودهم ثَلاَثَة أَيّام... وَدفع العَالَم الإِسْلاَمي لذَلكَ ثَمناً فَادحاً»[1].

وتَسْأَل: لَقَد جعَل النَّبيّ ﷺ مِن حُبّ المَسَاكِين رِفعَة وَفَضِيلَة عِند الله لمَن أَحبّوه، فمَا هُو وَجْه المُنَاسبَة؟.

الجَوَاب:

أَنَّ عَالَم الإِنْسَان تَمَاماً كعَالَم الحَيوَان، فِيهِ القَوي الآكل، وَالضَّعِيف المَأكُول الَّذِي لاَ يَملك قوّة الرَّدع، وَالدّفَاع عَن النَّفس، وإِلَىٰ جَانب هَذَا الجَامع القَاسم تُوجَد أَوْجه كَثِيرَة للفرق بيْنَ العَالَمين، وَأَبرزهَا أَو مِن أَهمهَا أَنَّ المُجْتَمع البَشَري فِيهِ حكُومَات وَمُشكلاَت، وَامتلاَك مَشَارِيع، وَحقُوق، ووَاجبَات تَنشَأ، وَتَنبَعث مِن التَّعاون، وَالتَّكامل فِي شَتّىٰ مَيَادِين الحَيَاة الإِجْتمَاعيّة، وَشئُونها... وَمِن هُنَا احتَاج المُجْتَمع البَشَري إِلَىٰ نظَام، وَشَرِيعَة، وآدَاب للسّلوك، وَمَبَادِيء للأَخلاَق، تَحمي الضَّعِيف مِن القَويّ، وَتَضمن لكُلّ مَا لهُ مِن حَقّ، وتُلزمه بمَا

(١) أُنظر، مَقَالاً مُطولاً بعُنوَان: «شَرح فِي خِلاَفَة المُسْلِمِين» للأَدِيب المَصْري سَامي مَحمُود، نَشَرتهُ صَحِيفَة أَخبَار اليَوْم (٢١ / ١٠ / ١٩٧٢م). (مِنهُ ﷺ).

عَلَيهِ مِن وَاجب.

فَشَريعَة الحَقّ وَالعَدل ـ إذَن ـ هِي بالدَّرجَة الأُولىٰ الحِصن والمَأمن الَّذِي يَلجَأ إلَيهِ الضَّعِيف كُلّما أَحسّ بحَيف وَإجحَاف يَأتِيه مِن قَوي مُفْتَرس وَمُستَبد جَائِر... بَدِيهي أنّه لاَ حَقّ، وَلاَ عَدْل بلاَ قوّة وَنَاصر، كَمَا أَنَّ القوّة بلاَ حَقّ، وَعَدل، وَظُلم وَاستبدَاد... وَتَأرِيخ عَليّ وَبَنِيه كلّه صرَاع، وَكفَاح ضِدّ الطُّغَاة لنُصرَة الحَق، وَالعَدل، وَليَعِيش النَّاس أَحرَاراً سُعدَاء لاَ آكل بَيْنَهُم وَمَأكُول. وَبهَذَا كَانُوا غيَاثاً وَرَحمَة لكُلّ مَسلُوب وَمَنهُوب، وَكَفىٰ بذَلك زِينَة وَفَضِيلَة.

وَبَعد فَإنَّ الفُقَرَاء وَالمَسَاكِين بطَبِيعتِهم وَوَضعهم ـ يُنَاصرُون كُلّ رسَالَة حقّة وَعَادلَة حَيْث لاَ مَال يُطغي وَلاَ سُلطان يُغري. قَالَ الإمَام أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام: «مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي»[١]. وقَالَ سُبحَانَه حكَايَة عَن عُتَاة البَغي والبَاطِل: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[٢].

أَي الأَقلُون جَاهاً وَمَالاً. وكُلّ رَذِيلَة فِي مَنْطق أَهْل البَغي وَعُتَاته هِي زِينَة وَفَضِيلَة فِي الوَاقع وَعِندَ الله سُبْحَانَه.

ورُبَّمَا قَالَ قَائِل: عَلىٰ هَذَا يَكُون حُبّ المَسَاكِين لعَليّ وَسِيلَة لاَ غَايَة، طَرِيقاً لنَيل المُرَاد، ولَيْسَ حُبّاً لعَليّ بالذَّات.

الجَوَاب:

أَنَّ المَصلَحَة الخَاصّة مِن حَيْث هِي لَيْسَت مُحرّمَة، وَلاَ مِن المُحتّم أَنْ لاَ تَلتَقي مَع الصَّالح العَام فِي أَيّة حَال مِن الأَحوَال... بَل قَد لاَ تَلتَقي مَعَه كَالعَيش

---

(١) أنظر، خُطَب النَّهج: ٤ / ٨١، الحِكْمَة (٣٤٥).

(٢) الشُّعَرَاء: ١١١.

وَالكَسب عَلىٰ حسَاب الآخرِين ، وَقَد تلتَقي كالسَّفر للحَجّ ، وَالسِّيَاحَة ، وَالتِّجَارَة السَّائغَة . قَالَ سُبحَانَه : ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ (١) .

وَكُلّنا يَعلَم أنّه لاَ أُمنيَة للبُؤسَاء ، وَالمَسَاكِين إلاّ الخلاَص مِن وَطأَة البُـؤس ، وَذُل المَسكَنَة . . . وهَذِهِ الأُمنيَة أَو هَذَا الأَمل يَلتَقي مَع العَمَل لله ، وَالصَّالح العَامّ ، بَل هُو أَفضَل أَنوَاعه . قَالَ نَبي الرَّحمَة : « أَحبّ خَلق الله إِلَيَّ مَن نَفع عيَال الله (٢) . . . « خيَار النَّاس مِن أَنْفَع النَّاس لِلنَّاس » (٣) .

وَكَان أَنِين البَائِسِين ، وَجوع الجَائِعِين يُؤرق عَليّاً ، وَيقض مَضْجَعه ، وَيَـعمَل جَاهِداً لسَعَادتِهِم وَخَلاَصهم مِن كُلّ أَلم مَهْمَا كَلّفَه ذَلكَ مِن عُسرٍ وَمَشقَة . . . وَمِن أَقوَالَه : « هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَىٰ تَخَيُّرِ الْأَطْـعِمَةِ ـ وَلَـعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ـ أَوْ أَبِيتَ مِبطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَىٰ ، وَأَكْبَادٌ حَرَّىٰ » (٤) .

وعَلىٰ هَذَا الصَّعِيد إلتَقىٰ عَليّ وَالمَسَاكِين ، وَعَاش حَيّاً فِـي قَـلْبِ كُـلّ عَـارٍ وَجَائِعٍ ، وَمَنكُوبٍ ، وَمَحرُومٍ .

---

(١) ٱلحَجّ : ٢٨ .

(٢) أُنظر ، الكَافي : ٢ / ١٦٤ ح ٦ ، وَسَائِل الشِّيعَة : ١٦ / ٣٤١ ح ١ .

(٣) أُنظر ، فَيض القَدِير : ٣ / ٤٦٦ ، حليَة الأَوْلِيَاء : ٦ / ٣٤٨ ، سِـير أَعْـلاَم النُّـبلاَء : ١٤ / ١٢٤ ، لِسَـان المِيزَان : ٣ / ٣٩٥ ح ١٥٦٧ ، التَّدوِين فِي أَخبَار قَزوِين : ٢ / ٣٠٨ ، كَشف الخَفَاء : ١ / ٤٥٧ ح ١٢٢٠ .

(٤) أُنظر ، نَهج البَلاَغَة : ٱلرِّسَالَة (٤٥) إلىٰ عُثمَانَ بن حُنَيف الأَنصَاري . . . فِقرَة ١ ـ ٤ .

مِن كِتَاب الصِّلَة بَيْنَ التَّصَوف وَالتَّشَيُّع

التَّصَوف فِي ظَنّي:

قَرَأتُ الكِتَاب الضَّخم: «الصِّلَة بَيْنَ التَّصَوف وَالتَّشَيُّع» للدّكتُور كَامِل مُصْطَفىٰ الشَّيبي. والكِتَاب بوَجه عَام جَدِير بالقِرَاءَة، عَلىٰ مَا فِيهِ مِن أَخطَاء. وَأَيّنا المَعْصُوم فِيمَا يَقُول وَيَفعَل، وَيَفهَم وَيَحكُم؟.

وَالتَّصَوف، كَمَا هُو فِي ظَنّي، لاَ يَتّصل بدِين مِن الأَديَان، وَلاَ بعِلْم مِن العُلُوم، وَإِنَّمَا هُو عَامِل فَردي نَفْسي وَسُلُوكي، كَجهَاد النَّفس الأَمّارَة، وَالثَّبَات أَمَام المُغريَات، وَقوّة الإِرَادَة وَالإِصرَار عَلىٰ التَّحقّق العَمَلي بمَا يَلِيه المُعْتَقد، وَالمَثل الأَعْلىٰ أيّاً كَان نَوعَه، ومَهْمَا كَانَت الظُّرُوف وَالنَّتَائج، أَو هَو أَي التَّصَوف عبَارَة عَن إِلغَاء عَقْل الفَرد بإِفْتعَال مَنْطق العَقْل.

وعَلىٰ أَيّة حَال فَلَيْس مِن هَمّي تَحدِيد مَعْنَىٰ التَّصَوف وَتَميِّيزه عَن سَائِر المَفَاهِيم... وَمَا أَنَا بهِ مِن الوَاثقِين وَلاَ المُتَخصصِّين، وَقَصدي الأَوَّل أَنْ أَعْرض مِن هَذَا الكِتَاب بَعْض مَا لَهُ صِلَة وَعلاَقَة بأَهْل الْبَيْت ﷷ.

ظُهُور التَّشَيُّع فِي عَهْد النَّبيّ ﷺ:

قَالَ المُؤلّف: أَثبَت أَحْمَد أَمِين فِي ضُحَىٰ الإِسْلاَم أَنَّ التَّشَيُّع ظَهَر فِي حَيَاة

النَّبيّ ، وكَان أَبُو ذَرّ ، وَسَلمَان ، وَعَمَّار ، وَالمقدَاد يَتصرفُون كَشِيعَة عَـليّ عَـلىٰ مَرأىٰ مِن رَسُول الله وَمَسمَعه »[١]. وَرَوىٰ ٱبْن حَجَر فِي صوَاعقهِ عَن النَّـبيّ أَنَّـه قَالَ : « يَا عَليّ أَنْتَ وَأَصحَابك فِي الجَنَّة »[٢].

وَأَخرَج ٱبْن عَسَاكر قَوْل النَّبيّ : « وَالَّذي نَفْسي بِيَده إنَّ هَـذَا ـ يَـعْنِي الإمَـام عَليّ عليه السلام ـ وَشِيعَته لهُم الفَائِزُون يَوْم ٱلْقِيَامَة »[٣]. وَيَذكر اليَعقُوبي أَنَّه :

(تَخَلّف عَن بَيْعَة أَبِي بَكْر قَوم مِن المُهَاجِرين ، وَمَالُوا مَع عَليّ بن أَبِي طَالب : مِنْهُمْ العَبَّاس بن عَبدالمُطّلب ، وَالفَضْل بن العَبَّاس ، وَالزُّبَيْر بن العَوّام ، وخَالد بن سَعِيد ، والمُقدَاد بن عَمْرُو ، وَسَلمَان الفَارسيّ ، وأَبُو ذَرّ الغِفَاريّ ، وَعَمّار بن يَاسر ، والبَرَاء ٱبن عَازب ، وَأُبيّ بن كَعب ، وَعَقِيل بن أَبِي طَالب ، وَأَبُو سُفيَان بن الحَرث ٱبن عَبدالمُطلب ، وَنَوفَل بن الحَرث ، وَعَبدالله بن جَعْفَر بن أَبِي طَالب ، وَعَون بن جَعْفَر ، وَمُحَمَّد بن جَعْفَر ، وَرَبِيعَة بن الحَـرث بـن عَـبدالمُـطلب ، وَالطُّـفيل بـن الحَرث ، وَالمُغِيرة بن نَوفل بن الحَرث ، وَعَبدالله بن الحَرث بن نَوفل ، وَعَبدالله بن أَبِي سُفيَان ٱبن الحَرث ، وَالعبَّاس بن رَبِيعة بن الحَرث ، وَالعَبَّاس بن عُتْبَه بن أَبِي لَهب ، وَعَبدالمُطلب بن رَبِيعَة بن الحَرث ، وَجَعْفَر بن أَبِي سُـفيَان بـن الحَـرث ،

---

(١) أُنظر ، الصِّلَة بَيْنَ التَّصوف وَالتَّشيُّع ، للدّكتُور كَامِل مُصْطَفىٰ الشَّيبي : ١ / ١٧ (مِنْهُ رضي الله عنه) .

(٢) أُنظر ، الصَّواعق المُحرِقة : ١٥٩ ، مَجْمَع الزَّوائِد : ١٠ / ٢١ ، المُعْجَم الأَوسَط : ٦ / ٣٥٤ ح ٦٦٠٥ ، السُّنَّة لاِبْن عَاصم : ٢ / ٤٧٥ ح ٩٨٠ .

(٣) أُنظر ، تَأرِيخ دِمشق : ٢ / ٣٧١ ، بُلُوغ الأَرب وَكـنُوز الذَّهب فِـي مَـعرِفة المَـذْهَب : ١٩٦ ، تَـفْسِير الخَازن : ٣ / ٤٧٠ ، مَنَاقب الخوَارزمِي : ٦٢ ، شوَاهد التَّـنزِيل : ٢ / ٣٦٢ ح ١١٣٩ ، كِـفَاية الطَّـالب : ٢٤٥ ، فرَائِد السِّمطَين : ١ / ١٥٦ ، الدُّر المَنْثُور : ٦ / ٣٧٩ .

فهَؤُلآء وَغيرهُم مِن مشَاهِير وَأَعلاَم بَنِي هَاشم[١]. وَغَير بَنِي هَاشم كَحُذيفة بن اليَمَان، وَخُزَيْمَة بن ثَابت، وَأَبُو أيُوب الأَنصَاري، وَأَبُو الهَيثَم مَالِك بن التَّيهَان[٢]، وَسَعد بن عَبَاده، وَقِيس بن سَعد بن عَبَاده، وَعَدي بن حَاتم، وَعَبَاده بن الصَّامت، وَبِلال آبن رَباح الحَبْشي، وَأَبُو رَافع مَولىٰ رَسُول الله، وَهَاشم بن عُتْبَة، وَعُثمان بن حُنِيف، وَسَهل بن حُنِيف، وَحَكِيم بن جِبِّلة العَبدي، وَآبن الحُصِيب الأَسلمي، وَهِند بن أَبِي هَالة الّتميمي، وَجَعده بن هُبِيرة، وَحِجر بن عَدي الكِندي، وَعَمْرُو آبن الحُمق الخُزَاعي، وَجَابر بن عَبدالله الأَنصَاري، وَمُحَمَّد آبن الخَلِيفة أَبِي بَكْر، وَأَبَان آبن سَعِيد بن العَاص، وَزَيد بن صوحَان العَبْدي[٣].

أَمَّا سَبَب تَشَيُّع مَن تَشَيَّع لعَليّ فهُو وَصَايَا النَّبيّ الكَثِيرة بعَليّ وَأَنّه آمتدَاد لرَسُول الله يُمَثّل التَّيار الإِسْلاَمي الأَصِيل، وأَنَّ عُتَاة قُريْش الَّذين حَاربُوا الله وَرَسُوله تَكرَه عَلِيّاً لعَظَمته، وَإِيمَانه، وَجهَاده فِي سَبِيل الله، والإِسْلاَم.

ثُمَّ ذَكَر المُؤلّف جمَاعَة من الصَّحَابَة كَانُوا يَتشَيَّعُون لعَليّ غَير الأَقطَاب

---

(١) أنظر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٠٣ طَبْعَة الغَري، تَأرِيخ الخَمِيس: ١ / ١٨٨، الرِّيَاض النَّضرة: ١ / ١٦٧، الإِستِيعَاب: ٢ / ١٨ و ٣٥، الإِصَابة فِي تَميِيز الصَّحَابة: ٢ / ٣٠ و ٣٢، آبن عَبد رَبّه: ٣ / ٦٤ و: ٤ / ٢٥٩ الطَّبعَة الثَّانية بِمَصْر، تَأرِيخ أَبِي الفِدَاء: ١ / ١٥٦، آبن شِحْنَة بهَامش الكَامل: ١١ / ١١٢، مُروج الذَّهب: ٢ / ٣٠١ طَبْعَة بَيروت.

(٢) أنظر، الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة: ٢٣.

(٣) أُنظر، المَصْدَر السَّابِق: ٢٦، أُسد الغَابة لِإبْن الأَثِير: ٣ / ٢٢٢ طَبعَة مَصْر، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٢٠٨ طَبْعَة دَار المعَارف بِمَصْر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٣٢٥ الطَّبعة الثَّانية دَار صَادر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٠٣ طَبْعَة الغَري، سِمط النُّجوم العوَالي للعَاصمي المَكّي: ٢ / ٢٤٤ الطَّبعَة السَّلفِية، السِّيرة الحَلبِية: ٣ / ٣٥٦ طَبْعَة البَهية بِمَصْر، الإِصْبَاح عَلىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح: ١٦٧.

الأَرْبعَة، مِنْهُم حُذَيفَة بن اليَمَان[١]، وَخبَّاب بن الأَرث[٢]، والأَخـوَان الأُمـويَان خَالد وَعَمْرُو ابنَا سَعِيد بن العَاصّ... وَأَنَّه كَان مَع عَليّ فِي صِفّين (٨٧) صحَابيّاً مِن المُهَاجِرين وَالإِنْصَار[٣]... وَأَيضاً قَالَ المُؤلف: وهكَذَا يَتبيَّن مَعنا أَنَّ حـركَة التَشيُّع إِنَّمَا هِي حَركَة المُحَافظَة عَلىٰ الإِسْلاَم، وَمُرَاقبَة تَطبِيق مَبادئه عَلىٰ الوَجه الصَّحِيح، وَقَد رَأينا أَنَّ أَكثَر الَّذِين تَمسكُوا بعَقِيدَة التَّشيُّع هُم أَصْحَاب المَصلَحَة فِي بقَاء الإِسْلاَم كَمَا أَرَاد الله وَرَسُوله[٤].

الحُسَين عليه‌السلام هُو المَثَل الأَعلىٰ:

وَقَالَ الدّكتُور الشَّيبي: وَقَد أَثّر قَتْل الحُسَين فِي النّفُوس تَأْثِيرَاً بَـالغَاً، لأَنّـه

---

(١) أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ٥/٤٠٦ح ٢٣٤٩٥، سُنن الدّار قُطني: ٢/٧٣ح ٩، نَسخ الحَدِيث وَمَنْسُوخه: ١/٢٦٤، مَجمَع الزَّوائِد: ٣/٣٤، شَرح مَعَاني الأَخـبَار: ١/٤٩٤، تَأْرِيخ بَـغدَاد: ١/١٤٢رَقـم «٥٨٤٠»، أَنسَاب الأَشرَاف: ٤٩٦، النَّاصريَّات: ٤٢، مُسْنَد عَـبد بـن حَـمِيد: ١/١١٢ح ٢٥٧، المُعْجم الكَبِير: ٥/١٧٤ح ٤٩٩٤، سُبل السَّلاَم: ٢/١٠٣.

(٢) أُنظر، المُسْتَدرَك عَـلىٰ الصَّـحِيحَين: ٣/٢٨٥، مَـجمَع الزَّوائـد: ٩/٣٠٥، المُـصنَّف لعَـبدالرَّزاق الصَّنعَاني: ١١/٢٤٢ح ٢٠٤٣٢، المُعْجَم الأَوسط: ٣/٢٤١، المُعْجَم الكَبِير: ٨/٢٩و: ٢٤/٤٣٥، تَأْرِيخ المَدِينة: ٢/٤٧٩، تَقرِيب التَّهذِيب: ٢/٥٨٧، الإِصَابَة: ٣/٣٦٥، أُسد الغَابَة: ٣/٣١، سِير أَعْلام النُّبلاء: ١/٣٤٩و: ٨/٥٣٠، مِيزَان الإِعتدال: ١/٣٣٦، الكَـامِل فـي التَّأْرِيـخ: ٢/٧٥و: ٧/١٦٧، تَأْرِيخ دِمَشق: ١٠/٤٤٨و: ٢٤/٢٢٠، كَـنز العُـمَّال: ١١/٤٠٨ح ٣١٩٠٩و ٣٣١٣٣ و ٣٣٦٧٦، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢/١١، الجَامع الصَّغير: ١/٤١٣ح ٢٦٩٥و: ٢/٦٦ح ٤٧٩٣.

(٣) أُنظر، وَقْعَة صِفّين لنَصر بن مُزَاحم تَحقِيق وَشَرح عَبدالسّلام مُحمّد هَارُون الطَّبعة الثَّانِيَة مَنشورَات مَكتبَة آيَة الله العُظمىٰ المَرعشي النَّجفي /المُوسّسة العَرَبِية الحَدِيثَة: ١٣١، الفِهرست لإِبْـن النَّـديم: ١٣٧ و ١٤٤، اَبن خلّكَان: ١/٥٠٦، الطَّبَريّ فِي تَأْرِيخه: ٥/٢٣٥، و: ٦/٢ ـ ٤٠، المعَارف: ٣٦، الإِشتقَاق: ١٥٢، شَرح النَّهج لإِبْن أَبي الحَدِيد: ١/٢٨٧.

(٤) أُنظر، الصِّلَة بَيْنَ التَّصوف وَالتَّشيُّع، للدّكتور كَامِل مُصْطفَىٰ الشَّيبي. (مِنهُ رحمه‌الله).

مُحَاط بهَالَة مِن الأَحَادِيث النَّبويَّة، ذَكَر مِنْهَا أَحمَد أَمِين فِي ضُحىٰ الإِسْلاَم مَا رَوَاه عُمَر عَن رَسُول الله ﷺ: «الحَسَن والحُسَين رَيحَانتَاي»[١]. وَمَا رَوَاه أَبُو سَعِيد: «الحَسَن والحُسَين سَيِّدا شَبَاب أَهْل الجنَّة»[٢]... وَأَيضاً رَوىٰ التِّرمذي: «حُسَينٌ مِنّي وَأَنا مِن حُسَين، أَللَّهُمَّ أحبّ مَن أَحبّ حُسيناً، حُسَينٌ سِبط مِن الأَسبَاط»[٣].. وقَالَ المُؤلّف: لَقَد صَار الحُسَين المَثَل الأَعْلَىٰ للبطُولَة الإِسْلاَمِيَّة والتَّضحِيَة فِي سَبِيل الحَقّ، كَمَا صَار قَتْلَه سَبباً فِي ذُلّ المُسْلِمين[٤]. وَمِن هُنَا قَالَ سُليمَان بن قَتّه المُحَاربي التَّابعي[٥] مِن جُملَة شِعرٍ لهُ فِي رِثَاء الحُسَين:

وَإِنَّ قَتِيل الطَّفّ مِن آل هَاشِم ... أَذَلّ رِقَاب المُسْلِمين فَذَلّت
وعِندَ غَنيٍ قَطرَة مِن دِمَائنَا ... سَنُجزِيهم يَوْمَاً بهَا حَيثُ حَلّت

---

(١) تَقَدَّمَت تَخرِيجَاته.

(٢) أُنظر، صَحِيح التّرمذي: ٢/٣٠٦، مُسْتَدرك الحَاكم: ٣/١٦٧، خصَائص النَّسائي: ٢٤، البدَايَة وَالنّهاية: ٨/٣٥، الإِستِيعَاب: ١/٣٩١، تأرِيخ الخُلفَاء: ٧١، مُسْنَد أَحمَد: ٣/٣ و ٦٢ و٨٢، حليَة الأَولِيَاء: ٥/٧١، تأرِيخ بَغدَاد: ٩/٢٣١، و: ١٠/٩٠، فرَائد السِّمْطَين: ٢/٩٨ ح ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤٢٨، تأرِيخ دِمَشق تَرجَمة الإِمَام الحَسن: ٤٥/٦٦ ـ ٧١، الفَتح الكَبِير: ٢/٨٠، الإِصَابة: ١/٢٥٥، المعيَار وَالموَازنة: ٢٠٦، ذَخَائر العُقبىٰ: ٩٢ و ١٢٩.

(٣) أُنظر، صَحِيح التّرمذي: ١٣/١٩٥، و: ٥/٦٥٦/٣٧٧٥، و: ٢/٣٠٧، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣/١٧٧، مُسنَد أَحمَد: ٤/١٧٢، تَهذِيب الكَمَال: ٧١.

(٤) أُنظر، الصِّلَة بَيْنَ التَّصَوف وَالتَّشيُّع، للدّكتُور كَامِل مُصْطَفىٰ الشَّيبي: ١/٩٣ (مِنهُ ﷺ).

(٥) سُليمَان بن قَتّه المُحَاربي مِن التَّابِعِين، مَوْلَىٰ لـ«تِيم قُرَيْش»، المَعَارف ـ لاِبْن قُتيبَة: ٤٨٧ وَمُحَارب قَبِيلَة مِن فِهر بن مَالِك بن النّضر بن كنَانَة الَّذي تَنْتَسب إِلَيهِ قَبَائِل قُرَيْش كُلّها. وَمِن فِهر: الضَّحَاك بن قَيْس الفِهري، زَعِيم القَيسيَّة فِي مَعْرَكَة مَرج رَاهط ضِدّ اليَمنيَّة بزعَامَة مَرْوَان بن الحَكم فِي الصِّرَاع عَلَىٰ الخِلاَفَة بَعْد مَوت مُعَاوِيَة بن يَزِيد بن مُعَاوِيَة وأَنْتَهت المَعْرَكَة بهزِيمَة القَيسيَّة، الَّتي بَايَعت عِبد الله بن الزُّبَيْر بَعْد ذَلِكَ، ومَقْتَل الضَّحاك بن قَيْس الفِهرِي.

إِذَا ٱفْتَقرت قَيْس جَبَرنَا فَقِيرهَا وَتَقتُلنَا قَيْس إِذَا النَّعل زَلّت[١]

لاَ ذَهَب وَلاَ فتُوحَات فِي الإِسْلاَم:

وَقَالَ: « قَد يَرَىٰ البَعْض أَنَّ قَتْل الحُسَين لاَ أَثَر لهُ فِي العَالَم الإِسْلاَمي وَلاَ فِي ذُلّ المُسْلِمِين بدَلِيل أَنَّ الدَّولَة الأُمويَّة نَمَت وَٱتّسعَت بَعد قَتْل الحُسَين شَرقاً وَغَرباً. وَأَنَّ عزّ الإِسْلاَم كَان مِن ثَمرَات الفتُوح الأُمويَّة ».

وَدَحض الدّكتُور الشَّيبي هَذَا الزَّعم أَنَّ فَضل الإِسْلاَم يَنْبَع مِن الحَقّ وَالعَدَالَة وَالمُسَاوَاة وَإِصلاَح المُجْتَمع الإِنْسَاني... وَكَان قَتْل الحُسَين ٱستهتَارَاً بكُلّ القِيَم، وَبمَا فِي قُلُوب المُسْلِمِين مِن حُبّ وَولاَء للنَّبيّ وأَهْل بَيْته، لَقَد كَان الحُسَين أَفْضَل المُسْلِمِين عَلىٰ الإِطلاَق فِي عَصْره، وَمِن هُنَا كَان قَتله عَلىٰ المَدىٰ الَّذِي يَهُون دُونه كُلّ شَيء... لذَلكَ ٱسْتُبِيحَت المَدِينَة المُنَورَة بَعد قَتْله رُميَّت الكَعْبَة بالمَنْجَنِيق[٢]، وَٱستَحرّ القَتل فِي العَالَم الإِسْلاَمي، وَغَدا الإِسْلاَم ثَانويّاً حَتَّىٰ بَلَغ

---

(١) أُنظر، الكَامِل، للمُبرّد (أَبُو العَبَّاس مُحَمَّد بن يَزِيد): تَحقِّيق مُحَمَّد أَبُو الفَضل إِبرَاهِيم، والسَّيِّد شَحَاتة مَطْبعَة نَهضَة مَصْر، غَير مُؤرّخَة: ١/ ٢٢٣، مقَاتِل الطَّالبيِّين: ٥٧ و ٨١، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ٢٦٣، مُرُوج الذَّهب: ٣/ ٧٤، نُظم دُرَر السّمطَين: ٢٢٦، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٧٤ و ٢٣٧، التَّأرِيخ الكَبِير: ٤/ ٣٢، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٣/ ٣١٨، تَأرِيخ دِمَشق: ١٤/ ٢٥٩، تَهذِيب الكَمَال: ٦/ ٤٤٧، البِدَاية وَالنّهايَة: ٨/ ٢٣٠، تَرجَمة الإِمَام الحُسَين لاِبْن عَسَاكر: ٣٣١ و ٤٥٠.

(٢) قَتل وَلَده ـ أَي مُعَاوِيَة ـ يَزِيد الإِمَامَ الحُسَين عليه السلام، قَد شَرحنا ذَلِكَ مُفصلاً فِي تَحقِّيقنا لكتَاب الفُصُول المُهمّة فِي مَعْرفَة الأَئِمّة لاِبْن الصَّباغ المَالكي: ٢/ ١٣١ وَمَا بَعدها.

وَضَرب ٱلكَعْبَة بالمَنْجَنِيق. أُنظر، مُرُوج الذَّهب: ٣/ ٧٩.

أَبَاح المَدِينَة. أُنظر، تَأرِيخ الخُلَفَاء: ٢٠٩.

الأَمر بالحَجّاج[١] أَنْ يُخيّر المَنهزِمِين مِن جَيْش ابْن الأَشعَث بَيْنَ القَتل وَالبَرَاءَة مِن الإِسْلاَم، وأَنْ يَرفض عمّال الأُمويّين دخُول مَن يَدخل فِي الإِسْلاَم حِرصَاً عَلىٰ الجِزيَة، بَل وَيَضعُوها عَلَيهِ بَعد إِسلاَمه[٢]... وَهَذَا هُو الذُّل الَّذِي أَورثَه قَتْل الحُسَين... أَمَّا الذَّهَب، وَالفتُوح، وَالتَّسلط عَلىٰ رقَاب النَّاس فَمَا هُو مِن الإِسْلاَم فِي شَيء.

وَنَعطف عَلىٰ قَوْل المُؤلّف، وَبالأَحرىٰ نُزِيدَه وضُوحَاً، أَنَّه قَدكَان للمُسلمِين ـ

↔ حَاصر عَبدالمَلك مَكَّة، وهَدم الكَعْبَة، وَأَطلق يَد الحَجَّاج فِي دمَاء المُسْلِمِين، وَبعَبد المَلك اقْتدىٰ أَوْلاَده، وَأحفَاده، وزَادوا عَلَيْهِ أَضْعَافَاً مُضاعفة. أنظر، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ٢ / ٣٢، مُروج الذَّهب للمَسعُودي: ٣ / ١٧٥، العِقد الفَرِيد: ٣ / ٢١٤.

(١) يَقُول صَاحب مُروج الذَّهب، وَصَاحب العِقد الفَرِيد فِي أَقْوَال النَّاس فِي الحَجَّاج: (أُحصي مَن قَتلهُم الحَجَّاج صَبراً سِوَاء مَن قَتل فِي حرُوبِه فكَانوا (١٢٠) أَلفَاً، وكَانَ فِي حَبْسه (٥٠) أَلف رَجلاً، و(٣٠) أَلف إِمْرَأَة سِتة عَشر مِنْهُن عَاريَات، وكَانَ يُطعم المَسَاجِين كَمَا يَقُول ابن الجَوزي فِي تَأرِيخه، الخُبز مَمزُوجاً بِالرَّماد). وَجَاء فِي العِقد الفَرِيد أَيضاً عَلىٰ لِسَان عُمَرَ بن العَزِيز: (لَو جَاء النَّاس يَوْم القِيَامَة بفسَاقهم، وَجِئنا بالحَجَّاج لزدْنا عَلَيهِمْ).

أُنظر، فَتح البَاري: ٣ / ٤٥٥ و: ٨ / ٣٢٧، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ٦٣٦، التَّمهِيد لإِبْن عَبد البر: ١٦ / ١٤٣، شَرح الزَّرقَاني: ٢ / ٣٩٧ و: ٣ / ١٥٩، تَهذِيب الأَسْمَاء: ١ / ٢٣٧، سُبل السَّلاَم: ٤ / ٥٤، المُحلىٰ: ١١ / ٩٦ و ١١٦، نَصب الرَّايَة: ٣ / ٣٨٢، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ١٨٥ و ٣٣٨ و: ٥ / ١٨٨، عَون المَعبُود: ١٢ / ١٦٦، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٤ / ٣٤٣ و: ٢٢ / ٢١٨، أَخبَار مَكَّة: ٢ / ٣٦٠، تَعجِيل المَنْفَعَة: ١ / ٤٥٢.

(٢) فِي سَنَة (٨٣ هـ) خَرَج ابن الأَشعث عَلىٰ الحَجَّاج، ثُمَّ هُزِم جَيشَه وَتفرَق فِي البِلاَد، وكَان بَيْنَهُم خَمسَة إِخوَة: عَبد الله، وَالأَحوص، وَعَبد الرَّحمَن، وَإِسحٰق، وَنَعِيم أَبْنَاء سَعد بن مَالك بن عَامر الأَشعَري، فَإِجتمع الخَمْسَة وَتَغلبُوا عَلىٰ بَعْض القُرىٰ القَرِيبَة مِنْ قُم، وَإِجْتمع إِلَيهم بنُو عَمّهم، وكَان المُتقدّم مِنْ هَؤُلاَء عَبد الله، وكَان لهُ وَلد يَتشيَّع، فَأَنْتقل مِنْ تِلكَ القُرىٰ إِلَىٰ قُم، وَنَقل التَّشيُّع إِلَىٰ أَهْلهَا (الكُنىٰ وَالأَلقَاب) تَرجَمة القُمي. (مِنْهُ رحمه الله).

وَلاَ أقوَل للإِسْلاَم ـ دَولَة عُظمىٰ ، مَا فِي ذَلكَ رَيب ، وَلكنّها كَانَت مَسخرَة لأَعدىٰ أَعْدَاء الْإِسْلاَم وَقُرءَانه ، ونَبيّه وَقيَمه ، لمَن كَان يَرىٰ الحُرِّيَّة زَندَقة ، وَالشُّورىٰ فُوضىٰ ، والعَدَالَة جَرِيمَة ، وَالحَقّ رَجَاء وَقَتل الصَّالحِين دستُوراً ، وَمصَادَرَة الْأَموَال وَٱغتصَاب الْأَملاَك حقّاً ، وَالفِسق وَالفجُور دِيناً ، وَإِثَارَة الحرُوب ، وَإِرَاقَة الدّمَاء لحمَايَة سُلطَان الجَور وَاجباً مُقدّساً . . . إِلَىٰ كُلّ مَا يُعَاند الْإِسْلاَم وَيُحَاربَه ! .

ثُمَّ تَحولَت الدَّولَة العُظمىٰ إِلَىٰ دُويلاَت ، وَصَار لكُلّ بَلد إِسلاَمي وَحش مُفْتَرس يَنْهَش بأَنيَابه لحُوم المُستَضعفِين ، وَيَقُودهُم إِلَىٰ حَرْب مُنافسِيه مِن الحُكّام المُفترِسين . . . حَتَّىٰ صَار المُسلمُون أَكلَه لكُلّ آكل ، وَفَريسَة لكُلّ صَائِل تمَامَاً كَمَا هِي حَالهُم الآنْ وإِذَا حفرتَ فِي الجذُور بحثاً عَن سَبَب الْأَسبَاب ٱنْتَهيت إِلَىٰ النَّاكثِين ، وَالمَارقِين ، وَالقَاسطِين الَّذِين حَولُوا الخِلاَفَة إِلَىٰ ورَاثَة ، وَالإِلفَة إِلَىٰ فِتْنَة [1] .

---

(١) قَالَ ٱبن عسَاكر فِي تَأرِيخه : ٣ / ٢٠٠ طَبعَة بَيرُوت مِن تَرجمَة الإِمَام عليّ عليه السلام ، عَن زَيد بن عَليّ . . . عَن عليّ قَالَ : أَمَرني رَسُول الله صلى الله عليه وآله بقتَال النَّاكِثِين ، والْمَارِقِينَ ، والْقَاسِطِينَ . ومِثْله عَن عَليّ بن رَبيعَة قَالَ سَمعت عَلِيّاً يقُول : عَهد إِليّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله أَنْ أُقَاتل النَّاكِثِينَ ، والْقَاسِطِينَ ، والْمَارِقِينَ . ومِثْله عَن أَنَس بن عَمْرو . . . عَن عَليّ قَالَ : أُمرت بقتَال ثَلاَثة : الْمَارِقِينَ ، والْقَاسِطِينَ ، والنَّاكِثِينَ . ومِثْله عَن إِبْرَاهِيم عَن عَلقمَة ، ومِثْله أيضاً عن خُليد القَصري قَالَ : سَمعتُ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عَليّ يَقُول يَوْم النَّهْرَوَان : أَمَرني رَسُول الله صلى الله عليه وآله بقتال النَّاكِثِينَ ، والْمَارِقِينَ ، والْقَاسِطِينَ .

وأنظر ، مُستَدرَك الصَّحِيحَين : ٣ / ١٣٩ ، تَأرِيخ بَغدَاد : ٨ / ٣٤٠ ، و : ١٣ / ١٨٦ ، كَنز الْعُمَّال : ٦ / ٧٢ و ٨٢ و ٨٨ و ١٥٥ و ٣١٩ و ٣٩٢ ، و : ٨ / ٢١٥ ، أُسد الغَابَة : ٤ / ٣٢ و ٣٣ ، السّيوطي فِي الدُّر المَنثُور تَفسِير سُورَة ٱلزُّخرُفِ آيَة : ٤١ ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ ، مَجمَع الزَّوَائد : ٧ / ٢٣٨ ، و : ٩ / ٢٣٥ ، فرَائد السِّمطَين : ١ / ٢٨١ و ٢٨٣ ، أَرْجَح المطَالِب : ٦٠٢ ، الرِّيَاض النَّضرَة : ٢ / ٢٤٠ .

وأنظر ، صَحِيح البُخَاريّ : ١ / ١٢٢ ، صَحِيح مُسْلِم : ٤ / ٢٢٣٥ ، صَحِيح التِّرمذي : ٥ / ٦٦٩ ،
↔

مَجَالس الذِّكرَىٰ وَالعَزَاء:

وقَالَ صَاحب كتَاب الصِّلَة بَيْنَ التَّصَوف وَالتَّشَيُّع: «لَقَد صَار مَقْتَل الحُسَين مَلحَمَة كُبرىٰ تُذَكِّر الشِّيعَة بذَلكَ البَطَل التَّارِيخي الَّذِي أَنْقَذ الإِسْلاَم وَحُمَاته، جعَل الشِّيعَة يُكَرِّرُون فِي كُلّ عَام تَذكِير النَّاس بكُلّ تَفَاصِيل الوَاقعَة، وَاعتَبرُوا ذَلكَ نَذِيراً يُنَبِّه إِلَىٰ الخَطر المُحدق... وَصَارَت مَجَالس العَزَاء تُعقَد فِي أَيَّام الوَاقعَة وَغَيرها... والشِّيعَة يَجْمع شَملهُم ويُوحد صفُوفهُم الحُبّ الزَّائد لآل الْبَيْت».

وَتَجدُر الإِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ هَذَا الحُبّ لَيْسَ كُرهاً بغَيرهم كقَول مَن قَالَ: «لَيْسَ حُبّاً بمُعَاويَة بَل بُغضاً لعَليّ» وإِنَّمَا يَعْتَمد سُبْحَانَه الشِّيعَة فِي حُبّ آل الرَّسُول عَلىٰ كتَاب الله وَسُنّة نَبيّه. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

وفِي تَفسِير البَحر المُحِيط لأَبي حَيَّان الأُنـدُلسي، وَتَفسِير رُوح البَيَان لإِسمَاعِيل حقّي، وَتَفسِير غَرَائب ٱلْقُرْءَان للنِّيسَابُوري ـ أَنَّه عِندَ نزُول هَذِهِ الآيَة قَالَ الصَّحَابَة: يَا رَسُول الله مَن هُم قَرَابتُك الَّذِين وَجَبت عَلَينَا مودّتهُم؟

قَالَ: هُم عَليّ، وفَاطِمَة، والحَسَن، والحُسَين»[2].

↔ مُسْنَد أحمَد: ٢/ ١٦١ و ١٦٤، و: ٤/ ١٩٧، و: ٦/ ٢٨٩، مُسْنَد أَبي دَاود الطَّيَّالِسِي: ٣/ ٩٠، حليَة الأَوْلِيَاء: ٤/ ١١٢، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٣/ ١٨٦، و: ٥/ ٣١٥، و: ٧/ ٤١٤، طَبقَات ابن سَعد: ٣/ ١٧٧، الطَّرَائف لِابْن طَاووس: ١/ ١٠٣.

(١) ٱلشُّورَىٰ: ٢٣.

(٢) أُنظر، تَفْسِير الكشّاف للزَّمَخشري: ٤/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ طَبعَة مَنشُورَات البَلاَغَة قُم، فَتْح القَدِير ↔

وقَالَ ﷺ: «أحبُّوا اللهَ لمَا يَغذُوكُمْ بِهِ مِن نِعَمِهِ، وَأَحبُّوني بحُبِّ اللهِ عزّ وجلّ، وَأَحبُّوا أَهْلَ بَيْتي لحُبِّي»[1]. وأَيضاً رَوىٰ الزَّمَخشري عَن النَّبيِّ ﷺ حَدِيثاً مُطَولاً

للشَّوكاني: ٤ / ٥٣٤، المُعْجَم الكَبِير: ١ / ١٢٥ ح ٢٦٤١، و: ٣ / ١٣٩ الطَّبعة الأُولَىٰ و: ٣ / ١٥٢.

وأنظر، تفسِير أبن كَثِير: ٤ / ١١٢، فَرَائد السِّمطَين: ١ / ٢٠، و: ٢ / ١٣ / ٣٥٩، شوَاهد التَّنزِيل: ٢ / ١٣٠ ح ٨٢٢ ـ ٨٢٨ و ٨٣٠ ـ ٨٣٤ و ٨٣٨، كَنز العُمّال: ١ / ٢٠٨، حليَة الأَوْليَاء: ٣ / ٢٠١، مَجمَع الزّوائد: ٧ / ١٠٣ و ٩ / ١٤٦ و ١٦٨، كفَاية الطّالب: ٩٠ و ٩١ و ٩٣ و ٣١٣ و ٣١٧ طَبْعَة الحَيدريّة، ذَخَائِر العُقبَىٰ: ٢٥، الصَّوَاعِق المحرِقَة: ١٠١ و ١٣٥ و ١٣٦ طَبْعَة المَيمَنيّة بمِصْر، و ص ١٦٨ و ٢٢٥ طَبْعَة المحمّديّة، القَوْل الفَصل لِابْن طَاهر الحدّاد: ١ / ٤٧٤ و ٤٨٠ و ٤٨٢ طَبْعَة جَاوا، جَامع البَيَان للطَّبري: ١١ / ١٤٤ طَبْعَة دَار الكُتب العِلميّة بيرُوت، تَفسِير النَّيسابُوري بهَامش جَامع البَيَان: ٢٤ / ٣٥، شَرح المَوَاهب للزَّرقَاني: ٧ / ٣ و ٢١، إسعَاف الرّاغِبين للصَّبّان فِي هَامش نُور الأَبْصَار: ١٠٥، الشّرف المُؤبّد لآل مُحمّد للنَّبهاني: ١٤٦ طَبْعَة الحَلبي.

وأنظر، الكَشف والبَيَان: ٤ / ٣٢٨، الكَاف الشّاف لِابْن حَجر العَسقلاَني: ١٤٥ طَبْعَة مِصْر، الإِكلِيل للسُّيوطي: ١٩٠ طَبْعَة مِصْر، مِفْتَاح النّجا للبَدخشي: ١٢ (مَخطُوط).

أنظر، نُظم دُرَر السِّمطَين للزَّرَندي: ١٤٧ ـ ١٤٨، صَحِيح البُخَاريّ: ٦ / ٣٧، الفَضَائل لأَحْمَد: ٢ / ٦٦٩ / ١١٤١، البَحر المُحِيط لِابْن حِبّان: ٧ / ١٥٦ طَبْعَة مِصْر، رَشفَة الصّادي لأَبي بَكْر العَلوي الحَضرَمي الشّافعي: ٢٢ طَبْعَة القَاهرة.

وأنظر، الصَّوَاعِق المحرِقَة: ١٦٩، تَفسِير النّسفي: ٤ / ١٠٥، حليَة الأَوْليَاء: ٣ / ٢٠١، تَفسِير البَيضَاوي: ٤ / ١٢٣، تَفسِير القُرطُبي: ١٦ / ٢٢، تَفسِير الفَخر الرّازي: ٢٧ / ١٦٦ طَبْعَة عَبدالرَّحْمَان مُحمّد، الذّرّية الطّاهرة: ٢٢ / ١١٨، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٥٧، أَنسَاب الأَشْرَاف: ٢ / ٧٩ و ٧٥٤ / ٣٦١، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشّافعي: ٨ طَبْعَة طَهران و ١ / ٢١ طَبْعَة النَّجف، تَفسِير الطَّبَريّ: ٢٥ / ٢٥ طَبْعَة مُصطَفىٰ الحلبي بمِصْر و ص ١٤ و ١٥ طَبْعَة المَيمنيّة بمِصْر، تَفسِير الكَشّاف للزَّمخشري: ٣ / ٤٠٢، و: ٤ / ٢٢٠ طَبْعَة بَيرُوت.

(١) أُنظر، سُنن التّرمذي: ٥ / ٦٢٢ ح ٣٧٨٩ و: ٩ / ٣٤٣، المُعجم الكَبِير للطَّبرَاني: ٣ / ٤٦ ح ٢٦٣٩ و: ١٠ / ٢٨١ ح ١٠٦٦٤، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ١٦٢ ح ٤٧١٦، تَأْرِيخ بَغدَاد: ٤ / ١٦٠، فَضَائل الخَمسَة: ٢ / ٧٥، شُعب الإِيمَان: ١ / ٣٦٦ ح ٤٠٨، أُسد الغَابة: ٢ / ١٨، بشَارَة المُصْطَفىٰ: ٦١، الصّواعق المُحرقَة: ٢٣٠.

جَاءَ فِيهِ: « مَن مَات عَلىٰ حُبّ آل مُحَمَّد مَات تَائِبَاً، أَلاَ وَمَن مَات عَلىٰ حُبّ آل مُحَمَّد مَات مُؤمناً مُستكمل الإِيمَان، أَلاَ وَمَن مَات عَلىٰ حُبّ آل مُـحَمَّد بَشـرّهُ مَلَك المَوت بِٱلْجَنَّة، ثُمَّ مُنْكَر وَنَكِير، أَلاَ وَمَن مَات عَلىٰ حُبّ آل مُحَمَّد جَعل الله قَبرهُ مَزَار مَلاَئِكَة الرّحمَة، أَلاَ وَمَن مَات عَلىٰ حُبّ آل مُحَمَّد مَات عَلىٰ السُّـنَّة وَالجمَاعة، أَلاَ وَمَن مَات عَلىٰ بُغض آل مُحَمَّد جَاء يَوْم القِيَامة مَكتُوبَاً بَيْن عَينَيه: آيس مِن رِحمَة الله، أَلاَ وَمَن مَات عَلىٰ بُغض آل مُحَمَّد مَات كَافِرَاً، أَلاَ وَمَن مَات عَلىٰ بُغض آل مُحَمَّد لَم يَشم رَائحَة ٱلْجَنَّة »[1].

وقَالَ الشَّيخ العُبَيدي مُـفتي المُـوصل فِـي كـتَاب النَّـواة بـعُنْوَان « الْإِسْلاَم وَالمُسلمُون »: أَنَّ قَوْل النَّبيّ ﷺ فِي حَدِيث الثَّقلَين: « أُذَكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي، أُذَكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي، أُذَكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي ». يُكَرّر ذَلكَ ثَلاَثَاً إِنَّمَا هُـو إِشَارَة إِلَىٰ مَا حَدَث بَعْدَه لأَهل بَيْته مِمَّا كَان وَصمَة عَلىٰ المُسْلِمِين، وَطَعنَة نَجلاَء فِي صَمِيم الإِسْلاَم مَا يَزَال يَسِيل دَمهَا عَلىٰ مَرّ الأَيَّام وَكَرّ العُصُور[2].

وَقَالَ الدّكتُور الشَّيبي: « وَقَد تَنَبّه الأُمَويُون إِلَىٰ خَطَر ذِكرىٰ الحُسَـين الَّـتي يُقِيمهَا الشِّيعَة، فحَاوَلوا أَنْ يُقَابلُوها بالفَرح، فَجَعلُوا مِنها عِيداً سَنَّه الحَجَّاج لأَهل الشَّام فِي أَيَّام عَبدالمَك، وَٱسْتَنه صَلاَح الدِّين الأَيُوبي، وَملُوك بَني أَيّـوب بَـعد الدَّولَة الفَاطميَّة، كَمَا فِي خُطَط المَقرِيزى[3]... وأَيضاً هَدَم المُتوكّل قَبر الحُسَين

---

(١) أُنظر، الجُزء الثَّانِي مِن كتَاب فَضَائِل الخَمسَة: ٧٥ وَمَا بَعدهَا طَبْعَة (١٣٨٤ هـ). (مِنهُ ﷺ).

أُنظر، الزّمَخشري فِي تَفْسِيره الكَشّاف: ٣ / ٤٠٣ طَبعَة مَصر، الكَاف الشَّاف لِابن حَجر: ١٤٥، لسَان المِيزَان: ٢ / ٤٥٠، مودّة القُربىٰ: ٣٦، تَفْسِير الفَخر الرَّازي: ٧ / ٤٠٥.

(٢) أُنظر، كتَاب النَّوَاة فِي حَقل الحَيَاة، لمُفتي المُوصل الشَّيخ حَبِيب مُحَمَّد العُبِيدي: ١٠٩. (مِنهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، الصِّلَة بَيْنَ التَّصوف وَالتَّشَيُّع، للدّكتُور كَامِل مُصْطَفىٰ الشَّيبي: ١ / ٩٨، خُطَط المَقرِيزي: ٢ /

لمَنع النَّاس مِن زِيَارَته »[١].

↔ ٣٨٥ (مِنْهُ ﷺ).

قَالَ السَّيِّد مُحْسن الأَمين فِي كتَابِهِ : « إِقْنَاع اللاَّئِم فِي إِقَامَة المَآتِم »، نَقلاً عَنْ (خُطط المَقريزي : ٢ / ٣٨٥) مَا نَصّه : « فَإِنّه ـ أي المَقريزي ـ بَعدمَا ذَكَر أَنَّ العَلويِّين المَصريِّين كَانُوا يَتخذُون يَوْم عَاشُورا يَوْم حُزن تُعطّل فِيهِ الأَسوَاق . قَالَ : فَلمَّا دَالَت الدَّولَة اتَّخذ المُلُوك مِن بَني أَيُوب يَوْم عَاشُورَاء يَوْم سُرُور يُوسعُون فِيهِ عَلَىٰ عِيَالِهم ، وَيَتبسَّطون فِي المَطَاعم ، وَيَضعُون الحَلاَوَات ، وَيَتخذُون الأَوَاني الجَدِيدَة ، وَيَكْتحلُون وَيَدخلُون الحَمّام جَرياً عَلَىٰ عَادَة أَهْل الشَّام الَّتي سَنّها لَهُم الحَجَّاج فِي أَيَّام عَبدالمَلك بن مَرْوَان لِيَرغمُوا بِذَلِكَ آنَاف شِيعَة عَليّ بن أَبي طَالِب كَرّم الله وَجْهَه الَّذِين اتَّخذُوا يَوْم عَاشُورَاء يَوْم عَزَاء وَحُزن عَلَىٰ الحُسَين بن عَليّ لأَنّهُ قُتل فِيهِ ... وقَد أَدركنَا بقَايَا مِمَّا عَملَه بنُو أَيُوب مِن اتّخَاذ يَوْم عَاشُورَاء يَوْم سُرُور وَتَبسُّط ....

قَالَ السَّيِّد الأَمِين فِي مَكَان أَخر مِن كِتَاب إِقْنَاع اللاَئِم فِي إِقَامَة المَآتِم : (وَالصَّحِيح أَنَّ الَّذِين سَنّوها ـ أَفرَاح عَاشُورَاء ـ هُم بنُو أُميّة كُلّهُم وَأَتبَاعهُم مِن زَمن يَزِيد ، لاَ خصُوص الحَجَّاج . وَلمَّا دَخَل سَهل بن سَعد الصَّحابي الشَّام ، رَآهُم قَد عَلّقوا السُّتُور ، وَالحُجب ، وَالدِّيبَاج وَهُم فَرحُون مُستَبشرُون ، وَعِندهُم نِسَاء يَلعبنَّ بِالدّفُوف وَالطّبُول ، فَقَالَ فِي نَفْسه : تَرىٰ لأَهْل الشَّام عِيداً لاَ نَعْرفهُ ؟ ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبب دخُول رَأْس الحُسَين عليه السلام فَعَجب لِذَلِكَ » . أُنظر ، بِحَار الأَنْوَار : ٤٥ / ١٢٧ ، لوَاعج الأَشجَان : ٢٢٠ ، اللُّهوف فِي قَتلىٰ الطّفُوف : ٦٧ ، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي : ٢ / ٦٠ ، أَمَالي الشَّيخ الصَّدُوق : ١١٦ ، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم : ٥ / ٢٤٢ ، تَفْسِير ابن كَثِير : ٤ / ١١٢ .

(١) كَان المُتوكّلَ شَدِيد الوَطأة عَلَىٰ آل أَبي طَالِب ، غَلِيظاً عَلَىٰ جَمَاعتهم ، مُهتمّاً بِأُمورهِم ، شَدِيد الغَيظ ، وَالحِقد عَلَيهم ، وسُوء الظَّن وَالتُّهمَة لَهُم . وَاتّفق لَهُ أَنَّ عُبَيد الله بن يَحيىٰ ابْن خَاقَان وَزِيرهُ يُسيء الرَّأي فِيهِم ، فَحَسّن لَهُ القَبِيح فِي مُعَاملتهم ، فَبَلغ فِيهِم مَا لَمْ يُبلغهُ أَحد مِن بَني العَبَّاس قَبْله ، وكَان مِن ذَلِكَ أَنْ كَرَب قَبر الحُسَين ، وَعَفىٰ آثَاره ، وَوَضع عَلَىٰ سَائِر الطُّرق مَسَالح لَهُ ، لاَ يَجدُون أَحداً زَارَهُ إلاَّ أَتوه بِهِ فَقَتلهُ ، أَو أَنْهَكه عُقُوبة .

قَالَ أَحْمَد بن الجَعْد الوَشّا ، وقَد شَاهَد ذَلِكَ ، قَالَ : كَان السَّبب فِي كَرْب قَبر الحُسَين أَنَّ بَعض المُغنيَّات كَانَت تَبْعث بجوَاريهَا إِلَيهِ قَبل الخِلاَفَة يُغنينَّ لَهُ إِذَا شَرِب ، فَلمَّا وَلّيها بَعث إِلَىٰ تِلكَ المُغنيَّة فَعَرف أَنّهَا غَائبَة ، وكَانَت قَد زَارَت قَبر الحُسَين ، وَبَلغهَا خَبَره ، فَأَسرعَت الرُّجُوع ، وَبَعثَت إِلَيهِ بجَاريَة مِن جوَاريهَا كَان يَألفهَا

↔

↔ فَقَالَ لَهَا : أَين كُنتُم ؟ .

قَالَت : خَرَجَت مَولاَتي إِلَىٰ الحَجّ ، وَأَخرجتنَا مَعهَا ، وَكَان ذَٰلِكَ فِي شَعبَان .

فَقَالَ : إِلَىٰ أَين حَجَجتُم فِي شَعبَان ؟ .

قَالَت : إِلَىٰ قَبْر الحُسَين ، فَاْستَطِير غَضباً ، وَأَمر بمَولاَتهَا فَحُسبت ، وَاْستَصفىٰ أَملاَكهَا ، وَبَعث بِرَجُل مِن أَصْحَابه يُقَال لَهُ : (الدِّيزج) ـ وكَان يَهوديّاً ـ إِلَىٰ قَبْر الحُسَين ، وَأَمرهُ بِكَرب قَبْره وَمَحوه ، وَإِخرَاب كُلّ مَا حولَهُ ، فَمَضىٰ لِذَٰلِكَ ، وَخَرّب مَا حولَهُ ، وَهَدّم البِنَاء ، وَكَرب مَا حولَهُ نحو مِئَتي جَرِيب ، فَلمَّا بَلَغ إِلَىٰ قَبْره لَمْ يَتَقدم إِلَيهِ أَحد ، فَأَحضر قَوْمَاً مِن اليَهُود فَكربُوه ، وَأَجرىٰ المَاء حولَهُ ، وَوَكّل بِهِ مَسَالح ، بَيْن كُلّ مَسْلحتَين مِيل ، لاَ يَزورهُ زَائِر إِلاَّ أَخذُوه وَوَجهُوا بِهِ إِلَيهِ » .

وَقَالَ مُحَمَّد بن الحُسَين الأَشنَاني : بَعُدَ عَهْدي بِالزِّيَارَة فِي تِلكَ الأَيَّام خَوفَاً ، ثُمَّ عَمِلتُ عَلَىٰ المُخَاطرَة بِنَفسي فِيهَا ، وَسَاعَدني رَجُل مِن العَطَّارِين عَلَىٰ ذَٰلِكَ ، فَخَرجنا زَائرِين نَكمُن النَّهار وَنَسِير اللَّيل حَتّىٰ أَتينَا نوَاحي الغَاضريَّة ، وَخَرجنَا مِنْهَا نِصْف اللَّيل فَسُرنا بَيْن مَسْلَحتَين حَتّىٰ أَتينَا القَبْر وَقَد خُفي عَلَينَا ، فَجَلعنَا نَشمّهُ وَنَتحرّىٰ جِهته حَتّىٰ أَتينَاه ، وقَد قُلع الصّندُوق الّذي كَان حوَاليه وَأُحرق ، وَأُجري المَاء عَلَيهِ فَاْنخسف مَوْضع اللَّبن وَصَار كَالخَندَق ، فَزُرنَاه ، وَأَكببنَا عَلَيهِ فَشَممْنَا مِنْهُ رَائحَة مَا شَمَمْتُ مِثلهَا قطّ كَشيء مِن الطِّيب ، فَقُلتُ للعَطَّار الَّذي كَان مَعي ، : أَي رَائحَة هَٰذِهِ ؟ .

فَقَالَ : لاَ وَالله مَا شَمَمْتُ مِثلهَا كَشيء مِن العِطْر ، فَودعنَاه ، وَجَعلنَا حَول القَبْر عَلاَمَات فِي عِدّة موَاضع » .

« فَلمَّا قُتل المُتوكّل إِجْتمعنَا مَع جَمَاعة مِن الطَّالبيِّين وَالشِّيعَة حَتّىٰ صُرنا إِلَىٰ القَبْر ، فَأَخرجنَا تِلكَ العَلاَمَات ، وَأَعدنَاه إِلَىٰ مَا كَان عَلَيهِ » .

أُنظر ، مقَاتِل الطَّالبيِّين : ٥٩٧ ـ ٥٩٩ .

وقَالَ اْبْن خِلّكان : لمَّا هَدَم المتوكّل قَبْر الحُسَين بن عَليّ عليه السلام سَنَة (٢٢٦ هـ) قَالَ البَسّامي :

تَالله إِنْ كَانَتْ أُمَـيَّة قَـدْ أَتَت قَتْلَى اْبن بِنْت نَبِيّها مَـظلُوما

فَـلَقَد أَتَـاه بَـنُو أَبِـيه مِـثلهَا هَـذَا لعَـمرُك قَـبرَه مَـهدُومَا

أَسِفُوا عَلَىٰ أَنْ لاَ يَكونُوا شَايعُوا فِـي قَـتْله فَـتَتبعُوه رَمِـيما

وَأَورَد الطُّوسي فِي الأَمَالي : ٢٠٩ ، عَنْ عَبدالله بن دَانيَة الطُّوري .

قَالَ : حَجَجتُ سَنَة (٢٤٧ هـ) سَبع وَأَربعِين وَمِئَتين ، فَلمَّا صَدرتُ مِن الحَجّ وَصرتُ إِلَىٰ العِرَاق ↔

↔ زُرتُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب علىٰ حال خيفة من السلطان، ثمّ توجهتُ إلىٰ زيارة الحسين، فإذا هو قد حرث أرضه، وفجر فيها الماء، وأرسلت الثيران، والعوامل في الأرض فبعيني وبصري كنتُ أرىٰ الثيران تُساق في الأرض فتنساق لهم حتىٰ إذا جاءت القبر حادت عنهُ يميناً وشمالاً، فتضرب بالعصي، الضرب الشديد فلا ينفع ذلك، ولا تطأ القبر بوجه، فما أمكنني الزيارة، فتوجهتُ إلىٰ بغداد وأنا أقول: تالله إن كانت أميّة قد أتت... الأبيات جواد شبّر في أدب الطف: ٣٢٧/١، الطبعة الأولىٰ - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م.

إذن لم يكتف المتوكّل بتنكيل الأحياء، حتىٰ أعتدىٰ علىٰ قبور الأموات، فهدم قبر الحسين٧ وما حوله من المنازل والدور، ومنع الناس من زيارته، ونادىٰ مناديه من وجدناه عند قبر الحسين حبسناه في المطبق - سجن تحت الأرض.

وينسب هذا الشعر إلىٰ عبدالله بن دانية، كما جاء في مناقب آل أبي طالب: ٢٢١/٣، أمالي الشيخ الطوسي: ٣٢٩. قال هذا الشعر وهو لا يعلم في قتل المتوكّل، فوصل إليه الخبر في تلك الليلة. أنظر، الكامل في التأريخ: ٥٥/٧، مقاتل الطالبيين: ١٣٠ و ٤٢٨.

وكان المتوكّل يقرّب عليّ بن جهم؛ لأنّه كان يبغض عليّاً أمير المؤمنين، وكان أبي الجهم هذا مأبوناً: سمعه يوماً أبو العيناء يطعن علىٰ الإمام، فقال له: إنّك تطعن عليه، لأنّه قتل الفاعل والمفعول من قوم لوط، وأنت أسفلهما. أنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٦٣/١، مناقب آل أبي طالب: ١٦/٣ و ٢١٥ طبعة آخر.

وأبلغ ما قرأت عن هذه الجرأة والتضحية: إنّ الأديب العالم المعروف بابن السكّيت كان يوماً في مجلس المتوكّل المبغض المعلن بالعداء للإمام أمير المؤمنين، فقال لابن السكّيت (هو الشيخ الأديب يعقوب بن إسحاق الدورقي، الأهوازي الشهير بابن السكّيت، وكان عالماً بنحو الكوفيين، وعلم القرآن، واللغة، والشعر، راوية ثقة، أخذ عن البصريين، والكوفيين، كالفرّاء، وأبي عمرو الشيباني، والأثرم، وابن الأعرابي، له تصانيف كثيرة في النحو، ومعاني الشعر، وتفسير دواوين الشعر، منها تهذيب الألفاظ، وإصلاح المنطق، قتله المتوكّل بعد أن سل لسانه من قفاه فمات رحمه الله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومئتين، بعد إن كانت ولادته سنة (١٨٦ هـ).

أنظر، بغية الوعاة: ٤١٨، وبغية الطالب لابن العديم: ٣٧٦٨/٨، شذرات الذهب: ١٠٦/٢، تأريخ دمشق: ٣١٧/١٨، ذيل تأريخ بغداد: ٦/٥، البداية والنهاية: ٢٣/١١، سير أعلام النبلاء: ↔

ولَكن ليَنظر نَاظر مَا حَدَث للإِسلاَم بالذَات بَعد أَنْ أَرَاد طُغَاة الشِّرك أَنْ يُطفئُوا نُورَه، حَيْث رَدّ سُبْحَانَه الَّذِين كَفرُوا بغَيظِهِم وقَالَ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وَبمُنَاسبَة قَوْل المُؤلّف: يُكرّر الشِّيعَة مَقْتل الحُسَين لتَذكِير النَّاس بدَولَة الجَور ـ نُشِير إِلَىٰ أَنَّ مُتعَنّتاً سَأَل عَالِماً مِن عُلمَاء الشِّيعَة: لمَاذَا تَذكرُون الحُسَين، وكَرْبُلاَء لَيلَ نهَار، فقَال لهُ: كَيلاَ يُنْكر المُتعصبُون وجُود الحُسَين، أَو يُنْكرُوا مَا

↔ ١٩/١٢، وَفِيات الأَعْيَان: ٦/٣٩٩.

هَل وَلدَاي: المُعْتز، وَالمُؤيد أَحبّ إِلَيْكَ أَم الحَسَن وَالحُسين!

فَقَال لهُ: «إِنَّ قَنبَراً خَادِم عَليّ بن أَبِي طَالب خَيْر مِنْكَ وَمِن وَلَدِيك... فَأَمر المُتوكّل بِسَل لِسَانه مِن قَفَاه فَسُل، وَمَات فِي سَاعته، وَابن السِّكِّيت هَذَا هُو القَائِل:

يُصَاب الفَتىٰ مِن عَثْرَة بِلسَانِهِ ... وَلَيْسَ يُصَاب المَرْء مِن عَثْرَة الرِّجل
فَعَثرَته فِي القَول تُوَدّي بِرأسه ... وَعَثرَته فِي الرِّجل تَبرا عَلىٰ مَهْل

وكَان عِند المُتوكّل مُخَنث يُدعىٰ عَبَّادة، فَيشد عَلىٰ بَطْنِه مَخدَّة، وَيَرقص بَيْنَ يَدي المُتوكّل، وَالمُغنُون يُغنُون: أَقْبَل البَطِين خَلِيفَة المُسْلِمِين وهُم يَعنُون عَليّاً أَمِير المُؤْمِنِين، وَالمُتوكّل يَشرَب وَيَضحك، وَفعل ذَلِكَ يَوْماً، وَابنه المُنْتَصر حَاضر، فَقَال لأَبِيه: أَنَّ الَّذي يحْكِيهِ هَذَا الكَلْب وَيَضحك مِنهُ النَّاس هُو ابْن عَمّك، وَشَيخ أَهْل بَيْتك، وبِهِ فَخرُك. فكلْ أَنتَ لحْمه إِذَا شِئت، وَلاَ تُطعم هَذَا الكَلْب وَأَمثَاله، فَقَال المُتوكّل للمُغَنين: غَنّوا.

غَارَ الفَتىٰ لِابْن عَمّه ... رَأْس الفَتىٰ فِي حَر أُمه

أُنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٧/٥٥، إِكمَال الكَمَال، لِابْن مَاكُولا: ٦/٢٨، تَأْرِيخ دِمَشق: ٢٦/٢٢١.

وَسَمعهُ يَوْماً يَشْتم فَاطِمَة بِنْت الرَّسُول، فَسَأل أَحَد الفُقهَاء، فَقَال لهُ: قَدْ وَجَب عَلَيه القَتل إِلاَّ أَنَّه مَنْ قَتَل أَبَاه لَمْ يَطل عُمرَه.

فَقَال المُنْتَصر: لاَ أُبَالي إِذَا أَطَعت الله بِقَتله أَنْ لاَ يَطول عُمري، فَقَتلهُ، فعَاش بَعْده سَبعَة أَشهُر.

أُنظر، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٣٢٨ ح ١٠٢، الشِّيعَة وَالحَاكمُون: ٢٦٥، بتَحقِّيقنَا. «بتَصرّف».

(١) اَلصَّف: ٨.

جَرىٰ فِي كَرْبُلاَء، كَمَا أَنْكرُوا الغَـدِير، وَيَـغدقُوا الفَـضَائِل عَـلىٰ يَـزِيد وَأَيَّـامَه «الحُلوَة».

لاَ فَتىٰ إِلَّا عَليّ عليه السلام:

تَكَلَّم القُدَامىٰ وَالجُدَد عَن الفُتُوَّة وَأَطَالُوا، وَوَضعُوا فِيهَا الكُـتب وَالمُـؤلّفَات وَمَعنَاهَا كَمَال الرّجُولَة، وَتَألّفت فِي البَلاَد الإِسْلاَمِيّة جمَاعَات وَهَيئَات تَـنْسب نَفْسهَا إِلَىٰ الفُتُوَّة تيَمُّناً بخُلق الإِمَام أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام حَيْث ذَاع فِيهِ وَفِي سَيفَه «لاَ فَتىٰ إِلّا عَليّ، وَلاَ سَيْف إِلّا ذُو الفِقَار»[1]. أَي لاَ يُوزَن بِهِ فَتىً آخر عَظمَة وكَمَالاً، أَمَّا مَصْدَر هَذَا القَوْل «لاَ فَتىٰ إِلّا عَليّ، وَلاَ سَيْف إِلّا ذُو الفِـقَار» فَـهُو جِـبرِيل، وَلَيْسَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله كَمَا تَوهم البَعْض.

قَالَ الدّكتُور الشَّيبي: «أَورَد الطَّبري فِي حَوَادث وَقعَة أُحد أَنَّ عَلِيّاً أَبلىٰ بَلاَء أُعْجَب بِهِ جِبرِيل فَقَال: يَا رَسُول الله أَنَّ هَذِهِ هِي المُوَاسَاة؟

فَقَال النَّبيّ صلى الله عليه وآله: أَنَّ عَلِيّاً مِنّي وَأَنَا مِنْهُ.

فَقَال جِبرِيل: وَأَنَا مِنْكُما. فَسَمع صَوت يَقُول: لاَ فَتىٰ إِلّا عَليّ، وَلاَ سَيْف إِلّا ذُو الفِقَار» وَمِن فُتُوّة عَليّ أَنّه عَرض نَفْسَه للمَوت بمَبِيتَه فِي فِرَاش النَّبيّ لَـيلَة الهِجرَة... وكَان وَلَدهُ الحُسَين فِي التَّضحِيَة مِن طِرَاز نَادِر، فَضَحىٰ بـنَفْسَه فِـي سَبِيل المُـثل الإِسْـلاَمِيَّة حَـتَّىٰ قُـرن اسْـمَه باسْـم السَّـيِّد المَسِـيح، وَأَخـبَاره بأَخبَاره»[2].

(١) تَقدَّمت تَخرِيجَاته.

(٢) أُنظر، الصِّلَة بَيْنَ التَّصوف وَالتَّشيُّع، للدّكتُور كَامِل مُصْطَفىٰ الشَّيبي: ٤٩٤ (مِنهُ رحمه الله).

أَهْلُ الْبَيْتِ عليهم السلام وَالتَّصَوفُ:

وَتَجدُر الْإِشَارَة إِلَىٰ أَنَّه لاَ يُسَوّغ بحَال أَنْ نُعَدّ مِن الصُّوفيَة مَن عَنَاهُم سُبْحَانَه بقَوْلَه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

لأَنَّ كَلمَة التَّصَوف تُوحي عِندَ إِطلاَقهَا بعَدَم الْإِعتدَال... فَمَن أَحبّ الله مِن الصُّوفيَة أَفرَط ـ غَالبَاً ـ فِي تَصرفَاته وكَان أَشبَه بالمَجَاذِيب، وَمَن كَره الدُّنيَا فَرّط بظُلم نَفْسَه وَأَهلَه... هَذَا، إِلَىٰ أَنَّ أَقوَال الصُّوفيَة مَلِيئَة بالشَّطحَات مِثْل القَوْل بالكَشف، وعِلْم البَاطن، وَقَمع الغَرَائز، وَالحلُول، وَوحدَة الوجُود... وكُلّ ذَلكَ يَبرَأ مِنْهُ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأَهْل بَيْتَه عليهم السلام.

وَتَسْأَل: هَل مَعْنَىٰ التَّطهِير فِي آيَة ٱلْأَحْزَاب أَنَّ نفُوس أَهْل الْبَيْت مُنزَّهَة عَن الميُول الخَبِيثَة الَّتي تَحث عَلىٰ الشَّر، وأَنَّهَا تَنْبَعث عفَواً وَتِلقَائيّاً إِلَىٰ الخَيْر فَإِذَا كَان الْأَمر كَذَلكَ فَلاَ فَضل وَفَضِيلَة لأَهل الْبَيْت لأَنَّهُم ـ وهَذِهِ هِي الحَال ـ لاَ يَعَانُون أَي جُهد وَمَشقَّة فِي السِّبَاق إِلَىٰ الخَيْرات.

الجَوَاب:

١ ـ لاَ رَيب أَنَّ مَن يُعَاني الجُهد فِي سَبِيل الخَيْر هُو مَشكُور وَمَأجُور، وَلَكن لَيْسَ مَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ مَن يَفْعَل الخَيْر بلاَ جُهْد وَعنَاء لاَ أَجر لهُ وَلاَ شُكر مَا دَام قَد فَعَلهُ بإِرَادَته ومَع قُدرَته عَلىٰ تَركَه.

٢ ـ أَنَّ طَهَارَة النَّفس تمَامَاً كعَبقريَة العَقْل كلاَهُما مَوضع تَقدِير وَإِعجَاب لَدىٰ النَّاس عَلىٰ عَكْس الخُبث وَالبَلاَدَة.

٣ ـ أَنَّ الْإِنْسَان بطَبْعه فِيهِ الْإِستعدَاد التَّام للخَير، والشَّر قدّيساً كَان أَم شرّيراً،

---

(١) ٱلْأَحْزَاب: ٣٣.

نَبِيّاً أَم شَقيّاً، وَمِن هُنَا نَرىٰ أَكْثَر النَّاس شرّاً لاَ يَخلُو مِن بَذرَة خَير، كَمَا أَنَّ أَطهَر النُّفُوس قَد تَقْتَرف بَعْض الإِثم... وعَلىٰ هَذَا الأَسَاس سَاغَ، وَصَحَّ الحسَاب، وَالثَّوَاب، وَالعقَاب.

وَأَهْل الْبَيْت يَملكُون نفُوسَاً طَيِّبَة زَاكيَة تَدفع بِهم طَوعَاً إِلَىٰ فِعل الخَيْر، وَتَرك الشَّر مَع المَقدرَة عَلىٰ فِعل الشَّر، وَتَرك الخَيْر... وَمِن هُنَا جَاء الفَضل وَالفَضِيلَة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾[1].

(١) ٱلْبَقَرَة: ٤٥.

كَرْبُلاَء، وَفلسْطِين، وَجنُوب لُبنَان

لاَ شَيء يُثلج صَدْري، وَيُهديء مِن رَوعي مِثْل الرَّحمَة، وَسُلطَان العَدل... أَمَّا الظُّلم، وَالقَسوة فَإِنّها تُلهِب عوَاطفي، وَمَشَاعري، وَلعَلَّ هَذَا هُو السّر فِي أَنّي أَتَعَصب وَأَنحَاز، مِن حَيْث لاَ أَحسّ وَأَشعر، إِلَىٰ كُلّ حَاكم يَأمَنهُ البَريء وَالضَّعِيف، وَيَخَافه المُجرم وَالظَّالم، أُحبّ العَادل وَأَشغَف بِهِ أَيّاً كَان وعَلىٰ أَي دِين يَكُون، وَأَغضَب وَأَلعَن كُلّ مُتَكبّر جبَّار حَتَّىٰ وَلَو قَام اللَّيل، وَصَام النَّهَار.

وَتَشَاء الصّدف أَنْ تَنْقض الصَّوَاعق الإِسرَائِيليّة المُحرقَة عَلىٰ جنُوب لُبنَان صَاعقَة إِثر صَاعقَة، وَأَنَا مُنسَجم بكيَاني كلّه مَع عَالَم كَرْبُلاَء، وَمَأسَاتها لأَني الآنْ أَضع كتَاباً فِي الحُسَين، والْقُرْءَان فَٱزدَاد جوّي لَجباً، وَأَعصَابي لَهبَاً... وَبهَذِه الأَعصَاب أَكتُب مَا يَلي:

كُلّ التَّأرِيخ البَشَري، وَبلاَ ٱستثنَاء، فِيهِ شِمر وَيَزِيد مِن يَوْم آدَم وَإِلَىٰ آخر يَوْم... أَلَم يَقْتل قَابِيل، الإِبْن الأَوَّل للإِنْسَان، أَخَاه هَابِيل؟... فَأَين صلَة الدَّم؟... وَتَوَارَث الأَبْنَاء هَذَا الظُّلم إِلَىٰ يَوْم يُبعثُون... وَالفَرق إِنَّمَا هُو فِي الاِسم وَالصُّورَة، تَفَرقَت الأَسمَاء وَالظُّلم وَاحد... إِذَا سَاغ تَغيِير الأَمثَال.

وَمَذبحَة كَرْبُلاَء أَلِيمَة وَعَظِيمَة، تَمَثّلت فِيهَا نَكبَة الإِنْسَانيَّة الشَّامِلَة... لَقَد أَرَاد الأُمَويُون التَّخلص مِن عِتْرَة الرَّسُولﷺ بكُلّ ثَمَن، ليَدُوم لهُم المُلك بلاَ

صعُوبَات وَعَقبَات... فكَان فِي الطَّفّ مَا كَان وَالمُسلمُون سَاعَتئذٍ فِي صَمتٍ شَامل وَغَرِيب كمَا وَصفهُم الشَّاعر[1]:

رَأسُ ٱبْن بِنْت مُحَمَّد وَوَصيّه ... للنَّاظِرين عَلىٰ قَنَاة يُرفعُ
وَالمُسلمُون بمَنْظرٍ وَبمَسمَعٍ ... لاَ مُنكرٍ مِنهُم وَلاَ مُتفَجّعُ

وَملحمَة الشَّعب الفلسْطِيني أَيضاً أَليمَة وَعَظِيمَة، لأَنَّ الصَّهاينَة يُريدُون تَصفيَة هَذَا الشَّعب وَإِبَادَته بكُلّ الوَسَائِل، وَسَدّ بَاب الأَمل بالعَودَة نهَائياً، لتَعِيش إِسْرَائِيل وَحدَهَا فِي فلسْطِين قَرِيرَة العَين... ولَيْسَت الصّهيُونيَة أَدنىٰ قَسوَة وَضِغناً مِن أُميَّة، وَمِن هُنَا جَاءَت المُقَارنَة وَالمُشَابهَة فِي هَذَا الفَصل بَيْنَ كَرْبُلاَء وَفَلسْطِين، وَأَيضاً وَجْه آخر للشَّبه، وَهُو مَوقف العَالَم الإِسْلاَمي وَالعَربي اليَوْم مِن قَضيَّة فَلسْطِين وَلُبنَان... إِنّه تمَاماً كمَوقف المُسْلِمِين آنذَاك مِن وَقعَة الطَّف.

أَين العَمَل المُشترَك، وَالمَوقف الوَاحد ضِدّ مُخَطط الإِبَادَة؟... وَأَين صَيحَة النَّجف، والأَزهر، وَالمُؤتمرَات الإِسْلاَمِيَّة ضِدّ الولاَيَات المُتحدَة، وَمن يَسِير فِي ركَابهَا؟. وَأَين ثَورَة الشُّعوب الإِسْلاَمِيَّة، وَالعَربيَّة عَلىٰ الطُّغمَة الخَائنَة الَّتي أَغرَقت بنَفط العَرب القِوىٰ المُؤيدَة وَالمُحركَة لعُدْوَان إِسْرَائِيل وَطُغيَانهَا وَمَلأت بنُوك الصّهاينَة بالمِليارَات، والإِحتيَاطَات لتتحَول إِلَىٰ أَسلحَة الفَتك بِالعَرب، وَبكُلّ مَن يَنْشُد الحَقّ وَالعَدل.

أَجل، قَطعُوا النَّفط أَو بَعضاً مِنْهُ أَيَّاماً مَعدُودَات، فَذَهل الغَرب، وَٱهتزَّ كيَانه مِن هَذَا الزِّلزَال المَاحق.. وَلَكن سُرعَان مَا عَاد مَن عَاد إِلَىٰ ذُلّ الطَّاعَة، وَتَقشّعَت

(١) أنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٧٠، اللُّهوف فِي قَتلَىٰ الطّفُوف: ١٩٤، مُثِير الأَحزَان: ٨٥، نُور العَين فِي مَشهَد الحُسَين لأَبي إِسْحَاق الإِسْفرَايني: ٦٠، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مخْنَف: ٢٣٣.

الغيُوم عَن فَكّ الْإِرْتبَاط، وَدَفع ثَمَنه غَالِياً لُبنَان، وَالفَلسطينيُون!.

اَبتَدأت مَلحمَة فَلسطِين سَنَة (١٩٤٨ م) وَتتَابعَت عَلَيهَا النَّكبَات الوَاحدَة تُلو الْأُخرىٰ... والآنْ ـ وَأَنَا أَكتُب هَذَا الفَصل فِي حُزيرَان (١٩٧٤م ـ آنقَضَّت الطَّائرَات الْإِسرَائِيليَة العَدِيد مِن المَرّات عَلىٰ جنُوب لُبنَان بَعد فَكّ الْإِرْتبَاط وَقَصفَت القُرىٰ وَمُخيمَات الفَلسطِنِيين... وَنَشرَت الصُّحف اللُّبنَانيَّة فِي (٢١ و ٢٢ مِن الشَّهر المَذكُور ـ أَخبَار هَذِهِ الغَارَات مَع صُور لبَعْض الضَّحَايَا والْأَشلاَء، ومِنْهَا صُور أَطفَال مُشَهوَهِين، وَفَوقهَا بالخَطّ العَرِيض «أَينَ الضَّمِير الْإِنْسَاني بَل أَين الضَّمير العَربي» وَتَحتهَا «لاَ نَخوَة... لاَ شهَامَة... لاَ ثَأر... فَالكُلّ فَكّ الْإِرْتبَاط».

أَلَيْسَت هَذِهِ الكَلمَات القَارعَة اللَّاسعَة تَفسِيراً كَاملاً لَبيت الشَّاعر الحُسَيني

وَالمُسلمُون بمَنْظرٍ وَبمَسمَعٍ ... لاَ مُنكرٍ مِنهُم وَلاَ مُتفَجّعُ

وَمِن هُنَا قِيل كَان الشِّعر فِي القَدِيم كالجَرَائِد فِي العَصْر الحَدِيث... وإِلَىٰ القَارِيء بَعْض مَا نَشَرتهُ الصُّحف فِي وَصف هَذِهِ الكَارثَة الصّهيُونيَّة الْأَمرِيكيَّة.

اَتّخذَت الغَارَات الْإِسرَائِيليَّة عَلىٰ قُرىٰ جنُوب لُبنَان، وَمُخيمَات اللَّاجئِين ـ طَابع الْإِبَادَة... وكَانَت نَتِيجَتها عَشرَات الشُّهدَاء، وَالجَرحىٰ مِن عُجّز النِّسَاء وَأَطفَال... كَانَت القَاذفَات تَضرب الْأَطفَال، وَهُم يَلعبُون فِي الشَّوَارع، وَتَهدم البُيُوت عَلىٰ رُؤوس مَن فِيهَا، وَتَحرق الخِيَام بأَهلهَا، وَتَذهَب حَتَّىٰ إِذَا إِجْتَمع النَّاس لإِنتشَال الجُثَث، وَنَقل الجَرحىٰ إِلَىٰ المُستَشفيَات أَعَادَت القَاذفَات الْإِسرَائِيليَّة الكَرّة. وَقَصفت المُسعفين وَالمُصَابِين مَعاً... وَلمَّا هَدأ القَصف أَتَت الجَرّافَات تَرفَع الْأَنقَاض وإِذَا بوجُوه مُشوهَة لاَ يُعرف صَاحبهَا، وَرُؤوس

مُحَطَّمَة، وَأَيد وَأَرجُل، وَأَصَابع كَبِيرة وَصَغِيرَة... إِلَىٰ شتَات مِن القَتلىٰ حَرقاً بِقَنابل النَّابلم، أَو خَنقاً تَحتَ الرُّكَام، وفِيهِم أَطفَال، وَمُسنُّون، وَحَاملاَت وَمُرضعَات.

هَذَا تَلخِيص كَامل لمَا قَالَتهُ الصُّحف البَيرُوتيَة عَن هَذِهِ المَأسَاة... وَالشَّيء الَّذِي سَكَتت عَنهُ لوضُوحه، وَنُسجّله نَحنُ للتَّأرِيخ لاَ لمُجَرد التَّوجع هُو أَنَّ مُخيمَات الفَلسطينيِّين بلُبنَان تُعَاني الفَقْر، وَالعَوز، وَالبَرد، وَالمَرض، وَالهَوَان، وَالتَّشرِيد، وَالحُزن، وَالكَبت، وَالحَيرَة، وَالقَلق... وَفَوق ذَلكَ البَغي الصَّهيُوني يُرهق الأَروَاح، وَيَحرق الأَجسَاد، وَالدّعم الأَمرِيكي فِي كُلّ مَيدَان وَبلاَ حُدُود، أَو مَع وَصف الإِرهَاب وَالتَّخرِيب!.

أَرَأَيت إِلَىٰ هَذِهِ الفَاجعَة تَحدَث فِي القَرن العِشرِين، عَصْر ٱلنُّور، وَالفَضَاء؟. وَهَل قَرَأت لَهَا مَثِيلاً عبْر التَّأرِيخ؟. أَجل، لقَد حَدَث مِثلهَا فِي كَرْبلاَء، وَلَكن فِي القَرن السَّابع المِيلاَدي (١٠/أُكتُوبر/ ٦٨٠م) حَيْث لاَ فتُوحَات للعِلم، فِي ٱكتشَاف قُوّة البُخار، وَالكَهربَاء، وَالذَّرّة... حَدَث ذَلكَ لمُرشدِين فِي العَرَاء مِن أَرْض كَرْبُلاَء... فَقَد مُنعُوا أَوّلاً مِن شُرب المَاء، ثُمَّ ضُربوا بالسُّيوف، وَطُعنوا بالرِّمَاح، وَقُذفوا بالحِجَارَة... وكَان الفَصل الأَخِير قَطع الأَيدي، وَالرُّؤوس، وَرَض الأَظهُر، وَالصّدُور، وَذَبح الأَطفَال وَسَبي ٱلنِّسَاء، وَتَصفِيد الأَسرىٰ، وَحَرق الخِيَام، وَرَفع الرُّؤوس فَوق الرِّمَاح... وأَيضاً أُلقِيَت الأَجسَاد مِن أَعلَىٰ، وَجُرّت بالحِبال فِي الشَّوارع، وَالأَسوَاق... حَدَث كُلّ هَذَا لاَ لشَيء إِلَّا لقَول الحَقّ، وَطَلب العَدل، وَبِهمَا يُنَادي اللُّبنَانيُّون وَالفلسطينيُّون... وَهَذَا ذَنبهُم وَعَيبهُم!.

وإِنْ دلّت هَذِهِ المَجَازر هُنَا وهُنَاك عَلىٰ شَيء فإنّها تَدل عَلىٰ أَنَّ تَقدّم العُـلُوم الطَّبيعيَّة لاَ يَعْني أَبداً تَقدّم الإِنْسَانيَّة، بَل قَد يَكُون أَدَاة لهَدمهَا، وَتَدميرهَا كَمَا قَالَ سُبْحَانَه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾[1].

أَنَّ المَدِينَة الفَـاضلَة لاَ تَـتَحقّق عَـلىٰ الأَرْض وَلَـن تَـتَحقّق بـالمُخْترعَات، وَالْإِرتقَاء إِلَىٰ ٱلْقمَر، وَالمرِيخ... كَلَّا، وَلاَ بكَثْرَة السّلع الإِستهلاَكيَة وَحدهَا، بَل وَبسيَادَة الحَقّ، وَالعَدل، وَإِشَاعَة الأَمن، وَالسَّكِينَة، وَبالإِخَاء، وَالتَّعَاون عَلىٰ مَا يُرِيد الجَمِيع، لاَ عَلىٰ مَا يُرِيدَه فَرد دُون فَرد، أَو فِئَة دُون فِئَة.

وقَالَ الإِمَام الحُسَين لقِيَادَة البَغي وَالعُدْوَان: «وَيْحكُم أَتطْلُبُونِيْ بِقَتِيْلٍ مِـنْكُمْ قَتَلْتُهُ؟ أَوْ مَـالٍ لَكُـمْ اَسْـتَهْلَكْتُهُ؟ أَوْ بِـقِصاصٍ مِـنْ جِـرَاحِـة؟»[2]. وَبـلسَان الفلسطينيّين، وَاللُّبنانيّين نَقُول للصَّهاينَة، وَالمُتَصهينِين، وَلأَميركَا، وَالمُتَأمْركِين: هَل قَتَلنا مِنْكُم أَحداً، أَو شَرّدنَا اَمرَأة وَطفلاً، أَو اَنْتهبنَا لكُم أَرْضاً، أَو هَدّمنَا لكُم بَيْتاً، أَو اَستَذللنَا مِنْكُم عَزِيزاً، أَو اَنْتَهكنَا عِرضاً؟. أَلَم يَقل الفلسطينيُون لليَهُود مرَاراً، وَتِكرَاراً تعَالُوا نَعْش إِخوَاناً فِي أَرْض وَاحدَة، وفِي ظِلِ حُكـمٍ وَاحـد لاَ مُستَاثر فِيهِ وَلاَ مُتكبّر!.

فَأَبُوا إِلّا الطَّرد، وإِخـرَاج أَهْـل الدَّار مِـن الدَّار، أَو القَـتل، وَالذَّبـح بسـلاَح الولاَيَـات المُـتّحدَة أَقـوىٰ دُول الأَرْض، وَأَعـتَاها تـمَامَاً كَـمَا أَجـمَل الإِمَـام الحُسَين عليه السلام قصّته مَع سَلِيل العِهر، وَالفجُور، بقَوْله: «أَلاَ وَإِنَّ الدعِيَّ اَبْنَ الدَّعِيّ

---

(١) اَلْعَلَق: ٦.

(٢) أنظر، الإِرشَاد الشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٩٨، إِعْلاَم الوَرىٰ بِأَعلاَم الهُدَىٰ الشَّيخ الطَّبرسي: ١ / ٤٥٩، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٨٠ ـ ٢٨١.

قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السِّلَّة وَالذِّلَّة، وَهَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّةَ، يَأْبَى اللهُ لَنا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ، وَجُدُودٌ طابَتْ، وَحُجُورٌ طَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّة، وَنُفُوسٌ أَبِيَّة، لاَ تُؤثِرُ طاعَةَ اللِّئامِ عَلىٰ مَصارِعِ الكِرامِ.»[1].

وَأَيضاً قَالَ الحُسَينعليه السلام لقَادَة العُسف وَالعُنف: «وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْها كَطَيْرَةِ الدُبا، وَتَداعَيْتُمْ إِلَيْها كَتَداعِي الفِراشِ، فَسُحْقاً لَكُمْ يا عَبيْدَ الأَمَة، وَشُذَاذ الأَحْزابِ، وَنَبَذَةَ الكِتابِ، وَنَفْثَةَ الشَّيْطانِ»[2].

أَلاَ يَصدُق هَذَا الوَصف عَلىٰ مَن أَهمَل، وَتَجَاهل مَوضُوع لُبنَان، وَالشَّعب الفلسطِيني وَهُما طَرف أَسَاسي، فِي مُحَادثَات السَّلاَم؟ وَهَل صَحِيح مَا شَاع وَذَاع أَنَّ جنُوب لُبنَان هُو الثَّمن وَالبَدِيل عَن القُنَيطرَة وَالقَنَاة؟.

وأَيضاً يَصدُق قَولُ الإِمَام الحُسَينعليه السلام عَلىٰ المُتَرعمِين، وَالمُترَفِين الَّذِين يَلهُون، وَيَنهلُون مِن موَائِد الحَرَام، وَالتَّرف، وَالتَّبذِير مَا شَاء لَهُم الهَوىٰ، وَالخنَا غَير مُبَالِين بشَاكٍ وَلاَ بَاكٍ، وَلاَ بدِين وَووجْدَان، وَالعُرقُوب، وَالجنُوب بَيْنَ طَابقَين مِن نَار المَدَافع، وَالطَّائِرَات!.

وَبَعد، فَإِنَّ العَالَم الآنْ بِأَسرهِ شَرِيك فِي كُلّ مَا حَدَث، وَيَحدث للُبنَان وَالفلسطِينِين، وَمَسؤول عَن كُلّ مَا حَلَّ بِهما مِن نَكبَات... وَبالخصُوص الولاَيَات المُتحدَة الَّتي أَعطَت الضَّوء الأَخضَر لإِسرَائِيل بضَرب لُبنَان فِي البَيَان المُشتَرك الأَمرِيكي الإِسرَائِيلي... وَبوَجه أَخصّ العَالَم العَربي الَّذِي يَملك قوّة

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ طَبعَة سَنَة ١٩٦٤م، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) أُنظر، الإِحتجَاج، الشَّيخ الطَّبرسي: ٢ / ٢٥، شَرح نَهج البَلاَغَة لإِبن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٣٤٤، النّزاع وَالتَّخاصم، المَقرِيزي: ١٣٩، اللُّهوف فِي قَتلىٰ الطُفُوف، السَّيِّد أبن طَاووس: ٥٩، تَأرِيخ الطَّبري: ٢ / ٢٩٢، البدَاية وَالنّهاية: ٥ / ٨٣، السِّيرَة النَّبوِيَة لإِبن كَثِير: ٤ / ١٣٧.

البترُول وَقوّة المِليَارَات المُودعَة فِي مَصَارف الصّهاينَة، وَحُلفَائهم... لَقَد تَحمّل لُبنَان مِن أَجل فلسطِين، والفلسطينيِّين أَكْثَر بكَثِير مِن كُلّ الدّول العَربيَّة بَل والْإِسْلاَمِيَّة وَغَيرهَا مُجْتَمعَة، وَهُو يَعْجز عَن بَعْض هَذَا الحِمل وَالثّقل، وَمَا رَأىٰ مِن الْأَشقّاء والْأَصدقَاء إِلَّا «نَسْتَنكر، وَنُؤيد، ونَحْنُ مَعكُم»... بَخٍ بَخٍ للعَرب وَالعُروبَة، وَللمُؤتمرَات الْإِسْلاَمِيَّة الَّتي تُعْقَد بالعَشرَات هُنَا وهُنَاك... ثُمَّ لاَ شَيء ضِدّ الغَارَات إِلَّا قَرَارَات مَكرُورَات.

وَهَذَا، وَأَمثَاله دَفَع بالمُقَاومَة الفلسطِينيَة إِلَىٰ التَّصرف اليَائِس، وَعَمليَات الْإِنْتحَار (الْإِسْتشهَاد) وَالتَّفجِير الغَاضب بالمَسلُوب وَالسَّالب، كَمَا حَدَث فِي ميُونخ، وَمعَالوت، وَشمُونا، وَنهاريَا... وقَدِيمَاً قِيل: «لَولاَ المُسَبب لَمْ يَنْجَح السَّبب».

وَأَعُود إِلَىٰ حَدِيث بَلَدي لُبنَان، وَأُكَرّر السّؤال: مَا ذَنْبه حَتَّىٰ أَصبَح بَعد فَكّ الْإِرْتبَاط شُغل إِسْرَائِيل الشَّاغل... أَبداً لَيل نهَار تَقْتِيل... تَدمِير... تَشرِيد... وَحَرق وَأَسر؟... ولمَاذَا كُلّ هَذَا الشَّراسَة، وَالضَّرَاوَة؟.

أَجل، أَنَّ للُبنَان ذَنباً لاَ يُغْتَفر، وَهُو أَنَّ الشَّعب الفلسطِيني كَان بَعد سَنَة (١٩٤٨م) نَسيَّاً مَنسيَّاً لمُؤامرَة مُحكمَة مِن الصَّهاينَة، والْأَمريكَان، وَبَعد سنَوَات طوَال مِن هَذَا النِّسيَان، وَالْإِهمَال ٱستطَاعَت المُقَاومَة الفَلسطينيَّة أَنْ تَثْبت وجُودهَا بطَرِيق أَو بآخر، وأَنْ تُلفت الْأَنظَار إِلَىٰ الفلسطينيِّين كَشَعب لاَ يُمكن تَجَاهله... وَالفَضل فِي ذَلكَ لله وَللبنَان، فَمِنهُ ٱنْطَلقَت المُقَاومَة، وَلَولاَه لم يَكُن لَهَا عَين وَلاَ أَثَر... وَكَفىٰ بذَلكَ جُرمَاً وَإِثمَاً عِندَ أَعْدَاء الحَقّ، وَالْإِنْسَانيَّة.

وفِي هَذَا اليَوْم (٣٠ / ٦ / ١٩٧٤م) قَرَأتُ فِي جَرِيدَة النَّهار كَلمَة جَامعَة

مَانعَة، وَجَريئَة للرَّئِيس السَّابق (شَارل حلو)، جَاء فِيْهَا: «يَبدُو أَنَّنا نَحْنُ اللُّبنانيِّين نَأخُذ عَلىٰ عَاتقنَا مَأسَاة شَعْب فلسطِين... أَمَّا عَرض السِّلاَح، وَالرِّجال مِن أَشقَائنَا فَمُجَرّد مُجَاملَة.. وَكَيف نَستَعِين بقوَات سُوريَّة وَمَصريَّة، وَالجَيشَان مُلتزمَان بفَكّ الإِرْتبَاط مَع المُعتَدِين؟... نَحْنُ نَطلُب أَقل مِن المَال بكَثِير، نَطلُب أَنْ يُهَدِد أَشقَاؤنَا بتَدابِير إِقتصَاديَّة ضِد الَّذِين يُسَاعدُون الإِعتداءَات الإِسرَائِيليَّة عَلَينَا أَو يُشجعونهَا أَو يَقبلُون بهَا... وَيَبدُو أَنَّ مَسَاعي السَّلاَم مَا أَدّت إِلَىٰ تَسلِيمنَا لإِسرَائِيل مُنفرِدين مُنعَزِلين... إِنَّ إِطلاَق اليَدَين لإِسرَائِيل عَلَينَا لاَ كتَدابِير سَلاَم، بَل كتَدابِير حَرْب مُعلنَة عَلَينَا».

وَتَتلَخص كَلمَة الحُلو - كَمَا هُو فِي فَهمي وَمَعرفتي - بأَنَّ السَّلام الَّذِي حَدَث بَعد فَكّ الإِرْتبَاط مَعنَاه تَسلِيم لُبنَان لإِسرَائِيل عَن تَصمِيم، وَتَدبِير سَابق بَيْنَ الصَّهاينَة والأَمريكَان، وَقَد ٱلتَزم بهِ مَن ٱلتَزم مِن العَرب، وَقَام بتَنفِيذه كَاملاً غَير مَنقُوص مِن حَيْث يُرِيد أَو لاَ يُرِيد.

وَبالتَالي، فَمَهما تَفَاقم الشَّر، وَتَضَاعفَت شَوكَته فإِنّنا لاَ نَيأَس مِن العَودَة إِلَىٰ المَوقف العَربي المُوحّد، وَٱستعمَال سلاَح البترُول، بَل وَسلاَح الودَائع الفَائضَة إِنْ أَصرّ المُعتَدي عَلىٰ عِنَادِه... وإِلَّا تَكَشفَت السَّوءَات عَن فَكّ الإِرْتبَاط.

أَصْحَاب الحُسَين عليه السلام

الرَّابِح وَالخَاسِر:

فِي الإِنْجِيل حِكْمَة تَقُول: «مَاذَا يَنْفَع الإِنْسَان لَو أَنَّه رَبَح العَالَم كُلّه، وَخَسَر نَفْسَه»[1]؟ وَتَلتَقي هَذِهِ الحِكْمَة مَع الآيَة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

ومَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ النَّفس وَحدهَا هِي مقيَاس الرِّبح وَالخُسْرَان، وَأَنَّ مَن ٱستقَام بهَا عَلىٰ الحَقّ والهُدَىٰ فهُو الرَّابح، وَمَن قَادهَا إِلَىٰ البَاطِل والضَّلاَل فَهُو مِن الخَاسرِين.

وَمَا مِن شَكّ أَنَّ السَّير عَلىٰ جَادّة الحَقّ صَعْب مُسْتَصعَب، وَقَد يُؤدي إِلَىٰ التَّضحِيَة بالنَّفس، فَمَن بذلَهَا ظَفر بالكَرَامَة الدَّائِمَة، وَمَن أَمسكهَا خَاب فِي مَسعَاه وَمَرمَاه... قَالَ سُبحَانَه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[3].

وقَالَ سَيِّد الكَونَين صلى الله عليه وآله: «للشُّهدَاء كَرَامَات عِند الله لَيسَت لأَحد حَتَّىٰ الأَنْبيَاء،

---

(١) أُنظر، سِفر التَّثنيَة الإِصحَاح: ٧ فِقرَة ٨. (مِنهُ رحمه الله).

(٢) ٱلزُّمَر: ١٥.

(٣) ٱلبَقَرَة: ١٥٤.

مِنْهَا: أَنَّ جَمَيع الأَنْبيَاء يُغَسّلُون، وَأَنَا أُغَسّلُ بَعد المَوْت، وَالشُّهدَاء لاَ حَاجَة لهُم إلَىٰ مَاء الدُّنيَا، وَمِنْهَا: أَنَّ جَمِيع الأَنْبيَاء يُكَفّنُون، وَأَنَا أُكفّن، والشُّهدَاء يُدفنُون بثيَابهِم»[١].

بَيْنَ صَحَابَة النَّبيّ ﷺ وَأَصْحَاب الحُسَين عليه السلام:

دَأَب خُطبَاء المِنبَر الحُسَيني عَلَىٰ أَنْ يَجْعلُوا الصَّحَابَة وأَصْحَاب الحُسَين بمَنْزلَة وَاحدَة عِند الله... وَرُبّ قَائِل: «أَنَّ أَصْحَاب الحُسَين اَفْتَدُوه بالمُهَج والأَروَاح لوَجه الله والحَقّ، مَا فِي ذَلكَ رَيب، وَلَكن الحُسَين قُتل، وَاَزدَادَت دَولَة البَغي عُتوّاً وَضلاَلاً... كَمَا حَدَث فِي مَكّة والمَدِينَة حَيْث أُبيحَت هَذِهِ، وَأُحرقَت تِلكَ، أَمَّا جهَاد الصَّحَابَة وَمَا ضَحّوا بهِ مِن أَروَاح وَدمَاء فَقَد كَان مِن ثَمرَة سَلاَمَة النَّبيّ ﷺ، وَرسُوخ دَولَة الإِسْلاَم بقيَادَته، وَإِذَن فَلاَ مُبرّر للقِيَاس، وَالمُسَاوَاة.

الجَوَاب:

١ ـ أَنَّ مَكَانَة الشَّهيد تُقَاس بمَثَله الأَعْلَىٰ الَّذي قُتل مِن أَجْله، كَمَا قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَن كَانَتْ هِجرَته إِلَىٰ الله وَرَسُوله فَهجرَته إِلَىٰ الله وَرَسُوله، وَمَن كَانَتْ هِجرَته إِلَىٰ دُنيَا يُصِيبهَا، أَو اَمْرَأَة يَنكحهَا فَهجرَته إِلَىٰ مَا هَاجَر إِلَيْهِ»[٢]. وقَالَ

---

(١) أنظر، نَيل الأَوطَار: ٢ / ١٣٩، فَتح البَاري: ١ / ٤٤٢، شَرح سُنن التّرمذي: ٣ / ٢٠٠، تُحفَة الأَحوَذي: ٢ / ٤٣٧، شَرح نَهج البَلاَغَة لاِبْن أَبي الحَدِيد: ٢ / ٦٦، المَحصُول للرَّازي: ٤ / ٣٦٩، الإِحْكَام فِي أُصُول الأَحْكَام، لعَليّ اَبن مُحَمّد الآمُدي: ٢ / ٦٦.

(٢) أنظر، مُسْنَد الحُمَيدي: ١ / ١٦ ح ٢٨، مُسْنَد الطَّيَالسِي: ١ / ٩ ح ٣٧، المُعْجَم الأَوسَط: ١٧ / ح ٤٠، مُسْنَد أَبي دَاود: ٢ / ٢٦٢ ح ٢٢٠١، سُنن البَيْهَقِيّ الكُبْرَىٰ: ١ / ٤١ ح ١٨١، صَحِيح اَبن حِبّان: ٢ / ١١٣ ح ٣٨٨، تُحْفَة الطَّالب: ١ / ٣٧٠. وفِي بَعْض المَصَادر بلَفظ «يَتزوّجهَا».

سُبْحَانَه : ﴿وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

وإِذَن ، فَمعيَار الشّهَادَة الكَرِيمَة عِند الله أَنْ تُرضي الحَقّ وَأَنصَاره ، وَتُغضِب البَاطِل وَأَهْلَه ... وعَلىٰ هَذِهِ السَّبِيل مَضىٰ الصَّحَابَة وأَصْحَاب الحُسَين ، وَكَان ، عَلَيهِ أَفْضَل الصَّلوَات ، يَتمثّل وَهُو فِي طَرِيقهِ إِلَىٰ كَرْبُلاَء ببَعْض الأَبْيَات مِنْهَا :

سَأَمضي وَمَا بِالمَوْت عَار عَلىٰ الفَتىٰ ... إِذَا مَا نَوىٰ خَيراً وَجَاهد مُسْلِما
وَوَاسىٰ رِجَالاً صَالحِين بِنَفسه ... وَخَالَف مَثبُوراً وَفَارَق مُجرِمَا
فَإِنْ عشْتَ لَمْ أَنْدَم وَإِنْ مُت لَمْ أُلَم ... كَفَىٰ بِكَ ذُلاً أَنْ تَعِيش وَتُرغَما (٢)

٢ ـ أَنَّ جَمَاعَة كُثُر مِن الصَّحَابَة ، وفِيهِم بَدريُون ، قَاتلُوا وقُتلوا مَع الحُسَين بنَفْس الدَّافع وَالهَدف اللّذَين حَاربُوا مِن أَجلهُما مَع جدّه رَسُول الله صلى الله عليه وآله ، مِنْهُم عَبدالله بن عُمَير الكَلبي الَّذِي قَالَ : « والله لَقَد كُنتُ عَلىٰ جهَاد أَهْل الشِّرك حَرِيصاً ، وَإِنّي لأَرجو أَنْ يَكُون جهَاد هَؤُلاَء الَّذِين يَغزُون ٱبْن بِنْت نَبيّهم أَيسَر ثوَاباً عِندَ الله مِن ثوَابه إِيّاي فِي جهَاد المُشْرِكين » (٣) . وَمِنْهُم أَنَس بن الحَرث (الحَارث) (٤) ،

---

(١) ٱلنِّسَاء : ٧٤.

(٢) أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٣٠٥ ، الكَامل فِي التَّأرِيخ : ٣ / ٢٧٠.

(٣) عَبد الله بن عُمَير الكَلْبي : مِن بَني عُلَيم ، ـ بنُو عُلَيم بن جنَاب : بَطن مِن كنَانَة عُذرَة ، مِن قُضَاعة ، وَكَلْب مِن قُضَاعة ، مِن القَحطَانيّة (يَمن ، عَرَب الجنُوب) ـ . توجّه مِن الكُوفَة إِلَىٰ الحُسَين مَع زَوجَته أُمّ وَهَب بِنْت عَبد بن النَّمر بن قَاسط ، حِين رَأىٰ ٱبْن زِيَاد يَعرض جُند لإِرسَالهم إِلَىٰ حَرب الحُسَين . وَٱستُشهدت زَوّجته بَعْد قَتْله ، وكَانَ القَتِيل الثَّانِي مِن أَصْحَاب الحُسَين .

أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٥ / ٤٢٩ و ٤٣٦ ، مَقتَل الحُسَين للخوَارزمي : ٢ / ٨ و ٩ ، المَنَاقب لِابن شَهر آشُوب : ٤ / ١١٣ ، تَرجَمة الإِمَام الحُسَين لِابن عَسَاكر : ٣٣١ ، العَوَالم : ٣٣٨ ، مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ١٢٤ ، لوَاعج الأَشجَان : ١٣٨.

وَحَبِيب ٱبن مُظَاهر[١]، وَمُسلِم بْن عَوسجَة[٢]، وَجُنَادَة بْـن الحَـرث[٣]. وَكَـثِير

(٤) أَنَس بن الحَارث الكَاهِلي، أَسدي، وٱبْن كَاهل نِسبَة إِلَىٰ العَشِيرَة.
ذكرهُ ٱبْن شَهرآشوب، والخوَارزمي مُصحفاً بـ(مَالِك بن أَنَس الكَاهلي).
ذكرهُ فِي البحَار مُصحفاً بـ(مَالِك بن أَنَس المَالكي) وَصَححهُ بَعْد ذَٰلِكَ عَن ٱبْن نما الحِلّي.
الكَاهِلي: بنُو كَاهل مِن بَني أَسد بن خُزَيمَة. مِن عَدنَان. (عَرْب الشَّمَال).
شَيخ كَبِير السّن: لاَ بُدَّ أَنْ يَكُون ذَا مَنْزلة إجتمَاعيَّة عَالية بحُكم كَونه صَحَابياً. وَيَـبدُو أَنَّـه مِـن الكُوفَة، فَقَد ذَكر ٱبْن سَعد أَنَّ مَنَازل بَني كَاهل كَانَتْ فِي الكُوفَة.
عَدّه ٱبْن حَجر فِي كتَاب الإِصَابة فِي مَعْرفَة الصَّحَابَة، وٱبْن عَبدالبَر فِي الإِستِيعَاب، وَالجَزري فِي أُسد الغَابة وَنصّ عَلَىٰ مَقْتله مَع الحُسَين.
أنظر، الثُّقَات لِابْن حِبَّان: ٤ / ٤٩، الإِصَابة: ١ / ٩٨ و ٢٧٠ تَحت رَقم «٢٦٦»، تأرِيخ دِمَشـق: ١٤ / ٢٢٤، مَعرفَة الثُّقَات للعِجلي: ١ / ١٧، الرَّوض النَّضِير: ١ / ٩٣، تَـهذِيب الكـمَال: ٦ / ٤١٠، تَأريخ ٱبن الوَردي: ١ / ١٧٣، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد: ١١ / ٧٥، يَنَابِيع المَـودَّة: ٣ / ٨، تَـهذِيب ٱبـن عَسَاكر: ٤ / ٣٣٨، أُسد الغَابة: ١ / ١٣٢، شَـرح الأَخـبَار: ٣ / ٢٤٥، الجَـرح وَالتَّـعدِيل للـرَّازي: ١ / ٢٨٧، تَأرِيخ البُخَاري الكَبِير: ١ / ٣٠ رَقم «١٥٨٣»، الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابْن سَعَد: ٦ / ٥٨. (طَبْعَة لَيدن ـ أوفسَت). مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ٣ / ٢٣٢. و: ٤ / ١٤٨ رَقم «١٥٥٩»، مُثِير الأَحزَان: ٤٦، رِجَال ٱبن دَاود: ٥٢ رَقم «٢٠٩».

(١) حَبِيب بن مُظَاهر الأَسَدي مِن أَصْحَاب الإِمَام عَليّ بن أَبِي طَالِب، وكَانَ مِن شَرطَة الخَمِيس. جَعَلهُ الحُسَين عَلَىٰ مَيسرَة أَصْحَابه عِندَ التَّعبئَة للقِتَال. تَقَدم أَنَّه بَذل مُحَاولَة لإِستقدَام أَنْصَار مِن بَني أَسد، وحَال الجَيْش الأُموي دُون وصُولهُم إِلَىٰ مُعسكَر الحُسَين. وَهُو أَحد الزُّعمَاء الكُوفِيِّين الَّذِين كَـتبُوا إِلَىٰ الحُسَين. كَانَ مُعظماً عِندَ الحُسَين: «لمَّا قُتل حَبِيب بن مُظَاهر هَدَّ ذَٰلِكَ حُسَيناً، وقَالَ عِندَ ذَٰلِكَ: «أَحْتَسب نَفْسي وَحُمَاة أَصحَابي». كَانَ شَخصيَة بَارزة فِي مُجْتَمع الكُوفَة. الأَسَدي: عَدنَان (عَرْب الشَّمَال).
أُنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٤، و: ٤ / ٣٢٠، مَقْتَل الحُسين لِابي مَخْنَف: ١١٣ و ١٤٧، إعلاَم الوَرَىٰ: ١ / ٤٥٧، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٩٥، مَنَاقب آل أَبي طَـالب: ٣ / ٢٥٠، البِـدَايَـة وَالنّهايَة: ٨ / ١٩٣، الأَخبَار الطِّوَال: ٢٥٦، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٣٥٢.

(٢) مُسْلِم بن عَوسَجَة الأَسَدي. هُو أَوَل قَتِيل مِن أَنْصَار الحُسَين، بَعْد قَتْلى الحَمْلَة الأُولىٰ، كَانَ صَحَابيَّاً مِمَّن رَأىٰ رَسُول الله ﷺ. وَرَوي عَنهُ. كَانَ يَأخذ البَيْعَة للحُسَين فِي الكُوفَة.

↔

غيرهم.

٣ـ من درس نفسيّة الشّهداء يجد أنّهم أو أكثرهم يتحركون بدافع واحد، هو

↔ عقد له مسلم بن عقيل على ربع مذحج، وأسد حين بدأ تحركهُ القصير الأجل. شيخ كبير السّن. شخصيّة أسديّة كبرىٰ، إحدىٰ شخصيات الكوفة البارزة. أبدىٰ شبث بن ربعي (في الجيش الأموي) أسفهُ لقتله) الأسدي: عدنان (عرب الشّمال).

أنظر، مثير الأحزان: ١٧ و ٣٩، أسرار الشّهادة: ٢٥٩، تأريخ الخميس: ٢ / ٢٦٦، المحبر لابن حبيب: ٤٨١، مختصر تأريخ الدّول لابن العبري: ١١٦، تأريخ أبي الفداء: ١ / ١٩٠، البداية والنّهاية: ٨ / ١٥٧، تأريخ ابن عساكر: ٤ / ٣٣٢، الإرشاد: ٢ / ٤٥ ـ ٦٦، وقعة الطّف: ٧٧، الإمامة والسّياسة: ٢ / ٨ ـ ١٠، الفتوح لابن أعثم: ٣ / ٥٧ وما بعدها، مروج الذّهب: ٢ / ٨٨، تهذيب التّهذيب: ٩ / ٦٤، تأريخ الطّبري: ٥ / ٤٣٥.

أنظر، إقبال الأعمال: ٣ / ٧٦ و ٣٤٤، مقتل الحسين لأبي مخنف: ٣١ و ٤٢ و ١٠٩، مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٢٤٢ و ٢٤٩، بحار الأنوار: ٤٥ / ٣٤٢، و: ٩٨ / ٢٧١، الكامل في التّأريخ: ٢ / ٥٦١، شرح الأخبار: ٣ / ٢٤٥، المزار للمشهدي: ٤٩١، اللّهوف في قتلىٰ الطّفوف: ٥٦، الإرشاد للشّيخ المفيد: ٢ / ٤٥ و ٩٢، روضة الواعظين: ١٨٤، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ: ٢ / ٢٨٣.

(٣) جنادة بن الحارث الأنصاري (جنادة بن الحرث) الأنصاري: (يمن، عرب الجنوب). وكان خرج بعياله وولده إلىٰ الحسين ـ فقاتل حتّىٰ قتل. فلمّا قتل أمرت زوجته ولدها عمرواً ـ وهو شاب أن ينصر الحسين. فقالت له: «أخرج يا بني وقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله. فخرج واستأذن الحسين، فقال الحسين: هذا شاب قتل أبوه، ولعل أمه تكره خروجه. فقال الشّاب: أمي أمرتني بذلك، فبرز وقاتل حتّىٰ قتل، وحزّ رأسه، ورمىٰ به إلىٰ عسكر الحسين، فحملت أمه رأسه وقالت: أحسنت يا بني، وأخذت عمود خيمة وهي تقول:

أنا عجوز سيّدي ضعيفة   خاويّة بالية نحيفة
أضربكم بضربة عنيفة   دون بني فاطمة الشّريفة

وضربت رجلين فقتلتهما، فأمر الحسين بصرفها، ودعا لها.

أنظر، المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ١٠٤، مقتل الحسين للخوارزمي: ٢ / ٢١، معجم رجال الحديث: ٤ / ١٦٦، رجال الشّيخ الطّوسي: ٧٢، شرح الأخبار: ٣ / ٢٤٧، بحار الأنوار: ٤٥ / ٢٨، تأريخ الطّبري: ٤ / ٣٣٣.

الشّعُور بالوَاجب والإِيمَان بالمَثل الأَعْلَىٰ إيمَاناً تَغَلغل فِي أَعـمَاق كُـلّ شَـهِيد، وَتَأصل فِي طَبعهِ يُكَافح مِن أَجْلهِ وَيُجَاهد حَتَّىٰ المَوْت... ومَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ كُلّ مَن آستُشهد فِي سَبِيل الحَقّ، وَالعَدل، والحُرّيَّة، وَالمُسَاوَاة لوَجه الحَقّ، والحُرّيَّة فَهُو مِن حَيْث المَبدَأ كمَن آستُشهد مَع رَسُول الله، لأَنَّ هَذِهِ القِيَم مِن صَمِيم الإِسْـلاَم وَدَعوَته... وَيَدل عَلَىٰ هَذَا العُمُوم، وَالشّمول نصُوص الكِـتَاب، والسُّـنَّة الَّـتي حَدّدت الشّهَادَة بالقَتل فِي سَبِيل الله بلاَ قَيد وَشَرط، وَمِن البدَاهَة أَنَّ سَبِيل الله تَعم وَتَشمل كُلّ مَا فِيهِ خَير، وَصَلاَح للنَّاس بجهَة مِن الجِهَات.

مِن خَصَائِص الشَّهِيد:

للشَّهِيد خَصَائِص، مِنْهَا: البَسَالَة، وَالثَّبَات، وَالزُّهد بكُلّ المُغريَات، وَالأَنَـفَة مِن الخُضُوع، والهَوَان، وَالصَّمت عَن الشَّكوىٰ مِن أَيّة بَليَة، وَالشّعُور بالمَسئوليَّة عَن الآخَرين، والتَّضحِيَة بكُلّ نَفِيس.

أَمَّا المُفَاضلَة فِي الأَجر عِند الله بَيْنَ شَهِيدٍ وَشَهِيد ـ فَتَجري عَلَىٰ أَسَاس النِّيَّة وَصِدقهَا، وَالعَزم وَقوّته، وَالثّقة بـالله، وَصَـلابتهَا قَـالَ سُـبْحَانَه: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّـهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[1].

وفِي نَهج البَلاَغَة: «فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ»[2]، وفِي أُصُول الكَافِي عَـن الإِمَام الصَّادِق عليه السلام: «إِنَّمَا خُلّد أَهْل النَّار فِي النَّار؛ لأَنَّ نيَاتهُم كَانَت فِي الدُّنيَا لَو خُلّدوا فِيْهَا أَنْ يَعصُوا الله أَبداً، وإِنَّمَا خُلّد أَهْل الجنّة؛ لأَنَّ نيَاتهم كَانَت فِي الدُّنيَا لَو

---

(١) ٱلأَحزَاب: ٢٤.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرّسَالَة (٣١).

بقُوا فِيْهَا أَنْ يُطيعُوا الله أَبَداً»[1].

وَالمُرَاد بمَعصيَة الله هُنَا الكُفر، وَبطَاعَته الإيمَان، بقَرِينَة الخُلُود وإلَّا فَإنَّ نـيَّة العِصيَان وَحدَها مُجَردَة عَن القَوْل، والعَمَل لاَ حسَاب عَلَيهَا وَلاَ عقَاب، وَالكُفْر بمُجَرده يُوجب الخُلُود.

مَرحَباً بالمَوت:

سَبقت الإشَارَة إلَىٰ أَنَّ نَفسيَة الشُّهدَاء وَاحدَة فِي كُلّ زَمَان وَمَكَان... ولَيْسَ أَكْثَر مِن الشَّوَاهد عَلَىٰ هَذِهِ الحَقِيقَة، وَنُشِير هُنَا إلَىٰ شَاهد وَاحد، وَهُو مَا كَان مِن أَمر فِرْعَون وَالسَّحرَة الَّذِين جَمَعهُم مُوسىٰ، وَلمَّا تَبيَّن لهُم الحَـقّ قَـالُوا: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

فَهَدّدهُم فِرْعَون بالصَّلب، وَقَطع الأَيدي، والأَرجُل من خلاَف... فَردوه بقَولٍ حَاسم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾[3].

أَبداً لَنْ تَدخل يَا فِرْعَون البَاطِل إلَىٰ نفُوسنَا، وَلَن تُطفيء بظُلمك وَسُلطَانك جَذوَة الإيمَان مِن قلُوبنَا، وَمَرحباً بالمَوْت عَلَىٰ أَيدي الطُّغَاة... وَهَذَا مَا حَدَث بالذَّات لأَصحَاب الحُسَين بَعد عِشرِين قَرناً عَلَىٰ التَّـقرِيب حَـيْث قَـالُوا ليَـزِيد الطَّاغيَة ما قَالَ السَّحرَة لفِرعَون: «لَنْ نُؤثرَك عَلَىٰ مَا جَاءنَا مِن الدَّلاَئل والآيَات

---

(١) أنظر، الكَافي: ٢ / ٨٥ح ٥. المَحَاسن: ٢ / ٢٣١ ح ٩٤. عِـلَل الشَّـرَائِـع: ٢ / ٥٢٣ ح ١. وَسَـائِل الشِّيعَة: ١ / ٥٠ ح ٤.

(٢) ٱلشُّعَرَاء: ٤٧.

(٣) طه: ٧٢.

عَلىٰ أَنّنا مَع الحَقّ وَأَهلَه ، وَإِنّك المُفسد المُبطل »[١] ... وَحَاول الإِمَام الحُسَين أَنْ يَذهبُوا عَنْهُ ، وَيَدعُوه وَحِيداً حِرصاً عَلىٰ حَيَاتهِم ، فَأَبُوا إِلَّا المَوْت مَعَهُ وَفَاءً لعَهد الله وَرَسُوله .

قُوّة الإِيقَان وَنُور الإِيمَان :

اَشْتَهر عَن الإِمَام أَمِير المُؤْمِنينعليه السلام أَنَّه قَالَ : « لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءِ مَا اَزْدَدتُ يَقِيناً »[٢] . بالله سُبْحَانَه ... وَسوَاء أُثبتَ ذَلكَ عَنْهُ ، أَم لَم يَثْبُت فَهُو عَين الوَاقع ، وَصُورَة عَنْهُ ... والشَّاهِد العَدل أَفعَال الإِمَام قَبل أَقوَاله ، فَقَد كَانَت حَيَاته كلّهَا خَوفاً مِن الله ، وَوَقفاً عَلىٰ طَاعَته وَحدَه لاَ شَريك لهُ ... وَأَي عَجَب مِن هَذَا اليَقِين الَّذِي لاَ حجَاب دُونه ؟ أَلَيْسَ الإِيمَان الحَقّ يَقيناً لاَ رَيب فِيهِ تمَامَاً كمَن قَد رَأىٰ وَقَد سَمع ؟ وإِلَّا فَلاَ إِيمَان صَادق ... قَالَ الإِمَام عَليّعليه السلام : « لاَ يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ »[٣] . وقَالَ : « أُعبد الله كَأَنَّك تَرَاه ،

(١) أنظر ، تَارِيخ الطَّبري : ٤ / ٣١٥.

(٢) أُنظر ، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة : ١١ / ١٨٠ ، شَرح مِئة كَلمة للبحرَاني : ٥٢ ، إِرشَاد ٱلْقُلُوب للدَّيلمي : ٣٧ ، جوَاهر المطَّالب فِي منَاقب عَليّ بن أَبِي طَالب لِاَبن الدِّمَشقِي : ٢ / ١٥٠ ، نَهج الإِيمَان لِاَبن جَبر : ٢٦٩ ، حَاشِية السّندي عَلىٰ النّسائي : ٨ / ٩٦ ، يَنابِيع المَوَدَّة : ١ / ٢٠٣ ، المنَاقب للخوَارزمي : ٣٧٥ح ٣٩٥ ، عُيُون الحِكم والموَاعظ : ٤١٥ ، عَين العَبرة لأَحْمَد آل طَاووس : ٢٢ ، شَرح كلمَات أَمير الْمُؤمِنين لعَبدالوَهاب : ٣ ، مَطلوب كلّ طَالب لرَشيد الوطوَاط : ٣ ، الطّرائف : ٥١٢ ، كَشف الغُمة : ١ / ١٧٠ ، المنَاقب لِاَبن شَهر آشُوب : ٢ / ٣٨ ، حَاشيَة السّندي : ٨ / ٩٦ ح ٤٩٨٧ ، حلية الأَوْلِيَاء : ١٠ / ٢٠٣ ، المَصنُوع : ١ / ١٤٩ح ٢٥٤ ، يَنَابِيع المَوَدَّة : ١ / ٢٠٣ ، تَذكرَة الخواصّ : ١٧ ، إرشاد ٱلْقُلُوب للدَّيلمي : ٢ / ٢١٢ ، شَرح أُصول الكَافِي : ٣ / ١٧٣.

(٣) أُنظر ، نَهج ٱلْبَلاَغَة : ٱلحِكْمَة (٣١٠).

فَإِنْ لَم تَكُن تَرَاه فَإِنَّه يَرَاك »[١]. كَمَا وَصَفهُم الإِمَام عَليّ بن أَبي طَالب عليه السلام: « عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ ـ أي أنفس الْمُؤْمِنِينَ ـ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ »[٢].

وَيَصدُق هَذَا كُلّ الصّدق عَلىٰ أَصْحَاب الحُسَين، فَقَد كَانُوا وَاثِقِين بالفَوز عِند الله مُسْتَبشِرين بنِعمَته وَفَضله... وَلاَ أَثر إِطلاَقاً للحُزن، والخَوْف مِن القَتل فِي قُلوبِهم، سُئل الإِمَام الصَّادِق عليه السلام عَن أَصْحَاب الحُسَين وَإِقدَامهم عَلىٰ المَوْت؟ فَقَال: « لَقَد كَشَف الله الغطَاء لأَصحَاب الحُسَين حَتَّىٰ رَأوا مَنَازلهُم فِي الجَنَّة »[٣].

وَالمُرَاد بالكَشف هُنَا نُور الإِيمَان، وَقوّة الإِيقَان.

وَقَالَ بُرَير بن خُضَير الهَمدَاني لعَبد الرَّحمن الأَنْصَاري: وَلَكنّي لمُسْتَبشر بمَا نَحنُ لاَقُون، وَالله مَا بَيْننا وبَيْنَ الحُور العِين إِلاَّ أَنْ يَمِيل عَلَينا هَؤُلاَء بِأَسيَافِهِم، وَوَدّدتُ أَنَّهُم مَالُوا عَلَينَا السَّاعَة »[٤].

---

(١) أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٦ / ٢٠، صَحِيح مُسْلِم: ١ / ٢٩، سُنن اَبن مَاجه: ١ / ٢٤ ح ٦٤، سُنن أَبي دَاود: ٢ / ٤١٢ ح ٤٦٩٥، سُنن النَّسائي: ٨ / ١٠٢، مَجمَع الزَّوائِد: ١ / ٣٩ و: ٢ / ٤٠، فَتح البَاري: ١٣ / ٣٥٥، المُصَنَّف لِمحَمَّد بن أَبي شَيبة الكُوفي: ٧ / ٢٠٨ ح ١ و: ٨ / ١٢٨ ح ٢٤، مكَارم الأَخْلاق لِلطَّبرسي: ٤٥٩، حَاشِية رَدّ المحتَار: ١ / ١٠، كَنز العُمَّال: ٢ / ٦ ح ١٢٤، أَمَالي الطُّوسي: ٥٢٦، مُسْنَد أَحمَد: ٢ / ٤٢٦، إِحيَاء علوم الدِّين: ٤ / ٣٩٧، شَرح أُصُول الكَافِي: ٨ / ٢١٧.

(٢) أُنظر، نَهج اَلْبَلاَغَة: اَلْخُطْبَة (١٩٣).

(٣) أُنظر، عِلَل الشَّرَائِع: ١ / ٢٢٩ ح ١.

(٤) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥ / ٤٢١ و ٤٢٣، الفُتُوح لِاَبْن أَعْثَم: ٣ / ١٠٦، الكَامل لِاَبْن الأَثِير: ٤ / ٣٧، مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١١٢.

وَكَان الحُرّ الرِّيَاحي ضِدّ الحُسَين فِي بَادِيء الأَمر، وَلمَّا جَدّ الجِدّ قَالَ: «إنّي أُخيّر نَفْسي بَيْنَ الجَنّة وَالنَّار، فوَالله لاَ أختَار عَلىٰ الجَنَّة شَيئاً، وَلو قُطّعت وَحُرّقت»[1]. ثُمَّ انْضَمَّ هُو وَابْنه بُكَير إلَىٰ الحُسَين وَدَافعاً عَنْهُ حَتَّىٰ المَوْت.

ولَيْسَ هَذَا الكَشف عَن الجَزَاء عِلمَاً لدُنيا، وَلاَ وَحيَّاً أَو عُلوّاً إلَىٰ عَالَم المَلكُوت، وإنَّمَا هُو إيمَان أَصِيل، وَيَقِين لاَ رَيبَ فِيهِ كمَا قَالَ الإمَام: «مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ»[2].

(١) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين لأبي مَخْنَف: ١٢١، إعْلاَم الوَرىٰ بأَعْلاَم الهُدىٰ: ٤٦٠.

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (١٣٨).

قَبَس مِن نُوْر الحُسَين عليه السلام

لاَ عِلْم بلاَ عَمَل:

قَالَ الإمَام الحُسَين عَلَيهِ أَفْضَل الصَّلوَات:

«مَا خَلَق الله العِبَاد إلَّا ليَعْرفُوه» فَإذَا عَرفُوه عَبدُوه وَإذَا عَبَدُوه اسْتَغنُوا بعِبَادَته عَن عِبَادَة مَا سوَاه»[1].

المُرَاد بمَعرفَة الله هُنَا عَدَم تَجَاهله وَالغَفلَة عَنْهُ بقَرِينَة قَوْلَه: «إذَا عَرفُوه عَبدُوه». وَالمُرَاد بعِبَادَة الله العَمَل بأَمرهِ تَعَالىٰ وَنَهية بلاَ اسْتثنَاء بقَرِينَة قَوْلَه: «وَإذَا عَبَدُوه، اسْتَغنُوا بعِبَادَته عَن عِبَادَة مَا سوَاه» مَن تَتَبّع سِيرَة أَهْل البَيْت عليهم السلام فِي أَفعَالهِم، وَأَقوَالهم يُؤمن إيمَاناً قَاطعَاً أَنَّ العِلْم -عِندهُم وفِي مَذهبِهِم- مَوصُول بالعَمل، وأَنَّه يرتَبط بِهِ ارتبَاطَاً وَثِيقاً وَعَمِيقاً، وأَنَّه إذَا وَجد عِلْم بلاَ عَمَل فَهُو عِلْم فِي شَكْلَه وَصُورَته، وَجهل فِي وَاقعهِ وَحَقِيقَته.

قَالَ الإمَام أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام: «العِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَ الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإنْ أَجَابَهُ وَإلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ»[2].... وفِي أُصُول الكَافِي عَن الإمَام

---

(١) أنظر، بحَار الأنوَار: ٥ / ٣١٢ ح ١، نُزهَة النَّاظر وَتَنبيه الخَاطر: ٨٠ ح ٣، عِلَل الشَّرائِع: ٩ ح ١، إثبَات الهُدَاة: ١ / ٢٧٥ ح ٢٩٤.

(٢) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكمَة (٣٦٥).

جَعْفَر الصَّادِق عليه السلام أَنَّـه قَـالَ فِـي تَـفْسِير الآيَـة : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾[1].

يَعْني بالعُلمَاء مَن صَدّق فِعلَه قَوْلَه ، وَمَن لَم يُصَدق فِعلَه قَوْلَه فَلَيس بعَالِم »[2]... ومَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ عَلىٰ الإِنْسَان أَنْ يَعْرِف مَا يَجب عَلَيهِ أَنْ يَعْمَله ، وَلاَ يَجَب عَلَيهِ أَنْ يَتَعلم أَي شَيء إِلاَّ بمقدَار مَا يَتَوقف العَمَل عَلَيهِ بالضَّرُورَة أي أَنَّ العِلْم يَجْب بالتَّبع لاَ بالأَصل ، وَكَوسِيلَة لاَ كغَايَة .

وقَالَ جَمَاعَة مِن عُلمَاء الكَلاَم يَجْب العِلْم بالله لأَنّـه مُنْعِم ، وَشُكر المُنْعِم وَاجب ، وَلاَ يَتم ذَلكَ إِلاَّ بالعِلْم بِهِ تَعَالىٰ ، وَمَا لاَ يَتم الوَاجب إِلاَّ بِهِ فَهُو وَاجب... هَذَا هُو الهَدَف الأَوَّل والأَخِير مِن العِلْم بالله : أَنْ نَسْمَع لهُ وَنُطِيع ، ولَكن بَعْض المُعَمِمين يَتّخذُون مِن اَسمِهِ تَعَالىٰ أَدَاة للتّجَارة ، وَوَسيلَة للإِنتَاج تمَاماً كالمَصْنَع ، وَالمَتجَر ، وَالحَقل ، وَالوَظِيفَة .

لاَ مُلْك إِلاَّ بالله :

« مَن حَاوَل أَمرَاً بمَعْصِيَة الله كَان أَفوَت لِمَا يَرجُو ، وَأَسرَع لمَجيء مَا يَحْذَر »[3].

قَد يُفهَم مِن كَلاَم الإِمَام أَنَّ مَن طَلَب الدُّنيَا بمَعصيَة الله فَلاَ يُدرك مِنْهَا شَيْئاً ، وَيَقع فِيمَا كَان يَخَاف وَيَحذَر !... وَلَو صَحَّ هَذَا لأَحجَم النَّاس عَن الحَرَام عَجزاً لاَ

---

(١) فَاطِر : ٢٨.

(٢) أُنظر ، الكَافي : ١ / ٣٦٠ ح ٢ ، إرشَاد الأَذهَان للحِلّي : ١ / ١٤ ، مُنيَة المُرِيد : ١٨١.

(٣) أُنظر ، الكَافي : ٢ / ٣٧٢ ح ٣ ، تُحف العُقُول : ٢٤٨ ، وَسَائِل الشِّيعَة : ١٦ / ١٥٣ ح ٣ ، نُزهَة النَّاظر وَتَنبِيه الخَاطر : ٩٧ ح ٩ ، كَشف الخَفَاء : ٢ / ٢٣٥ ح ٢٤١١.

نَزَاهَة، وَلاَ كَان لشَرِيعَة الفَسَاد، وَجَور الأَوغَاد عَينٌ وَلاَ أَثَر.

وإِذَن فمُرَاد الإِمَام بأَنَّ مَن نَال شَيْئَاً بطَاعَة الله فَهُو حَلاَل مُحَلّل، وَمِن رِزق الله لاَ مِن رِجس الشَّيطَان، وَمَن نَالَه بمَعصيَة الله فَهُو حَرَام مُحَرّم وَمِن رِجس الشَّيطَان لاَ مِن رِزق الرَّحمن... قَالَ الإِمَام أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ: «لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»: «إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا؛ فَمَتَىٰ مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا، وَمَتَىٰ أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا».

أَي إِ[1]لَّا مَا أُذِنَ لنَا بحيَازَته وَالتَّصرف فِيهِ وإِلَّا فَهُو نَهْب وَسَلب.

الوَفَاء والإِستكبَار:

«الوَفَاء مُرُوءَة، وَالإِسْتكبَار صَلَف»[2].

المُرُوءَة: كَمَال الرّجُولَة. الصَّلف: وَقَاحَة وَافْتِرَاء... وللوفَاء أَبْلَغ الآثَار وَأَنْفَعهَا فِي حَيَاة الفَرد، والجَمَاعَة، وَلَولاَ الوَفَاء بالعهُود وَالمُعَاملاَت لإِخْتَّل نظَام الحَيَاة... وأَيضاً لَولاَ الوَفَاء للوَطن لكَان نَهباً لكُلّ طَامع، أَمَّا الوَفَاء للمَبدَأ وَالعَقِيدَة فَيَجمَع الفَضَائِل بكَاملهَا، وَمِن هُنَا قِيل: «مَن لاَ وَفَاء لَهُ لاَ دِينَ لَهُ وَلاَ ضَمِير».

والإِسْتكبَار ضِدّ التَّوَاضع، وَالتَّوَاضع أَنْ تُقَدّر نَفْسَك حَقّ قَدرهَا، وَتَضعهَا فِي مَرتَبتهَا لاَ تعلُو بهَا صَاعداً، وَلاَ تَهبط بهَا نَازلاً، لأَنَّ كلاًّ مِنْهُمَا تَجَاوز عَن الحَدّ

---

(١) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (٣٩٨).

(٢) أُنظر، كَشف الغُمّة: ٢ / ٢٤٢، نُزهَة النَّاظر وَتَنبيه الخَاطر: ٨١ ح ٥، مَعْدَن الجَوهَر: ٦٣، مُثِير الأَحزَان: ٣٨، لسَان العَرَب: ٥ / ١١٠.

وَالعَدل، وَمَتىٰ تجَاوز الشَّيء عَن حدّه تحَول إِلَىٰ ضِدّه. وَمَن «لاَ أَدَب لمَن لاَ عَقلَ لهُ، وَلاَ مَودَّة لمَن لاَ همَّة لهُ، وَلاَ حَيَاء لمَن لاَ دِين لهُ، وَرَأس العَقْل مُعَاشرة النَّاس بِالجَمِيل، وَبِالعَقل تُدرَك الدَّارَين جَمِيعاً، وَمَن حُرم العَقْل حَرمَهُما جَمِيعاً»[1].

لِلعَالِم عَلاَمَتان:

«مِن دَلاَئِل العَالِم ٱنتقَادَه لحَدِيثه، وَعِلْمَه بحَقَائِق فنُون النَّظر، وَمَن أَحْجَم عَن الرَّأي، وَأَعْيَتهُ الحِيَل كَان الرِّفق مِفْتَاحَه»[2].

ذَكَر الإِمَام للعَالِم عَلاَمَتَين:

الأَوْلىٰ: أَنْ يُبدي آرَاءَه وَأَحكَامه عَلىٰ سَبِيل التَّقرِيب، وَيَتوقَّع الخَطأ مِن نَفْسَه، وَيَتقبّل النَّقْد برحَابَة صَدْر... وَلاَحظتُ وَأَنا أَقرَأ وَأَتتبّع أَقوَال العُلَمَاء أَنَّ الإِنْسَان كُلّما ٱتّسعَت آفاقه، وَكَثُر عِلْمَه ضَاق تَعْصبه، أَو تَلاَشىٰ مِن الأَسَاس، وَيَتورّع عَن كَلِمَة «هَذَا هُو الحَقّ دُون سوَاه». ويَقُول: رُبَّمَا كَان أَو قَد يَكُون الأَمر كَذَلكَ... وَبقَدر مَا يَقل عِلْمَه وَيَكثر جَهْله يَزدَاد إِصرَاراً عَلىٰ رَأيه وَتَعصباً لقَوْله.

العَلاَمَة الثَّانيَة: «عِلْمَه بحَقَائِق فنُون النَّظر» أَي مَعْرفَته بأَنوَاع الحَقَائِق وَالتَّحدِيد الكَامل لكُلّ حَقِيقَة، والطَّرِيق إِلَىٰ مَعرفتهَا، فَيَستَدل عَلىٰ الحَقِيقَة الدِّينيَّة بنصُوص الكِتَاب والسُّنَّة، وعَلىٰ الحَقِيقَة الطَّبِيعَة بالمُشَاهدَة والتَّجربَة،

---

(١) أنظر، حليَة الأَوليَاء: ٢ / ٣٦، تَأرِيخ دِمَشق: ١٢ / ٥٢٢، تَأرِيخ ٱبن كَثِير: ٨ / ٣٩.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ ٱبن عَسَاكر: ٤ / ٣٢٣، تُحَف العُقُول: ٢٤٨، بحَار الأَنوَار: ٧٥ / ١١٩ح ١٤ و: ٧٨ / ١٢٨ ح ١١، أَعلاَم الدِّين: ٢٩٨، نُزْهَة النَّاظر وَتَنْبِيه الخَاطر: ١٠٦ح ٦. ذَكَروا الحَدِيث بشَكلٍ مُقَطّع.

وعلىٰ الحقيقة الفلسفيّة بالرُّؤيَة الذّهنيّة، وهكذا...

وَقد تَخفىٰ عَلَيهِ الحقيقة، وَلاَ يُبصر طَرِيقها وَلو تَابع النَّظر... وَعِندَئذ عَلَيهِ أَنْ يُمْسك وَيَتورع عَن الحُكم وَإِبدَاء الرَّأي وإلَّا أُصِيبَت مقَالَته. وقَالَ وَاعظ حَكِيم: «إنْ قُلتَ: لاَ أَدْري عَلّمُوك، وَإِنْ قُلتَ: أَدْري فَضحُوك».

الحِسّ والعَقل:

«دِرَاسَة العِلْم لُقَاح المَعْرفَة؛ وَطُول التَّجَارب زِيَادَة فِي العَقْل»[1].

قَالَ بَعْض القُدَامىٰ: الفَرق بَيْنَ المَعْرفَه والعِلْم أَنَّ المَعْرفَة أَخص بالمَحسُوسَات وَالمَعَاني الجُزئيَة، والعِلْم أَخصّ بالمَعقُولاَت وَالمَعَاني الكُليَّة، ولِذَا يُقَال: البَاري يَعْلَم، وَلاَ يُقَال: البَاري يَعْرف... وَذَهب آخرُون مِنْهُم إلَىٰ العَكس وَقَالُوا: العِلْم إدرَاك الجُزئيَات فِي حَركتهَا وَسَيرهَا وَقوَانِينهَا. وَالمَعْرفَة إدرَاك الكُلّيَات وَالحقَائق النّهائيَّة. أَمَّا الجُدد القَائلُون بالوَضعيَّة المَنطقيَّة فَإِنّهم يُنكرُون التَّعمِيمَات الكُلّية مِن الأَسَاس لأَنَّها لاَ تَعْتَمد عَلىٰ الحِسّ والتَّجربَة بَل عَلىٰ الخَيَال وَرُؤيَة الذّهن... وهَذِهِ الرُّؤيَة فِي نَظرهم أَشبَه بمَضغ الهوَاء... وَبالتَالي يَحصرُون العِلْم وَالمَعرفَة مَعاً بالجُزئيَات، وَتَفصِيلاَتها، وَنتَائِجهَا، لأَنَّها هِي وَحدهَا الَّتي تَقع تَحتَ الحِسّ والإِخْتبَار[2].

أَمَّا الإِمَام الحُسَين عليه السلام فَإِنّه يَقبَل نَتَائج الحِسّ والتَّجربَة بدَلِيل قَوْله: «دِرَاسَة

---

(١) أنظر، عُيُون الحِكَم وَالمَوَاعظ: ٤٠، نَهج السَّعَادَة: ٧ / ٣١٦ ح ٥٨، نُزْهَة النَّاظر وَتَنْبِيه الخَاطر: ١١٥ ح ٥٥، بحَار الأنوَار: ٧٥ / ١٢٨ ح ١١.

(٢) أنظر، التّبيَان للشَّيخ الطُّوسي: ٣ / ٢١، الفُرُوق اللّغويّة لأَبي هِلاَل العَسكَري: ٥٠١.

العِلْم لُقَاح المَعْرفَة ؛ وَطُول التَّجَارب زِيَادَة فِي العَقْل »، وأَيضاً يَقْبَل نَتَائج العَقْل وَإدرَاكَه المَعَاني الكُلّيَة وَالحقَائِق الَّتي تَقع فِيمَا وَرَاء الحِسّ وَالتَّجربَة بدَلِيل قَوْلَه : « لُقَاح المَعْرفَة ؛ وَطُول التَّجَارب زِيَادَة فِي العَقْل »، وَيَرىٰ أَنَّه لاَ غِنىً للعَقل عَن الحِسّ ، وَلاَ للحِسّ عَن العَقْل تَمَاماً كَالشَّجرَة لاَ تُثمر بغَير لُقَاح ، وَلاَ لُقَاح بلاَ شَجرَة .

الجُبْنُ وَالقَسوَة :

« شَرّ خِصَال المُلُوك الجُبْن عَن الأَعدَاء ، وَالقَسوَة عَلىٰ الضُّعفَاء »[1] .

لَئِيم ، جَبَان يَتَحكم برقَاب العِبَاد ، فَمَاذَا تَكُون النَّتِيجَة غَير الشّمُوخ ، وَالتَّجني عَلىٰ الرَّعيَة كَأَثر مِن آثَار اللُّؤم وَالضّعَة ، وَغَير الرّكُوع لعُدْوَان المُعتَدِين ، وَغَارَة المُغِيرين كَثَمرَة مِن ثَمرَات الجُبن ، وَالخوَار .

وَلاَ أَدري هَل يَصدُق هَذَا الوَصف عَلىٰ حُكّام العَالَم ، والمُسْلِمِين فِي هَذَا العَصْر ؟ ... يَجْبنُون عَن إسرَائِيل ، وَيَتنَمرُون عَلىٰ المُسْتَضعفِين مِن رَعِيَتهِم ! ... وَتَسْأَل : مَا قَولَك بهَذَا الحُكم المَشهُور : « كَمَا تَكُونُون يُولّىٰ عَلَيكُم »[2] ؟ ... أَلَيْسَ مَعنَا أَنَّ للأَشرَار حُكّاماً مِن فَصِيلَتِهِم ؟ .

الجَوَاب :

مَعنَاهَا أَنَّ كُلّ مَن سَكَت عَن الحَاكم الجَائِر ، وَلَم يُعلن الحَرْب عَلَيهِ ، كَمَا فَعَل

---

(١) أنظر ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٣ / ٢٢١ ، لوَاعج الأَشجَان : ١٤ ، بحَار الأَنوَار : ٤٤ / ١٨٩ ح ١ ، أَعيَان الشّيعَة : ١ / ٦٢٠.

(٢) أنظر ، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب : ٣ / ٣٠٥ ح ٤٩١٨ ، مُسْنَد الشّهَاب : ١ / ٣٣٦ ح ٥٧٦ و ٥٧٧ ، النّهَايَة فِي غَرِيب الحَدِيث : ١ / ١١٦ ، شَرح الرّضي عَلىٰ الكَافيَة : ٤ / ٣٢٧ ، لسَان العَرب : ٤ / ٥٤.

أَبُو ذَرّ، فَهُو مِثلَه، والدَّلِيل عَلىٰ إرَادَة هَذَا المَعْنَىٰ قَوْل رَسُول الله صلى الله عليه وآله: «السَّاكتُ عَن الْحَقّ شَيْطَان أَخرَس»[1]. «أَفْضَل الْجِهَاد كَلِمَة عَدلٍ عِندَ إِمَـام جَـائِر»[2].

وَأَيضاً رَوىٰ الْإِمَام الحُسَين عليه السلام عَن جَدّه: «مَـن رَأىٰ سُـلطَاناً جَـائِراً، مُسـتَحلاً لحَرَام الله، نَاكِثاً لعَهْد الله، مُخَالفاً لسُنَّة رَسُول الله، يَـعْمل فِـي عـبَاد الله بِـالْإِثم وَالعُدْوَان، فَلَم يُـغيّر مَـا عَـلَيه بـفِعل وَلاَ قَـول كَـان حَـقّاً عَـلىٰ الله أَنْ يُـدخِلَه مُدخَله»[3].

الحَال:

«مَالكَ إنْ لَمْ يَكُنْ لَك كُنْت لهُ، فَلاَ تُبق عَلَيه فَإنّه لاَ يَبْقىٰ عَلَيك، وَكُله قَبْل أَنْ يَأكُلك»[4].

وَهَـذَا تَـلخِيص كَـامل لقَـوْله تَـعَالىٰ: ﴿وَٱلَّـذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْـفِضَّةَ وَلَايُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَـارِ جَـهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[5].

---

(١) أُنظر، فِقْه السُّنَّة للشَّيخ سيّد سَابق: ٦١١.

(٢) أُنظر، سُنن التِّرمذي: ٣ / ٣١٨ ح ٢٢٦٥، المُـصَنَّف لعَـبدالرَّزاق: ١١ / ٣٤٧ ح ٢٠٧٢٠، الْـمُعْجَم الْكَبِير: ١٧ / ٤٩، كَنْز الْعُمَّال: ٣ / ٦٤ ح ٥٥١٢، فَيض القَدِير: ٢ / ٤٠ ح ١٢٤٦.

(٣) أُنظر، أَعيَان الشّيعَة للسَّيِّد مُحسن الأَمين: ٤ / ٢٢٨ طَبْعَة (١٣٦٧ هـ). (مِنهُ رحمه الله). وَتَأرِيخ الطَّـبري: ٣ / ٣٠٧، و: ٤ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥، وَالكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٨٠.

(٤) أُنظر، الدُّرَّة البَاهرَة: ٢٩، بحَار الأَنوَار: ٧١ / ٣٥٧ ح ٢١ و ٧٨، نَهج السَّعَادَة: ٧ / ٣٩٢ و: ٨ / ٢٤٤، أَعلاَم الدِّين: ٢٩٨.

(٥) اَلتَّوْبَة: ٣٤ ـ ٣٥.

الأدواء الثلاثة:

«لَوْلاَ ثَلاَث مَا وَضع ٱبْن آدَم رَأسَه لشَيء: الفَقْر وَالمَرَض والمَوْت»[١].

المَوْت مُحَطِّم الآمَال، وَهَادم اللَّذَات، وَالفقر نَزْع بلاَ مَوت، وَالمَرض يُحِيل الحَيَاة إلَىٰ جَحِيم... وإذَا كَان لكُلّ شَيء جِهَة سَلْب وَإيجَاب، وَخير وَشرّ فَجهَة الخَيْر فِي كُلّ وَاحد مِن هَذِهِ الأَدوَاء الثَّلاَثَة أَنَّه يَكبَح مِن شمُوخ الإِنْسَان وَغرُوره وَكِبريَائه، وَلَولاَ ذَلكَ لأَخَذته العِزّة بالإِثم.

وإذَا لَمْ يَكُن مِن المَوْت بُدّ لأَنّه مِن السَّمَاء لاَ مِن الأَرْض فَإِنَّ مُشكلَة الفَقْر وأَكثَر الأَمرَاض أَو الكَثِير مِنْهَا هِي مِن صُنع الإِنْسَان لاَ مِن إرَادَة الرَّحمن تَمَامَاً كَالجَهل... وَالحَل مُجَانبَة الطَّلب والتَّعلِيم، والعَدالَة الإِجْتمَاعيَّة، بشَرَاكَة الفَقِير للغَني فِي أَموَاله. فَقَد جَاء فِي كتَاب الوَسَائِل عَن الإِمَام جَعْفَر الصَّادِق عليه السلام: «مَا ٱفْتَقر النَّاس وَلاَ جَاعُوا وَلاَ عَروا إلَّا بذنُوب الأَغنيَاء»[٢]... وذَلكَ أَنَّ الله فَرَض للفُقرَاء فِي أَموَال الأَغنيَاء مَا يَكتَفُون بِهِ، وَلَو عَلِم أَنَّ الَّذِي فُرَض لهُم لاَ يَكفِيهم لزَادهُم، وإِنَّمَا يُؤتىٰ الفُقرَاء فِيمَا أُوتُوا مِن مَنْع مَن مَنعهُم حقُوقهُم لاَ مِن الفَرِيضَة» أَي مِن الأَغنيَاء لاَ مِن الله وَدِينَه وَشَرِيعَته.

وفِي نَهْج البَلاَغَة: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ»[٣]. أَي كُلّما ٱزْدَاد

---

(١) أنظر، تَفسِير القُرطُبي: ١٨/٢٠٦، الدَّعوَات: ١٧١ ح ٤٧٩، الخِصَال: ١١٣ ح ٨٩.

(٢) أنظر، وَسَائِل الشِّيعَة: ٩/١٢ ح ٦، مَن لاَ يَحضَره الفَقِيه: ٢/٧ ح ١٥٧٩.

(٣) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الرِّسَالَة (٣٢٨).

الأَغْنيَاء فقرَاً، وَكُلّما مَات غَني مِن التُّخمَة مَات الأُلُوف مِن الجَائِعِين وَمَا مِن عَاقل مُنْصف يُجَادل فِي هَذِهِ الحَقِيقَة.

الحُسَين يَهرَب مِن عَدل الله إِلَىٰ رَحمَته:

أَجل، يَهْرَب سَيِّد الشُّهدَاء عليه السلام مِن عَدْل الله سُبْحَانَه، وَلاَ يَهْرَب مِن كَرْبُلاَء... وَأي عَجَب؟ أَلَيْسَ عَذَاب الله حَقّ وَعَدْل؟ وكُلّ مُؤمن بالله يَهْرَب مِن عَدْله إِلَىٰ رَحْمَته، وَيَلجأ مِنْهُ إِلَيهِ.

وَبَعد، فَقَد كَتَبتُ وَنَشرتُ أَكْثَر مِن مَرّة عَن مُنَاجَاة أَهْل الْبَيْت وَفَلسَفتهَا، وَمَا زُلتُ أَسْتَشعر الظَّمأ إِلَىٰ هَذَا الحَدِيث الخَاشع الآسْر... وَقَد يَظن أَنَّ الدَّافع وَالبَاعث لِهَذَا الظَّمأ هُو وَلاَئي للنَّبيّ وَآله... ولَيْسَ كَذَلكَ، وَإِنْ جَرىٰ حُبّهم مِنّي مَجري الرُّوح وَالدَّم، بَل يَكمُن السّر فِي رُوح الصَّفوَة وَالعِترَة الطَّاهرَة، وفِي عَقلِهم، وَلَحمِهم، وَدمَائهم الَّتي فَارت، وَثَارت لله، وَاَسْتُشهدوا فِي سَبِيلِهِ رَضعَاً فِي المَهْد، وَشبَاباً كالزّهر، وَشيُوخاً كَالبَدر عِندَ تمَامه.

وَالآنْ تَعَال مَعي إِلَىٰ هَذَا المَعِين الفَرِيد... قَالَ عَلَيهِ أَزكىٰ الصَّلوَات مِن دُعَاء كَان يَدعُو بِهِ يَوْم عَرفَة:

«إِلَهي أَنَا بَيْنَ يَدَيك... لاَ ذُو بَرَاءَة فَاعْتَذر».

«وَلاَ ذُو قُوّة فَانْتَصر، وَلاَ ذُو حُجّة فَاحْتَج بهَا».

«وَلاَ قَائِل لَم أَجْتَرح ذَنباً، وَلَم أَعْمَل سُوءاً...».

«إِنّك وَأَنْتَ الحَكَم العَدْل... وَعَدلك مُهلكي».

«وَمِن كُلّ عَدْلك مَهْربي... إِنْ عَذبتَ فَبذنُوبي».

« وإنْ عفَوت فبجُودَك... لاَ إله إلَّا أَنْتَ ».
« سُبْحَانك إنّي كُنتُ مِن المُوحدِين... لاَ إله إلَّا أَنْتَ ».
« سُبْحَانك إنّي كُنتُ مِن الخَائفِين... لاَ إله إلَّا أَنْتَ ».
« سُبحَانك إنّي كُنتُ مِن الرَّاجِين »[1].

هَل هَذِهِ حرُوف وَكَلمَات، أَو وَحي وَعبقَات، أَو صَلاَة وَٱسْتغفَار، وَدُعَاء وَٱعْتذَار؟... أَنّها نَشوَة غَاب مَعهَا الحُسَين عَن كُلّ شَيء حَتَّىٰ عَن نَفسه، وَمَا رَأىٰ إلَّا الوَاحد الأَحد الَّذِي هُو أَقرَب إلَيهِ مِن حَبل الوَرِيد... وإِذَن كَيف؟ وَبمَاذَا يَعْتَذر، وَقَد نَسي العِلم والعَمَل؟ وَبأي شَيء يَحتَج، وَحجّة الله أَقوىٰ وَأَعظَم؟ وَبأيّة قوّة يَذب وَيُدَافع، وَلاَ حَول وَلاَ قوّة إلَّا بالله وَمِن الله؟. فَلَم يَبق إلَّا الهَرب مِن العَدْل إلَىٰ الرَّحمَة... وَأي شَيء أَجمَل مِن أَنْ يَفرّ العَبد مِن غَضَب سَيِّده إلَىٰ لُطفَه، وَحِلمَه بخَاصّة إذَا كَان السَّيِّد يُذكّر عِبَاده دَائماً برَحمَته وَتجَاوزه، لِينَالوا مِنْهَا مَا يَشَاؤُون.

وَلنَفترِض أَنَّ الحُسَين تَذكّر وَذكر العِلْم والعَمَل، وَالقتَال وَالقَتل فِي سَبِيل الله، وَجَرىٰ الحسَاب وَقضىٰ العَدْل بالأَجر وَالتَّعوِيض، فَهل تَكُون النَّتِيجَة أَكْثَر مِن عَمليَة حسَابيَة تجَاريَة تَقُوم عَلىٰ أَسَاس المُعَاوضَة وَالمُبَادلَة، أَو عَمليَة ٱمتحَان وَوَضع عَلاَمَات... وَهَيهَات أَنْ يَرضىٰ الحُسَين بمُعَاملَة التَّاجِر، وَالتّلمِيذ، وَتَأبىٰ عَظَمته إلَّا وسَام الشَّرف، وَالتَّقدِير مِمَّن فِي يَده وَحدَه الضّر وَالنَّفع، وَالخَفض وَالرَّفع... وهُنَا مَكَان العزّة وَالجلاَل.

(١) أنظر، مِن دُعَاء الحُسَين يَوْم عَرفَة، إقبَال الأَعمَال: ٢ / ٨٤.

رُؤوس الشُّهدا

دفن الشُّهداء

انتهت مَذبحة كَربُلاءَ في أوّل سنة (٦١ هـ)، وبعد عمليّة الذَّبح قُطّعت الرّؤوس فكانت (٧٨) بما فيها رأس الإمام وأهل بيته[1]، فاقتسمتها القبائل لكي تتقرب بها إلَىٰ ابن زياد ويَزيد[2].

---

(١) ذكر الطبري في تأريخه: ٢ /٣٦٨ ـ ٣٦٩، و: ٤ /٣٤٨: أنّ عدّة رُؤوس القَتلىٰ الّتي حُملت إلىٰ عُبَيداللهِ بن زياد مَع صُحبَة رَأس الحُسَين عليه السلام اثنان وَسبعُون رَجُلاً. العوالم للبَحرَاني: ١٧ /٣٣٥، البِحَار: ٤٥ /١٠٧، ٢٧٤. أمّا المَسعُودي في مُرُوج الذَّهب: ٣ /٦٣، وَالبِحار: ٤٥ /٧٤ ح ٤ فقد ذكرا:... وَكَان جميع من قُتل مَعهُ سبعاً وَثمَانِين... اللّهُوف في قَتلىٰ الطُّفُوف: ٨١، وَعُمدَّة القَاري في شَرح البُخَاري للعَيني: ٧ /٦٥٦ قَريب مِن هَذَا. مُنتَهىٰ الآمَال للشَّيخ عَبَّاس القُمّي: ١ /٧١٨ بِلَفظ: عَدَدها اثنَين وَسَبعِين رَأساً... مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخنَف: ٢٤٣، مَقتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ /٣٩.

(٢) فَجَاءت كِندَة بِثلاثة عَشَر رَأساً وَصَاحبهُم قَيس بن الأَشعَث.

أنظر، تأريخ الطَّبري: ٤ /٣٥٨، و: ٦ /٢٦١، اللّهُوف فِي قَتلَىٰ الطُّفُوف: ٨١، عُمدَّة القَاري فِي شَرح صَحِيح البُخَاري للعَيني: ٧ /٦٥٦، المَقتَل للمُقرّم: ٣٠٤، البِدَايَة وَالنّهايَة لابن كَثِير: ٨ /١٩٠، أَنسَاب الأَشرَاف للبَلاَذُري: ٥ /٢٣٨، مِرآة الجنَان لليَافعي: ١ /١٣٣، تَذكرَة الخوَاصّ لِسبط ابن الجَوزي: ١٤٤، مُنتهىٰ الآمَال للمُحدّث الشَّيخ عَبّاس القُمّي: ٧١٨.

وجَاءت هَوَازن بِعشرِين رَأساً وَصَاحبهُم شِمر بن ذِي الجَوشن.

أُنظر، تَأريخ الطَّبري: ٤ /٣٥٨.

وَدَفن ٱبْن سَعَد القَتلىٰ مِن شياطِينَه ، وَتَرك جَسَد الإِمَام وَسَائِر الشُّهدَاء بلاَ دَفن ، وحِينَ رَحَل مِن كَرْبُلاَء بجَيْشه الظَّالم الآثم جَاء قَوْم مُجَاوِرُون مِن بَني أَسَد ، وَصَلّوا عَلىٰ جُثَث الشُّهدَاء الأَطهَار ، وَأَقَاموا رَسمَاً عَلىٰ قَبر الحُسَين لاَ

↔ وجَاءَت تَمِيم بِسَبعَة عَشر رَأْسَاً ، وجَاءَت بنُو أَسد بِستَة أَرْؤس ، وجَاءَت مَذْحِج بِسَبعَة أَرْؤس ، وجَاءَ سَائر الجَيْش بِسَبعَة أَرْؤس ، فَذَلك سَبعُون رَأْسَاً » . أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٥ / ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ، وقَدْ قَبل ٱبْن شَهر آشُوب هَذِهِ الرِّوَايَة فِيمَا يَبدُو ، لأَنّه نَقلهَا عَن أَبِي مَخْنَف فِي كتَابه (المَنَاقب : ٤ / ١١٢) ، دُون أَي ٱعْتِرَاض .

أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٥ / ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ، مُثِير الأَحْزَان : ٦٥ ، وفِيهِ (نُظفَت) وَكَذَا فِي اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف : ٦٠ ، وَالظَّاهر أَنَّ إحدىٰ الكَلمَتين تَصْحِيف عَن الأُخرىٰ ، ورُبَّمَا تَكُونَان مَعاً تَصْحِيفاً عَن (قُطِعَت) .

أنظر ، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد : ٢ / ١٦٣ ، الأَخبَار الطِّوَال : ٢٥٩ ، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ٢٠٤ ، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف : ٨٥ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٣٤٩ .

وَرَوىٰ الدِّينَوَري :

« ... وَحُملَت الرُّؤوس عَلَىٰ أَطرَاف الرِّمَاح ، وكَانَتْ ٱثْنَين وَسَبعِين رَأْسَاً ، جَاءَت هَوَازن مِنْهَا بِٱثْنَين وَعشرين ، وجَاءَت تَمِيم بِسَبعَة عَشر رَأْسَاً مَع الحُصَيْن ٱبن نُمَير ، وجَاءَت كِندَة بِثلاَثة عَشر رَأْسَاً مَع قَيْس بن الأَشعَث ، وجَاءَت بنُو أَسد بِستَة رُؤوس مَع هِلاَل بن الأَعوَر ، وجَاءَت الأَزْد بِخَمسَة رُؤوس مَع عَيهمَة بن زُهَير ، وجَاءَت ثَقِيف بِٱثْني عَشر رَأْسَاً مَع الوَلِيد بن عَمْرُو » .

أُنظر ، الأَخْبَار الطِّوَال : ٢٥٩ .

وَرَوىٰ مُحَمَّد بن أَبِي طَالب المُوسَوي :

« .. فَجَاءَت كِندَة بثَلاَثة عَشر رَأْساً وَصَاحبهُم قَيس بن الأَشعَث ، وجَاءَت هوَازن بِٱثني عَشر رَأْسَاً وَصَاحبهُم شِمر ، وجَاءَت بنُو أَسد بِستَة عَشر رَأسَاً ، وجَاءَت مَذْحِج بِسَبعَة رُؤوس ، وجَاءَت سَائر النَّاس بثَلاَثة عَشر رَأْساً » .

أُنظر ، بحَار الأَنوَار : ٤٥ / ٩٢ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٣٥٨ ، و : ٦ / ٢٦١ ، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف : ٨١ ، عُمدَة القَاري فِي شَرْح صَحِيح البُخَاري للعَيني : ٧ / ٦٥٦ ، المَقْتل للمُقرَّم : ٣٠٤ ، البِدَايَة وَالنِّهَايَة لِابْن كَثِير : ٨ / ١٩٠ ، أَنسَاب الأَشرَاف للبَلاَذُري : ٥ / ٢٣٨ ، مِرآة الجِنَان لليَافعي : ١ / ١٣٣ ، تَذكرَة الخوَاصّ لسِبط ٱبن الجَوزي : ١٤٤ ، مُنْتهىٰ الآمَال للمُحدِّث الشَّيخ عَبّاس القُمّي : ٧١٨ .

يُدْرَس أَثَره عَلىٰ كَرّ اللَّيَالي ، والأَيَّام ، كَمَا في كتَاب كَامِل الزِّيَارة عَن الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام[١] .

دَفن الرُّؤوس :

الثَّابت أَنَّ الرّؤوس الزَّكيَة حُملَت مِن كَرْبُلاَء إِلَىٰ الكُوفَة لِابْن زيَاد ، ومِنْهَا إِلَىٰ دِمَشق ليَزِيد بن مُعَاويَة بطَلَبٍ مِنْهُ ، ثُمَّ أُعِيد رَأس الإِمَام الحُسَين إِلَىٰ جَسَدَه الشَّريف ، وَدُفن مَعَه ... هَذَا هُو المَعرُوف عِندَ الشِّيعَة وَالمَشهُور بَيْنَ عُلَمَائهم ، ومِنْهُم الشَّيخ الطُّوسي ، وَالشَّريف المُرتَضىٰ ، وآبْن نمَا أُستَاذ صَاحب الشَّرَائِع ، وآبْن طَاووس وَغيرهم ... وقَالَ سِبط آبْن الجَوزي الحَنْبَلي فِي تَذْكرَة الخوَاصّ : أَشهَر الأَقوَال أَنَّ رَأس الحُسَين رُدّ إِلَىٰ الجَسَد فِي كَرْبُلاَء ، وَدُفن مَعَهُ[٢] .

أَمَّا سَائِر الرّؤوس فَيقُول الثّقة الأَمِين السَّيِّد مُحسن فِي الجُزء الرَّابع مِن كتَاب أَعيَان الشِّيعَة :

« رَأَيتُ بَعد سَنَة (١٣٢١ ه‍) مَشهداً بدِمَشق فِي المِقْبرَة المَعرُوفَة بمَقبرَة بَاب

(١) وَحَفرُوا ـ بنُو أَسد ـ للشُّهدَاء مِن أَهْل بَيْتَه وأَصْحَابه ـ الَّذِين صُرِّعوا حَوله ـ مِمَّا يَلي رِجلَي الحُسَين عليه السلام وَجَمعُوهُم فَدَفنُوهُم جَمِيعاً مَعَاً.

أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٤ / ٣٤٣ و ٣٤٨ ، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد : ٢٢٩ ـ ٢٤٠ و : ٢ / ١١٤ ، لوَاعج الأَشجَان : ١٩٩ ، إِعلاَم الوَرَىٰ : ١ / ٤٧ ، مُرُوج الذَّهَب : ٣ / ٧٢ ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٣ / ٢٥٩ ، بحَار الأَنوَار : ٤٥ / ٦٢ ، الأَخبَار الطِّوَال : ٢٦٠ ، البِدَايَة وَالنّهَايَة : ٨ / ٢٠٥ ، مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ١٩٩ و ٢٠٢ ، يَنَابِيع المَودّة : ٣ / ٨٦.

(٢) أُنظر ، الكَامل لِابْن الأَثِير : ٤ / ٩٢ ، مِيزَان الإِعتدَال : ١ / ٤٤٩ ، لسَان المِيزَان : ٣ / ١٥٢ ، تَأرِيخ عُلمَاء الأَندَلس : ١ / ١٦٦ ، جَمْهرَة الأَنْسَاب : ٢٧٠ ، اللُّبَاب : ٢ / ٦٩ ، المُحبّر : ٣٠١ ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٤ / ٣٤٩ و : ٥ / ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ، مُثِير الأَحزَان : ٦٥ ، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف : ٦٠ ، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد : ٢ / ١٦٣ ، الأَخبَار الطِّوَال : ٢٥٩ ، مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخنَف : ٢٠٤.

الصَّغِير، وَفَوق بَاب المَشْهَد صَخرَة كُتبَ عَلَيهَا: هَذَا مَدفَن رَأس العَبَّاس بْن عَليّ، وَرَأس عَليّ بن الحُسَين الأَكْبَر، وَرَأس حَبِيب بن مظَاهر... وَبَعد سنِين أُعِيد بنَاء هَذَا المَشْهَد، وَأُزِيلَت الصَّخرَة، وبُني الضَّرِيح دَاخل المَشْهَد، ونُقش عَلَيهِ أَسمَاء كَثِيرَة لشُهدَاء كَرْبُلاَء... وَالظَّن قَوي بصحَة نِسبَة هَذَا المَشْهَد إِلَىٰ الرّؤوس، لأَنَّها حُملَت إِلَىٰ دِمَشق وَطَافُوا بهَا للتَشَفي، وَإِظهَار الغَلبَة، وَبَعد هَذَا لاَ بُدّ أَنْ تُدفَن فِي إِحدىٰ مقَابر دِمَشق... فَدُفنَت هَذِهِ الرّؤوس الثّلاَثَة فِي مَقبرَة بَاب الصَّغِير، وَحُفظ مَحل دَفنهَا».

وِيُومِيء دَفن هَذِهِ الرّؤوس الثَّلاَثَة فِي دِمَشق إِلَىٰ أَنَّ سَائِر الرّؤوس أَيضاً مَدفُونَة فِي دِمَشق، أَمّا فِي مَقْبرَة بَاب الصَّغِير، وَأَمّا فِي غَيرهَا، وَدُفنَت الرّؤوس الثَّلاَثَة وَحدهَا لمكَانَة أَصحَابهَا وَشُهرتهم.

الأسرىٰ:

كَان بَيْنَ الأَسرىٰ السَّيِّدَة زَيْنَب، وَسَائر نِسَاء الحُسَين[1]، وَالإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام[2]، والحَسَن بن الحَسَن المُثنىٰ، وكَان قَد أُثخن بالجِرَاح[3]، وَعَن

---

(١) أُنظر، تَذكرَة الخوَاصّ: ١٤٨ طَبْعَة لَكنهُو، صُورَة الأَرْض لِابْن حَوقل: ١٦١، الكَامل لِابْن الأَثِير: ٤ / ٣٥، مُروج الذّهب للمَسعُودي: ٢ / ٩١، وَالعِقد الفَريد: ٢ / ٣١٣، أَعْلاَم النِّسَاء: ١ / ٥٠٤، وَمَجمع الزّوائد: ٩ / ١٩٨، الشّعر وَالشُّعراء: ١٥١، الأَشبَاه وَالنَّظائِر: ٤، الأَغَاني: ١٢ / ١٢٠، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٥ / ٢٤١، شَرح مقَامَات الحرِيري: ١ / ١٩٣، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ١٩٧، الطَّبري فِي تَأرِيخه: ٦ / ٢٦٧، و: ٤ / ٣٥٢، الآثَار البَاقِية للبِيرُوني: ٣٣١ طَبعَة أُوفسيت.

(٢) عِندَمَا حَملُوا النِّسَاء عَلىٰ الأَقْتَاب حوَاسراً، وَقَيدوا بِالحَدِيد زَين العَابِدِين عليه السلام الَّذي لمَّا أَوْقفُوه عَلىٰ مَدرج جَامع دِمشق فِي مَحلّ عَرض السَّبايَا، دَنا مِنْهُ شَيخ وَقَالَ لهُ:

الحَمْدُ لله الَّذي قَتَلكُم، وَأَهْلَكَكم، وَأَرَاح العِبَاد مِن رِجَالكُم، وَأَمكَن أَمِير المُؤمِنِين مِنكُم!.

↔

↔ فَقَالَ لهُ الإِمَام عَليّ بن الحُسين عليه السلام : يَا شَيخ ! هَل قَرَأت القُرْآن ؟.

قَالَ الشَّيخ : نَعم.

قَالَ السَّجّاد عليه السلام : أَقَرَأت هَذِه الآيَة : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ؟ اَلشُّورَىٰ : ٢٣.

قَالَ الشَّيخ : قَرَأتهَا.

قَالَ الإِمَام عليه السلام : وَقَرَأت قَوله تَعَالىٰ : ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، وَقَوله تَعَالىٰ : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ؟ اَلإِسْرَاءِ : ٢٦.

قَالَ الشَّيخ : نَعَم.

فَقَالَ عليه السلام نَحنُ ـ والله ـ اَلقُرْبَىٰ فِي هَذِه الآيَات، وَهَل قَرَأت قَوله تَعَالىٰ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ؟ اَلأَحْزَاب : ٣٣.

قَالَ الشَّيخ : نَعَم.

قَالَ السَّجّاد عليه السلام : نَحنُ أَهْل الْبَيْت الَّذي خَصّنا بِآية التَّطهِير.

قَالَ الشَّيخ : بِالله عَلَيكُم، أَنْتُم هُم ؟.

قَالَ السَّجّاد عليه السلام : وَحَقِّ جَدّنا رَسُول الله صلى الله عليه وآله، إِنَّا لَنَحنُ هُم... مِن غَير شَكّ.

فَبَقي الشَّيخ سَاكِتاً، نَادِماً عَلىٰ مَا تَكلّم بِهِ، ثُمَّ رَفَع رَأسه إِلىٰ السَّمَاء وَقَالَ : (أَللَّهُمَّ إِنِي أَتُوب إِلَيكَ مِن بُغض هَؤُلَاءِ، وَإِنَي أَبرأ إِلَيك مِن عَدُوّ مُحَمّد وآل مُحَمَّد مِن الجِنّ وَالإِنس).

أُنظر، مَقتل الخوَارزمي : ٢ / ٦١، إِقْنَاع اللّائِم فِي إِقَامَة المَآتِم، السَّيِّد مُحْسن الأَمِين : ٢١١.

(٣) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٣٤٢، و : ٦ / ٢٥٩، مقَاتِل الطَّالبِيِّين : ٥٦ و ٥٨ و ١٢٨، المَسْعُودي فِي يَنَابيعه : ٣ / ٧٧، الفُصُول المُهمَّة لِابن الصَّبَاغ المَالكي : ٢ / ٦٩، بِتَحقِّيقنَا، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ١٧٤، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد : ٢ / ١٠٩، يَنَابِيع المَودّة للقُندُوزي الحَنفي : ٣ / ١٧ طَبعَة أُسوة، مُعْجم رِجَال الحَدِيث : ١٥ / ١٧ رَقم «٩٥١٣» و : ٢٢ / ٧٠ رَقم «١٤٠٠٠»، شَرح الأَخبَار : ٣ / ١٧٩، الكَامل فِي التَّأرِيخ : ٢ / ٥٧١ و : ٤ / ٩٢، ذَخَائر العُقبىٰ : ١١٧، أَمَالي الشَّيخ الصَّدوق : ٢٢٦، رَوضَة الوَاعظِين : ١٨٨، الأَخبَار الطّوال : ٢٥٧، مُثِير الأَحزَان : ٥٢ و ٥٥، الكَامِل فِي التَّأرِيخ : ٤ / ٧٥، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطّفُوف : ٥١، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب : ٣ / ١٩٢، الأَخبَار الطّوَال : ٣ / ١٩٦، ↔

كتَاب العِقد الفَرِيد أَنَّ الغُلمَان المَأسُورِين كَانُوا إِثني عَشَر غُلاَماً[١]، وفِي رِوَايَة أَنَّ الإِمَام البَاقر عليه السلام كَان مَوجُوداً مَع الأَسرىٰ[٢].

بنَاء القَبْر:

كَان عَلىٰ قَبْر الإِمَام الحُسَين سَقِيفَة وَمَسجِد فِي عَهْد الأُمويِّين، وَاْستَمر ذَلكَ إِلىٰ عَهْد هَارون الرَّشِيد، فَهُدم البنَاء وَكَرب مَوضَع القَبْر، وكَان عِنده سِدرَة

٢ / ٥٧١، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ٢٠٣، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٩٣، جوَاهر المطَالب فِي مَناقب الإمَام عَليّ: ٢ / ٢٨٨، إقبَال الأَعمَال: ٣ / ٧٥ و ٣٤٣.

(١) أُنظر، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٣١٣، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٩ / ١٩٨، المُعْجَم الكَبِير: ٣ / ١١٨، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٣ / ٣٢٠، تَهْذِيب الكَمَال: ٢ / ٣٠٥ و: ٦ / ٤٣١، صَفوَة الصَّفوَة: ١ / ٣٠٩، الإِسْتِيعَاب: ١ / ٣٩٦، الإِصَابَة: ٥ / ٨، تَأرِيخ خَلِيفَة: ٢٣٥.

(٢) فِي عَهْد الإِمَام أَبي جَعْفَر مُحَمَّد البَاقر بن الإِمَام زَين العَابدِين (٥٧ ـ ١١٤ أَو ١١٧ هـ) الَّذي شَهدَ فَاجِعَة كَرْبلاَء مَع أَبِيه وَعُمرَه إِذْ ذَاكَ أَربع سنِين ـ فِي عَهْدِهِ أَصدَر تَوجيهاً يُعطي شَكلاً مُحدّداً لإِحيَاء الذّكرىٰ الحُسَينيَّة فِي مَوعدهَا مِن كُلّ عَامٍ (اليَوْم العَاشر مِن الشَّهر القَمري الأَوَّل ـ مُحَرَّم ـ مِن السَّنَة الهِجْرِيَّة).

وَيَتكوَّن هَذَا الشَّكل مِن مُمَارستَين:

الأُولَىٰ: زِيَارَة الحُسَين يَوْم عَاشُورَاء لِمَن كَان مَنْزِلَهُ قَرِيباً مِن القَبْر، أَو كَان مَنْزِلَهُ «فِي بُعد البِلاَد وَأَقَاصِيهَا، ولَمْ يُمْكنهُ المَصِير إِلَيهِ فِي ذَلِكَ اليَوْم».

الثَّانِيَة: هِي التَّجمع وَالبُكَاء. قَالَ الإِمَام البَاقِر فِي شَأن البَعِيد عَنْ قَبْر الحُسَين بَعْد الزّيَارَة:

«ثُمَّ لِيَندُب الحُسَين وَيَبكِيه، وَيَأمر مَن فِي دَاره بِالبُكَاء عَلَيهِ، وَيُقِيم فِي دَاره مُصِيبَة بِإِظهَار الجَزَع عَلَيهِ، وَيتلاَقُون بِالبُكَاء بَعضهُم بَعْضاً فِي البيُوت، وليُعَزّ بَعْضهُم بَعْضاً بمصَاب الحُسَين عليه السلام... قَالَ (مَالِك الجُهَني) قُلتُ: فَكَيف يُعزّي بَعضهُم بَعْضاً؟ قَالَ: يَقُولُون: عَظَّم الله أُجُورنَا بمصَابنَا بِالحُسَين عليه السلام، وَجَعلنَا وَإِيَّاكُم مِن الطَّالِبين بثَأرِه وَمَع وَليّه الإِمَام المَهْديّ مِن آل مُحَمَّد».

أُنظر، كَامِل الزّيَارَات: ١٧٤ ـ ١٧٥، بَاب «٧١». وقَرِيب مِنْهُ مَا رَوَاه الشَّيْخ الطُّوسي فِي مِصبَاح المُتَهجد بِسَنده إِلىٰ الإِمَام مُحَمَّد البَاقِر: ٧٧٢، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٠ / ٣٩٩ ح ٢٠.

فَقَطعهَا. وَأُعِيد البنَاء فِي عَهْد المَأمُون، وَهَدمه المُتوكّل(١)، وَلمَّا قَتَله وَلَده المُنْتَصر أَمَر ببنَاء القَبْر الشَّرِيف(٢)، وحِينَ حَكَم البُوَيهيُون عَظّمُوا العَتبَات المُقَدَّسَة فِي العرَاق، وَزَادُوا فِي بنَائهَا(٣).

وَالعمَارَة المَوجُودَة الآنْ عَلىٰ مَرقَد الإمَام الحُسَين أَمَر بهَا السُّلطَان أُويس الإيلخَاني سَنَة (٧٦٧ هـ) وَتَأرِيخها مَوجُود فَوق المِحرَاب القبلي مِمَّا يَلي الرَّأس الشَّرِيف، وَأَكملهَا أَحمَد بن أُويس سَنَة (٧٨٦ هـ) وَقَد زِيدَ فِيْهَا شَيْئاً فَشيئاً حَتّىٰ بَلَغت إِلَىٰ مَا نَرَاه الآنْ مِن الفَخَامَة(٤).

هَيْكَل والأَمَاكن المُقَدَّسَة:

أَلّف الدّكتُور مُحَمَّد حُسَين هَيْكَل كتَاب «الإمبرَاطُوريَّة الإِسْلاَمِيَّة، وَالأَماكن

---

(١) تَقدَّمَت تَخرِيجَاته.

(٢) أُنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٧ / ٥٥، إكمَال الكَمَال، لإبْن مَاكُولا: ٦ / ٢٨، تَأرِيخ دِمَشق: ٢٦ / ٢٢١، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٣٢٨ ح ١٠٢، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٣٢١، المُجدي فِي أَنسَاب الطَّالبِين: ٣٧٢، كتَاب العِبر للذَّهبي: ١ / ٤٤٩.

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الشِّيعَة للشَّيخ مُحَمَّد الحُسَيْن المُظفَر، الأَدَب فِي ظِلّ بَني بوَيه، للغنَّاوي: ١٨ و ١٢٧، طَبعَة (٩٤٩م)، خُطَط الشَّام: ٦ / ٢٥٦ طَبْعَة ١٩٢٨م.

(٤) تلخِيص مِن كتَاب أَعيَان الشِّيعَة: الجُزء الرَّابع. وفِي كنُوز كتَاب الأَعيَان الَّذِي تجَاوز أَكثَر مِن خَمسَة وَخَمسِين جُزء لآلىء، وَشَذرَات مُنتَشرَة فِيهِ هُنَا وهُنَاك ـ لَو جُمعَت فِي كتَاب بهَذَا الإِسم لكَان فَرِيداً فِي بَابه. وَعَلىٰ سَبِيل المثَال تَتبعتُ العَدِيد مِن الكُتب بَحثاً عَن دَلِيل مِن طُرق السُّنَّة عَلىٰ وَجُوب «حَيَّ عَلىٰ خَير العَمَل» فِي الأَذان فَمَا وَجَدتُ ضَالتي إلَّا فِي الجُزء الأَوَّل القِسم الثَّانِي مِن أَعيَان الشِّيعَة. أَقوُل هَذَا مَع تَقدِيري لمَا ذَكرَه صَاحِب دَلاَئل الصِّدق فِي ذَلكَ. (مِنْهُ رحمه الله).

أُنظر، فَضْل الكُوفَة وَمَسَاجدهَا: ٨٣، المَوْعِظَةُ الحَسَنَةُ، الإِمَام المُهدِي لدِين الله أَبي القَاسم مُحَمَّد ابن القَاسم الحوثي الحُسينِي: ١٠٩ وَمَا بَعْدَهَا.

المُقَدَّسَة » ذَكَر فِيهِ الكَعْبَة الشَّريفَة ، وَالمَسْجِد الحَرَام ، وَالرَّوضَة النَّبويَّة المُقَدَّسَة ، وَالمَسْجِد الأَقْصىٰ ، وَكَنيسَة القِيَامَة فِي بَيْت المُقدّس ، وَكَنيسَة المَهْد فِـي بَـيْت لَحِم ، وَمَبكي اليَهُود ... ذَكَر هَيْكَل كُلّ أولاَء وَتَـجَاهل العَـتبَات المُـقَدَّسَة فِـي العرَاق ، وَمَشْهد الرِّضا فِي إِيرَان ، وَقبُور الأَئِمَة الأَطهَار فِي البَقِيع .

ولَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ الكَاتب الفَهِيم لاَ يُقَدّم لقُـرّائـة أي شَـيء مِـن غَـير سَـنَد وأَسَاس ... فإِنْ كَان المِعيَار عِند هَيكَل كَثْرَة الزَّائرِين وَالجَمّ الغَفِير فَـإِنَّ الَّـذِين يَؤُمُّون قبُور العِترَة الطَّاهرَة فِي كُلّ سَاعَة يُعدّون بالمِئَات ، وفِي كُلّ يَوْم بالآلاَف ، وفِي كُلّ سَنَة بالمَلاَيِّين ، وَإِنْ كَان المقيَاس عَظمَة صَاحب القَبر وَتأرِيخه ، وَآثَارَه فإِنَّ شُهرَة عَليّ ، والحُسَين فِي هَذَا المَيْدَان لاَ يُعذر بجَهلهَا كَاتب بخَاصّة العَربي ، وَبالأَخصّ المُسْلِم ... وإِذَن فَلاَ مُبرّر لمَوقف هَيْكَل إِلَّا رُوح التَّعصب وَالتَّحَامل .

مَبكي اليَهُود ، وَكَنيسَة المَهْد مِن الأَمَاكن المُقَدَّسَة عِندَ هَيْكَل أَمَّا قبُور العِترَة وَالآل فهُو بهَا مِن الجَاهِلين ! ... ولمَاذَا ؟ وَهَل مِن ذَنْب إِلَّا أَنَّ الله قَد قَالَ : ﴿إِنَّـمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَـنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْـلَ ٱلْـبَيْتِ وَيُـطَهِّرَكُـمْ تَـطْهِيرًا﴾[١] ، وَأَوجَب مَودّتهُم بقَوْلَه تَعَالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢] ... مَعطُوفاً عَـلَيهَا الحَـدِيث الَّذي رَوَاه البُخَارِي فِي صَحِيحَه ، وَهَذَا نَصّه بِالحَرف : «كَيف نُصَلّي عَلَيكَ ـ يَـا رَسُول الله ـ فَقَالَ : قُولُوا : أَللَّهُمَّ صَلّ عَلَىٰ مُحَمَّد وعَلَىٰ آل مُحَمَّد ، كمَا صَلّيت عَلَىٰ

(١) ٱلْأَحْزَاب : ٣٣.

(٢) ٱلشُّورَىٰ : ٢٣.

آل إبْرَاهِيم، إِنّك حَمِيد مَجِيد »[١]. ومَع هَذَا تَركُوا الصَّلاَة عَلىٰ آلهِ عَن قَصْد وَتَصمِيم... حَتَّىٰ رَاوي هَذَا الحَدِيث بالذَّات صَلّىٰ عَلىٰ النَّبيّ عِندَ ذِكرِه، وَتَرَك الصَّلاَة عَلىٰ آلهِ!... أَلَيْسَ مَعْنَىٰ هَذَا سَمعنَا وَعَصينَا تمَامَاً كَمَا قَالَ الَّذِين: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢].

---

(١) أُنظر، البُخَارِي فِي صَحِيحه: ج ٨ كِتَاب الدَّعوَات، بَاب الصَّلاَة عَلَىٰ النَّبيّ. (مِنْهُ). (صَحِيح البُخَارِيّ: ٦/٢١٧ و ٢٩١).

وَقَد ذَكر الفَخر الرَّازي فِي تَفْسِيره: ٧/ ٣٩١ أَنّ أَهْل الْبَيْت سَاووا النَّبيّ صلى الله عليه وآله فِي خَمسَة أشيَاء: فِي الصَّلاَةِ عَلَيهِ وعَلَيهم فِي التَّشهد، وفِي السَّلام، وفِي الطَّهَارة، وفِي تَحرِيم الصَّدَقَة، وفِي الْمحبَّة.

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: مَعْرِفَة آل مُحَمّدٍ بَرَاءَة مِن النَّار، وحُبّ آل مُحَمّدٍ جوَاز عَلىٰ الصِّراط، والْوِلاَيَة لآل مُحَمّدٍ أَمَان مِن العَذَاب. (يَنَابِيع المَوَدَّة: ١/ ٢١ فِي المُقدّمة نَقلاً عَن ذَخِيرة المَآل طَبْعَة ٧ قُم).

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: لاَ تُصلّوا عَليّ الصَّلاَة البَتْرَاء، قَالُوا: ومَا الصَّلاَةِ البَتْرَاء يَا رَسُول الله؟ قَال: تَقُولون: أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمّدٍ وتَسكتُون، بَل قُولُوا: أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمّدٍ وعَلىٰ آل مُحَمّد.

(أُنظر، الصَّوَاعِق المُحرِقَة لِابْن حَجر: ١٣١، فَتح القَدِير للشُّوكَاني: ٤/ ٢٨٠ نَقله عَن صَحِيح مُسْلِم، تَفْسِير الخَازن: ٥/ ٢٥٩).

(٢) اَلْبَقَرَة: ٩٣.

النُّبوَّة والإْمَامَة

الشِّيعَة والفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة:

قَرَأتُ فِي مَجلّة المَجلّة المَصريَة مَقَالاً بعُنوَان: «نَظرَة جَدِيدَة فِي الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة» تَحَدّث فِيهِ عَن كتَاب «تَأرِيخ الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة» تَألِّيف هِنري كوربَان الأُستَاذ بالمَدرَسَة العِلمِيَة للدّرَاسَات العُليا فِي كُلّية الآدَاب بالسّوربُون... وَبَعد أَنْ أثنىٰ الدّكتُور عَلىٰ الكِتَاب وَصَاحبه قَالَ:

الجَدِيد فِي هَذَا الكِتَاب أَنَّه أَعْطىٰ للشِّيعَة مِن الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة نَصِيب الأَسَد... فَقَد كتَب عَن المَذَاهب الشّيعيَّة (١١١) صَفْحَة، وَعَن مَذَاهب أَهْل السُّنَّة (٢٦) صَفْحَة فَقَط... وأَيضاً أَعْطىٰ أَهميَة كُبرىٰ لفَلاَسفَة الشِّيعَة مِثْل مِير دَامَاد وَمُلا مُحسن الفَيض، وَعَبدالرَّحمن لاَهِيجي، وَقَاضي سَعِيد قُمّي، وَصَدر الدِّين الشِّيرَازي، والسَّيِّد حَيْدَر الآمُلي، وَالجَلاَل الرَّواني، وآبْن كَمُّونَة، وَمَحمُود شَبَستري، وَوَضعهُم ـ كوربَان ـ فِي مَصَاف أَعْلاَم الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة».

ثُمَّ آنْتَقد الدّكتُور بَدَوي المُؤلّف بلبَاقَة، وَتَهذِيب قَالَ: «نَحْنُ مَع الَّذِين يَسْعَون لإِنْصَاف الشِّيعَة وَإِعْطَائهم حَقّهم فِي الدَّور الَّذِي قَامُوا بِهِ فِي الحَيَاة الرُّوحيَّة وَالعَقليَّة فِي الإِسْلاَم، ولَكن بشَرط أَنْ لاَ يَكُون فِي ذَلكَ إِجحَاف بدَور السُّنَّة.. وَلَو كَان فِي وَاقع الحَال مَا يُبرّر تَفْضِيل الشِّيعَة لكَان هَذَا مَفهُوماً، ولَكن الحَال

عَلىٰ العَكس، وفِي القَلِيل أَنَّ السُّنَّة والشِّيعَة مُتسَاويَان فِي النَّصيب... وَقَد يَكُون للمُؤلّف بَعْض العُذر فِي أَنْ يَخصّ الشِّيعَة بنَصِيب كَبِير، لأَنَّ الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة لَم تَفِ بحَقّهم حَتَّىٰ الآنْ، ولَكن بشَرط عَدَم الإِخلاَل بالتَّوَازن»[١].

كَتَب ـ كوربان ـ عَن فَلاَسفَة الشِّيعَة أَكْثَر مِمَّا كَتَب عَن فَلاَسفَة السُّنَّة فعَاتَبه الدّكتُور بَدَوي بحُرقَة، وَاتّهمه بالإِجْحَاف وَعَدم الإِنْصَاف!... وَمِن قَبل كَـتَب البَدَوي وغَيْرَه مِن السُّنَّة المُعَاصرِين وَغير المُعَاصرِين، وَأَلّفوا عَشرَات الكُتُب فِي الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة، وَأَجْحَفوا وَلَم يَفُوا بحَقّ الشِّيعَة وَفَلاَسفتهُم ومَع هَذَا سَكـتُوا وَتَجاهلُوا!... وعَلىٰ أيّة حَال نَشكُر الدّكتُور بَدَوي عَلىٰ إِشَارَته إِلَىٰ «أَنَّ كُـتُب تَأرِيخ الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة لَم تَف بحَقّ الشِّيعَة حَتَّىٰ الآنْ».

لَسْنَا بَاطنيِّين:

وَالَّذِي يَهمّني هُنَا مِمَّا نَقلهُ الدّكتُور بَدَوي عَن ـ كوربان ـ هُو قَوْله:

«الفِكْر الشِّيعِي يَقُوْم عَلىٰ أَسَاسَين: التَّأوِيل البَاطن. ثُمَّ الولاَيَة... أَنَّ النُّبوَّة قَد خُتمَت بمُحَمَّد ﷺ أَي أَنَّه آخر الَّذِين جَاءُوا بشَرِيعَة جَدِيدَة للإِنْسَـانيَّة بَـعد آدَم، وَنُوح، وَإِبْرَاهِيم، وَمُوسىٰ، وَعِيسىٰ[٢]، ولَكن الشِّيعَة يَرون أَنَّ ختَام النُّبوَّة

---

(١) أنظر، مَجلّة المَجلّة المَصريّة العَدَد (٩٥ تأرِيخ ١١/ ١٩٦٤م) مقالاً للدّكتُور عَبدالرَّحمن بَدَوي بعُنْوَان «نَظرَة جَدِيدَة فِي الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة». (مِنْهُ ﵀).

(٢) المَعرُوف أَنَّ أَصْحَاب الشَّرِيعَة مِن الأَنْبِيَاء خَمْسَة: نُوح، وإِبْرَاهِيم، وَعِيسىٰ، ومُحَمَّد، وَآدَم لَـيْسَ مِنْهُم. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ طه ١١٥. وَنَحْنُ لاَ نَعْرف شَرِيعَة عِيسىٰ وَلَم نَر لَهَا أثراً، وَأَقوَاله الَّتي بَيْنَ أَيدي النَّاس كلّها أَو جُلّها وَصَايَا وَنَصَائح، وَالكَنِيَسة هِي الَّتي تُحَلّل وَتُحرّم، ولَيْسَ الأَنَاجِيل. (مِنْهُ ﵀).

هُو فِي الوَقت نَفْسَه بدَايَة دَور جَدِيد هُو دَور الولاَيَة أو الإِمَامَة، وَبعبَارَة أُخرىٰ أَنَّ النُّبوَّة تُكملهَا بالضَّرُورَة الإِمَامَة، والتَّعبِير المُبَاشر عَن الإِمَامَة هُـو الولاَيَـة، وَيُعرِّفُون الولاَيَة بأَنَّها بَـاطن النُّـبوَّة، وإِذَن فَـدَور الإِمَـامَة هُـو البَـاطن التَـالي للظَّاهر».

وَالمَفهُوم مِن هَذَا الكَلاَم أَمْرَان:

الأَوَّل: أَنَّ دَور الإِمَامَة عِنَد الشِّيعَة يَبْتَديء مِن حَيْث يَنْتَهي دَور النُّبوَّة وهَذِهِ النِّسبَة حَقّ وَصِدق، لأَنَّ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِـالْمُؤْمِنِينَ مِـنْ أَنـفُسِهِمْ﴾[1]. وَحـدَه لاَ شَرِيك لهُ فِي هَذِهِ الولاَيَة بإِتِّفَاق المُسْلِمِين مَا دَام قَائِمَاً بَيْنَهُم.

الأَمر الثَّانِي: أَنَّ الشِّيعَة بشَتَّىٰ مَذَاهبهم بَاطنيُون يُؤمنُون أَنَّ للإِسْلاَم أَو للنُّبوَّة ظَاهراً وَبَاطناً. وَأَنَّ الظَّاهر هُو كَلاَم الله فِي ٱلْقُرْءَان وَسُنَّة نَبيِّه، أَمَّا المَعْنَىٰ البَاطن للإِسلاَم فَيَكمُن وَرَاء ظَاهر النُّصُوص. وَيَبقَىٰ مَستُوراً إِلَىٰ مَا بَعْد النَّبيّ، فَيَكشف عَنهُ الإِمَام وَيُبَلغه للنَّاس... وَهَذَا المَعْنَىٰ البَاطن هُو حَقِيقَة الدِّين وَجَوهرَه، أَمَّا الَّذِي بَلَّغَه النَّبيّ ﷺ فِي الظَّاهر فَهُو مُجرَّد قُشر وَغشَاء!... هَذَا مُجْمَل مَا فَهمتَه مِن كَلاَم ـ كوربان ـ، كَمَا نَقَلهُ الدّكتُور بَدَوي.

بيَان الحَقِيقَة:

وَيَبدُو مِن مَقَال بَدَوي أَنَّ ـ كوربان ـ يقِيس جَمِيع مَذَاهب الشِّـيعَة بِـمَذْهَب وَاحد مِنهَا، وَيَأخذ مِنهُ مِعيَاراً للحُكم عَلَىٰ سَائِر المَذَاهب دُون ٱسْتثنَاء... فَـقَد

(١) ٱلأَحْزَاب: ٦.

خَلَط بَيْنَ الإِسْمَاعِيليَّة الَّذِي قِيل بأَنّهُم بَاطنيُون[١] وبَيْنَ الشِّيعَة الإِثْني عَشَريَّة الَّذِين يَرون التَّأوِيل البَاطن خَطَراً عَلىٰ الدِّين، بَل مَحقاً وَهَدماً لهُ مِن الأَسَاس وَأَرسَل ـ كوربان ـ حُكمَه بضِرسٍ قَاطع عَلىٰ كُلّ شِيعي بأَنَّه بَاطني، وأَنَّه يَعْرف الولاَيَة أو الإِمَامَة بباطن النُّبوَّة!.

وَقَد أَجمَع عُلمَاء الإِثْني عَشَريَّة قَولاً وَاحداً كُتُبهم، وَحَلقَات الدَّرس ـ بأَنَّ ظَوَاهر الكِتَاب والسُّنَّة حُجّة قَاطعَة فِي الكَشف عمَّا أَرَاد الله وَرَسُوله وَمِن أَدلّتهم عَلىٰ ذَلكَ قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وَقَوْلَه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٣]، وقَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾[٤].

وأَيضاً آستَدلوا بهَذِه الآيَات وَغيرها عَلىٰ أَنَّ طَرِيقَة الشَّارع فِي الخطَاب وَالبَيَان هِي طَرِيقَة النَّاس بالذَات مِن حَمل الكَلاَم عَلىٰ الظَّوَاهر، وَتَفسِيره بالمَعْنىٰ المُتبَادر إِلَىٰ الأَذهَان، والأَفهَام[٥]... وَمِن هُنَا حَرّمُوا الإِجْتهَاد ضِدّ النَّص، وَتَأويلَه بغَير الظَّاهر إِلَّا إِذَا كَان هَذَا الظَّاهر لاَ يَتنَاسب مَع جلاَل الله وَعَظَمته وَعِندَئذٍ نَلتَجيء بحُكم العَقْل، وَبَديهَته إِلَىٰ التَّأوِيل المَألُوف الَّذِي

---

(١) أنظر، تَأرِيخ الدّعوَة الإِسْمَاعيليّة: ٥، أُصُول الإِسمَاعيليّة: ٢ / ١٥٣، تَأرِيخ الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيّة لهنري كوربان: ١٢٥.

(٢) فُصِّلَتْ: ٣.

(٣) ٱلنُّور: ٥٤.

(٤) آلِ عِمْرَانَ: ١٣٨.

(٥) أُنظر، القَوَاعد الكُبرىٰ فِي أُصُول الفِقْه: ٢ / ١٣٥، طَبْعَة دَار الإِستِقَامَة. أُنظر، الفِكْر السَّامي فِي تَأرِيخ الفِقْه الإِسْلاَمِيّ: ١ / ٦٨، أَعْلاَم المُوقعِين عَنْ رَبِّ العَالمِين، آبن القَيمّ الجَوزِيّة: ١ / ١٧١، إِجْتهَاد الرَّسُول، لعِيسىٰ عَبدالجَلِيل: ٧٨، مقَاصد الشَّرِيعَة، لمُحَمَّد الطَّاهر: ٣٤.

يَستَسيغه كُلّ عَاقل كتأويل سَمعَه، وَبَصرَه تَعَالىٰ بالعِلْم، وَيَده بالقُدْرَة، وَعَرشَه بالمُلك وَالسَّيطرَة.

وقَالَ الشِّيعَة الإثنَا عَشريَّة مُجمِعين: مَن خَالَف ظَاهر النُّصُوص ٱلْقُرْءَانِيّة وَالمُحَمَّديَّة زَاعماً أَنَّ وَرَاءهَا مَعْنَىٰ بَاطنياً يَكمُن فِي غَيب الغيُوب ـ فَقَد ٱبْتَدع فِي الدِّين، وَسَعىٰ فِي هَدمهِ. وفِيمَا يَلي نُشِير إِلَىٰ الفرق بَيْنَ النَّبيّ ﷺ والإِمَام وَوَظِيفَة كُلّ مِنهُمَا كَمَا يَعْتَقد الشِّيعَة الإثنَا عَشريَّة.

وَظِيفَة النَّبيّ ﷺ:

للنَّبيّ مَهَام مِنهَا:

١ ـ أَنَّ النَّبيّ مُحَمَّد ﷺ يَتَلقىٰ الوَحي مِن الله سُبْحَانَه بـ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾، كَمَا سَبَقت الإِشَارَة، وَنَعطف عَلىٰ مَا تَقَدَّم الآيَة: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1]، والآيَة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2].

وقَالَ الصَّحَابَة: يَا رَسُول الله مَا رَأينَا أَفْصَح مِنْكَ؟.

فَقَال: مَا يَمْنَعني مِن ذَلكَ، بلسَاني نَزَل ٱلْقُرْءَان[3]؟.

وَيَستَحِيل فِي حَقّ النَّبيّ ﷺ أَنْ يَكتُم حُكماً مِن أَحكَام الله، أَو يُظهر شَيْئاً وَيَضمر خلاَفَه، مَعْنَىٰ هذَا أَنَّ شَريعَة الإِسْلاَم هِي هَذِهِ الشَّريعَة الَّتي دَلّت عَلَيهَا

---

(١) ٱلدُّخَان: ٥٨.

(٢) مُحَمَّد: ٢٤.

(٣) أنظر، أَمثَال الحَديث: ١/ ١٥٧، مُختَصر الخَصَائِص الكُبرىٰ للسّيُوطي: ١/ ١٠٨، الشّفا بتَعريف حقُوق المُصْطَفىٰ: ١/ ٨٠، كَنز العُمّال: ٦/ ١٧٤ ح ١٥٢٤٧، تَلخِيص الحَبِير: ٤/ ٦ ح ١٦٥٨، البَيَان وَالتَّعريف: ١/ ٢٦٥.

ظوَاهر نصُوص الكِتَاب والسُّنَّة، وَلاَ بَاطن وَرَاءهَا إِطلاَقاً، أَمَّا قَـوْل كـوربان أَو عَبدالرَّحمن بَدَوي: «أَنَّ للإِسْلاَم عِندَ الشِّيعَة شَرِيعَة وحَقِيقَة، وأَنَّ الحَقِيقَة هِـي المَعْنَىٰ البَاطن، وأَنَّ هَذَا البَاطن لاَ يُدْركهُ إِلَّا الإِمَام، أَمَّا هَذَا القَوْل فَـإِنَّ الشِّـيعَة الإِثني عَشَريَّة يَتبرأون مِنْهُ وَمن قَائِله».

٢ ـ أَنَّ النَّبيّ ﷺ يُبَلّغ النَّاس عَن الله بمَا أُوحي بهِ إِلَيهِ دُون أَنْ يَكُـون للـذَات النَّبويَّة أَمر أَو رَأي فِي الوَحي أي لَيْسَ هُنَاك شَيئَان: وَحي وَنَظريَة عَن الوَحي، كَمَا هِي الحَال فِي المُجْتَهد بَل وَحيّ وَكَفىٰ، فَمَن سَمع مِن النَّبيّ كَأَنّه سَمع مِن الله سُبْحَانَه، ولِذَا يُسَوّغ القَوْل: النَّبيّ ﷺ لسَان الله وَبَيَانه، وَبهذَا نَجد تَـفْسِير قَـوْلَه تَعَالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

وَأَنَّ المُرَاد مِن الهَوىٰ فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة مَا يَشمل الرَّأي والإِجْتهَاد.

وَٱخْتَلف عُلمَاء السُّنَّة فِيمَا بَيْنَهُم: هَل يَجُوز للنَّبيّ الحُكم بالإِجْتهَاد فِـيمَا لاَ وَحيّ فِيهِ؟. فَأَجَازَه قَوْم، وَمَنَعهُ آخرُون[2].

وَلاَ مَوضُوع لهَذَا البَحْث عَن الإِثْني عَشَريَّة مِن الأَسَاس:

أَوّلاً: أَنَّ الإِجْتهَاد يَتَطرق إِلَيهِ إِحْتمَال الخَطَأ، ولِذَا تَـتَضَارب الأَقـوَال سَـلباً وَإِيجَاباً فِي المَسأَلَة الظَّنيَة الإِجْتهَاديَّة، والنَّبيّ مَعصُوم عَن الخَطَأ وَالخَطِيئَة.

ثَانياً: أَنَّ الشَّريعَة الإِسْلاَمِيَّة تَامّة كَـاملَة بأُصُـولهَا وَمَـبَادئهَا قَـالَ سُـبْحَانَه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[3].

---

(١) ٱلنَّجم: ٣ ـ ٤.

(٢) تَقَدَّمت تخريجَاته.

(٣) ٱلنَّحل: ٨٩.

وقَالَ الإِمَام جعْفَر الصَّادِق عليه السلام: «مَا خَلَق الله حَلاَلاً وحراماً إِلَّا وَلَـهُ حَـدّ... حَتَّىٰ إِرْش الخَدش فمَا سوَاه.. وَالجِلْدَة وَنِصف الجِلْدَة»[1]. ولَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله يَعْلَم بكُلّ سرّ طَبَع الله عَلَيه كَلاَمَه وَبَيَانه.

ثَالثاً: لَو قُلنَا بجوَاز الإِجْتهَاد للـنَّبيّ لفَـتَحنا لأَعْـدَاء الإِسْـلاَم بَـاب الطَّـعن وَالتَّشكِيك فِي أَقوَالهِ وَأَحكَامه.

٣ـ أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله يَحْرس الدِّين، وَيَذب عَنْهُ، وَيَسُوس بِهِ الأُمّة، وَيَحفظ لكُلّ ذِي حَقّ حَقّه، وَيُجبي الفَيء وَالزَّكَاة، وَيُنفقهَا عَلىٰ الجُند وَالمُجَاهدِين وفِي سَبِيل الصَّالح العَام، وَبكَلمَة يُنَفّذ أَحكَام الدِّين وَتعاليمَه بمَا يَرَاه مِن الوَسَائِل... وعَلىٰ النَّاس أَنْ يَسمعُوا لهُ، وَيُطيعُوا قَالَ سُبْحَانَه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[2].

وَظِيفَة الإِمَام:

إِذَا ٱنْتَقل النَّبيّ صلى الله عليه وآله إِلَىٰ الرَّفِيق الأَعْلَىٰ ٱنْقَطع الوَحي، مَا فِي ذَلكَ رَيب، ولَكن تَبقَىٰ رِسَالَة النَّبيّ بطَبيعَة الحَال، وإِذَا خُتمَت بِهِ النُّبوَّة كَسَيِّد الأَنْـبيَاء مُـحَمَّد صلى الله عليه وآله وَجَب أَنْ تكُون شَرِيعَته للبَشريَة جَمعَاء، وَأَنْ تَستَمر إِلَىٰ يَوْم يُبعثُون، كَمَا جَـاء فِي الحَدِيث: «حَلاَل مُحمَّد حَلاَل أَبَداً إِلىٰ يَوْم القِيَامَة، وَحَرَامه حَرَام أَبَـداً إِلىٰ يَوْم القِيَامَة؟»[3]. وَلاَ بُدّ لكُلّ شَرِيعَة ورِسَالَة مِن وجُود حَارس يَحفظهَا، ويَقُوم بأَعبَائهَا وَإِلاَّ لَم يَكُن لوجُودهَا أَي نَفع وَأَثَر، وَمِن هُـنَا ٱسـتَقرّت الأَنْـظمَة فِـي

---

(١) أُنظر، الكَافي: ٧/ ١٧٥ ح ١٠، المَحَاسن: ١/ ٢٧٣ ح ٣٧٣.

(٢) ٱلنِّسَاء: ٨٠.

(٣) أُنظر، الكَافِي: ١/ ٥٨ ح ١، بصَائِر الدَّرجَات: ١٦٨، مُسْتَدرَك الوَسَائِل: ١٨/ ١١ ح ٨.

عَصْرنَا عَلىٰ وجُود هَيئَة تَنفِيذيّة لضَمَان سَير العَمَل فِي الدَّولَة عَلىٰ أَسَاس المَبَاديء التَّشريعيَّة.

وَالشِّيعَة الإثنَا عَشَريَّة يُسمون القَائِم بأَعبَاء الدِّين نيَابَة عَن رَسُول الله ﷺ ـ بالإمَام وَيَحصرُون مهَامّه بالآتي:

١ ـ أَنَّ الإمَام يُبَلّغ الأَجيَال كُلّ مَا بَلّغه النَّبيّ فِي حَيَاته، ولِذَا يَجب أَنْ يُحِيط عِلماً بالدِّين إحَاطَة تَامّة كَاملَة كَالنَّبيّ مَع وجُود الفَارق فِي طَرِيق العِلْم، وَهُو أَنَّ النَّبيّ يَأخذ العِلْم مِن الله سُبْحَانَه، والإمَام يَأخذَه مِن النَّبيّ... وكَمَا أَنَّ الذَّات النَّبويَّة لَيسَ لَهَا أَمر وَلاَ رَأي فِي الوَحي وإِنَّمَا هِي نَاقلَة لهُ، وَحَاكيَة عَنْهُ ـ كَذَلكَ ذَات الإمَام لاَ أَمر لَهَا وَلاَ رَأي إلَّا النَّقل عَن رَسُول الله وَكَفىٰ.

وَتوَاتر عَن أئمّة أَهْل البَيْت قَولهُم: «حَدِيثي حَدِيث أَبِي، وحَدِيث أَبِي حَدِيث جَدّي، وحَدِيث جَدّي حَدِيث عَليّ بن أَبِي طَالب، وحَدِيث عَليّ حَدِيث رَسُول الله»[(١)].

وَسَأَل رَجُل الإمَام جَعفَر الصَّادِق عليه السلام عَن مَسأَلَة فَأَجَابهُ فِيهَا.

فَقَالَ الرَّجُل: «أَرَأيت إنْ كَان كَذَا وَكَذَا مَا يَكُون القَول فِيهَا؟.

فَقَال لهُ الإمَام: مَه!! مَا أَجَبْتُك فَهُو عَن رَسُول الله، لَسنَا مَن أَرَأيت فِي شَيء»[(٢)]. أَيّ أَنْ قَولنَا لَيسَ نَظريَة عَن قَوْل رَسُول الله كَمَا هُو شَأن المُجْتَهد، بَل هُو قَوْل رَسُول الله بالذَّات، كَمَا أَنَّ قَوْل رَسُول الله هُو عَين قَوْلَه تَعَالىٰ لاَ رَأي فِيهِ

---

(١) أنظر، مَعَالم العِترَة النَّبويّة للحَافظ الجنَابذِي (مَخطُوط): وَرق ٦٣، الكَافِي: ١/ ٥٣ ح ١٤، الإرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢/ ١٨٦.

(٢) أُنظر، الكَافي: ١/ ٥٨، وَنَحوه فِي بصَائِر الدَّرجَات: ٣٠١.

وَلاَ إِجْتهَاد.

٢ـ أَنَّ الإِمَام يَحرس الدِّين، وَيَصُونه مِن الأَدغَال وَالتَّحرِيف، ويَقُوْم بأَعبَائه، وَيَصرف أُمور النَّاس بأَحكَامه تمَامَاً كَرَسُول الله ﷺ.

وَبهذَا يَتبيَّن مَعنَا أَنَّ وجُود الإِمَام عِند الإِثْـني عَشَـريَّة هُـو آمـتدَاد لوجُـود النَّبيّ ﷺ فِي حِفظ الدِّين وَصيَانَته، وفِي تَبلِيغَة وَتَعلِيمه، وفِي تَنْفِيذَة وَتَـطبِيقَه، وَلاَ شَيء وَرَاء ذَلكَ عَلىٰ الإِطلاَق... أَبداً لاَ تَأوِيل وَلاَ سرّ بَاطن وَكَامن وَرَاء مَا يَدل عَلَيِهِ ظَاهر النَّص. وكَان عَلىٰ كوربان وَأَمثَاله أَنْ يَعْرِفُوا هَذِهِ الحَقِيقَة مِن كُتُب الإِثْني عَشَريَّة، وهِي فِي مُتنَاول كُلّ يَد، وأَنْ يَنسبُوا البَاطنيَّة إِلَىٰ أَهلهَا، وَالبِدَع إِلَىٰ مَن هُو أَحقّ بهَا. لاَ إِلىٰ الشِّيعَة عَامّة بمَا فِيهم الإِثنَا عَشَريَّة الَّذِين هُم أَكـثَر عَدَداً، وَأَبعَد صِيتاً وَأَثراً مِن سَائِر المَذَاهب الشِّيعيَّة.

لَقَد آفترىٰ عَلَينَا نَحنُ الإِثْني عَشَريَّة مَن آفترىٰ. وَحَملنَا أَوزَار الغُـلاَة والآنْ يُحملنَا بَعْض المُؤلفِين أَثقَال البَاطنيَّة، وَمِن قَبله قَالَ صَاحب الخطُوط العَرِيضَة: التَّشَيُّع لآل البَيْت شيُوعيَّة[1]!... ومَهْمَا قِيل أَو يُقَال فَلَن يَزدنَا ذَلكَ إِلَّا قوّة فِيمَا نَعْتَقد، وَصَلاَبَة فِي الولاَء للنَّبيّ وَآله، عَلَيهِ وعَلَيهم أَفـضَل الصَّـلوَات، وَأَزكـىٰ التَّحيَات.

النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا[2]:

وَضَع عُلمَاء الشِّيعَة الإِثْـني عَشَـريَّة قَـدِيماً وحَـدِيثاً ـ العَـدِيد مِـن الكُـتُب

---

(١) أُنظر، الخُطُوط العَرِيضَة لمُحب الدِّين الخَطِيب: ٢١٤.

(٢) أُنظر، نَهج آلبَلاَغَة: آلحِكْمَة (١٧١ و ٤٣١).

وَالمُؤلفَات فِيمَا يُدينُون وَيعتقدُون، ومِنْهَا عَلىٰ سَبِيل المثَال: كتَاب عَقِيدَة الشِّيعَة الْإِمَاميَّة للسَّيِّد هَاشم مَعرُوف الحَسَني، وَعقَائد الإِمَاميَّة للشَّيخ المُظفر، وَأَصل الشِّيعَة وَأُصولهُم لكَاشف الغطَاء... وهَذِهِ الكُتب الثَلاَثَة لاَ تَدع عُذراً لمُتعلّل بجَهَالَة، لوضُوح أُسلُوبهَا، وَحُسن تَبويبهَا، ولَكن مَا الحِيلَة فِيمَن يَكتُب دُون أَنْ يَقرَأ، وَيلُوم قَبل أَنْ يَفْهَم؟.

وفِي سَنَة (١٩٧٠م) صَدَر كتَاب «ٱلْقُرْءَان مُحَاولَة لفَهْم عَصْري» تَألِيف الدّكتُور مُصْطَفىٰ مَحمُود... وَقَالَ فِيهِ: أَنَّ الإِثْني عَشَريَّة مِن الفِرق البَاطنيَّة تَمَامَاً كالبَابيَّة[1]!... فَكَتَبتُ إِلَيهِ أَنَّ الإِثني عَشَريَّة أَبعَد النَّاس عَن هَذِهِ البِدْعَة وَالضَّلاَلَة، وَأَرشَدته إِلَىٰ المَصَادِر فَٱسْتدرَك مَشكُوراً فِي الطَّبْعَة الثَّانيَة.

وَأَغْرَب مَا قَرَأت أَنَّ عِصمَة الأَنْبِيَاء ٱبْتَدعها الشِّيعَة مِن أَوهَامهم، وَلاَ أَسَاس لَهَا إِطلاَقَاً فِي كتَاب الله وَسُنّة نَبيّه!... والَّذِي قَالَ هَذَا يَكتُب ويُؤلّف فِي مُقَارنَة الأَدْيَان وَيَحمل شهَادَة الدّكتُورَاه من جَامعَة كَمبَردج، يَشْغل مَنْصب المَركَز الثّقافِي فِي بَعْض البُلْدَان... وَفَوق ذَلكَ هُو أُستَاذ جَامعي يُدَرّس التَّأرِيخ الإِسْلاَمي، وَالحَضَاري فِي جَامعَة مِن الجَامعَات، كَمَا عَرّف هُو بنَفْسَه... وَمِن جُملَة مَا قَالَ:

«الشِّيعَة يَرَون أَنَّ الرَّسُول لَو لَمْ يَكُن مَعْصُومَاً لقَلّتْ بِهِ الثِّقَة، وَٱنْتَفت فَائِدَة البِعْثَة، وَلَهُم ـ أَي الشِّيعَة ـ كُتُب فِي ذَلكَ، وَأَهمهَا تَنْزِيه الأَنْبِيَاء للشَّرِيف المُرتضىٰ...

وَالعَجَب أَنَّ القَوْل بِعصْمَة الأَنْبِيَاء تَسَرّب إِلَىٰ السُّنَّة، أَصْبَح رَأي جُمهُور

(١) أُنظر، فَجر الإِسلاَم: ١٢٢، الإِعْتقَادَات للرَّازيّ: ٦٣.

المُسْلِمِين »[١] .

وَلَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ الدّكتُور المَذكُور قَد سَمع بوجُود ٱلْقُرْءَان، وَأَنَّه المَصْدَر لدِين الْإِسْلاَم... ولَكن يَبدُو أَنَّه لَمْ يَقرَأ قَوْلَه تَعَالىٰ فِي وَصف نَبيِّه الكَرِيم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٢] .

وقَوْلَه سُبْحَانَه فِي وَصف أَهْل الْبَيْت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣] .

وهَكَذَا تَجري أَقلاَم القَرن العِشرِين، فَتَصف الْأَديَان وَمَلاَيِّين النَّاس بلاَ معيَار وَمَسئوليَة حَتَّىٰ كَأَنَّهَا تَتَحدث عَن حَشرَة، أَو وَرَقَة عَلىٰ شَجرَة!... دكَاتره ثَلاَثَة: أَوّلهُم أُستَاذ الدِّرَاسَات العِلميَّة، والثَّانِي يُفسّر ٱلْقُرْءَان تَفسِيراً عَصْريّاً، وَالثَّالِث يَكتُب فِي الْأَديَان وَمُقَارنتها، ثُمَّ يُنْكر عَلىٰ طَائفَة كُبرىٰ مِن المُسْلِمِين الْإِيمَان بآيَات الله وَطَاعَته. أَمّا الْأَوّل والثَّانِي فقَد رَميَا هَذِهِ الطَّائفَة بالبَاطنيَة، هِي مُبرأَة مِنْهَا وَمِن قَائِلهَا... وإِذَا كَان هَذَا هُو عِلْم « العَمَالَة » الَّذِين يَكسبُون الشُّهرَة وَالمنَاصب بالكَلاَم فكَيف بالتَّلاَمِيذ والأَقزَام؟... هَذَا شَاهد يَشْهَد عَلىٰ الَّذِين يَكتبُون، وَيَتحدثُون عَن الشِّيعَة وَالتَّشيُّع، وَقِس الغَائِب عَلىٰ الشَّاهِد.

وَبَعد، فَإِنَّ الَّذِي يَكتُب عَن الْأَديَان وَيحكُم عَلىٰ أَهلهَا ـ يَتَحمل مَسئوليَة خَطِيرَة، وعَلَيهِ قَبل كُلّ شَيء أَنْ يَشعر بهَذِه المَسئوليَة حَتَّىٰ يَتَثبَت وَيَتفَحص بنَفْسه المَصَادِر الصَّحِيحَة للدِّين أَو المَذْهَب الَّذِي يَكتُب عَنْهُ كَيلاَ يَقع فِي التَّنَاقض مَع الوَاقع، وَيَكتُب عَن شَيء وَلاَ وجُود لهُ إِلَّا فِي وَهْمه وَخَيَاله.

---

(١) أنظر، مُقَارنَة الْأَديَان: ٣ / ١١١ طَبْعَة سَنَة (١٩٦١ م). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) ٱلنَّجم: ٣ ـ ٤.

(٣) ٱلْأَحزَاب: ٣٣.

يَا ٱبْن البَتُول

فَيَا ٱبْن البَتُول وَحَسْبي بِهَا   دَلِيلاً عَلىٰ كُلّ مَا أَدعَي
وَيَا ٱبْن الَّتي لَمْ يَلْد مِثْلهَا   كمِثْلُك حَملاً وَلَمْ تُرضَع [1]

الفَخر بالأَنْسَاب:

هَويَة الإِنْسَان بعِلْمِهِ لاَ بمَاله وَنَسبه، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]؛ وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾[3].

وقَالَ الرَّسُول الأَعْظَمﷺ لبضْعَتهِ فَاطِمَة: «يَا بَني كَعْبِ بن لُؤَيّ أَنقذُوا أَنفُسكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَني عَبد مُناف أَنْقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَني هَاشم أَنْقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النّار، يَا بَني عَبد المطّلب أَنْقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النّار، يَا فَاطمةُ أَنْقِذِي نَفْسِكِ مِنَ النّار، فإِنّي لاَ أَمْلكُ لكُمْ مِنَ اللهِ شَيئاً غَيرَ أَنَّ لكُمْ رحِماً سَأبلُّها بِبَلاَلِها»[4]. أَجل، إِذَا إِجْتَمعت طَهَارَة المَولد مَع الخُلق الكَرِيم، والعَمَل الصَّالح

(١) أُنظر، دِيوَان مُحَمَّد مَهْدي الجَوَاهري: ٢٣٤.

(٢) ٱلحُجُرَات: ١٣.

(٣) ٱلمُؤْمِنُون: ١٠١.

(٤) أُنظر، تَفْسِير القُرطبي: ١٣ / ١٤٣، تَفْسِير الطَّبري: ١٩ / ١١٩، تفْسِير ٱبن كَثِير: ٣ / ٣٥١، صَحِيح

فَنور عَلىٰ نُور ، وَكَثِيراً مَا يَجْتمعَان ، وَيَجري الفَرع عَلىٰ الأَصل وَهَـذَا مَـا أَرَادَه الشَّاعر الجوَاهري ، وَكَأنّه يَقُول : « ذُرِّيّة بَعْضهَا مِنْ بَعْض » [١].

وَالفَخر سَائِغ إذَاكَان بطَاعَة الله وَخلاَل الحَمْد ، قَالَ سُبْحَانَه : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [٢].

وَقَد يَكُون الفَخر ، والتَّفَاضل رَاجحاً عِندَ الإقْتضَاء . فَقَد فَخَر النَّبيّ ﷺ بفصَاحَة قُرَيْش ، وقَالَ الإِمَام أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام لمُعَاويَة : « وَأَنَّىٰ يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ ، وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ ، وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ ، وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلَافِ ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ » [٣].

وَفَخَر الحَسنَان بَجدّهُما سَيِّد الكَونَين ، وَبأَبِيهمَا وَأُمّهمَا ، وقَالَ الإِمَام الحُسَين

↔ أبن حبَّان : ٢ / ٤١٢ ، الأَحَاديث المُختَارة : ٧ / ١١٤ ، مُسْنَد أَبي عوَانـه : ١ / ٨٩ و : ٢ / ٩٣ ، سُنن التِّرمذي : ٨ / ٣٣٨ ، السُّنن الكُبرىٰ : ٤ / ١٠٧ و : ٦ / ٤٢٣ ، سُنن النَّسائي : ٦ / ٢٤٨ ، شَرْح معَاني الأَخبَار : ٤ / ٣٨٧ ، مُسْنَد إسحَاق بن رَاهُويه : ١ / ٢٦١ ، الإيمَان لِابْن مُنده : ٢ / ٨٧٦ ، فَتح البَاري : ١٠ / ٤٢٣ ، شَرْح النَـووي عَـلىٰ صَحِيح مُسلم : ٣ / ٨٠ ، الدّيبَاج : ١ / ٢٧٠ و : ٣ / ٨٠ ، شَرْح السّيوطي : ٦ / ٢٧٠ ، حَاشية السّندي : ٦ / ٢٤٨ ، نَيل الأَوطَار : ٦ / ١٣٤ ، أخبَار مَكّـة : ٢ / ٢١٥ ، ذَخَائر العُقبىٰ : ٨ ، صَحِيح البُخاري : ٨ / ٧ ، الدّر المَـنْثُور : ٥ / ٩٦ ، كَنز العُمَّال : ٦ / ٢٢٩ ، أَسنىٰ المطَالب : ٢٦ ، مِن تَأرِيخ أبن عسَاكر برِوَاية عَمْرُو بن العَاص .

(١) أُنظر ، سُنن النّسَائي ، فَضَائل فَاطِمَة : ٢٢٠ رَقم « ٢٥٦ » ، سِير أَعْلاَم النُّبلاء : ٢ / ٢٥٨ ، صَحِيح البُخاري : ٧ / ١٠٥ ، صَحِيح مُسْلم : ٤ / ١٩٠٢ ، سُنن أَبي دَاود كـتَاب النّكـاح : ١ / ٢٢٦ ح ٢٠٧١ ، جَامع التِّرمذي : ٤ / ٣٦٢ ، سُنن أَبن مَاجه : ١ / ٦٤٤ ح ١٩٩٨ ، مَجْمَع الزّوائد : ٤ / ٢٥٥ ، كَنز العُمَّال : ١٦ / ٦٠١ ح ٤٦٠١١ و ٤٦٠١٢ ، سُبل الهُدىٰ وَالرّشاد : ١١ / ٤٥ .

(٢) اَلسَّجْدَة : ١٨ .

(٣) أُنظر ، نَهج اَلبَلاَغَة : اَلرّسَالَة (٢٨) .

وَهُو يُقَاتِل جَيْش الكُفْر، وَالبَغي: «فَإنّي الحُسين بن عَليّ، وَآبن فَاطِمَة بِنْت رَسُول الله ﷺ نَفْسي مَع أنفسكُم، وَأَهلي مَع أَهلِيكُم» [١]. أَمَّا خُطبَة وَلَده زَين العَابدِين عليه السلام فِي مَجْلس يَزِيد وقَوْلَه [٢]:

أَنَا عَليّ بن الحُسَين بن عَليّ ... نَحنُ، وَبَيْت الله أَوْلَىٰ بِالنَّبيّ
أَطْعَنكُم بِالرُّمح حَتَّىٰ يَنْثَني ... أَضربكُم بِالسَّيف، أَحْمي عَن أَبِيّ
ضَربَ غُلاَمٍ هَاشِمِيٍّ عَربِيٍّ ... وَالله لاَ يَحْكُم فِينَا آبن الدَّعيّ.

وَسُئل الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام: «مَن كَان الغَالب يَوْم كَرْبُلاَء؟ فَقَال: آسمَع المُؤذّن تَعْرف الجَوَاب. أَشْهَد أَنْ لاَ إِله إِلّاَ الله، وَأَنَّ مُحمَّداً رَسُول الله، وَأَنَّ عَليّاً أَمِير المُؤْمِنِين بِالحَقّ وَلي الله» [٣].

وَسُئل الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام عَن المُنْتَصر، فَقَالَ لَهُ: «آسمَع المُؤذّن تَعْرف الجَوَاب. أَشهَد أَنَّ مُحمَّداً رَسُول الله: فَالتَفت إِلىٰ يَزِيد قَائِلاً: «هَذَا جَدّي أَو جَدّك يَا يَزِيد» [٤]. وفِي نَهْج البَلاَغَة: «فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَالأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَ الإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَآجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ.

---

(١) أنظر، تَأريخ الطَّبري: ٣/ ٣٠٧، و: ٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥، وَالكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ٢٨٠.

(٢) أنظر، إِقبَال الأَعمَال: ٣/ ٧٣، تَرجَمَة الإِمَام الحُسَين لِابْن عَسَاكر: ٣٣٢، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٣/ ٣٠٢، شَرْح الأَخبَار: ٣/ ١٥٣، مقَاتِل الطَّالبيِّين: ٧٦، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ٢٥٧، الإِرشَاد للشَّيخ المُفيد: ٢/ ١٠٦، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٢٢٦، سرّ السِّلسلَة العَلويَة: ٣٠، يَنَابيع المَودَّة: ٣/ ٧٨، مُثِير الأَحزَان: ٥١، رَوضَة الوَاعظِين: ١٨٨، بحَار الأَنوَار: ٤٤/ ٣٢١ و: ٩٨/ ٢٦٩.

(٣) أنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٦٩ ـ ٧١.

(٤) أنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٦٩ ـ ٧١.

وَ ٱحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ. فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَٱحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ »[١].

مَنْ هِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِين:

فِي تَفْسِير المُحِيط لأَبي حيَّان الأَنْدُلسي عِندَ تَفْسِيرِه الآيَة: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٢].

مَا نَصّه بالحَرف الوَاحد « قَالَ بَعْض شيُوخنَا: والَّذِي إِجْتَمعَت عَلَيهِ جَمَاعَة مِن العُلمَاء أَنَّهُم يَنْقلُون عَن أَشيَاخهِم أَنَّ فَاطِمَة أَفْضَل نِسَاء المُتَقدّمَات، وَالمُتأخرَات؛ لأَنَّها بَضْعَة مِن رَسُول الله ﷺ »[٣].

وفِي كتَاب فَضَائل الخَمْسَة مِن الصِّحَاح السّتة، رَوىٰ البُخَاري فِي صَحِيحَه عَن رَسُول الله ﷺ أَنَّه قَالَ: « فَاطِمَة بَضعَة مِنّي فَمن أَغْضَبهَا أَغْضَبني »[٤]. وفِي

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرَسَالَة (٢٨).

(٢) آلِ عِمْرَانَ: ٤٢.

(٣) أُنظر، تَفْسِير المُحِيط لأَبي حيَّان الأُندُلسي: ٧ / ٢٦٠ طَبْعَة مَصْر، تَفْسِير ٱبن جَرِير الطَّبري: ٣ / ١٨٠، فَيْض القَدِير للمنَاوي: ٣ / ٤٣٢، تَأريخ الخَطِيب البَغدَادي: ٤ / ٣٩١.

أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ٥ / ٣٩١، و: ٣ / ٣ و٦٢ و٨٢، صَحِيح التِرمذي: ٢ / ٣٠٦، و: ٥ / ٣٢٦ بَاب ١١٠ ح ٣٨٧٠، كَنْز العُمّال: ١٢ / ١١٢ و٦ / ٢١٧ و٢١٨، تَأْرِيخ دِمَشق: ٧ / ١٠٢، الجَامع الصَّغِير: ١ / ٥٧٤ / ٣٧١٤، جَامع منَاقب النِّسَاء: ح ٣٤٤٠٣، ذَخَائر العُقبىٰ: ٤٣، المُسْتدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ١٥٧، تَهذيب التَّهذيب: ١٢ / ٤٤١ فَتح البَاري: ٧ / ٢٥٨.

(٤) أُنظر، فَضَائل الخَمْسَة مِن الصِّحَاح السّتة: ج ٣، صَحِيح البُخَاري كتَاب بَدء الخَلق طَبْعَة (١٣٢٠ هـ) بمَصْر. (مِنْهُ ﷺ).

أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٣ / ١٣٦١ ح ٣٥١٠ و ٣٥٥٦، صَحِيح مُسلم: ٤ / ١٩٠٣ ح ٢٤٤٩، ↔

مُسْتَدرك الصَّحِيحَين: أَنْ رَسُول الله قَالَ لفَاطِمَة: «أَنْ الله يَغْضَب لغَضَبك، وَيَرضىٰ لرِضَاك»(١).

أَمَّا قَوْله تَعَالىٰ لمَرْيَم: ﴿وَٱصْطَفَـٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٢).

↔ المَنَاقب لِابْن المغَازلي: ٢٢٠، الصَّوَاعق المُحرقَة: ١٧٥، وَبلَفظ: (إِنَّما فَاطِمَة بضْعَة منِّي يُوذِيني مَا آذاها)، وَبلَفظ: (فَاطِمَة بضْعَة منِّي فَمَن أَغْضبهَا أَغْضَبني) الخَصَائِص للنَّسائِي: ٣٥، كَنْز العُمَّال: ١٢/١٠٨ ح ٣٤٢٢٢. وَإِنَّها بَضْعَة مِنِّي يُرِيبُني مَا يُـرِيبُها. (كنُوز الحَقَائِق: ١٠٣، كَنز العُمَّال: ١٢/١٠٨، صَحِيح البُخَاري: ٤/٢١٠). وَمِنْهَا أَشم رَائِحَة ٱلجَنَّة. (الجَامع الصَّغِير: ٦٢٩ ح ٤٠٨٨، كَنز العُمَّال: ١٢/١٤٣، و: ٦/٢١٩ ح ٣٨٥٣، جَامع مناقب النِّسَاء: ح ٣٤٤٠٤. وسَيِّدَة نِسَاء ٱلعَالمين. (الجَامع الصَّغِير: ٦٢٩ ح ٤٠٨٨، كَنز العُمَّال: ١٢/١٤٣ و: ٦/٢١٩ ح ٣٨٥٣، جَامع مناقب النِّسَاء: ح ٣٤٤٠٤. وسَيِّدَة نِساء هَذِه الأُمَّة. (الجَامع الصَّغِير: ١/٥٩٠ ح ٣٨٢٢ بِلَفظ «ٱلجَنَّة» بَدل «الأُمَّة»، ذَخَائر العُقبىٰ: ٤٣، صَحِيح البُخَاري: ٤/٦٤).

(١) أنظر، مُسْتَدرك الصَّحِيحَين: ٣/١٦٧ ح ٤٧٣٠ طَبْعَة سَنَة (١٣٢٤ هـ) بحَيْدَر آبَاد. (مِنْهُ ﷺ).

أُنظر، المُعْجَم الكَبِير: ١/١٠٨ ح ١٨٢ و: ٢٢/٤٠١ ح ١٠٠١، الذُرِّيَة الطَّاهِرَة النَّبويَّة: ١/١٢٠ ح ٢٣٥، الإِصَابَة: ٨/٥٧، صَحِيح البُخَاري: ٧/٤٧، و: ٥/٢٦ و٣٦ طَبعَة مَطَابع الشَّعب، التَّدوين فِي أَخْبَار قَزوِين: ٣/١١ بَاب الذَّال، صَحِيح مُسْلِم: كتاب فَضَائل الصَّحَابَة: ٤/١٩٠ الطَّبعَة الثَّانيَة تَحقِّيق مُحَمَّد فُؤاد، صَحِيح التِّرمذي: ٥/٦٩٨/٣٨٦٧، حلية الأَولِيَاء: ٢/٤٠، سُنن ٱبن مَاجه: ١/٦٤٤/١٩٩٨، كَنْز العُمَّال: ١٢/١٠٧ و١١٢ ح ٣٤٢٢٢ و٣٤٢٢٣، الجَامع الصَّغِير: ٢/١٢٢ و٢/٢٠٨ /٥٨٣٣ و٥٨٣٤، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١٤، فَدَك فِي التَّأرِيخ: ٩٢، مُسْنَد أَبي هُرَيرَة: ٢/٤٤٢، فَرَائد السِّمطَين: ٢/٦٦/٣٩٠، كنُوز الحقَائِق: ٣٢ و٣٥ و٤٤ و١٠٣، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٩/٢٠٣، الأَغَاني: ٩/٢٦٣، مَودّة القُربىٰ: ٣١، الصَّوَاعق المُحرقة: ١٨٨ و١٩٠ و١٩١، يَنَابِيع المَودّة: ٢٦٠ طَبعَة إِسلاَمبُول، و: ٢/٧٢ و٧٨ و٩٧ و٩٨ و٣٢٢ و٤٦٨ و٤٧٦ و٤٧٨ طَبعَة أُسوة، الكَامل لِابْن عَدي: ٢/٣٥١ ح ٤٨١، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٣/١٥٦، ذَيل تَأرِيخ بَغدَاد: ٢/٢١٤٠، أُسد الغَابَة: ٥/٣٢٢، كفَايَة الطَّالب: ٤٦٤، المَنَاقب لِابْن المغَازلي: ٣٥١ ح ٤٠١، تَهْذِيب التَّهذِيب: ١٢/٤٤١، الآحَاد وَالمثَاني: ٥/٣٦٣ ح ٢٩٥٩، الإِخوَان لِابْن أَبي الدُّنيَا: ١٢٥، مِيزَان الإِعْتدَال: ٢/٢٨٩ ح ٢٠٠٥ و: ٤/١٨٥ ح ٤٥٦٥، مَقتَل الحُسين للخوارزمي: ١/٥٢، نُظم دُرَر السِّمطَين: ١٧٧.

(٢) آلِ عِمْرَانَ: ٤٢.

فَالمُرَاد بِهِ عَالَم زَمَانهَا[١] تَمَامَاً كقَوْلَه سُبْحَانَه: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٢].

وَلاَ قَائِل أَنَّ لُوطاً أَفْضَل مِن عِيسىٰ، أَو مُسَاوِياً لهُ الفَضل وَلاَ إِسْمَاعِيل أَفْضَل مِن أَبِيهِ إِبْرَاهِيم الخَلِيل ﷺ.

لاَ يَخشىٰ إِلَّا اللّه:

سَبقَت الإِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ هَويَة الإِنْسَان بعِلْمهِ... ولكنَّه مَا هُو نَوع العَمَل الَّـذِي يَجْعَل مِن صَاحبِهِ شَيْئاً مَذكُورَاً عِندَ الله وَالنَّاس؟...

الجَوَاب:

لاَ يَخْتَلف عَاقلاَن فِي أَنَّ كُلّ عَمَل يُحَقّق تَقدّماً عَلىٰ طَرِيق الحَـيَاة وَيَـترُك للنَّاس مُفِيداً ونَافعاً بجهَة مِن الجِهَات فَـهُو خَـير وَصَـلاَح، وَصَـاحبهُ مَشكُـور وَمَأجُور.

وَلاَ يَقْتَصر الخَيْر وَيَنْحصر بالجِهَاد والإِسْتشهَاد فِي سَبِيل الحُرّيَّة والعَدَالَة فَمَن أَرشَد ضَالاً إِلَىٰ الهُدَىٰ، أَو أَغَاث مَلْهُوفاً، أَو أَجَابه بكَلمَة حَقّ، أَو أَصْـلح ذَات البَيْن أَو أَحيَا أَرضاً بَعد مَوتهَا، أَو أَنشَأ مَصْنعاً للدَّوَاء، وَالغذَاء، أَو مَـهّد وَقَـرّب المُوَاصلاَت، أَو ٱخترَع آلَة تَنْفع النَّاس أَو ٱكتَشف دَوَاء شَافِياً مِن أَي دَاء، كُـلّ أُولاَء وَمَن إِلَيهم مِن أَصْحَاب المَيمَنَة وَالمَرحمَة بلاَ رَيب.

أَجل، أَنَّ المَقَام الأَوَّل وَالفَضل الأَكْبَر عِندَ الله، والنَّاس هُو للَّذِين آمنُوا بالحَقّ،

---

(١) أنظر، فتح القَدِير: ١/ ٣٣٨.

(٢) ٱلأَنعَام: ٨٦.

وَضَحّوا بالمُهَج مِن أَجلِهِ، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّـهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وَقَالَ فِي وَصف أَنْبيَائه وَأَوليَائه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّـهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[2].

وَقَد بَلّغ الْإِمَام الحُسَينعليه السلام رسَالَة الحَقّ، وَجَـابَه مِـن أَجلـهَا جَـيْش البَـغي وَالبَاطِل، وَهُو لاَ يَملك إِلّا الخَوْف مِن الله، وَالتّوكّل عَلَيهِ وَحدَه... وَأَعلَن ذَلكَ للأُلُوف المُؤَلّفَة الَّتي تَظَاهرَت عَلىٰ قَتْله وَقتَاله، وقَالَ لهُم فِيمَا قَالَ: «أَلاَ وَإِنِي قَدْ أَعْذَرْتُ، وَأَنْذَرْتُ، أَلاَ وَإِنَّي زَاحِفٌ بِهَذِه الأُسْرَةِ، مَعَ قِلَّةِ العَـدَدِ وَكَـثْرَةِ الْـعَدُوِّ، وَخِذْلاَنِ النَّاصِر، إِنّي تَوكّلت عَلىٰ الله رَبّي وَرَبّكم، مَـا مِـن دَابّـة إِلَّا هُـو آخـذ بنِاصِيَتهَا أَنَّ رَبّي عَلىٰ صِرَاط مُسْتَقِيم... رَبّنَا عَلَيكَ توكلنَا، وإِلَيكَ أَنْبنَا، وإِلَـيكَ المَصِير»[3].

أَغقِلها وتَوَكّلْ:

وَتَسْأَل: أَنَّ التَّفوِيض إِلَىٰ الله، وَالتّوكّل عَلَيهِ سُبْحَانَه يَقْتَضِي أَوّلاً إِعدَاد العدّة وَبَذل الجُهد... إِمّا أَنْ تُلقي زمَام النَّاقَة عَلىٰ سنَامهَا، وَتَتركهَا للضَّياعَ وَاللّصُوص

---

(١) ٱلمَائِدَة: ٥٤.

(٢) ٱلْأَحْزَاب: ٣٩.

(٣) أنظر، لَوَاعج الأَشجَان: ١٣١، تَهذِيب أبن عَسَاكر: ٢ / ٣٣٤، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٧، الإِحتِجَاج، الشَّيخ الطَّبرسي: ٢ / ٢٥، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٣٤٤، النّزَاع وَالتّخَاصم، المَقرِيزي: ١٣٩، اللُّهوف فِي قَتلىٰ الطّفُوف، السَّيِّد أبن طَاووس: ١٢٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٢ / ٢٩٢، البدَاية وَالنّهاية: ٥ / ٨٣، السِّيرَة النَّبوّية لِابْن كَثِير: ٤ / ١٣٧.

بزعم الاعتماد على الله - فليس من التوكّل في شيء. قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١].

وقال الرّسول الأعظم ﷺ: «أعْقِلْها وتوكّلْ»[٢]، وقد تألّبت قوى الشّر على النّبيّ ﷺ وهو في مكّة، ولاقى الكثير من أذاهم فصبر حتّى هاجر إلى المدينة، وملك القوّة الرّادعة. وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود النّاصر، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[٣]. ومعنى هذا أنّ الإمام لو لم يجد من يناصره على معاوية لسكت عنه، كما سكت عن غيره... وما سلّم الإمام الحسن الأمر لمعاوية إلّا لقلّة العدد، وخذلان النّاصر.

وإذن كيف اعتمد الإمام الحسين لحرب يزيد على التّوكّل مع علمه، ويقينه بقلّة العدد، وكثرة العدوّ، وخذلان النّاصر؟. ولماذا لم يصبر كما صبر جدّه، وأبوه، وأخوه من قبله؟.

الجواب:

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) أنظر، سنن التّرمذي: ٤/٧٧ ح ٢٦٣٦ و: ٥/٤١٧ ح ٤١٠٧، المبسوط للسّرخسي: ٣٠/٢٤٩، فتح الباري: ٣/٣٠٤ و: ٦/٦١ و: ١٠/١٨٠، نيل الأوطار: ٩/٩٢، الآحاد والمثاني: ٢/٢١٥ ح ٩٧٠، صحيح ابن حبّان: ٢/٥٠٩ ح ٧٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠/٣٠٦، ميزان الإعتدال: ٣/١٤٩ ح ٥٩٠٦، موارد الظّمآن: ٦٣٣، الجامع الصّغير: ١/١٨٠ ح ١١٩١، كنز العمّال: ٣/١٠١ ح ٥٦٨٧ و ٥٦٩٥، كشف الخفاء: ١/١٤٤ ح ٤١٨، سبل الهدى والرّشاد: ٣/١٠٥ و: ٩/٣٢٥.

(٣) أنظر، نهج البلاغة: الخطبة (٣). الخطبة الشّقشقيّة.

١ ـ لاَ يُسَوّغ بحَال أَنْ نُوجّه النَّقْد إِلَىٰ أَي إِنْسَان عَلىٰ عَمَل ، وَنَقُول : لَو فَعَل هَذَا كَان أَفضَل إلاَّ فِي ضَوء أَوْضَاعَه وَمَا أَحَاط بِهِ مِن ظُرُوفٍ ، وَمُلاَبسَات أَمَّا أَنْ نَنْتَقد وَنَلُوم بلاَ مُبَرّر وَتَمحِيص للظُّرُوف الضَّاغطَة القَاهرَة ، أَو نُقِيس هَذَا عَلىٰ ذَاك مَع وجُود المَسَافَة البَعِيدَة بَيْنَ الاِثْنَين ، أَمَّا إِذَا فَعَلنَا شَيْئاً مِن ذَلكَ فَقَد قُلنَا بلاَ عِلْم ، وَحَكمنَا بلاَ وَرَع .

٢ ـ أَنَّ مَعْنَىٰ التَّوكّل عَلىٰ الله سُبْحَانَه هُو الإِعْتصَام بِهِ وَحدَه دُون أَحد مِن خلقَه ، وَهَذَا وَاجب عَلىٰ كُلّ مَخلُوق قَوّيَاً كَان أَم ضَعِيفاً ، مُطَالباً بحَقّه أَم مُؤدياً لمَا عَلَيهِ مِن وَاجب . . . وكَانَت ظُرُوف الإِمَام الحُسَين تُحَتم عَلَيهِ الإِسْتشهَاد فِي سَبِيل الله مَع الإِتّكَال عَلَيهِ والإِعْتصَام بهِ . . . وَمِن دُعَائه فِي اليَوْم الَّذِي ٱسْتُشهد فِيهِ : « أَللَّهُمَّ إِنْ تَكُن مَنَعتَ عنَّا النَّصر مِن السَّمَاء فَٱجْعل ذَلكَ لمَا هُو خَير مِنْهُ »[1] .

وَخَير مِن النَّصر عَلىٰ يَزَيد أَنْ يَعْرف النَّاس وكُلّ الأَجْيَال : مَن هُم الأَمُويُون ، وأَنَّهُم أَعدَىٰ أَعدَاء الإِسْلاَم ونَبِيّه ، وأَنَّ أَيسَر شَيء عَلَيهِم أَنْ يَقتلُوا أَبْنَاء الرَّسُول ، وَيَسبُوا نِسَاءَه ، وَيَبيحُوا المَدِينَة المُنَورَة ، وَيَرمُوا الكَعْبَة المُقَدَّسَة بالمَنْجَنِيق[2] . . . . وَأَنْ يَنْكث يَزِيد ثَنَايا سِبط مُحَمَّد ﷺ ويَقُول : يَوْم بيَوْم بَدْر[3] .

---

(١) أنظ . مُثِير الأَحزَان : ٥٣ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٣٤٢ ، تَأرِيخ ٱبن عَسَاكر (تَرجَمَة الإِمَام الحُسَين) : ٣٣٢ ، الإِرشَاد : ٢٤٠ ، يَنَابِيع المَودّة : ٣ / ٧٧ ، مَقتَل الإِمَام الحُسَيْن للخوَارزمِي : ٢ / ٩١ ، لوَاعج الأَشجَان : ١٨٢ ، اللُّهوف فِي قَتلىٰ الطّفُوف : ١١٦ ، جوَاهر المَطَالب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ : ٢ / ٢٨٨ ، البدَاية وَالنّهاية : ٨ / ٢٠٣ ، الكَامل فِي التَّأرِيخ : ٢ / ٥٧٠ .

(٢) تَقدَّمَت تَخرِيجَاته .

(٣) أُنظر . أَنسَاب الأَشرَاف : ٣ / ٤١٦ ، البدَايَة والنّهايَة : ٨ / ٤٠٩ ، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم : ٣ / ١٤٨ ، هَامش ١٢ ، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي : ٢ / ٥٦ ، تَأرِيخ الطّبري : ٤ / ٣٥٢ ، الكَامل لِابْن الأَثِير : ٤ / ٣٥ ،
↔

حِينَ فَتح النَّبيّ مَكّة المُكرَمَة قَالَ لأَبي سُفيَان: «أَلَـم يَأن لَكَ أَنْ تَـعْلَم أَنّـي رَسُول الله ؟... قَالَ: أَمَّا هَذِهِ فَإِنَّ فِي النَّفس مِنْهَا شَيئاً»[1]!... وَبَقي هَذَا الشَّيء أَو الحِقد مَدْفُوناً فِي نفُوس الأُمويِّين يَتوَارثُونَه ابنَاً عَن أَب، وَأَبَاً عَـن جَـدّ حَـتَّىٰ ظَهَرت آثَارَه فِي مَـذبحَة كَـرْبُلاَء وَإِبَـاحَة المَـدِينَة ومَكّـة[2]، وَالغَـدْر بـالإِمَام

↔ مُرُوج الذّهب: ٢ / ٩١، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٣١٣، مَـجْمَع الزّوَائـد: ٩ / ١٩٨، وَالمُـؤتلف وَالمُـختلف للآمَدي: ٩١، الشّعر والشُّعرَاء: ١٥١، الأَشبَاه والنّظائِر: ٤، تَذكرَة الخواصّ: ١٤٨، شَـرح مَـقَامَات الحَرِيري للشُّرَيشي: ١ / ١٩٣، الصّوَاعق المُحرِقَة: ١١٦، الخُطَط للمَقريزي: ٢ / ٢٨٩، أَيّام العَرب فِي الإِسلاَم لمُحَمّد أَبي الفَضل وعليّ مُحمّد البجَاوي: ٤٣٥، الإِتحَاف بحُبّ الأَشرَاف: ١٥٣ بتَحقِّيقنَا، سُنن التِرمذي: ٥ / ٦٥٩، موَارد الظّمْآن: ١ / ٥٥٤، مُسْنَد أَبـي يَـعلىٰ: ٥ / ٢٢٨، المُـعْجَم الكَـبِير: ٣ / ١٢٥ و: ٥ / ٢٠٦ و ٢١٠، تُحفَة الأَحـوَذي: ١٠ / ١٩١ و ٣٠٧، سِـير أَعـلاَم النُّـبلاَء: ٣ / ٢٦١ و ٣١٥ و ٣٢٠، تَهذِيب الكَمَال: ٦ / ٤٣٤، تَأرِيخ وَاسط: ١ / ٢٢٠، فَضَائِل الصّحابَة لأَحمَد بن حَنبَل: ٢ / ٧٨٣.

(١) أُنظر، تَأرِيخ ابْن الأَثِير، وغَيْره. (مِنْهُ ﷺ).

أُنظر، الْفِتْنَة الْكُبْرَىٰ ـ ٢ ـ عَليّ وبَنُوه: ١٧، طَبْعَة سَنَة ١٩٦٤م، تَأرِيخ اليعقوبيّ: ٢ / ١٥٠، شَرْح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ٦ / ٧، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٣ / ٤٤٩، السَّقِيفَة لأَبِي بَكْر الجَوهري برِوَايَة شَـرْح النَّهج لِابْن أَبي الْحَدِيد: ٢ / ١٣٠، تَفْسِير الكَشّاف: ٢ / ٢٤٣، تَفْسِير جَامَع البَيَان: ٦ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧، تَفسِير غَرَائب القُرآن: ١٠ / ٣٦، صَحِيح التِّرمذي: ٢ / ١٨٣، مُسنَد أَحمَد: ٢ / ٣١٩ / ١٢٨٦، خُطَب شَرح نَهج الْبَلاَغَة لمُحَمّد عَبدَه: ٣ / ١٢٢.

(٢) أُنظر، الإِمَامة وَالسِّيَاسة لِابْن قُتيبة: ١ / ١٥٢، الكَامل: ٤ / ٥١، الفُصُول المُهمّة فِي مَعْرِفَة الأَئِـمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكِي: ٢ / ٢٢٤، بِتَحقِّيقنَا. أَبَاح فِيهَا يَزِيد المَدِينَة الْمُنَوَّرَة ثَلاَثَة أَيّام، ثُمّ يَأْتِي ابْـن عُمَرَ ويُوجّه جَرَائم يَزِيد حِينَما قَالَ مُخَاطباً عَبد الله بن مُطِيع: «سَمعتُ رَسُول الله ﷺ يَقُول: مَن خَلَع يَداً مِن طَاعةٍ لَقي الله يَوْم الْقِيَامَة لاَ حُجّة لهُ، ومَن مَات ولَيْسَ فِي عُنقهِ بَيْعَة...». أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٦ / ٢٢. فَهل تَقْبَل هَذِهِ المَدرسَة ـ مَدرسَة الْخِلاَفَة ـ أَنْ يَكُون خَليفتهَا يَزِيد بن مُعَاويَة الَّذي قَتل سِبط رَسُول الله ﷺ، وَرَيحَانته فِي كَربلاء، وأَبَاح الْمَدِينَة ثَلاَثَة أَيّام، وَرَمىٰ الكَعْبَة بالمَنجنِيق، و... و...؟ ↔

الحَسَن[١]، وفِي صِفِّين[٢]، وما إلَىٰ ذَلكَ مِمَّا وضع له كتَاباً خَاصّاً الدّكتُور نُوري جَعْفَر، وَهُو كتَاب الصّرَاع بَيْنَ الأَمويِّين وَمبَاديء الإِسْلاَم.

أَمَّا صَبْر النَّبيّ عَلىٰ المُشْركِين فِي مَكّة فَقَد كَان لصَالح الإِسْلاَم، وَتَثْبِيت دَعَائِمَه حَيْث كَان الشِّرك هُو الضَّافِر، المُسَيطر، وَلَو قَاومَه النَّبيّ، وَٱسْتُشهد لوأد الإِسْلاَم فِي مَهْده، وَلَم يَكُن لكَلمَة التَّوحِيد عَينٌ وَلاَ أَثَر... وأَيضاً جَاهَد الحُسَين وَٱستُشهد هُو، وَأَبْنَاؤه، وَأُخوَته، وَأَصحَابه، وَسُبِيَت بنَات النَّبيّ، كُلّ ذَلكَ لمَصلَحَة الإِسْلاَم، وَالكَشف عَن أَعدَائه الَّذِين ذَاقُوا وَبَال أَمرهُم، وَحَاق بِهم مَا

↔ وَكَتب مُعَاويَة العَهد إلىٰ ٱبْنِهِ يَزِيد وَجَعل لهُ ٱلخِلاَفَة مِن بَعده وَقَالَ: «... إنّي مِن أَجْلك آثَرت الدُّنْيا عَلىٰ الآخِرَةِ، ودَفَعْت حقّ عليّ بن أَبي طَالب، وَحَملت الوِزر عَلىٰ ظَهري، وإنِّي لخَائِف أَنْ لاَ تَقْبل وَصيتي، فَتَقتل خيَار قَومك. ثُمّ تعدُوَ عَلَىٰ حرمَة ربّك فَتقتلهُم بغَير الْحَق. ثمّ يَأْتِيك الْيَوْم بَغْتَة، فَلاَ دُنيَا تُصيب، وَلاَ آخرَة تُحبّ. يَابُني إنّي جَعلتُ هَذَا مَطمعاً لكَ، وَلولدَك مِن بَعدك... وَكُن حَازماً صَارماً... فإنّي كَفَيتك الجَد، والتّرحَال... وَلَقد وَطّأت لكَ يَابُني البِلاَد، وَذَلّلتُ لكَ رقَاب الْعَرَب الصّعاب... وَمَهدّت لكَ المُلك مِن بَعدي تَمهيداً...».

أُنظر، نَصّ الكَلاَم في الْفُتُوح: ٣/٣٥٣ و٣٥٤ و٣٥٥ و٣٥٦ و٣٥٧. تَأْرِيخ الطَّبريّ: ٦/١٧٩ و١٨٠ بإختلاف بَسيط، الإِصَابَة: ٤/١٦٩، تَهذِيب التَّهذيب: ٦/١٧٤، المَقتل للخوارزميّ: ١/١٧، الْبَيَان والتَّبيين: ٢/١٠٧، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٤/٤، مَع إختلاف فِي بَعْض الأَلْفَاظ.

(١) أُنظر، المقَاتل: ٤٣، وأَنْسَاب الأَشْرَاف: ١/٤٠٤، وٱبن أَبي ٱلْحَدِيد فِي شَرح النّهج: ٤/١١ و١٧، ٱبن كَثِير: ٨/٤١، تَأرِيخ الخُلَفَاء: ١٣٨، الإِصَابَة تَرجَمة الْحَسَن، ٱبْن قُتَيْبَة: ١٥٠، الصَّوَاعِق: ٨١، المَسْعُودِي فِي مُروج الذّهب بِهَامش الكَامِل: ٢/٣٥٣، ٦/٥٥، وتَهْذِيب تَأرِيخ دِمَشْق لِابْن عسَاكر: ٤/٢٢٦، وأَسْمَاء المُغتَالِين مِن الأَشْرَاف: ٤٤، وتَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/٢٢٥، وٱبْن الأَثِير: ٢/١٩٧، وٱبْن شُحنَة بهَامش ٱبْن الأَثِير: ١١/١٣٢، تَأْرِيخ الدّول الإِسْلاَميّة: ١/٥٣، تَذكِرة الخواصّ: ٦٢، تَأرِيخ أَبي الفِدَاء: ١/١٩٤، الاِسْتِيعَاب: ١/٣٨٩، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسّيوطي: ٧٤، مُسْتَدرَك الْحَاكِم: ٣/١٧٦.

(٢) تَقدّمَت تَخرِجَاته.

كَانُوا يَمكرُون... قَالَ العَقّاد فِي كتَاب أَبُو الشُّهدَاء: «لَمْ يَذْهَب الأُمَويُون ضَارِبِين حَتَّىٰ ذَهبُوا مَضرُوبِين إِلَىٰ آخر الزَّمَان، تِلكَ جَزِيرَة يَوْم وَاحد هُو يَوْم كَرْبُلاَء، فَإِذَا بالغَالب فِي هَذَا اليَوْم أَخْسَر مِن المَغلُوب»[١].

أَمَّا صُلْح الإِمَام الحَسَن فَنَتحدّث عَنْهُ فِي الفِقرَة التَّاليَة.

صُلح الإِمَام الحَسَن عليه السلام:

تَكَلّم جَمَاعَة مِن رِجَال الشِّيعَة قَدِيماً وحَدِيثاً، عَن صُلْح الإِمَام الحَسَن، وَثَورَة الإِمَام الحُسَين، وَعَن الفَرق بَيْنَ مَا تَعرض لهُ كُل مِنهُمَا مِن أَحدَاث، وَوَضعُوا فِي ذَلكَ كُتباً خَاصّة، وَأَثبتُوا بِمَنْطق الحِسّ أَنَّ الإِمَامَين الأَخوَين يَصْدرَان عَن مَوْرِد وَاحد، وَهُو مَصْلَحَة الإِسْلاَم والمُسْلِمِين، وأَنَّ كُلّ وَاحد مِنهُمَا فعَل مَا يَجْب أَنْ يَفْعَل... وَآخر مَا قَرَأتُ فِي هَذَا المَوضُوع كَلْمَة طَيبَة للشَّيخ مُحمَّد حُسَين كَاشف الغطَاء فِي أَوَّل الجُزء الثَّانِي مِن كتَاب الإِمَام الحَسَن للشَّيخ بَاقر شَرِيف القَرشي.

يَتَلخصّ مَحَل الشَّاهِد فِي هَذِهِ الكَلْمَة أَنَّ مُعَاوِيَة غَمَرتهُ المَسرّة بِقَتل أَبي السِّبْطَين، ولَكنَّه ضَاق ذَرعاً بِبَيعَة الإِمَام الحَسَن سِبط النَّبيّ وَرَيحَانَته، وَحَبِيب المُسْلِمِين... وَسُرعَان مَا وَجَد مُعَاوِيَة مَخرجاً مِن هَذَا الحَرج، فَأَفسَدَ جَيْش الإِمَام الحَسَن بالمَال وَالرَّشوَة، وَعَرض الصُّلْح عَلَىٰ الإِمَام بشرُوطَه حِيلَة وَغِيلَة تَمَاماً كَرَفع المَصَاحف فِي صِفِّين... وكَان جمهُور النَّاس يَتلهفُون عَلَىٰ السِّلْم بَعد أَنْ عَضّتهُم الحَرْب بأَنيَابهَا، وَأَصبَحت الدَّعوَة إِلَىٰ الحَرْب ثَقِيلَة وَبَلِيَة.

---

(١) مَا بَيْنَ القَوسَين مِن كتَاب «أَبُو الشُّهدَاء الحُسَين بن عَليّ»: ١٢٦، طَبعَة القَاهِرَة. (مِنْهُ رحمه الله).

وَهُنَا تأزّمت ظُرُوف الحَسَن... إنْ آثر الحَرْب عَلَىٰ السِّلم قَالُوا: أَرَاق دمَاء المُسْلِمين، وَإنْ كَان هوَ المَغلُوب ـ وَهَذَا هُو الأَقرَب ـ فَأَوّل كَلْمَة تُقَال: «لَقَد قَتَل نَفْسَه وَأَلقىٰ بهَا إِلَىٰ التّهلكَة»[1]... فكَان الصَّبر عَلَىٰ الصُّلح أَحْجىٰ فصَالح: «فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ هَاتَا أَحْجَىٰ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًىٰ، وَفِي الْحَلْقِ شَجًا»[2]. عَلَىٰ حَدّ مَا قَالَ أَبُوه أَمِير المُؤْمِنِينعليه السلام... ثُمَّ قَالَ كَاشف الغطَاء: أَرَاد الْإِمَام الحَسَنعليه السلام فِيمَا أَرَاد مِن الصُّلح أَنْ تَنْكَشف نوَايَا مُعَاويَة للمَلأ، لأَنَّ النَّاس يُحَاسبُون عَلَىٰ المواقف العَلنيَة... فَلُو لَمْ يَكُن لصُلح الحَسَن مَنْفع إلاَّ ٱفتضَاح مُعَاويَة ومَعْرفَة النَّاس بكُفرَه لكَفىٰ، وَلَولاَ هَذَا الصُّلح مَا ٱسْتَلحق مُعَاويَة زيَاداً بَأبي سُفيَان[3]، وَلاَ قَتَل حِجْر بن عَدي[4]، والصَّحَابي الجَلِيل عَمْرو بن الحَمق[5]

---

(١) قَالُوا هَذَا، وَهُم يَعلمُون أَنَّ الحَسَن صَالح مُعَاويَة، وَسَلّم لهُ الأمر، ثُمَّ غَدَر بهِ، وَأَنَّ مُعَاويَة أَعْطىٰ العهُود وَالموَاثِيق لأَولِيَاء الله كَحِجر بن عَدي، وَعَمْرُو بن الحَمق وَغَيره، ثُمَّ نَقضهَا، وَقَتلهُم دُون أَنْ يُقَاتلُوه، وَأَنَّ مُسْلِم بن عَقِيل أَلقىٰ السّلاَح بَعد أَنْ أَخذ العَهد وَالأَمَان مِن أَذنَاب الأُمويِّين، ثُمَّ قَتلُوه وَمَثّلُوا بِهِ.

(٢) أنظر، نَهج البَلاَغَة: ٱلْخُطْبَةُ (٣). ٱلخُطْبَةُ الشّقشِقِيَّة.

(٣) أنظر، تَأْرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٠٢ و: ١١ / ٣٧٥، وَالنُّبلاء: ١ / ٢٣٧، وَمُسنَد أَحْمَد: ٤ / ٤٢١، وَوَقعَة صِفِّين لنَصر بن مزَاحم: ٢٤٦، وَالمُعجَم الكَبِير للطَّبرانِي: ١ / ٤٢٧، وَالعِقد الفَرِيد: ٤ / ٣٤٥، وَالْإِستِيعَاب: ٤١٢، وَأُسد الغَابَة: ٣ / ١٠٦، وَتَهذِيب ٱبن عسَاكر: ٧ / ٢٠٦، وَالْإِصَابة: ٢ / ٢٦٠، وَالطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ٢٢٢، وَصَفوة الصَّفوة: ١ / ٢٣٨، وَسِيرة ٱبن هِشَام: ٤ / ١٧٩.

(٤) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ١٩٨، و: ٦ / ١٤٩، الكَامِل فِي التَّأريخ لِٱبن الأَثِير: ٣ / ٢٠٤ و ٤٧٧، وَالأَغَانِي: ١٦ / ٧، تَأرِيخ ٱبن عَسَاكر: ٦ / ٤٥٩ و: ٢٤ / ٢٢٨، كتَاب عَليّ وَبَنُوه، الدُّكتُور طَه حُسَين: فَصْل (٥١)، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ٥١، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٥٠، شَرْح الأَخبَار: ٣ / ١٣١.

(٥) أنظر، وَقعَة صِفِّين: ١٠٣، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٣ / ١٨١، المعيَار وَالموَازنَة: ١٣٠، ↔

، ولا سقىٰ السّم لسبط النّبيّ ﷺ[1] ، ولا أخذ البيعة ليزيد[2] .

هذا ملخص ما قاله الشّيخ الأجل ، ونحن نعرف الفرق بين ظروف الحسن وظروف الحسين عليه السلام ... عرض معاوية الصّلح علىٰ الحسن بكلّ ما يريده من الشّروط ، أمّا يزيد ، وابن زياد فقد عرضا علىٰ الحسين النّزول علىٰ حكمهما الجائر يفعلان به ما يريدان ، أو قطع الرّأس ، ورضّ الصّدر ، والظّهر ... وأشار الإمام الحسين عليه السلام بذلك إلىٰ قوله : « ألا وإنّ الدعيّ ابن الدّعيّ قد ركز بين اثنتين

تاريخ الطّبريّ : ٥ / ٩٠ و : ٣ / ٢٢٢ طبعة بيروت ، تاريخ مدينة دمشق : ٦٩ / ٤٠ ، البداية والنّهاية : ٨ / ٥٢ ، أسد الغابة : ٤ / ١٠١ ، التّاريخ الصّغير : ١ / ١٠٥ ، الإصابة : ١ / ٢١٥٩ و : ٣ / ٢٥٩ ، و : ٤ / ٢٩٤ و ٢٣٦ ، ٥ / ٣٢٥ .

(١) أنظر ، أنساب الأشراف : ١ / ٤٠٤ ، وابن أبي الحديد في شرح النّهج : ٤ / ١١ و١٧ ، ابن كثير : ٨ / ٤١ ، تاريخ الخلفاء : ١٣٨ ، الإصابة ترجمة الحسن ، ابن قتيبة : ١٥٠ ، الصّواعق : ٨١ ، المسعودي في مروج الذهب بهامش الكامل : ٢ / ٣٥٣ ، ٦ / ٥٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤ / ٢٢٦ ، وأسماء المغتالين من الأشراف : ٤٤ ، وتاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٢٥ ، وابن الأثير : ٢ / ١٩٧ ، وابن شحنة بهامش ابن الأثير : ١١ / ١٣٢ ، تاريخ الدّول الإسلاميّة : ١ / ٥٣ ، تذكرة الخواصّ : ٦٢ ، تاريخ أبي الفداء : ١ / ١٩٤ ، الإستيعاب : ١ / ٣٨٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٧٤ ، مستدرك الحاكم : ٣ / ١٧٦ ، مروج الذّهب : ٢ / ١٣٩ طبعة بيروت ، المغتالين من الأشراف : ٣٩ ، وتاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٣٩ طبعة بيروت ، شرح النّهج لابن أبي الحديد : ٢ / ٢٩ ، والطّبريّ في تاريخه : حوادث سنة (٣٨ ـ ٣٩ هـ) ، تهذيب الكمال : ٢٧ / ١٢٦ رقم ٥٧٣١ ، التّاريخ الكبير للبخاري : ٧ / ٣١١ ، وتاريخ الصّغير : ١ / ٨٧ ، الثّقات لابن حبّان : ٢ / ٢٩٨ ، سير أعلام النّبلاء : ٤ / ٣٥ ، تاريخ مدينة دمشق : ٥٦ / ٣٧٦ و ٣٩١ ، الأنساب : ٥ / ٤٧٦ ، نظرات في الكتب الخالدة لحامد حفني : ١٦١ .

(٢) أنظر ، الإمامة والسّياسة : ١ / ٢٠٠ ، الكامل في التّاريخ : ٣ / ٢٥٢ ، المقاتل : ٤٣ ، أنساب الأشراف : ١ / ٤٠٤ ، شرح النّهج لابن أبي الحديد : ٤ / ١١ و١٧ : . ابن كثير : ٨ / ٤١ ، تاريخ الخلفاء : ١٣٨ ، الإصابة الصّواعق المحرقة : ٨١ ، مروج الذّهب بهامش الكامل : ٢ / ٣٥٣ ، ٦ / ٥٥ ، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤ / ٢٢٦ ، وأسماء المغتالين من الأشراف : ٤٤ ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٢٥ ، ابن شحنة بهامش ابن الأثير : ١١ / ١٣٢ .

بيْنَ السِّلَّة وَالذِّلَّة، وَهَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّة، يَأْبـى اللهُ لَـنا ذَلِكَ وَرَسُـولُهُ وَالمُـؤمِنُونَ، وَجُدُودٌ طابَتْ، وَحُجُورٌ طُهِّرتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّة، وَنُفُوسٌ أَبِـيَّة، لاَ تُـؤثِرُ طـاعَةَ اللِّئام عَلَىٰ مَصارِعِ الكِرامِ... أَلاَ وَإِني قَدْ أَعْذَرْتُ، وَأَنْذَرْتُ، أَلاَ وَإِنِّـي زَاحِـفٌ بِهَذِه الأُسْرَةِ، مَعَ قِلَّةِ العَدَدِ وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ، وَخِذْلاَنِ النَّاصِرِ»(١)... وَسَأل الحُسَين ٱبن زيَاد وَجَيشَه أَنْ يَنصرف إِلَىٰ المَكَان الَّذي جَـاء مِـنْهُ، أَو أَي مكَـان آخـر، وَيَدعُوه وَشَأنه، وَيَترك لهُم المُلك وَالسُّلطَان، فَأبُوا إلاَّ أَنْ يُبَايع أَو يُقْتَل.

وَمَع هَذَا الفَرق الكَبِير، وَالبُعد الشَّاسع بَيْنَ ظُرُوف كُـلِّ مِـن الإمَـامَين ـ هَـل يَسوغ لعَاقل أَنْ يَقُول: كَان عَلَىٰ الإِمَام الحَسَن أَنْ يَستَشهد كمَا ٱستُشهد الإِمَـام الحُسَين؟... أَنَّ الحَسَن أَخو الحُسَين لأَب وَأُمّ، وَهُمَا سَيِّدا شَبَاب أَهَل الجَـنَّة وَرَيحَانتَا رَسُول اللهﷺ وَقَد صَالح الأَوَّل، وَٱستُشهد الثَّاني طَاعَة لله، وَإِخلاَصاً لعِبَادِه، وَدَفعاً للضَّرر الأَشَد بالضَّرر الأَخَف، لاَ رَهبَة مِن المَوْت وَلاَ رَغـبَة فِـي الحَيَاة.. أَبداً لاَ شَيء إلاَّ مَصْلحَة الإِسلاَم، وَالمُسْلِمِين.

القُرآن وعُلمَاء الإِقتصَاد وَالإِجتمَاع:

قَرَأتُ فِي جَرِيدَة الأَهرَام مقَالاً: «أَنَّ جمَاعَة مِن عُلمَاء الإِقْتصَاد وَالإِجْتمَاع أَرَادُوا أَنْ يَضعُوا معيَاراً يقيسُون بِهِ الأُمَم تَقَدّماً وَتَخلفاً فكَان أَوَّل مَا وَضعُوه عَلَىٰ بسَاط البَحْث هُو مُتوسط دَخل الفَرد، وأَنَّهُ هَل يَصْلُح معيَاراً لحَضَارَة الأُمّة بحَيْث يُقَاس تَقدّمهَا بِإرتفَاعه، وَتَخلفهَا بِإنْخفَاضه... ثُمَّ ٱنْتهُوا إِلَىٰ أَنَّ حَـيَاة الإِنْسَـان كَثِيرَة الأَبْعَاد، مُتَشعبَة الأَطرَاف، وأَنَّهَا لاَ يَتجزأ، وَالحَضَارَة حَصِيلَة لهَا جَمِيعَاً،

(١) أنظر، تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

ولَيْسَ لأَرقَام الإِنْتَاج، وَالدّخل فقَط... وَبكَلمَة اتّفقُوا عَلَىٰ أَنَّ الإِنْسَانِيَّة لاَ تَحيَا بالخُبز فقَط... فَإِذَا ارتَفع مُستَوىٰ الدَّخل بمقدَار خَمسِين بالمِئَة ـ مَثلاً ـ فلاَ يَرتَفع مُستَوىٰ الوَعي وَالثّقَافَة، وَالخُلق وَالصّحَة، والأَمن وَالحُرّيّة ـ بمقدَار خَمسِين بالمِئَة.

لهَذَا بَحَث عُلمَاء الإِقْتصَاد، وَالإِجْتمَاع عَن معَايِّير أُخرىٰ إِلَىٰ جَانب إرتفَاع المُستَوىٰ الإِقْتصَادي، وَفي نهَايَة المَطَاف اتّفقُوا عَلَىٰ أَنَّ الحَضَارَة تُقَاس بتَوَافر العوَامل التّاليَة:

١ ـ رعَايَة الصّحَة العَامّة رعَايَة دَقِيقَة، وَحَكِيمَة، وَقَايَة وَعلاَجاً.

٢ ـ التَّربيَة الصَّحِيحَة، وهِي الَّتي تَعْمل عَلَىٰ تَطور الشَّخصيَّة الإِنْسَانِيَّة بكُلّ طَاقَاتهَا وَمُمكنَاتهَا... وَإِلاَّ فقَد تنْفق الدَّولَة المَلاَيِّين عَلَىٰ التَّعلِيم دُون أَنْ تَرفَع النَّاس إِلَىٰ دَرجَة الحَضَارَة وَالإِستنَارَة، وإِنَّمَا تَخْرج حَمَلَة شهَادَات يُؤمنُون بالخَرَافَة، وَيَتعصبُون للجهَالَة.

٣ ـ تَكَافؤ الفُرص بَيْنَ النَّاس، وَتَهيئَة العَمَل لكُلّ حَسَب مَوهبَته وَمُؤهلاَته.

٤ ـ ضَمَان الأَمن وَالحُرّيّة، وَالعَدْل وَالمُسَاوَاة، وَسيَادَة القَانُون سيَادَة يَخْضَع لهَا الجَمِيع لاَ فَرق بَيْنَ الحَاكم وَمَحكُوم، وَكَبِير وَصَغِير[1].

بهَذِه الشّروط مُجْتَمعَة تَتحقّق الحَضَارَة، ويَكُون للحَيَاة لَونهَا الجَمِيل، وَطَعهُما اللّذِيذ، وَوَزنهَا الثَّقِيل، كمَا قَالَ عُلمَاء الإِقْتصَاد، وَالإِجْتمَاع فِي هَذَا العَصْر، وَنصُوص الكتَاب وَالسُّنَّة تَحث عَلَىٰ طَلَب العِلْم، وَرعَايَة الصّحَة، وَإِقَامَة العَدْل،

(١) أُنظر، جَرِيدَة الأَهرَام: (١٩٧٤/١٢/٤م) مقَالاً بعُنوَان مقيَاس الحَضَارَة بقَلم الدّكتُور زَكي نَجِيب مَحمُود. (مِنْهُ ﷺ).

وَضَمَان الأَمن، وَالحُرِّيّة، وَالمُسَـاوَاة، وكُـلّ مَـا يَـدفع بـالحَيَاة إِلَـىٰ الأَفْـضَل والأَكمَل... وَتَمنَيتُ لَو أَنّي قَد ٱطَلعتُ عَلَىٰ مِـثْل المَـقَال مِـن قَـبل لأَسْـتَشهد بكَلمَات مِنْهُ في تَفسِير بَـعْض الآيَـات، كـقَوْله تَـعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[2].

أي إِلَىٰ حَيَاة أَفضَل، وَغير ذَلكَ مِـن الآيَـات الَّـتي تُـحَدّد الإِسـلاَم وَدَعـوَة القُرْءَان.

وَبَعد، فَإِنَّ الحَدِيث عَن الحَضَارَة وَالإِستنَارَة، والحَيَاة الأَفْضَل وَالأَكمَل هُـو حَدِيث عَن الحُسَين والقُرْءَان، لأَنَّ كُلاً مِنْهُمَا يَهْدِي للَّتي هِيَ أَقْوَمُ.

(١) ٱلأَنْفَال: ٢٤.

(٢) ٱلإِسْرَاء: ٩.

مَنْ قَتَلَ الإِمَامَ الحُسَيْن عليه السلام

النَّاصبي والمُنَافق:

النَّاصْبي: مَنْ نَصَبَ العَدَاوَة لأَهْل بَيْت رَسُول الله صلى الله عليه وآله[1].

وَالمُنَافق: مَنْ سَتَر الكُفر بِقَلْبِه، وَأَظْهَر الإِيْمَان بِلِسَانِه[2]. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[3].

قَالَ المُفَسّرُون: أَنَّ خَمسَة عَشَر مِن المُنَافِقِين آتّفُوا عَلَىٰ أَنْ يَدفَعُوا رَسُول الله عَن رَاحلَته إِلَىٰ الوَادي إِذَا تَسَنم العَقبَة بِاللَّيل وَهُو عَائِد مِن غَزْوَة تَبُوك[4]...

---

(١) أنظر، مَجْمَع البَحرَين: ٤ / ٣١٦.

(٢) أنظر، الغَرِيب لِابن سَلَّام: ٣ / ١٣، لسَان العَرَب: ١٥ / ١٠١.

(٣) ٱلتَّوْبَة: ٧٢ ـ ٧٤.

(٤) أنظر، صَحِيح البُخَارِيّ: ٣ / ١٠٧٨ ح ٢٧٨٧ و: ٤ / ١٦٠٣ ح ٤١٥٦، سُنن الدَّارمي: ٢ / ٢٨٩ ح ٢٤٥٠، سُنن البَيْهَقِيّ الكُبرىٰ: ٧ / ٤٠ ح ١٣٠٥٨، المُصَنَّف لِابْن أَبِي شَيبة: ٦ / ٥٣٩ ح ٣٣٦٦٣، المُعْجَم الكَبِير: ١٩ / ٥٣ ح ٩٥، فَتح البَاري: ٦ / ١٥٩، شَرح النَوَوي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم: ١٧ / ٩٩، السِّيرَة النَّبَوِيَّة: ٥ / ٢١٤، الجَامِع الصَّغير: ١ / ٧٥ ح ٨٨، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ٣ / ٣٦٠، تَفْسِير آبن كَثِير: ٢ / ٣٩٨.

مَنْ قَتَلَ الإِمَام الحُسَين عليه السلام

النَّاصبي وَالمُنَافق:

النَّاصْبي: مَنْ نَصَب العَدَاوَة لأَهْل بَيْت رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وَالمُنَافق: مَنْ سَتَر الكُفر بقَلْبه، وَأَظهَر الإِيمَان بلسَانه[2]. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾[3].

قَالَ المُفَسّرُون: أَنَّ خَمسَة عَشَر مِن المُنَافِقِين ٱتّفُوا عَلَىٰ أَنْ يَدفَعُوا رَسُول الله عَن رَاحلَته إِلَىٰ الوَادي إِذَا تَسَنم العَقبَة باللَّيل وَهُو عَائِد مِن غَزْوَة تَبُوك[4]...

---

(١) أُنظر، مَجمَع البَحرَين: ٤/ ٣١٦.

(٢) أُنظر، الغَرِيب لِابن سَلَّام: ٣/ ١٣، لسَان العَرَب: ١٥/ ١٠١.

(٣) ٱلتَّوْبَة: ٧٢ ـ ٧٤.

(٤) أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٣/ ١٠٧٨ ح ٢٧٨٧ و: ٤/ ١٦٠٣ ح ٤١٥٦، سُنن الدَّارمي: ٢/ ٢٨٩ ح ٢٤٥٠، سُنن البَيْهَقِيّ الكُبرىٰ: ٧/ ٤٠ ح ١٣٠٥٨، المُصَنَّف لِابْن أَبِي شَيبة: ٦/ ٥٣٩ ح ٣٣٦٦٣، المُعْجَم الكَبِير: ١٩/ ٥٣ ح ٩٥، فَتح البَاري: ٦/ ١٥٩، شَرح النّوَوي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم: ١٧/ ٩٩، السِّيرَة النَّبَويَّة: ٥/ ٢١٤، الجَامِع الصَّغير: ١/ ٧٥ ح ٨٨، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ٣/ ٣٦٠، تَفْسِير ٱبن كَثِير: ٢/ ٣٩٨.

وَمِن بَعْدَه تَآمرُوا عَلَىٰ عِتْرَته وَشِيعَتهُم بالقَتْل وَالتَّشرِيد، وَمَن لَم يُبَاشر القَتْل وَالتَّنكِيل مِن المُنَافِقين ـ ٱلتمس الأَعذَار الكَاذبَة لكُلِّ طَاغيَة جَارَ عَلَىٰ آل الرَّسُول، وَمَن آمَن بمُودّتهم وَطهَارتهُم... حَتَّىٰ صَنَع يَزِيد بالحُسَين ٱعتَبرُوا طَاعَة لله وَرَسُوله!!... قَالَ أَبُوبَكْر بن العَربي فِي كتَاب العوَاصم مِن القوَاصم: «ٱنْعقدَت البَيْعَة شَرعاً ليَزِيد، لأَنَّها تَنْعَقد بوَاحد!... حَتَّىٰ وَلَو كَان هَذَا الوَاحد أَبَاه مُعَاويَة[1]!. وَقَالَ أَيضاً: «مَا خَرَج أَحد عَلَىٰ حَرْب الحُسَين وَلاَ قَاتلُوه إلاّ بأَقوَال جَدّه رسُول الله صلى الله عليه وآله الكَثِيرة، ومِنْهَا: «سَتكُون هنَات وَهنَات، فَمَن أَرَاد أَنْ يُفَرّق الأُمّة وهِي جَمِيع فَٱضربُوه بالسَّيف كَائِناً مَن كَان»[2].

يَزِيد قَتَل الحُسَين بَأَمر رَسُول الله، وَطَاعَة لله، وَطَلَباً لمَرضَاته، وَرَغبَته فِي جَنّته!... أَمَّا الحُسَين فَلاَ عُذر لهُ لأَنّه خَرج عَلَىٰ إمَام زَمَانه الَّذي ٱنعقدَت لهُ البَيْعَة شَرعاً بمُجَرد مَا أَرَادهَا أَبُوه مُعَاويَة!... وَلاَ أَدري كَيْفَ جَمَع ٱبن العَربي، وَأَمثَاله بَيْنَ الإدّعَاء أَنَّ الحُسَين قُتل بسَيف جَدّه لأَنّه خَرج عَلَىٰ إمَامه يَزِيد، وبَيْنَ ٱلتمَاس العُذر لعَائِشَة، ومُعَاويَة، وطَلْحَة، والزُّبَيْر فِي خرُوجهِم عَلَىٰ الإمَام عَليّ عليه السلام الَّذي بَايعهُ الأَنْصَار والمُهَاجرُون؟.

---

(١) أنظر، العوَاصم مِن القوَاصم، (أَبُوبَكْر بن العَربي): ٢٢٢ طَبْعَة سَنَة (١٣٧٥ هـ). (مِنهُ رحمه الله).

(٢) أنظر، العوَاصم مِن القوَاصم، (أَبُوبَكْر بن العَربي): ٢٣٢ طَبْعَة سَنَة (١٣٧٥ هـ). (مِنهُ رحمه الله).

أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٣/١٤٧٩ ح ١٨٥٢، صَحِيح ٱبن حِبَّان: ١٠/٢٥٥ ح ٤٤٠٦، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٢/١٦٩ ح ٢٦٦٥، مُسْنَد أَبي عوَانَه: ٤/٤١١ ح ٧١٣٥، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ: ٨/١٦٨، سُنن أَبي دَاود: ٤/٢٤٢ ح ٤٧٦٢، السُّنن الكُبرىٰ: ٢/٢٩٢ ح ٣٤٨٣، مُسْنَد أَحمَد: ٤/٢٦١، مُعْجَم شيُوخ أَبي بَكْر: ٢/٦٥٦، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ٢/٣١٧ ح ٣٤٣٤، الإِصَابَة: ٣/٥٠٥ ح ٤٢٢٣.

وقَالَ مُحبّ الدِّين الخَطِيب الغَرِيب مُعَلقاً عَلَىٰ قَول صَاحب العَوَاصم: «لَو تَرك مُعَاوِيَة الأَمْر شُورىٰ بَيْنَ المُسْلِمِين، وَلَم يُبَايع يَزِيد لقَامَت الفِتَن وَالمَجَازر وَلَم يَسْتَقم للمُسْلِمِين نظَام»[1]!... وأَيْضاً قَالَ هَذَا الخَطِيب المُرِيب مُعلقاً: «كَان يَزِيد مِن أَهَل العَدَالَة، مُوَاظِباً عَلَىٰ الصَّلاَة، مُتخيراً للخير، مُلاَزِماً للسُّنَّة»![2].

يَزِيد ـ عِندَ صَاحب الخُطُوط العَرِيضَة، وَصَاحب العَوَاصم ـ تَقي نَقي... تَحرّىٰ العَدْل بمَذبحَة كَرْبُلاَء، وَأَحيَا السُّنَّة بوَقعَة الحَرّة[3]، وَأَقَام الصَّلاَة بِإستبَاحَة الكَعْبَة[4]!... أَرَأيتَ إِلَىٰ هَذَا البُغض وَالعدَاء لله وَرَسُوله وَعترَته!... وَبأَيّة حُجّة تَرد عَلَىٰ هَذَا المَنْطق؟... أَللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تُسَلّم وَتَعْتَرف أَنَّ يَزِيد تَقي نَقي فِي دِين ٱبن العَرَبي، وَدِين المُحبّ ليَزِيد، وَٱبن زِيَاد!.

وكُلّ مَن قَالَ: الحُسَين قَتَلهُ الشِّيعَة فَهُو عَلَىٰ هَذَا الدِّين اللَّعِين.

مَودّة القُربَىٰ رَفض وَعَار:

فِي كتَاب الوَسَائِل للحرّ العَاملي أَنَّ الإِمَام جَعفَر الصَّادِق عليه السلام قَالَ: «لَيس

---

(١) أنظر، العوَاصم مِن القوَاصم، (أَبُوبَكْر بن العَرَبي): ٢٢٢ طَبْعَة سَنَة (١٣٧٥ هـ). (مِنهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، العوَاصم مِن القوَاصم، (أَبُوبَكْر بن العَرَبي): ٢٢٣ طَبْعَة سَنَة (١٣٧٥ هـ). (مِنهُ رحمه الله).

أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٣/١٤٧٩ ح ١٨٥٢، صَحِيح ٱبن حِبَّان: ١٠/٢٥٥ ح ٤٤٠٦، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٢/١٦٩ ح ٢٦٦٥، مُسْنَد أَبي عوَانَه: ٤/٤١١ ح ٧١٣٥، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ: ٨/١٦٨، سُنن أَبي دَاود: ٤/٢٤٢ ح ٤٧٦٢، السُّنن الكُبرىٰ: ٢/٢٩٢ ح ٣٤٨٣، مُسْنَد أَحمَد: ٤/٢٦١، مُعْجَم شيُوخ أَبي بَكْر: ٢/٦٥٦، الفِرْدَوْس بمَأثور الخِطَاب: ٢/٣١٧ح ٣٤٣٤، الإِصَابَة: ٣/٥٠٥ ح ٤٢٢٣.

(٣) أُنظر، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابْن قُتيبَة: ١/١٥٢، الكَامِل: ٤/٥١.

(٤) أُنظر، تَأرِيخ الخُلَفَاء: ٢٠٩.

النَّاصب مَن نَصَب لنَا أَهَل الْبَيْت ، لأَنَّك لاَ تَجْد رَجُلاً يَقُول : أَنَا أَبْغض مُحَمَّداً وَآل مُحَمَّد ، وَلَكن النَّاصب مَن نَصَب لَكُم ـ أَيُّهَا الشِّيعَة ـ وَهُو يَعْلَم أَنَّكُم تَتولُونَا ، وَأَنَّكُم مِن شِيعَتنَا »[1] .

أَنَّ الشِّيعَة يَتحرجُون عَن الإِسَاءَة إِلَىٰ أَي مَخلُوق ، وَيَقفُون دَائمَاً مَوقف المُدَافع ، وَذَنبهُم الوَحِيد مَودّة القُربىٰ الَّذِين أَذْهَب الله عَنْهُم الرِّجس لأَنَّ هَذِه المَودّة رَفْض وَعَار عِندَ الخَوَارج وَالنَّواصب ، وَمِن هُنَا قَالَ الإِمَام الشَّافعي[2] :

إِنْ كَانَ رَفضَاً حُبّ آل مُحَمّدٍ ... فَلْيَشهَد الثَّقلاَن أَنّي رَافضي

وقَالَ الكُمَيْت[3] :

بَأي كِتَاب أَم بأَيّة سُنّة ... تَرىٰ حُبّهُم عَارَاً عَليَّ وَتَحْسب[4]

وقَالَ ٱبن أَبي الحَدِيد فِي مَدْح الإِمَام عَليّ عليه السلام[5] :

---

(١) أنظر ، وَسَائِل الشِّيعَة : ٩ / ٤٨٦ ح ٣ ، عِلَل الشَّرَائِع : ٢ / ٦٠١ ح ٦ ، ثَوَاب الأَعمَال : ٢٠٧ .

(٢) أُنظر ، دِيوَان الشَّافعي الطَّبعَة الثَّالثَة بَيرُوت : ٥٥ ، دَلِيل فِقْه الشَّافعي : ١١ طَبعَة جَامعَة طَهرَان ، نُظم دُرَر السّمطَين فِي فَضَائِل المُصْطَفَىٰ وَالمُرتَضىٰ وَالبَتُول وَالسِّبطَين : ١١٠ و ١١١ ، حلية الأَولِيَاء : ٩ / ٦٥٢ ، الصَّوَاعق لِابْن حَجَر : ١٣١ و ٧٩ ، نُور الأَبصَار للشّبلنجي : ١ / ٤٤٥ بتَحقِيقنَا ، تَعليقَات ٱبن حَجر عَلىٰ الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب : ٥ / ٤١٠ ، : ٥ / ٤١٠ ، فَرَائد السّمطَين : ١ / ١٣٥ ح ٩٨ و ٤٢٣ و ٤٢٤ .

(٣) هُو الكُمَيْت بن زَيد بن خَنس الأَسدي ، أَبُو المُسْتَهل ، (تُوفّي سَنَة ١٢٦ هـ) شَاعر الهَاشميِّين ، مِن أَهْل الكُوفَة ، ٱشتُهر بِالعَصر الأُموي ، شِعرَه يُقَارب أَكْثر مِن خَمسَة آلآف بَيْت . أُنظر ، تَرجَمته فِي الشِّعر وَالشُّعرَاء : ٥٦٢ ، خُزَانَة الأَدب للبَغدَادي : ١ - ٦٩ ، جَمهَرة أَنسَاب العَرب : ١٨٧ .

(٤) أُنظر ، الهَاشميَات وَالعَلويَات ، قَصَائِد الكُمَيْت ، وَٱبن أَبي الحَدِيد : ٢٧ و ١٦١ ، أَنسَاب الأَشرَاف : ٣ / ٢٣٨ ، تَفْسِير القُرطُبي : ٤ / ٣٠٧ ، شَرْح الرَّضي عَلىٰ الكَافيَة : ٤ / ١٥٥ .

(٥) أُنظر ، الغَارَات : ٢ / ٦٦٢ ، وَفيَات الأَعيَان : ٥ / ٣٩١ ، البدَايَة وَالنّهايَة : ١٢ / ١٩٩ ، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد : ١ / ١٤ ، الهَاشمِيَات وَالعَلويَات ، قَصَائِد الكُمَيْت ، وَٱبن أَبي الحَدِيد : ١٤٤ ، العَلويَات السّبع : ١٦ و ١٧ .

وَرَأيتُ دِيـن الإعْـتزَال وَإنّـني أهوىٰ لأَجْلك كُـلّ مَـنْ يَـتَشيَّع

وَالعَكْس صَحِيح.. قَالَ أَمِير المُـؤْمِنِين عليه السلام: «أَصْـدِقَاؤُكَ ثَـلاَثَةٌ، وَأَعْـدَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ؛ فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وَصَـدِيقُ صَـدِيقِكَ، وَعَـدُوُّ عَـدُوِّكَ. وَأَعْـدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ»[1]. وَمَا قَالَ الشَّافِعي، وَالكُـمَيت مَـا قَالاَه إلاّ رَداً عَلَىٰ مَن زَعَم أنَّ حُبّ العِتْرَة وَالآل الأَطْهَار رَفضٌ وَعَارٌ!!... وَمِن هَذَا الزَّعم الكَافِر اَنْطَلق الإِفْترَاء عَلَىٰ كُلّ الشِّيعَة ـ بمَا فِيهِم الإِثنَا عَشرية ـ بالغُلوّ تَارَة، وَحِيناً بالتَّأوِيل البَاطن، وَأُخرىٰ بأَنَّ الشِّيعَة هُم الَّذِين قَتَلوا الحُسَـين!... وَأَشرنَا إلَىٰ الفِريَة الأُولىٰ وَالثَّانيَة فِي فَصْل النُّبُوَّة والإِمَامَة، وفِيمَا يَلي نُجِيب عَن الثَّالثَة.

الشِّيعَة وَقَتل الحُسَين عليه السلام:

قَالَ صَاحب العَوَاصم مِن القَوَاصم: أَنَّ الَّذِي قَتَل الحَسَن هُو جَدّه رَسُـول الله حِينَ قَالَ: «فَمَن أَرَاد أَنْ يُفرّق الأُمّة وهِي جَمِيع فَاضربُوه بالسَّيف كَائِناً مَن كَان» كمَا تَقدّم، وقَالَ آخَر: «أَنَّ الحُسَين قَتَلهُ الشِّيعَة!... وَالهَدَف مِن هَذَين القَولَين وَاحد، وَهُو الدّفَاع عَن عِصمَة يَزِيد مِن الخَطَأ وَالخَطِيئَة!... ولَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ الشَّيطَان لاَ يَطْلُب مِن الإِنْسَان أَكثَر مِن ذَلك.

الجَوَاب:

١ ـ كُلّ مَن أَمَر، أَو حَضَر، أَو رَضي بقَتْل الإِمَـام الحُسَـين عليه السلام فـمَا هُـو مِـن الإِسْلاَم في شَيء... حَتّىٰ وَلو صَلّىٰ، وَصَام، وَحجّ إِلَـىٰ بَـيْت الله الحَـرَام، لأَنَّ

[1] اُنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (٢٩٥).

الدِّين عِندَ هَذَا مُجَرد نَعق، وَلَعق عَلَىٰ لسَانه: «وَالدِّين لَعِقٌ عَلَىٰ أَلسِنتهم يُحوطُونَه مَا دَرّت مَعايشهُم، فَإِذَا مُحصُوا بالْبَلاَء قَلّ الدَّيانُون»[١]. عَلَىٰ حَدّ مَا قَالَ الْإِمَام الحُسَين عليه السلام.

٢ـ يزِيد أَمَر بالقَتْل، وَٱبن زيَاد سَمع وَأَطَاع، فَجَمع وَجَنّد، وَٱبن سَعد قَاد وَبَاشر... فَأي وَاحد مِن هَؤُلاَء كَان شِيعيًّا وَلَو بالاِسم أَو الولاَدَة... أَمّا الكَثرَة الكَاثرَة مِن السَّواد، وَالعُلُوج فَمِنْهُم المُرتَزق السَّالب، ومِنْهُ أَتبَاع كُلّ نَاعق، ومِنْهُم مَن كَان عَلَىٰ التَّشيُّع، ثُمّ مَرَق وَخَرج مِن الخَوَارج... وَلاَ أَنْفي ـكمَا فَعَل أَخ مُؤمِن وَمُخلص ـأَنْ يَكُون بَيْنهُم شُذّاذ مُسْتَضعفُون مِن الشِّيعَة قَد هُدّدوا بقَطع الْأَعنَاق وَالْأَرزَاق. وَلَكن الشَّاذ الضَّعِيف لاَ يَصْنَع الحُرُوب. وَلاَ تَأثِير لهُ فِي الْأَحدَاث... وَسَبب الْأَسبَاب مِن مَذْبحَة كَرْبُلاَء هُو يَزِيد الحَاكم بأَمرهِ، وَلاَ شَيء أَدل عَلَىٰ ذَلكَ مِن نَكثَة ثَغر الحُسَين بقَضِيبه[٢].

وَقَالَ يَزِيد بن مُعَاوِيَة[٣]:

---

(١) أُنظر، تَقَدَّمَت تَخرِيجَاته.

(٢) أُنظر، الكَامل لِابْن الْأَثِير: ٤ / ٣٥، البدَايَة والنّهايَة: ٨ / ٤٠٩، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣ / ١٤٨، هَامش ١٢، مَقْتَل الحُسين للخوَارزمي: ٢ / ٥٦، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٥٢، مُرُوج الذّهب: ٢ / ٩١، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٣١٣، مَجمَع الزّوَائد: ٩ / ١٩٨، وَالمُؤتَلف وَالمُختَلف للآمُدي: ٩١.

(٣) إلىٰ هَذِه الأَبيَات أَشَار شَاعِر العِرَاق المرحُوم عَبدالبَاقي أَفندِي العُمَريّ فِي البَاقِيَات الصَّالحَات بِقَوله:

نَقْطَع فِي تكفِيره إِنْ صَحَّ مَا ... قَد قَالَ لِلغُرَاب كمَا نَعبَا

وَأَصل هَذِه الأَبيَات لِابْن الزِّبَعرىٰ كمَا جَاء فِي الصَّوَاعق: ١١٦، وَزَاد فِيهَا بيتاً مُشتَمِلاً عَلىٰ الكُفر. أُنظر، صورَة الأَرْض لِابْن حَوقل: ١٦١، اليَافعي فِي مرآة الجِنَان: ١ / ١٣٥، وَالكَامل لِابْن ↔

يَا غُرَاب البِين مَا شِئت فَقُل ... إنّما تَندب أمراً قَد حَصَل
إنَّ أشياخي بِبَدر لَو رَأوا ... مَصرَع الخَزرَج مِن وَقع الأَسَل
لأَهلّوا وَٱستَهلوا فَرحاً ... ثُمَّ قَالوا يَا يَزِيد لاَ تَسل
قَتلَتْ فُتيَانُنَا سَادَاتهُم ... وَقَتلنا فَارس القَوم البَطَل
لَعِبَت هَاشِم بِالمُلك فَمَا ... مَلَكٌ جَاءَ وَلاَ وَحيٌ نَزَل

وَمِن المُؤكّد أَنَّ جنُود يَزِيد ٱستبَاحُوا الكَعبَة المُقدّسة وَرَموهَا بالمَنْجَنِيق، وأَنَّهُم ٱستبَاحُوا المَدِينَة المُنورَة ثَلاَثاً، يَقْتلُون الرِّجَال، والأَطفَال، وَيَفسقُون بالنِّسَاء، وَأَنَّ هَؤُلاَءِ الجُنُود كَانُوا كُلّهُم مِن أَهَل الشَّام لَيسَ فِيهِم شِيعي وَاحد، بَل وَلاَ عرَاقي أو حجَازي.

٣ ـ أَنَّ التَّدين وَالتَّمَذهب لاَ يَكُون بمُجَرد الاِسم والكَلاَم، وَلاَ بالولاَدَة وَالاِنْتسَاب، وإِنَّمَا بصَالح الأَعمَال الَّتي يُحَدّدها الدِّين أَو المَذهَب الَّذي يَنْتَمي

↔ الأَثِير: ٤ / ٣٥، ومُروج الذّهب للمَسعُودي: ٢ / ٩١، وَالعِقد الفَرِيد: ٢ / ٣١٣، أَعْلاَم النِّسَاء: ١ / ٥٠٤، وَمَجمع الزّوائد: ٩ / ١٩٨، الشّعر وَالشُّعرَاء: ١٥١، الأَشبَاه وَالنَّظائِر: ٤، الأَغَاني: ١٢ / ١٢٠، الفتوح لِابْن أَعْثَم: ٥ / ٢٤١، تَذكرة الخوَاصّ: ١٤٨، شَرح مقَامَات الحرِيري: ١ / ١٩٣، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ١٩٧، والطَّبري فِي تأرِيخه: ٦ / ٢٦٧، و: ٤ / ٣٥٢، الآثَار البَاقِية للبِيرُوني: ٣٣١ طَبعَة أوفسيت، قَالَ:

لمّا بَدتْ تِلكَ الحمُول وَأشرَقتْ ... تِلكَ الرُّؤوس عَلىٰ شَفا جِيرُون

وَقَالَ:

أَيُفَلِّقن هَاماً مِن رجَالٍ أعِزّةٍ ... عَلَينا وَهُمْ كَانوا أعَقَّ وأظْلَما

أَخزَاه الله، وَخزّاه فِي هَذِه الأَبيَات. فَقَد كفَر فِيها بِإِنكَار الرِّسالة. وَلاَ رَيب أَنّ الله سُبحَانه قَضىٰ عَلىٰ يَزِيد بِالشّقَاء. فَقَد تَعرض لآل البَيْت الشّرِيف بِالأَذىٰ فَأرسَل جُندَه لِقَتل الحُسَين وَقَتله، وَسَبي حَرِيمه، وَأولاَده، وهُم أكرَم أهْل الأَرْض.

إِلَيه مَن يَدّعِيه . قَالَ الإِمَـام عَـليّ عليه السلام : « فَـبِالإِيمَانِ يُسْـتَدَلُّ عَـلَىٰ الصَّـالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الإِيـمَانِ، وَبِـالإِيمَانِ يُـعْمَرُ الْـعِلْمُ، وَبِـالْعِلْمِ يُـرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ، وَبِالْقِيَامَةِ تُـزْلَفُ الْـجَنَّةُ، وَتُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَىٰ الْغَايَةِ الْقُصْوَىٰ »[١].. وَقَد حَدّد أَهَل الْبَيْت التَّشَيُّع وَالولاَء فِـي العَـدِيد مِـن أَقوَالِهم. مِن ذَلكَ مَا جَاء فِي أُصُول الكَافِي عَن الإِمَام البَاقر عليه السلام أَنَّه قَالَ:

« والله مَا شِيعتُنا إِلّا مَن اتّقىٰ الله »[٢].... لأَنَّهُ لاَ يَدْرك مَا عِندَ الله إِلاّ بطَاعَته... وَلاَ يَكفِي أَنْ يَنْتَحل الرَّجُل التَّشَيُّع وَيَقُول بحُبنّا أَهَل الْبَيْت، فوَالله مَا شِيعَتنَا إِلاّ مَن اتّقىٰ الله.. ولَيْسَ بَيْنَا وبَيْنَ الله قَرَابَة، وَلاَ مَعنَا مِن الله بَرَاءَة مِن النَّار، وَلاَ نَتَقرّب إِلَيه إِلاّ بطَاعَته، وَلاَ عَلَىٰ الله لأَحد من حُجّة، فَمَن كَان مُطيعاً لله فَهُو لنَا وَلّي، وَمَن كَان لله عَاصياً فَهُو لنَا عَدوّ، وَلاَ تنَال ولاَيتنَا إِلاّ بالعَمَل وَالوَرَع »[٣].

وأَيْضاً رَوىٰ صَاحب الكَافِي أَنَّ رَجُلاً قَالَ للإِمَام الصَّادِق عليه السلام: مَـا نَـلقى مِـن النَّاس فِيكَ ؟.

فَقَالَ لهُ الإِمَام: وَمَا الَّذي تَلقَاه فِيَّ مِن النَّاس ؟

قَالَ: يَكُون بَيْني وبَيْنَ الرَّجُل كَلاَم فَيقُول لِي: جَعْفَري خَبِيث.

فَقَالَ لهُ الإِمَام: مَا أَقَل وَالله مَن تَبع جَعْفَراً مِنْكمُ، إِنَّـمَا أَصحَابي مَـن اشْتَد

---

(١) أنظر، نَهج البَلاَغَةُ: الخُطبَة (١٥٦) مِن كَلاَم لَهُ عليه السلام لأَهْل البَصْرَة.

(٢) أُنظر، الكَافِي: ٢ / ٧٤ ح ٣، السّرائر: ٣ / ٦٣٦، وَسَائِل الشّيعة: ١١ / ١٩٥ ح ١٧، أَمَالي الصَّدوق: ٧٢٥، تفسِير أَبي حَمْزَة الثّمالي: ٩٤، تُحف العُقُول: ٢٩٥، شَرح الأَخْبَار: ٣ / ٥٠١ ح ١٤٣٩، صِفَات الشّيعَة للصّدوق: ١١، أَمَالي الطّوسي: ٣٧٥، عَوائِد الأَيَّام: ٧٧.

(٣) أنظر، أُصُول الكَافِي: ٢ / ٧٣ وَمَا بَعدَهَا طَبعَة (١٣٨٨ هـ). (مِنْهُ رحمه الله). وَسَائِل الشّيعَة: ١١ / ١٨٤.

وَرَعَه، وَعَمل لخَالقَه، وَرَجَا ثوَابه، فَهَؤُلآء أَصحَابي »[1].

وَبَعد هَذَا كلّه، فَهل يَسوغ لعَاقل أَنْ يَقُول: الشّيعَة قَتلُوا حُسيناً؟... وإِذَن يَسوغ لهُ أَيْضاً أَنْ يَقُول: الشّيعَة قَتلُوا عَلِيّاً، وَسَموا حَسَناً، وَذَبحُوا حِجْر بن عَدي وَأَصحَابه.. إلخ.. وَقَد أَفهَم أَنْ يَنْطق الإِنْسَان بالبَاطل، وَهُو وَحدَه يَعْلَم بأَنّه بَاطل... وَلَكنّي لاَ أَفهَم كَيْفَ يَعْتَمد الكَذب، وَهُو يَعْلَم أَنَّ النَّاس عَلَىٰ يَقِين مِن كَذبه.. أَللّهُمَّ إِلاَّ أَنْ يَكُون مَطبُوعاً عَلَىٰ الكَذب وَالنّفَاق.

(١) أُنظر، الكَافي: ٢ / ٧٧ ح ٦، وَسَائِل الشّيعَة: ١١ / ١٩٢ ح ٨.

المَعْقُول وَاللَّامَعْقُول[1]

الدّكتُور زَكي نَجِيب:

كُلّ مَن قَرأ للدّكتُور زَكي نَجِيب مَحمُود وَفَهم عَنْهُ ـ أَدنىٰ فَهْم ـ يَشهَد لهُ بالأَدَب وَالذّكَاء وَالفَلسفَة، أَمّا النّقد فَلَه مِنْهُ الحَظ الأَوفَر، وَرُبّما قَسَا أَحيَاناً في لدَغَاته... وَيَشفَع لهُ أَنّك تَرىٰ نَفْسَه مِن خلاَل كَلاَمه بغَير قنَاع.

كَم أَلّف مِن كتَاب؟. لاَ أَدري. وَعِندِي مِن كُتبَه أَكثَر مِن عَشرَة وَكلّها أَو جُلّها فِي الفَلسَفَة، وأَيْضاً احتَفظ بالعَدِيد مِن مقَالاَت كَان قَد نَشرَهَا فِي جَرِيدَة الأَهرَام وَمَجلّة الفِكْر المُعَاصر.

وَكَان إِلَىٰ أَمَد قَرِيب ـ شَدِيداً عَلَىٰ كُتب «التّرَاث الضَّخمَة الّتي تَرَاكمَت لَدَينَا عَلَىٰ مرّ القرُون مِمَّا كَتَبه الميتَافِيزيقيُون الّتي يَنْبَغي لهَا أَنْ تَكُون طعَامَاً لأَلسِنَة النّار، وَأَثقَالاً فِي قَاع المُحِيط» كمَا جَزم وَحَكم فِي كتَاب «قشُور وَلُبَاب: وكَان عُذرَه الوَحِيد آنذَاك أَنّه فَتَح عَينَيه عَلَىٰ فِكْر أُورُوبي، وَخَاله كُلّ شَيء وَلاَ شَيء

---

(١) رُبّمَا يُقَال: مَا عِلاَقَة هَذَا وَأَمثَاله مِمَّا عَرضت بالحُسَين والقُرءَان؟ وَجوَابي هِي علاَقَة الحُسَين بالإِسلاَم، ومُحَمَّد، وعَليّ، وَشيعَته هَذَا إِلَىٰ أَنّي رَجَوت فِيمَا رَجوت أَنْ تَكُون هَذِه الصَّفحَات مَادّة مُتوَاضعَة لخُطبَاء المِنْبر الحُسَيني عَسىٰ أَنْ أُشَاركهُم فِي الأَحر. وَلكُلّ كَاتب مِن ثوَاب الله سُبْحَانَه بمقدَار مَا يَنْتَفع النّاس بكَلاَمه وَبَيَانه مَع صِدق النّيّة. وَالله مِن وَرَاء القَصد. (مِنْهُ ﷺ).

سوَاه !. وَلبثَ عَلَىٰ هَذِه الحَال أَعوَاماً بَعد أَعوَام حَتَّىٰ أَسرَف عَلَىٰ نَفْسَه الَّتي ذَابَت فِي تيَار الغَرب. « ثُمَّ أَخَذته صَحوَة قَلقَة... وَٱستَيقَظ بَعد أَنْ فَات أَوانَه.. وَطفَق يَزدَرد تُرَاث آبَائه ٱزدرَاد العَجلاَن »[1] عَلَىٰ حَدّ إِعترَافه المَشكُور فِي مُقدّمَة « تَجدِيد الفِكْر العَربي وَهُو أَوّل كتَاب لهُ عَن التّراث بَعد اليَقظَة، وَالصَّحوَة وَنَشرَته دَار الشّروق سَنَه (١٩٧١ م).

المَعْقُول وَاللّاَمَعْقُول:

وَفِي الشَّهر الأَوَّل مِن سَنَة (١٩٧٥ م) نَشرَت لهُ هَذِه الدَّار كتَاباً آخر عَن التّرَاث « المَعْقُول وَاللّاَمَعْقُول » وَهُو أَوسَع مِن الأَوَّل وَأَصخَم. وَجَاء فِي مُقَدَّمَته: « أَرَدتُ بهَذَا الكتَاب أَنْ أَقف مَع الأَسلاَف... ثُمَّ ٱستَمع إِلَيهم كَأَنّني الزَّائر جَلَس صَامتاً لِيُنْصت إِلَىٰ مَا يَدُور حَولَه مِن نقَاش، ثُمَّ يُدلي فِيهِ بَعد ذَلكَ برَأيه ».

وَأَدلىٰ الدّكتُور المُستَمع برَأيه فِي العَدِيد مِن الفِرق، وَالجَمَاعَات، وَالأَفرَاد، كَالخوَارج، وَالأَشَاعرَة، وَالمُعتزلَة، وَإِخوَان الصّفا، وَكَأَبي حَيَّان التَّوحِيدي، وَالغزّالي، وَٱبن جِنّي، وَٱبن الرَّاوندي وَغَيرهم كَثِير، وَأَوضَح الخطُوط الأُولَىٰ لتَفكِيرهُم العَقلي وَالخرَافي: « المَعقُول وَاللّاَمَعقُول » وَرَسم الخطُوط كَمَا رَأىٰ وَأَحس غَير مُنحَرف لمَنْفَعة، أَو مُتَعصب لعَقِيدَة، أَو مُتحيّز لتَربيَة، وَورَاثة، وَهَذَا مَعنىٰ مَا قَالَه: « لَستُ أَكتُب هَذِه الصَّفحَات كَمَا يَكتُب المُؤرّخُون... بَل كَمَا يَكتُب الأَدِيب الَّذي يَنْطَبع بالحَوَادث مِن حَوله، فَيَقص عَلَىٰ النَّاس مَا قَد أَحسّه فِي مَجرىٰ شعُوره الوَاعي. وَقَد وَقَفتُ أَوَّل مَا وَقَفتُ عِندَ هَذِه المَعركَة الَّتي نَشَبت

---

(١) أُنظر، قشُور وَلُبَاب: ٢٢٢ طَبعَة سَنَة (١٩٥٧م). (مِنهُ ﷺ).

بَيْنَ عَليّ بن أَبي طَالِبعليه السلام ومُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان... إلخ »[١].

وَبهَذِه الرُّوح، رُوح الأَدِيب الوَاعي المُتحَرر وَصرَاحته، تَحَدّث الدّكتُور المُؤلّف عَن نَهْج البَلاَغَة، وَوقعَة الْجَمَل، وَصفِّين، وَالنَّهروَان، وَجَاء صِدقَه هُنَا عَلَىٰ قَدْر عِلْمَه، وَجُرأته عَلَىٰ قَدْر نزَاهَته. وفِيمَا يَلي نَذْكر طَرفاً مِمَّا قَالَ حَول النَّهج، وأَصْحَاب الْجَمَل، وَصفِّين مَغرَس الفِتَن، وَمَصدَر مَا حَلّ بالإِسلاَم مِن مِحَن وَفِي طَلِيعَتها مِحنَة كَرْبُلاَء.

نهج البلاغة:

تَحَدّث الكَاتِب «الذّكي» عَن نَهْج البَلاَغَة وَأَطَال، وَنَقطفُ مِن حَدِيثَه هَذِه البَاقَة: «لنَقف وَقفَة عِندَ الإِمَام عَليّعليه السلام لنَنظركُم إِجْتَمع فِي هَذَا الرَّجُل مِن أَدَبٍ، وَحِكْمَة، وَفرُوسيَة، وَسيَاسَة... عَرَفتُ نَهْج البَلاَغَة فِي صَدْر الصِّبا... وَبَقِيَت مِنهُ نغَمَات فِي أُذني... وَهَا أَنا ذَا أُعِيد القِرَاءَة هَذِه الأَيَّام، فَإِذَا النَّغمَات تَزدَاد فِي الأُذنَين حَلاَوَة، وإِذَا العبَارَات كَأَنّها طَلاَوة إِلَىٰ طَلاَوة... وَلَستُ أَعْني زُخرُف الكَلاَم، بَل أَعني طَرِيقَته فِي إِختيَار اللّفظ الصّلب الَّذي لاَ يَقوىٰ عَلَىٰ تَشكِيلَه إلاَّ إِزمِيل تَحركَه يَد المثَال الَّذي يَتخيَّر لتمَاثِيلَه صُمّ الجَلاَمِيد، ليَبقَىٰ عَمَلاً أَقوىٰ مِن الدّهر دَوَاماً وَخُلوداً... أَنَّ اللَّفظ قَد نَحَت مِن حَجْر صوَان وَصفّ بَعْضهَا إِلَىٰ بَعْض صَفّاً عَجِيباً »[٢].

وقَالَ عَن فَلْسَفة الإِمَامعليه السلام: «أَنَّهَا وَمضَات فِكريَة تَنفذ إِلَىٰ صَمِيم الحَقّ،

---

(١) أُنظر، المَعْقُول وَاللاَّمَعْقُول: ٢٧ نَشر دَار الشّروق سَنَه (١٩٧٥م). (مِنهُ‏ قدس سره).

(٢) أُنظر، المَعْقُول وَاللاَّمَعْقُول. نَشر دَار الشّروق سَنَه (١٩٧٥م). (مِنهُ‏ قدس سره).

وَخبرَة شَخصيَّة فَرِيدَة نَابضَة بحيَاة صَاحبهَا، أَمّا فَلسَفَة الفَلاَسفَة فَهي تَعمِيمَات مُجردَة قَرِيبَة مِن مُعَادلاَت الجَبْر وَأَشكَال الهَندسَة لاَ تَكَاد تَلمح فِيهَا أَثـراً مِـن حَيَاة صَاحبهَا الحَمِيمَة » أي أَنَّ فَلسفَة الإِمَام هِي الحِكْـمَة النَّـابعَة مِـن حَـيَاته وَتَجربَته وَفَهمه العَمِيق وَعَقله الكَبِير ونَفْسَه الغَنيَة وَوجدَانه الحَيّ، لاَ مِن السَّماع مِن ذَا وَذَاك، وَلاَ مِن التَّصورَات، والأَوهَام.

وقَالَ المُؤلّف: « قَلّب مَعي الصَّفحَات الرَّائعَة الأَدبيَّة الَّتي تُسمىٰ بنَهْج البَلاَغَة، وَقُل لِي: أَين يَنْتَهي الأَدِيب ليَبدَأ الفَيلسُوف؟ وَأَين يَنْتهي الأَدِيب ليَبدَأ الفَارس؟ ثُمَّ أَين يَنْتهي هَذَا ليَبدَأ السّيَاسي؟ أَنّه لاَ فوَاصل وَلاَ فورَاق، فَفي هَذه المُختَارَات خُطَب، وَأَحكَام، وَحجَاج، وَشوَاهد آمتَزج فِـيهَا الأَدَب بـالحِكمَة، والحِكْـمَة بالأَرِيحيَة، وَهَاتَان بالسِّيَاسَة »[1].

وَقَالَ أَيضاً: « وَالنّصُوص يَطول بنَا نَقلهَا إِلَىٰ القَاريء مَا طَال نَـهْج البَـلاَغَة، فَخَير للقَاريء أَنْ يَرجَع إِلَيه ليُطَالع نَفْساً قَد إِجْتَمع فِيهَا مَا يُـصور عَـصرهَا مِـن حَيْث الرّكُون فِي إِدرَاك حقَائِق الأُمُور إِلَىٰ السَّلاَمَة السَّليقَة وَحـضُور البَـديهَة، وَصِدق البَصِيرَة بغَير حَاجَة إِلَىٰ تَحلِيلاَت العَقْل وَتَعليلاَته، وإِلَىٰ طَرِيق المَنَاطقَة فِي جَمع الشَّوَاهد، وَتَرتِيب النَّتَائج عَلَىٰ المُقدّمَات »[2].

مُعَاويَة وَآبن العَاص:

قَالَ الدّكتُور: «كَان مُعَاويَة يُعَلق قَمِيص عُثْمَان وَأَصَابعَه فَيَزدَاد أَهْل الشَّـام

---

(١) أنظر، المَعْقُول وَاللاّمَعْقُول: ٥٥ نَشر دَار الشَّروق سَنه (١٩٧٥م). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، المَعْقُول وَاللاّمَعْقُول: ٥٧ نَشر دَار الشَّروق سَنه (١٩٧٥م). (مِنْهُ ﷺ).

غَيظاً، وإِذاَ رُفع القَمِيص وَالأَصَابع فترُوا عَن طَلَب الثَّار لعُثمَان[١]، فَيُحرضّه اَبن العَاصّ أَنْ يُعَلق القَمِيص وَالأَصَابع وَيَقُول لهُ: حرّك لهَا حوَارهَا تحن... وكَان اَبن العَاصّ فِيمَا يَفْعَل سَاعياً لدُنيَاه دُون آخرَته، وَلَقَد صَرّح هُو بذَلكَ مَرّتَين: مَرّة لوَلَدَيه إِذْ هُم فِي طَرِيقهِم إِلَىٰ دِمَشق بَعد بَيْعَة عليّ، ومَرّة لمُعَاويَة حِينَ لَقِيَه بدِمَشق فَأَعرَض عَنْهُ، فوَاجهَه عَمْرُو بن العَاصّ بالعتَاب وقَالَ لهُ: وَالله لعَجَب لكَ!. أَمَا وَالله إِنْ قَاتلنَا مَعَك نَطلُب بدَم الخَلِيفَة فَإِنَّ فِي النَّفس مِن ذَلكَ مَا فِيهَا حَيْث تُقَاتل مَن تَعْلَم سَابقَته، وَفَضلَه، وَقَرَابته، وَلَكن إِنَّمَا أَردنَا الدُّنْيَا».

ثُمَّ عَلّق المُؤلّف عَلَىٰ ذَلكَ بقَولَه: «وَإِنّي لحَرِيص عَلَىٰ أَنْ يَلتَفت القَارِيء إِلَىٰ عَمْرُو بن العَاصّ فِي هَذَا المَوقف، وَأَنْ يَذكر أَنَّ عَمراً هَذَا فِي مَوقفهِ هَذَا هُو جُزء مِن تراثنَا، وكَذَلكَ مُعَاويَة وَعَليّ هُما جُزءان مِن هَذَا التُّراث، فَإِنْ كَان أَحد الثَّلاثَة ـ أَي عَليّ ـ تُسَيّر خَشيَة الله بمَا تَستَلزمَه هَذِه الخِشيَة مِن مُثل عُليَا فِي النَّوَايَا وَالسّلُوك فإِثنَان ـ أَي اَبن العَاصّ، ومُعَاويَة ـ تُسَيّرهُما الرَّغبَة فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِن جَاه وَسُلطَان»[٢].

وَقَالَ أَيضاً: «أَمّا وَجْه الغَرَابَة الَّتي لاَ نَألفهَا فِي حَيَاتنَا المُعَاصرَة فَهُو هَذَا

(١) أُنظر، الطَّبَرِي فِي تَأرِيخه: ٥ / ١٥٢، و: ١ / ٣٠٦٦ طَبْعة أُوربا، كَنز العُمَّال: ٣ / ١٦١ ح ٢٤٧١، اَبن أَعْثَمْ فِي تَأرِيخه: ١٦٠، و: ٢ / ٢٥٩ طَبْعَة حَيدر آباد، و: ١ / ٤٣١ ـ ٤٥٠ دَار الكُتب العِلميّة بَيروت، أَنسَاب الأَشرَاف: ٥ / ٧٠، الحَاكِم فِي المُستَدرَك: ٣ / ١١٤، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٧٨، ٢ / ٢٥٩، فَتح البَاري: ١٣ / ٧٢، الإِصَابَة: ٦ / ٢٧٦، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابن قُتَيْبَة: ١ / ٦٥ و ٧٠، تَأرِيخ دِمشق: ٤٤ / ٣٧٠، البدَاية وَالنّهاية: ٧ / ٢٥٥.

(٢) أُنظر، المَعْقُول وَاللاَّمَعْقُول: ٣٤ نَشر دَار الشُّروق سَنَه (١٩٧٥م). (مِنهُ ﷺ).

أُنظر، أَنسَاب الأَشرَاف: ٥ / ٧٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٥٦٠ و: ٥ / ١٠٨ طَبْعَة أُخرىٰ، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٦٨ × تَذكرَة الخوَاصّ: ٤٩، جَمْهرَة رَسَائِل العَرب: ١ / ٣٨٨.

الجمع العَجِيب وَالجَمِيل فِي رَجُل وَاحد بَيْنَ أَنْ يَكُون هُو الفَارس الَّذي يُجِيد القِتَال بسَيفهِ وَجوَاده، وَهُو السِّيَاسي الَّذي يُجَادل وَيُقَاتل، وَهُو الأَدِيب الَّذي يُحسن صِيَاغَة اللَّفظ فِي أَرْوَع مَا تَكُون الصِّيَاغة الأَدبيَة، إِنَّ السِّيَاسي فِي يُومنَا هَذَا قَد تَكُون لهُ مَوهبَة الكَلاَم خطَابة وَكتَابة، لَكنَّهُ لاَ يُضِيف إِلَىٰ ذَلكَ مهَارَة القِتَال وَشجَاعَة المُحاربين، ثُمَّ لاَ يُضِيف إِلَىٰ هَذَا وَذَاك حِكمَة الفَلاَسفَة الَّتي تَنْزَع بصَاحبهَا نَحو ضَمّ الكَون كلّه فِي أَحكَام مُوجزَة مُركزَة نَافذَة إِلَىٰ صَمِيم الحَقّ، لَكن إِجْمَع هَذِه الأَطرَاف كلّها فِي رَجُل يَكُن لَكَ عَليّ بن أَبي طَالِب عليه السلام».

وَهَذِه الجُملَة الجَامعَة المَانعَة: «ضَمّ الكَون كلّه فِي أَحكَام مُوجزَة مُركزَة نَافذَة إِلَىٰ صَمِيم الحَقّ» هِي الصَّفوَة وَالنَّتيجَة لدرَاسَة نَهج البَلاَغَة، وَهِي وَحدهَا كَافيَة في الرّد عَلَىٰ تَحذلُق وَتَشكُك فِي نِسبَة النَّهج إِلَىٰ الإِمَام، لأَنَّهُ المِرآة العَاكسَة للإِمَام بالذَات دُون سوَاه»[1].

طَلحَة وَالزُّبَير:

وَقَالَ الدّكتُور زَكي نَجِيب: «أُريدُك أَيُّهَا القَاريء أَنْ لاَ تَنْسىٰ أَنَّ حَرْب الْجَمَل كَانَت بَيْنَ فَرِيقَين، فِي أَحدهُما أُمّ المُؤْمِنِين عَائِشَة، وَفي الآخر عَليّ بن أَبي طَالِب عليه السلام كَان مَوقعَه مِن النَّبيّ صلى الله عليه وآله مَا كَان!. فَهَل تُصَدق أَنْ يَقُوم الزُّبَيْر، وطَلْحَة فِي النَّاس يَستحثَانهُم عَلَىٰ القِتَال فَيقُولاَ فِي عليّ: إِنَّهُ لاَ يُبقي حُرمَة إِلاّ إِنْتهكهَا،

(١) أُنظر، المَعْقُول وَاللاَّمَعْقُول: ٥٤ نَشر دَار الشّروق سَنَه (١٩٧٥م). (مِنْهُ رحمه الله).

أنظر، أَنسَاب الأَشرَاف: ٥ / ٧٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٥٦٠ و: ٥ / ١٠٨ طَبْعَة أُخرىٰ، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٦٨ × تَذكرَة الخوَاصّ: ٤٩، جَمْهرَة رَسَائِل العَرب: ١ / ٣٨٨.

وَلاَ حَرِيماً إِلَّا هَتَكَهُ ، وَلاَ ذُرِّيَة إِلاَّ قَتَلها ، وَلاَ ذَوَات خِدرٍ إِلَّا سَبَاهن [١] ... فَمَن مِنَّا نَحْنُ أَبنَاء هَذَا العَصْر الحَاضر الَّذِين مُلئَت نفُوسهم رَهبَةً مِن هَؤُلآَء الأَوَائل كَادَت تَبلغ بِهِم حَدّ التَّقدِّيس وَالعِصْمَة مِن الخَطأ ـ مَن يَرىٰ هَذَا التَّقَاذف بكَلمَات هِي مِن أَغلَظ اللَّفظ بَيْنَ نَاس هُم مِنْهُم فِي قُلوبنَا ، ثُمَّ لاَ يَأخذ العَجَب وَالذّهُول » [٢] .

أَجل يَا دُكتُور ، أَنَّ طَائفَة مِن أَهَل الإِسْلاَم أَخَذ الذّهُول وَالعَجَب بقُلوبهِم مِن هَذَا الزُّور ، وَالبُهتَان تَمَاماً كَمَا أَخَذ بقَلبكَ وَعَقلك ، وَبقَلب الرَّسُول الأَعْظَم ﷺ حِينَ أَخبَر الله سُبْحَانَه بِإرتدَاد مَن إرتَد مِن الصَّحَابَة [٣] وَلَكن فَرِيقاً آخر أَوّلوا هَذَا الإفترَاء بالإِجْتهَاد ، وَقَالُوا لكُلّ عُذر فِيمَا أفترىٰ وَأرتَأىٰ حَتَّىٰ وَلو خَالَف كتَاب الله ، وَسُنّة نَبيّه [٤] !... وَلَكنَّ الدّكتُور زَكي نَجِيب مَحمُود صَفَع هَؤُلآَء وَأَشيَاعهم بكَلمَة الحَقّ وَسَجّلها للتَّأرِيخ بوَحي مِن درَاسته العِلْميَّة ، وَتَمحِيصَه التُّرَاث بعَقْل

---

(١) أنظر ، نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد : ١ / ٢٥٦ .

(٢) أنظر ، المَعْقُول وَاللَّامَعْقُول : ٦٥ نَشر دَار الشّروق سَنَه (١٩٧٥م) . (مِنْهُ ﴿قُدّس سرّه﴾) .

أنظر ، أَنسَاب الأَشرَاف : ٥ / ٧٤ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٣ / ٥٦٠ و : ٥ / ١٠٨ طَبْعَة أُخرىٰ ، الكَامِل فِي التَّأرِيخ : ٣ / ٦٨ × تَذكرَة الخوَاصّ : ٤٩ ، جَمْهرَة رَسَائل العَرب : ١ / ٣٨٨ .

(٣) جَاء فِي صَحِيح البُخَاري : ج ٩ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ : « يَا ربِّ ، أَصحَابي أَصحَابي ! فَيُقال لهُ : إنَّك لاَ تَدري مَا أَحدثُوا بَعْدك » ؟ (مِنْهُ ﴿قُدّس سرّه﴾) . أُنظر ، صَحِيح البُخَاريّ : ٥ / ٢٤٠٧ ح ٦٢١٥ و : ٩ / ٨٣ ح ٣ ، صَحِيح مُسلم : ٤ / ١٧٩٦ ح ٢٢٩٧ ، مُسنَد أَحْمَد : ٣ / ١٤٠ ، ٢٨١ ، المُوطَأ : ٢ / ٤٦٢ ح ٣٢ ، المَصَابيح ، لأَحمَد بن إبْرَاهِيم : ٢٦١ ، بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرِفَة المَذْهَب : ١٧٨ .

وَفِي حَديثٍ آخر قَالَ : فَأقُول سُحْقاً سُحْقاً » ؟ (مِنْهُ ﴿قُدّس سرّه﴾) . أُنظر ، سُنن أبن مَاجه : ٢ / ١٤٣٩ ح ٤٣٠٦ ، مُسْنَد أَحْمَد : ٦ / ٢٩٧ ، مصَابيح السُّنَّة : ٣ / ٥٣٧ ح ٤٣١٥ .

(٤) أُنظر ، الإِصَابَة لِابْن حَجَر : ٧ / ٢٦٠ ، شَرح المُحلّىٰ عَلىٰ جَمع الجوَامع : ١١ / ٩٧ ح ٢١٥٤ ، شَرْح صَحِيح مُسْلم : ٧ / ١٦٨ ، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ : ٢ / ٦ ح ٦٣٠ .

وَرَوِيَة. وَهَكذَا ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[١].

وَقَالَ أَيضاً: «هَذَا عَليّ بكُلّ مَكَانَته مِن حَيْث هُو أَوّلاً، وَمِن حَيْث قَرَابَته للنَّبي ﷺ ثَانياً، وَمِن حَيْث إمَارتَه الشَّرعيَّة ثَالثاً تُقَاتله عَلَىٰ أَرْض الخصُومَة أُمّ المُؤْمِنين.. قَالَ: «نيبرج»: ظهُور عَليّ هُو الخَطّ الكَبير الَّذي يَفصل مَجرىٰ تَأرِيخ الإِسْلاَم، فَإِنَّه بوسعنَا أَنْ نُؤكّد أَنَّ مَعْركَة الْجَمَل هِي نُقطَة البِدء لكُلّ تَطور سيَاسي وَدِيني لاَحق»[٢]. أي أَنَّ حَرْب الْجَمَل بقيَادَة أُمّ المُؤْمِنين، والزُّبَيْر، وَطَلْحَة هِي الفِتنَة الأُولَىٰ، وَالأَسَاس لكُلّ مَا حَدَث بَيْنَ المُسْلِمِين مِن قَتْلٍ وَقتَال، وَبِدَع، ضلاَل، وَكوَارث، وَنوَائب، وَخوَارج، وَنوَاصب.

---

(١) ٱلْأَنفَال: ٨.

(٢) أُنظر، المَعْقُول وَاللاّمَعْقُول: ٦٧ نَشر دَار الشّروق سَنَه (١٩٧٥م). (مِنْهُ ﷺ).

الشَّهِيد ٱبن الشَّهِيد الحُسَين بن عَليّ عليهما السلام[1]

بقَلَم الفَريق : عَبدالرَّحمن أَمِين المَصْري

كُلَّما دَار الفَلك، وَٱسْتدَار العَامّ، هَرعَت إِلَىٰ سَاحَة هَذَا المَسْجِد الطَّاهر، حشُود مِن المُسْلِمِين، إِحيَاء لذِكرىٰ عَزِيزَة عَلَيْهم، حَبِيبَة إِلَىٰ قلُوبهِم، هِي ذِكرىٰ مَولد سَيِّد الشُّهدَاء، مَولاَنَا أَبي عبدالله الحُسَين عليه السلام، خَير مَن جَاهَد فِي سَبِيل الله حَقّاً وَصِدقاً، وَأَحبّ النَّاس جَميعاً إِلَىٰ قَلْب رَسُول الله صلى الله عليه وآله.

فَحِينَمَا نَحْتَفل بذِكرَىٰ مَولدَه فَإِنَّمَا نَسْتَعرض رَوضَة مِن رِيَاض الجَنَّة، نَتَنَسّم عَبِيرهَا، وَنَنعم برِيحهَا وَطَربهَا، فَلاَ شَيء فِي الحَيَاة يُزكي النَّفس، وَيَطمئِن القَلْب، أَكبَر مِن ذِكر الله، وَذِكر رسُول الله، وَذِكر آل بَيْت رَسُول الله، وسُبْحَانَه عزَّ مَن قَائِل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

وَتَقُول السَّيِّدة أُم سَلمَة، زَوّج النَّبيّ صلى الله عليه وآله، فِي بَيْتي نَـزَلت هَـذِه الآيَـة، وكَـان بالْبَيْت عَليّ، وفَاطِمَة، والحَسَن، وَالحُسَين فَقَام الرَّسُـول صلى الله عليه وآله، وَطَـرح كسَـاءَه

---

(١) أنظر، جَرِيدَة أَخبَار اليَوْم المَصرِيَة تَأرِيخ (٢٧ / ٢ / ٤ / ١٩٧٤م). (مِنهُ رحمه الله).

(٢) ٱلأَحزَاب: ٣٣.

عَلَيْهم[١]. وَقَالَ: «أَللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْل بَيْتِي وَحَامّتي فَأَذْهب عَنْهُم الرِّجس وَطَهِّرهُم تَطْهِيراً. قَالهَا النَّبِيّ ﷺ ثَلاَث مَرَّات.

قَالَت أُمّ سَلمَة: فَأَدخلتُ رَأسي فِي ٱلْبَيْت، فَقُلتُ: وَأنَا مَعَكُمْ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: إِنّكِ إِلىٰ خَير»[٢].

وَقَد وُلد الحُسَين عليه السلام فِي شَهْر شَعبَان مِن العَامّ الرَّابع لِلهِجْرَة، إلاّ أَنّه مُنذُ زَمن بَعِيد، ٱستَقرّ أَمْر المُسْلِمِين عَلَىٰ جَعل ذِكرىٰ مَولدَه، فِي شَهْر رَبِيع الآخر، وَهَدفهُم مِن ذَلكَ أَنْ تَكُون الذّكرىٰ فِي الشَّهر الَّذي يَلي مَولد جَدّه ﷺ حَتَّىٰ تَتوَالىٰ النَّفحَات وَالبَركَات، وَتَتّصل الرَّحمَات، فِي شَهرَين مُتتَابعَين.

وَقَد أَخبَرتنَا السِّيرَة العَطرَة، أَنَّ مُدّة حَمل الحُسَين كَانَت سِتَة أَشهر فَقَط، وَلَم يَسبق لِمثل هَذِه الحَالَة، أَنْ عَاشهَا مَولد إِلاَّ يَحيىٰ بن زَكريَا عليهما السلام، وَالحُسَين بن عَليّ رَضي الله عَنْهُما.

وَلَفتَة سَامِيَة مِن أَثَر النُّبُوَّة، حِينَما تَدخل أَسمَاء بِنْت عُمَيس، عَلَىٰ النَّبيّ ﷺ، وَتَضع الحُسَين بحِجْرِهِ إِثر وَلاَدَته، وَمَلفُوفاً بِلفَافَة صَفرَاء، فَيقُوم عليه السلام، بِتغيِّير

---

(١) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

(٢) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: فَضَائِل أَهْل ٱلْبَيْت ٢ / ٣٦٨ طَبعَة عِيسَىٰ الحَلبي، صَحِيح التِّرمِذي: ٥ / ٣٠ ح ٣٢٥٨، و: ٥ / ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ طَبْعَة دَار الفِكْر، مُسْنَد أَحمَد: ١ / ٣٣٠ طَبْعَة المَيمنية بِمِصْر، فرَائِد السِّمطِين للحمُويني الشّافعي: ١ / ٣١٦ ح ٢٥٠، و: ٢ / ٩ ح ٣٥٦ و ٣٦٢ و ٣٦٤، إسعَاف الرّاغبِين للصبّان بهَامِش نُور الأَبْصَار: ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ طَبْعَة السّعيدية، فَتْح القَدِير للشّوكاني: ٤ / ٢٧٩، شوَاهد التّنزيل لِلحَاكِم الحَسْكاني: ٢ / ١٣ ح ٦٣٧ ـ ٦٤١ و ٦٤٤ و ٦٤٨ ـ ٦٥٣ و ٦٥٦ ـ ٦٦١ و ٦٦٣ ـ ٦٦٨ و ٦٧١ ـ ٦٧٣ و ٦٧٥ و ٦٧٨ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٤ و ٧٠٧ و ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧٢٩ و ٧٤٠ و ٧٥١ و ٧٥٤ ـ ٧٦٢ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٧ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧٤ طَبْعَة وزَارة الثّقَافَة والإِرْشَاد ٱلإِسْلاَمي.

لفَافَته بأُخرىٰ بيضَاء، ثُمَّ يَجْهَش بالبُكَاء، فتَقُول أَسمَاء، فِدَاك أَبي وَأُمّي يَا رَسُول الله صلى الله عليه وآله، فَعمَّ بُكَاؤك ؟

فَيَقول لهَا: «إنَّ آبْني هَذَا سَيَمُوت شَهِيداً، حَيْث تَقْتلَه فِئَة بَاغيَة، لاَ أَنَالهَا الله شَفَاعَتي، فِيَا أَسمَاء لاَ تُخبري فَاطِمَة بهَذَا فتَفجَعيهَا»[1]، وَحَسب الحُسَين فَضلاً وَتكرِيماً مِن المَولىٰ، أَنَّهُ سَيِّد الشُّهدَاء، وسَيِّد شبَاب أَهل الجَنَّة. ثُمَّ قَام صلى الله عليه وآله وَحَنّكَه برِيقه[2]، وَأَذّن فِي أُذنه، وَدعَا لهُ بمَا شَاء[3].

وَفي اليَوْم السَّابع لمَولدَه، قَام صلى الله عليه وآله بتَختِينه، وَنَحر عَنْهُ كَبشَاً، بَعد أَنْ حلَق شَعر رَأسه، وَتَصَدّق بزنَته ذَهبَاً[4].

فَلاَ عَجَب إِذَا مَا نَشَأ الحُسَين، نَسمَة طَاهرَة مُطهّرَة، وَدَوحَة كَرِيمَة مُبَاركَة، نَالَت مِن حُبّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وَنفحَات النُّبُوّة، قَدراً سَخيَّاً وَحظّاً دُونه كُلّ حَظّ.

وَلَقد أَجْمَع السَّلف وَالخلَف، عَلَىٰ حُبّ مَولاَنَا الحُسَين وَتعظِيمه، فَلَقد كَان عَبدالله بن عُمَر يَجْلس ذَات يَوْم فِي ظِل الكَعْبَة، حِينَما دَخَل الحُسَين المَسْجِد،

(١) أُنظر، مُسْنَد زَيد بن عَليّ: ٢ / ٤٦٨، يَنَابِيع المَودّة: ٢ / ٢٠٠ ح ٥٧٧، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٩٩ بتحقِّيقنَا.

(٢) التَّحنِيك: أنْ تمضَغ التَّمر، ثُمّ تَدلكهُ بحِنك الصَّبي دَاخل فَمه. أُنظر، لسَان العَرب: ٣ / ٣٦٥.

(٣) أُنظر، تَهذِيب تَارِيخ دِمَشق لِابن عَسَاكر: ٤ / ٢٠١، مُسنَد أَحمَد: ٦ / ٩ / ٣٩١، ذَخَائر العُقبىٰ: ٢٠٠ بتحقِّيقنَا، سُنن التِرمذي: ١ / ٢٨٦، سُنن أَبي دَاود: ٣٣ / ٢١٤، مُسنَد الطَّيالسِي: ٤ / ١٣٠، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين: ٣ / ١٧٩.

(٤) أُنظر، مَجْمَع الزَّوَائد: ٩ / ١٧٤، المُعْجَم الكَبِير: ٣ / ٢٣ ح ٢٥٤٢ و: ٢٤ / ٣١٢، كَنز العُمّال: ١٣ / ٦٥٢ ح ٣٧٦٥٢، تَأرِيخ دِمَشق: ١٣ / ١٦٩، تَهْذِيب الكَمَال: ٦ / ٢٢٢، أُسد الغَابة: ٥ / ٤٨٤، تَأرِيخ الخُلفَاء للسّيُوطي: ١٨٨، نهَاية الإِرَب: ١٨ / ٢١٣، الإستِيعَاب بهَامش الإِصَابة: ١ / ٣٦٨، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٢٩٦.

فَأَشَار إِلَيه بِيَدِه، وقَالَ لِمَن حَولَه: «هَـذَا هُـو أَحبّ أَهَـل الأَرْض إِلَىٰ أَهَـل السَّمَاء»[(١)].

وَأَبو بَكْر الصّدِّيق ﵁، يُقسِم بالله للزَّهرَاء أُمّ الحُسَين، أَنَّهُ يُوقرهَا هِي وَبَنِيهَا، أَعْظَم مِن تَوقِيرَه لنَفْسَه وَبَنِيه[(٢)].

وَحَسب الحُسَين شَرفاً وَتكرِيماً، أَنْ يَكُون أَبُوه سَيْف الله الغَالب، عَليّ بن أَبي طَالِب، أَوَّل المُؤْمِنين مِن الفتْيَة، وأَوَّل الفِدَائيّين فِي الإِسْلام، وَأَشجَع النَّاس جَميعاً بَعد رَسُول الله، وَأَنْ تَكُون أُمّه الزَّهرَاء، بِضْعَة النَّبيّ وَثَمرَته المُبَارَكَة.

---

(١) أنظر، الإِصَابَة لِابن حَجَر: ٢ / ٦٩، تَأرِيخ دِمَشق: ١٤ / ١٧٩، تَرجَمَة حَيَاة الإِمَام الحُسَين لِابْن عَسَاكر: ٢١٢، تَهْذِيب الكَمَال: ٦ / ٤٠٦، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٣٠٠، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ٢٢٦، النَّاصريَات: ٩١، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٣ / ٢٨٥ ح ٢٨٢، شَرْح الأَخبَار: ١ / ١٤٩

(٢) أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ٣ / ٢٠٧ و ٢٧٥ و ٢٧٨، صَحِيح مُسْلِم: ١ / ٤٩، صَحِيح البُخَاري: ١ / ٩، نُور الأَبْصَار: ١ / ٤٧، بتَحقِيقنَا.

عَمَلاً بِحَدِيث: «لاَ يؤْمِنُ أَحدُكم حَتَّىٰ أَكُونَ أَحبّ إِليهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالدهِ ـ ووَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ـ وَالنّاسِ أَجْمَعِين».

المُرَاد الحبّ العَقْلي الإِختيَاري الَّذي هُو إِيثَار مَا يَقْتَضي العَقْل رُجحَانَه؛ فَإِنّ المُؤمِن إِذَا عَلِم أَنّ النَّبيّ ﷺ لاَ يَأمر وَلاَ يَنْهىٰ إِلاّ بمَا فِيهِ صَلاَح دِيْنَه، وَدُنيَاه، وَآخرَته، وَعقبَاه، وَتيقَن أَنّه ﷺ أَشفَق النّاس عَلَيه تَرجّح جَانب أَمْرَه بمُقْتَضىٰ عَقْلَه عَلىٰ غَيرَه، وَهَذَا أَوّل دَرجَات الإِيمَان، وَأمّا كمَالَه فهُو أَنْ يَصِير مُطِيعَه تَابعاً لفِعْله، وَمِن عَلاَمَة مَحَبتَه ﷺ نُصرَة سُنّته، وَإِظهَارهَا.

أُنظر، سُنَن اَبن مَاجه: ١ / ٢٦، الدِّيبَاج عَلىٰ مُسْلِم: ١ / ٦٠، مُنْتَخب مُسْنَد عَبد بن حُمَيد: ٣٥٥، السُّنن الكُبرىٰ: ٦ / ٥٣٤ و: ٧ / ٤٨١ ح ١١٧٤٤ و ١١٧٤٦، مُسنَد أَبي يَعلىٰ: ٥ / ٣٧٨ و: ٦ / ٢٣، صَحِيح اَبـن حِـبَّان: ١ / ٤٠٦، المُـعْجَم الأَوسَـط: ٨ / ٣٥٥، مُسنـد الشَّـاميِّين: ٤ / ١٤ ح ٢٥٩٣ و ص: ٩٢ ح ٣٣٣٨، كتَاب الأَربعُون الصُّغرىٰ للبَيْهقي: ٨٥، كَنْز العُمَّال: ١ / ٣٧ ح ٧٠ و ٧١ و ص: ٤١ ح ٩١، و: ١٢ / ١٨٣ ح ٣٤٥٨١ و ٣٤٥٨٤، سُنن الدّارمـي: ٢ / ٣٠٧، فَـتْح البَـاري: ١ / ٥٨، حَاشِيَة اَبن القَيّم: ١٢ / ٢٨٣، شُعب الإِيمَان: ٢ / ١٣٢، جوَاهر العِقدَين: ٢ / ٢٥١ و ٢٤٧.

عَلَىٰ أَنَّ الحُسَين عليه السلام ، لَمْ يَفْتَخر يَوْمَاً بهَذَا الحَسَب وَالنَّسب وَيَتيه فِي أَطيَافه فَخُوراً مَزهُواً ، بَل كَان قِطعَة مِن أَبيهِ عَالماً بعِلْم ، عَامِلاً بحَقّ ، طَبَّق القُرْءَان عَلَىٰ نَفْسَه ، فِي حَيَاته العَامّة وَالخَاصّة ، صَوّاماً بالنّهار ، قوّاماً فِي اللَّيل ، حَجَّ خَمسَاً وَعشرِين مَرّة مَشياً عَلَىٰ الأَقدَام ، بَيْنمَا إبْلَه تُقَاد بَيْنَ يَدَيه ، وَطَمعَاً فِي مَرضَاة الله وَرَحمَته ، حَتَّىٰ صَدَق فِيهِ قَوْل الله تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (١) .

وَتَمضي الشّهُور والأَيَّام وَيَعُود النَّبيّ صلى الله عليه وآله مِن حَجّة الوَدَاع ، وَبهِ مِن الآلاَم مَا يُنبيء بقُرب الرَّحِيل ، فَتَنهَض الزَّهرَاء إلَيه وَهُو عَلَىٰ فِرَاش المَرض ، وَمَعهَا الحَسَن والحُسَين وَتَقُول : « يَا رَسُول الله ، هَذَان ابنَاك الحَسَن والحُسَين ، أَفَلاَ تُورثهُما شَيئَاً ؟ » . فَيَنهَض النَّبيّ مِن فِرَاشَه ، وَكَأَنَّما قَد عُوفي مِن مَرَضه ، فَيحتَضن الحَسنَين وَيُقبلهُما ، ثُمَّ يَلتَفت إلَىٰ إبْنَته وَيَقُول : « أَمَّا الحَسَن ، فَقَد وَرّثته سُؤدَدي وَهَيبَتي ، وَأَمّا الحُسَين ، فَقَد وَرّثته جُودي وَشجَاعَتي » (٢) .

ويَخرُج الحُسَين إلَىٰ الدُّنْيَا ، دُنيَا الجهَاد وَالكفَاح ، يَحْمل الجُود وَالجُرأة ، مِيرَاثاً غَالباً ، وَترَاثاً عَظِيماً مِن أَثر الرَّسُول ، خَرَج يُعَلّم النَّاس جَميعَاً ، كَيْف تَكُون الشَّجَاعَة فِي الحَقّ ، وكَيْفَ يَكُون الجهَاد فِي سَبِيل الله ، خَرَج إلَىٰ دُنيَا الجِهَاد

(١) فَاطِر : ٢٨.

(٢) أُنظر ، مَجْمَع الزَّوَائِد : ٩ / ١٨٥ ، المُعْجَم الأَوسَط : ٦ / ٢٢٣ ح ٦٢٤٥ ، المُعْجَم الكَبِير : ٢٢ / ٤٢٣ ح ١٠٤١ ، الآحَاد وَالمَثَاني : ١ / ٢٩٩ ح ٤٠٨ ، تَهْذِيب الكَمَال : ٦ / ٤٠٠ ، تَهْذِيب التَّهذِيب : ٢ / ٢٩٩ ح ٦١٥ ، مُخْتَصر تَأرِيخ دِمَشق : ٧ / ٢١ ح ١ ، مُسْنَد فَاطِمَة : ٥٥ ، دَلاَئِل الإِمَامَة للطَّبري : ٦٩ ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ١٦٥ ، ذَخَائر العُقبىٰ : ١٢٩ ، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق : ٤ / ٣١٤ ، كَنْز العُمّال : ٤ / ٥٩ ، و : ١٢ / ١١٣ ح ٣٤٢٥٠ ، المُعْجَم الكَبِير : ٢٢ / ٤٢٣ ح ١٠٤١.

وَالكفَاح ، لاَ يَخشىٰ فِي الله لَومَة لاَئِم ، وَلاَ عِدّة ظَالم ، مَهْمَا كَان الثّمن ، ومَهْمَا كَانَت التَّضحيَات ، وَلتَكُن نَفْسَه الَّتي بَيْنَ جَنبَيه ، وَهَكذَا الأَبطَال مِن الرِّجَال ، يُقَاتلُون فِي سَبِيل الله ، فَيَقتلُون وَيُقتَلُون ، وَقُتل الحُسَين ، وَفُصل رَأسَه الشَّريف وَاليَد قَابضَة عَلَىٰ سَيف الحَقّ ، وَالدّمَاء تَكتُب بإذن رَبّهَا ، هَذَا دَم الحَسَن سَيِّد الشُّهدَاء ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1] .

وَالكَلاَم عَن شَهِيد المَعْركَة هُو أَعذَب الحَدِيث وَأَشرَف ٱلْقَصَص ، لأَنّه قِصّة الفدَاء وَأَعظَم التَّضحيَة . وَشَهِيد المَعركَة يُحَقّق بإِسْتشهَادَه الإِيثَار ، الَّذي حَقَّق أَمجَد الإِنْتصَارَات للدِّين الحَقّ ، فَهُو يَجُود بنَفْسه مِن أَجْل تَمكِين وَتَثبِيت الدِّين ، وَمِن أَجل مُجْتَمع العزّة ، والكَرَامَة ، وَالحُرّيّة ، قَالَ سُبحَانَه وَتَعَالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] .

وَلَقَد قَالَ الله عزَّ وجلّ : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3] .

وَمِن هُنَا ، مَن الأَذنَ بالإِنْتصَار للعَقِيدَة ، وَبالإِنْتصَار للوَطن ، للدِّيَار ، للأَهل ، للعَشِيرَة ، للحَافظ عَلَىٰ كُلّ مكَان مُقدّس ، وَشعَار مُقدّس ، تُحركَه القِوىٰ المُؤْمِنَة ، لحَمل السّلاح حَتّىٰ الشّهَادَة فِي سَبِيل الله .

---

(١) ٱلبَقَرَة : ١٣٧.

(٢) ٱلمُنَافِقُون : ٨.

(٣) ٱلحَجّ : ٣٩ ـ ٤٠.

نَعَم القِتَال فِي سَبِيل الله حَتَّىٰ الإِسْتشهَاد، لأَنَّه أَمْر مِن العَليّ الحَكِيم.

وَلَقَد قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

يَا ثقَة المُؤْمِنِين بالله، وَيَا هنَاء الشُّهدَاء بوَعد الله، وَرِبح البَيْع، لأَنَّ رِبحَه جنّة عَرضهَا السَّماوَات والأَرْض.

وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

رَوىٰ ٱبن مَاجَه، قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله:

« يشفع يَوْم القيامة ثَلاَثَة، الأَنبياء ثُمَّ العُلْمَاء ثُمَّ الشُّهدَاء »[3].

وَرَوىٰ أَبُو دَاوَد، عَن أَبي الدَّردَاء، أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله قَالَ:

« يَشْفَع الشَّهِيد فِي سَبْعِين مِن أَهَل بَيْتَه »[4].

---

(١) ٱلتَّوبَة: ١١١.

(٢) آلِ عِمْرَانَ: ١٦٩ ـ ١٧٢.

(٣) أنظر، سِنن ٱبن مَاجَه: ٢ / ١٤٤٢ ح ٤٣١٣، مِصبَاح الزّجَاجَه: ٤ / ٢٦٠، شُعَب الإِيمَان: ٢ / ٢٦٥ ح ١٧٠٧، فَيْض القَدِير: ٦ / ٤٦٢، تَهْذِيب الكَمَال: ٢٢ / ٥٥١، كَشْف الخَفَاء: ٢ / ٥٣٩ ح ٣٢٥٩.

(٤) أنظر، سُنن أَبي دَاوَد: ٣ / ١٥ ح ٢٥٢٢، تَفسِير ٱبن كَثِير: ٤ / ١٧٥، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ:
↔

وَالشَّهيد بعَين بَصرَه، وَبنُور بَصِيرَته، يَعْلَم أَنّه ذَاهب إِلَىٰ ربّه بَعد مَا هَدَاه إِلَىٰ الجهَاد الَّذي إِنْتَهىٰ إِلَىٰ الإِسْتشهَاد، وَلَكن الطَّرِيق إِلَىٰ النَّصر لاَ بُدّ لَهُ مِن رِجَال صَادقِين، وَسوَاعد ضَاربَة، وَعَزمَات لاَ تلِين، وَعيُون سَاهرَة، يَجْمَع ذَلكَ كلّه وَفَاء العَقِيدَة، وَحُبّ الله وَرَسُوله، وَمَا عَلَىٰ الإِنْسَان إلاّ أَنْ يَضع نَفْسَه، وَنَفِيسَه، وَأَهلَه، وَعَشِيرَته فِي كفّة، وَاستشهَادَه لرِفعَة الدِّين والعَقِيدَة في كَفّة، لتَرجح كفّة الإِسْتشهَاد بصَبرهِ، وَثبَاته، وَتَضحِيَته، وَفدَائه، وَلَيَبقىٰ دِينَنَا فِي الخَالدِين.

أَيُّهَا المُسلمُون أَيُّهَا الشَّبَاب.

إِنَّ دَم الحُسَين ابن بِنْت رَسُول الله، لَم يَكُن ليُهدَر عَبثاً، وَإِنّمَا أُهدَر للتَّذكِير وَالتَّأسي، وَالعِبرَة البَالغَة، حَتَّىٰ يَعْلَم النَّاس جَمِيعاً أَنّه لاَ شَيء فِي هَذَا الوجُود وَرَاء الله، وَلاَ أَكبَر، وَلاَ أَعزّ مِن الله، فَفي سَبِيل الله تَهُون الأَرْوَاح، وَالمُهج، وَفلذَات الأَكبَاد.

أَيُّهَا الأُخوَة...

لَيْسَ الإِسْلاَم، وَالكُنيَة، ولَيْسَ الإِيْمَان بالتَّمني، وَإِنَّمَا الإِيْمَان مَا وَقرّ فِي القَلب، وَصَدّقه العَمَل، وَجَوهر الإِيْمَان الصَّبر، وَقمّته الجهَاد فِي سَبِيل الله، وَالإِسْتشهَاد فِي سَبِيلهِ نهَايَة النُّهىٰ وَغَايَة الوصُول، وَحَسبَه الفِردُوس الأَعلَىٰ مِن الجنَّة، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

↩ ٩ / ١٦٤، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ٥ / ٤٨٠ ح ٨٨٢٤، عَون المَعبُود: ١٣ / ١٧٢، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ١ / ١٩٣، تَهْذِيب الكَمَال: ٩ / ٤٩ ح ١٨٤٧، صَفوَة الصَّفوَة: ١ / ٤٥٥، الطَّبقَات الكُبرىٰ لإِبْن سَعْد: ٣ / ٤٠٦.

(١) اَلنِّسَاء: ٦٩.

فعَن أَبي مُوسىٰ الأَشعري ، عَن النَّبيّ صلى الله عليه وآله قَالَ :

« اَلْجَنَّة تحتَ ظِلاَل السُّيُوف »[(١)].

وَمن الأَحَادِيث الصَّحِيحَة ، المَروِيّة عَن رَسُول الله صلى الله عليه وآله قَالَ :

(« أَكرَم الله تَعَالىٰ الشُّهدَاء بخَمْس كَرَامَات ، لَمْ يُكرم بهَا أَحداً مِن الأَنْبيَاء قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُول الله !.

قَالَ : وَلاَ أَنَا ..

الأُولَىٰ : أَنَّ جَمِيع الأَنْبيَاء قَبَض أَروَاحهُم مَلَك المَوْت ، وَهُو الَّذي سَيَقبَض رُوحي ، أَمّا الشُّهدَاء فَالله سُبْحَانَه وتَعَالىٰ هُو الَّذي سَيَقبَض أَرْوَاحهُم بقُدرَته ...

وَالثَّانيَة : أَنَّ جَمِيع الأَنْبيَاء غُسّلُوا بَعد المَوْت . وَأَنَا أُغسّل بَعد المَوْت ... وَالشُّهدَاء لاَ يُغسّلُون ، وَلاَ حَاجَة لهُم إِلَىٰ مَاء الدُّنْيَا ...

وَالثَّالثَة : أَنَّ جَمِيع الأَنْبيَاء قَد كُفّنُوا بَعد المَوْت ، وَأَنَا أُكَفّن بَعد المَوْت ، وَالشُّهدَاء لاَ يُكَفّنُون بَل يُدفنُون فِي ثيَابهِم ...

وَالرَّابعَة : أَنَّ الأَنْبيَاء لمّا مَاتُوا سَموا أَموَاتاً ، وَأَنَا إِذَا متّ يُقَال مَات ، وَالشُّهدَاء لاَ يُسمَون مُوتىٰ ، وَيُسمَون أَحيَاء ....

وَالخَامسَة : أَنَّ الأَنْبيَاء تُعطىٰ لهُم الشّفَاعَة يَوْم القِيَامَة ... وَشفَاعتي أَيْضاً يَوْم القِيَامَة .. أَمّا الشُّهدَاء فَإِنَّهم يَشْفَعُون كُلّ يَوْم فِيمَن يُشفعُون بأَمر الله حَيْث يَشَاء »)[(٢)].

---

(١) أُنظر ، صَحِيح مُسْلِم : ٣ / ١٣٦٢ ح ١٧٤٢ ، صَحِيح البُخَاريّ : ٣ / ١٠٣٧ ح ٢٦٦٣ ، صَحِيح اَبن حِبّان : ٩ / ٦٦ ح ٣٧٥٠ ، سُنن التِّرمِذي : ٤ / ١٨٦ ح ١٦٥٩ ، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٢ / ٨٠ ح ٢٣٨٨ .

(٢) أُنظر ، تَفسِير القُرطُبي : ٤ / ٢٧٦ ، فَيْض القَدِير : ٣ / ٤٢٣ ، فَيْض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير ↔

وَحِينمَا أَفضَىٰ النَّبيّ ﷺ بهَذَا الحَدِيث وَأَخذَت آيَات الجِهَاد وَالإِسْتشهَاد تتَنَزل عَلَيهِ بالمَدِينَة آيَة أَثر آيَة، هَرَع الأَنْصَار، والمُهَاجرُون إِلَىٰ رَسُول الله ﷺ، يَصبُون المَال فِي حِجرهِ، وَيَتسَابقُون عَلَىٰ الصّفُوف الأُولَىٰ، وَلاَ غرَابَة فِي هَذَا وَلاَ عَجَب، فَقَد تَعَاهدُوا مَع الله عَلَىٰ بَيْع أَروَاحهُم وَأَشهدُوا النَّبيّ عَلَىٰ هَذِه البَيْعَة الرَّابحَة، وَالصَّفقَة المُربحَة.

قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

⟵ للسُّيوطي: ٣/ ٥٦٢ ح ٣٨٥٤، المُعْجَم الكَبِير: ٨/ ١٧٠ ح ٧٧١٦، الفِرْدَوْس بمَأثور الخِطَاب: ٢/ ٣٥٨ ح ٣٦٠١، نَيل الأَوطَار: ٢/ ١٣٩، فَتْح البَاري: ١/ ٤٤٢، شَرْح سُنن التّرمذي: ٣/ ٢٠٠، تُحفَة الأَحوَذي: ٢/ ٤٣٧، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٢/ ٦٦، المَحصُول للرَّازي: ٤/ ٣٦٩، الإِحْكَام فِي أُصُول الأَحْكَام، لعَليّ ابن مُحمَّد الآمدي: ٢/ ٦٦، تَهْذِيب الكَمَال: ٢٤/ ٧٧ ح ٤٩١٧.

(١) اَلْمُجَادِلَةِ: ٢٢.

القَلْب وَالبَذْر

الكَلِمَة الطَّيِّبَة:

قَالَ سُبْحَانَه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1].

وَفِي تَفْسِير الكَاشف كَتَبتُ حَول هَذِه الآيَة مِن جُملَة مَا كَتَبتُ: لاَ شَيء أَدَل عَلَىٰ أَنَّ المُرَاد بالكَلمَة الطَّيبَة المُفيدَة النَّافعَة ـ مِن تَشبيههَا بِالشَّجرَة الطَّيبَة الَّتي أَصْلهَا ثَابت لاَ تُزَعزعَه الأَعَاصِير، وَلاَ تَقوىٰ عَلَيهِ المَعَاول، وَفرعهَا فِي السَّمَاء بَعِيد عَن أَوبَاء الأَرْض وَأَقذَارهَا تُؤتي أُكُلهَا كُلّ حِينَ فَلاَ تَجُود آناً، وَتَبخَل آناً كَالتَّاجر يُعطِيكَ إِنْ دَفَعت، وَيُمسك إِنْ أَمسَكت، بَل هِي تُعطي أَبداً وَدَائِماً.

وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[2].

وَفِي التَّفسِير الكَاشف: مِن أَهم الغَايَات المَقصُودَة مِن القَلْب أَنْ يَنْتَفع بدَلاَئِل الحَقّ، وَمِن فَوَائِد العَين أَنْ تُبصر هَذِه الدَّلاَئِل، وَمِن مَنَافع الآذَان أَنْ تُسمعهَا، فَإِذَا

---

(١) إِبْرَاهِيم: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) ٱلْأَعْرَاف: ١٧٩.

أَعرَضَت هَذِه الثَّلاَث عَن ذَلكَ كَان وجُودهَا وَعَـدمهَا بـمَنزلَة سوَاء. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَالْأَنْعَـٰمِ﴾ مِن حَيْث أَنَّهُم يَملكُون قُلُوباً، وَأَعيُناً، وآذَاناً تَمَاماً كَمَا تَملك الأَنْعَام ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ مِن الأَنْعَام؛ لأَنَّ الأَنْعَام تَقُوم بوَاجبهَا وَتَعجز عَن تَحصِيل الكَمَال، وبالتَالي فَهي لاَ تُحَاسَب وَلاَ تُعَاقَب. وَهُم لاَ يَقُومُون بمَا يَجْب عَلَيْهم، وَقَادرُون عَلَىٰ الكَمَال وَلاَ يَفعلُونه، وَلذَا يُحَاسبُون وَيُعَاقبُون.

الحُسَين عليه السلام وَالقُرْءَان:

بَعْد التَّفسِير الكَاشف بأَعوَام أَلّفتُ هَذَا الكتَاب: «الحُسَين وَالقُـرْءَان» وَمِـن أَهدَافه وَمَقَاصدَه أَنْ يَمد خُطبَاء المِنبَر الحُسيني، وَبـخَاصَة الشَّـبَاب، بِـاليَقظَة عَسَىٰ أَنْ يُهيئُوا لهَذَا المِنبَر مَا يُلِيق بقَدَاسته، وَيَـلتَقي مَـع غَـايَته، وَأَنْ يُـركزُوا إهتمَامهُم الأَوَّل عَلَىٰ الجَانب الإِنْسَاني المَقصُود مِن نَهضَة الحُسَين عليه السلام.

وَمِن تَوفِيق الله سُبْحَانَه وَعنَايَته أَنّي أَلّفتُ فِي هَذِه النَّهضَة كتَاب «المَـجَالس الحُسَينيَّة، وَمَع بَطلَة كَرْبَلاَء»[1]، وَالحُسَين والقُرْءَان وَقَد حَرَصتُ كُـلّ الحِـرص عَلَىٰ الجَانِب الإِنْسَاني فِي هَذِه الكُتب الثَّلاَثَة، وَغيرهَا مِمَّا كَتَبتُ وَنَشرتُ عَـن أَهَل البَيْت، وفَوْق ذَلكَ كُنْتُ وَمَا زلتُ أَحتَفظ بكُلّ كَـلمَة أَقـرَأهَا عَـن الصَّـفوَة الأَخيَار: إِذَا كَانَت كَلْمَة صِدق وَإِخلاَص، ثُمَّ أَضعهَا فِي قَرَار مَكِين وَمُنَاسب مِن مُؤلّفَاتي مَع إِسم الكتَاب، والصَّحِيفَة، وَتَأرِيخهَا.

(١) أُعِيد طَبْعهُما فِي كتَابٍ وَاحد بأَسم الحُسَين وَبَطلَة كَرْبلاَء. (مِنهُ رحمه الله). وَطُبع أَيضاً مِن قِبَل مُؤسَّسَة دَار الكِتَاب الإِسلاَمي بتَحقِيقنَا.

الحَدِيث عَن العُقُول :

وَبَعْد إِنْتهَاء المَطْبَعَة مِن هَذَا الكتَاب، وَقَبل أَنْ تُجْمَع أَورَاقه للتَّجلِّيد ـ شَاء القَدَر الحَاتم أَنْ قَرَأتُ مَقالاً قَيِّماً وَمُطولاً للدّكتُور زَكي نَجِيب مَحمُود فِي جَرِيدَة الأَهرَام (٢٨ / ٢ / ١٩٧٥ م)، تَحدّث فِيهِ عَن العُقُول لاَ عَن أَهل البَيْت عليهم السلام وَمَع هَذَا شَدّني إِلَيه مِن أَوَّل كَلْمَة، وَمَا تَركني إلاَّ عِندَ نهَايَتي مِن الكَلْمَة الأَخِيرَة، وكُنْتُ أَقف طَوِيلاً أُفكّر وَأَتدبر كُلّ جُملَة فِي هَذَا المقَال؛ لأَنَّها مِن أَنْفع الكَلمَات وَأَبلغهَا أَثراً فِي النَّفس، وكَانَت تَنْتَقل بِي إِلَىٰ أَجوَاء مُتنَافرَة لاَ عِلاَقَة بَيْنها وَلاَ إِنْسجَام، وَمِن هَذِه الأَجوَاء ـ عَلَىٰ سَبِيل المِثَال ـ جَو العُظمَاء، وَالعُلْمَاء الَّذِين رَفعهُم النَّاس لأَنَّهم أَفَادُوا النَّاس، وَأَقَاموا لهُم التَّماثِيل فِي المَيَادِين تَخلِيداً، وَتَكرِيماً. وَجَو شِمر بن ذِي الجَوشن مَع العِلْم أَنَّ الكَاتِب لَمْ يُشر مِن قَرِيبٍ، أَو بَعِيدٍ إِلَىٰ هَذَا الرِّجس، وَلكنّي تَصورتَه فُجأَة وَمِن حَيْث لاَ أُرِيد حِينَ بَلَغتُ مِن المقَال إِلَىٰ قِرَاءَة الفقْرة التَّالِيَة :

قَالَ الدُّكتُوز زَكي : «لَقَد وَقَفتُ عَلَىٰ عِبَارَة جَمِيلَة عِندَ السَّهرَوردي فِي عَوَارف المَعَارف، وَيُمكن أَنْ تُسَاق لتَوضِيح الفُرُوق بَيْنَ العُقُول، وهِي عِبَارَة يَقُول فِيهَا مَا مَعنَاه أَنَّ رَجُلاً مَلأَ كَفّه ببذُور القَمح، وَرَاح يُبْذرهَا فِي أَمَاكن مُختَلفَة، فَوَقع شَيء مِنْهَا عَلَىٰ ظَهر الطَّرِيق، فَلَم يَلبَث أَنْ حَطّ عَلَيهِ الطَّير فَاَخْتطفَه، وَوَقع مِنْهَا شَيء آخر عَلَىٰ حَجَر أَمْلَس تُغطيهِ طَبقَة رَقِيقَة مِن التُّرَاب، وَيُبَللهُ قَلِيل مِن النَّدىٰ، فَنبتَ الحَبّ، حَتَّىٰ إِذَا وَصلَت عرُوقه إِلَىٰ سَطح الحَجَر الأَمْلَس لَمْ تَجْد طَرِيقاً لهَا، فَيَبَس النَّبت وَمَات، ثُمَّ وَقَع مِن البُذُور شَيء ثَالِث فِي أَرْض طَيِّبَة لَكنَّهَا مَلِيئَة بالأَشوَاك فَنبتَت البُذُور حَتَّىٰ إِذَا مَا أَرَاد النَّبت أَنْ يرتَفع

خَنَقَهُ الشَّوك فَأَفسدَه، وَأَخِيراً وَقَع مِن البُذُور شَيء عَلَىٰ أَرْض طَيِّبَة، لَيْسَت هِي عَلَىٰ ظَهر الطَّرِيق، وَلاَ هِي عَلَىٰ حَجَر أَمْلَس، وَلاَ هِي مُخْتَنقَة بالشَّوك. فَنبَتت البُذُور وَنمت وَأَثمَرت... وَيَمضي السَّهرَوَردي فِي هَذَا التَّشبيه الجَمِيل، فَيقُول مَا مَعنَاه أَنَّ البَذْر الَّذي وَقَع عَلَىٰ ظَهر الطَّرِيق وَتَخَطَّفهُ الطَّير مَثَلهُ كَمَثل رَجُل تُقَدَّم لهُ الأَفكَار الجَيدَة العَاليَة، فَيُدِير عَنْهَا أُذنَيه حَتَّىٰ لاَ يَسمعهَا فَمَا يَلبَث الشَّيطَان أَنْ يَخْتَطفهَا مِن قَلْبه ليَتركَه خَاوِياً، وَمِثْل البَذر الَّذي يَقع عَلَىٰ الحَجر الأَمْلَس المُغطّىٰ بقَلِيل مِن التُّراب كَمَثل الرَّجُل يَستَمع مِنْكَ إِلَىٰ الفِكْر الجَيد فَيَستَحسنَه ولَكنَّهُ لاَ يَجْد فِي قَلْبه عَزماً صَادقاً عَلَىٰ العَمَل بِهِ، فَيَذهب ذَلكَ الفِكْر الجَيد هَبَاء، وَمِثْل البَذر الَّذي وَقَع عَلَىٰ أَرْض طَيِّبَة يَكْتَنفهَا الشَّوك كَمَثل الرَّجُل يَسمَع مِنْكَ الكَلاَم المُفيد، وَيَهم بالعَمَل عَلَىٰ مُقتضَاه لَكنَّهُ يَجْد مِن الشَّهوَات العَميَاء، وَالأَهوَاء القَاتلَة مَا يَصرفهُ عَن ذَلكَ العَمَل. وَأَخيرَاً فَإِنَّ مِثْل البُذُور الَّتي وَقَعت عَلَىٰ أَرْض طَيِّبَة لَيْسَ فِيهَا عوَائِق النّمو كَمَثل الرَّجُل يَتَلقىٰ الفِكرَة الجَيدَة فَيَفهمهَا ويَعْمَل بهَا، وَلاَ يَحُول بَيْنَه وبَيْنَ ذَلكَ حَائِل»[1].

وَكُلّ كَلْمَة فِي هَذِه الفَقْرة حِكْمَة وَعِظَة، وَشَاهد مِنْهَا الحَالَة الأُولَىٰ مِن الحَالاَت الأَربع، لأَنَّها بكتَابي هَذَا أَنْسَب، وهِي «مِثْل رَجُل تُقَدّم لهُ الأَفكَار الجَيِدَة فَيُدِير عَنْهَا أُذنَيه حَتَّىٰ لاَ يَسمَعهَا، فَمَا يَلبَث أَنْ يَختَطفهَا الشَّيطَان مِن قَلْبه ليُتركَه خَاوِياً» فإِنّها تَصدق عَلَىٰ شِمر حَقِيقَةً لاَ مَجَازاً، وَبالمُطَابقَة لاَ بالإِلتزَام، وَمِن هُنَا تَبادَر إِلَيه خَاطري.

وَفي اليَوْم العَاشر مِن المُحرّم دَعَا الإِمَام الحُسَين عليه السلام برَاحلَته فَركبهَا، وَنَادىٰ

(١) أُنظر، مَقَالاً مُطولاً للدّكتُور زَكي نَجِيب مَحمُود فِي جَرِيدَة الأَهرَام (٢٨ / ٢ / ١٩٧٥م). (مِنْهُ قدس سره).

بأَعلَىٰ صَوتَه: «أَيّها النَّاس ٱسمعُوا قَولي، وَلاَ تَعْجلُوني حَتَّىٰ أَعظَكُم بِمَا يَجْب لكُم عَليَّ. وحَتَّىٰ أَعْتَذر إِلَيكُم مِن مَقدَمي عَلَيكُم، فَإِنْ قَبلتُم عُذري، وَصَدّقتُم قَولي، وَأَنْصفتمُوني، كُنتُم بذَلِكَ أَسعَد، ولَم يَكُن لكُم عَليَّ سَبِيل، وَإِنْ لَم تَقبلُوا مِنّي العُذر فَٱجمعُوا أَمركُم وَشُركَائكُم، ثُمَّ لا يَكُن أَمركُم عَلَيكُم غُمَّة، ثُمَّ ٱقضُوا إِليَّ وَلاَ تَنظرُون وَلِّيي الله الَّذي نَزّل الكتَاب وَهُو يَتوَلّىٰ الصَّالِحِين».

«أَمَّا بَعْد. فَٱنسبُونِي، فَٱنْظرُوا مَن أَنَا، ثُمَّ ٱرْجَعُوا إِلىٰ أَنْفُسكُم فَعَاتبُوهَا، وَٱنْظرُوا: هَلْ يَصْلُح لَكُم قَتْلي وَٱنْتِهَاك حُرْمَتي؟ أَلَستُ ٱبن بِنْت نَبِّيكُم ﷺ، وَٱبْن وَصيّه وَٱبن عَمّه، وأَوّل المُؤْمِنِين بِالله، وَالمُصدّق لرَسُولِه بمَا جَاء بِهِ مِن عِنْدَ رَبّهِ؟ أَو لَيس حَمْزَة سيّدُ الشُّهدَاء عَمّ أَبي، أَو لَيس جَعْفرُ الشَّهِيدُ الطَّيَّارُ عَمّي؟ أَو لَم يَبلُغكُم قَولٌ مُستَفِيضٌ فِيكُم أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ لِي وَلأَخِي: «هَذَانِ سَيّدا شَبَاب أَهْل الجَنَّة»[1]؟ فَإِنْ صَدّقْتمُونِي بِمَا أَقولُ ـ وهُو الحَقُّ ـ والله مَا تَعمَدتُ

(١) أُنظر، كَنز العُمَّال: ٦/ ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢١٧، و: ٧/ ١٠٧ و ١١١ و ١٠٨، و: ١٢/ ٩٦ و: ١٢/ ٣٤٢٤٦، و: ١٣/ ٣٧٦٨٢، صَحِيح التِّرمِذي: ٢/ ٣٠٦ و ٣٠٧، مُسْنَد أَحْمد: ٣/ ٣ و ٦٢ و ٨٢، حليَة الأَوْلِيَاء: ٥/ ٧١ و ١٣٩، و: ٤/ ١٣٩ و ١٩٠، مَجْمَع الزّوائد: ٩/ ١٨٢ ـ ١٨٤ و ١٨٧، تَأرِيخ بَغداد: ٩/ ٢٣١ و ٢٣٢، و: ١٠/ ٩٠ و ٢٣٠، و: ١/ ١٤٠، و: ٢/ ١٨٥، و: ١٢/ ٤، و: ٦/ ٣٧٢، الإِصَابَة: ١/ق ١/ ٢٦٦، و: ٦/ق ٤/ ١٨٦، مناقب أَمِير المُؤْمِنِين مُحَمَّد بن سُليمان الكُوفي: ٢/ ٢٥٩، الجَامِع الصَّغِير للسّيوطي: ١/ ١٩.

وأُنظر، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ١٣٥ و ١٣٠ و ١٢٩، كنُوز الحقَائق: ١١٨ و ٨١ و ٣٦، خصَائص النَّسائي: ٣٤ و ٣٦، سُنن ٱبن مَاجه: ١/ ٤٤/ ١١٨، بَاب فَضَائِل أَصحَاب رَسُول الله ﷺ: وَأَورَده الحَاكِم في المُسْتَدرَك: ٣/ ١٦٧ و ٣٨١، تَأرِيخ دِمَشق: ٧/ ١٠٣، أُسد الغَابَة: ٥/ ٥٧٤، ٱبن حبّان في صَحِيحه: ٢١٨، تَهذيب التَّهذِيب: ٣/في تَرجمة زِيَاد بن جبير، سُنن التِّرمِذي: ٥/ ٣٢١/ ٣٨٥٦ و: ٣٢٦/ ٣٨٧٠، الفضَائل لأَحْمَد: ٢/ ٧٧٩ح ١٣٨٤، الصَّوَاعِق: ١٨٧ و ١٩١ ب ١١ فصل ٢، الجَامِع
↔

كَذِباً مُذ عَلِمتُ أنَّ الله يمقُت عَليه أهْله، وَيضرّ بهِ مَن اختَلقَهُ، وَإنْ كَذبتمُوني فَإنَّ فِيكُم مَن إنْ سَألتمُوهُ عَن ذَلِكَ أخبَركُم: سَلُوا جَابر بن عَبدالله الأَنْصَاري، أو أبَا سَعِيد الخدْري، أو سَهل بن سَعد السَّاعدي، أو زَيد بن أرْقم، أو أنَس بن مَالك يُخبرُوكُم أَنَّهُم سَمعُوا هَذِه المقَالة مِن رَسُول الله ﷺ لِي وَلأَخي، أفمَا فِي هَذا حَاجزٌ لكُم عَن سَفكِ دَمي؟».

ثُمَّ قَال لَهُم الحُسين:

«فَإنْ كُنتُمْ فيْ شَكٍ مِنْ هَذا القَولِ أَفَتَشُكُّونَ في أَنّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ فَوالله مَا بَيْنَ المشْرِقِ والمغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيَ غَيْرِيْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ، وَأَنا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ خَاصَّة. أَخْبِرُونِيْ أَتَطْلُبُونِيْ بِقَتِيْلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ؟ أَوْ مَالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتُهُ؟ أَوْ بِقِصاصٍ مِنْ جِرَاحِةٍ؟»؟[1]. إلَىٰ آخر دُرَرِه الغَاليَة البَاقيَة.

وَقَالَ الرُّوَاة: لَمْ يُسمَع مُتَكلمٌ قَطّ قَبْلَه وَلاَ بَعْدَه أَبلَغ مِن مَنْطقه.

وَلَكنَّ شِمر بن ذِي الجَوشن قَالَ للإِمَام:

فَقَال لهُ شِمر بن ذِي الجَوشن:

هُو يَعبد الله عَلَىٰ حَرفٍ إنْ كَان يَدرِي مَا تَقُول.

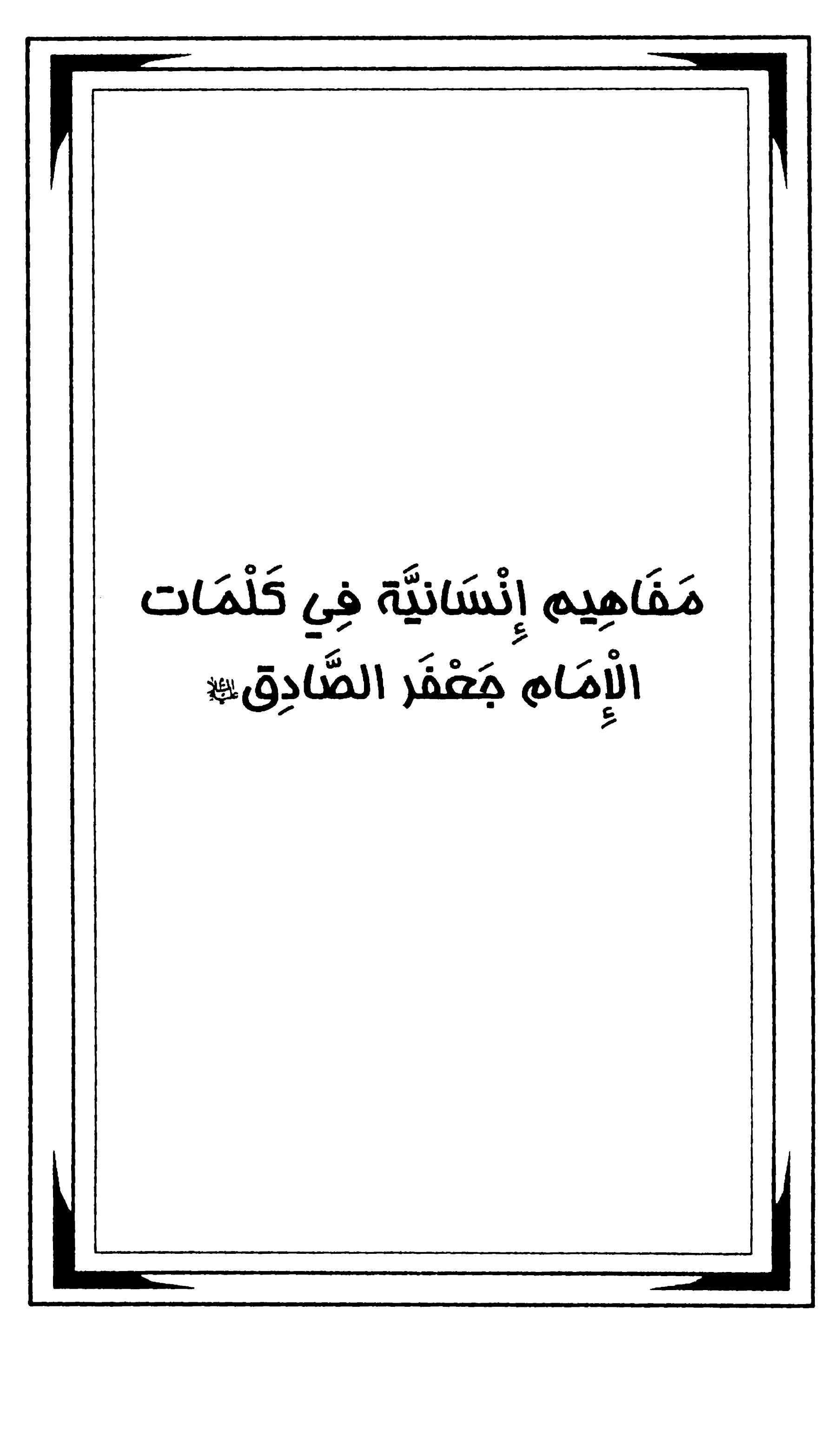
فَقَالَ لهُ حَبِيب بن مُظَاهر:

وَالله إنّي لأَرَاك تَعبد الله عَلَىٰ سَبعِين حَرفاً وَأنا أَشْهد أَنَّك صَادق مَا تَدري مَا يَقول، قَد طَبَع الله عَلَىٰ قَلبك.

↔ الصَّغِير: ١ / ٥٨٩ / ٣٨٢٠ و ٣٨٢١ و ٣٨٢٢. مِنْهَاج السُّنَّة: ٤ / ٢٠٩. فرَائِد السِّمطَين: ٢ / ٣٥ و ١٤٠ و ١٣٤ و ١٥٣ و ٢٥٩. الخرَائج وَالجرَائح: ٢٨٩. ينَابيع المَوَدَّة: ٣٦٩ و ٣٧٢.

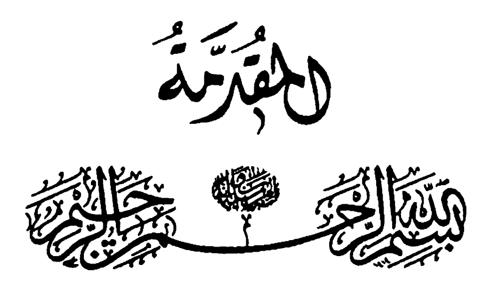
(١) أنظر، تأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٣١٩ و: ٤ / ٢٨٠ ـ ٢٨١.

وَيُخطيء مَن يَظنّ أَنَّ هَذَا الوَصف يَخْتصّ بشِمر وَحدَه، بَل هُو مِيزَان يُقَاس بِهِ كُلّ مَن يَسْمَع كَلْمَة الحَقّ والعَدْل، وَلاَ تَترك أَثرَاً فِي نَفْسَه وَعَمَله. وَأي فَرق مِن حَيْث الذَّات وَسُوء النِّيَّة بَيْنَ مَن يَقدِم عَلَىٰ قَتْل الحُسَين عليه السلام زَمَـن لاَ يَـتَورع إلاَّ لضَعفٍ أَو عَجْز!... إِنَّ التَّقوىٰ هِي الأَسَاس، وَغَير المُتّقي جَائِز فِي حَقّه كُلّ شَيء بلاَ آسْتِثنَاء.



مَفَاهِيم إِنْسَانِيَّة فِي كَلْمَات الْإِمَام جَعْفَر الصَّادِق عليه السلام

المقدمة



وَالحَمْد لله رَبّ العَالَمِين ، وَصَلّىٰ الله عَلىٰ مُحَمَّد وَآله الطَّيبين الطَّاهِرِين

وَبَعد ، فَإِنَّ هَذَا العَصْر عَصْر غَربَلَة الأَفْكَار ، وَتَمييز النَّافع مِن الضَّار ، وَبَدِيهَة أَنَّ الغَربَلَة بِمَعنَاهَا الصَّحِيح لاَ تَتحقَّق إِلاَّ بَعْد الإِحَاطَة بكُلِّ فِكرَة تَتَّصل بالمَوضُوع ، وَبَعد المُقَارنَة بَيْنهَا مِن جَمِيع الجِهَات تَكُون التَّصفيَّة بقبُول مَا يُقبَل ، وَرَفض مَا يُرفَض ، تَمَاماًكمَا يَفْعَل القَاضي حِينَ يَجْمَع بَيْنَ الخَصمَين وَيَستَمع إِلىٰ كُلّ ، ثُمَّ يَحْكُم بمَا تَسْتَدعِيه الأُصُول .

أَمَّا مَن يُسرع إِلىٰ الحُكْم بَأَنَّ هَذِه الفِكرَة حَقِيقَة جَدِيدَة ، وأَنَّهَا مِن مُبْتكرَات العَصْر الحَدِيث . وَأَمَّا أَنْ يَقُول هَذَا دُون تَحَفظ ، وَدُون بَحْث وَتَنقِيب فَقَد حَكَم قَبل أَنْ يُثْبت ، وَتَعدىٰ حُدُود العِلْم وَالعَدْل .

وهَذِه الصَّفحَات تَهْدف إِلىٰ إِيجَاد حَافز فِي نُفُوس أَبنَائنَا وَشبَابنَا ، إِلىٰ الأَنَاة وَالتَّثَبت فِي أَحكَامِهم عَلَىٰ مَا يَقرَأون وَيَسمعُون مِن أَفكَار يَحْسبونَها جَدِيدَة لأَنَّها تُلبي حَاجَة مِن حَاجَات الحَيَاة ، حَتَّىٰ كَأَنَّ تَأْرِيخهُم وَترَاثهُم جفَاء لَيْس فِيهِ

شَيء يَنْفَع النَّاس، ولَيْسَ مِن شَكّ أَنَّهُم بذَلكَ يَسيئُون إِلَىٰ أَنْفسهِم، وَيُقطعُون كُلّ وَشَيجَة بَيْنهُم وبَيْنَ قَومِيتهُم، وَيَفدُون كُلّ صفَة تَدعو إِلَىٰ إِحْترَامهِم وَالْإِصغَاء إِلَىٰ أَقوَالِهم وَآرَائِهم.

وَأُقسم قَسم مَن لاَ يَخْشىٰ إِلاَّ رَبّه، وَلاَ يَخَاف إِلاَّ ذَنْبه أَنّي قَرَأتُ أَلوَانَاً مِن الكُتب وَالْأَفْكَار قَدِيمهَا وَحَدِيثهَا، شَرقيهَا وَغَربيهَا، وَمَا وَجَدتُ شَيئَاً يَنْتَفع بهِ النَّاس إِلاَّ وَجَدتُ لَهُ أَسَاسَاً وَمَصدرَاً فِي تُرَاثنَا الْإِسلاَمي بصُورَة أَوفىٰ وَأَجدىٰ بخَاصّة فِي كَلاَم أَهْل الْبَيْت، وَبالأَخص فِي كَلْمَات الْإِمَام عَليّ عليه السلام، وَحَفيدَه الْإِمَام جَعْفرِ الصَّادِق عليه السلام، وَسَبق أَنْ عَرَضتُ جُملَة مِن أَقوَال الْإِمَام كَانَت فِي كتَاب «عَليّ والقُرْءَان»، أَمّا هَذِه الصَّفحَات فَقَد ذَكَرتُ فِيهَا طَرفَاً مِن كَلْمَات الْإِمَام جَعْفَر الصَّادِق عليه السلام فِي حَقِيقَة الدِّين، وَنَظريَة المَعْرفَة، وَتَحدِيد الحَقّ وَالخَير وَالحُريّة والبَلاَغَة، وَمَا إِلَىٰ ذَاك مِن أُسّس الحَيَاة، وَقَارنتُ بَيْنَ أَقوَالَه وبَيْنَ النَّظَريَات الَّتي يُقَال أَنَّهَا حَدِيثَة، وَقَدّمت الأَرقَام وَالأَدلّة عَلَىٰ أَنَّهُ قَد سَبَق إِلَيهَا بمِئَات السّنِين.

تَحدّث الْإِمَام الصَّادِق عَن مُشكلاَت الحَيَاة الَّتي يَحسّها كُلّ إِنْسَان، وَذَكَر حلُولهَا ببَسَاطَة بَالغَة يَفهمهَا ويُؤمِن بهَا الخَاصّ وَالعَامّ، ذَلكَ أَنَّهَا حُلُول تُعَبّر عَن الوَاقع، وإِذَا كَان للحَقِيقَة مِن مِيزَة فَهي الوضُوح وَالبَسَاطَة، والَّذي يُلفت النَّظر أَنَّ أَحَادِيث أَهْل الْبَيْت تَدل بصَرَاحَة عَلَىٰ أَنَّهُم لاَ يَتَكلمُون عَن مُشكلاَت الحَيَاة بوَحي مِن حُبّ الخَير، والْإِخْلاَص للإِنْسَانِيَّة فَحَسب، بَل أَنَّ لهُم مناَهج عِلميَة لمُعَالجَة مُشكلَة، وَٱستئصَالها مِن الجذُور، كقَول الْإِمَام الصَّادِق عليه السلام:

ثلاَثَة أَشْيَاء يَحْتَاج إِلَيهَا النَّاس:

الأَمن، وَالعَدْل، وَالخِصْب[1].

وَقَوْلَه:

أَنْ يَسْلَم النَّاس مِن ثَلاَثَة كَانَت سَلاَمَة شَامِلَة:

لسَان السُّوء، وَيَد السُّوء، وَفِعْل السُّوء[2].

وَغير ذَلكَ كَثِير.

وَلاَ بَدع، فَإِنَّ عُلُوم أَهَل الْبَيْت، هِي عُلُوم القُرْءَان الَّذي فِيهِ تِبيَان كُلّ شَيء وَعُلُوم جَدّهم الرَّسُول الَّذي لاَ يَنْطق عَن الهَوىٰ، وَسَيجِيء يَوْم يَتّفق فِيهِ النَّاس عَلَىٰ أَنَّ كُلّ مَا قَالهُ أَهْل الْبَيْت حَقّ لاَ رَيب فِيهِ، كمَا اتّفقُوا عَلَىٰ أَنَّ شَكل الأَرْض كَرَوي بَعد إِختلاَفٍ طَوِيل فِي شَكلهَا. وإِذَا تَكَلمتُ فِي هَذِه الصَّفحَات عَن المَفَاهِيم الإِنْسَانِيَّة أَو الأَخْلاَق عِندَ الإِمَام جَعْفرُ الصَّادِقعليه السلام، أَو عِندَ أَحَد الأَئِمّة مِن أَهْل الْبَيْت فَإِنَّمَا أَتكَلّم عَن الأَخلاَق عِندَ الرَّسُول الأَعْظَم، وَكمَا هِي فِي القُرْءَان الكَرِيم وَالسُّنَّة النَّبويَّة.

قَالَ الإِمَام الصَّادِقعليه السلام: «لاَ تَقبلُوا عَلَينَا حَدِيثاً، إِلَّا مَا وَافق ٱلْقُرْآن، إِنَّا عَن الله، وَعَن رَسُوله نُحدّث... وَإِذَا أَتَاكُم مَن يُحدّثكُم بِخلاَف ذَلِكَ، فَردّوه وَقُولوا: أَنْت أَعْلم وَمَا جِئتَ بِهِ، فَإِنّ مَع كلّ قَول مِنّا حَقِيقَة، وَعَليه نُور، فَمَا لاَ حَقِيقَة لهُ، وَلاَ نُور عَلَيه، فَذَلك قَول الشَّيطان»[3].

وَبالتَالي، فَلَيْسَت الكَلمَات الَّتي أُقدّمها للقُرّاء هِي كُلّ مَا اطّلَعت عَلَيهِ عَن

---

(١) أنظر، تُحف العُقُول: ٣٢١، بحَار الأَنْوَار: ٧٥ / ٢٣٤ ح ٤٤.

(٢) أُنظر، تُحف العُقُول: ٣٢، بحَار الأَنْوَار: ٧٥ / ٢٣٥ ح ٦١.

(٣) أُنظر، أَمَالي الشَّيْخ المُفِيد: ٢٥٣، تُحف العُقُول: ٣١٠.

أَقوَال الإِمَام الصَّادِق فِي هَذَا البَاب، وإِنَّمَا هِي نُقطَة مِن بَحرٍ، حِكَمَة البَالغَة وَتعالِيمَه الرَّشِيدَة، ولَكنَّهَا - عَلَىٰ قِلّتها - تَفي بالغَايَة الّتي أَرَادَت، حَيْث يُبصر القَاريء مِن خلاَلهَا أَنَّ الإِسْلاَم غَني بمَبَادِئه وَتَعَالِيمَه عَن كُلّ جَدِيد غَربيّاً كَان أَو شَرقيّاً وأَنَّهُ يُصَدَر وَلاَ يُستَورَد، وَيُعطي وَلاَ يَأخذ.

وَأَتوَسل إِلَىٰ الله سُبْحَانَه بالمُصْطَفىٰ وأَهْل بَيْته أَنْ يَسمَح لِي بمتَابعَة هَذِه البحُوث فِي سلْسِلَة[1] لاَ يَنْتَهي بهَا المَسِير إِلاَّ مَع نَفَسي الأَخِير. وَالحَمد لله أَوَّلاً وَآخراً.

(١) هَذَا هُو الكتَاب الخَامس مِن السّلسلَة، والأَوَّل (الله والعَقْل)، والثَّاني (النُّبوَّة والعَقْل)، وَالثَّالث (الآخرَة والعَقْل)، وَالرَّابع (عَليّ والقرْءَان). (مِنْهُ ﷺ).

سَبِيل الإِمَام إِلَىٰ الكَمَال

« قِيلَ لهُ : عَلَىٰ مَاذَا بَنَيت أَمْرك ؟ . . . فَقَالَ : عَـلِمْتُ أَنَّ عَمَلي لاَ يَعْمَلهُ غَـيري فَاْجْـتَهَدتُ وَعَـلِمْتُ أَنَّ الله سُبْحَانَه مُطّلع عَليّ فَاْسـتَحيَّتُ وَعَـلِمْتُ أَنَّ رِزقـي لاَ يَأكلهُ غيري فَاْطـمَأْنَنتُ . . . وَعَـلِمْتُ أَنَّ آخـر أَمْـري المَوْت ، فَاْسْتَعْدَدتُ »[1] .

يَعْلَم السَّائِل أَنَّ أَمْـر الإِمَـام وَمَـطْلَبه لَـيْسَ الطَّـعَام والثَّـروَة ، وَلاَ السُّـلطَان وَالشُّهرَة ، يَعْلَم السَّائِل أَنَّ هَدَف الإِمَام هُو الخَير وَالكَمَال ، وَأَنَّ سَبِيلَه إِلَىٰ الكَمَال قَانُون عَامّ صَالح للنَّاس وللأَجْيَال ، وأَنَّهُ يَعْمَل بهِ ، وَيُطَبِّقه عَـلَىٰ نَـفْسَه قَـبل أَنْ يُعلنَه ، فَسَأل الإِمَام أَن يَرشدَهُ إِلَىٰ هَذَا القَانُون ، قَانُون الحَقّ والفَضِيلَة .

فَأَجَابَهُ بأَنّه يَبْنِي أَعْمَاله عَلَىٰ أُسّس أَرْبَعَة :

الأَوَّل : عِلْمَه بأَنْ لَيسَ للإِنْسَان إلاَّ مَا سَعىٰ ، وأَنَّهُ لاَ يَحْصد مَا يَزْرَع سوَاه وَلاَ يُجدِيه شَيء إِذَا أَهمَل مَا عَلَيهِ مِن وَاجبَات . . . أَنَّ مَن يَشْعر بكَرَامَته ، وَيُـرِيد أَنْ

---

(١) أنظر ، بحَار الأَنوَار : ٧٥ / ٢٢٨ ح ١٠٠ ، سِير أَعْلاَم النُّبلاَء : ١١ / ٤٨٥ ، شُعَب الإِيمَان : ٢ / ٩٨ ح ١٢٧ ، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد : ٢ / ٩٧ .

يَكُون شَيئاً مَذكُوراً لاَ يَتّكل إلاَّ عَلَىٰ الله وَإِجْتِهَادَه.

أَجَل، لاَ غِنىٰ لأَي إِنْسَان عَن التَّعاون مَهْمَا بَلَغَت عَظَمَته، وَلَكن التّعَاون شَيء وَالإِتّكَاليَة شَيء آخر، أَنَّ الإِتّكَالي يُمحي نَفْسَه مِن الوجُود، أَمّا مَن يَتَعَاون مَع غَيْرَه فَهُو كَأي عُضو مِن أَعضَاء الكَائِن الحَي يَستَعِين بقُوّة سَائِر الأَعْضَاء، وَفي نَفْس الوَقْت تَستَعِين هِي بقُوّته.

الثَّاني: الحَيَاء مِن الله، وَالحَيَاء مِنْهُ سُبْحَانَه أَصل الفَضَائِل كلّها فَمَن خَافَه وَأَستحىٰ مِنْهُ لاَ يُدَاهن، وَلاَ يُرَائي، وَلاَ يُكَذب، وَلاَ يَزني، وَلاَ يَسرق، وَلاَ يَصغي إلاَّ إِلَيه تَعَالىٰ، وَمَن صَغىٰ إِلَىٰ الله وَجَدهُ تَكَشفَت لهُ الحَقَائِق، وَعَمل بهَا بشَجَاعَة وإِيمَان. وَمَن خَاف النَّاس فَقَد تَخَلىٰ عَن شَخصِيتَه، وَحَرَم نَفْسَه مِن فَضِيلَة الشَّجَاعَة، وَالحَقّ، وَالصّدق، وَأَختَار لهَا دَنَس الرِّيَاء، وَالكَذب، وَالنِّفَاق.

الثَّالِث: الإِطْمئنَان إِلَىٰ أَنَّ رِزقَه مَضمُون لاَ يَأكُلهُ غَيْرَه. وَهُنَا يَتّجه هَذَا السُّؤال:

كَيْفَ لاَ يَأكُل رِزق إِنْسَان سوَاه مَع أَنَّ الَّذِين يَعِيشُون عَلَىٰ أَقوَات النَّاس وَدمَائهُم لاَ يُحصىٰ عَدِيدهُم؟! والإِمَام الصَّادِق عليه السلام نَفْسَه قَالَ: «لَمْ يَجْتَمع عشرُون أَلفاً مِن حَلاَل»[1]. وَقَالَ جَدّه الإِمَام عَليّ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ»[2]... «مَا رَأَيتُ سَرفاً قَطّ إِلاَّ وإِلَىٰ جَانِبَه حَقّ مُضَيع»[3].

(١) أُنظر، كتَاب التَّمحِيص لمُحَمَّد بن همّام الإِسكَافي: ٥٠ ح ٨٨، تُحف العُقُول: ٣٧٧، بحَار الأَنوَار: ٧٥/٢٦٢ ح ١٦٧.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرِّسَالَة (٣٢٨).

(٣) أُنظر، تَفسِير القُرطُبي: ١٠/٢٥١.

وَالجَوَاب: أَنَّ الإِمَام لَمْ يَرِد بقَوله هَذَا أَنَّ بَاب الظُّلم، وَالسَّلب مَسدُود، وإِنَّمَا أَرَاد أَنَّ هَذَا التَّنافس عَلَىٰ الرِّزق الَّذي يَحصَل ـ فِي الغَالب ـ بَيْنَ أَربَاب المِهَن كمُخَاصمَة تَاجرَين أَو عَاملَين، وَمَا إِلَىٰ ذَاك يَقَع فِي غَير مَحلهِ، وَلاَ بَاعث لَهُ سِوىٰ الجَهل، مَا دَام كُلّ يَعْمَل وَيَسعىٰ بالطَّرِيق المَأْلُوف. وبهَذَا نَجد تَفْسِير الحَدِيث الشَّرِيف:

«مَا أَخْطَأك لَمْ يَكُن ليُصِيبك.

وَمَا أَصَابَك لَم يَكُن ليُخْطئك.

وَلَو إِجْتَمع النَّاس عَلَىٰ أَنْ يَنْفعُوك لَمْ يَنْفعُوك إِلاّ بشَيء كَتَبهُ الله لَكَ.

وَلَو إِجْتَمعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضرُوك لَمْ يَضرُوك إِلاّ بشَيء كَتَبهُ الله عَلَيكَ»[1].

وَمَا دَام الأَمْر كَذَلكَ فَعلىٰ كُلّ إِنسَان أَنْ يَعْتَمد عَلَىٰ نَفْسه بَعد خَالقه... وَأَنْ يَتَعَارف وَيَتعَايش مَع غَيرَه بالمَعرُوف وَيَترك المُشَاحنَات وَالخصُومَات.

الرَّابِع: الإِستعدَاد للمَوت وَلَيس مِن شَكّ أَنَّ مَن أستَعد للمَوت فَقَد خَاف العَاقبَة، وَتَثَبت قَبل أَنْ يَقُول، وَيفْعَل، وَيَعمَل لخَلاَص نَفْسه مِن المُهلكَات، وَلَم يَغْتَر بالشَّهوَات، وَالمَلذّات، وَأزدَاد كُلّ يَوْم إِحْسَاناً وَصَلاَحاً.

(١) أنظر، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣/ ٦٢٤ ح ٦٣٠٤، سُنن التِّرمذي: ٤/ ٦٦٧ ح ٢٥١٦، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٤/ ٤٣٠ ح ٢٥٥٦، تَفْسِير أبن كَثِير: ٤/ ٢٦٩ ح ٢٦٦٤، الأَحَادِيث المُختَارَة: ١٠/ ٢٤ ح ١٤، المُعْجَم الكَبِير: ١١/ ٢٢٣ ح ١١٥٦٠، شُعب الإِيمَان: ٢/ ٢٨ ح ١٠٧٤، إِعتقَاد أَهْل السُّنَّة: ٤/ ٦١٤ ح ١٠٩٥٩.

اللهُ وَاحد

قِيلَ لهُ: مَا الدَّلِيل عَلَىٰ أَنَّ الله وَاحِداً؟.. فَقَالَ: اتِّصَال التَّدبِير وَتمَام الصّنع كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

وَقَد اعْتَمد عُلمَاء الكَلاَم هَذَا القَوْل، وَاتّخَذُوا مِنْهُ دَلِيلاً عَلَىٰ نَفي الشَّرِيك عَن البَاري عزَّوجلّ، قَالُوا: إذَا وجدَ إلهَان، فَإمّا أَنْ يَكُون كُلّ مِنْهُمَا قَادراً عَلَىٰ الخَلق وَالإِبْدَاع مُستَقلاً عَن الثَّاني، فيَكُون وجُود أَحَدهُما، وَالحَال هَذِه، عَبثاً لاَ حَاجَة إلَيه، وَالإِلَه مُنَزّه عَن العَبَث، وَأمّا أَنْ يَكُون عَاجزاً بمُفرَده بحَيث لاَ يَستَطِيع الخَلق إلاّ بمَعُونَة شَرِيكه، وَيَستَحِيل أَنْ يَكُون العَاجز إلها، فَتَعيَّن أَنَّ الخَالِق وَاحد لاَ شَرِيكَ لهُ، أَو قُلّ أَنَّ ذَات الإِلَه بنَفسهَا تَستَدعي التَّفرد بالقُوّة وَالسُّلطَان وَالإِيجَاد، وَإِلاَّ امْتَنع وَصفهَا بالأُلُوهيَة.

وقَالَ لهُ رَجُل: أُذكُر لِي دَلِيلاً عَلَىٰ إثبَات الصَّانع.

فَقَالَ لهُ: أَخبرني عَن حِرفَتك.

---

(١) الأنبيَاء: ٢٢. أنظر، التَّوحِيد للشَّيخ الصَّدُوق: ٢٥٠، بحَار الأنوَار: ٣/٢٢٩ ح ١٩.

قَالَ: أَنَا رَجُل أتّجر فِي البَحَر.

فَقَالَ: لَو رَكبْتَ، فَانْكسرَت السَّفِينَة، وَبَقيتَ عَلَىٰ لَوحٍ وَاحد مِن أَلْوَاحهَا، وَجَاءت الرِّيَاح العَاصفَة هَل تَجد فِي قَلْبَك تضَرُعاً وَدُعَاءً؟.

قَالَ: نَعَم.

فَقَالَ الإِمَام: فَإِلهك هُو الَّذي تَضَرعتَ لَهُ فِي ذَلكَ الوَقْت[1].

لَقَد كَتَبَ الفَلاَسفَة وعُلمَاء الكَلاَم الصَّفحَات فِي إِثبَات الخَالِق، وَفِي قَوْل الإِمَام هَذَا غنَاء عَن كُلّ مَا مَلأ الرّؤوس وَالمُجلّدَات مِن الأَقيسَة وَالمُجَادلاَت، لأَنَّ النَّفس مُنذ تَكوِينهَا مَفطُورَة عَلَىٰ الإِعْترَاف بخَالقهَا ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾[2].

وَمِن المَذَاهب الفَلْسَفيَة الشَّائعَة فِي هَذَا العَصْر أَنَّ مَعْرفَة الله لاَ تَعتَمد عَلَىٰ الحِسّ وَلاَ عَلَىٰ الفِكْر، وإِنَّمَا هِي وَعي يَقع فِي القَلْب مُبَاشرَة، وبدُون وَاسطَة.

وقَالَ غَاندِي: «أَن الله هُو ذَلكَ الَّذي يُجَل، وَيَسمُو عَن التَّحدِيد، وَهُو الَّذي لاَ نَعْرفَه، وَلَكن نَحسّ، وَنَشعر بِهِ أَنَّ قُوّة غَير مَنظُورَة تَكمُن فِي بَاطننَا وهِي أَقرَب إِلينَا مِن الظُّفر إِلَىٰ لحَم الإِصْبع، إِنَّ الله مَوجُود فِي كُلّ وَاحد منَّا»[3].

---

(١) أُنظر، الكَلمَة الطَّيبَة فِي نَصَائح لُقمَان الحَكِيم للشَّيخ مِيرزَا نَصْر الله الشَّبَستَري.

(٢) ٱلرُّوم: ٣٠.

(٣) أُنظر، غَاندِي والحَركَة الهندِيَة: ١٥٤، تَرجَمة سَلاَمة مُوسىٰ القُبطي المِصْري، وبالمنَاسبة فَسلاَمة مُوسىٰ مُضطرِب الإتِّجَاه وَالتَّفكِير، ودَعَا إِلىٰ الفرعُونيّة، وحَجَد الدِّيَانَات فِي شَبَابه.

مُبْتَدع ضَال

« قَالَ : مَن دَعَا النَّاس إِلَىٰ نَفْسَه وَفِيهِم مَنْ هُو أَعْلَم مِنْهُ فَهُو مُبْتَدَع ضَال ... »[1].

إِذَا وجدَ عَالمَان ، وكَان أَحَدهُما أَعْلَم مِن الآخر فَعَلىٰ غَير الأَعْلَم أَنْ يَرشد النَّاس إِلَىٰ مَن هُو أَعْلَم مِنْهُ ، عَلَىٰ شَرِيطَة أَنْ يَثق بدِينه وَعَدَالته ، أَمّا إِذَا كَان غَير أَمِين فَيَحرم الإِرشَاد إِلَيه ، والعَمَل بقَوْلَه ، وَإِنْ بَلَغ مِن العِلْم مَا بَلَغ . قَالَ الإِمَام جَعْفرِ الصَّادِق عليه السلام : « كَفَىٰ بخَشيَة الله عِلْمَاً ، وَكَفَىٰ بالإِغْترَار بالله جَهلاً أَنَّ الله يَغفر للجَاهل سَبعُون ذَنبَاً قَبْل أَنْ يَغْفر للعَالم ذَنْباً وَاحداً . وَمَن تَعَلّم وَعَمل لله دُعي فِي مَلكُوت السَّماوَات عَظِيماً »[2].

---

(١) أُنظر ، تُحف العُقُول : ٣٧٥ ، بحَار الأَنْوَار : ٢ / ٣٠٨ ح ٦٤ و : ٧٥ / ٢٥٩ ح ١٥٠ .

(٢) أُنظر ، الكَافِي : ١ / ٤٧ ح ١ ، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير : ٦ / ٤٨٠ ح ٩٦٥٧ ، العِلل لأَحمد بن حَنبل : ٣ / ٨٥ ح ١٢٩٤ ، تُحف العُقُول : ٣٦٤ ، بحَار الأَنوَار : ٢ / ٢٧ ح ٥ ، سَعَد السُّعُود : ٨٧ ، المُصنَّف لِابْن أَبي شَيبَة الكُوفي : ٨ / ١٦٠ ح ١٧ ، المُعْجَم الكَبِير : ٩ / ١٨٩ ، كَنْز العُمَّال : ١٠ / ٣٠٨ ح ٢٩٥٤٣ .

الزُّهْد[1]

قِيلَ لَهُ: مَا حَدّ الزُّهْد ؟ قَالَ قَوْل الله سُبْحَانَه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَاتَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَـٰكُمْ﴾[2]...

أَنَّ العَاقِل لاَ يَقُول لشَيء كَان لَيْتَه لَمْ يَكُن، وَلاَ لشَيء لَمْ يَكُن لَيْتَه كَان. وكَان بُزُرْجُمهْر لاَ يَرىٰ فَرِحاً وَلاَ حَزِيناً فَسُئل عَن ذَلكَ، فَقَالَ: «لأَنَّ الفَائِت لاَ يُتَلافىٰ بِالعَبرة، وَالآتي لاَ يُستدَام بِالحَبرَة»[3]. وَقَالَ آخر: «لَئن الحَسن جَمْرَة أَحْرَقت

---

(١) قَالَ الإِمَام عَليّ عليه السلام: «الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَاتَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَـٰكُمْ﴾، ٱلْحَدِيدِ: ٢٣. وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ». أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (٤٣٢).

(٢) ٱلْحَدِيدِ: ٢٣.

أُنظر، الكَافِي: ٢ / ٢٨، بحَار الأَنوَار: ٦٧ / ٣١١ ح ٨، أَمَالي الصَّدُوق: ٣٦٧.

(٣) أُنظر، تَفْسِير القُرطُبي: ١٧ / ٢٥٩، تَفْسِير مَجْمَع البَيَان: ٩ / ٤٠٠.

جَاءَت ٱمْرَأَة إِلىٰ بُزُرْجُمهر، فَسَأَلتهُ عَن مَسأَلة فَقَال: لاَ أَدْرِي، فَقَالت: أَيُعطِيك المَلِكُ كُلَّ سَنَةٍ كَذَا وَكَذا، وَتَقُول: لاَ أَدْرِي، فَقَال: إِنَّما يُعْطِينِي عَلىٰ مَا أَدْرِي.

وَلَو أَعْطَاني عَلىٰ مَا لاَ أَدْرِي لمَا كَفَاني بَيْت مَاله.

وَكَانَ يَقول: قَوْل «لاَ أَعْلَمُ» نِصْفُ الْعِلْم.

وَقَالَ بَعْض الفُضَلاء: إِذَا قَالَ لَنَا إِنْسَانٌ: «لاَ أَدْرِي» عَلَّمنَاه حَتَّىٰ يَدْرِي، وإِنْ قَالَ: أَدْرِي، ٱمتَحَنَّاهُ ↔

مَا أَحْرَقت، وَأَبْقَت مَا أَبقت، أَحَبّ إلَيّ مِن أَنْ أَقول لِشَيء كَان: لَيْتَهُ لَمْ يَكُن، أَو لِشَيء لَمْ يَكُن: لَيْتَهُ كَان»[1].

وَجَاء فِي الحَدِيث: «فلاَ تَقُل لَو أَنّي فَعَلتُ، كَانَ كَذَا، وَكَذَا، وَلَكن قُلْ قَدَّر الله وَمَا شَاء الله فعَل، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَح عَمَل الشَّيطَان»[2].

حَتَّىٰ لاَ يَدْرِي. أنظر، شَرح نَهج اَلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي اَلْحَدِيد: ١٨ / ٢٣٦.

وَيُنْسَب هَذَا الشِّعر الزُّهدي إلىٰ بِشر الحَافي تَارَةً، وَإلىٰ الأَصْمَعي تَارة أُخرىٰ، وَإلىٰ أَبـي هَـفان البَصري تَارَة ثَالِثة:

أُقسِـم بِـالله لِـمَصُّ النَّـوَىٰ — وَشُربُ مَاءِ القُـلُبِ المَـالِحَهْ
أَحْسَـنُ بِـالإِنْسَان مِـن ذُلّـِهِ — وَمِن سُؤال الأَوجهِ الكَـالِحَهْ
فَاستَغنِ بِـالله تَكُـن ذَا غِـنىً — مُـغْتَبطاً بِـالصَّفقَة الرَّابِـحَهْ
فَـالزُّهْد عِـزٌّ وَالتُّـقَىٰ سُؤددٌ — وَذِلَّـة النَّـفس لهَـا فَـاضِحَهْ
كَـمْ سَـالمٍ صِـيح بِـهِ بَـغْتَةً — وَقَـائِلٍ عَـهْدِي بِـهِ البَـارِحَهْ
أَمْسَـىٰ وَأَمسَتْ عِـندَه قَـيْنَةٌ — وَأَصْـبَحَتْ تَـنْدُبه نَـائِحَهْ
طُوبَىٰ لِمَن كَـانَتْ مـوَازِيـنُه — يَـوْمَ يُـلاَقي رَبَّـه رَاجِـحَهْ

وَقَالَ أَيضاً:

لِمَصُّ الثِّمَاد وَخَـرْطُ القَـتَادِ — وَشُربُ الأُجَـاج أَوَان الظَّـمَا
عَلىٰ المَرء أَهوَن مِن أَنْ يُرَىٰ — ذَلِـيلاً لِـخَلْقٍ إِذَا أَعْـدَمَا
وَخَـيرٌ لِـعَينيك مِـن مَـنْظَرٍ — إلىٰ مَا بِأَيدِي اللِّـئَام العَـمَىٰ

أُنظر، تَفْسِير أَبِي اَلْفُتُوح: ٢ / ٣٩١، طَبْعَة الإِسْلاَمي، نَهج السَّعَادة: ٨ / ٣٠٠، شَرح نَهج اَلْبَلاَغَة لِابن أَبِي اَلْحَدِيد: ١٨ / ٢١٢ و: ١٩ / ٣٦٢، الكُنىٰ وَالأَلقَاب: ٢ / ١٦٩.

(١) رُوي ذَلِكَ عَن اَبن مَسعُود، كمَا جَاء فِي مُسكن الفُؤاد لِلشَّهيد الثَّانِي: ٨١، وَقَرِيب مِنْهُ فِي التِّـبيَان لِلشَّيخ الطُّوسي: ١ / ٣٥٧، وَتَفْسِير مَجمَع البَيَان: ٩ / ٤٠٠، وَمَجْمَع البَحرين: ٤ / ٢٣٨.

(٢) أُنظر، السُّنن الكُبْرىٰ: ١٠ / ٨٩، كـنز الـعُمَّال: ١٠ / ١١٥ ح ٥٤٠٩، كَشف الـخَفَاء: ٢ / ١٥٥ ح ٢٠٩٨، كتَاب الرِّضَا عَن الله بقَضَائه، لِابن أَبِي الدُّنيَا: ٧٩، صَحِيح مُسْلِم: ٨ / ٥٦، فَـتح البَـاري:

وقَرَأتُ فِيمَا قَرَأتُ أَنَّ تَاجراً فِي أَمرِيكا اْحتَرقت أَموَاله كلّها، وكَـانَت تَـبلُغ المَلاَيِّين، فَجَاءهُ بَعْض معَارِفه يُعَزيه، فَوَجدَوه كعَادَته، كَأنْ لَمْ يَكُن شَيء، وَلمَّا سَأَلهُ عَن عَدَم إكترَاثه وَمُبَالاَته ؟.

قَالَ لهُ: إنَّ الحُزن عَلَىٰ مَا فَات لاَ يُجدي نَفْعاً، أَونَا أُفكّر بـجَمْع الثَّـروَة مِـن جَدِيد، وَهَذَا أَهَم شَيء لَدي»[١].

↔ ١٣ / ١٩٢، تهذِيب الكَمَال: ٩ / ١٣٥ ح ١٨٨٣، رِيَاض الصَّالحِين: ١١١ ح ١١١، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ١١ / ١٢٤ ح ٦٢٥١، سُبل السَّلاَم: ٤ / ٢٠٧.

(١) قَالَ الإمَام عَليّ عليه السلام: «وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ». انـظر نَـهْج البَـلاَغَة: الحِكْـمَة (٣٤٨).

إذَن لاَ تَأسف عَلىٰ مَا فَات مَهمَا كَانَتْ ظرُوفك، وأَحوَالك لأَنَّ الحُزْن لاَ يُرجع مَا فَات، والفَرَح لاَ يُبقِي مَا هُو آت. وَقَالَ وَاحد مِن الزَّاهدِين: «مَا أَصْنَع بِدُنيَا مَا أَنْ بَقِيتُ لهَا لَمْ تَبق لي، وَإنْ بَقيتْ لِي لَم أَبق لهَا ؟». وَإذَن فَعلاَم التَّأسُف وَالتَّلَهُف ؟. قَالَ اَبْن أَبِي اَلْحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ١٩ / ١٦٥

قَالُوا: إنَّ رَجُلاً صَادَ قُبَّرَةً فَقَالت: مَا تُرِيد أَنْ تَصْنَع بِي ؟

قَالَ: أَذْبَحُك وَآكلُك؛

قَالَت: وَالله مَا أَشْفِي مِنْ قَرَم، وَلاَ أُشبع مِن جُوعٍ، وَلَكني أُعلِّمك ثَلاَثَ خِصَالٍ هُنَّ خَيرٌ لَكَ مِن أَكْلِي؛ أَمَّا وَاحِدة فَأُعلِّمك إيَّاها وَأنا فِي يَدِك، وَأَمَّا الثَّانِيَة فَإذَا صِرتُ عَلىٰ الشَّجرَة، وَأَمَّا الثَّالِثة فَإذَا صِرتُ عَلىٰ الجَبل.

فَقَال: هَاتي الأُولىٰ؛

قَالت: لاَ تَلَهَّفَنَّ عَلىٰ مَا فَات. فَخلاَّها، فَلمَّا صَارَت عَلىٰ الشَّجَرَة

قَالَ: هَاتي الثَّانِيَة؛

فَقَالت: لاَ تُصَدِّقَنَّ بِمَا لاَ يَكُون أَنَّه يَكُون. ثُمَّ طَارَت، فَصَارت عَلىٰ الجَبل؛

فَقَالت: يَا شَقيّ لَو ذَبَحْتَنِي لأَخْرَجْتَ مِن حَوْصَلَتي دُرَّتِين وَزن كُلِّ وَاحِدة ثَلاَثون مِثْقَالاً. فَعَضَّ عَلىٰ يَدَيه وَتَلَهَّف تَلَهُّفاً شَدِيداً؛

وَقَالَ: هَاتي الثَّالِثة؛

↔

↔ فقالت: أنتَ قد أُنسِيتَ الاثنتين. فما تصنع بالثالثة؟ ألم أقل لك: لاَ تَلهَّفَنَّ علىٰ مَا فَات! وَقد تلهّفتَ. وألم أقل لكَ لاَ تُصدِّقَنَّ بِمَا لاَ يَكون أنّه يكون. وأنا ولَحمِي وَدَمي وَرِيشي لا يَكون عِشرِين مِثقالاً. فكيف صدّقت أنّ فِي حَوصَلَتي دُرّتين كُلّ وَاحِدَة مِنهُما ثلاثون مِثقالاً! ثُمّ طَارَتْ وَذَهَبتْ.

أُنظر. كمَال الدّين وَتمام النّعمَة: ٦٠٩. بحَار الأنوَار: ٧٥/ ٤١٥.

اَلْبَلاَغَة

« قَالَ: مَنْ عَرَف شَيئاً قَلّ كَلاَمَهُ، وَإِنّمَا سُمّي البَلِيغ بَلِيغاً؛ لأنّه يُبَلّغ حَاجَتَهُ بِإِيْجَاز... وَقَالَ: ثَلاَثَة فِيهَا اَلبَلاَغَة القُرب مِن المَعْنَىٰ وَالبُعْد عِن حَشْوِ الكَلاَم، وَالدّلاَلَة بالقَلِيل عَلىٰ الكَثِير... لَيْسَت البَلاَغَة بِحِدّة اللّسَان، وَلاَ بَكَثرَة الهَذيَان، ولَكنّهَا إِصَابَةُ المَعْنىٰ، وَقَصْدُ الحُجّة »[1].

يَخْلط كَثِير مِن المُتَعلمِين بَيْنَ مَفهُومي الأَدَب والبَلاَغَة، وَيَرونَهُما شَيئاً وَاحداً، مَع أَنَّ الفَرق بَعِيد جِدّاً بَيْنَ مَعْنىٰ كُلّ مِنْهُمَا، فَلَفظَة أَدَب مَرّت بأَدوَار عَدِيدَة، كَانَت فِي الجَاهلِيَة تَدل عَلَىٰ كمَال النَّفس، فالأَدِيب مَن كَان عَلَىٰ خُلق كَرِيم، ومِنْهُ الحَدِيث الشّرِيف: « أَدبَني رَبّي فَأَحْسَن تَأدِيبي »[2].

---

(١) أُنظر، جُزء مِن الحَدِيْث فِي تُحف العُقُول: ٣١٢ و ٣١٧، وَبحَار الأَنْوَار: ٧٥ / ٢٩٢ ح ٢ و ١٩، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٧ / ٨٨، أَمل الآمَل: ١ / ٢٠، الإِمَام جَعْفر الصادق للجُنْدي: ١٥١، نَهج السّعَادَة: ١ / ٣٨١.

(٢) أُنظر، كَنْز العُمّال: ٧ / ٢١٤ ح ١٨٦٧٣، كَشف الخَفَاء: ١ / ٧٢ ح ١٦٤، فَيْض القَدِير: ١ / ٢٢٤، النّهَايَة فِي غَرِيب الحَدِيث: ١ / ٨، الجَامع الصّغِير: ١ / ٥١ ح ٣١٠، سُبل الهُدىٰ وَالرّشَاد: ٣ / ٩٣، تَفْسِير القُرطُبي: ٨ / ٣٢٨.

ثُمَّ اُستُعمل لَفظ الأَدِيب فِي العَصْر الأُموي فِي فِئَة المُعَلمِين ، وَقِيل للـمُعَلّم « مُؤدّب الصّبيَان » ، ثُمَّ أُطلقَت فِي العَهْد العَبَّاسي عَلَىٰ مَن يَروي طُرفاً مِن الشّعر وَالمَثل ، وَاللُّغة ، وَالنَّوَادر .

أَمّا اليَوْم فيُعبّر بلَفظ الأَدِيب عَن الخُطبَاء ، وَالكُتّاب الَّذِين يَتكلمُون عَن الحَيَاة العَامّة ، وأَحدَاثها ، وَيَضفُون عَلَيهَا لَوناً مِن خَيَالِهم وَإِحسَاسِهم ، وَيَحكمُون عَلَيهَا بمَا يَرون مِن خَيرٍ أَو شَرٍّ ، وَيُوجهُون النَّاس إِلَىٰ مَا يُريدُون ، وَقَد لاَ يَهتَم الأَدِيب بشَيء مِن حَيَاة النَّاس ، وإِنّمَا همّه أَنْ يَصُوغ قِطعَة فَنيَّة شِعرَاً أَو نَثرَاً يَجد فِيهَا السَّامعُون المُتعَة وَاللّذة .

أَمّا لَفظَة البَلِيغ فَمَا زَالَت كمَا كَانَت مُنذ وضعَ عِلْم البَلاَغَة تَدل عَلَىٰ أَنَّ المُتَكلّم قَادِر عَلَىٰ التَّعبِير عَمّا يُرِيد بلَفظ عَربي فَصِيح مَع الإِيجَاز وَالوضُوح ، وَعَدَم الخُرُوج عَن المَوْضُوع ، وَأَوجَز تَحدِيد للبَلاَغَة مَا قَاله الإِمَام الصَّادِق‏ﷺ :

« الدَّلاَلَةُ بالقَلِيل عَلَىٰ الكَثِير ، أَو إِصَابَةُ المَعْنىٰ وَقَصدُ الحُجّة » .

فَكُلّ مِن أَصْحَاب المَعْنىٰ الَّذي يُرِيد بَيَانه بإِيجَاز وَوضُوح فَهُو بَلِيغ ، سوَاء أَعَاد هَذَا المَعْنىٰ عَلَىٰ النَّاس بالخَير ، وَالمَنْفَعَة ، أَو لَمْ يَترَتب عَلَيهِ أَي أَثَر مَلمُوس غَير اللّذَة وَالمُتعَة .

أَجَل ، أَنَّ الأَدَب يُلاَزم البَلاَغَة ، وَلاَ يَنفَك عَنْهَا بحَال ، أَمّا البَلاَغَة فَقَد تَنفَرد عَن الأَدَب ، إِذْ مِن المُمكن أَنْ يُعبّر الإِنْسَان عمّا يُرِيد بإِيجَازٍ ، وَوضُوح ، وَيُصِيب المَعْنىٰ ، وَمَع ذَلكَ لاَ تَكُون لهُ مَعرِفَة الأَدِيب وَثقَافَة . إِذَن فكُلّ أَدِيب بَلِيغ ، ولَيْسَ كُلّ بَلِيغ أَدِيب .

الحُرّيّة وَالسَّعَادَة

« قَالَ : خَمْس خِصَال مَن لَمْ تَكُن فِيهِ وَاحِدَة مِنْهَا فَلَيْس فِيهِ كَثِير مُسْتَمع : الوَفَاء ، وَالتَّدبِير ، وَالحَيَاء ، وَحُسن الخُلق ، وَالخَامسَة تَجْمَع هَذِه الخِصَال كلّها ، وَهِي الحُرّيّة . . .

وَخَمْس خِصَال مَن فَقَد وَاحِدَة لَمْ يَزَل نَاقص العَيْش ، زَائِل العَقْل ، مَشغُول القَلْب وهِي صِحَة البَدَن ، وَالْأمن ، وَالسِّعَة فِي الرِّزق ، وَالْأنِيس المُوَافق . قِيلَ : وَمَا الْأنِيس المُوَافق ؟. قَالَ الزَّوجَة الصَّالحَة ، وَالوَلَد الصَّالِح ، وَالخَلِيط الصَّالِح . . . وَتَجْمَع هَذِه الخِصَال كلّها الدِّعَة . . . » (١).

لَو أَنَّ كَاتباً إِجْتمَاعياً كَتَب مُؤلفاً ضَخماً فِي السّعَادَة لمَا وَجدَ غَير هَذِه الأُسس الأَرْبَعَة ، وَلاِنْتَهىٰ إِلَىٰ نَفْس مَا إِنْتَهىٰ إِلَيه الإِمَام مِن التَّحدِيد وَالنَّتِيجَة أَنَّ الدِّعَة ـ

---

(١) أُنظر ، الخصَال للشَّيخ الصَّدُوق : ٢٨٤ ح ٣٢ ـ ٣٤، وَسَائِل الشّيعَة : ٢٠ / ٥١ ح ٧، بحَار الأَنوَار : ٧٥ / ١٩٤ح ٣.

وَهِي السَّكينَة وَالرَّاحَة ـ نَتيجَة طَبيعيَّة لصِحَة البَدَن، وَخَفض العَيْش وَالأَنِيس المُوَافق، وَالسَّلاَم الدَّائِم، فَمِن أَجْلهَا يَعْمَل كُلّ إِنْسَان، وعَنْهَا يُدَافع، ومِنْهَا يَتّخذ مقيَاساً لتَقدُم الشّعوب وَوَعيهَا، وَعَدَالَة الحُكّام وَإِخلاَصهم، ومَهْمَا ٱخْتَلف النَّاس فِي تَفْكِيرهم، وَأَديَانهم، وَتَفَالِيدهم فَهَدف الجَمِيع وَاحد: الصِّحَة. الأَمن. العَيْش الرَّغِيد.

وَقَد يُقَال:

أَنَّ علاَقَة الرَّاحَة بالصِّحَة، والأَمن، وَالعَيش بَدِيهيَة لاَ تَحتَاج إِلَىٰ شَرْح وَتَوضِيح وَلَكن أَيّة عِلاَقَة للوَفَاء، وَالتَّدبِير، وَحُسن الخُلق، وَالحَيَاء بالحُرّيّة؟!! وَمَا هُو الوَجه لقَول الإِمَام بأَنَّها تَجمَع هَذِه الخِصَال؟!.

وَالجَوَاب

أَنَّ الحُرّيّة يُرَاد مِنْهَا تَارة التَّحرّر مِن الشّهوَات وَالأَهوَاء، وَأُخرىٰ التَّحلل مِن التَّقلِيد، وَالتَّبعيَة، وَثَالثاً الخَلاَص مِن القوّة وَالسَّيطرَة المُعتَديَة، وَأي مَعْنىٰ أُرِيد مِن هَذِه المَعَاني الثَّلاَثَة فَإِنَّ الإِنسَان يَفْقد شَخصِيتَه وَإِرَادَته إِذَا فَقَد الحُرّيّة لأَنَّ مَن تَتَحكّم بِهِ العَوَاطف وَالإِنفعَالاَت، أَو يُسَيطر عَلَيهِ الغَير يَستَحِيل عَلَيهِ التَّدبِير وَالوَفَاء، وَحُسْن الخُلق وَالحَيَاء، يَستَحِيل عَلَيهِ التَّدبِير أَنْ يَملك مِن أَمرهِ غَير الخضُوع. وَالتَّسلِيم.

وَمِن أَجل هَذَا ٱعتَبر الإِمَام جَعْفر الصَّادِق عليه السلام الحُرّيّة أُمّ الفَضَائِل وَالعبُوديّة أُمّ الرّذَائل وَأَصل المُشكلاَت الإِجْتمَاعيَّة وَالشَّخصيَة.

وَنستَطِيع القَول:

لَو أَنَّ الشَّبَاب ٱطّلعوا عَلَىٰ تَعَالِيم الصَّادِق، وَتَدبرُوهَا لمَا فَكرُوا بِالتَّحلِيل مِن

قيُود الدّين، وَلتأكدُوا أَنَّ الدّين يَتّصل اتّصَالاً قَويّاً وَفَعّالاً بوَاقع الحَيَاة، وَيَستَهدف خَير الإِنْسَانِيَّة وَسعَادتهَا، وَأَنَّ كُلّ مَا فِيهِ النّفع وَالصّلاح فَهُو مِن الدّين فِي الصَّمِيم. لَيْسَ فِي الدّين مَادّة دُنيويّة وَرُوح أُخرويَّة، وإِنَّمَا فِيهِ خَير وَشرّ، وَنَافع وَضَار، وَحَسن وَقَبِيح، فكُلّ نَافع هُو دِيني مَاديّاًكَان أَو رُوحيّاً.

وَبالتّالي، نُوجّه إِلَىٰ شبَابنَا هَذَا السُّؤال:

لَقَد قَرَأتُم مِئَات الصَّفحَات فِي الحُرّيّة وَالسّعَادَة للغَربيّين وَغَير الغَربيّين فَهل وَجَدتُم خَيراً مِن أَقوَال الإِمَام الصَّادِق فِي تَحدِيد مَفهُوم الحُرّيّة وَالسّعَادَة؟! هَل قَرَأتُم قَولاً يُعبّر عَن شعُوركُم أَبلَغ وَأَصدَق تَعبِير كقَولَه هَذَا؟!.

لاَ حَقِيقَةَ إلاَّ فِي العَمَل

« قِيلَ لهُ : إنَّ قَوْمَاً يَعْملُون بِالمَعَاصي وَيَقُولُون : نَرجُو مَغْفِرَة الله . . . فَلاَ يَزَالُون كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأتِيهِم المَوْت ، فَقَالَ : هَؤُلاَء يَترجحُون فِي الأَمَاني ، كَذَبُوا ، لَيسُوا برَاجِين ، إنَّ مَن رَجَا شَيئَاً طَلبَه ، وَمَن خَاف شَيء هَرَب مِنْهُ . . . » (١) .

إذَا قُلتَ : هَذَا خَيّر ، وَهَذَا شِرّير ، فَالمَفرُوض إنّك اعْتَمَدت لحُكمَك هَذَا عَلَىٰ صفَة مِن صفَات المَحكُوم عَلَيهِ بالخَير ، أَو الشَّر ، فَمَا هِي تِلكَ الصِّفَة ؟ هَل هِي الكَلاَم ؟ أَو النِّيّة ، أَو العَمَل ؟ .

وَيَدلنَا قَوْل الإِمَام الصَّادِق عليه السلام : « مَن رَجَا شَيئَاً طَلبَه » .

أَنَّ العَمَل وَحدَه يَجْب أَنْ يَكُون مَصْدَر الحُكْم ، وَكَذَا قَول جَدّه أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام : « يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ لاٰ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ

---

(١) أُنظر ، الكَافِي : ٢ / ٦٨ ح ٥ ، تُحَف العُقُول : ٣٦٢ ، شَرح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد : ١١ / ١٩٢ ، حُسن الظَّن بالله لِابْن أَبي الدُّنيَا : ٩٨ ح ٩٢ وص : ١١٤ ح ١٣٢ و١١٤ ح ١٣٢ ، بحَار الأَنوَار : ٦٧ / ٣٥٧ ح ٤ و : ٧٥ / ٢٤٥ ح ٥٥ ، كَنز العُمّال : ٣ / ٧٠٨ ح ٨٥٢٦ ، فِقْه الرّضا لعَليّ بن بابَويه : ٣٨٢ ، وَسَائِل الشّيعة : ١٥ / ٢١٦ (٢٠٣١٢) ٢ ـ ، تهذيب الكَمَال : ٢٨ / ٢١٦ .

فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ ـ إِلاَّ رَجَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ ـ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ ، إِلاَّ خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ . يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لاٰ يُعْطِي الرَّبَّ ! فَمَا بَالُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً ؟ أَوْ تَكُونَ لاٰ تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاٰ يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً ، وَوَعْداً . وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ ، آثَرَهَا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا ، وَصَارَ عَبْداً لَهَا »[١] .

وَهَذَا إِنْكَار صَرِيح لوجُود أَي شَيء فِي النَّفس كَحقِيقَة ثَابتَة إِذَا لَمْ يَصْدُر عَنْهُ أَثَر حسّي يُرىٰ بالعَين ، أَو يُلمس باليَد ، فَمَن ادّعىٰ الرَّغبَة فِي شَيء وَلَم يَعْمَل مَا لَهُ مَع القُدرَة ، وَتوفر الأَسْبَاب فَهُو كَاذب فِي دَعوَاه ، أَجل ، قَد يَتَخيَّل أَنَّهُ يَرغَب وَيأمل ، وَلَكن هَذَا وَهمٌ وَتَصور ، إِذَا لَمْ تُجَسم الرَّغبَة فِي العَمَل المَلمُوس .

وَلستُ بحَاجَة إِلَىٰ القَوْل بأَنَّ هَذَا هُو الرَّأي العِلمِي الشَّائع فِي هَذَا العَصْر ، وَلَكن لاَ بُدّ لِي مِن الإِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ الدِّين قَد سَبَق العِلْم الحَدِيث إِلَىٰ أَنَّهُ لاَ وجُود لحَقِيقَة الإِنْسَان إِلاّ فِي عَمَله . وعَلَىٰ هَذَا يُسوّغ لنَا أَنْ نحكُم وَنحلف بالعَظِيم كمَا حَلَف أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام : « يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ »[٢] ؟ . قَالَ الإِمَام الصَّادِق عليه السلام : « التَّائِب مِن الذَّنب كَمَن لاَ

---

(١) أنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلخُطْبَة (١٦٠) .

(٢) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلخُطْبَة (١٦٠) .

ذَنْب لهُ، المُقِيم عَلَىٰ الذَّنب، وَهُو يَسْتَغفر كَالمُسْتَهزيء »[١]. وقَالَ: « المُؤْمِن قَلِيل الكَلاَم كَثِير العَمَل، وَالمُنَافق كَثِير الكَلاَم قَلِيل العَمَل »[٢].

فِي عَام (١٩٥٦ م) رَأينَا بَعْض الحُكُومَات المُتَّسمَة بِٱسم الإِسْلاَم تُنَاصر فَرَنْسا، وَإنجلتَرا، وَإسرَائِيل، وَتَقف إِلَىٰ جَانبهُما فِي مُؤتَمر لَندن ضِدّ مَصْر فِي الإِعْتدَاء عَلَىٰ بَور سَعِيد، وَرَأينَا الهِند تُؤَيد حَقّ مَصْر فِي تَأمِيم القَنَاة بِهَذَا المُؤتَمر، مَع أَنَّ الهِنْد لَيْسَ إِسْلاَمِيَّة، ولَكنَّهَا عَبّرت بعَملهَا هَذَا عَن إِيمَانهَا بحَقّ كُلّ شَعب بحُرّيّته وَإِستقلاَله، كمَا أَنَّ تِلكَ عَبّرت بمَوقفهَا العدَائي عَن تَنْكرهَا لهَذَا الحَقّ وَللأَسمَاء، وَالمَظَاهر مِن أَثَر غَير الكَذب وَالخدَاع.

---

(١) أنظر، الكَافِي: ٢ / ٤٣٥ ح ١٠، عُيُون أَخبَار الرِّضا: ٢ / ٧٤، مَكَارم الأَخلاَق للطَّبرسي: ٣١٣، إرشَاد القُلُوب: ١٨٠، بحَار الأَنوَار: ٩٠ / ٢٨١ ح ٢٢.

(٢) أنظر، تُحف العُقُول: ٣٩٧، مُسْتَدرك الوَسَائِل: ٩ / ١٨ ح ١١، بحَار الأَنوَار: ١ / ١٥٤ ح ٣٠.

الْأَمن، وَالعَدْل، وَالخِصْب

« قَالَ: ثَلاَثَة أَشْيَاء يَحْتَاج إِلَيهَا جَمِيع النَّاس.

الْأَمن، وَالعَدْل، وَالخِصْب....» [1].

قَالَ بَعْض الكُتّاب مِن الشَّبَاب:

أَنَّ الدِّين فِي طَرِيق الزَّوَال، وَسَيمُوت كمَا مَاتَت الْأَسَاطِير، وَالخرَافَات، أَي أَنَّ لَفظَة الدِّين تُرَادف لَفظَة الْأُسطُورَة وَالخرَافَة، بزَعْمه.

وَنَحْنُ نُؤمن بأَنَّ الدِّين الَّذي يُنَادي بِهِ تجّار الحُرُوب، والعَاملُون للسّلب وَإِفقَار الشّعوب، سَيمُوت لاَ محَالَة، أَمّا دِين مُحَمَّد وأَهْل بَيْتَه، أَمّا الَّذي يَقف مَع مَن يَعْمَل وَيُنَاضل مِن أَجل العَدْل، والْأَمن، وَالخِصْب فَإِنَّه بَاق ببقَاء السّموَات والْأَرْض.

هَذِه هِي دَعوَة الْإِسْلاَم وَمَطْلَبه وَغَايَته، الْإِيْمَان بالحَقّ، وَالعَمَل للْأَمن، والعَدْل وَالخِصْب، وَلاَ خَير فِي العِلْم وَالفَلْسَفَة، وَلاَ فِي الحُكْم، وَالسِّيَاسَة، وَلاَ فِي الْأَفلاَم وَالصَّحَافَة، وَلاَ فِي أَي شَيء إِذَا لَمْ يُحَرّر الْإِنْسَان مِن الخَوف، وَالظُّلم، والفَقْر.

---

(١) أُنظر، تُحف العُقُول: ٣٢١، بحَار الْأَنوَار: ٧٥ / ٢٣٤ ح ٤٤.

إنَّ أرقىٰ الدُّول اليَوْم تُحَاول أَنْ تَضع قوَانِينهَا عَلَىٰ هَذِه الأُسّس الثّلاَثَة ، فَهي وَحدَها تَحل المُشكلاَت الإجْتمَاعيَّة ، وَتَستَأصل الأَدوَاء مِن جذُورهَا ، فبالخِصْب يُقضىٰ الحَاجَة وَالعوز ، وَبالأَمن تُوجّه مِيزَانيَات الدُّول إِلَىٰ الحَقل وَالمَدْرسَة ، وَالمَصْنَع ، وَالمُستَشفيَات ، وَبالعَدل تُصَان الحقُوق ، وَتُنَظّم الحَيَاة ، مَا أَعْظَم الإِسْلاَم ، وَأَنْفعهُ مِن دِين .

وَلَقَد شَعر النَّاس فِي كُلّ مكَان أَنَّهُم بحَاجَة إِلَىٰ الأَمن فَعَقدُوا المُؤتمرَات وَرَفعُوا الأَصوَات مُطَالبِين بتَحرِيم الأَسْلحَة وَالحُرُوب الذُّريَّة وَغير الذُّرّيَة ، وَلَم يَستَطِيع الأَقطَاب تَجَاهُل أَصوَات المَلاَيِيّن ، فَاَضطرُوا إِلَىٰ أَنْ يُفكرُوا مُكرَهِين أَو مُختَارِين بعَقْد مِيثَاق للسّلم ، أَو تَحرِيم السّلاَح الذَّري تَمهِيداً لنَزع السّلاَح الشَّامل .

وَلستُ أَجد خَيرَاً مِن هَذِه المُنَاسبَة لأُبين حَقِيقَة رُبَّما خَفِيَت عَلَىٰ كَثِيرِين :

لَقَد عَرَفتُ أُنَاسَاً يَتَطلعُون إِلَىٰ الأَمن ، والعَدْل ، وَالخِصْب لجَمِيع النَّاس وَيَندَفعُون إِلَىٰ الخَير بفِطرَتهم ، وَمُقتَضىٰ دِينهُم وَتَربتهُم ، وَيَتمنُون أَنْ لاَ يَظلم أَحَد أَحداً ، وَلاَ يَتَحكم إِنْسَان بإِنْسَان ، وَأَنْ يَعِيش الجَمِيع فِي أَمن ، وَرَخَاء ، وَأَنْ يَبْتَديء الإِنتَاج مِن المَعْمَل ، وَيَنْتَهِي إِلَىٰ الأَسوَاق وَالبيُوت ، لاَ إِلَىٰ مَيدَان الحَرْب وَالقِتَال ، حَيْث تَلتَهمهُ النِّيرَان ، وَعَشرَات المَلاَيِّين يَلتَهمهُم الجُوع ، وَيَتَلهفُون وَيَلهثُون وَرَاء الغِذَاء وَالكسَاء .

أَحبّ هَؤُلآء الطَّيبُون الأَمن ، والعَدْل حُبّ مَبْدأ وإيمَان ، وَدِين وَإِخلاَص فِي ظَرف يَنْقَسم فِيهِ العَالَم إِلَىٰ كُتلتَين غَربيَّة ، وَشَرقيَّة تَخْتَلفَان نظَاماً وَسيَاسَة ، وَتَضم الكُتلَة الغَربيَّة تُجّاراً ، وَأَربَاب مَصَانع يَعملُون للرِّبح ، وَيُسيطرُون عَلَىٰ الحُكْم وَلاَ

يُشبعهُم إلاَّ تَكدِيس الثَّروَات فِي خَزَائنهِم ، وَتَسرب الأَموَال إِلَىٰ بنُوكهِم فِي كُلّ حَدب وَصَوب ، وَبَديهَة أَنَّ نظَامَاً يُشجع الإِستغلاَل ، وَالإِحْتكَار لاَ يُمكن أَنْ يَحيَا وَيَستَمر إلاَّ بالحَرْب ، أَو الإِسْتعمَار ، أَو بِهما مَعاً وَمِن هُنَا رَأينَا بَعْض الدّول الغَربيّة تُؤيد فِكرَة الحَرْب ، وَلمّا رَأت الشّعوب ضِدّ هَـذِه الفِكـرَة أُخْـترعَت الحَـرْب البَاردَة ، ليَظل الإِنتَاج مُتجهَاً إِلَىٰ المَعركَة لاَ إِلَىٰ المَطْبَخ .

أَمّا الكُتلَة الشَّرقيَة فَقَد رَأينَاهَا تُعَارض فِكرَة الحَرْب وَقَد يَكُون البَاعث لهَـا عَلَىٰ ذَلكَ مُجرّد العدَاء للغَرب وَنظَامه الرَأسمَالي ، لاَ حُبّاً بـالسّلم ، وَقَـد يَكُـون رَغبَة فِي تَوجِيه ثَروتهَا إِلَىٰ سَدّ حَاجَاتهَا الضَّرُوريَّة ، لاَ إِلَىٰ الآلاَت الجَهنميَّة وَقَد يَكُون غَير ذَلكَ مِن الدَّوَافع ، وَالبَوَاعث السّيَاسيَة ، وَسوَاء أَرَادَت الحَقّ أَو البَاطِل فَالمُهم أَنَّهَا تُعَارض فِكرَة الحَرْب .

وَهُنَا يَلتَقي الطَّيبُون أَنْصَار « الأَمن ، والعَدْل ، وَالخِصْب » مَع مُـحبي السّـلم ، وَيَفترقُون عَن تجّار الحرُوب ، وَلَكن جَاء هَذَا الإِفترَاق ، وَذَاك اللّقَاء صِدفَة مِـن غَير قَصد ، وَلَو أَنَّ مَن عَمَل للسّلم عَمَل للحَرْب لإِنعكَست الآيَة ، وَٱلتقىٰ النَّاس مَعْهُ دُون سِوَاه ، إِذَن لَمْ تَكُن مُنَاصرَة النَّاس للأَمن ، والعَدْل بُغضاً بالغَرب ، وَلاَ حُبّاً بالشَّرق ، وإِنَّمَا إِيمَاناً وَإِخلاَصاً لله وَالصَّالِح العَام .

هَذي هِي الحَقِيقَة الَّتي تَـثبت نَـفسهَا بـنَفسهَا ، وَلَكـن المُـغفَلين يَـجهلُونهَا ، وَأَربَاب الأَهوَاء يَتجَاهلُونها ، وَيَكيلُون التُّهم جُزَافَاً لأَنصَار العَـدْل ، والفَـضِيلَة ، وَهُم إِذْ يَفعلُون ذَلكَ يُنَاصرُون الظُّلم ، وَالعُدوَان ، مِن حَيْث يُرِيدُون أَو لاَ يُرِيدُون وَمَهْمَا يَكُن فَإِنَّ الَّذين لاَ هَدَف لهُم إِلّا الأَمْن ، والعَدْل ، وَالخِصْب سَيَستمرُون فِي طَرِيق هَذِه الأُمنيَة تَقرباً إِلَىٰ الله ، وَرَغبَة فِي الخَير لاَ يُثنِيهم قَول السُّفهَاء ، وَلاَ تُهم

الأدعيَاء.

وَمرّة ثَانيَة نُكرّر القَوْل: أَنَّ حُبّ الخَير بدَافع الدِّين، والعَقِيدَة شَيء، وَمُنَاصرَة الكُتلَة الشَّرقيَة عَلَىٰ خصُومهَا بدَافع السِّيَاسَة شَيء آخر، أَنَّ دِيننَا نَحْنُ المُسْلِمِين وَتَارِيخنَا، وَتُرَاثنَا يَفْرض عَلَينَا أَنْ نعمَل للأَمن، والعَدْل، وَالخِصْب وَأَنْ نَتقبّل وَنَتعلّم مِن القَرِيب، وَالبَعِيد كُلّ مَا يَنْتَفع بِهِ، وَيُؤدي بنَا إِلَىٰ غَايَة نَبِيلَة، وَأَنْ نَرفُض كُلّ مَا يَتنَافىٰ مَع عَقِيدتنَا، وَمُقدسَاتنَا، وَتَقالِيدنَا شَرقيّاً كَان أَو غَربيّاً.

وَبالتَالي، فَهل الإِمَام جَعْفر الصَّادِق عليه السلام مِن أَنصَار الكُتلَة الشَّرقيَة ؟!...

أَخبَرَني مَن تَظهَر عَلَيهِ دَلائِل الصّدق أَنَّ رَجُلاً أَخبَره بأَنَّ بَعْض السَّفَارَات تُخَصّص مَبلغاً مِن المَال للتَّجَسّس، وَمَبلغاً آخر تَستَأجر بِهِ أَفْرَاداً، وَتُسمي لَهُم أَشخَاصاً، وَتَأمرهُم بالتَّشهِير بِهِم، وَافتِرَاء الأَكَاذِيب عَلَيْهِم، وبهَذَا تَرمي هَدَفَين وَتَفرِيق الصّفُوف وَمَنعهَا مِن التَّكتُل ضِدّ البَاطِل.

الشِّيعَة وَالتَّقوىٰ

« قَالَ : إنَّ الله جَمع مَا يَتوَاصىٰ بِهِ المُتوَاصُون مِن الْأَوَّلِين وَالْآخرِين ، فِي خِصلَة وَاحدَة هِي التَّقوىٰ ، قَالَ عزَّوجلّ : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[(١)]، فبالتَّقوىٰ جمَاع كُلّ عِبَادَة صَالحَة ، وَبهَا وَصَل مَن وَصَل إلَىٰ الدَّرجَات العُلىٰ ، وَعَاش مَن عَاش مَع الله بالحَيَاة الطَّيبَة ، وَالْأُنس الدَّائِم ، قَالَ سُبْحَانَه : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[(٢)].

وَقَالَ الْإمَام البَاقر عليه السلام : « وَالله مَا شِيعتُنا إلّا مَن اتّقىٰ الله »[(٣)].

---

(١) ٱلنِّسَاء : ١٣١.

(٢) ٱلْقَمَر : ٥٤ ـ ٥٥. أنظر ، مِصبَاح الشَّريعَة المَنسُوب للإِمَام الصَّادق : ١٦٣ ، بحَار الأَنوَار : ٧٥ / ٢٠٠ ح ٢٨.

(٣) أُنظر ، الكَافِي : ٢ / ٧٤ ح ٣ ، السّرائِر : ٣ / ٦٣٦ ، وَسَائِل الشّيعة : ١١ / ١٩٥ ح ١٧ ، أمَالي الصَّدوق :

وقـال الإمـام عـليّ عليه السلام: «التّـقوىٰ رأس الحسنات»[(١)].

وعن جابر الجُعْفي، قالَ: خدمتُ الإمام مُحمَّد الباقر بن عليّ بن الحُسين عليهما السلام ثماني عشرة سنة، ولمّا أردتُ الخروج ودّعته، وقلتُ لهُ:

أفدني يابن رسول الله.

قالَ: أبعد ثماني عشرة سنة يا جابر؟!.

قالَ جابر: نعم، يا سيّدي، أنّكم بحر لاَ يُنْزف، ولاَ يبلغ قعره.

قالَ الإمام: بلّغ شيعتي عنّي السّلاَم، وأعلمهم أنّه لاَ قرابة بيننا وبينَ الله، ولاَ يتقرّب إليه أحد إلّا بالتّقوىٰ!

يا جابر من أطاع الله وأحبّنا فهو وليّنا، ومن عصىٰ الله لَمْ ينفعه حبّنا. جعلنا الله وإيّاكم من ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[(٢)].

ويتبيّن معنا من هذه الأقوال أنّ معنىٰ الدّين، والأخلاَق، والتّشيُّع عِندَ أهـل البيْت يرجع إلىٰ شيء واحد، إلىٰ التّقوىٰ ووازع الأعمال الصّالحة.

وإذا رجعنا إلىٰ تأريخ الشّيعة، وتراجم رجالهم وجدنا أنّـهم كـانوا يـعرفون بالإخلاَص والتّضحية، والتّواضع، والخُشوع، والثّـورة عـلىٰ البـاطِل وأهـله، والأمانة، والوفاء، وذكر الله، والعبادة، وتلاَوة القرءان، والتّـهجُد، والمـناجاة،

↔ ٧٢٥، تفسير أبي حمزة الثّمالي: ٩٤، تُحف العُقول: ٢٩٥، شرح الأخبار: ٣/٥٠١ ح ١٤٣٩، صفات الشّيعة للصّدوق: ١١، أمالي الطّوسي: ٣٧٥، عوائد الأيّام: ٧٧.

(١) أنظر، عيُون الحِكَم والمواعظ: ٢٠.

(٢) الأنبياء: ٤٩. أنظر، أمالي الشّيخ الطّوسي: ٢٩٦ ح ٥٨٢، بشارة المصطفىٰ: ٢٩١ ح ١٧، بحار الأنوار: ٧٥/١٨٢ ح ٨.

وَالسَّخَاء، وَتَعهد الإخوَان، وَالجِيرَان، وَصِدق الحَدِيث. وَكفّ الأَذىٰ عَن النَّاس.

اَقرَأ التَّأرِيخ، فَإنّك وَاجد مِن الشّيعَة فِي كُلّ عَصر رجَالاً تتَمثل فِيهِم عَظمَة الدِّين، وَالخُلق الكَرِيم، وَمِن أَجل ذَلكَ تَنكرُوا للسّلطان الجَائر، فَمِنهُم مَن ثَار عَلَيهِ بالسَّيف، ومِنْهُم مَن هَرَب مِنهُ، ومِنْهُم مَن اَمْتَنع عَن التَّعاون مَعْهُ بالرَّغم مِن المُغريَات، لَقَد أَبىٰ الشّيعَة فِي جَمِيع الأَدوَار، وَالعهُود أَنْ يَتَحالفُوا مَع السّلطَة، كمَا تَحَالف غَيرهُم، وَهَذَا هُو السّر فِي اَبتعَاد عُلمَاء النَّجف ـ عَلَىٰ وَجْه الإجمَال ـ عَن الدَّولَة، وَرجَالها، وَوَظَائفهَا. إنّ إعتزَالهُم عَن الحُكم، والحكُومَات إنْ هُو إلاّ اَمتدَاد لتَأرِيخهم، وَسِيرَة أَئمتهِم، وَسَلفهم.

كَتب المَنْصُور إِلَىٰ الإمَام الصَّادق عليه السلام: «لِمَ لاَ تَغْشَانا كَمَا يَغشَانا النَّاس؟ فَأَجَابه الإمَام: لَيس لَدَينَا شَيء مِنْ الدُّنْيَا مَا نخَافُك عَلَيه، وَلاَ عِندَك مِنْ الآخرَة مَا نَرجُوك بِهِ، وَلاَ أَنْت فِي نِعْمَة فَنُهنِيك، وَلاَ فِي نِقْمة فَنُعزِيك.

فَكَتب إِلَيه المَنْصُور ثَانِية: تَصحبنَا لتَنصَحنا.

فَأَجَابه الإمَام: مَنْ أَرَاد الدُّنْيَا لاَ يَنْصحك، وَمَنْ أَرَاد الآخرة لاَ يَصحبك.

فَقَال المَنْصُور: وَالله لَقَد مَيّز عِندي منَازل النَّاس مَنْ يُرِيد الدُّنْيَا مِمَّن يُرِيد الآخرَة لاَ الدُّنْيَا»[1].

---

(١) أنظر، مُسْتَدرك وَسَائل الشّيعَة: ١٢ / ٣٠٧ ح ١، بحَار الأَنوَار: ٤٧ / ١٨٤ ح ٢٩، كَشف الغُمَّة: ٢ / ٤٢٧.

العِزّة لأَهْل الحَقّ

« قَالَ : « مَا تَرَك الحَقّ عَـزِيزاً إِلَّا ذَلّ ، وَلاَ أَخـذَ بـِهِ ذَلِيلاً إِلَّا عَزّ » [١].

وقَالَ الْإِمَام عَليّ عليه السلام : « مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِـهِ ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ » [٢].

إِنَّ العَزّة والكرَامَة لأَهْل الحَقّ فِي مَنْطق الدِّين ، والعَقْل ، وَلاَ كَرَامَة لمُبطل كَائناً مَن كَان .

وَقَد يُقَال : لَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ الْأَديَان لاَ تُقِيم وَزنـاً لغَـير المُـحق ، وَلَكـن أَي جَدوىٰ فِي ذَلكَ طَالمَا النَّاس لاَ تُكرم إِلَّا أَهَل المَنَاصب ، والثَّروَات ، وَتَسِير فِي ركَاب الْأَقويَاء ، أَمّا الحَقّ فَيُكرمَه الفَلاَسفَة ، وَالكُتّاب فِـي أَورَاقـهِم ، وَيُـعظمهُ الوعّاظ عَلَىٰ المَنَابر ، وَيَصُوغه المُشترعُون موَاداً فِي القوَانِين ، وَلاَ شَـيء غَـير ذَلكَ ، فَلَم نَر وَاعظَاً وَلاَ فيلسُوفَاً ، وَلاَ مُتشَرّعاً ، وَلاَ أَديبَاً يَعْمَل بالحَقّ إِذَا خَالَف هوَاه ، وَأَمن العَقبَة ، إِذَن فَقَول الإِمَام عليه السلام « مَا تَرَك الحَقّ عَزِيزاً إِلَّا ذَلّ ، وَلاَ أَخذَ بهِ

---

(١) أُنظر ، تُحَف العُقُول : ٤٨٩ ، بحَار الأنوَار : ٦٩ / ٢٣٢ ح ٣ و : ٧٥ / ٣٧٤ ح ٢٤ .

(٢) أُنظر ، نَهج اَلبَلاَغَة : اَلحِكْمَة (٣٢٧).

ذَلِيلاً إلَّا عزّ» الذّل فِي الآخرة، لاَ فِي الدُّنْيَا.

الجَوَاب:

أوّلاً: أنّ الكرَامَة الأُخرويّة هِي الكرَامَة الحقّة، أمّا وَجَاهَة الدُّنْيَا فحِلم زَائِل، وَيَجب أنْ يَخْشَاهَا العَاقِل، لأنّها ـ فِي الغَالب تُؤدي إلَىٰ الهَلاَك، وَتبْتَعد بصَاحبهَا عَن موَاطن الحقّ، والعَدْل.

ثَانياً: أنّ الّذِين يُكرمُون المُبطلِين مِن أَهَل الجَاه وَالمَال هُم أشرَار النّاس الّذِين يَبيعُون دِينهُم، وَأوطَانهُم لكُلّ مَن يَدفَع الثّمن، أمّا الأشرَاف فهُم الّذِين ثَارُوا فِي كُلّ جِيل عَلَىٰ الحُكّام الظّالِمين وعَلَىٰ المُترَفين المُرَابِين، وَاسْتُشهدُوا فِي سَبِيل الحُرّيّة والإنْسَانِيّة.

أنّ الحقّ هُو المَثَل الأعْلَىٰ عِندَ الأبرَار، وَلاَ وَزن فِي نفُوسهِم للجَاه، والمَال، فَالغَالب بالشّر مَغلُوب، وَإنْ طَوّقَهُ المُبطلُون بالسّلاسل والأغلاَل.

قَالَ الصَّحَابي الجَلِيل عَمّار بن يَاسر، وَهُو يُحَارب مُعَاوِيَة مَع الإمَام فِي صِفّين: «هَل مِنْ رَائح إلَىٰ الله، الجَنَّة تَحت ظِلاَل الأسْنة، وَالله لَو ضَرَبُونَا حَتّىٰ يُبلغُونَا سَعفَات هَجَر لعَلِمنَا إنّا عَلَىٰ الْحقّ، وأنّهُم عَلَىٰ الْبَاطِل»[1].

وَمَا نَسِيتُ هَذِهِ الكَلْمَة مُنذ قَرَأتهَا، وَمَا أثّر فِي نَفْسي شَيء مِمّا قَرَأتُ وَسَمعتُ

---

(١) أُنظر، صَحِيح ابن حِبّان: ١٥ / ٥٥٥ ح ٧٠٨٠، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ٤٣٣ ح ٥٦٥١ وص: ٤٤٢ ح ٥٦٧٦، مَجْمَع الزّوَائد: ٧ / ٢٤٣ و: ٩ / ٢٩٤، المُصَنّف لاِبْن أبي شَيبَة: ٧ / ٥٤٧ ح ٣٧٨٣٩ و ٣٧٨٦٦ و ٣٧٨٧٢، مُسْنَد الطّيَالِسِي: ١ / ٨٩ ح ٦٤٣، سِير أعلاَم النّبلاَء: ١ / ٤٠٨، تَهذِيب الكَمَال: ٢١ / ٢٢٥، الإسْتِيعَاب: ٣ / ١١٣٩، الطّبَقَات الكُبْرَىٰ: ٣ / ٢٥٧، تَأرِيخ الطّبَرِيّ: ٣ / ٩٨، حليَة الأوْلِيَاء: ١ / ١٤٢، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٨٨، الإمَامة وَالسّيَاسة: ١ / ١٤٦، الْفِتْنَة الْكُبْرَىٰ ـ ٢ ـ عليّ وبَنُوه: ٧٦ ـ ٧٧، طَبْعَة سَنَة ١٩٦٤م.

وَرَأيتُ أكثرَ مِنْهَا. كُلّ شَيء قَد تَحقّق لعمّار مَا دَام مُحِقاً... فَلَيس المُهم عِندَه أبداً أنْ يَنْتَصر عَلَىٰ خَصمهِ، وإنّما المُهم أنْ يَكُون مُحقاً وَكَفىٰ... أنَّ الرَّابح الظَّافر مِن سَلم لهُ دِينَه وَإيمَانه، أمّا الحَيَاة فَهي إلَىٰ زَوَال، وَإنْ طَال الأَمَد.

كَتَب مُعَاويَة إلَىٰ الإمَام يُعَيّره بأنّه قِيد إلَىٰ بَيْعَة أَبي بَكْر، كَمَا يُقَاد الجَمَل المَخْشُوش.

فَأجَابهُ الإمَام: «وَقُلْتَ: إنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّىٰ أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَٱفْتَضَحْتَ، وَمَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ، وَلاَ مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهٰذِهِ حُجَّتِي إلَىٰ غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَىٰ لَهُ، وَأَهْدَىٰ إِلَىٰ مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَٱسْتَقْعَدَهُ وَٱسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ ٱسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَىٰ عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ أَتَىٰ قَدَرُهُ عَلَيْهِ»[1].

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرّسَالَة (٢٨).

المَشُورَة

« قَالَ : « لاَ تُشر عَلَىٰ مُسْتَبدٍ برَأيه ، وَلاَ عَلَىٰ وَغدٍ ، وَلاَ عَلَىٰ مُتَلون ، وَلاَ عَلَىٰ لَجُوج ، وَخِف الله فِي موَافقَة هَوىٰ المُستَشِير ؛ فَإِنَّ ٱلتمَاس موَافـقَته لُـؤم ، وَسُـوء الْإِستمَاع مِنْهُ خِيَانَة » [1].

مَن ٱستَبدَّ برَأيِهِ لاَ يُصغي إِلَىٰ غَيْرَه ، وَالوَغد ، وَاللَّجُوج لاَ رَأي لَهُما وَلاَ يَنْتفعَان برَأي ، أَمّا المُتلون فَلاَ يَثق بأَحد قيَاسَاً للنَّاس عَلَىٰ نَفْسَه ، وَإِنِّي لأَعرف أَفرَاداً لاَ يَتصورُون الصِّدق وَالْإِخلاَص فِي مَخلُوق ، وَإِنْ قَامَت الأَدلّة وَالبرَاهِين ، لأَنَّ ذَلكَ مُستَحِيل فِي حَقّهم فَهُو إِذَن مُسْتَحِيل فِي حَقّ غِيرهِم أَيْضَاً .

يُحكىٰ أَنَّ رَجُلاً كَان يَنْبش القبُور ، وَيَسرق أَكفَان المَوتىٰ ، وَعِندَمَا قَرُب أَجَله أَوصىٰ أَولاَدَه أَنْ يَحرقُوه بَعد المَوْت ، كَي لاَ يَسرق اللّصُوص كفَنه ، كمَا كَان يَفْعَل هُو .

أَمّا موَافقَة هَوىٰ المُستَشِير فَإِنّهَا خيَانَة لمَبدأ الحَيَاة والْإِنْسَانِيَّة ، فَـمَن سَكَت عَن المُخطيء ، وَلَم يوَاجههُ بخَطَئه ، وَيَدحض أَرَاءه المَغلُوطَة فَقَد أَسَاء إِلَيه وإِلَىٰ

---

(١) أُنظر ، الدُّرّة البَاهرَة : ٣٤ ، نُزهَة النَّاظر وَتَنبِيه الخَاطر : ١١٣ ح ٤٩ ، أَعلاَم الدِّين : ١٩٠ ، مُسْتَدرَك الوَسَائِل : ٢ / ٦٦ ح ٦ ، بحَار الأَنوَار : ٧٢ / ١٩٤ ح ٣٧ .

المُجْتَمع إذَا ظَنّ فِيهِ الخَير وَالهدَايَة.

قَالَ الإمَام الصَّادِق عليه السلام: «مَن رَأىٰ أَخَاه عَلَىٰ أَمرٍ يَكرَهه فَلَم يَردَعه عَنْهُ، وَهُو قَادر عَلَيهِ فَقَد خَانَه»[1].. وَقَالَ عليه السلام: «عَلَيكُم بالنّصح لله فِي خَلْقه، فَلَن تَلقَاه بعَمَلٍ أَفْضَل مِنْهُ»[2].

(١) أنظر، أَمَالي الشَّيخ الصَّدُوق: ١٦٢، بحَار الأَنوَار: ٧١ / ١٩٠ ح ٢.

(٢) أُنظر، الكَافي: ٢ / ١٦٤ ح ٣ و ص: ٢٠٨ ح ٦، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٦ / ٣٨٢ ح ٦، بحَار الأَنوَار: ٧١ / ٣٣٨ ح ١١٨.

العِلْم وَالعَمَل

قَالَ الإمَام البَاقر أَبُو الإِمَام الصَّادِق عليهما السلام : « لاَ يُقْبل عَمل إلاَّ بِمَعرِفة ، وَلاَ مَعْرِفة إلاَّ بِعَمل ، وَمَنْ عَرف دَلَّتهُ مَعْرِفَته عَلىٰ العَمَل ، وَمَنْ لَمْ يَعْرف فَلاَ عَمَل لَهُ »[1].

يَرىٰ البَعْض أَنَّ مَفهُوم العِلْم مُستَقل عَن العَمَل ، وأَنَّهُ لاَ رَابط بَيْنَهُما فِي الخَارج ، فَمِن المُمكن أَنْ يَكُون الإنْسَان عَالماً إِذَا حَفظ كَلْمَات العُلْمَاء ، وَاستطَاع أَنْ يُحَدّد بَعْض المَفَاهِيم ، وَيَقُول : هَذَا حُكم العَقْل وَالمَنطق ، وَلَو لَمْ يَصْدُر عَنْهُ أَي عَمَل بحَيث يَكُون هُو والجَاهِل سوَاء مِن النَّاحيَة العِمليَّة .

أَمّا الإِمَام فَإِنَّه يَربط بَيْنَ المَعْرفَة والعَمَل ، وَيَتّخذ مِن كُلّ مِنْهُمَا مقيَاساً حَقِيقيّاً للآخر ، وَهَذَا تَعبِير ثَانٍ عَن النَّظَرية القَائلَة أَنَّ المَعْرفَة لاَ تَنفصل عَن النَّشَاط العِملي .

وَلَو قَالَ هَذَا القَوْل طَالِب مِن طُلاَّب هَذَا العَصْر لمَا كَان فِي قَوْله أَيّة غَرَابَة بَعد أَنْ تَدَخَّل العِلْم فِي كُلّ كَبِيرَة وَصَغِيرَة فِي حيَاتنَا العَامّة ، وَالخَاصّة ، أَمّا أَنْ تُقَال هَذِه الحَقِيقَة فِي عَصْر لاَ صنَاعَة فِيهِ إلاّ باليَد ، وَلاَ زرَاعَة إلاّ عَلىٰ الحَيوَان ، وَلاَ

---

(١) أُنظر ، تُحف العُقول : ٢٩٤ ، بحَار الأَنوَار : ٧٥ / ١٧٤ ح ٢٤.

مواصلة إلاّ عَلَىٰ الْجمَل وَمَا إِلَيه ، أَمَّا أَنْ تُقَال هَذِه الحَقِيقَة مُنذ (١٢) قَرناً أو أكثر فَإنَّ قَائلهَا لَيْسَ مِن رِجَال الجِيل القَدِيم ، وَلاَ الجِيل الحَدِيث فَحَسب بَل يَعِيش فِي كُلّ عَصر وَجِيل . إنّ العِلْم ، أي عِلْم إذَا لَم يَمد الإنْسَان بالقُدرَة ، والحَيَاة فَهُو عَقِيم فِي نَظَر أَهَل الْبَيْت .

وَلاَ بُدّ مِن التَّنبِية إِلَىٰ أنَّ العَمَل الَّذي أثنَىٰ عَلَيهِ الإِمَام ، وَجَعلهُ مقيَاسَاً للعِلْم إنّما أرَاد بِهِ العَمَل الّذي يَعُود عَلَىٰ الإنْسَانِيّة بالخَير وَالمَنْفَعَة ، أمّا العِلْم الّذي يَصنَع قَنَابل الهَلاَك وَالتَّدمِير بالجُملَة ، وَيَسُوق الأُلُوف إِلَىٰ المَصَانع والمَنَاجم تَحت الأَرْض ، وَيُعَرّض حَيَاتهُم للخَطَر مِن أَجل أَصْحَاب المَلاَيِّين ، أَمّا هَذَا العِلْم فَالجَهْل خَير مِنْهُ أَلف مَرّة[1] .

---

(١) قَرَأتُ فِيمَا قَرَأتُ أَنْ بَعْض الآلاَت الحَربيّة يَبلُغ وَزنهَا (٤٧) طَنَاً ، وَأَنَّ ثَمنهَا بَلَغ أكثَر مِن وَزنهَا ذَهباً خَالصاً . (مِنْهُ ﴿ﷺ﴾).

التَّسَوّل

« قَالَ عليه السلام : « لَو يَعْلَم السَّائِل مَا فِي المسأَلَة ، مَا سَأَلَ أَحْدٌ أَحداً » [1].

يَرىٰ الْإِمَام الصَّادِق أَنَّ التَّسوّل قَبيح بطَبعهِ ، وَأَنَّ السُّؤال ذُلّ ، وَلَو أَين الطَّرِيق [2] كمَا قَالَ جَده أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام ، وَقَد نَهىٰ الرَّسُول عَن التَّسول بأَسَالِيب شَتّىٰ .

قَالَ : « اتّخد الله إِبْرَاهِيم خَلِيلاً ، لأَنّه لَم يَرد أَحداً ، وَلَم يَسأَل غَير الله عزّوجلّ » [3].

وَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ ضَمِنَ لجَمَاعة مِن الأَنْصَار عَلَىٰ الله الجَنَّة إِذَا لَمْ يَسأَلوا أَحداً شَيئاً [4].

وَجَاءهُ رَجُل ذَات يَوْم فَقَالَ : يَا رَسُول الله ! عَلّمني عَمَلاً لاَ يُحَال بَيْنَه وبَيْنَ

---

(1) أُنظر ، الكَافي : ٤ / ٢٠ ح ٢ ، السَّرَائر لِابن إِدْرِيس : ٣ / ٦٣٧ ، تُحف العُقُول : ٣٠٠ ، وَسَائِل الشِّيعَة : ٩ / ٤٣٧ ح ٤ ، بحَار الأَنوَار : ٩٦ / ١٥٥ ، مَن لاَ يَحْضَرَه الفَقِيه : ٢ / ٧١ ح ١٧٥٧ .

(2) أُنظر ، كَشف الخفَاء : ١ / ٤٩٩ ح ١٣٢٧ .

(3) أُنظر ، عُيُون أَخبَار الإِمَام الرِّضَا : ١ / ٨٢ ح ٤ ، وَسَائِل الشِّيعَة : ٩ / ٤٤١ ح ٩ ، عِلَل الشَّرَائع : ١ / ٣٤ ح ٢ ، مُسْنَد الإِمَام الرِّضَا : ١ / ٥٦ ح ١٦ .

(4) أُنظر ، تَفْسِير القُرطُبي : ٩ / ٣٠٨ ، بحَار الأَنوَار : ٩٦ / ١٥٧ ح ٣٤ .

الجنَّة، فقَالَ لهُ: لاَ تغْضب، وَلاَ تَسْأَل النَّاس، وَأرض لهُم مَا تَرضىٰ لنَفْسَك[١].

وَقَالَ: مَن ٱسْتَغنىٰ أَغنَاه الله، وَمَن فتَح عَلَىٰ نَفْسَه بَاب المسأَلَة فتَح الله عَلَيهِ سَبعِين بَاباً مِن الفقْر لاَ يَسدّها شَيء»[٢]. أَنَّ يَدّ السَّائل هِي السُّفلىٰ إِلَىٰ يَوْم القِيامَة.

وقَالَ الْإِمَام الصَّادِق عليه السلام: «مَا مِن عَبدٍ يَسأَل النَّاس مِن غَير حَاجَة، فَيَمُوت حَتَّىٰ يُحوجه الله إِلَيهَا، وَيُثبت لهُ النَّار»[٣].

وَقَالَ: «مَن سَأَل مِن غَير فقر فَإِنَّمَا يَأكُل الجَمر»[٤].

«مَن سَأَل النَّاس، وَعِندَه قُوت ثَلاَثَة أَيّام لَقي الله، ولَيْسَ فِي وَجْهه لحَم»[٥].

وَقَال: «لَيْس مِن شِيعَتنا مَنْ لاَ يَهر هَرِير الكَلب، وَيَطمع طَمَع الغُرَاب»[٦].

وَلَنا أَنْ نَسْتَنتج مِن هَذِه الْأَقوَال أَنَّ التَّسوّل يُذْهب بالكَرَامَة، وَأَنَّهُ ضَرَر عَلَىٰ المُجْتَمع، وَعُنوَان لإِنحطَاطه وَتَأخره.. أَنَّ الْإِنْسَان خَلِيفَة الله فِي أَرضَه، وَأَمِينه

(١) أُنظر، وَسَائِل الشّيعَة: ٤ / ١٠٥٣ ح ٤، مُسْتَدرك الوَسَائِل: ٧ / ٢٢٢ ح ١، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٢ / ١٢١، بحَار الأَنوَار: ٩٣ / ١٥٠ ح ٢، مُسْنَد الإِمَام الرِّضا: ١ / ٦٧ ح ٤٦.

(٢) أُنظر، بدَائِع الصَّنائِع: ٢ / ٤٨، مُستَدرك الوَسَائِل: ٧ / ٢٢١ ح ٢، بحَار الأَنوَار: ٩٣ / ١٥٤ ح ٢٢، السُّنن الكُبرىٰ: ٢ / ٥٢ ح ٢٣٧٦، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٢ / ٣٦٨ ح ١٥٥، سُنن الدَّار قُطني: ٢ / ١٠٢، الجَامع الصَّغِير: ٢ / ٥٦٨ ح ٨٤٢١، كَنْز العُمَّال: ١ / ٥٠٢ ح ١٦٧٢٧.

(٣) أُنظر، ثَوَاب الأَعمَال للشَّيخ الصَّدُوق: ٢٧٦، بحَار الأَنوَار: ٩٣ / ١٥٤ ح ٢١.

(٤) أُنظر، الجَامع الصَّغِير: ٢ / ٦٠٧ ح ٨٧٣٠، كَنْز العُمَّال: ٦ / ٥٠٢ ح ١٦٧٢٩، وَسَائِل الشّيعَة: ٩ / ٤٣٧ ح ٦، مُسْنَد أَحمَد: ٤ / ١٦٥، شَرْح مَعَاني الآثَار: ٢ / ١٩، أُسد الغَابَة: ١ / ٣٦٧، صَحِيح ٱبن خُزَيمَة: ٤ / ١٠٠.

(٥) أُنظر، ثَوَاب الأَعمَال للشَّيخ الصَّدُوق: ٢٧٦، سُبل السَّلاَم: ٢ / ١٤٤، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٩ / ٤٣٠ ح ٥٥٨١.

(٦) أُنظر، كتَاب التَّمحِيص: ٧٠، دَعَائِم الإِسلاَم: ١ / ٦٤، تُحف العُقُول: ٣٧٨، بحَار الأَنوَار: ٦٥ / ١٦٥ ح ١٦، وَسَائِل الشّيعَة: ١٥ / ١٩٢ ح ٢٧، صِفَات الشّيعَة: ١٤، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ٢٢٧.

عَلَىٰ دِينَه ، وَحَامل سرّه ، أودَعه مِن القِوىٰ ، وَالأَسرَار مَا يَجعَله أَشرَف وَأَعظَم مِن الشَّمس ، وَالقمر ، وَمِن الكَون بأَسره ، هَذَا العَظِيم الشَّريف يَمد يَدَ المَذَلّة ، ليَلتَقط أَوسَاخ النَّاس وَفَضلاَت المَوَائِد !... لذَا رَأينَا الحكُومَات الصَّالحَة تَعْمَل جَاهدَة للقَضَاء عَلَىٰ التَّسوّل وَتُوجد العَمَل لكُلّ قَادِر ، وَتَضمن العَيش لكُلّ عَاجز .

وَقَد يَتَساءَل : إِذَا كَان التَّسوّل مَذمُوماً وَقَبيحاً فِي الدِّين ، فَكَيْف حَثَّ الإِسْلاَم عَلَىٰ الصَّدقَة ، وَنَهىٰ عَن رَدّ السَّائِل المُتسوّل ؟! أَلَيْسَ هَـذَا تَشـجِيعاً للـرَّذيلَة ، وَإِغرَاء بِالقَبِيح ؟!.

الجَوَاب :

أَنَّ الإِسلام لَمْ يَأمر بالصَّدقَة المُستَحبَة كعِلاَج للفقْر وَالعَوز ، بَل لسَد حَـاجَة مُؤنَته لاَ يُمكن سَدّها بغَير العَطف وَالإِحسَان ، وَمَاذَا يَصْنَع المَرِيض الَّذي لاَ يَجد الآنْ ثمَن الدَّوَاء ، وَالجَائع الَّذي لاَ يَجد الرَّغِيف ؟! مَاذَا يَصنَع هَذَا المِسكِين إِذَا لَم يَجد المُحسن ؟! هَل يَنْتَظر حَتَّىٰ تُوجد المَشَارِيع ، وَتُخَصص المِيزَانيَات ، وَتَتغيّر الأَوضَاع وَالقوَانِين ؟!.

وَلنَفترض أَنَّ سَفِينَة تَحطّمت ، وَأَوشَك ركَابهَا عَلَىٰ الهَلاَك ، فَـهل نُـبَادر إِلَـىٰ إِسعَافهم ، والعَمَل عَلَىٰ خَلاَصهم مِن الغَرق ، أَو نَعْرض عَنْهُم ، وَنَنصَرف إِلَىٰ صُنع سَفِينَة أَمنَع وَأَقوىٰ مِن الَّتي تَحطَّمت ؟!.

وهَكَذَا شَأن الصَّدقَة المُستحبَة أَشبَه بإِسعَاف الغَرِيق . وبالتَالي فَإِنَّ الإِسلام إِذْ يَنْعىٰ عَلىٰ التَّسوّل فَإِنَّمَا ، يَنْعىٰ عَلَىٰ الأَوضَاع الَّتي يَـتَولد مِـنْهَا الفَـقْر ، وَالعَـوز وَالسُّؤال .

وَالغَرِيب أَنَّ المُتسوّل يَسأَل النَّاس إِلحافاً بِاَسم الدِّين ، والنَّـبيّ وأَهْـل بَـيْتَه ،

وَيَستَشهد بأَقوَالِهِم فِي مَدح المُتَصدّق، ثُمَّ يَتجاهَل مَا قَالُوه فِي ذَم المَسألَة وَالسَّائل!. وَالبَعض يَسأَل النَّاس بٱسم جدّه عَليّ عليه السلام، وعَليّ أَبىٰ أَنْ يَنْزل ضَيفاً عَلَىٰ أحد الأَنصَار فِي المَدِينَة يَوْم الهِجْرَة، كمَا فَعَل المُهَاجرُون جَمِيعاً، وَعَمل عِند يَهودي يَسقي بستَانه بتَمرَة وَاحدَة عِندَ كُلّ دَلو!.»[1].

وَغَريبَة الغَرَائب أَنْ يُوجد مِن المُتسوّلين فِي بَلَد نَبيّ الرَّحمَة مَا لاَ يُوجد فِي أَي بَلَد آخر، هَذَا، وَالذَّهب يَنبَع مِن أَرضِهِ بلاَ حسَاب وَلاَ نهَايَة...

(١) أُنظر، سُنَن ٱبن مَاجَه: ٢/ ٨١٨ح ٢٤٤٦ و ٢٤٤٧، ذَخَائِر العُقبىٰ: ٤٩، السُّنَن الكُبرىٰ: ٦/ ١١٩، الدّرَايَة فِي تَخرِيج أَحَادِيث الهِدَايَة: ٢/ ١٨٧ح ٨٦٢، المُغني: ٤/ ٣٣٢، المَجمُوع: ١٥/ ٨، تَلخِيص الحَبِير: ١٢/ ١٨١.

تَرْك الشَّر فَضِيلَة

عَنْ الْإِمَام الصَّادِق عليه السلام عَن آبَائِهِ أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله أوصىٰ عَلِيّاً عليه السلام بوصَايَا عَدِيدَة، مِنْهَا قَوْلَه:

يَا عَليّ أَفْضَل الجِهَاد: « مَنْ أَصْبَح وَهُو لاَ يَهم بِظُلم أَحدٍ غَفَر الله مَا اجْتَرَم »[1].

يَا عَليّ: « إِنَّ الله أَحبَّ الكَذب فِي الصَّلاَح، وَأَبْغض الصِّدق فِي الفَسَاد »[2].

ياعلي: « وَمَن تَرك (الخَمْر) الشَّر لغَير الله. سَقَاه مِن الرَّحِيق المَخْتُوم.

فَقَالَ عَليّ عليه السلام: لِغَير الله!

قَالَ: نَعَم، وَالله صِيَانَة لنَفْسَه يَشكرَه الله عَلَىٰ ذَلكَ »[3].

---

(١) أُنظر، الكَافِي: ٢ / ٣٣٢ ح ٨ و ٢١، مَن لاَ يَحضرَه الفَقِيه: ٤ / ٣٥٣، الجَامِع الصَّغِير: ٢ / ٥٧٢ ح ٨٤٥١، كَنْز العُمَّال: ٣ / ٥٠٤ ح ٧٦٣٠، تَأْرِيخ دِمَشق: ٥٣ / ٢٧٣ ح ٦٤٦٢، رَوضَة الوَاعِظِين: ٤٦٧، لِسَان المِيزَان: ٤ / ٢٧٢ ح ٧٦٥.

(٢) أُنظر، مَن لاَ يَحضرَه الفَقِيه: ٤ / ٣٥٣.

(٣) أُنظر، مَن لاَ يَحضرَه الفَقِيه: ٤ / ٣٥٣، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٢ / ٢٥٢ ح ١، مَكَارم الأَخلاَق للطَّبرسي:

يَا عَليّ : ثَلاَثَ لاَ تُطِيقهَا هَذِه الأُمّه : المُـوَسَاة للأَخ فِي مَالِه ، وَإِنْصَاف النَّاس مِن نَفْسَه ، وَذِكْر الله عَلَىٰ كُلّ حَال ، ولَيْسَ هُو سُبْحَان الله ، وَالحَمْد لله ، وَلاَ إِلَه إِلاَّ الله ، وَالله أَكْبَر ، وَلَكن إِذَا وَرَد عَلَىٰ مَا يَحْرم عَلَيهِ خَاف الله عزَّوجلّ عِندَه وَتَركَه » (١) .

وَنَسْتَنتج مِن هَذِه الوَصيَّة الحقَائِق التَاليَة :

١ ـ لَيْسَ فِي الأَخلاَق حقِيقَة مُطلقَة ، ومَبْدَأ ثَابت لاَ يَتَغيَّر وَلاَ يَتبدّل مَهْمَا تَكُن الظُّرُوف ، وَالنَّتَائِج ، بَل كُلّ مَا يَترَتب عَلَيهِ الخَير يَكُون فَضِيلَة ، وكُلّ مَـا يَـترَتب عَلَيهِ الشَّر يَكُون رَذِيلَة ، فَالصّدق حَسَن مَا دَام نَافعاً ، وَالكَذب قَبِيح مَا دَام ضَارّاً ، فَإِذَا مَا أَضرّ الصّدق ، وَنَفع الكَذب ٱنْعَكست الآيَة ، وَمِن هُنَا قَالَ الفُقهَاء : « يَجُوز الكَذب إِذَا تَوَقف عَلَيهِ رَدْع الظَّالِم عَن ظُلمِهِ ، وَيَحرُم الصّدق إِذَا أَدّىٰ إِلَىٰ الفِتْنَة ، وَالنَّمِيمَة ، أَو هَلاَك نَفْس بَرِيئَة ، وَمَثّلوا بمَا لَو طَاردَت السُّـلطَة المُـعتديَة أَحَـد المُصلحِين ، وَٱخْتَفَىٰ عَنْهَا فرَاراً مِن البَغي وَالعُدوَان ، فَعَلىٰ مَن يَـعْلَم بـمَكَانه أَنْ يُنْكِر مَعْرفَته بهِ ؛ لَو سُئل عَنْهُ » (٢) ، قَالَ الإِمَام الصَّادِق : « مَن سُـئل عَـن مُسْـلِم فَصَدق ، وَأَدخَل عَلَيهِ مَضرّة كُتِبَ مِن الكَاذِبين ، وَمَن سُئل عَن مُسْلِم فَكَـذب ، فَأَدخَل عَلَيهِ مَنْفعَة كُتبَ عِندَ الله مِن الصَّادِقين » (٣) .

↔ ٤٣٣ . بحَار الأَنوَار : ٧٤ / ٤٧ ح ٣ .

(١) أُنظر ، مَن لاَ يَحْضرَه الفَقيه : ٤ / ٣٥٨ ، وَسَائِل الشّيعَة : ١٢ / ٢٧ ح ٤ ، بحَار الأَنـوَار : ٧١ / ٣٩٥ ح ٢٠ ، مُخْتَصر بَصَائِر الدَّرجَات : ١٥٣ ، مُصَادقَة الأَخوَان للشّيخ الصَّدُوق : ٣٨ ح ٥ .

(٢) أُنظر ، رَسَائل الفُقهَاء ، وَسُبل السَّلاَم : ٤ / ٢٠٢ ، شَرْح صَحِيح مُسْلِم : ١٢ / ١٤٤ .

(٣) أُنظر ، مُسْتَدرك الوَسَائِل : ٩ / ٩٥ ح ٥ ، الإِخْتصَاص للشّيخ المُفِيد : ٢٢٤ ، بحَار الأَنوَار : ٦٨ / ١١ ح ١٩ .

٢ ـ أَنَّ أي عَمَل فِيهِ شَيء مِن الْإِنْسَانِيَّة فَهُو مَحبُوب عِندَ الله ، سوَاء أَقَصدَ الفَاعِل ثوَاب الله أَو لَم يَقْصد ، لأَنَّ الخَير يَنْصرف بطَبعِهِ إِلَيه سُبْحَانَه ، فَمَن تَرَك الشَّر لذَات الشَّر ، وَتَجرّد عَن أَنَانِيتَه فَقَد أَرضىٰ الله عَن نَفْسَه وَٱستُوجب الشُّكر ، تَمَامَاً كمَن يَدفَع الحَقّ لذَات الحَقّ لاَ خَوفاً وَلاَ طَمعَاً .

قَالَ غَاندي : « إِنَّ الله أَعْظَم دِيمقرَاطي عَرَفهُ العَالَم »[١] .

فَلَيْس مِن الضَّرُورَة لأَنْ تَكُون صَالحَاً أَنْ تَنوي إِمتثَال أَوَامر الله ، وَنوَاهِيه فِيمَا تَفْعَل ، وَتَترك ـ فِي غَير العبَادَات طَبعَاً ـ فكُلّ مَن سَار عَلَىٰ طَرِيق الخَير والْإِنْسَانِيَّة فَقَد سَار عَلَىٰ طَرِيق الله سُبْحَانَه ، هَذَا مَع العِلْم بأَنَّ الجَاحد لاَ يَستَأهل الثَّوَاب يَوْم الحِسَاب ، كمَا فَصّلنا ذَلكَ فِي كتَاب « الآخرَة والعَقْل » .

أَمّا قَوْله : « مَنْ أَصْبَح وَهُو لاَ يَهم بِظُلم أَحدٍ غَفر الله مَا ٱجْتَرَم » .

فهُو أَبلَغ تَعبِير عَن فَدَاحَة الظُّلم ، وأَنَّهُ خَطِيئَة لاَ يَعد لهَا شَيء .

٣ ـ أَنَّ التَّسبِيح وَالتَّهلِيل ، وَالصِّيَام وَالصَّلاَة ، كُلّ ذَلكَ ، وَمَا إِلَيه لاَ يُجدي عِندَ الله شَيئَاً إِذَا لَم يَتورع المَرْء عَن المَحَارم ، وَيَكف عمّا يَعرض لهُ مِن الشَّهوَات . قَالَ الْإِمَام الصَّادِق : « مَنْ أَحبّ أَنْ يَعْلَم مَا يُدرك مِن نَفْع صَلاَته ، فَليَنظر ، فَإِنْ كَانَت قَد حَجَزَتهُ صَلاَته عَن الفوَاحش وَالمُنكَر فَإِنَّمَا أَدرَك مِن نَفعهَا بقَدَر مَا ٱحْتَجز »[٢] .

وَرُوي أَنَّ نَبيّ الله مُوسىٰ مَرّ برَجُل ، وَهُو سَاجد ، فَتَركه وَمَضىٰ ، ثُمَّ عَاد

---

(١) أُنظر ، غَاندِي والحَرَكة الهندِيّة : ١٦٥ ، تَرجَمة سَلاَمة مُوسىٰ القِبطي المِصْري ، وبالمنَاسبة فَسَلاَمة مُوسىٰ مُضطرِب الإِتّجَاه وَالتَّفكِير ، ودَعَا إِلىٰ الفرعُونيّة ، وحَجَد الدِّيَانَات فِي شَبَابه .

(٢) أُنظر ، معَاني الأَخبَار : ٢٣٧ ، وَسَائِل الشّيعَة : ٥ / ٤٦٧ ح ٨ ، بحَار الأَنوَار : ٧٥ / ١٩٩ ح ٢٣ .

فَوجَدَه سَاجداً، فقَالَ لهُ مُوسىٰ: لَو كَانَت حَاجَتك بِيَدي لقَضَيتها. فَأوحىٰ الله إلَىٰ مُوسىٰ: لَو سَجَد حَتَّىٰ يَنْقَطع عُنقه مَا قَبلتَه حَتَّىٰ يَتَحول عمَّا أَكرَه إلَىٰ مَا أُحبّ»[١].

وإذَا كَان الهَدَف مِن العِبَادَة طَاعَة الله فَإنَّ تَرك القَبَائح، وَالمُحرمَات مِن أفضَل الطَّاعَات، بَل لَيْسَ مِن الطَّاعَة فِي شَيء أَنْ تعبد الله فِيمَا لاَ يَتصَادم مَع هوَاك، ثُمَّ تَتَجاهل إرَادتَه فِيمَا لاَ يَتّفق مَع مَا تَشْتَهي وَتُريد. أَنَّ إبْلِيس سَجَد سَجدَة وَاحدَة أَرْبَعة آلاَف سَنَة، كمَا جَاء فِي الحَدِيث[٢]، وَلَكن أَبىٰ أَنْ يَسجُد لحظَة وَاحدَة لآدَم، لأَنَّ هَذَا السّجُود لاَ يَتّفق مَع غرُورَه وَكبريَائه. وَمِن هُنَا قَالَ الإمَام الصَّادِق: «لاَ تنَظرُوا إلَىٰ طُول ركُوع الرَّجُل وَسجُودَه، فَإنَّه شَيء قَد اعْتَادَه، فَلو تَركَهُ استَوحش، وَلَكن انظرُوا إلَىٰ صِدق حَدِيثَه، وَأدَاء أمَانَته»[٣].

(١) أنظر، وَسَائِل الشّيعَة: ٧/ ١٤٥ ح ٧، بحَار الأنوَار: ١٣/ ٣٥٢ ح ٤٥، الكَافي: ٨/ ١٢٩ ح ٩٨.

(٢) أنظر، بحَار الأنوَار: ٢٧/ ١٧٥ ح ٢٠، الإحْتجَاج للشّيخ الطَّبرسي: ١/ ٣٦٨.

(٣) أنظر، وَسَائِل الشّيعَة: ١٩/ ٦٨ ح ٣، بحَار الأنوَار: ٦٨/ ٨ ح ١٠، الكَافي: ٢/ ١٠٥ ح ١٢.

العِلْم، وَالعَقْل، وَالنَّفس

عَن الإِمَام الصَّادِق عليه السلام أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «العِلْم ـ الْإِيمَان ـ رَائِد، ـ قَائِد ـ وَالعَقْل ـ العَدْل ـ سَائِق، وَالنَّفس حَرُون»[1].

لاَ يَكُون العِلْم رَائِداً بالمَعْنىٰ الصَّحِيح إِلاَّ إِذَا كَشَف عَن الوَاقع، فالأَفْكَار الَّتي تَرتَسم فِي ذِهْنَك مِن القِرَاءَات وَالدِّرَاسَات وَغَيرهَا لاَ تُسمّىٰ عِلْماً.إِذَا لَمْ تَكُن انعكَاساً عَن الوَاقع. وَمِن هُنَا قَالَ أَهَل المَنْطق: أَنَّ الدَّلِيل الَّذي يَثْبت الوَاقع يُسمّىٰ دَلِيلاً عِلميّاً. أَمّا الَّذي لاَ يُثْبتَه فيُسمّىٰ جَدليَاً أَو سُفسطَائيَاً أَو شِعريَاً.

أَمَّا العَقْل فَإِنَّه الدَّاعي لعَمَل الخَير، وَالزَّاجر عَن الشَّر وَلَكن النَّفس كَثِيرَاً مَا تَتَغلب عَلَىٰ العَقْل، وَتَندَفع مَع رَغبَاتهَا صَاغيَة لصَوت العَقْل وَدَعوَته. أَنَّ العَاطفَة تَلعَب دَوراً رَئِيسيَاً فِي أَفعَالنَا، أَمّا العَقْل فَدَورَه ثَانَوي، وكَذَلكَ الدِّين.

لذَا قَالَ الإِمَام: والنَّفس حَرُون... إِنَّ أَثَر العَقْل يَنْجَلي فِي الخُطب، وَالنَّصَائح، وَالمقَالاَت، وَالكُتب، أَمّا فِي الأَفعَال فأَثَره ضَئِيل جدّاً، وَالسُّلطَان عَلَينَا للعَاطفَة،

---

(١) أُنظر، شُعَب الإِيمَان: ١ / ٨٢ح ٦٩، إِعْتقَاد أَهْل السُّنَّة: ٤ / ٨٤٦ح ١٥٧٩، حليَة الأَوليَاء: ٤ / ٣١، صَفوَة الصَّفوَة: ٢ / ٢١٤ ح ٢١٠، تُحف العُقُول: ٢٠٨.

وَالحَرُون مِن الخَيل: الَّذي لاَ يَنْقَاد لرَاكبِهِ، فَإِذَا اشتدَّ بِهِ الجَري وَقَف. أُنظر، لسَان العَرب: ١٣ / ١١٠.

وكثير من النّاس يعتقدون أنّ أفعالهم من وحي العقل، والدّين، وهؤلاء المساكين قد ذهبوا ضحيّة الجهل، كما ذهبوا ضحيّة الأهواء، وفسّروا الميول، والشّهوات، بمنطق العقل والدّين.

وللإمام الصّادق كلام غير هذا، يدل بصراحته على أنّ من لا يختار الأفضل لا عقل له، فقد سأله سائل عن حدّ العقل، فقال: «العقل ما عبد به الرّحمن، واكتسب به الجنان.

فقيل له: والّذي عند معاوية؟

قال: تلك النّكراء ـ أي الدّهاء ـ تلك الشّيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بعقل»[1]. وقال عليه السلام: «الإيمان إقرار باللّسان، وتصديق في الجنان، وعمل بالأركان»[2]. وقال الإمام عليّ عليه السلام: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بالأركان»[3].

ومن تتبّع كلمات الصّادق يرى أنّه يربط مفاهيم الألفاظ بالعمل، فأيّة لفظة لا يكون لها مدلول ملموس فهي من نوع الكلام الفارغ، أو مفسّرة بمدلول آخر، كتفسير عقل معاوية بالشّيطنة. فلفظة حقّ، وخير، وجمال، وعلم، وعقل، وواجب، وما إلى هذه لها معان قائمة في الخارج تدرك، وتوصف بالحسّ والمشاهدة، تماماً كلفظة كتاب وقلم. وقد أكّد الإمام هذا المعنى بعبارات شتّى

(١) أنظر، الكافي: ١ / ١١ ح ٣، وسائل الشّيعة: ١٥ / ٢٠٥ ح ٣، معاني الأخبار: ٢٤٠ ح ١، المحاسن: ١ / ١٩٥ ح ١٥.

(٢) تقدّمت تخريجاته.

(٣) تقدّمت تخريجاته.

مِنْهَا قَوْلَه : « أَحْسَن مِن الصّدق قَائِله ، وَخَير مِن الخَير فَاعلَه »[١] .

وَغَرِيب حَقّاً أَنْ يَغْفَل المُسلمِين شِيبَهُم وَشَبابَهُم عَن هَذِه الكنُوز العُـليا الَّـتي كَانَت سَبباً فِي عزّهم وَمَجدهِم ، وَأَنْ يَزعَم شَاب يَدّعي الثَّقَافَة ، وَالوَعي أَنَّهَا مِن مُبْتكرَات العَصْر الحَدِيث . ومَهْمَا تُقدّم المُتعمقُون وَالمُتخصّصُون فِي هَذَا العَصْر ، وَفِي كُلّ عَصْر فَإنّهم لَمْ يَبلغُوا شَأو أَهَل الْـبَيْت فِـي عـلُومهِم وَأَفكَـارهم وَلَـن يَستَطيعُوا أَنْ يَأتُوا بجَدِيد لاَ يَعرفهُ الإِمَام عَليّ عليه السلام وَأَولاَدَه وَأَحفَاده الأَطهَار . وَلَو أُتِيح للقَاريء مَن يُمَهّد لهُ الطَّرِيق إِلىٰ الكُتب القَدِيمَة ، وَيُزيح عَنْهَا ستَار الغمُوض وَالتَعقِيد ، وَيُجنبهَا المُصطلحَات ، والأَغْرَاب ، وَيُـبرزهَا وَاضـحَة نَـاصعَة لعَـرَف النَّاس مَنْ هُمْ أَهَل الْبَيْت . . . أَقول هَذَا ، وَأَنَا مُؤمِن بأَنّهم لَمْ يُكلمُوا النَّاس بكُلّ مَا لَدَيهم مِن مَعَارف وَعلُوم .

---

(١) أنظر ، وَسَائِل الشّـيعَة : ١٦ / ٢٩٢ ح ٢٢ ، أَمَـالي الشَّـيخ الطُّـوسي : ٢٢٣ ح ٣٥ ، بحَار الأنـوَار : ٦٦ / ٤٠٤ ح ١٠٩ ، الإِمَام جَعفر بن مُحمّد الصَّادق لعَبدالحَليم الجُنْدي : ٣٣٢ .

السَّلاَمَة الشَّامِلَة

قَالَ : « أَنْ يَسْلَم النَّاس مِـن ثـلاَثَة كَـانَت سَـلاَمَة شَاملَة : لِسَان السُّوء ، وَيَد السُّوء ، وَفِعَل السُّوء »[1] .

هَذِه السَّلاَمَة الكَامِلَة الشَّامِلَة للأَسوَد وَالأَبْيَض فِي الشَّرق وَالغَرب ، وَللثّقَافَة وَالحَضَارَة فِي كُلّ مَكَان وَزَمَان لاَ تَتمُ إلاَّ إذَا كَفَّ كُلّ إِنْسَان لسَانه ، وَيَدَه ، وَفِعلَه عَن السُّوء .

وَكَأَنَّ الإِمَام يَعِيش في هَذَا العَصْر يَسْتَمع إِلَىٰ الإِذَاعَات ، وَالصُّحف ، وَالنَّشرَات تُلَفّق الأَكَاذِيب وَالإِفترَاءَات ، وَتُكِيل الشَّتَائِم لكُلّ مَن يُخَالفهَا فِي الرَّأي ، وَيَخْرُج عَن طَاعَة أَربَابِهَا المَأجُورِين ، وَأَسيَادهم المُستَغِلين ، تَـخرُج الكَـلْمَة مِـن فَـم المُذِيع ، أَو مِن قَلم الصُّحفي فَتَبلُغ أَقْـصىٰ البِـلاَد ، فَـيَسفك بِـهَا دِمَـاء ٱلنِّسَـاء ، والأَطْفَال ، وَتَنْهَب بهَا الثَّروَات ، والأَموَال .

قَالَ بَعْض العُلْمَاء : أَنَّ مَيدَان العَقْل يَخْتَّص بالمَعقُولاَت ، وَاليَد بالمَلمُوسَات ، وَالإِذْن بالمَسْمُوعَات ، وَالبَصَر فِي المَنظُورَات ، أَمَّا اللِّسَان فَيَشمل هَـذِه كُـلّها ، وَيَتصرّف فِيهَا جَمِيعاً ، فَإِنْ أُسْتُعملَ فِي النِّفَاق ، وَالرِّيَاء عَمَّ الفَسَاد وَالبَلاَء .

---

(١) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته .

وَقَد شَاهَدتُ أَفرَاداً يُلفقُون أَقَاويل يَرفُضها العَقْل، وَيُكذبهَا الوجدَان وَالعيَان، بَل شَاهدتُ مَن يُكَذّب نَفْسَه بنَفْسه، وَيُقدّم الأَرْقَام مِن أَقوَاله وَأَفْعَاله عَلَىٰ أَنَّـهُ مُفْترٍ كَذّاب.

وَقَد دَلَّ القُرْءَان، وَالحَدِيث عَلَىٰ أَنَّ الكَذّاب لاَ يُؤمِن بالله. قِـيل للـنَّبيّ ﷺ: «هَل يَكْذب المُؤْمِن؟!».

قَـالَ: «لاَ». أَنَّ الله يَـقُول: ﴿إِنَّـمَا يَـفْتَرِى ٱلْكَـذِبَ ٱلَّـذِينَ لَايُـؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[1].

وقَالَ: «لاَ يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ العَبْد حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لسَانُهُ»[2].

وَرُبَّ قَائِل: لَقَد رَأَينَا مَنْ يَكذِب، وَيَفْتَري، وَمَع ذَلكَ يُـؤمِن بـالله، وَيَـصُوم وَيُصلّي، فَكَيْفَ نَفىٰ القُرْءَان عَنْهُ الإِيْمَان؟!.

الجَوَاب:

أَنَّ هَذَا إِيمَان مُعَار يُخيّل لصَاحبهِ، وَللنَّاس أَنَّهُ ثَابت، وَقَد قَالَ الصَّادِق: «إِنَّ المُؤمِن ليَقُول قَولاً وَلاَ يَدعهُ الله وَقَوله حَتَّىٰ يَنْظُر فِي عَملَه؛ فَإِنْ كَان عَمَله مُوافقاً لقَولَه لَمْ يَدعهُ حَتَّىٰ يَنْظِر فِي وَرَعه؛ فَإِنْ كَان وَرَعِهِ مُوافقاً لقَوله وَعَمَله لَم يَدعهُ حَتَّىٰ يَنْظُر فِيمَا نَوىٰ بِهِ؛ فَإِنْ سَلمَت لَهُ النِّيّة فبَالحَري أَنْ يَسْلَم لهُ سَـائِر ذَلِك، إِنَّ

---

(١) ٱلنَّحْل: ١٠٥.

(٢) أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ٣/١٩٨ح ١٣٠٧١، مَجْمَع الزَّوَائِد: ١/٥٣، المُعْجَم الكَبِير: ١٠/٢٢٧ح ١٠٥٥٣، شُعَب الإِيـمَان: ١/٤١ح ٨، التَّرغِيب وَالتَّـرهِيب: ٣/٢٤٠ح ٣٨٦٠، الفِردَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ٥/١٥٣ح ٧٧٩٧، شَرح سُنَن ابن مَاجَه: ١/٢٨٦ح ٢٩٧٢، كَشْف الخَفَاء: ٢/٥٠٨ح ٣١٤٤.

المُؤمِن ليَقُول قَولاً يُوَافق قَولَه عَمله ، وَإِنَّ المُنَافق ليَقُول بمَا يَعْلَم ، وَيَعمَل بمَا يُنْكر »[١].

وَكَان مُعَاويَة يُصلّي ، وَفِي نَفس الوَقْت يُموّه عَلَىٰ أَهْل الشَّام بأَنَّ عَلِيّاً كَان يَترُك الصَّلاَة .

كَان هَاشِم المِرقَال[٢] بَطلاً شُجَاعاً ، وَمُؤمناً صَادقاً ، وَكَان مِن أَفَاضل أَصْحَاب

(١) أنظر ، حليَة الأَوليَاء : ٥ / ٢٣٠ .

(٢) هُو هَاشم بن عُتبَة بن أَبِي وَقَّاص الزُّهرِي ، المُلقَّب بالمِرْقَالَ ، وَكَانَ مَع عَليّ ﷺ يُوم صِفّين ، وَمن أشجَع النَّاس ، وَكَان أعوَر ، وهُو القَائِل :

أَعْـوَرُ يَـبغِي أهْـلَه مَـحلاً قَد عَالج الْـحَيَاة حَـتَّىٰ مَـلاّ
لا بُدّ أنْ يَغُلّ أو يُغَلّا

وَقِيل هَكذا تَرتِيب الأَبيَات كمَا وَرد فِي مرُوج الذَهب : ٢ / ٢٢ ، والطَّبَرِيّ : ٦ / ٢٢ .

قَد أَكثَروا لومِـي ومَـا أقـلّا إنّي شَرَيْتُ النَّفْسَ لَن أعـتلّا
أَعْـوَرُ يَـبغِي نَـفْسه مَـحَلاًّ لا بُـدّ أنْ يَـغُلّ أو يُـغَلّا
قَد عَالج الْـحَيَاة حَـتَّىٰ مَـلّا أشدُّهُم بِذِي الكُـعوبِ شَـلّا

وفي الطَّبَرِيّ : ٦ / ٢٤ : يَتُلهَم بذِي الكُعوبِ تَلّا .

فَقتَل مِن القَوْم تِسعَة نَفر أَو عَشرة وَحمل عَلَيْهِ الحَارث بن المُنْذِر التَنوخِي فطَعَنه فَسَقط ؛ ، وقَـد رَثاه الإِمَام عَليّ ﷺ فقَال كمَا ذَكر نَصر بن مُزاحم فِي وَقْعَة صِفّين : ٣٥٦ .

جَـزَىٰ الله خَـيراً عُـصبَةً أَسْـلمِيةً صِبَاحَ الْوُجُوهِ صرِّعوا حَوْلَ هَـاشم

وَلَكن مَا أَنْ سَقط هَاشم ؛ فأَخَذ رَايته أَبنِه عَبدالله بن هَاشم وخَطب خُطبةً عَظِيمَة وَقَالَ فِيها : إِنّ هَاشماً كَان عَبداً مِن عبَاد الله الّذين قَدّر أَرزَاقهم وكَتب آثَارهُم وَأَحصىٰ أَعْمَالَهم وَقَضىٰ آجَالهُم ، فَدعَاه رَبّه الّذي لاَ يُعصىٰ فأَجَابه ... ولهَاشم المرقَال موَاقف كَثِيرة ذكرها أبن نَصر في وَقْعَة صِفّين : ٩٢ و ١٥٤ و ١٩٣ و ٢٠٥ و ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢٥٨ و ٣٢٦ و ٣٢٨ و ٣٣٥ و ٣٤٠ و ٣٤٦ و ٣٤٨ و ٣٥٣ و ٣٥٩ و ٣٨٤ و ٤٠١ ـ ٤٠٥ و ٤٢٦ و ٤٢٨ و ٤٣١ و ٤٥٥ . وأُنظر تَرجمته في أُسد الغَابَة : ٥ / ٤٩ ، والمُسْتَدرَك : ٣ / ٣٩٦ ، وتَأرِيخ الطَّبَرِيّ : ٥ / ٤٤ ، الإِصَابَة : ٣ / ٥٩٣ ، الإِستِيعَاب بهَامش الإِصَابَة : ٣ / ٦١٦ ، وَتَأرِيخ الخَطِيب البَغدادي : ١ / ١٩٦ .

النَّبيّ ﷺ، وَصَاحب لوَاء الإِمَام يَوْم صِفِّين قَاتَل قِتالاً شَدِيداً حَتَّىٰ قُتل فِي نُصرَة الإِمَام فِي اليَوْم الَّذي ٱسْتُشهد فِيهِ عَمَّار بن يَاسر، وَفي ذَات يَوْم رَأىٰ شَابّاً يَخرُج مِن عَسْكَر الشَّام يَضْرب عَسْكَر الإِمَام بسَيفهِ ضَرْب المُسْتَمِيت، وَمِن غَير وَعي، فَأتَاه وَكَلّمهُ بهدُوء، وَقَالَ لهُ: يَا هَذَا! أَنّك تَقف مَوقفاً غَريباً، أَنْتَ مَسئُول عَنْهُ غَداً.

فَقَال لهُ الشَّاب: لَقَد قِيلَ لِي: أَنَّ صَاحبكُم لاَ يُصلّيّ!...

فَقَال لهُ هَاشِم: أَنَّهم خَدعُوك، فَعليّ وُلدَ فِي الكَعْبَة، وَأَوَّل مَن صَلّىٰ مَع الرَّسُول إِلَىٰ القِبلَة، وَقَاتَل مُعَاويَة وَأَبَاه مِن أَجْل الصَّلاَة، وَلَو رَأَيتَ عَسْكَر عَليّ فِي ظَلاَم اللَّيل لرَأَيتَ التَّهجد، وَالتَّضرع، وَالصَّلوَات، وَتلاَوة ٱلقُرْآن، فَٱقْتَنع الشَّاب، وَترك القِتَال[1].

(١) أنظر، هَذِهِ القصّة فِي تَأريخ الطَّبري: ٣/ ٩٤، وَوَقعَة صِفِّين: ٤٠٢ طَبْعَة مَصر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ١٣٥، المِعيَار وَالموَازنَة: ١٦٠، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٢٧٨.

وَهُو هَاشم بن عُتْبَة بن أَبي وَقّاص الزُّهرِي، المُلقّب بالمِرقَال، وكَانَ مَع عَليّ ؏ يُوم صِفِّين، وَمن أشجَع النّاس، وكَان أعوَر، وهُو القَائل:

أَعْــوَرُ يَــبغِي أَهْـلَه مَـحلاً　　قَد عَالج ٱلـحَيَاة حَـتَّىٰ مَـلّا
لاَ بُدّ أَنْ يَغلّ أَو يُغلَا

وَقِيل هَكَذا تَرتِيب الأَبْيَات كمَا وَرد فِي مرُوج الذّهب: ٢/ ٢٢، وَالطَّبَرِيّ: ٦/ ٢٢.

قَد أَكثَروا لَـومِي وَمَـا أَقـلَا　　إِنّي شَرَيْتُ النَّفْسَ لَن أَعـتلَا
أَعْـوَرُ يَـبغِي نَـفْسه مَـحلاً　　لاَ بُــدّ أَنْ يَــغُلّ أَو يُــغَلَا
قَد عَالج ٱلـحَيَاة حَـتَّىٰ مَـلّا　　أشدُّهُم بذِي الكُـعوبِ شَـلّا

وفي الطَّبَرِيّ: ٦/ ٢٤: يَتَلّهُم بذِي الكُعوبِ تَلّا.

فَقَتل مِن القَوْم تِسعَة نَفر أَو عَشرة وَحمل عَلَيْهِ الحَارث بن المُنْذِر التنوخِي فطَعَنه فَسَقط؛، وقَد ↔

وَقَالَ الشِّمر أَو مَن هُو عَلَىٰ شَاكلَتِهِ، قَالَ للحُسَين، وَهُـو يُـصلّي فِـي قَـلْب المَعْرَكَة قَبْل مَصْرَعه، صَلِّ يَا حُسَين، إِنّ صَلاَتك لاَ تُقْبَل»[١]. الله أَكْبَر!... لاَ يَقْبَل الله صَلاَة الحُسَين، وَيَقْبل مِن الشِّمر قَاتل الحُسَين!..

وَقَالَ ٱبْن زِيَاد حِينَ بَلَغهُ قَتْل الحُسَين: الحَمْد لله الَّذي قَتَل حُسَيناً، وَنَصر أَمِير المُؤمِنِين يَزِيد»[٢]!.. وَمَا أَكْثَر الَّذِين يَسيرُون عَلَىٰ دِين مُعَاوِيَة، وَمَبْدَأ شِمر فِي هَذَا العَصْر!!!

وَالخُلاَصَة: أَنَّ سُوء اللِّسَان يَـعم الكَـذب، وَالغِـيبَة، وَالنَّـمِيمَة، وَالسُّـبَاب، وَالفُحش، وَالإِسْتهزَاء، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِمَّا يُسـيء إِلَـىٰ عِـلاَقَات النَّـاس بَـعْضَهُم ببَعْض، أَمَّا سُـوء اليَـد، والفِـعْل فَـيَعم السَّـرقَة، وَالسَّـلب، وَالنَّـهب، وَالرِّبـا، وَالإِحْتكَار، وَالظُّلم، وَخَنق الحُرِّيَات، وَالحرُوب، وَبَيع السِّلاَح، وَشرَائه بقَصد العُدوَان وَالسَّيطرَة عَلَىٰ المُسْتضعَفِين.

رَثَاه الإِمَام عَليّ عليه السلام فقَال كمَا ذكر نَصر بن مُزاحم فِي وَقْعَة صِفِّين: ٣٥٦.

جَـزَىٰ الله خَـيراً عُـصبَةً أَسْـلمِيَةً   صِبَاحَ الْوُجُوهِ صرِّعوا حَوْلَ هَـاشِم

وَلَكن مَا أَنْ سَقط هَاشم؛ فَأَخَذ رَايَته ٱبْنِهِ عَبدالله بن هَاشم وخَطب خُطبةً عَظِيمة وَقَالَ فِـيهَا: إِنّ هَاشماً كَان عَبداً مِن عبَاد الله الَّذين قَدّر أَرزَاقهم، وَكَتب آثَارهُم، وَأَحصىٰ أَعْمَالَهُم، وَقَضىٰ آجَالهُم، فَدعَاه رَبّه الَّذي لاَ يُعصىٰ فَأَجَابه... وَلهَاشم المِرقَال موَاقف كَثِيرة ذكرهَا ٱبن نَصر فِي وَقْعَة صِفِّين: ٩٢ و ١٥٤ و ١٩٣ و ٢٠٥ و ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢٥٨ و ٣٢٦ و ٣٢٨ و ٣٣٥ و ٣٤٠ و ٣٤٦ و ٣٤٨ و ٣٥٣ و ٣٥٩ و ٣٨٤ و ٤٠١ ـ ٤٠٥ و ٤٢٦ و ٤٢٨ و ٤٣١ و ٤٥٥.

أنظر ترجمته فِي أُسد الغَابَة: ٥ / ٤٩، وَالمُسْتَدرَك: ٣ / ٣٩٦، وَتَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٥ / ٤٤، الإِصَابَة: ٣ / ٥٩٣، الإِسْتِيعَاب بهَامش الإِصَابَة: ٣ / ٦١٦، وَتَأْرِيخ الخَطِيب البَغدَادي: ١ / ١٩٦.

(١) أُنظر، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ٧١ طَبعَة أُسوَة.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٥١، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب أَمِير المُؤمِنِين عَليّ: ٢ / ٢٩٢.

أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَات الثَّلاَث الَّتي نَطَق بهَا الإِمَام تَحمل حَقَائِق بَعِيدَة الغَور، يَستَطِيع العَارف بأَسرَارهَا أَنَّ يَضع فِيهَا مُجلّداً ضَخماً. أَنَّ السَّلاَمَة الشَّامِلَة هِي أُمنيَة الشُّعُوب كُلّ الشُّعُوب، وَمِن أَجلهَا تَتكَاتف وَتُنَاضل، وَتُعقَد المُؤتمرَات، وَسَتُحَقق لاَ محَالة. سَتُقطَع أَلسُن السُّوء، وَأَيدي السُّوء، وَيُقضىٰ عَلَىٰ مُثِيري الفِتن، وَمُغتَصبي الحُقوق. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]؟ قُلْ: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2] أَلاَ تَسْتَمع إِلَىٰ الصَّيحَة بالحَقّ تَرتَفع مِن كُلّ مَكَان؟!؟!.

(١) يُونُس: ٤٨.

(٢) ٱلْبَقَرَة: ٢١٤.

العِلْم وَالخَيْر

عَنْ الصَّادِق أَنَّ النَّبيّ ﷺ قَالَ: «الْعِلْم نُور يَقْذفهُ الله فِي قَلْب مَن يُحبّ»[1].

لاَ أُريد أَنْ أَشْرح هَذَا الحَدِيث بمَا للعِلْم مِن مَنافع، وَمَا فِيهِ مِن قوّة رَافعَة للحَيَاة فِي شَتّىٰ مَيَادِينها، وأَنَّهُ سَجَّل للإِنْسَان عَظمَة مَا كَان ليَبلغهَا لَولاَ العِلْم هَذَا، وَهُو بَعد في أَوّل الطَّرِيق يَبْتَديء دَائماً مِن حَيْث اَنْتهىٰ، فَمِن الأَرْض إِلَىٰ القَمَر، ومِنْهُ إِلَىٰ الشَّمس، ومِنْهَا إِلَىٰ المِرّيخ، ومِنْهُ إِلَىٰ مَا لاَ يَحدّه خَيَال، وَلاَ نَشك أَنَّهُ سَيَتحكّم فِي طَاقَة جَمِيع الكَوَاكب، كمَا تَحكّم بقِوىٰ الأَرْض، وَسَخّر اَمكَانيَاتهَا لنَعِيمه وَسَعَادته، لاَ أُرِيد أَنْ أَبسط القَوْل فِي شَيء مِن ذَلكَ لأَنَّهُ لاَ يَكْشف للقَاريء عَن جَدِيد.

وَإِنَّما أُرِيد التَّنبيه إِلَىٰ هَذَا الرَّابط بَيْنَ العِلْم وَالخَير، بَيْنَ العِلْم وَالقِيم فَالإِسْلاَم

---

(١) أُنظر، إحيَاء عُلوم الدِّين: ١ / ٤٤، الكَافِي: ١ / ٣٠ ح ١، فَيض القَدِير شَرْح الجَامِع الصَّغِير: ٤ / ٥١٠ ح ٥٧١١، مِصبَاح الشَّرِيعَة: ١٦، المُستَرشد فِي الإِمَامة: ٩، أَوْرَدَ المَجلسي فِي بحَار الأَنْوَار: ١ / ٢٢٥ كِتَاب العِلْم بَاب ٧ ح ١٧ عَن عنوَان البَصري، عَن الإِمَام الصَّادق عليه السلام أَنّه قَالَ: لَيسَ العِلْم بالتَّعلّم، إِنّما هُو نُور يَقع فِي قَلب مِن يُرِيد الله تَبَارَك وتَعَالىٰ أَنْ يَهدية.. وَجَاء فِي مُنيَة المُرِيد: ١٦٧ الفَصْل الثَّالث البَاب الأَوَّل بِلفظ: لَيسَ العِلْم بِكَثْرة التّعلم.

بمُوجب هَذَا الحَديث يَرىٰ أَنَّ كُلّ مَا يُصلح بهِ النَّبَات، وَيُثمر بهِ الشَّجر، وَتَكثر بهِ المواشي، وَالدَّواجن فهُو خَير... وإنَّ تُقدّم الصَّنَاعَة فِي زيَادَة الغِذَاء وَالكسَاء، وَتَوزِيعهُما عَلَىٰ المُستَهلكِين خَير... وإنَّ مَعْرفَة الأَمْرَاض، وَكِيفيَة عـلاَجهَا وَالوقَايَة مِنْهَا خَير... وإنَّ تَسْهِيل المواصلاَت، وَتَيسِير نَقل السّلع مِن بَلْدٍ خَير.. كُلّ هَذِه وَمَا إِلَيهَا مِمَّا يَسد حَاجَة مِن حَاجَات الإِنْسَـان، وَيُخفف مِـن أَتـعَابه وَأَوصَابه فَهُو خَير فِي عَقِيدَة الإِسْلاَم إِذَن الأَغْـنيَاء بِـالعِلم وَأَدَواتـه الفَـنيَّة هُـم الأَغْنيَاء بالمُثل وَالقِيم الرُّوحيَة إِذَا لَمْ يَحيدُوا بالعِلْم عَن طَريقهِ الأَصِيل.

إِنَّ التَّفسخ والإِنحطَاط الخُلقي إِنّما يَكُون بـالسَّرقَة، والإِغْـتيَال، وَالرّشـوَة، وَالدَّعَارَة، وهَذِه غَالبَاً مَا يَكُون سَببهَا الفَقْر، وَالعوز، وَبالعِلم يُمكن التَّغلب عَلَىٰ عوَاقب الفَقْر وَشرُورَه.

إِنَّ مَصَائِب النَّاس لاَ يُزيلهَا العَطف وَالصَّدمَات، وَلاَ النَّصائح وَالمَوَاعظ، وَلاَ بَركَة المُعَمَمِين، وَالمُقلنَسِين، وَلاَ سيَاسَة المُتزعِمين، وَأَدَب المُـتَأدِبين، وَإِنَّـمَا يُزيلهَا العِلْم، وَمِن هُنَا قَالَ الرَّسُول الأَعْظَم: «الْعِلْم نُور يَقْذفهُ الله فِي قَـلْب مَـن يُحبّ».

وَغَريب جَدّاً أَنْ يَتَخوف الفَلاَسفَة الأَخلاَقيُون فِي هَذَا العَصْر مِن تَقَدّم العِلْم، وَيُقولُون: أَنَّ ارتقَاءه قَد مَكّن للإِنسَان قوّة عَجِيبَة جَعَلتهُ يَستَخف بجَمِيع القِـيَم الأَخلاَقيَة الَّتي حفظَت المَعَالم المَدنيَة، وَالحضَارَة الإِنْسَانِيَّة، وَيَصح هَذَا القَـوْل إِذَا كَان العِلْم مُحتكراً فِي يَد الأَشرَار المُستَعمرِين، أَمَّا وَقَد أَصْبَح العِلْم مُوزعاً بَيْنَ القِوىٰ، وَالوَعي الإِنْسَاني يَزدَاد يَوماً فَـيَوماً فَـالحَضَارَة وَالمَـدنيَة فِـي حـصنٍ حَصِين، وَعَمَّا قَرِيب سَيَقضي هَذَا الوَعي عَلَىٰ الَّذِين يُحاولُون الإِنحرَاف بالعِلْم

عَن طَرِيقهِ القَوِيم، لقَد وَجد العِلْم ليَقضي عَلَىٰ آلاَم الإِنْسَان، وَلَم يُوجد الإِنْسَان ليَقضي عَلَيهِ العِلْم. إنَّ العِلْم خَير وَنُور، فَإذَا حَاوَل مُنْحَرف أَنْ يَبْتَعد بِهِ عَن هَذِه الحَقِيقَة، وَيَسْتَعملهُ فِي الضّغن، وَالحِقد فَلاَ يَتّسع لهُ المَجَال طَويلاً، ثُمَّ يَعُود العِلْم إلَىٰ طَبعهِ وَوَضعه. لذَا قَالَ عَالِم مُجرّب: طَلَبتُ العِلْم لغَير الله فَأَبىٰ أَنْ يَكُون إلاَّ لله.

وَبالتَالي فَإذَا قَالَ الرَّسُول الأَعْظَم عليه السلام: «العِلْم نُور يَقْذفهُ الله فِي قَلْب مَن يُحبّ»[1]. فَإنّمَا يُرِيد العِلْم الَّذي يُلبي حَاجَة الحَيَاة، يُرِيد العِلْم الَّذي يَسْتَجيب لرَغبَات النَّاس، وَيُسهل العَسِير مِن مشَاكلهِم، يُرِيد مِن العِلْم مَا أَرَادَه بقَوله: «الله فِي عَون العَبْد مَا دَام العَبْد فِي عَون أَخِيه»[2].

إنَّ الله سُبْحَانَه قَد عَظّم شَأن العَامِلين لخِدمَة الإِنْسَانِيَّة، وَقَرّبهُم مِنْهُ، وَرَفعهُم مكَاناً عَلِيّاً، قَالَ الإِمَام الكَاظِم عليه السلام: «إنَّ لله عَرْشَاً لاَ يَسكن تَحْت ظلّه إلاّ مَن أَسْدَىٰ لأَخِيه مَعْرُوفاً، مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الآخِرَةِ، وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ ثَلِجَ الْفُؤَادِ»[3].

---

(١) تَقَدَّمَت تَخرِيجَاته.

(٢) أُنظر، سُنن التِّرمذي: ٢ / ٤٣٩، سُنن أَبي دَاود: ٢ / ٤٦٥، سُنن ابن مَاجَه: ١ / ٨٢، مُسْنَد أَحْمَد: ٢ / ٢٥٢، المَجمُوع: ٤ / ٢٩٣، رَوضَة الطَّالِبين: ١ / ٧٢، سُبل السَّلاَم: ٣ / ١٠٨، إعَانَة الطَّالِبين: ٣ / ٥٩، الكَافِيّ: ٢ / ٢٠٠ ح ٥، الوَافيّ: ٣ / ١١٩، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٤ / ٣٠٠ ح ٧٧٠٦ و ٨١٥٩ و: ١٢ / ٤١٢ ح ١، بحَار الأَنوَار: ٧١ / ٣١٢ ح ٦٩ نَحوه، ثوَاب الأَعْمَال: ١٣٥ ح ١، كَنْز العُمَّال: ١٥ / ٨٤٩ ح ٤٣٣٧٥، المُعْجَم الأَوْسَط: ٢ / ٢٦٩ ح ١٩٥١، مُسْنَد أَحمَد: ٢ / ٢٥٢ ح ٧٤٢١، مُسْنَد الشّهَاب: ١ / ١٣٢ ح ١٦٩، صَحِيح مُسْلم: ٤ / ٢٠٧٤ ح ٢٦٩٩، سُنن التِّرمِذي: ٤ / ٣٤ ح ١٤٢٥ و ١٩٣٠ و: ٥ / ١٩٥ ح ٢٩٤٥، سُنن أَبي دَاوُد: ٤ / ٢٨٧ ح ٤٩٤٦، السُّنن الكُبرىٰ: ٤ / ٣٠٨ ح ٧٢٨٤ و ٧٢٨٨، سُنن ابن مَاجَه: ١ / ٨٢ ح ٢٢٥، المُصنَّف لِابن أَبي شَيبة: ٥ / ٣٢٧ ح ٢٦٥٦٦.

(٣) أُنظر، الكَافِيّ: ٢ / ٢٠٠ ح ٣، بِإسْنَادِهِ عَنْ مَسْمَع أَبِي سَيَّار، الغَارَات: ٢ / ٣٦٨.

وقَالَ الإمَام زَين العَابدِينعليه السلام : « مَنْ قَضَىٰ لأَخِيه حَاجَة فبحَاجَة الله بَدَأ »[١].

وَلَستُ أَعْرف دِيناً مِن الأَديَان، وَلاَ مَبْدَأ مِن المَبَادي أَشَاد بالخِدمَة الإِنْسَانِيَّة كَالإِسْلاَم فَهي المِهنَة الشَّريفَة، وَالسَّبِيل إِلَىٰ السَّعَادَة الأَبَديَة، وَمَـاذَا بَـعْد قَـول الإمَام زَين العَابدِينعليه السلام : « فبحَاجَة الله بَدَأ » ؟!.

وَإِذَا كَانَت إِغَاثَة الفَرد بهَذِه المَنْزلَة عِندَ الله فَمَنفَعَة المَلاَيِّين أَفْـضَل وَأَعْـظَم. يَقُول عُلمَاء الأُصُول: أَنَّ لِلفظ دَلاَلتَين: إِحْدَاهُما بالمَنطُوق وَالأُخرىٰ بالمَفهُوم، فَقَوله تَعَالىٰ :﴿فَلَاتَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[٢].

يَدلُّ عَلَىٰ تَحرِيم التَّأَفُف وَالتَّبَرّم فِي وَجْه الأَبوَين بنَفْس اللَّفظ الَّذي تَنْطُق بِهِ، وَيَدلُّ عَلَىٰ تَحرِيم الشَّتم وَالضَّرب بمَا يُفْهَم فَـتَحرِيمَه أَوْلَـىٰ، إِذَن، كُـلَّمَا كَـانَت الخِدمَة الإِنْسَانِيَّة أَعَم وَأَشمَل كَان أَجرهَا عِندَ الله أَعْظَم وَأَفضَل.

↔ المُسْتَدرَك: ١٢ / ٤١٤ ح ٣، بحَار الأَنْوَار: ٧ / ١٩٨ ح ٧١ و: ٧١ / ٣٢١ ح ٨٧، و: ٧٤ / ٣٢١ ح ٨٧ و: ٧٤ / ٣٨٦ ح ١٠٥، و: ٧٥ / ٢٢ ح ٢٣، عَنْ ثَوَاب الأَعمَال: ١٧٩ ح ١، بإسْنَادِه عَنْ مَسْمَع كردِين، وعَنْهُمَا فِي الوَسَائِل: ١١ / ٥٨٧ ح ٤ مَع سقط وَزِيَادَة فِيها، الدَّعوات: ٢٧٤ ح ٧٨٤. وَقَرِيب مِنْهُ فِي كَنز العُمَّال: ١٥ / ٨٤٩ ح ٤٣٣٧٥، المُعْجَم الأَوْسَط: ٢ / ٢٦٩ ح ١٩٥١، مُسْنَد أَحمَد: ٢ / ٢٥٢ ح ٧٤٢١، مُسْنَد الشّهاب: ١ / ١٣٢ ح ١٦٩، صَحِيح مُسْلِم: ٤ / ٢٠٧٤ ح ٢٦٩٩، المُسْـتَدرك عَـلىٰ الصَّحِيحَين: ٤ / ٣٠٠ ح ٧٧٠٦ و ٨١٥٩، سُنن التِّرمِذي: ٤ / ٣٤ ح ١٤٢٥ و ١٩٣٠ و: ٥ / ١٩٥ ح ٢٩٤٥، سُنن أَبي دَاوُد: ٤ / ٢٨٧ ح ٤٩٤٦، السُّنن الكُبرىٰ: ٤ / ٣٠٨ ح ٧٢٨٤ و ٧٢٨٨، سُنن ابن مَاجَه: ١ / ٨٢ ح ٢٢٥، المُصنَّف لِابن أَبي شَيبَة: ٥ / ٣٢٧ ح ٢٦٥٦٦.

وَفِي أَسَاس البَلاَغَة: (ثَلَج فُؤادَه وَهُو مَثلُوج الفُؤاد. كمَا قَال كَعب بن لُوَي لأَخِيه عَامر بن لُوَي:

لَئِنْ كُنْتَ مَثْلُوج الفُؤَاد لَقَد بَـدَا ... لِجَمع لُوَي مِنْكَ ذلّة ذِي غَمَض

(١) أُنظر، الرّسَالَة السَّعديّة للعَلاَّمَة الحِلّي: ١٣٥، الدّر المَنْضُود لِابـن عَـليّ القَـفْعَاني: ١٠٥، وَسَـائِل الشِّيعَة: ١٦ / ٣٥٧ ح ١.

(٢) الإِسْرَاء: ٢٣.

الرَّجُل الطَّيِّب

« قَالَ: « مِن أَخْلَاق المُؤْمِنِين (الإِيْمَان) إِذَا غَضِبَ لَمْ يُدْخلهُ غَضَبهُ فِي بَاطلٍ، وَمَن إِذَا رَضِي لَمْ يُخْرجهُ رِضَاه مِنْ حَقٍّ، وَإِذَا قَدِر لَمْ يَتَعاط (يَتْنَاول) مَا لَيْسَ لَهُ »[1].

اعْتَاد كَثِير مِن النَّاس أَن يَقِيسُوا قِيمَة الرَّجُل بمَدىٰ عِلاقته بِهم، وَسلُوكه مَعْهُم، فَالطَّيِّب مَنْ سَايرهُم فِيمَا يهوُون، وَأَثْنىٰ عَلَيْهم بمَا يُحبّون، وَلو كَان كَاذبَاً وَمُرَائيَاً، وَالخَبِيث مَنْ خَالفهُم فِي الرَّأي، وَلْم يُنَاصرهُم عَلَىٰ الضَّلَال، وقَالَ وَفَعَل بمَا يُدِين، فَهُم المقيَاس الأَوَّل والأَخِير للحَقِّ، وَالمِيزَان العَادل للفَضِيلَة، أَمَّا كتَاب الله، وَسُنَّة نَبيّه، أَمَّا العَقْل وَالوجدَان، كُلّ هَذِه وَمَا إِلَيهَا لَيْسَت بشَيء مَا دَامَت لاَ تَتَّفق مَع مَا يَشْتَهُون وَيُرِيدُون.

وَمَا أَشبَه هَؤُلاَء بفِئَة مِن السَّفسطائِيِّين الَّتي تَزْعم أَنَّ المَوجُودَات الطَّبِيعيَّة تَتبع الإِعْتقَاد وجُوداً وَعَدماً، فَإِذَا اعْتَقد شَخْص أَنَّ الأَرْض فَوْق السَّمَاء، وَاعْتَقد آخر

---

(١) أُنظر، مَجْمَع الزَّوَائِد: ١/ ٥٩، المُعْجَم الصَّغِير: ١/ ١١٤ ح ١٦٤، جَامع العُلُوم وَالحِكَم: ١/ ١٤٨، شُعَب الإِيمَان: ٦/ ٣٢٠ ح ٨٣٢٩، الفِرْدَوْس بمَأْثور الخِطَاب: ٢/ ٨٧ ح ٢٤٦٦، حلية الأَوْلِيَاء: ٥/ ٣١٣، صَفوَة الصَّفوَة: ٢/ ٣٨١، الأَحْكَام للإِمَام يَحيىٰ بن الحُسَين: ٢/ ٥٠٦.

أنّ الأرض تحت السّماء، وأعتقد ثالث أنّهما متوازيان فيكون الأمر كذلك بالقياس إلىٰ كلّ واحد، وتكون الأرض فوق السّماء، وتحتها، وموازية لها في آنٍ واحد.

أمّا القياس الصّحيح للرّجل الطّيّب عندَ الإمام الصّادقعليه السلام فهو الّذي تتوافر فيه ثلاث صفات:

الأولىٰ: أنْ يقول بالعدل فيمَن يُحبّ، ويُعامله بالحقّ، ولو كان ذا قربىٰ، أمّا إذا غضّ الطّرف عن سيئاته ودافع عنها، لأنّهُ رحم أو صديق فقد وضع نفسه فوق العدالة، وسار علىٰ نهج مُعاوية الّذي نصّب ولدهُ يزيد خليفة مع عدائه لله وللإنسانيّة.

الثّانيَة: أنْ يكون لهُ مِن قوّة الإيمان، ورباطة الجأش ما يردعهُ عن فعل الحرام، وقول الزّور حتّىٰ ساعة الغضب، وأنْ يتجرّع الغيظ حرصاً علىٰ دينه، كمَن يشرب الدّواء المر أملاً بالشّفاء مِن الآلام، أمّا مَنْ لمْ يتورّع عن الكيد والدّس، والنّيل بالباطل مِن أهل الفضل أو مِمّن صارحه بالحقّ فهو الّذي عناه الله بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[1].

قالَ الإمام لوَلده الحسَنعليه السلام: «وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَىٰ مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً»[2].

وقد عمَل الحسَن بوصيّة أبيه. لمّا مات الحسَن حمل بنعشه مروان بن الحكم.

---

(١) ٱلبقرة: ٢٠٦.

(٢) أنظر، نهج ٱلبلاغة: ٱلرّسالة (٣١).

فَقَالَ لهُ الحُسَين : أتحمل بنَعْشه ، وَكُنْتُ تُجرّعه الغَيْظ ؟ !

فَقَالَ مَروَان : كُنْتُ أَفْعَل ذَلِكَ بمَن حِلْمهُ يوَازي الجِبَال ، أَو « أَنَّ حِلْم الحَسَن يوَازن بِهِ الجِبَال »[1] . .

الثَّالثَة : أَنْ يَعْتَرف بمَا عَلَيهِ مِن وَاجِب ، وَيُؤدِية عَنْ طِيب نَفْس ، وَلاَ يَطْلب مَا لَيْسَ لهُ ، وَيَرفع نَفْسَه فَوْق مَا هِي . وَعَلَىٰ هَذَا المقيَاس فَنَحنُ أَخْبَث مَنْ عَلَيهَا ؛ لأَنَّ كُلّ وَاحَد مِنّا يَطْلب أَكْثر مِن حَقّه ، وَلاَ يُؤدي بَعْض مَا عَلَيهِ .

وَبالتَالي ، فَإنَّ الرَّجُل الطَّيِّب لاَ يُثْنِيه عَنْ الحَقّ شَيء ، يَسِير عَلَىٰ وَتِيرَة وَاحدَة فِي جَمِيع أَدوَارَه وَأَطوَارَه ، فِي خَوفِهِ وَأَمْنه ، وَرِضَاه وَغَضبَه ، وَعُسرَه وَيُسرَه .

---

(١) أُنظر ، المنَاقب لِابْن شَهرآشُوب : ٣ / ١٨٤ .

كَذّب سَمْعَك وَبَصَرك

قَالَ: « المُؤْمِن أَصدَق عَلَىٰ نَفْسَه مِن سَبْعِين مُؤْمناً ».

وقَالَ لهُ قَائِل: يُبْلغني عَن الرَّجُل مِن إِخوَانِي مَا أَكرَه، فَأَسأَلهُ، فَيُنْكر، وَقَد أَخْبَرني عَنهُ الثُّقات. فَقَالَ: كَذّب سَمْعَك وَبصرَك عَنْ أَخِيك؛ فَإِنْ شَهد عِنْدَك خَمسُون قَسَامة فَصَدقهُ وَكَذّبهُم... تَأَوّل مَا تَسْتَنْكرهُ مِنهُ سَبْعِين تَأْوِيلاً..»[1].

وَقَالَ الْإِمَام عَليّ عليه السلام: « لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا ».[2]

مَا هَذَا المَنطق ؟! يُكذّب سَبعِين مُؤْمناً، وَيُصَدّق وَاحداً، بَل يُكذّب سَمعه وَبَصره، وَيُصدقه، وَكَيْفَ يُثبت الْإِسْلاَم الْأَنْسَاب، وَالْأَموَال، بَل يُثبت جَرِيمَة القَتل بشَاهدَين، وَلاَ يُثبت كَلْمَة وَاحدَة بسَبعِين ؟!.

---

(١) أنظر، وَسَائِل الشّيعَة: ٨/٦٠٩ح ٤و: ١٢/٢٩٥و: ١٦/١١١ح ٦، ثَوَاب الأَعْمَال: ٢٩٥.

(٢) أنظر، نَهج اَلبَلاَغَة: اَلحِكْمَة (٣٥٩).

وَلَيْسَ ثَمَّة مَا يَدعُو إِلَىٰ الغَرَابَة وَالدَّهشَة إِذَا عَلمنَا أَنَّ الإِسْلاَم يَحرص كُلّ الحِرص عَلَىٰ أَنْ يَعِيش النَّاس بَعْضَهُم مَع بَعْض فِي أَمنٍ وَوئَام، وَأَنْ يَتبَادلُوا الثِّقَة، وَيُعَاونُوا الصَّالِح العَامّ، لَيْسَ مِن غَرَابَةٍ إِذَا عَلمنَا أَنَّ الإِنْسَان لاَ يُمْكن أَنْ يَحل مُشكلاَته مَع غَيْرِه إِلاَّ بالطُّرق السِّلمية، وَتَرك الوَعِيد وَالتَّهدِيد، وَلاَ أَنْ يَشق طَرِيقه إِلَىٰ التَّقَدُّم إِلاَّ بِالأُلفَة وَتَرك الحَزَازَات وَالمُشَاحنَات.

وَمِن أَجل هَذَا دعَا الإِسْلاَم إِلَىٰ التَّجَاهل وَالتَّغَافل عَمَّا يُؤدي إِلَىٰ الشَّغب وَالخِصَام، وَأَمر باليَقظَة وَالحَذَر مِن أَصْحَاب المَصَائد وَالمَكَائِد الَّذِين يَسعُون فِي الأَرْض الفَسَاد، فَلاَ تَكُون حَيَاتنَا كلّها تَهَاون وَتَسَامح، أَو كلّها تَحقّيق وَتَدقِيق، بَل نَتسَامح مَع إِخوَاننَا وَجِيرَاننا حَيْث يَكُون التَّسامح فَضِيلَة، وَنَغْضَب حَيْث يَكُون الغَضَب مَرضَاة لله وَلرَسُوله.

قَالَ الجَاحظ[1]: «قَد جَمع مُحَمَّد بن عَليّ بن الحُسَين[2] صَلاَح الدُّنْيَا بحَذَافِيرهَا فِي كَلمَتَين، فَقَالَ: صَلاَح جَمِيع المَعَايش وَالتَّعَاشر مِلىء مِكيَال، ثُلثَان فِطنَة، وَثُلث تَغَافل»[3]. وَإِذَا تَأَملنَا فِي قَول الإِمَام نَجد الجَاحظ

---

(١) هُو عَمْرُو بن بَحر بن مَحبُوب الكنَاني اللَّيثي أَبُو عُثْمان الجَاحظ (١٦٣ هـ - ٢٥٥ هـ). كَبِير أَئمّة الأَدب، وَرَئِيس فِرقَة الجَاحظِية من المُعْتَزِلَة، وصَاحب التَّصَانِيف الكَثِيرة مِنْهَا كتَابه «الحَيَوَان» فِي أَرْبَعَة مُجلّدات و «البَيَان وَالتَّبيين» و «البُخلاَء» وَ «المَحاسِن وَالأَضدَاد» وغَير ذَلِكَ كمَا ذكر صَاحب الأَعلاَم الزّركلي في تَرجَمته: ٥ / ٧٤.

(٢) هُو الإِمَام الخَامس مِنْ أَئِمَّة أَهْل البَيْت، وُلد بِالمَدِينَة سَنَة (٥٧ هـ).

أنظر، المَنَاقب لِابْن شهرآشوب: ٣ / ٣٤٠، إِعلاَم الوَرىٰ: ٢٦٤، رَوضَة الوَاعظِين: ٢٤٨، مِصبَاح الطّوسي: ٥٥٧، مطَالب السّؤول: ٨١، نُور الأَبْصَار: ١٥٧، الكَافِي: ١ / ٤٦٩، وَفيَّات الأَعيَان لِابْن خِلّكَان: ٣ / ٣١٤، تَذكرة الحُفاظ للذَّهبي: ١ / ١٢٤، دَلاَئل الإِمَامة للطَّبري: ٩٤.

(٣) أُنظر، ثَلاَث رَسَائِل للجَاحظ: ٢٤١. نَشرها السَّندُوبي.

« المُجرّب » عَلَىٰ حَقّ فِي قَوْلَه : « **جَمع صَلاَح الدُّنْيَا بحَذَافِيرهَا فِي كَلمَتَين** » .

فَلَيْسَت الدُّنْيَا شَيء وَرَاء التَّعايش وَالتَّعاشر ، وَلَيْسَ الحَقّ ، وَالخَير ، وَالعَدْل إلاَّ أَنْ يَعِيش النَّاس عِيشَة تُرضي الله ، لاَ نزَاع فِيهَا وَلاَ خصَام ، بَل تَعَاون وَإِخَاء ، وَلاَ بُدّ للتَّعاون مِن العِلْم وَالحَزم ، وَللإِخَاء مِن التَّساهل وَالتَّسامح . يُحِيط بـالإِنْسَان فِي هَذِه الحَيَاة حَوَادث وَمُؤثرَات مُتنوعَة ، فَلَو سَار مَعَها عَلَىٰ وَتِيرَة وَاحِدَة لكَانَت حَالَه كحَال مَن يَصف دَوَاء وَاحد لكُلّ دَاء !... أَمَّا مَن يَحْذَر المَاكر الخَدّاع ، وَيَتسَامح مَع النَّاس البُسطَاء فَإِنَّه يَكُون طَبيباً وَحَكِيماً فِي جَمِيع حَالاَته .

قَالَ السَّيِّد المَسِيح : « كُونُوا حُكمَاء كَالحيَّات ، بُسطَاء كَالحمَام » [١] .

مَا أَرْوَع الإِسْلاَم !... فَإِنَّه يُعطي الدَّلِيل فِي كُلّ حُكم مِن أَحْكَامه عَلَىٰ أَنَّهُ دِين الحَقّ والحَيَاة ، فَلَقَد أَثْبَت الدِّمَاء ، وَالأَموَال بشَاهدَين فَقَط ، ليَردَع المُعتَدِين ، وَيَصُون لكُلّ ذِي حَقٍّ حَقّه . وَلَم يُثْبت كَلْمَة الشَّحنَاء وَالبَغضَاء بسَبعِين ، بَل وَلاَ بِالسَّمع وَالبَصر ، ليَبقَىٰ عَلَىٰ العِلاَقَات الطَّيبَة بَيْنَ النَّاس .

---

(١) أُنظر ، التَّورَاة سِفر التَّثنيَة الإِصْحَاح (٣١) مِن سِفر العَدَد وَالإِصحَاح (١٣).

الحَقّ يَجْمَع وَالبَاطِل يُفَرّق

قَالَ : «ألأَرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، تَـلْتَقِي فَـتَشامُّ كَـما تَتَشامُّ الخَيْلُ ، فَما تَعارَفَ مِنْهَا آئْتَلَفَ ، وَما تَناكَرَ مِنْهَا آخْتَلَفَ ، وَلَو أَنَّ مُؤْمِناً جَاءَ إِلىٰ مَسْجِدٍ فِيهِ أُناسٌ كَـثِيْرٌ لَيْسَ فِيْهِمْ إلاّ مُـؤْمِناً وَاحِـداً لِـمالَتْ رُوحُـهُ إِلىٰ ذَلِكَ المُؤْمِنِ حَتّىٰ يَجْلِسَ إِلَيْهِ»[1].

يَجْلس آثْنَان إِلَىٰ طَاولَة القِمَار ، وَهُما فِي صَفَاء وَوئَام ، وَقَبل أَنْ يَفْتَرقَا يَعلُو الصِّيَاح ، وَيُشهر السِّلاح ، وَيَجْتَمع آثْنَان أَو أَكْثَر عَلَىٰ مَائِدَة الخَمر وَالشَّراب فَلاَ

(١) أُنظر ، الكَافِي : ٢ / ١٦٨ ، مَن لاَ يَحضرَه الفَقِيه : ٤ / ٣٨٠ ، مُسْنَد أَحمَد بن حَنْبل : ٢ / ٢٩٥ ، عَن أَبي هرِيرَة ، جَمْهَرة الأَمثَال : ١ / ١٨٣ ، صَحِيح البُخَاري : ٤ / ١٠٤ ، المُستَدرك عَلىٰ الصَّحِيحِين : ٤ / ٤٢٠ ، شَرح صَحِيح مُسلم : ١٦ / ١٨٥ ، مَجْمَع الزَّوائد وَمَنْبع الفوَائِد : ٢ / ٣١٤ و ٨ / ٨٧ ، فَتح البَاري : ٦ / ٢٦٣ و : ١٣ / ٣٧٣ ، الأَدَب المُفرد للبُخَاري : ١٩٢ ح ٩٠٠ ، الإِخوَان لِابن أَبي الدُّنيَا : ١٤٥ ح ٧٨ و ٧٩ ، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ : ٧ / ٣٤٤ ، المُعْجَم الأَوْسَط : ٢ / ١٦١ ، مَعْرِفَة علُوم الحَدِيث للحَاكم النَّيسَابوري : ٢٥١ ، مُسْنَد الشّهاب لِابن سلاَمة : ١ / ١٨٥ ح ٢٧٣ ، كَنز العُمَّال : ٩ / ٦ ح ٢٤٦٦٠ ، تَفْسِير آبن كَثِير : ٣ / ٧٩ و : ٤ / ١٩٣ ، تَأْرِيخ بَغْدَاد : ٤ / ٩٩ ، الثِّقات لِابن حبَّان : ٨ / ٥٢٧ ، أُسد الغَابَة : ١ / ٢٣٠ ، لسَان المِيزَان : ١ / ٣٣٩ ، الإِصَابَة : ١ / ٥٣٥ ، البِدَايَة وَالنّهَايَة : ٢ / ١٣٥ ، بحَار الأَنْوَار : ٧٤ / ٢٧٣ ح ١٦ .

يفْترقُون حَتَّىٰ يَنْتهُوا إِلَىٰ شَرٍّ ، وَيَخْتَلف اللُّصُوص عَلَىٰ تَوزِيع الغَنِيمَة بَعْد أَنْ تَعَاونُوا عَلَىٰ ٱخْتلاَسها ، وَهَكذا السِّياسَة فَإِنّها فِي عَصْرنا كَاللُّصُوصيَة وَالخَمر وَالمَيْسَر ، تُجْمع فِي البدَايَة ، وَتُشتت فِي النّهَايَة ، فَقَد ٱتفقَت الكُتلَة الشَّرقيَة وَالغَربيَة عَلَىٰ (هِتْلر) حِينَ أَرَاد أَن يَبْتَلع الإِثْنتَين ، وَلَمَّا ٱنْتَهَىٰ أَمرَه قَامَت بَيْنَهُما الحَرْب البَاردَة ، وَلَم تَقْعد ، وَٱتّفقَت أَمريكَا ، وَفرنسَا ، وَٱنكلترا عَلَىٰ ٱسْتعمَار الشَّرق ، وَنَهب ثروَاته ، ثُمَّ تَنَاحرُوا فِيمَا بَيْنهُم عَلَىٰ قِسمَة المَنهُوب ، وَتسَابقُوا إِلَىٰ السِّيطَرَة عَلَىٰ الأَسوَاق ، إِذَن لاَ جَامع وَلاَ وحدَة بَيْنَ المُبطِلين مَا دَام كُلّ يَهْدف إِلَىٰ منَافعه الشَّخصيَّة .

أَنَّ التَّحَالف بدَافع المَصَالح الشَّخصيَّة لاَ يُعبّر عَن شَيء وَاقع يَمت إِلَىٰ الصَّدَاقَة بشَبَه ، أَنَّ الصَّدَاقَة مُشتّقة مِن الصِّدق ، فَهُو أَسَاسهَا وَمَصدَرهَا ، أَمّا هَدَفها فَالتَّعَاون عَلَىٰ مَا فِيهِ خَير الجَمِيع أَنَّهَا دعَامَة إِجْتمَاعيَّة ، وَعَامِل جَوهري مِن عوَامل التَّطور ، فَإِذَا ٱنتجَب النَّفع وَالرِّبح لطَرف ، وَالتَّأخر وَالإِنحطَاط للطَّرف الآخر ، كمَا نَرَاه فِي تَحَالف بَعْض دُول الشَّرق مَع الغَرب ، إِذَا كَان الأَمْر كَذَلكَ فَهي سَيطرَة وَتَبعيَة ، وَٱسْتغلاَل وَٱسْتثمَار .

لَقَد كَشَف أَهْل الْبَيْت عَن حَقِيقَة الصَّدَاقَة ، وحُدُودهَا لمُؤآخَاة فِي الله وَالبُعد عَن كُلّ شَائبَة ، فَتَحب أَخَاك لاَ حُبّاً شَخصياً ، بَل حُبّاً مَبدئياً ، تُحبّه لِمَا فِيهِ مِن صِفَات الكَمَال ، كَالعِلْم وَالصِّدق ، والإِخْلاَص وَالوفَاء ، وَيُبَادلك هَذَا الحُبّ لنَفس السَّبب ، وَعِنْدَئذٍ تَكُون الصَّداقَة مُحْكمَة الأَسَاس لاَ يَتَصدق بنَاؤها ، وَلاَ تُفْصم عُروتهَا ، لأَنَّها مُتّصلَة برُوح الله ٱتّصَال شُعَاع الشَّمس بالشَّمس ، وبِهَذَا يَتبيّن مَعْنَا السِّر للصَّدَاقَات المُؤقتَة الَّتي تُختَم بالشَّر ، وَعدَاوَة الدَّهر ، لقَد كَانَت صَدَاقَة

شَيطَانيَة ، فَنَجمَ عَنْهَا مَا يُرضي الشَّيطَان ، وَيُغْضب الرَّحْمٰن .

وَبالتَالي ، فَمَا أَرْوَع قَوْل الْإِمَام ، « . . . وَما تَناكَرَ مِنْهَا ٱخْتَلَفَ . . . » ، فَإِنَّه يُصَور النَّفعَيِّين بأَقْبح صُورَة .

السَّبُ وَاللَّعْن

قَالَ: «إِذَا تَلاَعن ٱثْنَان فَتبَاعد مِنْهُمَا، فَإِنَّ ذَلكَ مَجْلس تَنْفُر مِنْهُ المَلاَئِكَة...»

وَقَالَ: «إِذَا خَرجَت اللَّعنَة مِن فَمِ صَاحبهَا تَرَدّدت، فَإِنْ وَجدَت مَسَاغاً وَإِلاَّ رَجْعَت عَلَىٰ صَاحبهَا»[1].

وَكَتَبَ إِلَىٰ أَصْحَابه: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ»[2].

فَإِنَّ الله يَقول: ﴿وَلَاتَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ...﴾[3].

وَحَسْبك بهَذَا دَلِيلاً عَلَىٰ بَرَاءَة الشِّيعَة مِن تُهمَة السَّب وَاللَّعن، فَقْد رَوىٰ الإِمَامِيَّة عَن الإِمَام الرّضا حَفِيد الإِمَام الصَّادِق حَدِيثاً يَكْشف النّقَاب عَن سرّ هَذِه التُّهمة، قَالَ: أَنَّ مُخَالفينَا وَضعُوا أَخبَاراً فِي فَضَائلنا وَجَعلُوها عَلَىٰ ثَلاَثة أَقسَام:

---

(١) أُنظر، الكَافِي: ٢ / ٢٦٨، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٥ / ٦١١ ح ١، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٢ / ٣١١.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْخُطْبَة (٢٠٦).

(٣) ٱلأَنْعَام: ١٠٨.

أَحدهَا الغُلّو، وَثَانيهَا التّقصِير فِي أَمرنَا، وَثَالثهَا التّصرِيح بمثَالب أَعْدَائنا، فَإِذَا سَمع النَّاس الغُلّو كفرّوا شِيعَتنا وَنَسبُوهُم إِلىٰ القَول بِربُوبِيتهم، وَإِذَا سَمعُوا التَّقصِير اعْتَقدُوه فِينَا، وَإِذَا سَمعُوا مثَالب أَعدَائنَا بِأَسمَائِهم ثَلبُونا بِأَسمَائنَا، وقَدْ قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿وَلَاتَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

وقَالَ الْإِمَام زَين العَابدِين فِي الصَّحِيفَة السَّجَادِية: «أَللَّـهُمَّ وَأَتْـبَاعُ الرّسُـلِ، وَمُصدّقُوهُمْ ـ مِنْ أَهْلِ الأرْضِ... أَللَّهُمَّ وَأَصْحابُ مُحمّد خاصَّةً الّذينَ أَحْسَنُوا الصَّحابَة، وَالّذِينَ أَبْلَوُا البَلاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ، وَأَسْرعُوا إِلىٰ وِفَادَتِهِ... أَللَّهُمَّ وَأَوْصِلْ إِلىٰ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ الّذِينَ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[2].

فَأَين السَّب وَاللَّعن يَا كَاتب الخُطُوط ؟!.

قَالَ الدُّكتور زَكي مُبارك: «كَانَت أَدعيَّة زَين العَابدِين مِمَّا اهتَّم بِهِ الشِّيعَة اهتَماماً شَدِيداً، فَصححُوا روَايَاتها وَنَقدُوها، وَكَتبُوها بِالذَّهب فِي كَثِيرٍ مِنْ البُلدَان»[3].

سَبّوا وَلَعنُوا، ثُمَّ لَمْ يَجْدُوا مُبرّراً لأَنفسهم إلاّ أَنْ يَنسبُوا السَّب، وَاللَّعن إِلىٰ الشِّيعَة كذباً وَافتِرَاءً. وَلَسنَا نَعجَب مِمَّا نَقرَأهُ فِي الورَيقَات الصَّفرَاء عَن الشِّيعَة، لأَنّنَا نَعلَم أَنَّهَا بوَحي مِن أَهوَاء السِّيَاسَة، غَير أَنَّ العَجَب كُلّ العَجَب مِمَّن يُؤمِن بهَا اليَوْم، وَيَتّخذ مِنهَا مَصْدَراً لأَحكَامَه وَآرَائه.

---

(١) الْأَنْعَام: ١٠٨. أنظر، عُيُون أَخْبَار الرِّضَا: ١ / ٣٠٤، إِثْبَات الْهُدَاة: ٧٤٩، بحَار الْأَنْوَار: ٢٦ / ٢٣٩، بشَارَة الْمُصْطَفَىٰ: ٢٢١، مُسْند الْإِمَام الرِّضَا: ١ / ٢٣٨ ح ٤٣٩.

(٢) الْحَشْر: ١٠. أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة: ٩٥، الدُّعَاء الرَّابع، الصَّلَاةُ عَلَىٰ مُصَدِّقِي الرُّسُلِ، بِتَحقِيقِنَا.

(٣) أُنظر، التَّصوف الْإِسلَامِي، المُجلَّد الثَّانِي.

قَالَ رَجُل مِن الشِّيعَة للإِمَام الصَّادِق عليه السلام: «يَا آبن رَسُول الله أَنَّ النَّاس يَنسبُونَنَا إِلَىٰ عظَائِم الأُمُور، وَقَد ضَاقَت بذَلِك صدُورنَا.

فقَالَ لهُ: إِنَّ رِضَا النَّاس لاَ يُمْلَك، وَأَلسنَتهم لاَ تُضْبط، وكَيْفَ تَسلمُون مِمَّا لَم يَسْلم مِنْهُ أَنْبيَاء الله وَرُسله وَأوليَائه؟! أَلَم يَقُولُوا: أَنَّ أَيُوب آبْتلىٰ بـذنُوبه، وَأَنَّ دَاود عَشَق زَوّجة أوريَا، وَآحتَال عَلَىٰ أوريَا حَتَّىٰ قَتَله وتَزَوّج آمرَأته[1]؟! أَلَم يَنسبُوا مُوسىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ عِنيِّن؟! بَل أَلَم يَنسبُوا جَمِيع الأَنْبيَاء إِلَىٰ الكَذب، وأَنَّـهُم طُلاَّب دُنيَا؟! أَلَم يقولُوا عَن مَرْيَم بِنْت عِمْرَان: إِنَّها حَملَت بعِيْسىٰ مِـن يُـوسف النَّجَّار[2]، وَأَنَّ مُحَمَّداً شَاعر مَجنُون، وأَنَّهُ هَوىٰ آمرَأة زَيد بن حَارثَة وَلَم يَزَل بهَا حَتَّىٰ آستَخلصهَا لنَفسه؟! بَل أَلَم يَقُولوا فِي الله سُبْحَانَه مَا لاَ يُلِيق بعَظَمته[3]؟!.

(١) أنظر، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٨ / ٢٠٢.

(٢) أنظر، تَفْسِير الطَّبري: ١٦ / ٦٤، تَفْسِير آبن كَثِير: ٣ / ١١٧، تَفْسِير القُرطُبي: ١١ / ٩٣.

(٣) أنظر، الكَافِي الحَلْبي: ٤١٦.

الوَلَد البَار

قَالَ : عُقُوق الوَالدَين مِن الكَبَائِر ، وَمِن العُقُوق أَنْ يَنْظُر الرَّجُل إِلَىٰ وَالدَيه ، فَيَجّد النَّظَر إِلَيهمَا ، وَأَنْ يَقُول لَهُما ، أُفٍّ ، وَلَو عَلِم الله عزَّوجلَّ شَيئاً أَهْوَن مِنْهُ لنَـهىٰ عَنْهُ » يُشِير الإِمَام إِلَىٰ الآيَة الكَرِيمَة ﴿فَلَاتَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[1].

وَقَالَ لهُ رَجُل مِنْ شِيعَته : إِنَّ لِي أَبَوين عَلَىٰ غَيْر مَا أَعْتَقد . فَقَالَ : كُنْ بـراً بِـهمَا ، كـمَا لَـو كَـانَا عَـلَىٰ مَـا تَعْتَقد »[2].

كُلّنا يَعْلَم أَنَّ مِن حَقّ الوَلَد عَلَىٰ وَالدَه التَّعلِيم وَالإِنفَاق ، وَأَنَّ الآبَاء يُلاَقُون فِي سَبِيل أَبنَائِهم أَشَدّ الصّعُوبَات ، وَلَكن الكَثِير منَّا يَجْهَل مكَانَة الآبَاء وَمَنزلتهُم عِندَ الله ، وَقَد أَفَاض أَهْل البَيْت فِي بَيَان حـقُوق الأَبـوَين عَـلَىٰ الأَبْـنَاء ، وَوجُـوب

---

(١) الإِسْرَاء : ٢٣ .

وَقَالَ تَعَالىٰ : ﴿وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ الأَنْعَام : ١٥١ .

(٢) أُنظر ، وَسَائِل الشِّيعَة : ١٥ / ٢١٧ ح ٧ ، المُحلّىٰ : ١٠ / ١٠٨ وص : ٣٢٢ ، صَحِيح البُخَاري : ٥ / ٢٢٢٩ ح ٥٦٣١ ، فَتْح البَاري : ١٠ / ٤٠٥ ح ٥٦٢٩ ، تُحفَة الأَحوَذي : ٦ / ٢٣ .

شُكرهُم وَطَاعتهُم إلاَّ فِيمَا يُغْضب الله سُبْحَانَه، وَكَمَا قَالَ الإِمَام عَلِيّ عليه السلام: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»[1].

وَأَكْتَفي هُنَا بنَقل فقرَات مِن دُعَاء الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام المَذْكُور فِي الصَّحِيفَة السَّجَّاديَة. وَقَد رَوىٰ هَذِه الصَّحِيفَة الزَّيديَّة وَالإِثْنَا عَشريّة، وَهِي أَثمَن تُرَاث إِسْلاَمي بَعْد القُرْءَان، وَنَهج البَلاَغَة عَلَىٰ الإِطْلاَق، وَمَا قَرأهَا إِنْسَان مِن أَي لَون كَان إلاَّ نَقَلتهُ إِلَىٰ أجوَاء يشْعر مَعْها بنَشوَة لاَ عَهْد لأَهْل الأَرْض بمِثلهَا، وَمُنذ اطَّلعتُ عَلَيهَا احْسَستُ بدَافع قَهري يَسُوقني إِلَىٰ التَّفكِير فِي كَلمَاتها، وَالكتَابَة عَنْهَا، وَالدَّعوَة إِلَيهَا، وَنَشرهَا بَيْنَ جَمِيع الطَّوَائِف، فَكَتبتُ عَنْهَا فَصلاً فِي كتَاب «مَع الشِّيعَة الإِمَاميَّة» بعُنوَان مُنَاجَاة، وَآخر فِي كتَاب «أَهَل البَيْت» بعُنوَان مِن تَسْبِيحَات الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام، وَثَالثاً فِي كتَاب «الإِسْلاَم مَع الحَيَاة» بعُنوَان العزّ الظَّاهر وَالذّل البَاطن، وَرَابعاً فِي كتَاب «الآخرَة والعَقْل» بعُنوَان الله كَرِيم، وَاهدَيتها إِلَىٰ عَدَد مِن شيُوخ مَصْر، وَفلسطِين، وَلُبنَان، وإِلَىٰ غِبطَة البَطرِيَارك المَاروني بُولس المَعوشي، وَرَأيته بَعْد الإِهدَاء بأَيَّام، فَشَكرني عَلَىٰ الهَديَة.

فَقُلتُ لهُ: مَا الَّذي اسْتَوقفَ نَظركُم فِيهَا؟

فَقَالَ: قَرَأتُ دُعَاء الإِمَام لأَبوية فتَرك فِي نَفْسي أَثراً بَالغاً.

وَمَن الَّذي يَقرأ قَول الإِمَام: «أَللَّهُمَّ اجعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ، وَأَبَرُّهُمَا بِرَّ الأُمِّ الرَّءُوفِ، وَاجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وَبِرِّي بِهِمَا أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وَأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ حَتَّىٰ أُوثِرَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا، وَأُقَدِّمَ

(١) انظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (١٦٤).

عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ ، وَأَسْتَقِلَ بِرّي بِهِمَا وَإِنْ كَثُرَ »[١] .

مَن الَّذي يَقرَأ هَذَا القَوْل ، وَلاَ يَترك فِي نَفْسَه أَعْمَق الآثَار ؟ ! . . .

يَهَابهُما هَيبَة السُّلطَان العَسُوف مَع مُخَالطَته لَهُما ، وَدنُوه مِنهُمَا ، وَعِلْمه بأَنَّهُما أَرأَف بهِ مِن نَفْسَه . أَنَّهَا هَيبَة التَّعظِيم وَالتَّوقِير ، لاَ هَيبَة الخَوف مِن الحِسَاب وَالعِقَاب ، هَيبَة الأبوّة الَّتي لاَ يُقدرهَا إِلاَّ العَارفُون . « أَنَّ فَاطِمَة بِنْت رَسُول الله قَالَت : دَخَلتُ عَلىٰ أَبي ، فَمَا اَستَطعت أَنْ أُكلمهُ مِنْ هَيبَته ، وأَنَّ عَلِيّاً قَالَ : دَخَلتُ عَلىٰ رَسُول الله وكَانَت لَهُ هَيبَة وَجَلاَل ، فَلَمَّا قَعدتُ بَيْن يَدَيه أُفْحِمت ، فوَالله مَا اَستَطعت أَنْ أَتكَلم »[٢] .

عَليّ عَلىٰ شَجَاعته وَجُرأَته يَهَاب الرَّسُول ، وهُو مِنْهُ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ[٣] ، وَفَاطِمَة تَهَاب أَبَاهَا ، وَهِي بضْعَته ، وَقَدْ اَعتَادت عَطْفَه وَحَنَانه ، وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لجَلاَل النُّبوَّة .

وَلاَ شَيء عِندَ الأَبوَين أَغلاَ وَأَثمَن مِن بِرِ الإِبْن بِهمَا ، عَلَىٰ الرَّغم مِن أَنَّهُ وَفَاء لبَعْض مَا لَهُما مِن ديُون . أَنَّهُما يَسعدَان بهَذَا البِر سَعَادَة الغَارس بثَمرَات غَرْسه ، بَل سَعَادَة العَالم بِإكْتشَاف أَسرَار الكَون ، وَبهَذِه السَّعادَة نَفْسهَا يَشعر الإِبْن البَار إِذَا

---

(١) أنظر ، الدُّعَاء الرّابع وَالعُشرُون (دُعَاؤُه لِأَبويْهِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة . بتَحقِيقنَا .

(٢) أُنظر ، ذَخَائر العُقبىٰ : ٢٧ ، مُستَدرك سَفِينَة البحَار : ١٠ / ٥٧٩ ، كَنز العُمَّال : ١٣ / ٦٨٣ ح ٣٧٧٥١ ، البدَاية وَالنّهاية : ٣ / ٤١٨ ، المَنَاقب للخوَرزمي : ٣٣٥ .

(٣) قَالَ أَمِير المُؤمِنِين فِي خُطْبَتِهِ المَعرُوفَة بِالقَاصعَة : « وَقَدْ عَلِمتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ . وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ » . أُنظر ، نَهج البَلاَغَة : اَلخُطْبَة (١٩٢) .

تأكّد من سَعَادَة أَبوَيه به، وَرضَاهما عَنْهُ، ثُمَّ اقرأ مَعي هَذِه الكَلمَات للإمَام:

«أَللَّهُمَّ وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَسْرَفَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ ضَيَّعَاهُ لِي مِنْ حَقٍّ، أَوْ قَصَّرَا بِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَهُمَا، وَجُدْتُ بِهِ عَلَيْهِمَا وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعَتِهِ عَنْهُمَا، فَإِنِّي لاٰ أَتَّهِمُهُمَا عَلَىٰ نَفْسِي، وَلاٰ أَسْتَبْطِئُهُمَا فِي بِرِّي، وَلاٰ أَكْرَهُ مَا تَوَلَّيَاهُ مِنْ أَمْرِي يَا رَبِّ. فَهُمَا أَوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ، وَأَقْدَمُ إِحْسَاناً إِلَيَّ، وَأَعْظَمُ مِنَّةً لَدَيَّ مِنْ أَنْ أُقَاصَّهُمَا بِعَدْلٍ، أَوْ أُجَازِيَهُمَا عَلَىٰ مِثْلٍ، أَيْنَ إِذاً يَا إِلَهِي طُولُ شُغْلِهِمَا بِتَرْبِيَتِي وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِي وَأَيْنَ إِقْتَارُهُمَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلاٰ أُدْرِكُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَهُمَا، وَلاٰ أَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا»[1].

الحَقّ مَا كَان لَكَ، وَالوَاجب مَا كَان عَلَيكَ، وَكلاَهُما ثَقِيل الوَطأَة، وَمِن هُنَا تَفْسد العلاَقَات بَيْنَ النَّاس، تَقْصر فِيمَا يُلزمُك أَداؤه فَتمنَع مِمَّا لَكَ ٱسْتِيفَاؤه، وَلَكن هَذَا المَنْطق لاَ يَجُوز تَطْبِيقه بحَالٍ عَلَىٰ علاَقَة الإِبْن بالأَبوَين، فَلَو أُفترض أَنَّ الأَبوَين تَعَدّيا وَقصّرا فِي وَاجبك فَإِنَّ حَقّهُما عَلَيكَ طَبِيعي لاَ يُسقطهُ شَيء، وَكَبِير لاَ يُعَادلهُ شَيء، فَلَقَد تَحمّلا الضّيق وَالشّدّة لتَكون فِي سعَة، وَالتّعب وَالعَنَاء لتَكُون فِي رَاحَة، وَالذّل وَالهَوَان مِن أَجْل سعَادتك، وَكَم رَأَينا مِن الآبَاء ـ عَلَىٰ مكَانَتهم الدِّينيَّة ـ يَجرأُون عَلَىٰ ٱرتكَاب الحَرَام، وَٱقْتحام المَعَاصي مِن أَجْل أَبْنَائهم؟!. وَبَعد هَذَا كلّه يَتّهم الإِبْن أَبَاه فِي أَمرٍ مِن أُمورَه؟!...

أَنَّ شبَاب الجِيل المُثقف يَرون لهُم كُلّ حَق عَلَىٰ الآبَاء، وَلاَ وَاجب عَلَيْهم لأَبٍ وَأُمّ، وَأُقدّم مَثلاً وَاحَداً عَلَىٰ ذَلِكَ مِن حَيَاة الكَاتِب الشَّهير أَحْمَد أَمِين المَصْري،

---

(١) أُنظر، الدُّعَاء الرَّابع وَالعُشرُون (دُعَاؤُه لِأَبويْه) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتَحقِيقنَا.

قَالَ فِي كتَابه « حَيَاتي » :

وَأُقدّم مَثلاً وَاحداً عَلَىٰ ذَلكَ مِن حَيَاة الكَاتِب الشَّهِير أَحمَد أَمِين المَصْري ، قَالَ فِي كتَابِهِ « حَيَاتي » :

« كُنتُ أَمشي عَلَىٰ رِجلي مِن بَيْتي إِلىٰ ، وَأَعُود مِن المَدرَسَة أَحمل مَا يُبْهضني حَمْله ، وَكَان أَبي رَحمَه الله تَعَالىٰ أَلف أَلف مرّة لاَ يُعَلّمني لأَنّه مِسكِين لاَ يَعْرف القِرَاءَة وَالكتَابَة ، فَأَصبَحت أُعلم أَولاَدي فِي رِيَاض الأَطْفَال ، وَلاَ يُعجبهُم أَنْ يَركبُوا الأَوتوبِيس ، وَيَطلبُون سيَارَة خَاصّة ، فصَار أَبنَائي يَغضبُون مِن الكَلْمَة الخَفِيّة ، وَالعتَاب المُؤدب ، وكُنْتُ لاَ أُؤاخذ أَبي عَلَىٰ حِرمَاني مِن الضَّروريَات فَصَار أَبنَائي يُؤاخذُونني عَلَىٰ حِرمَانِهم مِن الإِسرَاف فِي الكَمَاليَات . . . »

وَبالتّالي ، فَإِنَّ لَفظ أَب يُوحي مَعْنىٰ الإِحترَام وَالحُبّ ، وكُلّ ابن مَسئُول عَن تَعظِيم أَبيه ، والإِخْلاَص لهُ أَمَام الله ، والنَّاس ، وَالضَّمِير .

وَأَولاَد أَحْمَد أَمِين هَؤُلاَء مِنْهُم مَن يَحْمل شهَادَة الإِخْتصَاص فِي الحقُوق ومِنْهُم ليسَانس فِي الهَنْدَسَة ، وَرُبّما كَانُوا أَخف وَطأَة عَلَىٰ أَبيهِم مِن كَثِير مِن الأَوْلاَد . ونَحنُ مَع اعْترَافنا بأَنَّ الزّمَان قَد تَغيّر ، وَأَنّ كُلّ شَيء مَردّة إِلَىٰ القَوَانِين العَامّة لحَركَة التَّأرِيخ . وَأَسبَابه إِجْتمَاعيّة فَإِنّنا لاَ نَجد سَبباً لهَذَا الغُلوّ الَّذي نَرَاه اليَوْم فِي عقُوق الإِبْن لأَبِيه ، وَنَظره إِلَيه عَلَىٰ أَنّهُ بَقرَة حَلُوب ، وَآله صَمّاء لتَحقّق مَآربه ، وَلاَ أَجد سَبباً لهَذَا الغُلوّ الّذي أَرَاه اليَوْم فِي عقُوق الإِبن لأَبِيه ، وَنَظره إِلَيه عَلَىٰ أَنّهُ بَقرَة حلُوب ، وَآلَة صَمّاء لتَحقّق مَآربه ، لاَ سَبَب لذَلِك إِلاّ الإِتّكاليَة ، وَإِلاّ ضَعف الهِمَة ، وَإِلاّ التَّأنث وَالتّخنث . لذَا أَجد البطُولَة فِي بِيئَة العَوز ، وَاليُتم حَيْث لاَ يَجد الأَبْنَاء سَبباً للإِعتمَاد عَلَىٰ الآبَاء . يَنْعىٰ شبَابنَا عَلَىٰ الجمُود وَالرَّجعيَة ، وَهل

مِن جمُود أَسوَأ مِن اتّكَال مَخلُوق عَلَىٰ مَخلُوق مِثْله ؟! وَهَل مِن رَجعيَة أَقْبَح مِن التَّبعيَة، وَالسَّير فِي ركَاب كُلّ مَن سَلَب وَغلب، وَالْإِنْدفَاع مَع الْأَهوَاء وَالمَنَافع الشَّخصيَّة.

وَبالتَالي، فَإِنَّ لَفظ أَب يُوحي مَعْنىٰ الْإِحْترَام، وَالحُبّ، وَكُلّ ابن مَسئُول عَن تَعْظِيم أَبِيه، وَالْإِخْلاَص لهُ أَمَام الله، وَالنَّاس وَالضَّمِير.

الشَّفَاعَة

قَالَ: «لَيْسَ بَيْنَ الله وبَيْنَ أَحْد مِن خَلْقِهِ مَلَك مُقَرّب، وَلاَ نَبيّ مُرسَل، لاَ مِن دُون ذَلكَ مِن خَلْقِهِ كُلّهم إلاَّ طَاعَتهُم لَهُ، فَإجْتَهدُوا فِي طَاعَة الله إنْ سرّكُم أَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِين حَقّاً»(١).

وَقَالَ الْإِمَام عَليّ عليه السلام: «إِنَّ مَحَاسِن الأَخْلاَق صِلَة بَيْنَ الله وَعِبَاده...».

نَقل الشِّيعَة الإِمَاميَّة عَنْ أَئمّتهم أَحَادِيث كَثِيرَة المَعْنىٰ تَجَاوزَت حَدّ التَّوَاتر وَمَع هَذَا نَجد مَنْ يَفْتَري الكَذب عَلَىٰ الحَقّ، وَيَنْسب دُون خَجَل وَلاَ حَيَاء إِلَىٰ الشِّيعَة أَنَّهُم يَعْتَبرُون أَئِمّتهم آلهَة أَو أَنْصَاف آلهَة.

أَنَّ الشِّيعَة يَعْتَقدُون أَنَّ العَمَل الصَّالِح هُو السَّبِيل إِلَىٰ مَرضَاة الله، وَأَنَّ الصِّلَة بَيْنَ الله وَعِبَاده مَحَاسن الأَخْلاَق كمَا قَالَ الإِمَام عَليّ عليه السلام، أَمَّا الأَئمّة فِي عَقِيدَة الشِّيعَة فَهُم المَفْزَع فِي الدِّين، وَالمَلجَأ فِي مَعْرفَة الأَحْكَام، وَالحَلاَل وَالحَرَام.

وَتَجْدُر الإِشَارَة هُنَا إِلَىٰ أَنَّ المُسْلِمِين كَافّة ٱتّفقُوا عَلَىٰ ثبُوت الشَّفَاعَة لنَصّ

---

(١) أنظر، حليّة الأَوْليَاء: ١٠ / ٧١، بحَار الأَنوَار: ٢٥ / ٣٦٦، بصَائِر الدّرجَات: ٤٧٨.

القُرءان عليها، ثمَّ اختلفوا: هل تكون للعاصين، أو للمطيعين فقط[1]؟.

(١) لقد أرسل الله الأنبياء، والرسل مبشرين، ومنذرين، وبعثهم للخلق رحمة، وهداة للناس أجمعين، ثم أرسل على فترة منهم رسولاً عظيماً، ونبياً رحيماً، يحرص على هداهم رحمة بهم، ويدعوهم إلى ما فيه سعادتهم، وحياتهم شفقة عليهم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨، وما كانت هذه الشفقة، ولا تلك الرحمة إلا من فيض العطايا الربانية والمنح الإلهية التي جاد بها على رسول الله ﷺ لخير الإنسانية، وسعادة البشرية ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ الإسراء: ٢٠، ولذلك فإنها تضاعف وتزداد في الآخرة إكراماً لنبيه، وتقديراً لسمو منزلته، ورحمة منه لعباده عزّ وجلّ ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٣، وإذا كان يوم القضاء، واشتد الكرب، وهال الأمر، وعظم الموقف، وتمنى الخلائق أن لو انصرفوا من شدة هذا الهول، وجلال القيامة، وزلزلة الساعة، وفزع الناس إلى الأنبياء والرسل، وأحالوهم بدورهم على نبي الرحمة، وشفيع الأمة، ومغيث الخلائق، تجلت الرأفة، وتدفقت الشفقة، وتحركت العواطف للأخذ بيد المتوسلين، وإنقاذ المستشفعين، والإستجابة للمستغيثين، ولا عجب فإنه كعبة الفضل، وقبلة الرجاء، وغاية الأمم، ومحط الآمال، فالتوجه، والإستغاثة، والإستشفاع به ﷺ، وبغيره من الأنبياء، والأولياء، والصالحين ليس له عند المسلمين، وفي قلوبهم غير ذلك المعنى المشار إليه: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ الزمر: ٤٤، إنه لم يعطها لما عبد من دونه، ولا لمن عبد وكان راضياً، فالقصر في هذه الآية إضافي، المراد منه نفي شفاعة الأوثان في عابديها، ونفي شفاعة جميع المعبودين في عابديهم.

فقد روى أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر» وروى البزار، والطبراني عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك تعالى فيقول: قد رضيت يا محمد؟ فيقول: إي ربي رضيت».

أنظر صحيح مسلم: ١ / ١٣٤ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده طبعة مصر، والمستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي: ١ / ٦٦ طبعة دار المعرفة / بيروت لتجد الكثير عن بحث الشفاعة.

وأنظر، السيرة النبوية لإبن هشام: ٢ / ٥٩ / دار إحياء التراث العربي بيروت، تهذيب سنن أبي ↔

قَالَ المُعْتَزِلَة: أَنَّ شَفَاعَة النَّبيّ ﷺ تَكُون للمُؤْمِنين المُطِيعِين فَقط، وذلك بأَنْ يَطْلب لهُم زِيَادَة الثَّوَاب، أَمَّا العَاصُون مِن المُسْلِمِين فَلاَ تَنَالهُم الشَّفَاعَة أَبداً، وَاستَدلُوا بقَوله تَعَالىٰ: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[1].

وَقَالَ الشِّيعَة، وَالأَشَاعِرَة، وَالمُرجِئَة: أَنَّ رَسُول الله يَشْفَع للعَاصِي مِن أُمَّـته، وَقَد جَمعُوا بَيْنَ مَا دلّ فِي القُرءَان عَلَىٰ نَفي الشَّفَاعَة كَالآيَة السَّابقَة، وَمَا دلّ فِي ثبُوتها، كَقَوله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[2].

جَمعُوا بَيْنهُما بعَدَم الشَّفَاعَة للكُفَّار، وَثبُوتهَا للمُؤْمِنين[3].

↔ دَاود / بَاب الشَّفَاعَة، ح ٤٧٣٠. وَقَد تَضمنَت أَحَادِيث الشَّفَاعَة خَمسَة أَنوَاع مِن الشَّفَاعَة، وَهِي:

«١» الشَّفَاعَة الْعَامَّة الَّتي يَرغب فِيهَا النَّاس إِلىٰ الأَنبِيَاء، نَبياً بَعد نَبِي حَتَّىٰ يُريحهم الله مِن مقَامهِم.

«٢» الشَّفاعَة فِي فَتْح الْجَنَّة لأَهلهَا.

«٣» الشَّفاعَة فِي دخُول مَن لاَ حسَاب عَلَيْهِمْ الْجَنَّة.

«٤» الشَّفاعَة فِي إِخرَاج قَوْم مِن أَهْل التَّوحِيد مِن النَّار.

«٥» الشَّفاعَة فِي تَخفِيف العَذاب عَن بَعْض أَهْل النَّار.

ويَبقىٰ نَوْعَان يَذكرهُما كَثِير مِن النَّاس:

«أ» الشَّفاعَة في قَوْم اَستوجبُوا النَّار فَيُشفع فِيهِمْ أَنْ لاَ يَدخلوهَا. وهَذَا النَّوْع لَم أَقـف إِلىٰ الآن عَلىٰ حدِيث يَدل عَلَيْهِ، وأَكثَر الأَحَادِيث صَرِيحة فِي أَنّ الشَّفاعَة فِي أَهْل التَّوحِيد مِن أَربَاب الكَبَائر، إِنَّما تكُون بَعد دخُولهم النَّار، وَأَمَّا أَنْ يَشفع فِيهِمْ قَبل الدّخول فَلاَ يَدخلُون، فَلَم أَظفر فِيهِ بنَصّ.

«ب» شَفاعَته ﷺ لقَوم مِن الْمُؤمِنِينَ فِي زِيَادَة الثَّوَاب، وَرفعَة الدَّرجَات، وَهَذَا قَد يُستدل عَلَيْهِ بدُعَاء النَّبيّ ﷺ لأَبي سَلمَة وقَوْله ﷺ «اَللَّهُمَّ اَغفر لأَبي سَلمَة، وَاَرفَع دَرجَته فِي المَهديِّين».

(١) غَافِر: ١٨.

(٢) الأَنبِيَاء: ٢٨.

(٣) أُنظر، مَجمُوعَة فِي عِلْم الكَلاَم، المُرتَضىٰ: ٦٧، نَشرهَا مُحمَّد حَسَن آل يَاسِين. وَثَورَة زَيد بن عَليّ، نَاجي حَسَن: ١٩٥ ـ ١٩٩، شَرح مُصبَاح العُلُوم فِي مَعرِفَة الحَي القَيُّوم: ٢١٠، شَرح الثَّلاَثِين مَسأَلة ↔

وَالَّذي أَرَاه وَأَعْتَقده أَنَّ النَّبيّ ﷺ لاَ يَشفع لِمَن ظَلم إِنسَاناً، وَٱعْتَدىٰ عَلَىٰ حَقّ مِن حقُوق النَّاس، وَلاَ لِمَن خَرَج عَن الْإِيْمَان بقَولٍ أَو فَعَلٍ، وَيَشفَع لِـمَن ظَـلم نَفْسَه، وَتَهَاون فِي حُكمٍ مِن الْأَحكام بَيْنَه وبَيْنَ رَبّه، وَلَم يَعْتَد عَلَىٰ أَحَد أَبدَاً بقَولٍ أَو فَعَلٍ، وَيَشهَد لذَلِكَ الحَدِيث الشَّرِيف: «صِنْفَان لاَ تَنَالهُما شَـفَاعتِي، سُـلطَان غَشُوم عَسُوف، وَغَالٍ فِي الدِّين مَارِق مِنْهُ، غَيْر تَائِب، وَلاَ نَازِع»(١).

وَالزَّاني خَارج عَن الْإِيْمَان، كمَا جَاء فِي الحَدِيث المُتّفق عَـلَيهِ بَـيْنَ السُّـنَّة والشِّيعَة، وَهُو «لاَ يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وَهُو مُؤْمِن، فَإِذَا فَعَل ذَلِكَ خَلَعَ عَـنْهُ الْإِيْمَانَ كَخلْعَ القَمِيصِ»(٢).

وَقَد تَكلّم عُلمَاء المُسْلِمِين مِن السُّنَّة والشِّيعَة، وَأَكـثَرُوا حَـول مَـعْنىٰ هَـذَا الحَدِيث، وَعَدّوه مِن المُتشَابهَات وَالمُشكلاَت، لأَنَّهُ يَدل صَرَاحَة عَلَىٰ أَنَّ الزَّاني خَارج مِن الْإِيْمَان، مَع أَنَّ المُسْلِمِين جَمِيعَاً يُعَاملُونه مُعَاملَة المُسْلِم مِن الزَّوَاج وَالتَّوَارث، والصَّلاَة عَلَىٰ جنَازَته وَدَفنه فِي مقَابرهُم، وَلَم أَر تَفْسِيرَاً تَـركُن إِلَـيه

↔ فِي عَقَائِد الزَّيدِيَّة لإِبرَاهِيم بن يَحْيَىٰ السَّحولِي. الأَسَاس فِي عِلم الكَلاَم عِند الزَّيدِيَّة: ١٥٠. الأُصُول الثَّمَانِيَّة: ٤٣. كتَاب الأُصُول: ١٠. الإِصْبَاح عَلَىٰ المِصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح: ١٣٩.

(١) أنظر، مَجمَع الزَّوَائِد: ٥ / ٢٣٥. الدُّر المَنثُور: ١ / ٣٥٢. الكَافِي: ٢ / ٣٧٢. مَن لاَ يَحضَره الفَقِيه: ٣ / ٤٠٨. الوَسَائِل: ١٤ / ٤٢٦. بحَار الأَنْوَار: ٢٥ / ٢٦٥. قُرب الإِسنَاد: ٦٤.

(٢) أنظر، صَحِيح البُخَاري: ٢ / ٨٧٥ ح ٢٣٤٣. صَحَيح مُسْلِم: ١ / ٧٦ ح ٥٧. مُسْنَد أَحْمَد: ٢ / ٢٤٣ ح ٧٣١٦. صَحِيح أَبن حِبّان: ١ / ٤١٤ ح ١٨٦. سُنن التِّرمذي: ٥ / ١٥ ح ٢٦٢٥. سُنَن الدَّارمـي: ٢ / ١٥٦ ح ٢١٠٦. مَجْمَع الزَّوَائِد: ١ / ١٠٠. السُّنن الكُـبرىٰ: ٣ / ٢٢٧ ح ٥١٦٩. سُـنَن البَـيهَقي الكُبرىٰ: ١٠ / ١٨٦. سُنن أَبي دَاود: ٤ / ٢٢١ ح ٤٦٨٩. سُنن النَّسَائي: ٨ / ٦٣ ح ٤٨٦٧. سُنن أَبن مَاجه: ٢ / ١٣٩٨ ح ٣٩٣٦. المُعْجَم الأَوسَط: ١ / ١٧٠ ح ٥٣٤. الكَافِي: ٢ / ١١٦. وَسَائِل الشِّيعَة: ١٥ / ٣٢٥. نَوَادر الأُصُول فِي أَحَادِيث الرَّسُول: ١ / ٣٦٨.

النَّفس[١].

وَالحَقِيقَة أَنَّ مَن نَطَق بالشّهَادتَين ، وَقَالَ : « لاَ إِله إِلاّ اللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله » .

لهُ اْعتبَارَان :

أَحَدهُما : يَعُود إِلَىٰ مُعَاملتنَا نَحْنُ لهُ فِي الدُّنْيَا .

وَالثّاني : يَرجَع مُعَاملَة الله لهُ فِي الآخرَة ، أَمَّا نَحْنُ فَيَجب أَنْ نُعَاملهُ مُعَاملَة المُسْلِم مِن الزَّوَاج وَالتَّوَارث ، وَمَا إِلَىٰ ذَاكَ ، مَهْمَا تَكُن أَفْعَاله ، وَيَشْهَد بِذَلِكَ

(١) وَلله أَنْ يَعفو ، وَيَتَفضل ، وَلاَ يَجور ، وَلاَ يَظْلم ، لأَنَّه تَعَالىٰ مُنزّه عَن ذَلِكَ ، وَلاَ يَفرض الله عزَّوجلَّ طَاعَة مَن يَعلم أَنَّه يَضلّهم ، وَيَغويهم ، وَلاَ يَختَار لرِسَالتِهِ ، وَلاَ يَصْطفي مِن عِبَادة مَن يَعلم أَنَّه يَكفر بِهِ ، وبعِبَادَته وَيَعبد الشّيطَان دُونَه ، وإِنّ الإِسْلاَم غير الإِيمَان ، وكُلّ مُؤمِن مُسلم ، ولَيْسَ كُلّ مُسلم مُؤمِن ، وَلاَ يَسرق السّارق حِين يَسرق وَهُو مُؤمِن ، وَلاَ يَزني الزّاني حِين يَزْني وَهُو مُؤمِن ، وأَصحَاب الحدُود مُسلمُون لاَ مُؤمنُون ، وَلاَ كَافرُون . والله تَعَالىٰ لاَ يُدخل النّار مُؤمِناً ، وَقَد وَعده الجنَّة ، وَلاَ يَخرج مِن النَّار كَافراً وَقَد وَعدَه النّار ، والخُلود فِيهَا ، وَلاَ يَغفر أَنْ يُشرك بِهِ ، وَيَغفر مَا دُون ذَلِكَ لمَن يَشَاء ، وَمُذنبُوا أَهْل التَّوْحِيد لاَ يُخلدُون فِي النّار ، وَيَخرجُون مِنْهَا ، والشَّفَاعَة جَائِزة لهُم ، وإِنّ الدّار اليَوم دَار تَقيّة وهِي دَار الإِسْلاَم لاَ دَار كُفر ، ولاَ دَار إِيمَان والأَمر بالمَعروف ، والنّهي عَن المُنكر وَاجبَان إِذَا أَمْكَن ، وَلَم يَكن خِيفَة عَلَىٰ النّفس ، والإِيمَان هُو أَدَاء الأَمَانَة وَاْجتنَاب جَمِيع الكَبَائر ، وَهُو مَعْرِفَة بالقَلب ، وإِقرَار باللّسَان ، وَعَمل بالأَركَانَ . . . ويُؤمِن بعذَاب القَبْر ، ومُنكَر ، وَنَكِير ، والبَعث بَعْد المَوت ، والمِيزَان ، والصِّراط ، والبرَاءة من الَّذِين ظَلموا آل مُحَمَّد ﷺ وهَموا بإخرَاجهم ، وَسَنّوا ظُلمهم ، وغَيروا سُنَّة نَبيّهم ﷺ ، والبرَاءة مِن النّاكثِين ، والقَاسطِين ، والمَارقِين الَّذِين هَتكوا حجَاب رَسُول الله ﷺ ونَكثوا بَيعَة إِمَامهم ، وأَخرجوا المَرأة ، وحَاربوا أَمِير اْلمُؤمِنِين عليه السلام ، وَقَتلوا الشّيعَة المُتّقِين رَحمة الله عَلَيْهم وَاجبة ، والبرَاءة مِمَّن نَفَىٰ الأَخْيَار ، وشَردهُم ، وآوىٰ الطُّردَاء اللّعناء ، وَجَعل الأَموَال دولَة بَيْنَ الأَغنِيَاء . وَاْستَعمل السُّفهَاء مِثل مُعَاوِية ، وَعَمرو بن العَاص لعِينِي رَسُول الله ﷺ ، والبرَاءة مِن أَشيَاعِهم ، والَّذِين حَاربوا أَمِير اْلمُؤمِنِين عليه السلام ، وَقتلوا الأَنْصَار ، والمُهَاجِرين ، وَأَهْل الفَضل ، وَالصّلاح مِن السّابقِين ، والبرَاءة مِن أَهْل الاِستِيثَار ، ومِن أَبِي مُوسىٰ الأَشعري وَأَهْل وِلاَيتة : ﴿اْلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى اْلْحَيَوٰةِ اْلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُوْلَـٰٓئِكَ اْلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ ، اْلكَهْف : ١٠٤ ـ ١٠٥ .

مُعَاشَرَة النَّبيّ ﷺ مَع المُنَافِقِين المُظهرِين للإِسْلاَم مَع عِـلْمه بكِـذبِهم وَنـفَاقِهم، وقَوْلَه مَن قَالَ: « لاَ إِلٰه إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ حُرم مَالهُ وَدَمُهُ ».

أَمَّا مُعَاملَة الله فِي الآخرَة فحُكمَه حُكْم مَنْ لَمْ يُؤمِن بالله، وَلاَ بالرَّسُول، وَلاَ باليَوْم الآخر، كمَا صَرّح الحَدِيث مِـن أَنَّ الزَّانـي: « خَـلَعَ عَـنْهُ الإِيْـمَانَ كَـخَلْعَ القَمِيصِ ».

وَعَلَىٰ هَذَا يَكُون مَعْنَىٰ الحَدِيث الشَّرِيف أَنَّ الزَّاني مُسْلِم فِي الظَّاهر، لهُ مَالهُ، وَعَلَيهِ مَا عَلَيهِ فِي هَذِه الحَيَاة، وَكَافر فِي الوَاقع، وَعِـند الله يُـحَاسب بـحسَابه، وَيُعَاقَب بعقَابهِ[1].

---

(١) قَالَ الإِمَام عَليّ عليه السلام: (وَعِفَّتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ غَيْرَتِهِ) وَالْعِفَّة تَشمل نزَاهَة اليَد واللِّسَان، والْبَطْن، والفَرج، وَلكنَّ الْمُرَاد بِها عِفَّة الفَرج فَقط لِمَكَان كَلِمَة الغَيْرَة. ويُقَال: غَارَ الرَّجُل عَلىٰ ٱمْرَأَته أَي أَنِف أَنْ يُشَاركه الغَير فِيهَا، وَمَن كَان كذَلِكَ يَنْبَغي لهُ أَنْ لاَ يَعْتَدي عَلَىٰ أَعرَاض الآخرِين، ومِن هُنا قِيل: « مَا زَنَىٰ غَيُورٌ قَطُّ »، وَمَعْنَىٰ هَذا أَنَّ الزَّانِي لاَ يَكُون عَفِيفاً وَلاَ غَيُوراً، وَأَنَّه بِحُكم الدَّيُوث الَّذي يُدخل الرِّجَال عَلىٰ زَوْجَته. ويُروىٰ أَنَّ جَمَاعَة مِن أَهْل الْجَاهِلِيَّة تَركُوا الزِّنا لِهَذِه الغَايَة.

أنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْحِكْمَة (٣٠٥)، وغُرر الحِكَم: ٢ / ٧٣٧ ٱلْحِكْمَة (٢٥).

شُهْدَاء العَقِيدَة

قَالَ : « إِنَّ المُؤْمِن لَو قُتل ، ثُمَّ نُشرَ ، ثُمَّ قُتل ، ثُمَّ نُشرَ لَمْ يَتغيّر قَلْبَه . . .

وقَالَ : « أَنّ مَن كَان قَبلكُم نُشرُوا بالمنَاشِير فصَبرُوا ، وصُلبُوا عَلىٰ الخَشَب ، مَوْتَ فِي طَاعَة خَير مِن حَيَاة فِي مَعْصِيَة ، وَلَمْ يَرتَدّوا عَن دِيْنهم »[1] .

وَقَالَ : « الحُرّ حُرّ فِي جَمِيع أَحْوَاله ، وَإِنْ نَابَتهُ نَائبَة صَبرَ ، وَإِنْ تَدَاكّت عَلَيهِ المَصَائِب لَمْ تُكسرَه ، وَإِنْ أُسر أَو قُهر ، أَو اَسْتُبدَل باليُسر عُسرَاً . . . » .

وَقَال : « فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ ، مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلاَّ وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً ،

---

(١) أنظر ، مَجْمَع الزّوَائد : ٥ / ٢٢٨ ، الدُّر المَنْثُور : ٢ / ٣٠١ ، المُعْجَم الصَّغِير : ١ / ٢٦٥ ، المُعْجَم الكَبِير : ٢٠ / ٩٠ ح ١٧٢ ، مُسْنَد الشَّامِيِّين : ١ / ٣٨٠ ح ٦٥٨ ، دستُور مَعَالِم الحُكم : ١١٤ ، كَنز العُمَّال : ١ / ٢١٦ ح ١٠٨٠ ، تَفْسِير المِيزَان : ٦ / ٨٣ ، تَفْسِير القُرطُبي : ١٣ / ٣٢٤ ، سُبل الهُدَىٰ وَالرَّشاد : ١٠ / ١٣٧ ، حِليَة الأَوْلِيَاء : ٥ / ١٦٦ .

فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتّى يطردها عنه، كما تطرد غريبة الإبل »[١].

أنّ تأريخ الشهداء تأريخ عقيدة، وتمسك بالمبادىء، ولولا دماء الشهداء لم يكن للإسلام عين ولا أثر، وهكذا كلّ عقيدة كتب لها البقاء. قال غوستاف لوبون في كتاب الثورة الفرنسيّة: « لقد ساعد الإضطهاد على انتشار مذهب البروتستان، ونتج عن قتل كلّ واحد اعتناق للمذهب الجديد، وقد أوجب القتل والحرق بالنّار ازدياد عدد البروتستان أكثر من الكتب والخطب ».

ويصحّ هذا القول في مذهب التّشيّع، فلولا مذبحة كربلاء واستشهاد حجر بن عدي[٢]، ورشيد الهجري[٣]، وعمرو بن الحمق[٤]، وكميل بن زياد[٥] وغيرهم لما كان لأهل البيت من هذا الولاء الّذي تدين به الملايين، أمّا دور العلماء والخطباء

---

(١) انظر، شرح نهج البلاغة: الحكمة (٢٥٧).

(٢) تقدّمت ترجمته.

(٣) كان من تلاميذ الإمام وخواصه، عرض عليه زياد البراءة واللّعن، فأبى، فقطع يديه، ورجليه، ولسانه، وصلبه خنقاً في عنقه. انظر، سير أعلام النّبلاء: ٤ / ٣١٠، تذكرة الحفاظ: ١ / ٨٤، ميزان الإعتدال: ٣ / ٨٠، لسان الميزان: ٢ / ٤٦٠، الهداية الكبرىٰ: ١٣٢.

(٤) تقدّمت ترجمته.

(٥) هو كميل بن زياد بن سهيل بن هيثم بن سعد بن مالك، كان من أصحاب الإمام عليّ ﷺ وشيعته خاصّة، شهد صفّين مع الإمام عليّ ﷺ، وكان شريفاً، ثقة، عابداً، مطاعاً، وهو المنسوب إليه الدّعاء المشهور ليلة الجمعة، والمشروح بعدة شروح، قتله الحجّاج على المذهب فيمن قتل من الشّيعة سنة (٨٢ أو ٨٣ هـ)، وإنّما نقم منه الحجّاج لأنّه طلب القصاص من عثمان بن عفّان من لطمة لطمها أيّاه، فلمّا أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه. فقال له الحجّاج: أومثلك يسأله من أمير المؤمنين القصاص؟ انظر، البداية والنّهاية: ٩ / ٤٩، الفصول الفخرية في أصول البرية لجمال الدّين أحمد بن عنبة: ٥٦، الإشتقاق لابن دريد: ٤٠٤، تهذيب التّهذيب: ٨ / ٤٤٧، تأريخ دمشق: ٤٦ / ١٥٨٨.

فِي تَأييد المَذْهَب فَإنَّه كَبِير، وَلاَ شَكّ، ولَكنَّهُ يَكُون أَعْظَم وَأَبْلَغ تَأثِيراً إذَا كَان تَمجِيداً لدِمَاء الشُّهدَاء بأَنْفسِهِم، وَقَدّموا رُؤوسهُم، وَلَم يُقدّموا دِينهُم، وَمَا ذَاكَ إلاَّ لأنّهُم أَصغُوا إلَىٰ نِدَاء الحَقّ أَكْثَر مِن إصغَائِهِم إلَىٰ منَافعهِم الذَّاتيَة، وَأَغـرَاضـهم الشَّخصيَّة. أَنَّ المَنَافع تُبلىٰ وَتزُول، أَمَّـا الحَـقّ فَـهُو ثَـابت لاَ يَـتغيّر، وكَـذَلكَ المُؤْمنُون المُخلصُون لاَ تَتغيّر قُلوبهم، وَإنْ قُلتوا ثُمَّ نُشرُوا، ثُمَّ قُتلُوا، ثُمَّ نُشـرُوا لأنّهم المَظهَر الصَّحِيح لعَظَمَة الحَقّ وَرسُوخَه، وَتَبرز هَـذِه الحَـقِيقَة فِـي أَكـمَل معَانِيها بقَول سَعِيد ابن عَبدالله الحَنْفِي[1]:

«وَالله لاَ نُخَلِيك حَتَّىٰ يَعْلم الله أَنّا قَد حَفَظنا غَيبَة رَسُول الله ﷺ فِيكَ، وَالله لَو عَلمتُ إنّي أُقتَل ثُمَّ أَحيَا ثُمَّ أُحرق حَيّاً ثُمَّ أُذرّىٰ يَفعل ذَلِكَ بِي سَبعِين مـرَّة، مَـا فَارقتُك حَتَّىٰ أَلقىٰ حمَامي دُونك، فَكَيف لاَ أَفعَل ذَلِكَ وإنَّما هِي قَتْلَة وَاحدَة»[2].

وَقَالَ مُسْلِم بن عَوْسَجَة[3]:

«أَنَحنُ نُخلي عَنْكَ؟ وَلمَا نَعذُر إلىٰ الله فِي أَدَاء حَقّك؟ أَمَا وَالله لاَ أُفَارقُك حَتَّىٰ أَطعَن فِي صدُورهُم برُمحي وَأَضربهُم بِسَيفي مَا ثَبَت قَائِمهُ فِي يَدي، وَلو لَم يَكُن مَعي سِلاَح أُقَاتلهُم بِهِ لقَذَفتهُم بِالحجَارة دُونَك حَتَّىٰ أَمُوت مَعَك»[4].

---

(١) سَعِيد بن عَبد الله الحَنْفِي مِن حَنِيفَة بن لُجَيم، مِن بَكْر بن وَائِل. عَدنَان (عَزب الشّمَال).
أَحَد الرُّسل الّذِين حَمَلوا رَسَائل الكُوفيِّين إلَىٰ الحُسَين مِن أَعظَم الثُّوَار تَحمُساً.
أُنظر، مَقْتَل الحُسَين: ١/١٩٥ و: ٢/٢٠، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥/٤١٩، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٤/١٠٣.

(٢) أُنظر، بحَار الأَنوَار: ٤٤/٣٩٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/٣١٨، مَـقْتَل الحُسَـين لأَبـي مَـخْنَف: ١٠٩، الإرشَاد للشَّيْخ المُفِيد: ٢/٩٢، إقبَال الأَعمَال: ٣/٧٧، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٢/٥٥٩، وَقعَة الطَّف: ١٩٨، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨/١٩١.

(٣) تَقَدَّمَت تَرجَمَته.

(٤) أُنظر، بحَار الأَنوَار: ٤٤/٣٩٣، إعلاَم الوَرىٰ: ١/٤٠٦، إقبَال الأَعمَال: ٣/٧٦.

وَيَقُول زُهَير ٱبن القَين[١]: «وَالله لوَدَدت إنّي قُتلتُ ثُمَّ نُشرتُ ثُمَّ قُتلتُ، حَتَّىٰ أُقتَل كَذَا أَلف قَتْلَة، وَإِنَّ الله يَدفع بذَلِكَ القَتْل عَن نَفْسك وَعَن أَنْفُس هَؤُلاَءِ الفِتيَة مِن أَهْل بَيْتك»[٢].

وَالمُلاَحظ أَنَّ أَصْحَاب العَقِيدَة وَالإِيْمَان فِي كُلّ عَصْر يُلاَقُون أَشدّ العَنَت وَالبَلاَء مِن السُّفهَاء الأَرَاذل، ذَلكَ أَنَّهُم لاَ يُدَارُون وَلاَ يُمَارُون، وَيَجهرُون بالحَقّ، وَلاَ تَأخذهُم فِيهِ لَومَة لاَئِم، وَلاَ شَيء أَثْقَل عَلَىٰ المُبطِلِين مِن كَلْمَة الحَقّ وَأَهْل الحَقّ، فَمَا رَأوا مُحقّاً إِلاَّ أَرغُوا وَأَزبدُوا، وَأبرقُوا وَأَرعدُوا، وَمَلأُوا الدُّنْيَا صِيَاحاً وَضَجِيجاً، لأَنَّهُ لاَ يُبَاركهُم عَلَىٰ ضَلاَلهم، وَلاَ يَنْسج عَلَىٰ مِنوَالهم.

وَمِن قَبل تَعَرّض الأَنبيَاء للنّبَاح، وَالأَنْيَاب السَّامة وَالأَقْذَر الإِتّهَامَات، فَحَزِنُوا وَضَاقَت صدُورهُم بخصُوم لاَ دِين لَهُم وَلاَ ضَمِير، فَعَزّاهم الله سُبْحَانَه وَأَمرهُم بالصَّبر، وَعَدم المُبَالاَة، قَالَ عزَّوجلّ مُخَاطبَاً نَبيّه العَظِيم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ

(١) زُهَير بن القَين البَجْلي: ٱنضم إِلَىٰ الحُسَين فِي الطَّرِيق مِن مَكَّة إِلَىٰ العِرَاق بَعْد أَنْ كَانَ كَارهاً للقَائِه.
خطَب فِي جَيْش ٱبْن زِيَاد قُبَيل المَعْرَكَة جَعَلهُ الحُسَين عَلَىٰ مَيمنَة أَصْحَابه.
شَخصيّة بَارزَة فِي المُجْتَمع الكُوفِي. يَبدُو أَنَّه كَانَ كَبِير السّن.
بَجَلي: بُجَيلَة هُم بنُو أَنمَار بن أَرَاش بن كَهلان، مِن القَحطَانيّة. (يَمن، عَرْب الجُنُوب).
أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٣٩٦ ـ ٣٩٧، بحَار الأَنوَار: ٤٥ / ٧١، مَقْتَل الحُسَين: ٢ / ٤، و: ٤ / ٣٢٠، مَقْتَل الحُسَين لِأبي مَخْنَف: ١١٣، إِعلاَم الوَرَىٰ: ١ / ٤٥٧، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٩٥، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٥٠، البِدَايَة وَالنّهَايَة: ٨ / ١٩٣، الأَخبَار الطّوَال: ٢٥٦.

(٢) أُنظر، بحَار الأَنوَار: ٤٤ / ٣١٦، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ٥٦، إِعلاَم الوَرىٰ: ١ / ٤٥٦، لوَاعج الأَشجَان: ١٢٠، أَمَالي الشَّيخ الصَّدُوق: ٢٢٠، رَوضَة الوَاعظِين: ١٨٤، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١١٠، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣١٨، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٩٢.

أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[١].

أي سرّ فِي طَرِيقك وَلاَ تكترث، فَشَأنك التَّسبِيح وَالسّجُود لله وَشَأنهم النّهش وَالنّباح، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً﴾[٢].

وَخَاطبَه مَرّة أخرىٰ بقَوْله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٣].

فَهُم لاَ يُكذبُون الرّسُول بالذَات، ولَيْسَت لهُم أَية عَدَاوَة مَع شَخْصَه، وَإِنَّمَا هُم أَعدَاء الحَقّ الَّذي يُؤمِن بِهِ، وَيَدعُو إِلَيه. وَتُعبّر هَذَا الآيَة بجَلاَء عَن وَاقع نُشَاهدَه، وَنَلمسَه كُلّ حِينَ، وَتُجِيب عَنْ تَسَاؤل طَالمَا كَرّرنَاه بدَهشَة وَحَيرَة بَينَنَا وبَيْنَ أَنْفسنَا: لمَاذَا يَتعمّد «هَؤُلآء» الإِسَاءَة إِلَينَا دُون أَنْ نَتعرض لهُم بسُوء؟! فكَشفَت الآيَة عَن السّر، وأَنَّهُ عدَاء الرّذِيلَة للفَضِيلَة، وَالجَهْل للعِلْم، وَالأَمَانَة للخِيَانَة...

عَرَفتُ مُوظَفَين يَعْملاَن فِي دَائرَة وَاحدَة مِن دَوَائِر الحكُومَة، أَحدهُما مُرتَش خَائِن، وَالآخر نَزيه أَمِين، وَكَان هَذَا الأَمِين أَثقَل عَلَىٰ الخَائِن مِن قَاتِل أَبِيه، لاَ يَدع الدّس عَلَيهِ، وَالكَيد لهُ بحَال، لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنَّ وجُودَه بجَانبه يُلفِت الأَنْظَار إِلَىٰ مَسَاوئِهِ، وَيُسَبب ٱفْتضَاحه وَٱحْتقَاره.

وَهكَذَا يَبْتَلي الطَّيبُون الأَخْيَار بالسُّفهَاء الأَشرَار، وعَلَىٰ قَدَر تَمسك أَهْل الحَقّ بالحَقّ وَتَشدّدهُم فِيهِ يَتَهيَأ وَيَتعبأ المُبطلُون وَالمُحترفُون، وبِهَذَا نَجد تَفْسِير قَوْل

---

(١) ٱلحِجر: ٩٨.

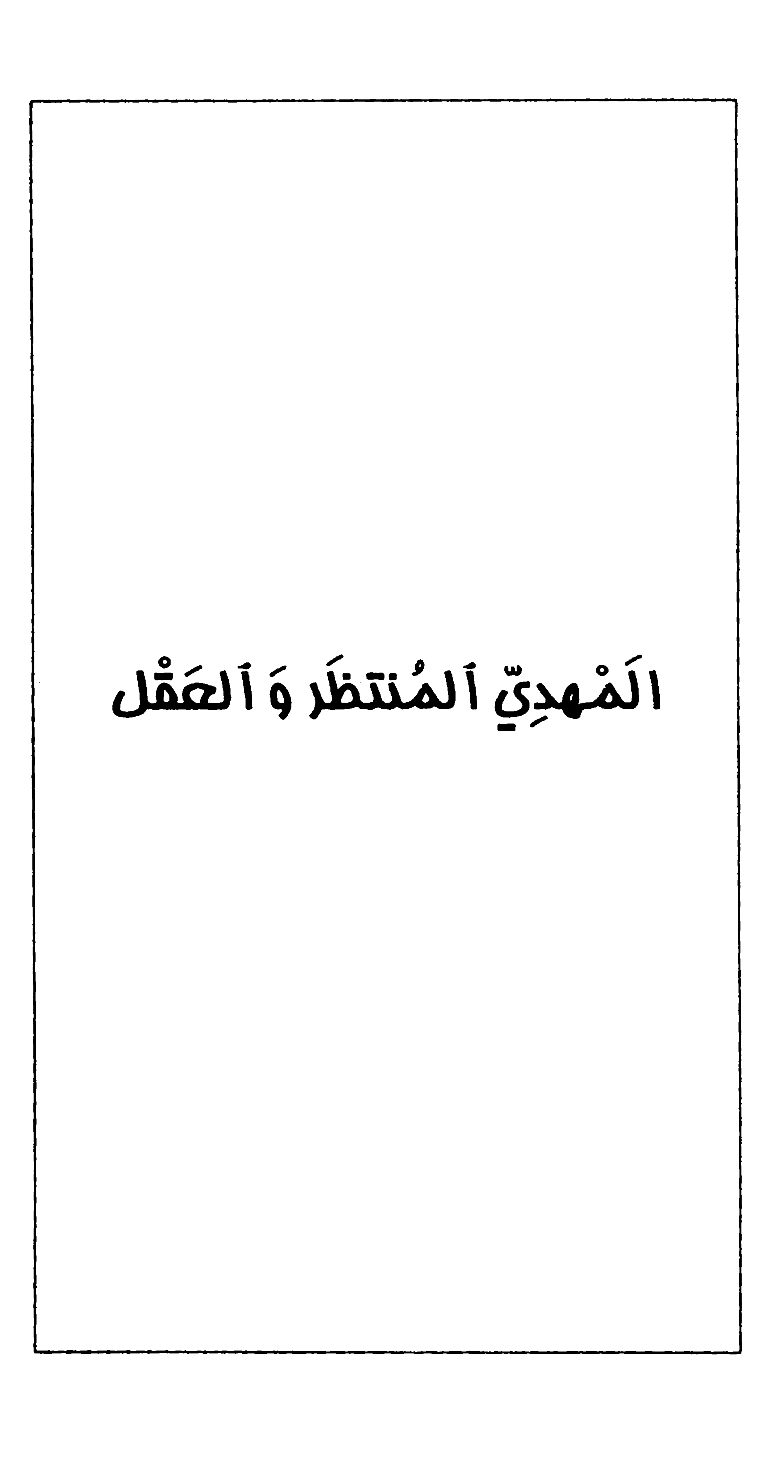
(٢) ٱلإِسْرَاء: ٨٤. أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ١/ ٢٩ ح ٥٣، الزُّهد لهَنّاد: ٢/ ٤٤٠ ح ٨٧٠، فَتح البَاري: ٨/ ٥٣٧ ح ٤٥٣١، تَهذِيب الكَمَال: ٦/ ٣٤٣، الإِسْتِيعَاب: ٣/ ١٤٠٠، العِلَل وَمَعرفَة الرِّجَال: ١/ ٣٠٤ ح ٥٠٧.

(٣) ٱلأَنْعَام: ٣٣.

الصَّادِق ﷺ: « أَشَدّ النَّاس بَلاَء الأَنْبيَاء ، ثُمَّ الَّذِين يَلونهُم الأَمِثْل فَالأَمِثْل »[١].

وَخِتَامَاً أُكَرِّر القَوْل مَرّة ثَانيَة أَنَّ مَا قَدّمته إِلَىٰ القُرَّاء فِي هَذِه الأَورَاق لاَ يَعد شَيئَاً بالقِيَاس إِلَىٰ آثَار الإِمَام الصَّادِق ﷺ ، وَكَلمَاته المَوجُودَة فِعلاً بَيْنَ أَيدِي النَّاس ، وَالمَبثُوثَة فِي كُتب التَّفسِير ، وَالحَدِيث ، وَالتَّشرِيع ، وَالأَخلاَق ، وَالسِّير ، وَالتَّرَاجم وَغَيرهَا ، وَأَنَّ مَا ذَكَرتهُ فِي تَفْسِير بَعْض مَا نَقَلت مِنهَا لَيْس شَرْحَاً ، وَلاَ تَفْسِيراً ، بالتَّعلِيق عَلَىٰ الهَامش ، أَو بتَعرِيف عِلْم تَسْتَغرق أَبحَاثَه المُجلّدَات ، تَعرِيفَه وإِنَّمَا هُو شُبْه بأَلفَاظ لاَ تَتجَاوز عَدَد الأَصَابع ، وَبَديهَة أَنَّ الإِنسَان إِنَّمَا يَستَطِيع الكَلاَم فِيمَا يَعْلَم ، وَبَديهَة أَنَّ الإِنْسَان إِنَّمَا يَسْتَطِيع الكَلاَم فِيمَا يَعْلَم ، وَمَا خَطَر عِلْمي حَتَّىٰ يُحِيط بمقَاصد أَهْل البَيْت ؟ !... وَكَيْفَ أَطمَع فِي بُلُوغ هَذِه الغَايَة ، وَأَنا عَلَىٰ يَقِين أَنَّهُ لَو تَصَدىٰ جَمِيع العُلَمَاء ـ عَلَىٰ كَثرَتهِم وَتَنوع عُلومهم ـ إِلَىٰ درَاسَة مَا تَرَك أَهْل البَيْت مِن آثَار لوَجدُوا مَوْرِداً خِصْبَاً وَيَنبُوعَاً لاَ يُنْزف وَلاَ يُدرَك غَورَه ، وَلاَ مَضوا السِّنِين الطَّوَال فِي درَاسَاتهِم ، وَلأَخرَجُوا للنَّاس مِئَات المُجلّدَات فِي شَتّىٰ العُلُوم وَالمَعَارف ، ثُمَّ لاَ يَبلغُون مِن فَيضِهِم إِلاَّ قَلِيلاً وَمَن يُنكِر هَذِه الحَقِيقَة إِلاَّ مَن ذَهَل عَن نَفْسه وَجَلهه بمَنزلَة عَليّ وَأَبْنَائه وَأَحفَاده الأَئمّة الأَطهَار ، سَلاَم الله وَصَلوَاته عَلَيهِ وعَلَيْهم .

(١) أنظر ، فَيْض القَدِير : ٢ / ٣٥٩ ، فَتْح البَاري : ١٠ / ١١١ ح ٥٣٢٣ ، البَيَان وَالتَّعرِيف : ١ / ٩٩ ، المُعْجَم الكَبِير : ٢٤ / ٢٤٤ ح ٦٢٦ ، مُسْنَد أَحْمَد : ٦ / ٣٦٩ ح ٢٧١٢٤ ، مُسْنَد البزّار : ٣ / ٣٤٩ ح ١١٥٠ ، مُسْنَد الشَّاشي : ١ / ١٣٠ ح ٦٧ ، السُّنن الكُبْرَىٰ : ٤ / ٣٥٢ ح ٧٤٨٢ ، سُنن الدّارمي : ٢ / ٤١٢ ح ٢٧٨٣ .



المَهْدِيّ المُنتظَر وَ العَقْل

تَمْهِيد

بَعد أَنْ صَدَر كِتَاب « الشِّيعَة وَالتَّشيُّع » وَرَدَت إِليَّ حَولَه رَسَائِل مِن قُرَائه ، وَمَا تَأَثّرت بِشَيء ، كتَأثِيري برسَالَتَين مِنْهَا :

الأُولىٰ : مِن شَاب مُدَرس فِي إِحدَىٰ مَدَارس العرَاق ، جَاء فِيهَا : مَا كُنْتُ أَحسب أَنَّ أَحداً بمَقدُورهِ أَنْ يُقنعْني بالمَهْدي المُنْتَظِر ، كَمَا هُو فِي عَقِيدَة طَائِفَتي ، وَآبَائي ، وَأَجدَادي ، وَلَكنّي بحَمْد الله قَد ٱقْتَنعتُ ، وَآمَنتُ بَعد أَنْ قَرَأتُ كتَابَك « الشِّيعَة والتَّشيُّع » .

وَالرّسَالَة الثَّانيَة : مِن العرَاق أَيْضاً ، وَلَم يُفصح صَاحبهَا عَن مِهنَته ، قَالَ فِيمَا قَالَ : كُنتُ مِن قَبل أَضع فِكرَة المَهْدِي فِي عِدَاد المُستَحِيلاَت ، حَتَّىٰ قَرَأتُ الفَصْل الخَاصّ بهِ فِي كِتَاب « الشِّيعَة والتَّشيُّع » فَعَدّلت رَأيي ، وَقُلتُ : أَنَّهَا لَيْسَت محَالاً ، كَمَا كُنتُ أَحْسب وَأَعتَقد .

فَحَمدتُ الله ، وَشَكرتَه جلَّ وَعزّ ، وَقُلتُ فِي نَفسي ، وَأَيَّة أُمنيَة أَبتَغِيها مِن التَّألِيف وَرَاء هَذِهِ ؟ وَأي عَمَل أَتزَود بهِ فِي دَار المُقَامَة أَنفع وَأَرفَع ؟ وأَيْضاً قُلتُ فِي نَفْسي : مَا دَام هَذَا أَجري مِن الكتَابَة فَلَن أُلقي ٱلْقَلَمِ ، وَفيّ نَفْس يَتَرَدّد ، وَعِرق يَنْبُض .

وَكُلّنا يَعْلَم أَنَّ مَوضُوع المَهْدِي المُنْتَظِر مِن المَوضُوعَات الشَّائِكَة للغَايَة ،

بالقِيَاس إِلَىٰ تَفكِير النَّشء وَتربيَتهم، بخَاصّة مِن تَغلب الزّهو عَلَيهِ، وَغرق فِي الغُرُور إِلَىٰ مَا فَوق أُذنَيه... وَمِن هُنَا شَعَرتُ بالغِبطَة... وَأستَغفر الله... وَإنْ دلّت الرّسَالتَان عَلَىٰ شَيء فَإِنَّهُما تَدلاَن ـ أَوّلاً ـ عَلَىٰ جُبن مِن يُرَاوده الخَوْف مِن مُعَالجَة هَذَا المَوضُوع وَمَا إِلَيهِ، الخَوْف مِن الْإِخفَاق والْإِستخفَاف وأنّه غير خَلِيق بشَيء ـ أَقصدُ مَن لهُ أَهليَة التّفهم وَالتّفهِيم ـ وَلاَ أُصدق أَنَّ «عَالِماً» يَحصَل عَلَىٰ شَيء يُذكر فِي آخرَته وَدُنيَاه، إِذَا لَم يَكُن شجَاعاً مِقدَاماً... فَلَقَد سَبَق فِي عِلْم الله وَقَضَائه أَنْ لاَ يَكُون للجنَاء مِن فَضلهِ الدَّائِم نَصِيب مَحمُود.

ومَهْمَا يَكُن، فَلَم يدْر فِي خُلدي حِينَ قَرَأتُ الرّسَالتَين أَنْ أُضِيف شَيْئاً عَلَىٰ فَصل المَهْدِي المُنْتَظَر فِي كِتَاب «الشّيعَة والتّشيُّع» أَو أَطبَع هَذَا الفَصْل ثَانيَة فِي كُرَاسَة عَلَىٰ حِدَة، لِيَطّلع عَلَيهِ مَن لَم يَصل الكِتَاب إِلَيهِ وإِنَّمَا انْصَرفتُ إِلَىٰ كِتَاب «عَليّ والفَلْسَفَة»، ثُمَّ إِلَىٰ كِتَاب «الوَقف وَالحَجر عَلَىٰ المَذَاهب الخَمْسَة»، ثُمَّ إِلَىٰ كِتَاب «الحَجّ عَلَىٰ هَذِهِ المَذَاهب» ثُمَّ إِلَىٰ كِتَاب «تَجَارُب وَتَأمُلاَت»، ثُمَّ إِلَىٰ «أُصُول الْإِثبَات فِي الفِقْه الجَعْفَري»، ثُمَّ إِلَىٰ هَذِهِ الصَّفحَات[1].

وَفِي اللَّحظَة الَّتي خَطّ القَلَم كَلمَة الخِتَام مِن كِتَاب أُصُول الْإِثبَات، وَقبلَ أَنْ أَقُوم مِن مَكَاني رَأَيتَني ـ بحَافز لاَ شعُوري ـ أَشرَع بالكتَابَة عَن الْإِمَامَة بوَجه عَامّ، كَمَا كَان يَبدُو لِي بَادِيء ذِي بِدء، لأَخرج كتَاباً يَحمل اسم «الْإِمَامَة والعَقْل»... وَكُنتُ إِذَا سَأَلني سَائِل فِيمَ أَكتُب أَقوْل لهُ: فِي الْإِمَامَة والعَقْل، وَقبل

(١) الكِتَاب الأَوّل نَشَرَته دَار الكتَاب العَربي، وَوَزعَته، والثَّانِي طَبَعَته دَار النَّشر للجَامعيِّين، وَالثَّالث يُعرَض فِي المَكتبَات، وَالرَّابع انْتَهيتُ مِنهُ، وَلاَ أَدري مَاذَا يَكُون مَصِيرَه، وَالخَامس طَبَعتهُ دَار العِلْم للمَلاَيين،... وَابتدَأت بهَذِهِ الكُتُب فِي (٢٠ شوّال مِن سَنَة ١٣٨٢هـ. وَتَمّت بحَمد الله فِي ١٥ شَوّال مِن سَنَة ١٣٨٣هـ). (مِنهُ ﷺ).

أَنْ أَنْتَهي مِن الفَصْل الثَّالث تَبيَّن مَعي أَنّي أَكتُب عَـن صَـاحب الأَمْـر وَالزَّمَـان (عَجّل اللهُ فَرَجهُ) بوَجه خَاصّ، لاَ عَن الإمَامَة بوَجه عَـامّ، ولَكـن بأُسلُوب جَدِيد، وَتَفكِير جَدِيد كَمَا خُيّل إليّ، فَعَدلتُ عَن آسم الإمَامَة والعَقل إلَىٰ المَهْدِي والعَقْل، ولَيْسَ هَذَا مِن بَاب: فَسخ العَزَائِم حَيْث لَمْ يَخطُر العدُول وَالفَسخ ببَال، ولَكنَّه مِن بَاب: أَرَدتُ أَمْراً وَأَرَاد الله خلاَفَه، فَـمَضيتُ عَـلَىٰ إرَادَتـه، وَالدَّمـعَة تَترقرَق فِي عَيني غِبطَةً وَسرُوراً.

وَتَقُول هَذَا محَال أَو بَعِيد، إذ كَيف تَقصُد الكتَابَة فِي مَوضُوع، ثُمَّ يَتَبيَّن أَنَّه غَير مَا قَصَدت؟... أَلَيْسَ هَذَا مِن بَاب «أَرَدت مَا لاَ تُرِيد»... لأَنَّ الكتَابَة فِي شَيء لاَ تَنْفَك عَن إرَادَة هَذَا الشَّيء بالذَّات.

وَأقوْل: أَجل، وَقَد كُنتُ أَرىٰ ـ مِن قَبل ـ أَنَّ مِثل هَذَا محَال، كَـمَا تَـرَاه أَنْتَ الآنْ... ولَكن صَدّق، أَو لاَ تُصدّق، هَذَا مَا وَقع وَحَصل... أَمَّـا التَّـفسِير الَّـذي أَركُن إلَيهِ فَلَم أَجدهُ إلاَّ فِي مَشِيئَة الله وَإرَادَته، جَلّت حِكمَته وَقُدرَته[1]. أَمَّا أَنْتَ فَفَسّر بمَا شِئت.

وَشَيء آخر أَودّ ذِكرَه وَبَيَانه، وهُو أَنّي فِي سَنَة (١٩٥٩ م) وَضَعت تَصمِيماً لسِلسِلَة «الإسْلاَم والعَقْل» وَجَاء كتَاب الإمَامَة وَالعَقل ـ بحَسَب العَزم وَالتَّصمِيم ـ الكِتَاب الرَّابع، وَبالفِعل صَدَرت كُتب: (الله والعَقل، والنُّبوّة والعَقْل، والآخـرَة

(١) ذَكَرتُ فِي كِتَاب تجَارب وَتَأمُلات أَنَّ الله سُبْحَانَه أَقَام البَرَاهِين العَـامَّة عَـلَىٰ وجُـودِه مِـن خَـلق السَّموات والأَرض، وَمَا إلَيهِ، ثُمَّ أَعطَىٰ كُلّ نَفس مِن الأَدلّة مَا تَختَصّ بِهِ وَحدهَا، وإذَا رَجع كُلّ إنْسَان إلَى تَأرِيخ حَيَاته، وَتَدبرهَا بإمعَان لَمَس هَذِهِ الحَقِيقَة، حَيْث يَجد حوَادث قَد حَصَلت لهُ، وَلاَ يَجد لهَا أي تَفسِير إلاَّ فِي مَشِيئَة الله وَإرَادَته، وَأَنَا أُضِيف هَذَا الدَّلِيل إلَىٰ مَا ذَكَرتهُ فِي التَّجَارب وَالتَّأمـلاَت، وَسَوف أُضِيف إلَىٰ هَذَا الدَّلِيل أَلف دَلِيل وَدَلِيل، أَنَّ أَمَد الله فِي الحَيَاة. (مِنهُ).

والعَقْل، وحِينَ وَصَلت إِلَىٰ الرَّابع إِذَا بهِ عَليّ وٱلْقُرْءَان بَدل الإِمَامَة والعَـقْل، ثُـمَّ فَضَائل الإِمَام عَليّ، ثُمَّ عَليّ والفَلْسفَة).

وَبَعد أَربَع سَنوَات أَو أَكْثر مِن العَزم وَالتَّصمِيم رَجَعتُ إِلَىٰ الإِمَامَة بوَجه عَام ـ وَحَكَيت القصّة ـ... وَمَن يَدري لعَليٍّ أَعزم فِي المُستَقبل القَرِيب أَو البَعِيد عَلَىٰ مَوضُوع غَير الإِمَامَة والعَقْل، وإِذَا بهِ نَفْس الإِمَامَة والعَقْل، تَمَاماً كَمَا حَصَل مَـع هَذِهِ الصَّفحَات....

بَقي شَيء ثَالِث، وهُو - أَنّي ـ مُنذ كَتَبتُ فِي الله، والنُّبوّة والآخـرَة إِلَـىٰ الآنْ قَرَأتُ عَشرَات الكُتُب فِي مَوضُوعَات مُختَلفَة، وَٱتّجَاهَات شَتّىٰ، وَقَد تَبيَّن مَعي أَنَّهَا كَانَت المَادّة وَرَأسمَال لهَذِه الصَّفحَات، وَسَأُضِيف، بحَول الله وَتَوفِيقَه، إِلَـىٰ تِلكَ القِرَاءَات قِرَاءَات وَمُطَالعَات، إِنْ بَقِيت للكتَاب وَٱلْقَلَم... وَمَن يَدري فَـقَد تَكُون قِرَاءَاتي غَداً مَادّة خِصبَة لكتَاب « الإِمَـامَة والعَـقْل »... أَو إِمَـامَة عَـليّ وَالعَقْل وإِلَىٰ اللِّقَاء.

وَالحَمد لله الَّذي قَدّر فَهَدىٰ، وَيَسّر لليُسرىٰ، وَصَـلّىٰ الله عَـلَىٰ مُـحَمَّد وَآلِهِ الأَبْرَار الأَطهَار.

مُلاَحظَة:

الآنْ تَذَكرتُ مُلاَحظَة، تَتّصل بهَذِهِ الصَّـفحَات وَغَـيرهَا مِـن كُـتبي الصِّـغَار وَأَخشَىٰ النّسيَان وَالذهُول عَنْهَا، إِنْ لَم أُبَادر لتَسجِيلهَا، وَخُـلاَصتهَا أَنَّ سِـلسلَة « الإِسْلاَم والعَقْل » « الله والنُّبوّة والآخرَة » جَاءَت فِي كُـتيبَات صَـغِيرَة، وَكَـان الأَفضَل أَنْ تَكُون أَضخَم وَأَكبَر.

وَخُلاَصَة الجَوَاب:

١ ـ أَنَّ العِبرَة فِي الكَيف لاَ فِي الكَمّ، وَبالفِكرَة، وَالدّقـة، والأَمَـانَة لاَ بـعَدَد الصَّفحَات، فَلَقَد كُنتُ، وَمَا زلتُ أَكرَه الحَشـو، وَالفُـضُول، وَاللَّـف، وَالدَّورَان، وَأُحبّ الإِختصَار، بدُون أَنْ يَخل بالمَعنىٰ، وَيُغيّر مِن طَبِيعَته شَـيْئاً، وَلَـو أَردتُ لعَبَّرت عَن الصَّفحة الوَاحدة بصَفحَتَين، أَو أَكثَر.

٢ - أَنَّ الهَدَف الَّذي أَرمي إِلَيهِ مِن كتَابَتي هُو أَنَّ هَذَا النَّشيء الضَّائع عَن الدِّين وَيَطلَع عَلَىٰ شَيء مِمَّا لَدَينا عَسىٰ أَنْ يَهتَدي وَاحد مِن مِئَة، فَإِنَّ الفَـاصل الَّـذي يَفصلهُم عنَّا هُو جَهلهُم بنَا، وَقَد كَان وَمَا زَال جَهل النَّاس بَـعضهُم لبَـعض سَبَباً للنّزاع، وَالصّرَاع، فَإِنْ عَلمُوا أَمكَن القُرب وَالتَّفاهم، وَأَسهَل الطُّرق لتَرغِيبهم فِي القِرَاءَة المُختَصر المُفِيد الَّذي يَستَطيعُون مُتَابَعته، وهُم فِي السَّيَّارَة، وحِينَ يَأوُون إِلَىٰ مخَادعِهم، تمَامَاً كَمَا يَقرَأون الصُّحف... وَمَا زلنَا نُسمعَهُم يُردّدُون نَحنُ فِي عَصر السُّرعَة، والإِختزَال، وَآختصَار الأَوقَات... فَآختَصرتُ، ليَـقرَأوا، وهُـم سَائرُون، تَمَامَاً كَمَا يَأكلُون «السَّندوِيش».

وَلَو قَارَن مُقَارن بَيْنَ مَن قَرَأ مِن شبَاب هَذَا العَصر كِتَاب «عَـليّ وٱلْـقُرْءَان» مَثَلاً، وبَيْنَ مَن قَرَأ المُطولاَت القَدِيمَة وَالحَدِيثَة فِي هَذَا المَوضُوع لوَجد أَنَّ نِسبَة هَؤُلآَء إِلَىٰ أُولَئك نِسبَة الوَاحد إِلَىٰ الأَلف، عَلَىٰ أَكـثَر تَـعدِيل... إِنْ لَـم نَـقُل لاَ شَيء....

وَبكَلمَة أَنّي أَهتَم ـ أَوّلاً ـ بأَبنَائنَا، وَأُحَاول الإِقترَاب مِنْهُم، وَحَملهم بشَـتّىٰ الطُّرق عَلَىٰ الدِّين، والإِيمَان، وَأَدع الحُجَّاج الصَّائِمين المُصلِين إِلَىٰ مَن أَرَادهُم مِن الأَخْوَان. والصَّلاَة وَالسَّلام عَلَىٰ مُحَمَّد وَآله الطَّاهرِين[١].

(١) لَمْ يَبق لِهَذِه المُلاَحظَة مَجَال بَعد أَنْ حَوت هَذِهِ المَجمُوعَة عَلَىٰ الكُتُب الأَربعَة. (مِنهُ ﷺ).

النَّقْد عَلَىٰ صَعِيد الرَّغبَات

عَيْن الرِّضا:

إذَا أَحسَن إِلَيكَ إِنْسَان، وَٱستجَاب لرَغبَاتك فَقَد مَـلَك عَـقْلك وَقَـلبَك، لأَنَّ الْإِنْسَان عَبد الْإِنْسَان، والقُلُوب مَطبُوعَة عَلَىٰ حُبّ مَن أَحسَن إِلَيهَا، فَإِذَا نَظَرت إِلَىٰ أَقوَاله، وَأَفعَاله نَظَرت إِلَيهَا بعَين كَليلَة عَن الحَق، وَٱعتَقَدت بأَنَّ مَا يَقُولَه هُو العَدْل والصّدق، وأَنَّ مَا يَفعَله هُو الصَّواب والحَق، حَتَّىٰ وَلَو كَان كَاذبَاً فِي أَقوَالَه، مُخطئَاً فِي أَفعَالَه، دُون أَنْ تَشعر بهَذَا المَيل والْإِنحيَاز بَل إِنَّك تَحسب مُخلصَاً أَنَّ مَا تُملِيه عَلَيكَ العَاطفَة هُو ظَنّ مِن إِملاَء العَقْل، وَمَنطق الوَاقِع.

عَيْن السَّخط:

وَالشَّيء نَفْسَه يُقَال فِي شَهَادَتك عَلَىٰ مَا أَسَاء إِلَيكَ، لأَنَّ عَين السّخط تَـمَامَاً كَعَين الرِّضَا كلتَاهُما مَعميَّان عَن الحَقّ، وَصَاحبهُما يَنطُق عَن الهَوىٰ، وَيَـحسب أَنَّه وَحي يُوحِيه الحَقّ، والوَاقِع، ولَيْسَ عَامل التَّربيَة، وَالبِيئَة بأَفضَل مِن عَـامل الحُبّ، وَالكَرَاهيَة، فِي تَصوِير الوَاقِع تَبعَاً لهَا.

الآراء والمعتقدات:

وإذا كانت آراء النّاس ومُعتقداتهم ـ غير البديهيّة ـ عُرضة لأخطاء البيئة والأنانيّة فعلى العاقل المُنصف أنْ يتّهم نفسه فيما يرىٰ ويعتقد وأنْ يتنبّه دائماً إلىٰ أنْ يُؤمن به يقبل النّقد والنّظر، وأنّه لو كان مُنزّهاً عن الخطأ لكان نبيّاً مُرسلاً، وكانت جميع أقواله، وآرائه مقياساً للحقّ، ومعياراً للعدل.

أمّا الّذي يحقّ لهُ أنْ ينظُر وينقد فهُو المُنصف العارف الّذي يملك الإستعداد والمؤهلات... فإنّ الجاهل بالطّبّ لا يُدعىٰ إلىٰ فحص المريض، ومَن لا يعرف الهندسة لا يُطلب إليه أنْ يضع فيها التّرتيبات والتّصاميم، ومَن لا يركُن إلىٰ ضميره لا يُعتمد عليه في شيء، ومَن كفر بالله لا يُسأل عن رأيه فيمن آمن وأيقن.

أجل، لو أنّ مَن كفر وجحد كان قد قرأ الفلسفة الإلٰهيّة، وٱطّلع علىٰ براهين الإلٰهيّين وأدلتهم لكان للسّؤال عن رأيه وجه، إنْ كان من أهل الرّأي والإنصاف ولكن كيف يقرأ وهُو يرىٰ مُسبقاً أنّ كُلّ ما يتّصل بالدّين أُسطورة ووهم؟! وهل تقرأ أنتَ كتاباً في الحساب لمُؤلّف يرىٰ أنّ ٱثنين وٱثنين تُساوي عشرة؟! وهذا هُو بالذّات شأن كثير ممّن جحد وألحد.

وتقول: هذا هُو حال المُؤمنين أيْضاً بالقياس إلىٰ كُتب الإلحاد حيْث لا يقرأون كُتب المُلحدين وبراهينهم.

الجواب:

ما من باحث في الإلٰهيات قديماً وحديثاً إلاّ وٱستعرض أقوال المُلحدين وأدلتهم وتناولها بالنّقد والتّحليل في ضوء العقل، وٱهتم بها كُلّ الإهتمام، أمّا المُلحدُون فترجع جميع أقوالهم وأدلتهم إلىٰ شيء واحد، وهُو أنّ الإيمان بالله

إِيمَان الغَيب ، وأَنَّهُم لاَ يُؤمنُون إِلاَّ بِالحِسّ .

وَأَجَابهُم مَن آمَن بالحَقّ ، والعَدْل : أَنَّ الإِيمَان بالحِسّ هُو فِي الوَقت نَفْسَه إِيمَان بالعَقْل ، لأَنَّ شهَادَة الحِسّ لَيْسَت بشَيء لَوْلاَ العَقْل ، وإِذَا جَاز الإِعْتمَاد عَلَىٰ العَقْل فِي الحِسّ المُبَاشر جَاز الإِعْتمَاد عَلَيهِ فِي الحِسّ غَير المُبَاشر ، وَالتَّفكِيك تَحكّم ، وَتَرجِيح بلاَ مُرجّح .

ومَهمَا يَكُن فَإِنَّ الغَرض مِن هَذَا الفَصْل أَنْ نُبيّن وَنُؤكّد أَنَّ الإِنْسَان لاَ يُسَوّغ لهُ أَنْ يَنتَقد إِذَا كَان أَسيرَاً لمَذهَب ، أَو نَظريَة ، أَو تَربيَة ، أَو أَي شَيء . . . ومِن هُنَا حِينَ أَرَاد دِيكَارت أَنْ يُركّز مَعلُومَاته عَلَىٰ المَنطق السَّلِيم شَكّ بَاديء ذِي بِدء فِي كُلّ شَيء إِلاَّ فِي الشَّك ، ثُمَّ أَخَذ بالنَّظر والإِستدلاَل .

وَتَقُول أَيْضَاً : أَنَّ مَعْنَىٰ هَذَا أَنْ نَسد بَاب النَّقْد مِن الأَسَاس ، إِذْ مَا مِن عَالِم أَو فَيلسُوف إِلاَّ وَلَهُ نَظريَة خَاصّة ، لاَ يَنْفَصل عَنهَا ، وَيَنظر إِلَىٰ الشَّيء مِن خِلاَلهَا ، وَيَحكُم عَلَيهِ بوَحي مِنْهَا ، وعَلَىٰ هَذَا فَمَن يَلتَزم دِينَاً مُعينَاً ، أَو مَذهبَاً خَاصّاً لاَ يُسَوّغ لهُ أَنْ يَنْتَقد مَن لاَ يُدِين بدِينَه وَيَتمذهَب بمَذهَبه .

الجَوَاب :

أَوّلاً : أَنَّ عَدَم اَنْفصَال المَرء عَن رَغبَاته لاَ يَعني أَنَّه بَعِيد عَن الحَقّ والوَاقِع فِي كُلّ مَا يَقُول ويَفْعَل ، فَإِنَّ بَعْض الرَّغبَات تَأْتي اَنعكَاسَاً عَن الوَاقِع ، وَتَعبِيراً عَن الخَيْر ، وَلَو صَحّ القَوْل بأَنَّ الرَّغبَات ، وَالتَّعصبَات بكَاملهَا لاَ تَمت إِلَىٰ الوَاقِع بصلَة لِمَا وجدَ فِي الإِنْسَانيَّة مُصلح ، وَلاَ مُفكّر ، وَلاَ دَاع إِلَىٰ الحَقّ وَالخَيْر . . . . وَلوجُوب أَنْ يُسَد بَاب القَضَاء وَالتَّرَافع ، لأَنَّ كُلّ مَن يَدّعي شَيْئَاً يَرغَب فِيهِ ، وَيَتعَصّب لهُ ، فَكَمَا أَنَّ القَاضي العَادل العَارف لاَ يَرفض الدَّعوىٰ اَعتبَاطاً ، وَلاَ يَحكُم بِهَا تَشهيَاً ،

وإنَّمَا يَستَمع للمُدّعي ، وَيَطلب مِنْهُ البَينَة ، والدَّلِيل ، وَبحُكم بمَا تَستَدعِيه الأُصُول المُقرّرة . . . كَذَلكَ عَلَينَا نَحْنُ أَنْ لاَ نُصَدّق ، أَو نُكَذّب مَا نَسمَع وَنَقرَأ إِلّا بَعد النَّظر وَالبَحث . وَهَذَا هُو النَّقْد بمَعنَاه الصَّحِيح .

ثَانِيَاً : لَيْسَ العِبرَة فِي صِحَة النَّقْد أَنْ يَكُون عَقل النَّاقِد صَحِيفَة بَيضَاء ، لَم يُخطّ فِيهَا حَرف وَاحد ، وإِنَّمَا العِبرَة أَنْ يَعتَمد فِي نَقده عَلَىٰ مَا هُو مَقبُول فِي نَظَر العَقْل ، أَو مُسَلّم بِهِ عِنَد الخَصم ، فَلَك أَنْ تَنْتَقد مَن يَقُول بأَنَّ الأَرْض مُسَطّحة ، وأَنْتَ مُؤمِن بكُرَويتهَا ، عَلَىٰ شَريطَة أَنْ تَأْتي بالدَّلِيل المُقنِع عَلَىٰ بُطلاَن التَّسطِيح وأَنْ تَقُول للمَسِيحي : أَنَّك تُخَالف كتَابك المُقدّس لأَنَّك لاَ تَمد خَدّك الأَيمن لمَن ضَرَبك عَلَىٰ خَدّك الأَيسَر ، تَقُول لهُ هَذَا ، وَإِنْ لَم تَكُن مَسِيحياً . . . وأَنْ تَقُول للمُسْلِمين : أَنَّكُم تُخَالفُون أَمْر ٱلْقُرْءَان الكَرِيم : ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1] .

وَإِنْ لَم تَكُن مُسلمَاً ، ويَكُون قَولك هَذَا حُجّة دَامغَة . . . وَبكَلمَة ، لَيْسَ مِن شَرط النَّاقِد أَنْ لاَ يُؤمِن وَلاَ يَعتَقد بشَيء ، وإِنَّمَا الشَّرط أَنْ لاَ يَتّخذ مِن إِيمَانَه وَإِعتقَاده مِعيَاراً لبُطلاَن العَقَائد الأُخرىٰ ، وأَنْ تُحَوّل عَقِيدَته وَنَظريته دُون العَدْل وَمَنطق العَقْل ، وأَنْ يَعتَمد عَلَىٰ الدَّلِيل الَّذي تَسَالَم عَلَيهِ العُقَلاَء ، أَو آمَن بِهِ الخَصم عَلَىٰ الأَقل ، وَبهذَا المَنطق يَقف النَّاقِد مَوقف المُحَايد ، وبدُونَه يَعجز عَن القِيَام بمُهمّة النَّقْد الصَّحِيح ، وَإِنْ بَلَغ مِن العِلْم مَا بَلَغ .

كتَاب وَجَوَاب :

كَتَب إِليّ عرَاقي يَقُول : أَنّك تَهدف مِمَّا تكتُب إِلَىٰ هدَايَة الشَّبَاب إِلَىٰ الدِّين ،

---

(١) آلِ عِمْرَانَ : ١٠٣ .

وَأنَا بحَمد الله مُؤمِن مُتَدَين ، وَلَستُ بحَاجَة إلَىٰ مَن يُحَببني بـالدِّين ، وَلَكـنّي لاَ أرىٰ أي شَيء مِن صَمِيم الدِّين إلَّا إذَا اعْتَرف بهِ عَقلي ، وَرَآه حَسناً . أمَّا مَا يُنْكرَه فَأعْتَقد أنَّه لَيسَ مِن الدِّين فِي شَيء ، وإنَّمَا هُو مِن وَضـع رِجَـال الدِّيـن الَّـذِين انْحَرفُوا بهِ عَن أهدَافه السَّامية ، إمّا جَهلاً بحَقِيقَته وَجَوهرَه ، وَإمّـا عَـن قـصد ، ليَعِيشُوا عَن طَرِيق الخرَافَات ، والأَسَـاطِير الَّـتي يَستَسيغهَا البُسـطَاء وَأربَـاب الجهَالَة .

وَهَذَا القَوْل يُرَدّده كَثِيرُون مِن شَبَاب اليَوْم خَوفاً مِن وَصمَة الإلحَاد ، وَمَا دَرَوا أَنَّه اعْترَاف صَرِيح عَـلَىٰ أنْـفسهِم بـالإلحَاد والكُـفْر ، وَاقْـرَار عَـلَيهَا بـالجَهل وَالحَمَاقة ، مِن حَيْث لاَ يُريدُون . . . ومَهْمَا يَكُن ، فَقَد أَجَبت هَذَا الشَّاب بمَا يَلي :

أوَّلاً : أَجل ، لاَ شَيء مِن الدِّين يَتنَافىٰ مَع العَقْل ، ولَكن العَـقْل الَّـذى يُـنَاصر الدِّين شَيء ، وَالَّذي تَرَاه أنْتَ أنَّه مِن العَقْل شَيء آخر . . . أنَّ للعَقل حُدُوداً تَستَقل عَن رَغبَات الفَرد وَأهوَائه الشَّخصيَة ، وَأحكَاماً يَستَسِيغهَا جَمِيع العُـقلاَء ، وَلاَ يَقتَصر قبُولهَا عَلَىٰ فَرد دُون فَرد ، أَو فِئَة دُون فِئَة .

ثَانِياً : أَنَّ حُكمَك بأَنَّ هَذَا صَوَاب ، أَو خَطَأ لاَ يَدل عَلَىٰ أَنَّه كَذَلكَ فِي وَاقِعهِ ، وإنَّمَا يَدل عَلَىٰ إحسَاسك وَشعُورك بأنّه صوَاب أو خَطأ ، وَإنْ أَبيت إلَّا أَنَّه صَوَاب مَوضُوعي ، أَو خَطأ مَوضُوعي فمعنَاه أَنَّك قَد اتّخَذت مِن نَفْسَك مقيَاساً للعَقْل ، وَخَولتهَا الحُكم عَلَىٰ الأَشْيَاء بِاسمهِ ، وَهَذَا ادّعَاء مُبَالَغ فِيهِ .

ثَالثَاً : أَنَّ قَولَك : « لاَ أُؤمِن إلَّا بمَا لاَ يَرَاه عَقلي » مَعنَاه أَنَّك لاَ تُؤمِن بدِين ، وَلاَ بشَرِيعَة ، وَلاَ بأَخلاَق ، وَلاَ تَلتَزم بشَيء إلَّا بمَا تَستَوحِيه مِن نَفْسَك لنَفسَك ، وَهَذَا يُنَاقض قَولَك : « أَنَا مُؤمِن مُتَدَين » . وَأي إنْسَان تَـتنَاقض أَقـوَالـه وآرَاؤه ، ولاَ

يَنسَجم بَعْضهَا مَع بَعْض لاَ يَكُون فِي وَاقِعهِ مِن أربَاب العَقَائِد فِي شَيء، دِينيَّة كَانَت أو زَمنيَّة، أَمَّا ظَنّه وَشعُورَه هُو بأَنَّه مِن ذَوي العَقَائِد الرَّاسخَة، وَالمَبَادِيء الثَّابتَة فَإنّه نَتيجَة طَبيعيَّة لتنَاقُضه فِي آرَائه، وَانقسَامه عَلَىٰ نَفْسَه.

رَابِعَاً: لَو أَخَذنا بِنَظرِيَتك هَذِهِ لوَجَب أَنْ يَختَلف الدِّين بِإختلاَف الآرَاء وَالأَشْخَاص... أَنَّ المُؤْمِن المُتَدَين هُو الَّذي يَأخذ الدِّين مِن أَهْل المَعْرفَة، والإختصَاص الَّذِين قَضوا السَّنوَات الطّوَال فِي البَحث عَن أَحْكَامَه، وَالتَّنقِيب فِي مَصَادِره، تَمَامَاً كَمَا يَأخذ المَرِيض العِلاَج مِن الأَطبَاء العَارِفِين، وَلاَ يَثق بحَدسهِ وَخَيَاله.

وَبالتَالي: فَإنَّ اتّهَام المَرء لآرَائه الَّتي لَم يَأخذهَا مِن مَعِينهَا وَمَصدَرها يُقَرّبه مِن الوَاقِع، أَمَّا الَّذي يَثق بِهَا كُلّ الثّقة فَإنّه يَعِيش فِي دُنيَا لاَ وَاقع لهَا، وفِي عَالَم لاَ وجُود لهُ إلَّا فِي مُخيلَته وَأوهَامه.

الْإِمَام عليه السلام

الْإِمَام عليه السلام:

الْإِمَامَة فِي مَفْهُوم الشِّيعَة الْإِمَامِيَّة وَعَقِيدَتهم رِئَاسَة دِينِيَّة وَزَمنيَّة يَتولاَّهَا رَجل عَالِم بمَا يُصلح النَّاس فِي شُؤون دِيْنهم وَدُنيَاهم، وَيَعمل عَلَىٰ ذَلِكَ دُون أَنْ يَستأثر عَنْهُم بشَيء، وَلاَ يُخطيء فِي عِلمهِ وَلاَ عَمَله.

فَالْإِمَام فِي حَقِيقَته، وَطَبِيعَته إِنْسَان كسَائِر النَّاس لاَ يَختَلف عَنْهُم إِلَّا فِي الصِّفَات التَالِيَة:

١ - أَنَّه يَعْلَم الشَّريعَة بجَمِيع أَحكَامهَا وَدقَائقهَا وَأَسرَارهَا، تَمَاماً كَمَا هِي فِي وَاقعهَا، وكَمَا نَزَلت عَلَىٰ مُحمَّد صلى الله عليه وآله، بحَيث لاَ يَجُوز الخَطأ وَاحتمَال الخلاَف فِي مَعْرفَته لهَا، بخلاَف غَيْرَه مِن عُلمَاء الشَّريعَة الَّذِين قَد يُصيبُون وَقَد يُخطئُون، ومِن أَجل ذَلِكَ جَاز أَنْ يُخَطِّيء بَعْضهُم بعضاً، وَيُنَاقشَه بالدَّلِيل وَالبُرهَان، أَمَّا الْإِمَام فَلاَ تَجوز مُنَاقَشتَه وَالرَّد عَلَيهِ بحَال.

وَتَنبَغي الْإِشَارَة هُنَا إِلَىٰ أَنَّ الْإِمَامِيَّة يَعتَقدُون بأَنَّ الْإِمَام لَيسَ وَاضعاً للأَحكَام بنَفسَه، وَجَاعلهَا مِن تِلقَائه... بَل أَنَّ وَاضعَها وَمُشرّعها هُو الله جَلّ وَعزّ، وأَنَّه بَيّنهَا لنَبيّه مُحمَّد، وأَنَّ مُحمَّداً صلى الله عليه وآله بيّنهَا للإِمَام مُبَاشرَة أَو بوَاسطَة إِمَام فالْإِمَام عَلِم بِهَا بَعد وجُودهَا وَتَشريعهَا. وَبكلمَة أَنَّه مُبلّغ عَن الرَّسُول، والرَّسُول مُبلّغ عَن الله.

قَالَ الإِمَام عَليّ عليه السلام : « فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي »[1].

٢ ـ أَنَّ الإِمَام يَعْمَل بالحَقّ ، أَي يَنسَجم مَع عِلمَه وقَوْلَه ، وَلاَ يَحول بَيْنَه وبَيْنَ العَمَل بِهِ هَوىٰ وَلاَ خَطَأ وَنسيَان .... وأَيْضاً تَنبَغي الإِشَارَة ـ هُنَا ـ إِلَىٰ أَنَّ الإِمَام فِي عَقِيدَة الإِمَامِيَّة غَير مَجبُور وَلاَ مُلجَأ إِلَىٰ العَمَل بالحَقّ ... بَل فِيهِ قُدرَة نَفسيَّة تَردَعه عَن البَاطِل ، مَع قُدرَته عَلَىٰ فِعلَه ، وَتَدفَعه إِلَىٰ العَمَل بالحَقّ ، ومَع قُدرَته عَلَىٰ تَركَه .

أَمَّا الدَّلِيل الَّذي اعْتَمدَه الإِمَامِيَّة فِي إِضفَاء هَذَا الوَصف عَلَىٰ الإِمَام فَهُو العَقْل بضَمِيمَة قَوْلَه تَعَالَىٰ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] ، وقَوْلَه : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[3] .

لأَنَّ أَمْره تَعَالَىٰ بطَاعَة الإِمَام ـ وهُو وَلّي الأَمْر ـ وَاقتِرَانهَا بطَاعَته وَطَاعَة الرَّسُول ، يَكشف بحُكم العَقْل أَنَّ الإِمَام عَالم وَمَعصُوم عَن الخَطأ فِي عِلمِهِ وَعَمَله ، وإِلَّا لَو جَاز الخَطأ وَالخَطِيئَة عَلَيهِ لكَان الله مُرِيداً لهُما ، تَعَالَىٰ عَن ذَلِكَ عُلوّاً كَبِيراً .

٣ ـ بَعد أَنَّ فُرض أَنَّ الإِمَام يَعْلَم الحَقّ وَيَعمَل بِهِ يَكُون نَصّبه وَتَعيِينَه للإِمَامَة أَمراً طَبِيعيّاً غَير مَنُوط بإِقترَاع المُنتَخبِين وَإِرَادَة المَحكُومِين وإِنَّمَا يَرشد إِلَيهِ

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلْخُطْبَةُ (١٢٨).

(٢) ٱلنِّسَاء: ٥٩.

(٣) ٱلْمَائِدَة: ٥٥.

النَّبيّ ﷺ ، وَيَدل عَلَيهِ كَمَا دَلّ عَلَىٰ وجُوب الصَّوم والصَّلاَة ، وَالحَجّ وَالزَّكَاة ، وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْل الإمَامِيَّة : أَنَّ الإمَام يُعَرف بالنَّص مِن الرَّسُول الأَعْظَم ﷺ ، وقَوْل العَارِفين مِن أَهْل الإنصَاف بأَنَّ صفَات عَليّ تَنص عَلَيهِ بالإمَامَة ، وَتَعيّنه لهَا بحُكم العَقْل والعَدْل .

المَثَل الأَعْلَىٰ والوَاقِع :

وَتَقُول : أَنَّ هَذَا المَبدأ مِن الوجهَة النَّظرِيَّة صَحِيح ، وَمَثَل أَعْلَىٰ لاَ يَقبَل الشَّك وَالجدَال ، بَل يَطمَح إلَىٰ تَحقّقه كُلّ إنْسَان ، ولَكن المَثَل الأَعْلَىٰ شَيء والوَاقِع شَيء آخر ، حَيْث لاَ نَعرف أَحداً فِي هَذَا الوَصف بخَاصّة فِي زَمَاننَا هَذَا .

الجَوَاب :

أَنَّ الإمَامِيَّة لاَ يَدّعُون ظهُور هَذَا الإمَام الآنْ ، وَاتّصال النَّاس به وَاتّصَاله بِهم فِعلاً وإِنَّمَا يَقُولُون : أَنَّ الَّذي تَجب طَاعَته هُو العَالِم المَعْصُوم عَن الخَطَأ وَالزَّلل ، فَإنْ لَم يَكُن بهَذَا الوَصف فَهُو غَير وَاجب الطَّاعَة ولاَ مَنصُوب وَمُختَار للإمَامَة مِن عِند الله ، بَل مِن الَّذين أَرَادُوه ، وَارتَضُوه لذَلك . وبالإختصَار لاَ يَجب عَلَىٰ أَي إنْسَان أَنْ يُتَابع وَيُطِيع إنْسَاناً آخر إلَّا إذَا كَانَت مُتَابَعته وَسِيلَة للعَمَل بالحَقّ ، تمَامَاً كَمَن يُحتَرم العَالِم لعِلمه ، وَيُعَظم الأَمِين لأَمَانَته ، لاَ لشَخصه ... أَمَّا طَاعَة الحَاكِم لاَ لشَيء إلَّا لأَنَّه حَاكم وَكَفىٰ ، حَتَّىٰ وَلَو كَان جَاهلاً فَاسقاً فَإنَّهَا لاَ تَجب عِند الإمَامِيَّة ، بَل هِي مِن أَعْظَم المُحرمَات ، بَل تَجب مُعَارضَته ، وَمُقَاومَته مَع الأَمن وَعَدَم خَوف الضَّرر .

هَذي هِي الإمَامَة الَّتي يَعتَنقها الشِّيعَة ، وَيُدينُون بِهَا ، كَمَبدَأ وعَقِيدَة فَأي بَأس

بِهَا، أو مَحذُور يُلزمهَا ؟. وَمَا هِي الأَضرَار وَالمفَاسد المُترتبَة عَلَيهَا سِوىٰ القَوْل بأَنَّها أُمنيَة، وَحُلم مِن الأَحْلاَم الجَمِيلَة الَّتي لَم يُكتَب لهَا الفوز وَالإِنتصَار.

وَجوَابنَا عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ إِعرَاض النَّاس عَن القِيم، وَالمُثل العُليا لاَ يَخرجهَا عَن حَقِيقَتها، وَلاَ يَستَدعي جحُودهَا، وَعَدم الإِيمَان بِهَا، هَذَا إِلَىٰ أَنَّ التَّرَابط وَثِيق بَيْنَ الوَاقِع الإِجتمَاعي وبَيْنَ أُسلُوب التَّفْكِير. وأَنَّ التَّطور، وَالتَّقدم يَنبَثق مِن النَّظرِيَة الوَاعيَّة، وَقَد تُركَت وَمَا زَالت عَقِيدَة الإِمَام المَعْصُوم أَحسَن الآثَار وَأَقوَاهَا فِي الحَيَاه الإِنْسَانيَّة لأَنَّهَا كَانَت وَمَا زَالت حَرباً عَلَىٰ الإِرستقرَاطيَة الَّتي تَعتَمد عَلَىٰ المَولد، وَالثَّروَة، وَالجَاه، وعَلَىٰ مَن يَحكُم وَيَتحكَم فِي أُمُور النَّاس بِالقَهر وَالغَلبَة، وعَلَىٰ مَن يَدّعي أَنَّه يَحكم بأَمر الله، وهُو مُنغَمس بالجَرِيمَة إِلَىٰ أُذنَيه... كَمَا أَنَّهَا تُنَاصر الحُرِّيَّة، وَالدِّيمقرَاطيَة الَّتي تَكل الحُكم إِلَىٰ إِرَادَة النَّاس فِي غيَاب الإِمَام المَعْصُوم.

حُكم الحَقّ والعَدل:

وَبالتَالي، فَإِنَّ الشِّيعَة الإِمَامِيَّة كَانُوا وَمَا زَالُوا إِلَىٰ اليَوْم، وإِلَىٰ آخر يَوْم يَدعُون إِلَىٰ حُكم الحَقّ، والعَدْل بشَتَّىٰ الوَسَائِل، وهُم يَطمعُون، وَيَأملُون أَنْ يَتَحقَّق هَذَا الحُكم فِي يَوْم مِن الأَيَّام، حَيث يَعتَقدُون جَازِمين بأَنَّ دولَة البَاطِل، مَهْمَا عَظُمَت وَٱمتَد سُلطَانها، فَإِنَّهَا إِلَىٰ زوَال، وأَنَّ النَّصر فِي النّهايَة للحَقّ وَالعَدْل... وَهَذِهِ الحَقِيقَة قَد فُطر عَلَيهَا كُلّ إِنسَان، وَإِنْ لَم يَشعر بِهَا، وَيَلتَفت إِلَيهَا، وَالفَرق بَيْنَ الشِّيعَة وَغيرهُم أَنَّ الشِّيعَة أَدركُوها، وَعَرفُوا قَبل سوَاهُم أَنَّ ٱلْحَيَاة لاَ بُدّ أَنْ تَنْتَهي إِلَىٰ الصَّلاَح وَالخلاَص مِن الدَّوَاء، والأَسوَاء، وأَنَّ النَّاس، كُلّ النَّاس، سَيَعيشُون

فِي أَحسَن حَال مِن الخيْر ، وَالرَّفَاهيَة ، والأَمِن ، والعَدْل ... أَمَّا غَيرهُم فَجَرىٰ عَلَىٰ مَبدَأه مِن العَمَل بالقِيَاس البَاطِل ، حَيْث قَاس المُستَقبَل الغَائِب عَلَىٰ الشَّاهِد الحَاضر ، وَآمَن بأَنَّ الغَلبَة للشَّر فِي كُلّ زَمَان وَمَكَان .

ٱبن سَبأ :

وَلَستُ أَعرف أَحدَاً أَجهَل وَأَغبىٰ مِمَّن نَسَب الإِمَامَة إِلَىٰ عَبدالله ٱبْن سَبَأ ؛ وَأَنَّه أَصلهَا وَبَاعثهَا لاَ أَحد أَجهَل مِن هَذَا القَائِل ، لأَنَّ ٱبن سَبَأ خرَافَة لاَ أَسَاس لهَا فِي الوَاقِع ، وَشَخصيَتَه ٱختَلقهَا أَعْدَاء الشِّيعَة للتَّشنِيع عَلَيهِم ، وَالتَّنكِيل بِهم ، كَمَا قَالَ الدّكتُور طَه حُسَين فِي كِتَاب « عَليّ وَبَنُوه » وَأَثبَت ذَلِكَ بالأَدلّة الحِسّيّة ، والأَرقَام الَّتي لاَ تَقبَل الرَّيب السَّيِّد العَسكَري فِي كتَابه الخَطِير الشَّهِير « عَبدالله بن سَبأ » الَّذي طُبع أَكثَر مِن مرّة .

أَنَّ المَصدَر الأَوّل لفِكرَة الإِمَامَة هُو ٱلقُرءَان الكَرِيم ، والسُّنَّة النَّبويَّة ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1] ، والآيَة : ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2] ، وَالآيَة : ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[3] ، والآيَة : ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[4] ، والآيَة : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[5] .

---

(١) ٱلبَقَرَة : ١٢٤ .

(٢) ٱلفُرْقَان : ٧٤ .

(٣) الأَنبيَاء : ٧٣ .

(٤) ٱلقصَص : ٥ .

(٥) ٱلسَّجْدَة : ٢٤ .

وَجَاء فِي صَحِيح البُخَاري، وَمُسلِم، وَغَيرهُما مِن كُتب الحَدِيث: «الْأَئِمَّة مِن قُرَيْش»[1]. وَالتَّوضِيح فِي الفَصْل التَالي، فَإِنّه مُتَمم لهَذَا الفَصْل.

(١) أنظر، صَحِيح البُخَاري: ٨/١٢٧، و: ٤/١٦٥ طَبْعَة أُخرى، ٣/١٤٥٢ ح ١٨٢١، مُسْلِم فِي صَحِيحة كتَاب الإمَارة بِطُرق عَدِيدة مِن حَدِيث جَابر، و: ٦/٣ ـ ٤ كِتَاب الإمَارَة، بَاب النَّاس تَبَع لقُرَيْش، و: ٢/١٩١، طَبْعَة (١٣٤٨ هـ) و: ٣/١٤٥٢ ح ١٨٢١، فَتح البَاري: ١٣/٢١١ ح ٦٧٩٦، مُسنَد أَحْمَد: ٥/٨٧ ـ ١٠٨، مُسْنَد أَحْمَد: ٣/١٢٩، السُّنن الكُبرىٰ: ٣/١٢١، مُسْنَد أَبِي دَاود الطَّيَالسي: ١٢٥، المُصنَّف لعَبدالرَّزاق: ١١/٥٨ ح ١٩٩٠٣، المُصنَّف لِابْن أَبِي شَيبَة الكُوفِي: ٧/٥٤٥ ح ٨، مُسْنَد أَبِي يَعلىٰ: ٧/٩٤ ح ٤٠٣٢، مَجْمَع الزَّوائِد: ٥/١٩٤، الجَامع لِمُعَمر بن رَاشد: ١١/٥٨، مِيزَان الإعتدَال فِي نَقد الرِّجَال: ١/١٥٣ ح ٩٧، فَرائِدُ فَوائِدِ الفِكرْ فِي الإمَام المَهْدِيّ المُنْتَظَر عليه السلام تَأْلِيف الشَّيخ مَرْعِيّ بن يُوسُف المَقْدِسي الْحَنبَلِيّ مِن عُلَمَاء القَرن الحَادي عَشر الهِجري، بِتَحقِيقنَا الطَّبعَة الثَّانِيَة، مُحققة، ومَزِيدَة، ومُنَقَّحَة.

حَلّ المُشكْلاَت

المُشكْلاَت الإِجْتمَاعيّة:

بمَاذَا تَحل مُشكْلاَت الجَمَاعَة، وَمَا تُعَانِيه مِن بُؤس، وَشقَاء، وَمظَالم؟ وَمَا هِي الوَسِيلَة الَّتي تَقضي عَلَىٰ الفَقر، وَالمَرض، وَالجَهل؟ وهَل مِن المُمكن أَنْ تَعِيش الإِنْسَانيَّة بلاَ أَحقَاد وَأَضغَان، وَفِتَن وَحرُوب، أَو أَنَّ هَذِهِ الأَدوَاء، والأَوبَاء مِن لوَازم ٱلْحَيَاة الَّتي لاَ تَنفَك عَنْهَا بحَال؟ وَبالتَالي، هَل لهَـذِه الأَسئلَة أَجـوبَة حَاسمَة قَاطعَة؟.

النّظَام الشُيُوعي:

قَالَ مَن لاَ يُؤمِن إِلَّا بالمَادّة والإِقتصَاد: أَنَّ كُلّ مَا فِي النَّاس مِن مَظَاهر، وَكُلّ مَا يَصدُر عَن الإِنْسَان يَرجع إِلَىٰ نظَام ٱقتصَادي ٱنتَاجي مُعَيَّن، حَتَّىٰ الشَّاعر الَّذي يَتَغنىٰ بجمَال الطَّبِيعَة، وَالمُوسِيقىٰ الَّذي يَضع الأَلحَان، وزاَبتهَاج الإِنْسَان بالأَصدقَاء، والأَخوَان، وَٱغتبَاط الأُمّ بوَلدهَا، وحَتَّىٰ الحَدَائق فِي الدُّور، وَالقِطع الفَنيَّة عَلَىٰ الجُدرَان، كُلّ ذَلِكَ وَمَا إِلَيهِ يَتَولد وَيَنبَثق عَن الإِقتصَاد بَل أَنَّ الزُّهد فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا سَببه الإِقتصَاد، بَل أَنَّ الكَعْبَة، وَهَيكَل سُليمَان، وَالمَسَاجد، وَالحَضرَات المُقَدَّسَة، وَكَاتدرائيَات القُرون الوسطَىٰ لَم تُبن إِلَّا وَسِيلَة للمَال...

وَسُقرَاط الَّذي شَرب السّم، وهُو يَعْلَم أَنَّه مَيّت لسَاعَته لَم يَشرَبَه إِلَّا لدَافع إقتصَادي... وَكَذلك جَمِيع الشُّهدَاء الَّذِين تَقَدّموا للمَوت برِبَاطَة جَأش وَطِيب نَفْس لاَ دَافع لهُم إِلَّا الْإِقتصَاد وَحدَه، لاَ شَرِيك لهُ، مِنْهُ كُلّ شَيء، وإِلَيهِ المَصِير.

وَرَتبُوا عَلَىٰ ذَلِك أَنَّ النّظَام الْإِقتصَادي إِذَا تَغيَّر تَغيّر المُجتَمع وَانحَلّت مُشكْلاَته، وَعَاش فِي أَحسَن حَال، وَأَهدَأ بَال.

وَأَيسَر عيُوب هَذَا المَذهَب أَنَّه يَفصل الْإِنسَان عَن عَقْلَه، وَعَاطفَته، وَعَن تَربِيَته وَمُجْتَمعَه، وَيَسْجنَه فِي نطَاق الْإِقتصَاد فَقَط لاَ غَير... ولَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ الكَثِير مِن الدَّوَافع وَالصّلاَت بَيْنَ النَّاس تَرتَكز عَلَىٰ الْإِقتصَاد، وَلَكن الشَّيء الَّذي تَأبَاه البَدِيهَة أَنْ يَكُون وَرَاء كُلّ ظَاهِرَة للإِنسَان، وكُلّ مَوقف عَقلي أَو عَاطفي حَاجَة مَادّية ومَصْلَحَة إِقتصَاديَة... أَنَّ الْإِنْسَان يَجْمَع بَيْنَ الرُّوح والمَادّة، ولَيْسَ فِي وسْعه التَّخلص مِن إِحدَاهُما، حَتَّىٰ وَلَو كَان شيُوعيّاً عَرِيقاً فِي شيُوعِيَته، لأَنَّه فِي وَاقعَهِ إِنْسَان كسَائِر النَّاس مِن جِسمٍ وَرُوح، وَلكُلٍ لوَازمَه، وَمُقتَضيَاته الَّتي لاَ تَنفَك عَنْهُ بحَال.

النّظَام الدّيمُقرَاطي:

وقَالَ أَنصَار الرَّأسمَاليَة أَو «العَالَم الحرّ» كَمَا يُسمُون أَنْفسهِم: لاَ حَلّ إِلَّا فِي النّظَام الدّيمُقرَاطي، وَحرّيَة التّجَارَة، وَالتَّملك.

وَيَكفي للرَدّ عَلَىٰ هَؤُلاَء أَنَّ الدّيمُقرَاطيَة كَمَا هِي عِندَهُم قَد ٱنبَثَق عَنْهَا الثَّرَاء الفَاحش، وَالفَقر الفَاحش، وأَنَّ بلاَدهُم تَنْتج مِن الغِذَاء، وَالكسَاء، والْأَدوَات أَضعَاف مَا يَحتَاج إِلَيهِ السُّكَان، ومَع ذَلِكَ يُوجد فِيْهَا الجيَاع، وَالعُرَاة،

وَالمُشَرّدُون وَالسّر أَنَّ هَذِهِ الدّيمُقراطيَة قَد أَفسَحت المجَال للقِلّة القَلِيلَة لإِحتكَار الثَّروَة وَمَصَادرهَا، وَبالتّالي لتَحكّمها بحَيَاة النَّاس وَمَصيرَهُم... أَنَّ كُلًّا مِن الدّيمُقرَاطيَّة، وَالشُّيوعيَة لاَ تَضمن الحَل الصَّحِيح، وَلاَ مَا يَقرب مِنهُ، لأَنَّ الأُولىٰ أَخضَعت السِّيَاسيَّة لرجَال المَال، والإِقتصَاد، وَحَكّمت بالكَثرَة، وَالثَّانيَة أَخضَعت المَال، والإِقتصَاد لرِجَال السِّيَاسيَّة المُسَيطِرين عَلَىٰ الحُكم دُون غَيرهم، والنَّتِيجَة الحَتميَة عَدَم الحُرّيَّة هُنَا وهُنَاك.

وأَعظَم أَسوَاء الإِشتِرَاكيَّة، كَمَا هِي فِي رُوسيَا الأُمّ الحنُون لهَذَا النّظَام، وَأَسوَاء الدّيمُقرَاطيَة كَمَا هِي عِندَ الأَميركيِّين سَادَة «العَالَم الحرّ» أَنْ تجعَلا فنَاء العَالَم رَهنَاً بكَلمَة تَخرج مِن شَفَتي أَحد رَجُلَين غَير مَعصُوم عَن الأَخطَاء، وَلاَ مُنَزّه عَن الأَهوَاء. وَالرَّجُلان هُما رَئِيس أَميركَا، وَرَئِيس رُوسيَا. أَمَّا الكَلمَة فَهي الأَمر بإِلقَاء القُنبلَة الذَّريَّة عَلَىٰ مَن يَشَاء مِن العبَاد وَالبلاَد، ومَن الَّذي يَأمَن وَيَضمَن أَنْ لاَ يُصَاب أَحد هَذَين بنَوبَة عَصبيَّة مُفَاجِئَة مَا دَام غَير مَعصُوم، فَيَصدُر الأَمر بالفَنَاء وَتَتحقّق الكَارثَة بَيْنَ عَشيَة وَضُحَاهَا؟.

العِلم:

وقَالَ آخرُون: الحَلّ الصَّحِيح إِنَّمَا هُو فِي تَقدّم العُلُوم.

وَالجَوَاب: أَنَّ النَّاس لَم يَخشُوا فِي يَوْم مِن الأَيَّام مِن الخَرَاب، وَالدَّمَار الشَّامل، كَمَا يَخشَونَه اليَوْم، حَيْث تَقَدّم العِلْم، وَحَيث أَصبَحَ العُلَمَاء أَدوَات فِي أَيدي الحَاكِمين، وَالمُتولِين يُسَيرُونهَا فِي المَصَانع، وَالمُختَبرَات وفقاً لأَهوَائهم وَأَغرَاضهم.

الجنس:

وقالَت فِئَة تَدَّعي أَنَّهَا مِن أَتبَاع «فرُويد» الطَّبِيب النَّفسي الشَّهير؛ قَالَت هَذِهِ الفِئَة: أَنَّ الحَلّ يَكمُن فِي إِبَاحَة ٱلنِّسَاء للرِّجَال، حَتَّىٰ المَحَارم، وأَنَّه كُلَّمَا زَادَت الحُرِّيَّة الجِنْسيَة كُلَّمَا كَان ذَلِكَ خَيراً للإِنْسَانيَّة.

وَهَذِهِ دَعوَة خَبِيثَة إِلَىٰ إِنطلاَق الإِنْسَان مَع نَزوَاته الحَيوَانيَّة، وَالخُرُوج بِهِ عَن إِنسَانِيَته إِلَىٰ طَبيعَة البَهَائِم، والأَنْعَام، بَل أَحطّ وَأَدنَىٰ[1].

الإِمَام المَعصُوم:

وقَالَ الشِّيعَة الإِمَامِيَّة: أَنَّ الحَلّ الصَّحِيح الدَّائِم هُو فِي حُكـم حَـاكـم عَـالِم مَعصُوم عَن الخَطَأ وَالزَّلل. أَمَّا مَعرِفَة هَذِهِ الفِكْرة وَبوَاعِثهَا فَيَتَّضح مِمَّا يَلي:

أَنَّ للإِنْسَان حَاجَات يَستَدعِيهَا أَصل وجُودَه بمَا هُو مَوجُود بصَرف النَّظر عَن أَي شَيء آخر. فَكَمَا أَنَّه فِي وجُودَه يَحتَاج إِلَىٰ حَيّز يَشغَله كَذَلكَ يَفْتَقر فِي حَيَاته وَٱستمرَارهَا إِلَىٰ الغذَاء، وَالمَأوىٰ، وَالكسَاء وَمَا إِلَيهِ مِمَّا لاَ بُدّ مِنْهُ، وَلاَ غِنىٰ عَنْهُ.

وَيُضَاف إِلَىٰ هَذِهِ الحَاجَات الَّتي يَستَدعِيها كيَانَه الطَّـبِيعي حَـاجَات أُخـرىٰ يَقتَضِيهَا وجُودَه الإِجتمَاعي، كالزَّوَاج الشَّرعي، والتَّعلِيم، والأَمـن، وَالمُسَـاوَاة وَنَحوهَا. وَسَدّ هَذِهِ الحَاجَات حَقّ مِن حقُوق الإِنْسَان، ولَكن أَيّة قوّة تَحفظهَا لهُ وَتَضمنهَا؟ هَل التَّشريعَات، وَالقوَانِين، أَو الإِرشَادَات، وَالمَوَاعـظ، أَو الإِيـمَان بِالمُثل، وَالمَبَادىء، أَو التَّعلِيم، وَالتَّثقِيف؟.

---

(١) سَمعتُ مَن يَقُول: أَنَّ فِكرَة إِشَاعَة الأَموَال، وَالأَعرَاض ٱختَلقهَا الصَّهاينَة، لبَلبَلَة الأَفكَار، وَصَرف الأَنظَار عَن خططِهِم مِن أَجل السَّيطرَة عَلَىٰ العَالَم. (مِنْهُ ﷺ).

وَقَد أمتلأت بالتّشريعَات، وَالقوَانِين، ولَكن يَعُوزهَا التّنفِيذ، وَالتّطبِيق، حَتّىٰ عَلَىٰ الّذِين وَضعُوها، وَشرعُوها، أَمَّا الوَصَايَا، وَالمَوَاعظ فَإِنّهَا أَشبَه بـالجَرَائِـد اليَوميّة تُقرَأ ثُمَّ تُترَك للصُّرصُر أَو لسَلّة المُهملاَت، ولَيْسَت القِيم، وَالمُثل بشَيء عِندَ الأَكثَر أَمَام تَهدِيد المَصَالح، وَالمَنَافع، فَلَم يَبق إِلاّ الإِنْسَان الكَامِل الَّذي يَعْلَم حَاجَات النَّاس وَمَا يُصلحهُم، وَيَملك القوّة لدَفع الضَّرر عَنْهُم، وَجَـلب المَـنَافع لهُم، وَلاَ هَمّ لهُ إِلَّا أَنْ يَستَرِيحُوا وَيَسعدُوا، وَلاَ يُفضّل نَفْسَه بشَـيء، حَـتَّىٰ عَـن أَضعَفهُم، فَإِنْ شَبعُوا كَان آخر مَن يَشبَع، وَإِنْ جَاعُوا فَهُو أَوَّل مَن يَجُوع، وَبكَلمَة يَكُون مصدَاق الآيَة الكَرِيمَة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

وَللحَدِيث الشَّرِيف: «إِنَّما أَنا رَحمَة مُهدَاة»[2]. تمَاماً كَرَبّ العَائِلَة العَـطُوف الَّذي يَشعُر بأَنّه مَسؤول عَن كُلّ فَرد مِن أَفْرَادهَا، وَيُضَحي بحَيَاتَه فِي سَبِيلهَا... وَبَديهَة أَنَّ هٰذَا لاَ يَكُون وَلن يَكُون إِلَّا لمَـن عَـصم الله، وَأَقـصىٰ عَـنْهُ الأَهـوَاء وَالرَّغبَات إِلَّا الرَّغبَة فِي الخَيْر، وَالصَّالح العَامّ.

الآيات وَالأَحادِيث:

جَاء فِي بَعْض الآيَات ٱلقُرءَانِيّة والأَحَادِيث النَّبويّة أَنَّ الأَعمَال الجَمَاعيَة الَّتي تَرتكز عَلَىٰ الإِيمَان، والعَدَالَة صلَة وَثِيقَة بسعَادتها فِي هَٰذِهِ ٱلحَيَاة، وَبُعدهَا عَن المَصَائِب، وَالوَيلاَت، وأَنَّ تَهَاونهَا فِي الحَقّ، وَإِصرَارهَا عَلَىٰ الفَسَاد، وَٱرتكَاب

---

(١) الأَنبِيَاء: ١٠٧.

(٢) أُنظر، سُنن الدَّارمي: ١ / ٩، مُسْتَدرك الحَاكم: ١ / ٣٥، مَجمع الزَّوائد: ٨ / ٣٥٧، المُصنَّف لمُحَمَّد بن أَبي شَيبة الكُوفِي: ٧ / ٤٤١ ح ١٤٤، كَنز العُمَّال: ٤٣٥ ح ٣٢٠٩٤.

الحَرَام لهُ تَأثِير فعَّال فِي شَقَائِها، وَمَا تعُانِيه مِن الأَسوَاء، وَالبَلاَء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(١)، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٢)، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣)، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾(٤) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٥)، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٦).

وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِن الآيَات، وَيُستفَاد مِنهَا أُمُور:

١ ـ أَنَّ ظهُور الفَسَاد، ومِنْهُ الفقْر، وَالمَرض، وَالجَهل، إِنَّمَا هُو حُكم الأَرْض لاَ مِن حُكم السَّمَاء، وَمِن أَيدي النَّاس بإِمَاتَة الحَقّ، وَإِحيَاء البَاطِل، لاَ مِن قَضَاء الله وَقَدَره، وأَنَّ أَيّة جَمَاعَة عرَفوا الحَقّ، وَعملُوا بِهِ عَاشُوا فِي سَعَادَة وَهَنَاء.

٢ ـ أَنَّ التَّعبِير فِي الآيَات الكَرِيمَة بقَوم وبالنَّاس يَدلّ عَلَىٰ أَنَّ الشّقَاء مُستَند

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) الرَّعد: ١١.

(٣) الأنفال: ٥٣.

(٤) المَائِدَة: ٦٦.

مِن فَوْقِهِمْ كنَايَة عَن خَيرَات السَّماء، وَمِن تَحْتِ أَرجُلِهِم كنَايَة عَن خَيرَات الأَرْض.

(٥) الرُّوم: ٤١.

(٦) الشُّورَىٰ: ٣٠.

إِلَىٰ عصيَان الجَمَاعَة، وأَنَّ مُجرّد صَلاَح فَرد مِن الأَفرَاد لاَ يُجدي شَيْئاً مَا دَام بَيْنَ قَوم فَاسِدِين، بَل رُبَّمَا جرّ صَلاَحَه عَلَيهِ البَلاَء، وَالشّقَاء لوجُودَه فِي بِيئَة فَاسدَة، قَالَ جَلّ وَعزّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[1].

أي أَنَّ الآثَار السَّيئَة لمُجْتَمع مِن المُجْتمعَات تَعم جَمِيع أَفْرَاد الصَّالح مِنْهُم وَالطَّالح... فَإِنَّ الشَّعب الخَانع الخَاضع للعُسف وَالجَور لاَ بُدّ أَنْ يَعِيش أَفْرَاده فِي الذّل، وَالهَوَان، حَتَّىٰ الأَحرَار الطَّيبين.

أَمَّا الأَحَادِيث فِي هَذَا البَاب فَلاَ يُبلغهَا الإِحْصَاء، مِنْهَا:

«مَا نَقَض قَوم العَهْد إِلَّا سَلَّط الله عَلَيهِم أَشرَارَهُم»[2]. وَنَقض العَهد هُو عَدَم العَمَل بالحَقّ وَالأَمْر بهِ، ومِنْهَا: «وَمَا حَكمُوا بغَير مَا أَنزَل الله إِلَّا فشَا فِيهِم الفَقْر... وَمَا حَبسُوا الزَّكَاة إِلَّا حُبس عَنْهُم المَطَر»[3]. وَالمَطَر هُنَا كنَايَة عَن الخَيْرات، وَمِنْهَا: «إِذَا لَمْ يَحكمُوا بمَا أَنزَل الله جَعَل بأَسهُم بَيْنَهُم... وإِذَا عَملُوا بالمَعَاصي صُرفَت عَنْهُم الخَيْرات... ثَلاَثَة تُعجّل عقُوبَتها، وَلاَ تُؤخّر إِلَىٰ يَوْم القِيَامَة: عُقُوق الوَالدَين، وَالبَغي عَلَىٰ النَّاس، وَكُفر الإِحسَان...»[4].

---

(١) الأَنفَال: ٢٥.

(٢) أُنظر، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٤ / ٥٤٠، شَرح الزّرقَاني: ٣ / ١٩، البَيَان وَالتَّعرِيف: ٢ / ٣٧، المُعْجَم الكَبِير: ١١ / ٤٥ ح ١٠٩٩٢، مُسنَد الشَّاميِّين: ٢ / ٣٩١، مَجمَع الزّوَائِد: ٣ / ٦٥، التَّرغِيب وَالتَّرهِيب: ١ / ٣١٠ ح ١١٤٦، التَّمهِيد لِابْن عَبدالبر: ٢٣ / ٤٣٠.

(٣) أُنظر، المَصَادر السَّابقَة، وَتَفسِير القُرطُبي: ١٩ / ٢٥٣، الفِردَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ٢ / ١٩٧ ح ٢٩٧٨، فَيض القَدِير: ٣ / ٤٥٢.

(٤) أُنظر، شُعَب الإِيمَان: ٣ / ١٩٧ ح ٣٣١٤ و: ٧ / ٢٥١ ح ١٠٥٥٠، التَّرغِيب وَالتَّرهِيب: ١ / ٣٠٩ ح ١١٤٥، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٦ / ٣١٢ ح ١٠، أَمَالي الشَّيخ المُفِيد: ٢٣٧ ح ١ و ص: ٣١٠ ح ٢، أَمَالي الطُّوسي: ١٤ / ١٧ و ص: ٧٩ ح ٢٦.

وَمِنْهَا: «إِذَا كَذَبَ السُّلطَان حُبس المَطَر، وإِذَا جَار هَانَت الدَّولَة»[١].

وَفِي الدُّعَاء المَروي عَن الإِمَامِ عليه السلام: «أَللَّهُمَّ اغفر لِي الذّنُوب الَّتي تُغَيّر النِّعم، أَللَّهُمَّ اغْفر لِي الذُّنُوب الَّتي تَحْبُس الدُّعَاء، أَللَّهُمَّ اغفر لِي الذّنُوب الَّتي تُنزِل البَلاَء، أَللَّهُمَّ اغفر لِي الذّنُوب الَّتي تَقْطَع الرَّجَاء»[٢].

وَعَمَل المَعَاصي وَالحُكم بغَير مَا أَنزَل الله، وَنَقض العَهد، وَالبَغي عَلَىٰ النَّاس وَكذب السُّلطَان ـ كُلّ ذَلِكَ وَمَا إِلَيهِ مِمَّا جَاء فِي الحَدِيث وَالقُرْءَان كنَايَة وَاضحَة وَتَعبِير صَرِيح عَن فسَاد الأَوضَاع، وَالمَظَالم الإِجْتمَاعيَّة، وعَن «التَّراست» وَالتَّنَافس عَلَىٰ السَّيطَرة، وَاحتكَار الثَّروَات، وعَن الفُوضىٰ، وَالفَسَاد، وَالتَّهَتك والخَلاَعة، وَنَحوهَا. وَقَد اتَّفقَت فِي هَذَا العَصر كَلمَة المُؤْمِنين، وَالجَاحدِين، والرَّوحيِّين، وَالمَاديِّين أَنَّ فَسَاد الأَوضَاع سَبَب الإِنحطَاط، وَالتَّدهُور، والشُّرُور، وَالوَيلاَت. لَقد كَشَف الإِسْلاَم عَن الصِّلَة الوَثِيقَة بَيْنَ فسَاد الأَوضَاع وبَيْنَ الآلاَم الإِنْسَانيَّة، وَمَدىٰ تَأثِير تِلكَ فِي هَذِهِ، وَسَبق إِلَىٰ مَعْرفَة هَذِهِ الصِّلَة كُلّ مُفكّر، وَمُصلح، وَعَلَم مِن قَادَة الإِشْترَاكيَّة، وَالشُّيوعيَّة، وَالدِّيمُقرَاطيَة وَغيرهم. ولَكن مَا الحِيلَة فِي الجَهل «المُطبق» إِنْ صَحّ التَّعبِير الَّذي يُنسَب كُلّ فَضِيلَة ومَعْرفَة إِلَىٰ الأَجنَبي البَعِيد، وَيَنفِيها عَن أَهلِهِ وَقَومه الَّذِين هُم أَصلهَا وَمَصدَرهَا وَأَوَّلهَا وَآخرهَا، وَإِنْ كَان لَدىٰ غَيرهُم مِن شَيء يُذكر فَعَنهُم أَخذُوا، ومِنْهُم اقْتَبسُوا؟...

(١) أُنظر، المُستَدرك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٤ / ١٧٢ ح ٧٢٦٣، مَجْمَع الزَّوَائِد: ١ / ١٠٤، الفِرْدَوْس بمَأْثُور الخِطَاب: ٣ / ٢٦٧ ح ٤٧٩٤، مُسنَد الإِمَام الرِّضَا: ١ / ٢٨٠ ح ٨٩.

(٢) أُنظر، إِقبَال الأَعمَال: ٣ / ٣٣٢، مِصبَاح المُتَهجّد: ٨٤٤، الأَحكَام لإِمَام يَحيىٰ الهَادي: ١ / ٢٨٨.

٣ ـ أَنَّ المُرَاد بالإِيمَان، وَالتَّقوىٰ فِي الآيَات، والأَحَادِيث هُو ـ بَعد الإِيمَان بالله ـ التَّصدِيق بالخَير كَمَبَدأ، والعَمَل الصَّالح، النَّافع للفَرد، وَللنَّاس أَجمَعِين. أَمَّا لِبس المَسُوح، وَإِقَامَة الشَّعائِر دُون أَنْ تُعمَر القُلُوب برُوح التَّدَين الصَّحِيح فَلَيس مِن الإِيمَان فِي شَيء... وَقَد جَاء فِي الحَدِيث: «مَا آمن بِالله، وَاليَوْم الآخر مَن بَات شَبعَاناً، وجَارَه جَائِع، فقُلنا: هَلكنَا يَارَسُول الله! فقَال: مِن فَضل طعَامكُم، ومِن فَضل تَمركُم، ورِزقكُم، وَخَلقكُم، وخَرقكُم تُطفئُون بِهَا غَضَب الرَّب تَعَالىٰ»[(١)]... «خَيْر النَّاس مَن ٱنْتَفع النَّاس بهِ»[(٢)].... قَالَ نَبي الرَّحْمَة ﷺ: «مَنْ لَمْ يَهْتَم بِأُمور ٱلْمُسْلِمِين فَلَيْسَ مِنهُم»[(٣)]... قَالَ نَبي الرَّحْمَة ﷺ: «عَدْل يَومٍ وَاحدٍ يَعْدل عِبَادَة سَبعِين سَنَة»[(٤)]. قَالَ نَبي الرَّحْمَة ﷺ: «عَدْل سَاعَة أَفْضَل مِن عِبَادَة سَبعِين سَنَة»[(٥)].

---

(١) أُنظر، وَسَائِل الشِّيعة: ١٧ / ٢٠٩، بحَار الأَنْوَار: ٧٤ / ١٩١، كتَاب المكَاسب للشَّيخ الأَنْصَاري: ٢ / ١٠٦، رسَائِل الشَّهيد الثَّانِي: ٣٢٩. وقَرِيب مِنْهُ فِي الْمُعْجَم الْكَبِير: ١ / ٢٥٩ ح ٧٥١، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ٣ / ٢٤٣ ح ٣٨٧٤، الْقَوْل المُسَدّد: ١ / ٢١.

(٢) أُنظر، فَيض القَدِير: ٣ / ٤٦٦، شُعَب الإِيمَان: ٦ / ١١٧ ح ٧٦٥٨، مُسْتَدرك الوَسَائِل: ١٢ / ٧٨ ح ٤، الاِخْتِصَاص: ٢٤٣، أَمَالي الصَّدوق: ٢٨ ح ٤، لِسَان المِيزَان: ٣ / ٣٩٥، التَّدوِين فِي أَخْبَار إِصْفهَان: ٢ / ٣٠٨.

(٣) وَسَائِل الشِّيعة: ١٦ / ٣٣٦ ح (٢١٧٠٠) ١، تَأرِيخ مَدِينة دِمشق: ٢١ / ٢٠٧، الإِمَام جَعفر الصَّادق لعبد الحلِيم الْجُنْدي: ٣٢٣.

(٤) أُنظر، كَنْز العُمَّال: ٦ / ١٢ ح ١٤٦٢٣، وَلَكن بلَفظ ستِين سَنَة، البدَايَة والنِّهايَة: ٨ / ٨٧، وَلَكن بلَفظ خَمسِمئَة عَام، المَبسُوط للسَّرخسي: ١٦ / ٧٢، كَشف الخفَاء: ٢ / ٥٨، تَفسِير اًبن كَثِير: ١ / ٥٢٨، العهُود المُحمّديَة للشَّعرَاني: ٣٨٤، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٣٢ / ١٦٢.

(٥) أُنظر، الرِّسَالَة السَّعيديَّة للعَلاَّمة الحِلِّي: ١٥٤، مُستَدرك الوَسَائِل: ١١ / ٣١٧، جَامع الأَخبَار: ٤٣٥ ح ١٢١٦، نَصْب الرَّايَة للزَّيلَعي: ٥ / ٤٤.

وَهذَا الإيمَان بمَعْنىٰ العَمَل الإنْسَاني الَّذى يَنْتج السَّعَادَة الشَّامِلَة لاَ يَتحقَّق وَلَن يَتحقَّق إلَّا إذَا تَولىٰ السُّلطَة إمَام فَوق الشُّبهَات، لاَ يَجُوز عَلَيهِ الخَطَأ وَالخَطِيئَة. أَمَّا إذَا تَولاَهَا مَن لاَ حَصَانَة لهُ فَلاَ مَحِيص عَن وجُود المُشكْلاَت، وَالنَّكبَات، سوَاء أكَان الحَاكِم فَرداً، أو فِئة، مَا دَامُوا جَمِيعاً عُرْضَة للأَخطَاء وَالمَيل، مَع الأَهوَاء... وَبهَذَا نَجد تَفسِير مَا جَاء فِي الحَدِيث: «أَنَّ فِي ولاَيَة العَادل إحيَاء الحَقّ كلّه، وَإحيَاء العَدْل كلّه. وأَنَّ فِي ولاَيَة الجَائر دَرْس الحَقّ كلّه، وَإحيَاء البَاطِل كلّه»[1]، وَتَفسِير قَوْل أَمِير المُؤْمِنِين: «فَإذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَىٰ الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّىٰ الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَىٰ أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَىٰ، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ»[2].

أَمَّا الإيمَان بمَعْنىٰ الصَّوم، والصَّلاَة، وَبنَاء المَسَاجد، وَرَفع المآذن ليَتحقَّق مَع وجُود المَعْصُوم وَغيَابه.

وَبالتَالي، فَإنَّ الإمَامِيَّة يَعتَقدُون بأَنَّ الحَضَارَة، وَالمَدنيَة، وَالتَّقَدُم بمَعنَاه الصَّحِيح لاَ يَكُون إلَّا بإقَامَة العَدْل، وَإشَاعَة الأَمِن، وَالرَّفَاهيَة، وَإلاَّ بالقَضَاء عَلَىٰ

---

(١) أنظر، وَسَائِل الشّيعَة: ١٧ / ٨٤ ح ١، الكَافي: ٥ / ١١٠، التّهذِيب: ٢ / ١٠٢.

(٢) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (٢١٦).

الظُّلم، وَالفَقر، وَالجَهل، وأَنَّ بنَاء المُجتَمع الصَّالح السَّليم فِي دِينهِ، وَدُنيَاه لاَ يَتم إلَّا عَلَىٰ يَد إِمَام مَعصُوم، أَو عَالِم عَادل... ومَن تَتَّبع، وَتَدبر ٱلْـقُرْءَان الكَـرِيم، والسُّنَّة النَّبويَّة يَجد لهَذِه العَقِيدَة جذُورَاً ثَابتَة فِيهمَا، وَأُصولاً جَليَة، وَاضِـحَة لاَ تَقبَل التَّأوِيل، وَلاَ القَال وَالقِيل.

حُكم الفَرد:

وتَقُول: أَنَّ حَصر السُّلطَة بالإِمَام المَعْصُوم مَعنَاه حُكم الفَـرد الَّـذي لاَ يُـنَاط بإِرَادَة المَحكُومِين، وَٱنتخَابهم، ولَيْسَ مِن شَكّ أَنَّه غَير مَرغُوب فِـيهِ فِـي هَـذَا العَصْر.

الجَوَاب:

أَنَّ المنُتْخَب حَقّاً هُو الَّذي يَعمَل عَلَىٰ سعَادَة المَحكُومِين، وَمَصلَحتهُم، أَمَّـا مُجرّد رَفع اليَد، والإِدلاَء بالصَّوت فَلَيس مِن الإِنْتخَاب الصَّحِيح فِـي شَـيء إِذَا ٱنحَرف المُنْتَخب مَع أَهوَائه، وعَمَل لصَالحهِ، وَمَنفَعته، بخَاص،ة إِذَا كَان النَّاخب مُرتَشياً، أَو جَاهلاً، وَمَخدُوعاً مُظللاً بالدّعَايَات الزَّائفَة، وَالموَاعِيد الكَاذبَة، كَمَا هُو الشَّأن فِي جَمِيع الإِنتخَابَات أَو أَكْثَرهَا، ومِن هُنَا جَاء فِي ٱلْقُرْءَان الكَـرِيم: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾[1]؛ وَقَال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ﴾[2]؛ وَقَال تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾[3].

---

(١) ٱلْأَعْرَاف: ١٨٧.

(٢) ٱلْمَائِدَة: ١٠٣.

(٣) ٱلْمُؤْمِنُون: ٧٠.

إذَن وجُود الحَقّ لاَ يُنَاط بإرَادَة المُوَافق أَو المُخَالف، فَإِنَّ للإِنْسَان تمَام الحُرِّيَّة فِي أَنْ يَقعد أَو يَقف، ولَكن لَيْسَ لهُ أَنْ يَترك الحَقّ ويَفْعَل البَاطِل، بَل لَيْسَ لهُ أَنْ يَختَار المَفضُول مَع وجُود الأَفضَل وَقَد رَوىٰ السُّنَّة، وَالشِّيعَة عَن النَّبيّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «مَن ٱسْتَعمَل رَجُلاً مِن عصَابَة وفِي تِلكَ العصَابَة مَن هُو أَرْضَىٰ للهِ مِنْهُ فَقَد خَان الله وَرَسُوله، وَخَان الْمُؤْمِنين»[1].

وَعلّق أَدِيب مُعَاصر عَلَىٰ هَذَا الحَدِيث بقَوله: «أَجل، أَنَّ الأَيدي القَوِيَّة، النَّظِيفَة، العَادلَة، البَارّة هِي وَحدهَا الَّتي تُؤمِن عَلَىٰ مصَاير الخَلق، وَحَاجَات النَّاس أَنَّ الحُكم تَضحيَة لاَ تجَارَة، وَخِدمَة لاَ ٱستِيلاَء».

وَبكَلمَة أَنَّ المَعْصُوم هُو الحَقّ مُجسماً فِي شَخصَه، والعَدْل المَحسُوس المَلمُوس، ومِن هُنَا وَجَبت طَاعَته، وَحَرُمت مُخَالفته، يُضَاف إِلَىٰ ذَلِكَ كلّه أَنَّه لَيْسَ فِي مَيسُور أَيّما ٱمرِيء أَنْ يُمَثّل غَيْرَه تَمثِيلاً حَقِيقيّاً، كَمَا أَثبَتَت التَّجَارُب.

نظَام الإمَام:

مَا هُو النّظَام الَّذي يُطَبّقه الإِمَام وَيَعمَل بِهِ، لَو تَولىٰ الحُكم؟ هَل هُو النّظَام الرَّأسمَالي أَو الأَشترَاكي؟.

الجَوَاب:

---

(١) أُنظر، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٤/١٠٤ ح ٧٠٢٣، مَجْمَع الزَّوائِد: ٥/٢١١، المُعْجَم الكَبِير: ١١/١١٤ ح ١١٢١٦، السُّنَّة لِابْن عَاصم: ٢/٦٢٧ ح ١٤٦٢، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ٣/١٢٥ ح ٣٣٤٥، سُبل السَّلام: ٤/١١٧ و ١٩٠، حُلية الأَولِيَاء: ٧/٨٣، تهذِيب التَّهذِيب: ٢/٣١٣ ح ٦٢٣، تَأرِيخ بَغداد: ٦/٧٦، الدِّرايَة فِي تَخريج أَحَادِيث الهِدَايَة: ٢/١٦٥ ح ٨١٥، نَصب الرَّاية: ٤/٦٢، سُنن البَيْهَقِيّ الكُبرىٰ: ١٠/١١٨ ح ٢٠١٥١.

أَنَّ نظَامَه أَفْضَل نظَام للبَشريَة عَلَىٰ الإِطلاَق، فَهُو يَجمَع بَـيْنَ صَـلاَح الدِّيـن والدُّنْيا للجَمَاعَات والأَفرَاد، وَيَسِير بِهم جَمِيعاً فِي طَرِيق الرَّفَاهيَة، وَالإِزدهَار، وَالأَمن، والعَدْل، وَيَحفظ الحُرِّيَّة، وَالكَرَامَة للـجَمِيع، وَلاَ يَـدع مَـجَالاً لـلطَّمع وَالجَشع، وَلاَ للإِسغلاَل، وَسَيطرَة فِئَة عَلَىٰ فِئَة، أَو فَرد عَلَىٰ فَرد... وَبكَلمَة أَنَّه نظَام الإِنْسَانيَّة الَّذي يُحقّق الخَيْر، وَالصَّلاح العَامّ فِي شَتّىٰ المَيَادِين بدُون اَستثنَاء وَبَعد هَذَا سَمّه بأَي اَسم شِئتَ.

وَتَحقِيقاً للهَدف المَطلُوب يُترَك للإِمَام اَختيَار الوَسَائِل الَّتي تُحقّقه مِن التَّأمِيم وغَيْرَه إِذْ بَعد أَنْ اُفتَرض فِيهِ العِصْمَة يَكُون لهُ جَمِيع مَا للنَّبيّ ﷺ مِن الوْلاَية عَلَىٰ الأَنْفس، والأَموَال... وَبَديهَة أَنَّ العِصْمَة تَنأَىٰ بِهِ أَنْ يَفْعَل إِلاَّ لمَصلَحة المَـولىٰ عَلَيهِ. قَالَ السَّيِّد مُحَمَّد بَحر العُلُوم: «أَنَّ سُلطَة الإِمَام عَلَىٰ الرَّعيَة لَيْسَت كَسُلطَة السَّيِّد عَلَىٰ مَملُوكه، الجَائز لهُ التَّصرف لمَحض التَّشهي... بَل لمَـصلحَة مُـلزمَة رَاجعَة إِلَىٰ نَفْس المَولىٰ عَلَيهِ، لأَنَّ الإِمَام فِي مَرتبَة المُكَمّل للنَّقص الَّذي اَقتَضَىٰ اللُّطف وجُودَه»[(١)].

وَاللُّطف عِندَ الإِمَامِيَّة مَا يُقرّب الإِنْسَان مِن الخَيْر، وَيَبتَعد بهِ عَن الشَّر، وهِي مُهمّة الإِمَام المَعْصُوم[(٢)].

وَبهذَا يَتبيَّن مَعنَا أَنَّ الإِمَامِيَّة آمنُوا بفِكرَة الإِمَام المَعْصُوم، وَوجُـوب حَـصر السّلطَة بِهِ للآيَات، والأَحَادِيث، وَلتَحقّق السَّعَادة الدّنـيويَّة، وَالأُخـرويَّة الَّـتي

(١) أُنظر، كِتَاب «بُلغَة الفَقِيه: ٣ / ٢١٨.

(٢) أُنظر، فَصُول العَقَائِد (الفَصْل الثَالث / فِي النُّبوَّة والإِمَامَة)، وَشَرْح تَجرِيد الإِعتِقَاد: ٣٤٢، حـقَائِق الإِيمَان: ٨٥، دَلاَئِل الصِّدق: ٢ / ١٤، تَلخِيص المُحصل المَعرُوف بِنَقد المُحصل: ٤٠٦.

يَطمَح إلَيهَا كُلّ عَاقل، وَنُعِيد هُنَا المُلاَحظَة السَّابقَة مَع جوَابهَا، أَمَّا المُلاَحظَة فَهي أَنَّ فِكرَه الْإِمَام المَعْصُوم صَحِيحَة كنَظريّة، أَمَّا مِن الوجهَة العِمليَة فأَين هُو هَـذَا الْإِمَام حَتَّىٰ نُطِيعَه، وَنُتَابعَه ؟.

وَالجَوَاب :

أَوّلاً : إنّا نَتّخذ مِن هَذِهِ النَّظريَة سلاَحاً ضِدّ حُكّام الظُّلم × وَالجَور.

ثَانِياً : أَنَّ كُلّ نظَام وجدَ، وعُمَل بِهِ نَشَأ أَوّل مَا نَشَأ فِي عَالَم العَقْل ثُمَّ تحوّل إِلَىٰ العَمَل... وَقَد بَقِيَت الْإِشْترَاكيَّة نَـظريَة بَـحتَة، وَفَـلسفَة مُـجرّدَة يَـدُور حَـولهَا النّقاش، وَالجِدال السّنِين الطّوَال قَبل أَنْ تبرز إِلَىٰ حَيز الوجُود.

قَالَ « برتراند راسل » : « أَنَّ الفَلْسَفَة تَتَألف مِن التَّخمِينَات حَول الْأَشْيَاء الَّـتي لاَ يُمْكن بَعد أَنْ تَتَوفر المَعْرفَة الدَّقِيقَة المَـضبُوطَة بِـهَا... وأَنَّـها تُـحَافظ عَـلَىٰ اَستمرَار مَلكَة التَّصور، وَالتَّخمِين فِي دقَائق الْأَشْيَاء... وَإِنّي أُرِيـد لمُـخيلاَت النَّاس أَنْ تَكُون مَحصُورَة مَحدُودَة ضِمن مَا يُمْكن أَنْ يَكُون مَعلُوماً فِـي الوَقت الحَاضر... وَقَد اَستَنبَط الفَلاَسفَة القُدامـىٰ مَـجمُوعَة كَـاملَة مِـن الفَـرضيَات، والنَّظريَّات الَّتي ثَبَت نَـفعهَا، وَصـحتهَا فِـيمَا بَـعد، والَّـتي لَـم يَكُـن إِخـتبَارها يَومذَاك »[١].

وإِذَا تَحَقَّقت نَظريَات الفَلاَسفَة، وَاَفترَاضَاتهم بَعد أَلفي عَامّ، أَو أَكْثَر ـ وَقَد كَان يَظن أَنَّهَا محَال ـ فَمِن الجَائز إِذَن، أَنْ يَظهَر الْإِمَام المَعْصُوم، وَيَـتولىٰ السُّـلطَة، وَتَحل حكُومَته جَمِيع مُشكْلاَت العَالَم، وَلَو بَعد سنِين، حَـيْث تُـمَهد الأَسـبَاب وَتُوجَد المُقتضيَات.

---

(١) أُنظر، رَاسل يَتَحدّث عَن مشَاكل العَصْر. (مِنهُ ﷺ).

ثالثاً : أَنَّ لكُلّ مُشكِلَة إجتماعيَّة حَلاً فِي نَفس الأَمْر ، والوَاقِع تَختَلف الأَنظَار فِي تَحدِيدهَا ، وَبَيَان حَقِيقَتها ، وَيَرىٰ الإِمَامِيَّة أَنَّ المُشكِلاَت الإِجْتمَاعيَّة لاَ تُحل وَلَن تُحلّ حَلًّا جَذرياً كُليّاً إِذَا حَكَم إِمَام مَعصُوم وَبدُونه تُحلّ المُشكِلاَت حَلًّا مُؤقتاً أَو جُزئياً ، ذَلِكَ أَنَّ الصَّواب لاَ يَأتي مِن الخطأ ، وَالحَقّ لاَ يَتولد مِن البَاطِل .

هَذَا ، إِلَىٰ أَنَّ التَّجَارب أَثبتَت وجُود التَّرابط الوَثِيق بَيْنَ إِصلاَح المُجتَمع ، وبَيْنَ السّلطَة السِّيَاسيَّة ، بخَاصّة بَعد أَنْ سَيطَرت الحكُومَة عَلَىٰ جَمِيع مظَاهر ٱلْحَيَاة مِن التَّربيَة ، والتَّعلِيم ، والعَمَل ، والأَشغَال ، وَالصّحَة ، وَالزّرَاعَة ، وَالدّعَايَة ، والأَنبَاء ، وَالشّؤون الإِجْتمَاعيَّة ، والقَضَاء ... وَقَد كَانَت مُهمَتها مِن قَبل تَنحَصر فِي الدّفَاع عَن الحُدُود مِن العَدوّ فِي الخَارِج ، وَحِفظ الأَمن فِي الدَّاخل ، فَإِذَا لَم تكُن السّلطَة مَعصُومَة عَن الخَطأ ، وَالزّلل لَم يَتحقَّق الغَرض المَقصُود مِنْهَا ، وهُو الصَّلاَح والإِصلاح الشَّامل الكَامل .

رَابعاً : أَنَّ نظَام الحكُومَة البدَائيَة كَان أَشبَه بالنّظَام القَبلي ، بَل هُو ، هُو ثُمَّ تَقدّمَت الحكُومَة مَع ٱلْحَيَاة شَيْئَاً فَشَيئاً فِي شِكلهَا وَنظَامها ، حَتَّىٰ أَصبَحت حَيْث نَرَاها اليَوْم . وَيَعتَقد الإِمَامِيَّة أَنَّهَا سَتَتقدّم بَعد أَكثَر فَأَكثَر حَتَّىٰ تَبلغ الغَايَة فِي الكَمَال ، ويَعِيش النَّاس فِي ظِلّها سُعدَاء آمنِين ، وَتَكُون نِسبَة الحكُومَات الحَاضرَة إِلَيهَا ، تَمَاماً كَنِسبَة الحكُومَة البدَائيَة إِلَىٰ حكُومَات اليَوْم ، وَمَا ذَلِكَ عَلَىٰ الله بعَزِيز ، أَمَّا مَصدَر هَذَا الإِعتقَاد فَهُو فِكرَة الإِمَام المَعْصُوم .

وَبَعد هَذَا ، فَهل تَرَاني بحَاجَة إِلَىٰ القَوْل : أَنَّ فِكرَه الإِمَام المَعْصُوم لاَ تَتصَادم مَع مَنطق العَقْل ، بَل يُؤازرهَا وَيُنَاصرهَا ، وأَنَّ مَن يُعَارض هَذِهِ الفِكْرَة فَإِنّمَا يُعَارض وَيُعَاند الحَقّ ، والخَيْر وَالعَدْل ، مِن حَيْث لاَ يُرِيد .

الدَّولَة العَامَّة العَادلَة

هٰذا الفَصل:

نَقلنَا فِي الفَصْل السَّابق الْأَقوَال فِي حَـلّ المُشكْـلاَت، وَعـلاَج المُـعضلاَت الْإِجْتمَاعيَّة، وأَنَّه يَكمُن فِي حُرّيّة التّجَارَة، وَالتَّمَلك عِندَ الدّيمُقرَاطيّين « العَالَم الحرّ »، وفِي الْإِشْترَاكيَّة أَو الشُّيوعيَّة لَدىٰ خـصُومهم، وفِـي تَـقَدّم العِـلْم عِـندَ الْآخرِين، وَفِي إِبَاحة الجِنس عَلَىٰ رَأي... وَلَم نُشر إِلَىٰ قوْل مَن قَالَ: « لاَ علاَج، وَلاَ شفَاء إِلَّا فِي الدَّولَة العَامَّة لجَمِيع سُكّان المَعمُورَة.... حَيْث كَان العَزم عَلَىٰ أَنْ نَعْقد فَصلاً مُستَقلاً، لِأَهميّتَه مِن جهَة، وَلِإِتّصَاله الوَثِيق بظهُور الْإِمَام المَـعْصُوم وَعمُوم سُلطَانه مِن جهَة أُخرىٰ.

حَاكِم وَاحد:

فِي سَنَة (١٨٣٨ م) أَعلَن الفَيلسُوف الْأَميركي « وَيـليام لويـد غـاريسون » المَبَاديء الَّتي يُؤمِن بِهَا، فَقَال فِيمَا قَالَ:

« لاَ يُمكننَا أَنْ نَعتَرف بالْوَلاَء لأَيّة حُكُومَة بَشريّة، إِنّـا نَـعتَرف فَـقط يَـملك وَاحد، وَبمَشرُوعٍ وَاحد، وَبقَاضٍ وَاحد، وَبحَاكم وَاحد للـجِنس البَشـري. أَنَّ بلاَدنَا هِي العَالَم، وكُلّ الجِنس البَشري هُم أَبْنَاء بلاَدنَا، إِنّا نُـحبّ أَرْض بـلاَدنَا

بمقدَار مَا نُحبّ البُلدَان الأُخرىٰ، فَمَصَالح المواطِنين الأَميركيِّين، وَحقُوقهُم، وَحُرّيَاتهُم لَيْسَت أَعز عَلَينَا مِن تِلكَ الَّتي للجِنس البَشري[1].

ومِن قَبله بقرُون قَالَ الأَدِيب الإِيطَالي الشَّهير «دَانتي»:

«يَجْب أَنْ تَخضع الأَرْض بكَاملهَا، وكُلّ شعُوبهَا لأَمِير وَاحد يَمتَلك كُلّ مَا يَحتَاج إِلَيهِ، فَلاَ تَنشَأ عِندَه الرَّغبَة فِي شَيء لاَ يَملكَه... فَيُخَيم السَّلاَم، وَيُحبّ النَّاس بَعْضهُم بَعضاً، وَتَحصل كُلّ عَائلَة عَلَىٰ جَمِيع مَا تَحتَاج إِلَيهِ»[2].

وَهَذِهِ الدَّولَة الَّتي يَعمّ فِيْهَا الخَيْر وَلاَ تُقِيم وَزناً إِلَّا للتَّقوىٰ الَّتي دَعَا إِلَيهَا ٱلْقُرْءَان الكَرِيم، والنَّبيّ العَظِيم، وَآمَن الإِمَامِيَّة بصَاحبهَا الَّذي يَملأ الأَرْض قِسطاً وَعَدلاً، وَغَرِيب أَنْ يَسخَر مِن كَلمَة «يَملأ الأَرْض قِسطاً وَعَدلاً»[3]، مُثَقف يَدّعي المَعْرفَة بالأَفكَار، والإِتجَاهَات الغَرِيبَة، وهُو أَجهَل النَّاس بالقَدِيم، وَالجَدِيد، وَبآرَاء النَّيرين فِي الشَّرق وَالغَرب.

إِنَّ لهَذِهِ الفِكْرة جذُوراً ثَابتَة فِي جمهُوريَّة أَفلاَطُون الَّذي سَبق عَصْر السَّيِّد

---

(١) أُنظر، تَكوّين العَقْل الحَدِيث: ٢ / ٤١٨ طَبْعَة ١٩٥٨م. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، المَصْدَر السَّابق: ١ / ١٧٠.

(٣) أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ١ / ٣٧٦، تَأرِيخ بَغدَاد: ٤ / ٣٨٨، عُقد الدُرَّر: البَاب ٢ ح ٤٢، كَنز الْعُمَّال: ٧ / ١٨٨، و: ١٤ / ٢٦٨ ح ٣٨٦٧٥، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ١٣٦، مشكَاة الْمَصَابِيح: ٣ / ١٥٠١ ح ٥٤٥٢، وسُنن التِّرمِذي: ٢ / ٣٦ و: ٣ / ٣٤٣ ح ٢٣٣١ و ٢٣٣٢، وسُنن أَبي دَاود: ٣ / ٣٠٩ ح ٤٢٨٢، مَودَّة القُربىٰ: ٣٠، فرَائد السِّمطِين للجُويني: ٢ / ٣٢٤ ح ٥٧٤، الجَامِع الصَّغِير للسُّيوطي: ٢ / ٤٣٨ ح ٧٤٨٩، جوَاهر العِقدَين: ٢ / ٢٢٦، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٣ / ٢٤٥ و ٢٥٦ و ٢٩٨، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩١، حلية الأَوْلِيَاء لأَبي نَعِيم الإِصبهَاني: ٥ / ٧٥، بشَارة الإِسْلاَم: ٥٧. وأَنظر، فَرَائِدُ فَوائِدِ الفِكْرِ فِي الإِمَام المَهْدِيّ المُنْتَظَر تَأْلِيف الشَّيخ مَرْعِيّ بن يُوسُفَ المَقْدِسي الْحَنْبَلِيّ مِن عُلَمَاء القَرن الحَادِي عَشر الهِجري، الطَّبعَة الثَّانِيَة بتحقِّيقنا.

المَسِيح بأَكثَر مِن ثلاَثَة قُرون، وفِي أَقْوَال القدّيس أوغسطِين، وفِي المَدِينَة الفَاضلَه للفَارَابي، ولهَا أَنصَار كُثر مِن الفَلاَسفة، وَالعُلمَاء، والأُدباء القدّيسِين مِنْهُم صمُوئيل جنسون الإِنجلِيزي الَّذي قَالَ: «الوَطنيَّة آخر مَا يَلجَأ إِلَيهِ الوَغد».... و «ليسنغ» الأَلمَاني القَائِل: «مَتىٰ لاَ تُعد الوَطنيَّة فِي عدَاد الفَاضل» ومِنْهُم «فولتير ١٦٩٤ - ١٧٧٨م» الأَدِيب الفَرنسي الشَّهِير الَّذي قَالَ: «يَكُون للفَرد وَطَن وَاحد إِذَا كَان يَحكمهُ مَلك صَالح، وَلاَ يَكُون لهُ أَي وَطَن إِذَا كَان يَحكمَه مَلك شرّير»... ومِن أَقْوَال هَذَا المُفكِّر: «مَا تَمنىٰ أَحد العَظمَة لبلاَده إلّا تَمنىٰ التَّعَاسَة للآخرِين»... وَقَالَ غوته: «أَنَّ وَطني الخَيْر، وَالنُّبل، والجَمَال، وبوسعنَا أَنْ نَجد الرَّاحَة فِي الإِتّجَاه الكَوني» إِلَىٰ غَير ذَلِكَ مِن أَقْوَال المُفكرِين، مِن اليَسَاريِّين والمُحَافظِين[1]. ومِن الدَّاعِين لهَذه الفِكْرة فِي هَذَا العَصر «برتراند راسل» الفَيلسُوف الإِنجلِيزي الشَّهِير.

إِنَّ هَذَا المَبدأ الَّذي هُو فِي حَقِيقَته التَّدَين بوجُوب الوحدَة العَالميَة، وَالوْلاَء لقَائدهَا الَّذي يَملأ الأَرْض قِسطاً وَعَدلاً، وَحضَارَة تَنْعم بالسَّلاَم، والنّظَام، والرَّفَاهيَّة، وَالأَزهَار. أَنَّ هَذَا المَبدأ مِن أَهَم الفرُوق الَّتي مَيزَت عَقِيدَة التَّشيُّع عَن غَيرهَا مِن العَقَائِد.

عِلّة العِلَل:

لَقَد رَأىٰ الإِسْلاَم وهَؤُلآء الدُّوليُون أَنَّ القَوميَّة مَظهَر غَير طَبِيعي، وَلاَ عَقلي،

(١) بالأَمس القَرِيب أَصدَر عَشرَة مِن الأَعضَاء المُحَافظِين فِي البَرلمَان الإِنجلِيزي كتَاباً بعُنوَان «سُلطَة للأَمن» يَشرحُون فِيهِ وجهَة نَظرهم بإِنشَاء حكُومَة عَالميَّة، وَأَستَدلوا بتَصريحَات مَكملان رَئِيس الوزَارة، وذنكان وزِير الدّفَاع البريطَانيِّين. (مِنْهُ ﷺ).

وَلاَ إِنسَاني، وأَنَّ الحُدُود الأَرضيَة الجُغرَافيَة تَفصل الإِنسَان عَن أَخِيه الإِنسَان، وبالتَالي تَعزلَه عَن وَاقعهِ وَإنسَانِيَته، وأَنَّ التَّعصب، والإِضغَان، وَحبّ السّيَادَة، وَالسَّيطرَه، وَالتّنافس عَلَىٰ قيَادَة العَالَم، وَٱحْتكَار الثّروَات وَمصَادرهَا، كُلّ هَذِهِ وَمَا إِلَيهَا كمُشكْلَة الأَقليَات، وحمَايَة الأَجَانب، وَالشّعوب المُختَلفة، وَالدّول الضّعِيفَة، وَالحرُوب، والإِسْتعمَار لاَ مَصدَر لهَا إِلاّ القَوميّات، وَالشّعُوب المُختَلفة، وَالدّول الضّعيفَة، وَالحرُوب، والإِسْتعمَار لاَ مَصدَر لهَا إِلاّ القَوميَات وَالحوَاجز الأَرضيَة، فَهي السَّبَب الأَوّل، وَعلّة العِلَلَ، وَمَتىٰ ٱتّحد العَالَم أَجمَع فِي دَولَة وَاحدَة بقيَادَة حَكِيمَة مُنزّهة عَن الأَهوَاء، بَعِيدة عَن الأَخطَاء ٱتّجه كُلّ إِنْسَان ٱتّجَاهاً كَونيّاً، وَشَعر شعُوراً إِنسَانيّاً شَاملاً لاَ يَحدّه وَطن، وَلاَ يَنحَرف بهِ تَعصب إِلىٰ عُنصر، أَو أَرْض، أَو أَي شَيء.

وَهَذَا تَعبِيرٍ ثَان عَن فِكرَة الإِمَام المَعْصُوم الَّذي قَالَ الشّيعَة: أَنَّه يَخرج فِي آخر الزّمَان ويُوحد العَالَم تَحت رَايَة وَاحدَة، وَيَملأ الأَرض عَدلاً، وَيُسَاوي بَيْنَ الجَمِيع حَتّىٰ لاَ يَرىٰ مُحتَاج، وَلاَ تُراق مَحجَمَة مِن دَم[1]... إِنَّ الشّيعَة يُؤمنُون إِيمَاناً لاَ يُخامرَه الشَّك بهَذِهِ الدّولَة الشّامِلَة، وَحضَارتهَا الكَامِلَة الَّتي لاَ يُوجد فِي ظِلها كَبِير وَصَغِير، قَوي وَضَعِيف، بَل كلّهم أَقويَاء، أَغنيَاء، صُلحَاء إِنّهُم يُؤمنُون بهَا، وَبحضَارتها كعَقِيدَة رَاسخَة، لاَ كَأُمنيَة وَأَحلاَم، كَمَا هُو شَأن الطّوبَائيّين، كَمَا أَنَّهُم يُؤمنُون أَيْضاً بأَنَّ الحضَارَة حقّاً لَيسَت فِي تَقدّم الصّنَاعَات، وَتكدِيس

(١) أنظر، كتَاب الغَيْبَة للنعماني: ٢٨٤، الإِرْشَاد للشّيخ المُفِيد: ٢ / ١٧، بحَار الأَنوَار: ٥٢ / ٣٥٨ ح ١٢٣، سُنن التّرمِذي: ٩٥، عَقد الدُرر: ٦٣، عُرف السّيوطي: ٢ / ٨١، بُرهَان المُتقي: ١٤٥، مِيزَان الإِعْتِدَال: ٣ / ٤٩٨ ح ٧٣٠٢، تَهذِيب التّهذِيب: ٩ / ٧٨ ح ١١٦.

الثّروَات، بَل بإشَاعَة العَدْل، وَالسّلام، وَشمُول الخصب، وَوفرَة الطّعَام.

وَلَم يَستَوحوا هَذِهِ العَقِيدَة مِن تأرِيخهِم وبُؤسهِم، مِن المَظَالم الّتي وَقعَت عَلَيهِم مِن الطّغَاة، وَحُكّام الجَور ـ كَمَا قِيل ـ بل ٱستقوهَا مِن الوَحي الّذي نَزَل عَلَىٰ قَلْب مُحمّد ﷺ وَأَحَادِيثه الّتي ٱمتلأت بِهَا صحَاح السُّنّة، والشّيعَة؛ فَقَد أَكّدَت وجُود هَذِهِ الدّولَة، وَعدَالتهَا، وَحضَارتها، وَخَبرت عَنهَا بشَتّىٰ الأَسَاليب وَالعبَارَات، وَوَضع لهَا الشّيْخ الصّدُوق الّذي مَضىٰ عَلَىٰ وَفَاته أَكْثَر مِن أَلف عَام، كتَاباً خَاصّاً فِي مُجلّدَين كَبيرَين أَسمَاه «إِكمَال الدّين وَإِتمَام النّعمَة»، كَمَا خَصّص لهَا العَلاّمَة المَجلسي المُجلّد الثّالث عَشَر مِن بحَاره.

الجَاهِل وَالمُتشَائِم:

وإِذَا سَخر مِن هَذِهِ الفِكْرة الجَاهل الّذي لاَ يَرىٰ إِلَىٰ أَبعَد مِن أَنْفه، وَٱسْتَبعدهَا المُتَشَائِم الّذي لاَ يَنظُر إِلّا بمنظَاره الأَسوَد القَاتِم؛ فَإِنّنا نُؤمِن بِهَا إِيمَانّنا بالله، وَبأَنْفسنَا: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[1]، وَمَنطق العَقْل، والحَقّ مَعنَا، أَلَيسَ العَالَم فِي تَغيُّر مُستَمر، وَالتّمَاسك الإِجتمَاعي فِي تَقدّم مُطّرد؟! إِذَن لاَ، بُدّ أَنْ يَصغي إِلَىٰ صَوت العَقْل، وَالضّمِير، فَيَترك التّعصب، وَيتنَازل عَن الأَنَانيّة فِي يَوْم مِن الأَيّام، وَيَهدم الحوَاجز بَيْنَ الإِنْسَان فِي أَقصىٰ الشّرق، وَأَخِيه الإِنْسَان فِي أَقصىٰ الغَرب. وَهَذَا «رَاسل» أَحد قَادَة الفِكْر فِي هَذَا العَصر يَقُول: «مِن المُمْكن تَطوِير الأُمم المُتّحدَة، بحَيث تَصبَح نوَاة الحكُومَة عَالميَة... وَإِنّي لأَرىٰ عِندَمَا أَسرَح بخيَالي عَالمَاً مِن المَجد وَالفَرح، عَالمَاً تَنطُق فِيهِ العقُول... كُلّ هَذَا

(١) ٱلمَعَارِج: ٦ ـ ٧.

يُمْكن أَنْ يَحدث إِذَا سَمَحنَا لهُ »[١].

وإِذَا قَالَ رَاسل وغَيْرَه: أَنَّ هَذَا لاَ يُمْكن إِلَّا إِذَا سَمَحت الْأَجْيَال، فَنَحنُ نَقُول مُؤمنِين إِيمَانَاً لاَ رَيب فِيهِ بأَنّه سَيَحدث لاَ محَالة، سَمَحت الأَجْيَال أَو لَمْ تَسمَح، لأَنّنا عَلَىٰ يَقِين بأَنَّ العَاقبَة للخَير وَالفَضِيلَة، مَهْمَا طَال الزَّمن: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[٢].

مَنْ هُو الرَّجعِي؟

وَبالتَالي، فإِنَّ فِكرَة الإِمَام المَهْدِي المُنْتَظِر الَّذي يَملأ الأَرْض عَدلاً فِكرَة تَقدّمِيَة، عِلميَّة، وَوَاقعيَّة، ثَوريّة[٣]، تَهدف إِلَىٰ القَضَاء عَلَىٰ الظُّلم، وَالضَّعف، وكُلّ مَا يَعُوق ٱلْحَيَاة عَن التَّقدّم. أَنَّ فِكرَة صَاحب الأَمْر، والزَّمَان لَهي فِكرَة المَجمَع النّهائي الكَامل فِي دِينهِ وَدُنيَاه، فِكرَة المُجتَمع الَّذي يُحَطّم الحُدُود وَالسّدُود بَيْنَ الإِنْسَان وَأَخِيه الإِنْسَان، وَيَقضي عَلَىٰ التَّعصب، وَالأَضغَان، إِنّها فِكرَة الدَّولَة الطَّاهِرَة النَّقيَة، وَمُجتَمع المُسَاوَاة، وَالإِخَاء، وَالحُبّ، وَالصَّفَاء.

أَمَّا الرَّجعيُون حقّاً، أَمَّا الجَاهلُون جَهلاً «مُطبقَاً» فهُم الَّذِين يَرَون هَٰذِهِ الفِكْرة سَفهاً وَهرَاء، وَفَسَاداً وَهبَاء... وَطَبِيعي أَنْ يُكذّبُوا هَؤُلاَء بالإِمَام المَعْصُوم، وَيُنكرُوا وجُود صَاحب الأَمْر الَّذي يَملأ الدُّنْيَا عَدلاً بظهُورِه... أَنّه لطَبِيعي أَنْ يُكَذّبوا وَيَجحدُوا، لأَنَّهُم لاَ يَجدُون فِي دَولَته مكَاناً للخَزَنَة، وَالمُنَافقِين الَّذِين يَبيعُون دِينهُم، وَضَمِيرهُم للشَّيطَان بأَبْخَس الأَثمَان.

---

(١) أُنظر، كِتَاب برتراند راسل الإِنْسَان لرَمسِيس عَوض. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) فَاطِر: ٤٣.

(٣) كلّ حَرَكَة مِن شَأنهَا أَنْ تُغير الوَضع الإِجتمَاعي، أَو الإِقتصَادي، أَو الفِكْري إِلَىٰ أَحسَن، فَهي حَرَكَة ثوريَّة، أَمَّا هَٰذِهِ الشّعَارَات المُزَيفَة الَّتي نَرَاهَا اليَوْم هُنَا وهُنَاك فَإِنّها لصُوصيَّة مُبَطنَة. (مِنْهُ ﷺ).

المَهْدَويَّة وَأَحْمَد أَمِين

أَحْمَد أَمِين كَاتب مُنْتج مَا فِي ذَلِكَ رَيب، وَقَد سَدّ إِنتَاجَه فرَاغاً غير قَلِيل، كَمَا يَرىٰ كَثِيرُون، حَيْث اَنْتَهج فِي درَاسَة التَّأرِيخ الْإِسْلاَمي نَهجاً جَدِيداً لَمْ يَسبقَه إِلَيهِ عَرَبي مِن قَبل، ولَكنَّه ـ كَمَا هُو فِي حَقِيقَته كَاتب طَائِفي لاَ وَاقعي، فَلَقَد عَجَز أَنْ يَتحرّر مِن طَائِفيته، وَتَربِيَته، وَبِيئَته، بِرَغم أَنَّه حَاول ذَلِكَ، وَاَنضَم إِلَىٰ دَار التَّقرِيب إِلَّا أَنَّ العَصبيَّة الطَّائفيَة تَغلبَت ـ وَيَا للأَسف عَلَىٰ مَعرفَته وَذَكَائه، وَجمِيع مُؤهلاَته.

وَتَقُول: أَنَّ عَين الشَّيء يَصدُق فِيكَ، ويُقَال عَنْك، حَتَّىٰ حُكْمَك هَذَا عَلَىٰ أَحْمَد أَمِين لاَ مَصْدَر لهُ إِلَّا العَصبيَّة الطَّائِفيَّة، لأَنَّه قَالَ الكَثِير مِمَّا يُؤذي الشِّيعَة وَيُسيء إِلَيهِم... فَأَنتَ إِذَن تَستَنكر مِن غَيرك مَا تَسْتَحسنَه مِن نَفْسك.

وَجوَابي عَن هَذَا: إِذَا كُنتُ أَنَا مُتعصباً كَأَحمَد أَمِين، فَكُن أَنْتَ مُنصفاً يُصغي إِلَىٰ مَنطق العَقْل، وَيَنظر إِلَىٰ الوَاقِع لاَ الظَّاهر، وإِلَىٰ القَوْل لاَ إِلَىٰ القَائِل... كُن قَاضياً مُجرّداً يَستَمع إِلَىٰ أَقوَال الطَّرفين، ثُمَّ يَحكُم بِمَا يُوحِيه دِينَه وَوجدَانَه، وَمَا يَستَدعِيه مَنطق الحوَادث، وَدلاَلة الأَدِلّة الحِسّيَة، بَل نَكتَفي مِنْكَ هُنَا، وَمَا نَحْنُ بصَدَده أَنْ تَستَمع، بتَدبر، وَتَعقل إِلَىٰ أَقْوَال أَحْمَد أَمِين وَحدَه، وَتَحكُم مِن خلاَلهَا لهُ أَو عَلَيهِ.

فِي سَنَة (١٩٥١ م) أَلَّف أَحْمَد أَمِين كِتَاب « المَهْدِي وَالمَـهدَوِيَّة » وَنَشـرَته دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة (« آقرَأ » رَقم ١٠٣). وَقَد هَدَف مِن ورَاء تَألِيفه إِلَىٰ إنكَار المَهْدِي وَالرَّد عَلَىٰ الشِّيعَة ، ولَكنَّه فِي الوَاقِع أَيَدهُم ونَاصَرهُم مِن حَيْث لاَ يُرِيد ، أَو مِن حَيْث يُرِيد الرَّد عَلَيهِم ، وأَنْ دَلّ هَذَا التَّناقض عَلَىٰ شَيء فَإِنَّمَا يَدلّ عَلَىٰ صِدق مَا قُلنَاه مِن أَنَّه كَاتب طَائِفي لاَ وَاقعي ، وإِلَيكَ الدَّلِيل :

قَالَ : « أَمَّا أَهْل السُّنَّة فَقَد آمنُوا بِهَا أَيْضاً » [1] أَي بفِكرَة المَهْدِي . . .

وَقَالَ أَيضاً : « وَأَمَّا السّنيُّون فَعَقيدتهُم بالمَهدي أَقَل خَطرَاً » [2] . . . وَقَالَ أَيضاً : « قَد كَتَب الإِمَام الشَّوكَاني كتَاباً فِي صحَة ذَلِكَ ، سَمّاه التَّوضِيح فِي تَوَاتر مَا جَاء فِي المُنْتَظَر ، وَالدَّجّال ، وَالمَسِيح » [3] . . . وَقَالَ أَيضاً : « قَـرَأت رسَـالَة للأُستَاذ أَحْمَد بن مُحَمَّد بن الصِّدِّيق فِي الرَّد عَلَىٰ آبْن خُلدُون ، سَمّاهَا « إِبـرَاز الوَهـم المَكنُون مِن كَلاَم آبْن خُلدُون . وَقَد فَـنّد كَـلاَم آبْـن خُـلدُون فِـي طَـعنهِ عَـلَىٰ الأَحَادِيث الوَاردَة فِي المَهْدِي ، وَأَثبَت صحَة الأَحَادِيث . وقَالَ : « إِنّها بَلَغَت حدّ التَّواتر » [4] . . . وقَالَ ـ أَي أَحْمَد أَمِين ـ « قَرَأتُ رسَالَة أُخرىٰ فِي هَذَا المَوضُوع عُنوَانُهَا : الإِذاعَة لمَا كَان ويَكُون بَيْنَ يَدي السَّاعَة ، لأَبي الطَّيب آبْن أَبي أَحْمَد بن أَبي الحَسَن الحُسيني » [5] . . . وَقَالَ أَيضاً : « وَقَد أَحصَىٰ بـن حَـجَر الأَحَـادِيث

(١) أُنظر ، المَهْدِي وَالمَهدَوِيَّة : ٤١ ، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة (« آقرَأ » رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر ، المَهْدِي وَالمَهدَوِيَّة : ١١٠ ، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة (« آقرَأ » رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أُنظر ، المَهْدِي وَالمَهدَوِيَّة : ١١٠ ، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة (« آقرَأ » رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٤) أُنظر ، المَهْدِي وَالمَهدَوِيَّة : ١٠٦ ، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة (« آقرَأ » رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٥) أُنظر ، المَهْدِي وَالمَهدَوِيَّة : ١٠٩ ، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة (« آقرَأ » رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

المَروِيّة فِي المَهْدِي، فَوجدنَاهَا نحو الخمسِين»[١].

إذَن، لَيْسَ القَوْل بالمَهدي مِن خَصَائِص الشِّيعَة، بَل آمَن بِهِ السُّنَّة، وَرَووا فِيهِ خَمسِين حَدِيثاً، وَأَلّفوا فِي وجُودَه وإثبَاته الكُتُب، وَمَا دَام الأَمْر كَذَلكَ بِإعترَاف أَحْمَد أَمِين نَفْسَه فَلِمَاذَا نَسَب القَوْل بِهِ إِلَىٰ وَضع الشِّيعَة، كَمَا جَاء فِي كتَابِهِ، حَيث قَالَ مَا نَصّه بالحَرف: «وَأَذَاع الشِّيعَة فِيهِم ـ أَي فِي أَهْل المَغرب ـ فِكرَة المَهْدِي، وَوضعَت الكَلمَة عَلَىٰ لسَان رَجُل مَاهر آسمَه عَبدالله الشِّيعي، يَدعُوا للمَهدي المُنْتَظِر»[٢].

وَبَعد أَنْ آعتَرف أَحْمَد أَمِين ـ مُرغماً ـ بِأَنَّ السُّنَّة أَيْضاً يُؤمنُون بالمَهْدي المُنْتَظَر أَحسّ أَنَّه فِي مَأزق، وأَنَّه لاَ بُدّ أَنْ يُقَال: أَنَّ الشِّيعَة مُحقّون فِي عَقِيدتهِم مَع أَنَّه يُرِيد إِدَانتهم عَلَىٰ كُلّ حَال، فَآستَدرَك، وقَالَ: وَلَكن عَقِيدَة السُّنَّة بالمَهدي أَقلّ خَطَراً....

وَلَيت شِعْرِي كَيف يَجْتَمع قَوْلَه هَذَا، مَع قَوْلَه: «أَنَّ فِكرَة المَهْدِي وَالتَّشيُّع كَانَت سَبَباً لثَورَة شَبّت وَدَامَت سنِين...»[٣]، وقَوْلَه: «وَمِن فَضل الشِّيعَة أَنَّهُم كَانُوا فِي بَعْض موَاقفِهِم، وفِي إِعتقَادهم الأَئِمّة المُهتَدِين يُؤيدُون الدِّين»[٤]... ومَع قَوْلَه: «وَمِن فَضل الشِّيعَة أَنَّهُم كَانُوا مُؤمِنِين، يُدَافعُون عَن الإِسْلاَم فِي الخَارِج ضِدّ الصَّليبيِّين الَّذِين يَهجمُون عَلَىٰ بلاَدهم، وفِي الدَّاخل ضِدّ مَن أَنكَر

---

(١) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويّة: ٤١، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («آقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويّة: ١٣ و ١٤، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («آقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويّة: ٤١، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («آقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٤) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويّة: ٣٣، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («آقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

الدِّين، وَجَحد النُّبوّة»[١]... وَقَال: «ولَكن الحَقّ يُقَال أَنَّ التَّشيُّع دَائماً يَنصر الفَلْسَفَة أَكْثَر مِمَّا يَنصرهَا السُّنيُّون»[٢].

وإِذَا كَان الشِّيعَة يُدَافعُون عَن الإِسْلاَم والمُسْلمِين، وإِذَا كَانُوا يُنَاصرُون الفَلْسَفَة أَكْثَر مِن السُّنَّة، وإِذَا كَانَت عَقِيدَتهم بالمَهدي والأَئِمّة المُهتَدِين تَدفعُهم إِلَىٰ الثَّوره عَلَىٰ الظُّلم وَالظَّالمِين... فَكَيف إِذَن تكُون عَقِيدَة السُّنَّة بالمَهدي أَقلّ خَطراً؟! أَلاَ يَدل هَذَا التَّناقض عَلَىٰ طَائِفيَته وَتَعَصبه، وَانقسَامه عَلَىٰ نَفْسَه؟!.

وَلَسنَا نَستَكثر عَلَىٰ أَحد أَنْ يُنكر وجُود المَهْدِي المُنْتَظَر، وَيُخَالِف المُسْلمِين جَمِيعَاً السُّنَّة مِنْهُم، والشِّيعَة بَعد أَنْ أَنكَر عِصْمَة الرَّسُول الأَعْظَم ﷺ صرَاحَة.

قَالَ: «وَقَد ثَارَت خلاَفَات فِي عِصمَة الأَنْبيَاء بالطَّبيعَة، وَرَووا أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «تُوبُوا إِلَىٰ رَبّكم، فَإِنّي أَتُوب إِلَيهِ فِي اليَوْم مِئَة مرّة، وقَالَ: أَنَّه لَيُغَانُ[٣] عَلَىٰ قَلْبي»[٤]. فَهَذه الأَحَادِيث وَنَحوهَا لاَ تُؤيد مَعْنَىٰ العِصْمَة التَّامّة»[٥].

---

(١) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويَّة: ٣٤، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («أَقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويَّة: ٣٧، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («أَقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أَي غَيَّمت الشَّهوَة عَلَىٰ قَلْبه. (مِنْهُ ﷺ). وَتَغَشَّته الشَّهوَة، وَقِيل: غُطِّي عَلَىٰ قَلْبه وَأُلْبس. أُنظر، لسَان العَرب: ١٣/ ٣١٦.

(٤) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويَّة: ٩٥، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («أَقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٥) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٤/ ٢٠٧٥ ح ٢٧٠٢، صَحِيح اَبن حبّان: ٣/ ٢١١ ح ٩٣١، سُنن أَبي دَاود: ٢/ ٨٤ ح ١٥١٥، السُّنن الْكُبْرَىٰ: ٦/ ١١٦ ح ١٠٢٧٦ و ١٠٢٧٧، مُسْنَد أَحمَد: ٤/ ٢١١، مُعْجَم الصَّحابَة: ١/ ١٥، المُعجَم الكَبِير: ١/ ٢٠٢ ح ٨٨٧ و ٨٨٨، الفِرْدَوْس بمَأْثور الخِطَاب: ٣/ ١٣٣، نوَادر الأُصُول فِي أَحَادِيث الرَّسول: ٢/ ١٣٣، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ: ٦/ ٤٩، الزُّهد لاِبن المُبَارَك:
↔

وَبَديهَة أَنَّ الْإِسْلاَم بعَقِيدَته، وَأَخلاَقه، وَشَريعَته، وَجَمِيع تَعَالِيمه، وأَحْكَامَه يَرتكز عَلَىٰ عِصْمَة مُحَمَّد ﷺ، فَمَن أَنْكَرها، أَو شَك، فِيْهَا فَقَد أَنْكَر، أَو شَكّ فِي الْإِسْلاَم، وَبنُبوّة سَيِّد الأَنَام مِن الأَسَاس... لأَنَّ الغَايَة مِن نبُوّته، وَرسَالَته رَفع الخَطأ مِن الهدَايَة، وَحَمل الخَلق عَلَىٰ الحَقّ. فإِنْ لَم يَكُن مَعْصُوماً فَلاَ يَتَحقَّق المَقصُود مِنْهَا، وبالتَالي لاَ يَكُون نَبيّاً... أستَغفر الله وَأَعُوذ بِهِ مِن الشّك، وَالغَفلَة.

وبهذَا يَتبيَّن معَنَا أَنَّ كِتَاب «المَهْدِي وَالمَهدَويّة» لَيْسَ رَداً عَلَىٰ الشِّيعَة فَحَسب، وإِنَّمَا هُو فِي وَاقعهِ رَدّ عَلَىٰ الْإِسْلاَم والمُسْلِمين، وإِذَا تَحَامل عَلَىٰ الشِّيعَة أَكْثَر مِن تَحَامله عَلَىٰ غيرهم، فإِنّه مَدَحهُم وَذَم السُّنَّة بِمَنطق التَّأرِيخ، ومِن حَيْث لاَ يَحسّ وَلاَ يُرِيد، قَالَ: إِنَّ أُدبَاء السُّنَّة كَانُوا يَمدحُون الطُغَاة، وَحُكّام الجَور، أَمَّا أُدبَاء الشِّيعَة فَكَانوا يَمدحُون أَئمَة الهُدَىٰ، والحَقّ، فَقَد جَاء فِي كِتَاب «المَهْدِي وَالمَهدويَّة»: وَلئن كَان كَثِير مِن الأَدب السُّني كَان يُقَال فِي مَدح الخُلفَاء وَالملُوك وَالأُمْراء السّنيِّين، فإِنَّ الأَدَب الشِّيعي كَان يُقَال فِي مَدح الأَئِمّة، وَالرّثَاء الحَار فِي قَتلاَهُم»[(١)].

أَجل، مَدَح أُدبَاء السُّنَّة الطُغَاة، وَحُكّام الجَور رَغبَة فِي المَال، وَالحُطَام، وَمَدَح أُدبَاء الشِّيعَة أَئمّة الهُدَىٰ، والعَدْل إِيمَاناً بالله وَعَظَمته، وَولاَء للرّسُول وأَهْل بَيْته، وَلَم يُثنهم عَن هَذَا الْإِيمَان، والوْلاَء القَتل، وَالصَّلب، وَلاَ السّجن، وَالتَّشرِيد، وَلاَ التَّقيِّيد بالسَّلاَسل، والأَغلاَل، وَلاَ قَطع الأَيدي، والأَرجُل، بَل وَلاَ

↔ ١/١/٤٠ ح ٩ ١١٤٠. شُعب الإِيمَان: ١/٤٣٨ ح ٦٤٠. جَامع العُلُوم وَالحِكَم: ١/٣٩٧. مُسنَد عَبد بن حمِيد: ١/١٤٢ ح ٣٦٤. الآحَاد والمثَاني: ٢/٣٥٦ ح ١١٢٧. الإِصَابَة لِابْن حَجر: ١/٩٦ رَقم «٢٢٣».

(١) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويَّة: ٨٦، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («أقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنهُ ﷺ).

الدَّفن تحت التُّرَاب أحياء... ذَلِكَ أَنَّ الشِّيعَة يَسخُون بحيَاتهم، وَرُؤوسهم، وَلاَ يَسخُون بدِينهم، وَعَقِيدَتهم. أَمَّا الإِنتهَازي فَلاَ دِين لهُ، وَلاَ مَبدأ إِلَّا الدَّرَاهم، والدَّنانير.

قَالَ أَحْمَد أَمِين: «أَنَّ الشِّيعيِّين اَضْطهدُوا مِن السُّنيِّين، وكَانُوا يَدّعُون ـ أَي السُّنَّة ـ أَنَّهُم يفعلُون ذَلِكَ دفَاعاً عَن أَنْفسهِم، ولَكن كَانَت غَلطَة يَزيد بن مُعَاوِيَة فِي قَتل الحُسَين غَلطَة كُبرىٰ لَم يُمْكن أَضرّ مِنْهَا، فَظَلت تَعمَل عَمَلهَا عَلَىٰ طُول الأَزمَان. وَلَم يَكتَف السُّنيُّون بذَلكَ بَل جَعلُوا يقتلُون كُلّ إِمَام طَالبي يَظهَر، ونَحْنُ إِذَا قَرَأنا كِتَاب «مَقَاتل الطَّالبيِّين» لأَبي الفَرج الأَصفهَاني رُعبنَا مِن كَثْرَة مَا وَقع عَلَىٰ العَلويِّين مِن قَتْلٍ، وَتَعذِيب، وَتَشريد»[1].

هَذَا هُو المَبدأ، وَهَذِهِ هِي الفَلْسَفَة لحُكم مَن حَكَم مِن السُّنيِّين: القَتل، وَالتَّعذِيب، وَالتَّشرِيد، بإِعترَاف صَاحب المَهْدِي وَالمَهدَوِيّة، ولَيْسَ هَذَا بغَرِيب وَلاَ بعَجِيب مِمَّن حَكَم بالقَهر، وَالغَلبَة، ولَكن العَجِيب الغَرِيب أَنْ يُشِير أَحْمَد أَمِين مِن طَرَف خَفي إِلَىٰ الإِعتذَار عَنْهُم بهَذِهِ الجُملَة المُعتَرضَة: «وكَان السُّنَّة يَدّعُون أَنَّهُم يَضْطَهدُون دفَاعاً عَن أَنْفسهِم»... وَظَاهر أَنَّه يُرِيد بالدّفَاع عَن النَّفس الدّفَاع عَن حُكْم البَغي وَالجَور.

بَقي عَلَينَا أَنْ نُشِير فِي هَذَا الفَصْل إِلَىٰ أَمرٍ يَدل عَلَىٰ ذهُوله أَو عَدَم تَتبعَه، وأَنَّه يَكتُب دُون أَنْ يَتَثَبت، حَتَّىٰ حِينَ يَكتُب عَن السُّنَّة، لَقَد تَحدّث أَحْمَد أَمِين فِي «ضُحَاه» عَن الحَدِيث بوَجه عَامّ، وعَن صِحَاح السُّنَّة بوَجه خَاصّ، وعَن

(١) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَوِيّة: ٨٥، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («اَقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

البُخَاري وَمُسلِم وَصَحِيحهُما بوَجْه أَخصّ[١]. والَّذي تَبيَّن مِن كِتَاب «المَهْدِي وَالمَهدَويّة» أَنَّه يَجهل أَحَادِيث الصّحاح، حَيْث قَال: «وَوَضع كُلّ ـ مِن السُّنَّة والشِّيعَة ـ الأَحَادِيث فِي تَأْيِيد المَهْدِي المُنْتَظِر. ومِمَّا يَشهَد بالفخَار للبُخَاري وَمُسلِم أَنَّهُما لَم تَتَسرب إِلَيهمَا هَذِهِ الأَحَادِيث، وَإِنْ تَسَرّب إِلَىٰ غَيرهمَا مِن الكُتُب الَّتي لَمْ تَبلُغ صِحَتهما[٢].

هَذَا، مَع العِلْم بأَنَّ مُسلماً رَوىٰ فِي صَحِيحَه عَن النَّبيّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «يَكُون فِي آخر أُمّتي خَلِيْفَة يَحثُو المَال حَثْواً، لاَ يَعدّه عَدّاً»[٣].

وأَخرَجَ أَحْمَد، عَن أَبِي سَعِيد قَالَ: «سَمعتُ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «أَنّ مِن أُمَرائكُم أَمِيرَاً، يَحثُو المَال حَثْواً وَلاَ يعدّه، يَأتِيه الرّجل فَيَسأَله فَيقُول: خُذْ! فَيَبسط ثَوبَه فيحثُو فيهِ فيَأخذَه، ثُمَّ يَنْطَلق»[٤].

---

(١) أُنظر، الفَصْل الرَّابع مِن ضُحىٰ الإِسْلاَم المُجلّد الثَّانِي. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويّة: ٤١، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («أقرأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٣) قَالَ صَاحب «التّاج الجَامع للأُصُول»: ٥ / ٣٤٢: «هَذا هُو المَهْدِيّ رَضي الله عَنْهُ...». (مِنْهُ ﷺ).

أُنظر، صَحِيح مُسلِم: ٢ / ٥٠٦، صَحِيح مُسلِم بشَرْح النَّووي: ٤ / ٢٢٣٥، و: ١٨ / ٣٨، مُسنَد أَحمَد: ٣ / ٥ و٣٨ و٤٨ و٦٠ و٩٨ و٣٣٣ و٣١٧، مُسنَد أَبِي يَعلىٰ: ٢ / ٤٢١ ح ١٢١٦ و: ٤٧٠ ح ١٢٩٤، صَحِيح اَبن حِبّان: ٨ / ٢٤٠ ح ٦٦٤٧، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٤ / ٤٥٤، مَجمَع الزّوَائد: ٧ / ٣١٦، سُنن الدّاني: ٩٨، مصَابِيح البَغوي: ٣ / ٤٨٨ ح ٤١٩٩، مشكَاة المصَابِيح: ٣ / ٢٢ ح ٥٤٤١، كَشف الهَيثمي: ٤ / ١١٤ ح ٣٣٢٧، الفُصُول المُهمّة: ٢ / ٤٤٣ بتَحقِّيقنَا، الصَّوَاعق المُحرقَة: ١٦٤ ح ٢١، كَنز العُمّال: ١٤ / ٢٦٣ ح ٣٨٦٥٩ وح ٣٨٦٦٠، الجَامع الصَّغير: ٢ / ٥٤٤ ح ٨٢٤٦، كفَايَة الطَّالب للكَنجي الشَّافعي: ٥٠٣ و٥٠٤، سُنن التّرمذي: ٢ / ٣٦.

(٤) أُنظر، مُسنَد أَحمَد: ٣ / ٩٨، صَحِيح مُسلِم: ٤ / ٢٢٣٤ ح ٢٩١٣، مُسنَد أَبِي يَعلىٰ: ٢ / ٤٢١ ح ١٢١٦ وح ١٢٩٤ صَحِيح اَبن حِبّان: ٨ / ٢٤٠ ح ٦٦٤٧، مُستَدرك الحَاكم: ٤ / ٤٥٤، رِيَاض ↔

وَبالتَالي فإنَّ كِتَاب «المَهْدِي وَالمَهدَويَّة» يُسَجل عَلَىٰ صَاحبهِ جَهلَه بالإسلاَم وَعَقِيدَته، وَمصَادرهَا السُّنيَّة وَالشِّيعيَّة، وَتَحامله عَلَىٰ الشِّيعَة وَأجهَل مِنْهُ مَن يَعتَمد عَلَىٰ آثَاره، وَيَنقل مِن أَقوَاله كحَقِيقَة ثَابتَة. وَلاَ شَيء أَدَلّ عَلَىٰ ذَلِكَ مِن قَوْلَه: «إنّي اعتَمدتُ أَكْثَر مَا اعتَمدتُ عَلَىٰ الكُتُب السُّنيَّة الَّتي وَصَفَت عقَائِد الشِّيعَة»[1]. وَهَذَا اعْتِرَاف صَريح بأَنَّه حَكَم عَلَىٰ المُدّعىٰ عَلَيهِ لمُجَرد قَوْل المُدّعي، وَاتّخذ مِن الخَصم حَكَماً وَحَاكماً عَلَىٰ خَصْمَه... وَهَذَا مَنْهَجه فِي كُلّ مَا كَتَب عَن الشِّيعَة... وَإذَا أَرَدتَ تَفسِيراً صَحِيحاً لشَخصيَّة أَحْمَد أَمِين، وَأَضرَابَه فَاقرَأ الفَصْل الأَوّل مِن هَذَا البَحْث[2].

↔ الصَالحِين: ٧٠٨ ح ١٨٢٤، الدّيبَاج عَلَىٰ صَحِيح مُسلِم: ٦ / ٢٣٤ ح ٦٩، ذخَائِر المَوَاريث: ١ / ١٣٧ ح ١٢٤٩ و: ٣ / ١٩٩ ح ٨٨٠٠٧، الجامع الصَغير: ٢ / ٥٤٤ ح ٨٢٤٦، الصّواعق المُحرقَة: ١٦٤، تَذكرَة القُرطبي: / ٦٩١ ح ٢، دَلاَئِل النُّبُوَّة: ٦ / ٣٣٠، عقد الدرر: ١٦١، يَنَابِيع المَودّة: ١٨٢، كَشف الأَستَار: ٤ / ١١٤ ح ٣٣٢٧، بيَان الشَافعي: ٥٠٣، تأريخ مَدينَة دِمَشق: ١ / ١٨٧، مشكَاة المصَابِيح: ٣ / ٢٢ ح ٥٤٤١، جَامع الأُصُول: ١١ / ٨٤ ح ٧٨٩١، سُنن الدّاني: ٩٨، فَيض القَدِير: ٦ / ١٣ ح ٨٢٤٦، تحفَة الأَشرَاف: ٣ / ٤٥٦ ح ٤٣٢١، الفِردَوْس بمأثور الخِطَاب: ٥ / ٥١٠ ح ٨٩١٨، مصَابِيح البَغوي: ٣ / ٤٨٨ ح ٤١٩٩، الفِتَن لابن كَثِير: ١ / ٤٤.

(١) أنظر، المَهْدِي وَالمَهدَويَّة: ١٢٠، نَشر دَار المَعَارف بمَصر فِي سِلسلَة («اقرَأ» رَقم ١٠٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) هَاجم أَحْمَد أَمِين فِي كتَاب «فَجر الإسْلاَم» وَضُحَاه الإمَاميَّة هجُوماً عَنِيفاً، وَرَد عَلَيه يُومذَاك عُلمَاؤهُم رَداً مَنْطقيّاً، وَأثبتُوا بِشهَادة التَأريخ وَكُتبهم العَقَائِديَّة أَنَّه أَحلَّ العَاطفَة مَحل العَقْل، وَالتَّعصب مَحل العَدْل، وَالخَيَال مَحل الوَاقِع. وَمِنْ الَّذِين تَصدُّوا للرَّد عَلَيه المَرحُوم كَاشف الغِطَاء فِي كتَاب «أَصْل الشِّيعَة وَأُصُولهَا».

وَبَعد مُضي عشرين عَاماً، أَو أَكْثَر عَلَىٰ مُهَاجمته تِلكَ أُصِيب بنَظرهِ، وَعَجز عَنْ القِرَاءة وَالكِتَابة، وفِي أَيَّامه الأَخِير ـ سَنَة ـ ١٩٥٢ م، استعَان بِغَيرهِ، وَأَملىٰ عَلَيه كتَاباً أَسمَاه «يَوْم الإسْلاَم» اعترَف فِيهِ مِنْ حَيْث لاَ يَحسّ وَلاَ يَشعر بمَا كَان قَد أَنْكَره عَلَىٰ الإمَاميَّة، مِنْ ذَلِكَ:

↔

العِصْمَة فِي أُسلُوب جَدِيد

المَعْصُوم هُو الَّذي لاَ يُمْكن اَتّهَامه بِالأَهوَاء، والأَغرَاض، وَلاَ بالجَهل والأَخطَاء، لاَ لشَيء إِلّا لأَنّه إِنْسَان كَامل بكُلّ مَا فِي الكَمَال الإِنْسَاني مِن مَعْنَىٰ.

وَالَّذِين أَوجبُوا العِصمَة بهَذَا المَعنىٰ للأَنبيَاء وَحدهُم، أَو لهُم وَلخُلفَائِهم الحَقِيقيِّين اَستَدلوا بأَنَّ النَّاس فِي حَاجَة إِلَىٰ مُعَلّم مُرشد، فَإِنْ كَان هَذَا المُعَلّم

↔ اَسْتنكَاره مَبْدَأ النَّص عَلَىٰ خَلِيفَة الرَّسُول، وَزَعمه بِأَنَّه بِدْعَة اَستورَدهَا الشّيعَة مِنْ الخَارج، وأَنَّ النَّبيّ أَقرَّ مَبْدَأ الشُّورىٰ وَالإِنتخَاب. ثُمَّ نَاقَض نَفسه، وَرَدَّ عَلَيهَا بِنَفْسه، حَيْث اَعتَرف فِي كتَاب «يَوْم الإِسْلاَم» بأَنَّ النَّبيّ ﷺ أَرَاد أَنْ يَكْتُب فِي مَرضهِ الَّذي مَات فِيهِ كتَاباً يُعَيّن مَنْ يَلي الأَمْر بَعْده، فَحَال عُمَر دُون إِرَادَته. أُنظر، صَحِيح البُخَارِي: ٦ / ٩ طَبْعَة ١٣١٤ هـ« مَا شَأْنَه ـ أَي النَّبيّ ـ أَهَجر»؟ و: ١ / ٣٦ و ١١٩ و ١٢٠، ح ١١٢ بَاب العِلم كتَاب العِلم: ١ / ١٥٦.

و: ٤ / ٤٩٠، ح ١٢٢٩، بَاب ٨١٤، كتَاب الجِهَاد.

و: ٤ / ٥٣١، ح ١٣٣٥، بَاب: ٨٦١، كتَاب الجِزْيَة.

و: ٧ / ٢٢٥، ح ٥٧٤، بَاب: ٣٥٧، كتَاب المَرِيض: ٥ / ١٣٧، طَبع مَصر، وَصَحِيح مُسلم: ٣ / ٦٩ ح ١٢٥٧، ١٢٥٩ و ١٦٣٧، بَاب ٥ كتَاب الوَصِيّة، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ٦٠، مُسنَد أَحْمَد: ٤ / ٣٥٦ ح ٢٩٩٢، صَحِيح مُسلم بِشَرْح النَّووي: ١١ / ٩٥، اَبن كَثِير: ١ / ٢٢٢ و: ٣ / ٢٨٦ و: ٥ / ٢٢٧، تَيسِير الوصُول: ٤ / ١٩٤، تَأرِيخ الذَّهبي: ٥ / ٣١١، وَتَأرِيخ الخَمِيس: ١ / ١٨٢، البِدأ والتَّأرِيخ: ٥ / ٥٩، تَأرِيخ اَبن شِحنَة بهَامش الكَامِل: ١٠٨، تَأرِيخ أَبِي الفِدَاء: ١ / ١٥١، تَأرِيخ الطَّبريّ: ٣ / ١٩٣، طَبعَة مَصر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٣٢٠، المَصَابِيح، لأَحمَد بن إِبرَاهِيم بن الحَسَن: ٢٤٨.

عُرْضَة للأَخطَاء آحتَاج مَن يُعَلّمه وَيُرشدَه، وهَكَذَا إِلَىٰ مَا لاَ نهَايَة.

وَتَقُول: أَنَّ عُلمَاء الشَّريعَة الإِسْلاَمِيَّة مُعَلّمُون وَمُرشدُون، وعَلَىٰ الجَاهل أَنْ يُقَلدهُم وَيَعمَل بأَحكَامهم بدُون مُرَاجعَة وَسُؤال، ومَع ذَلِكَ لاَ تَجب لهُم العِصْمَة بِإتّفَاق الجَمِيع، إِذَن لَيْسَ مِن الضَّرُوري للمُعَلم، وَالمُرشد أَنْ يَكُون مَعْصُوماً.

الجَوَاب:

أَنَّ الفَرق كَبِير جداً بَيْنَ النَّبيّ، والعَالِم، فَإِنَّ العَالِم يَجدّ وَيَجْتَهد فِي البَحْث وَالتَّنقِيب فِي الكُتُب، وَعِندَ الأَسَاتذَة وَالرُّوَاة، وَيَعتَمد القَرَائِن وَظوَاهر الأَلفَاظ وَيُفتي بمُوجبهَا إِجْتِهَاداً وَعَملاً بالرَّأي، بَعد اليَأس مِن الظَّفر بغَير مَا وَصَل وَقَد يُخطيء فِي فَتوَاه، إِذْ مِن الجَائِز أَنْ يَفهَم مِن الظَّوَاهر غَير مَا تَدل عَلَيهِ، لشُبهَة فِي خَيَالَه، بَل قَد لاَ تَكُون تِلكَ الظَّوَاهر، وَالقَرَائِن مِن الأَدِلّة فِي شَيء إِلَّا فِي ظَنّه وَحُسبَانه، ومِن الجَائِز أَيْضاً أَنْ يَكُون هُنَاك دَلِيل عَلَىٰ العَكس ولَكنَّه خَفي عَلَيهِ وَعَجز عَن الوصُول إِلَيهِ، ومِن هُنَا يُسوّغ لعَالِم آخر أَنْ يَقف لهُ وَيُنَاقشه فِي فَهمِهِ ومَعرفَته، وَإِنْ كَان دُون فَضلاً وَعِلماً، كَمَا لهُ أَنْ يَعْدل عَن رَأيه إِلَىٰ ضِدّه، أَو يُقَلّم فِيهِ وَيُطَعّم، إِذَا آستبَان لَدَيه الحَقّ، وهُو مَعذُور حَتَّىٰ لَو عَدل مِن الصَّواب إِلَىٰ الخَطأ، مَا دَام السَّبِيل إِلَىٰ المَعرفَة مُنحَصراً فِيمَا آستَخرجَه مِن الدَّلِيل الَّذي آستَبَان لهُ بَعد إِفرَاغ الوسع، وَالجُهد فِي البَحْث وَالتَّنقِيب.

أَمَّا تَقلِيد الجَاهل لهَذَا المُجْتَهد الَّذي يَجُوز عَلَيهِ الخَطَأ فلأَنَّ كُلّ إِنْسَان بَالغ عَاقل عَلَيهِ أَنْ يُطِيع وَيَمتَثل أَوَامر الله وَنوَاهِيه دَفعاً للعِقَاب، وَالضَّرر، وَالمَعلُوم، لَو خَالَف وَعَصَىٰ، وَلاَ طَرِيق للجَاهل إِلَىٰ الطَّاعَة، والإِمتثَال بالإِحتيَاط أَو التَّقلِيد والأَوّل عَسِير أَو مُتعَذّر، فَتَعيَّن الثَّانِي. وَلَو أَبحنَا للجَاهل أَنْ يُخَالِف العَالِم العَادِل

لكَان مَعْنَىٰ هَذَا أَنَّنا نُبيح لهُ أَنْ يُخَالِف أحكَام الله أَو يُؤدّيها مُشَـوهَة عَـلَىٰ غَـير وَجهِهَا، وَبدُون عِلْم بوظَائِفها، وَأركَانها، وَأوقَاتها.

هَذَا هُو شَأن العَالِم أَمَّا الشَّأن النَّبيّ فَعَلىٰ العَكس مِن ذَلِكَ، لأَنّه يَنْقل الحُكـم عَن جِبرِيل عَن الله، لاَ عَن أَبي هُرَيرَة، وَلاَ يَرجع إِلَىٰ كِتَاب لأَنَّ الكُتُب تَبحَث عَن سُنّته، وَلاَ إِلَىٰ أُستَاذ، لأَنَّ قَوْلَه الفَصْل، وَالحُجّة لجَمِيع الأَسَاتذَة.

وَبكَلمَة أَنَّ حُكم المُجْتَهد ذَاتي لاَ مَوضُوعي، أَي أَنَّ للذَات و «الأَنَا» تَأثِير فِيهِ، ولِذَا يَقُول: أَنَا رَأيتُ وَفهمتُ أَنَّ هَذَا حُكم الله فِي حَقّي، ولَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ «الأَنَا» تُخطيء وَتُصِيب، بَل أَنَّ جوَاز الخَطأ عَلَيهَا أَثَر مِن آثَارهَا. وَلاَزم مِـن لوَازمهَا الَّتي لاَ تَنْفَك.

أَمَّا قَوْل النَّبيّ فمَوضُوعي صِرف لاَ أَثَر فِيهِ للذَات سِوىٰ التَّعبِير عَمّا فِي الوَاقِع وفِي اللَّوح المَحفُوظ، ولِذَا يقُول: هَذَا هُو حُكم الله بالذَّات، وَلاَ يَـقُول: هَكَـذَا رَأَيتُ وَفَهمتُ، ولِذَا ٱستحَال فِي حقّه العُدُول، لأَنَّ العُدُول يَتفرع عَن الرَّأي، وَلاَ رَأي، بَل وَحي يُوحىٰ... وَبَديهَة أَنَّ حكَايَة الحُكم عَن الله بمَعنىٰ الوَحي تَستَّتبع عِصمَة الحَاكي لهُ وَتُلاَزمه مُلاَزَمَة الظّل للشَّاخص، بحَيث إِذَا ٱنْتفَت ذَهبَت مَعهَا النُّبوّة لاَ محَالة، بَل أَنَّ العِصْمَة هِي النُّبوّة، والنُّبوّة هِي العِصْمَة، لأَنَّ عَدَم عِصْمَة النَّبيّ مَعنَاه عَدَم عِصْمَة الوَحي وَعَلَيهِ فَلاَ يَكُون ٱلْقُرْءَان قُرآناً، وَلاَ جِبرِيل أَمِيناً، وَلاَ مُحمَّد نَبيّاً تَعالَىٰ الله عَمّا يَقُول الجَاهلُون.

ثُمَّ هَل لمِثْلي وَمِثلَك مِمَّن يَجُوز عَلَيهِ الخَطَأ وَالزَّلل أَنْ يَكُون مُؤهلاً للرّسَالَة وَالتَّبلِيغ عَن الله؟ إِذَن أَين الفَرق بَيْنَ التَّابع وَالمَتبُوع؟ ولمَاذَا وَجَب عَلَىٰ النَّـاس التَّصدِيق، وَالقَبُول مِن النَّبيّ؟ وَمَا هُو السّر لإِختيَاره رَسُولاً، وَٱتّـخَاذه خَـلِيلاً،

وَحَبِيبَاً، وَكَلِيمَاً دُون سوَاه مِن الخَلق، إِذَا لَم يَكُن فَوق الشُّبهَات، وَالهَفوَات؟

وَأعتَقد أَنَّ الَّذِين اعتَرفوا بالنُّبوَّة، وَأَنكرُوا العِصْمَة قَد خَلطُوا بَيْنَ الذَّات وَالمَوضُوع، بَيْنَ حكَايَة النَّبيّ للوَحي، وَرَأي المُجْتَهد، وَظنّوا أَنَّ النَّبيّ يُعبّر عَن رَأيه وَتَفهمه، وَلَو فَرّقُوا بَينَهُما لقَالوا بالعِصمَة لاَ محَالة، والَّذي يَدلنَا عَلَىٰ خَلطهِم هَذَا أَنَّهُم عَقدُوا فِي الأُصُول فَصلاً خَاصّاً لإِجتهَاد النَّبيّ، كَمَا فِي المُستَصفىٰ للغزّالي وغَيْرِه، فَلَقَد جَاء فِي الجُزء الثَّانِي مِن هَذَا الكِتَاب: « اختَلفُوا فِي النَّبيّ: هَل يَجُوز لهُ الإِجْتهَاد فِيمَا لاَ نَصّ فِيهِ »[1]؟.

وَاختَار الغزّالي الجوَاز، وَقَاس النَّبيّ بغَيره مِن المُجْتَهِدين، ومِمَّا قَالَ: « كَمَا دَلّ الدَّلِيل عَلَىٰ تَحرِيم مُخَالفَه الإِمَام الأَعْظَم الحَاكِم[2]، لأَنَّ صَلاَح الخَلق فِي رَأي أَتبَاع الإِمَام، وَالحَاكِم، وَكَافّة الأُمّة، فَكَذلك النَّبيّ » أَي أَنَّ النَّبيّ يَحكم

---

(١) أُنظر، إِرْشَاد الفحُول إِلىٰ تَحقِّيق الحَقّ مَع عِلْم الأُصُول للشَّوكَاني: ٢٢٥، نهَايَة السّول فِي شَرح مِنْهَاج الأُصُول، لعَبد الرَّحِيم بن الحَسَن الأَسنَويّ: ٢ / ٢٣٧، كَشف الأَسرَار عَنْ أُصُول فَخر الإِسْلاَم البَزدَوي، عَبدالعزِيز بن أَحمَد البُخَاري: ٢ / ٩٢٦، شَرح العَضد عَلىٰ مُختَصر ابن الحَاجب: ٢ / ٢٩١، فوَاتح الرَّحموت شَرح مُسلَّم الثبُوت، لُمحَمَّد نظَام الدِّين الأَنْصَاري: ٢ / ٢٦٦، شَرح المُحلّىٰ عَلىٰ جَمع الجوَامع: ٢ / ٢١٦، المُسْتَصفىٰ مِن عِلم الأُصُول، لمُحَمَّد بن مُحَمَّد الغَزَّالي: ٢ / ١٠٤، الإِحْكَام فِي أُصول الأَحْكَام، لعَليّ بن مُحَمَّد الآمدي: ٣ / ١٤٠، أُصول الفِقه للخُضريّ: ٣٦٠، المُسوَدّة فِي أُصول الفِقه، لآل تَيمِيَّة، جَمعهَا شِهَاب الدِّين أَبو العَبَّاس الحَنْبَلي: ٥٠٧.

(٢) جَاء فِي كِتَاب الأَحكَام السُّلطَانيه للفَرَاء، وكِتَاب المَذاهب الإِسلاَميَّة لأَبـي زُهـرَة، وَغـيرهمَا أَنَّ الحَاكِم الفَاسق تَجب إِطَاعتَه، وَتَحرم مُخَالفَته عِندَ أَكثَر مِن وَاحد مِن أَئمَة السُّنَّة، وَعُلمائِهم وَاعتَقد أَنَّ كُلّ مَن أَفتَىٰ بذَلك فَإِنَّمَا أَفتَىٰ بِهِ خَوفاً، أَو طَمعاً، لاَ إِقتنَاعاً وَإِيمَاناً، وَمَهمَا يَكُن، فَقَد اتّفقَت كَلمَة الشِّيعَة عَلَىٰ أَنَّه لاَ طَاعَة لمَخلُوق فِي مَعصِيَة الخَالِق، ومِن أَجل هَذَا كَان نَصِيبهُم دَائمَاً القَتل، وَالسِّجن، وَالتَّشرِيد. (مِنْهُ ﷺ).

بالرَّأي وَالظنَّ، تمَامَاً كَمَا يَحكُم المُجْتَهد[١]... وهُو كَمَا تَرىٰ مُخَالفَة صَرِيحَة لقَولهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[٢].

---

(١) أنظر، الإِحْكَام فِي أُصول الأَحْكَام، لعَليّ بن مُحَمَّد الآمُدي: ٤ / ١٦٥، حَاشِيَة السَّعد، التَّفْتَازانـي عَلىٰ مُختَصر ٱبن الحَاجِب: ٢ / ٢٩١، التَّحرِير: ٥٢٥، تَيْسِير التَّحرِير: ٤ / ١٨٣، التَّقرِير وَالتَّحبِير: ٣ / ٢٩٥، مُسلَّم الثُبوت: ٢ / ٣٦١، أُصُول السَّرخسِي: ٢ / ٩١، شَرْح الأَسنَوي: ٢ / ١٩٤، كَشف الأَسرَار عَنْ أُصُول فَخر الإِسْلاَم البَزدَوي: ٣ / ٩٢٥.

(٢) ٱلنَّجم: ٣ ـ ٥.

الخُلاَصَة: وَمَا دَام الخَطأ مُحَالاً فِي حَقّه فلاَ يُقَال: إِنَّه مُجتَهد يَعْمل بِالرَّأي، لأَنَّ المُجْتَهد يُحتَمل فِي حَقّه الخَطأ وَالصَّواب عَلىٰ السَّواء، وَلأَجل هَذَا نَقُول: إِنَّ مَنْ ٱستطَاع أَنْ يَأخذ جَمِيع مَا يَحتَاج إِلَيهِ مِنَ الأَحْكَام مُشَافهَة مِنَ المَعْصُوم لاَ يَجُوز لهُ الإِجْتهَاد بحَال، وإِنْ بَلَغ مِنَ العِلْم مَا بَلَغ، وَقَد ذَهل عَنْ هَذِه الحَقِيقَة جمَاعَة مِنَ السُّنَّة، فَأَجَازوا الإِجْتهَاد، والعَمَل بِالرَّأي عَلىٰ النَّبيّ بِالذَات.

أُنظر، المُسْتَصفىٰ للغزّالي، وَجَامَع الجوَامع لِابْن السُّبكي، وَأُصول الفِقْه للخُضَري.

وَلَيتَ شِعْري كَيف يُقَال: إِنَّ النَّبيّ مُجْتَهد، وَالمُجْتَهد يُخطىء وَيُصِيب، وَقَول النَّبيّ هُو الحُجَّة البَالغَة، والدَّلِيل القَاطع الَّذي يَعْتَمده جَمِيع المُجْتَهدِين وَالمُحققّين؟

أُنظر، أَمَالي الشَّيخ المُفِيد: ٢٨٧.

وَسُئل الإِمَام الصَّادق: «بِأَي شَىء يُفْتي الإِمَام؟ فَقَالَ: بِالكِتَاب.

فَقَالَ السَّائل: فَمَا لَم يَكُن فِي الكِتَاب؟ فَقَالَ الصَّادق: بِالسُّنَّة.

فَقَالَ السَّائِل: فَمَا لَم يَكُن فِي الكِتَاب والسُّنَّة؟

فَقَالَ: لَيْس شَيء إلاَّ فِي الكِتَاب والسُّنَّة».

أُنظر، بَصَائِر الدَّرجَات: ٤٠٧ ح ١ و ٤.

وقَالَ أَيْضاً: «مَا رَأَيت عَليّاً قَضَىٰ قَضَاءً إلاَّ وَجَدتُ لهُ أَصلاً فِي السُّنَّة».

هَذَا بِحَقّ الإِمَام فَكَيف بِالرَّسُول الأَعْظَم ﷺ؟!!.

إِنَّ ٱلْقُرْءَان والسُّنَّة فِيهمَا تِبيَان كُلّ شَىء وَلَو بِجنْسهِ، أَو نَوعهِ، وَقَد جَاء فِي الحَدِيث: «أَنَّ النَّبيّ أَتىٰ النَّاس بِمَا ٱكتفوا بِهِ عَلىٰ عَهْده، وَمَا يَحتَاجُون إِلَيه مِنْ بَعدهِ إِلَىٰ يَوْم القِيَامَة».

↔

تَقُول : هَذَا يَدلّ عَلَىٰ عِصمَة النَّبيّ ﷺ فقط دُون غَيْرَه ، مَع أَنَّ الإِمَامِيَّة يَقُولُون بعِصمَة الإِمَام أَيْضاً ، فَمَا الدَّلِيل عَلَىٰ ذَلِكَ .

الجَوَاب :

أَنَّ الإِمَام الَّذي أَوجَب الشِّيعَة لهُ العِصْمَة هُو غَير الإِمَام الَّذي تَخيلهُ وَتَصوَرَه السُّنَّة ، فَإِنَّ مُجرّد العِلْم والإِيمَان ، وَالكَرَامَة وَالشَّجاعَة ، وَالصَّبر وَالزُّهد وَالنَّزَاهة . . . كُلّ هَذِهِ الصّفَات بمُجردهَا لاَ تُوهل الإِنْسَان لمقَام الإِمَامَة ، كَمَا لاَ تُوهله لمقَام النُّبوّة ، بَل أَنَّ لذَات الإِمَام الَّذي هُو خَلِيفَة الرَّسُول حقّاً خَصَائِص وَمُمَيّزَات لاَ يَعلمهَا إِلَّا الله . تمَاماً كَمَا أَنَّ لذَات النُّبوّة خَصَائِص وَمُميزَات لاَ يَعلمهَا إِلَّا هُو جَلّ وَعَلا . وكَمَا أَنَّ إِختيَار الإِمَام لخلاَفَة الرَّسُول بِيَد الله لاَ بالتَّصوِيت والإِنتخَاب .

فَالإِمَام إِذَن ، عِندَ الشِّيعَة فِيهِ جَمِيع مَا فِي النَّبيّ مِن صفَات ومُؤهلاَت ، وَلهُ مَا للنَّبيّ عَلَىٰ النَّاس مِن ولاَيَة وَسُلطان ، وَلاَ يَفتَرق عَنْهُ فِي شَيء إِلَّا فِي نزُول الوَحي ، عَلَىٰ أَنَّ الإِمَام قَد أَخذ عَن الرَّسُول مَا نَزل عَلَيهِ مِن رَب ،ه ، وَالنَّتِيجَة الحَتميَة لذَلكَ أَنَّ الإِمَام بهَذَا المَعنىٰ مَعصُوم لاَ محَالة تَماماً كَالنَّبيّ ، وأَنَّ مَن نَفىٰ عَنْهُ العِصْمَة فَقَد نَفىٰ عَنْهُ الإِمَامَة ، كَمَا هِي الحَال بالقِيَاس إِلَىٰ النُّبوّة .

وَبكَلمَة ، أَنَّ مَن نَفىٰ العِصْمَة عَن الإِمَام فَقَد نَفىٰ عَنْهُ خلاَفَة الرَّسُول بمَعنَاهَا الكَامل الشَّامل مِن حَيْث يُرِيد أَو لاَ يُرِيد .

↔ أُنظر ، المَحَاسن : ١ / ٢١٣ ح ٩١ ، وَقَرِيب مِنْهُ فِي الكَافي : ١ / ٥٧ ح ١٣ ، مَبَادىء الوصُول إِلىٰ عِلْم الأُصُول : ٢٤٠ ، وَرَاجع كتَابنَا (الإِجْتهَاد وَالتَّقْلِيد ، بِدَايَةً وَتَطوّراً ، مُحَاوَلَة لِفَهْمٍ جَدِيد عَلَىٰ الصَّعِيد الأُصوليّ المُقَارَن) .

وَتَقُول: أَجل أَنَّ العِصْمَة تَجب لِهَذَا الإِمَام، وأَنَّ أَمْر اخْتيَارَه بِيَد الله جَلّ وَعزّ بحُكم الطَّبِيعَة مَا دَام عَلَىٰ الوَصف الَّذي ذَكَرت، ولَكِن مَا الدَّلِيل عَلَىٰ أَنَّ الإِمَام الَّذي هُو خَلِيفَة الرَّسُول حقّاً يَجْب أَنْ يَكُون كَذَلكَ ؟.

وَحَيث تَحتَاج الإِجَابَة عَن هَذَا السُّؤال إِلَىٰ التَّفصِيل، وَالتَّطوِيل الَّذي لاَ تَتَّسع لهُ هَذِهِ الصَّفحَات فَإِنّي أُحِيلَك عَلَىٰ كِتَاب الشَّافِي للشَّرِيف المُرتَضىٰ، وتَلَخِيصَه للشَّيخ الطُّوسي [1]، وَدَلاَئل الصِّدق للشَّيخ المُظَفر، وإِذَا وَفق الله إِلَىٰ كِتَاب «الإِمَامَة والعَقْل» أَخذ بكَ فِي أَوضَح المَسَالك إِلَىٰ الجَوَاب. وَأَرجُو أَنْ يُوفق الله فَإِلىٰ اللّقَاء.

وَتَقُول أَيْضاً: إِذَا وَجبت العِصْمَة لخَلِيفَة الرَّسُول؛ كَمَا وَجبَت للرَّسُول فَيَنبَغي أَيْضاً أَنْ تَجب للمُجْتَهد الَّذي هُو نَائِب عَن الإِمَام مَع أَنَّ الشِّيعَة لاَ يَلتَزمُون بذَلكَ.

وَجوَابي عَن هَذَا: أَنَّ الفَرق كَبِير جداً بَيْنَ نيَابَة الإِمَام عَن النَّبيّ وبَيْنَ نيَابَة المُجْتَهد عَن الإِمَام، فَإِنَّ الأُولىٰ تَشمل كُلّ مَا للنَّبيّ مِن سُلطَات، حَتَّىٰ الأَوليَّة بالنَّاس مِن أَنْفسهِم، ولَيْسَ للمُجْتَهد هَذِهِ الوْلاَية وَلاَ مَا يَقرب مِنْهَا عِندَ الشِّيعَة وإِنَّمَا تَنْحَصر وَظِيفَته بالقَضَاء والإِفتَاء، وَرعَايَة مَن لاَ وَلي لهُ، ومِن هُنَا كَانَت نيَابَته بالوَكَالَة أَشبَه، ومَع ذَلِكَ فَقَد تَشدّد الإِمَامِيَّة فِي شُرُوط المُجْتَهد، وَرَووا عَن الإِمَام أَنَّه قَالَ فِيمَا قَالَ: «**فَأَمَّا مَنْ كَان مِنْ الفُقْهَاء صَائِناً لِنَفْسه، حَافِظاً لدِينه، مُخَالفاً لهوَاه، مُطِيعاً لأَمر مَولاَه. فَللعوَام أَنْ يُقلِّدُوه**» [2].

(١) أُعِيدَ طَبع هَذَا الكِتَاب فِي مُجلّدين كَبِيرَين، وَأُخرج إِخرَاجاً حَدِيثاً، وَفيهِ الأَدلّة الشَافيَة الكَافِيَة لإِثبَات الإِمَامَة وَالعِصْمَة، وَالرَّد عَلَىٰ كُلّ مَا قِيل حَولهَا مِن النَّقد، بخَاصَة مَا جَاء فِي كِتَاب المُغني للقَاضي عَبد الجَبَّار، وَقدَّم لهُ وَعَلّق عَلَيهِ السَّيِّد المَعْرُوف بـ(بَحر العُلُوم)، جَزَاه الله خَيراً. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، وَسَائِل الشِّيعَة: ٢٧ / ١٣١ ح ٣٣٢٠١، الإِجْتِهَاد وَالتَّقلِيد، للأُستَاذ الكَبِير السَّيِّد أَبي القَاسم

فَصيَانَة النَّفس ، وَالمُحَافظَة عَلَىٰ الدِّين ، وَمُخَالفَة الهَوىٰ شَرط أَسَاسي لتَنفِيذ الحُكم ، والعَمَل بالفَتوىٰ . . . وَلَو أَنَّ رَجُلاً بَلَغ مِن العِلْم مَا بَلَغ ، وَلَم يَكُن عَلَىٰ هَذَا الوَصف لاَ يُنَفَّذ لهُ قَضَاء ، وَلاَ تُسمَع لهُ فَتوىٰ ، وَلاَ يُؤتَمن عَلَىٰ فَتِيل لقَاصر ، أَو غَائِب .

وَقَد وجدَ فِي الشِّيعَة ، ولله الحَمد فِي كُلّ عَصر رِجَال يَتَمتعُون بالخلاَل الَّتي ذَكرهَا الإِمَام ، وَلَكن ـ مِن سُخريَة الأَقدَار ، أَو سَخطهَا ـ أَنْ يَتَفشىٰ فِي هَذَا العَصر وَبَاء لاَ أَدري : مَتىٰ نَقْضي عَلَيهِ ، أَو يَقضي عَلَينَا ؟ . . . وهُو تَطَفل أُغَيْلمَة بنَزوهم عَلَىٰ الكَرَاسي والأَعوَاد ، وَجلُوسهم للدَّرس ، وَالإِفتَاء ، وَالقَضَاء ، حَتَّىٰ تَخيلنَا ، أَو كِدنَا نَتخَيَّل أَنَّهُم القُرود الَّذِين رَآهُم النَّبيّ فِي مَنَامه يَصعدُون مِنبَره ، وَينزُون ، أَو أَنَّهُم المَعنيُون بقَوله ﷺ : « هَلَكَة أُمّتي عَلىٰ يَد أُغَيْلمَة مِن قُرَيْش »[1] . وَجَاء فِي تَفسِير الرَّازي عَن القَاسم بن فَضل عَن الإِمَام الحَسن عليه السلام : أَنَّ رَسُول الله ﷺ رَأىٰ فِي منَامهِ بَني أُمَيَّة يَنزُون عَلىٰ مِنبَره نَزو القُرُود ، فَشَّق ذَلِكَ عَلَيه ، فَأَنزَل الله تَعالىٰ : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[2] إِلَىٰ قَولِهِ : ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[3] يَعْني مُلك بَني أُمَيَّة .

الخوئيّ : ٢٢٢.

(١) أُنظر ، صَحِيح البُخَاريّ : ٦ / ٢٥٨٩ ح ٦٦٤٨ ، مُسْنَد أَحمَد : ٢ / ٤٨٥ ح ١٠٢٩٧ ، مُسنَد إِسحَاق بن رَاهوَيه : ١ / ٣٥٩ ح ٣٦٣ ، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٤ / ٥٢٦ ح ٨٤٧٦ ، صَحِيح ابن حِبّان : ١٥ / ١٠٨ ح ٦٧١٣ ، فَتح البَاري : ١٣ / ٨ ، البدَايَة وَالنّهايَة : ٦ / ٢٥٥ ، سِير أَعلاَم النُّبلاء : ٢ / ٦٢٦ ، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد : ٩ / ٢١٩ ، المُعْجَم الصَّغِير : ١ / ٣٣٤ ح ٥٥٤.

(٢) اَلْقَدْر : ١.

(٣) اَلْقَدْر : ٣.

قَالَ القَاسم: فَحَسبنَا مُلك بَنِي أُمَيَّة، فَإِذَا هُو أَلْف شَهْر[١]. وَقَد تَجلَىٰ سَفَههُم بتَطاولهُم عَلَىٰ مَا لَيسُوا لهُ بأَهل، وَظَهر جَهلهُم للعَيَان فِي دَسّهم وَنَيلهُم مِن كَرَامَة العُلمَاء بالتَّصرِيح تَارَة، وَبالتَّلوِيح، وَإِثَارَة الشّكوك أُخرىٰ... وإِذَا آستَمرت هَٰذِهِ الفُوضىٰ، وَلَم يَقف كُلّ منَّا عِندَ حَدّه، فَستَفْقد النَّجف مكَانَتها وَالدِّين هَيبَته وَعَظمَته لاَ سَمَح الله.

وَبَعد هَٰذَا الإِستطرَاد، أَو نَفثَة الفُؤَاد أَعُود إِلَىٰ المَوضُوع، لأُثِير هَٰذِهِ التَّساؤلاَت، هَل الشِّيعَة يُقدسُون الأَئِمّة الأَطهَار، الأَبْرَار أَكْثَر مِمَّا تُقدّس سَادَتها وَقَادتهَا هَٰذِهِ ٱلأَحْزَاب، وَالمُنظمَات فِي الشَّرق، وَالغَرب؟. وهَل كِتَاب رَأس المَال ـ مَثلاً ـ أَقل شَأناً عِند أَتبَاعَه مِن ٱلْقُرْءَان عِندَ المُسْلِمِين، والإِنْجِيل عِندَ المَسيحيِّين؟. وإِذَا كَان العِلْم يُحَتّم أَنْ نَأخذ بالوَاقع المُجرّد عَن الذَّات، لأَنَّ النَّظرَة الصَّحِيحَة هِي الَّتي تَنظر إِلَىٰ المَوضُوع بدُون أَيّة إِضَافَة زَائِدة ـ كَمَا قَالُوا ـ فَهل قَائِد الحِزب هُو الوَاقِع، والمَوضُوع، بحَيث يَكُون الأَخذ بأَقوَاله أَخذاً، بالوَاقع، لاَ بالأَنَا» عَلَىٰ حَدّ تَعبِيرهُم؟. وَبالتَالي، هَل للعِصمَة مِن مَعْنَىٰ إِلَّا الإِستدلاَل بقَول المَعْصُوم، وَجَعلَه دَلِيلاً قَاطعاً، وَحجّة دَامغَة تمَاماً كَمَا تَستَدل ٱلأَحْزَاب، وَالمُنظمَات اليَوْم وفِي كُلّ يَوْم بأَقوَال القَادَة وَالرُّؤسَاء. إِذَن، لمَاذَا يَستَنكرُون العِصْمَة، وَيَنعتُون القَائِلين بِهَا بالجَهل، وَالرَّجعيَّة، وَأَثبَتُوا هَٰذِهِ العِصْمَة بالذَّات، وَأَوجبُوها بالفِعل، لاَ بالقَبُول لمَن وَضَع لهُم الفِكْرة وَالعَقِيدَة،

---

(١) أُنظر. تَفسِير القُرطُبي: ١٠/ ٢٨٢، تَفسِير الطَّبري: ١٥/ ١١٢، تَفسِير آبن كَثِير: ٣/ ٥٠، المُستَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٤/ ٥٢٧ ح ٨٤٨١، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ١١/ ٣٤٨ ح ٦٤٦١، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٢/ ١٠٨، مَجْمَع الزَّوَائد: ٥/ ٢٤٤، العِلل المُتنَاهيَة: ٢/ ٧٠١ ح ١١٦٨، تأرِيخ الطَّبري: ٥/ ٦٢٢.

وَتلقوهَا مِنْهُ كَمَا يَتلقىٰ ٱلْمُؤْمِنُون مِن نَبيّهم، وَالعَبِيد مِن سَيّدهُم، وَفرضُوا عَلَىٰ النَّاس، كُلّ النَّاس قَبُولهَا، والعَمَل بِهَا، وَنَعتُوا مَن أَبىٰ وَٱمتَنع بالجَهل، وَالتَّحرِيف يَكمُن فِي لَفظ العِصْمَة لاَ مَعنَاهَا؟.

وَتَجد الجَوَاب عَن هَذِهِ التَّساؤلاَت فِي فَصل النَّقْد عَلَىٰ صَعِيد الرَّغبَات، وَنَختم هَذَا الفَصْل بمَا يَلي:

ٱتّفق السُّنَّة والشِّيعَة عَلَىٰ فِكرَة العِصْمَة، وأَنَّهَا ثَابتَة فِي الإِسْلاَم، وَٱختَلفُوا فِي التَّطبِيق. فَقَال السُّنَّة: هِي ثَابتَة للجَمَاعَة، لقَول الرَّسُول الأَعْظَمﷺ: «لاَ تَجْتَمع أُمّتي عَلَىٰ ضَلاَلَة»[١]. وَرَدَّ الشِّيعَة هَذَا الحَدِيث، وكُلّ حَدِيث يَتَضمن عِصمَة الجَمَاعَة، لأَنَّهَا قَد تُخطىء بَل جَاء فِي الآيَة: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

والعِصْمَة تَثبت لأَهَل الْبَيْت عليهم السلام بنَصّ الآيَة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣].

وَالمُرَاد بالرِّجس الذّنُوب إِذْ لاَ شَيء أَقذَر، وَأَوسَخ مِنْهَا، وَلاَ مَعْنَىٰ للعِصمَة إِلَّا البُعد عَنهَا، وَالطَّهَارة مِنهَا، ومَن أَنْكَر عِصْمَة أَهْل الْبَيْت فَقَد أَنْكَر عَلَىٰ الله، وَرَدّ شَهَادَته بتَطهِيرهُم، وَذهَاب الرِّجس عَنْهُم... بَل فِي إِعتقَادي أَنَّ مَن أَنْكَر عِصْمَة سَلمَان الفَارسي[٤] فَقَد أَنكَر عَلَىٰ الرَّسُول الأَعْظَمﷺ وَرَدّ شهَادَته وقَوْلَه:

(١) أُنظر، المَبسُوط السَّرخسي: ١٢ / ١٣٨، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٨ / ٢٣، تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عَسَاكر: ٥٩ / ٧، لسَان المِيزَان: ٦ / ٧٣، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٥ / ٢١٨ و: ٧ / ٢٢١، المُعجَم الكَبِير: ١٢ / ٤٤٧ ح ١٣٦٢٣، الرِّيَاض النَّضرَة: ٢ / ١٩٥، كَشف الخَفَاء: ١ / ٦٧.

(٢) ٱلأَعْرَاف: ١٨٧.

(٣) ٱلأَحْزَاب: ٣٣.

(٤) هُو مِن نَسْل المُلُوك، وجَدّ آبَائِه «منُوجهر» مُؤسّس الدَّوْلَة الثَّانِيَة مِن دوَل الفُرس القَدِيمَة، ولكنّ

↔ سَلْمَان يَرفض الانْتِسَاب لِغَير الإسْلاَم، وكَان يَقول: أَنَا ٱبن الإسْلاَم، أَعْتَقَني الله بِمُحَمَّد، ورَفَعنِي بِمُحَمَّد، وأَغْنَانِي بمُحَمَّد، وصلّىٰ الله عَلىٰ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، فهَذا حَسْبي ونَسَبي. هُو منُوجهر بن مُحَمَّد بن تَركَانشاه، أبُو الْفَضْل بن أبِي الوَفاء. أُنظر مُختصر ٱبن الدّبيثي: ٣٥٠، العِبر: ٤/٢٢٦، بُغية الوعَاة: ٣٩٩، ويَظهر مِن بَعْض المُؤرخِين هُو زَرَادَاشت، كمَا يَظهر مِن سؤالاَت حَمزة للدَّار قُطني: ٥٠، فهرست مُنْتَخَب الدِّين: ١٥٢ و ٣٥١، ذِيل تَأرِيخ بَغدَاد: ٢/٥١، تَذكرة الحفَاظ: ٢/٧٦٥، سَير أعْلاَم النُّبلاء: ١/٥٥٥، ويَظهر مِن تَرجمته أنّه كَان أَدِيباً فَاضلاً صَادقاً، حَسن الطَّرِيقة صَدوقاً. أُنظر المُستفاد مِن ذَيل تَأرِيخ بَغدَاد لِٱبْن الدّمياطي: ١/١٧٥، تَأرِيخ ٱبن خَلدون: ٤/٤٩٨، مُعجم الأُدباء: ١٩/١٩٦.

وأَقرّه مُحَمَّد عَلىٰ هَذَا الحَسْب والنَّسب، وَقَالَ: «سَلْمَان مِنَّا أَهْل الْبَيْت». وكَان يُقَال لهُ: سُليْمان المُحمَّدي، وسَلْمَان الْخَيْر، وسَلْمَان ٱلحِكْمَة والعِلم، وسَلْمَان بَاك أي النَّظِيف فِي لُغَة الفُرس، والطَّيِّب، والطَّاهِر، وصَاحِب الكِتَابين: ٱلقُرءَان، والإِنْجِيل.

مَكَانَتهُ:

كَان مِن رُؤُوس الصَّحَابَة، وأَقْطَابهُم عِلماً، وتُقىً، وجِهاداً، وكَان عِند رَسُول الله ﷺ الخَلِيل الأَثِير. قَالَ ٱبن عَبد البر فِي «الإسْتِيعَاب»: ٢/٥٦ طَبعَة سَنَة ١٩٣٩م:

وروىٰ أبُو بُردة عَن أَبِيه عَن النَّبيّ أنّه قَالَ: «أَمَرَني رَبّي بِحُبّ أَرْبَعَة، وأَخبَرني أَنَّه يُحبّهم، وهُم عَليّ، وسَلْمَان، وأبُو ذَرّ، وَالمُقداد». أُنظر، سُنن التّرمِذي: ٥/٢٩٩ ح ٣٨٠٢، طَبعة دَار الْفِكْر، أُسد الغَابَة: ٥/٢٥١ ح ٥٠٦٩، مُسْنَد أحمد: ٥/٣٥١، تَأرِيخ الإسْلام للذَّهبي: ٢/٤٠٩، جَامع الأُصول لِٱبْن الأَثِير: ٨/٥٧٩ ح ٦٣٩٣، الصَّوَاعِق الُمحرِقَة: ١٢٢، تَأرِيخ ٱبن عسَاكر: ٦/١٩٨ و: ٢١/٤٠٩ و: ٦٠/١٧٥ و: ٦٦/١٨٩، سُنن ٱبن مَاجه: ١/٥٣ ح ١٤٩، مَجْمَع الزَّوائِد: ٩/١٥٥، الْمُعْجَم الأَوسَط: ٧/١٥٦، كَنز العُمَّال: ١١/٦٣٩ ح ٣٣١١١، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٢/٢٧١ ح ١٦٩٢، تَهذِيب التَّهذيب: ١/٢٨٦ طَبع حَيدر آبَاد الدّكن، تَهذِيب الأَسماء واللُّغات: ٢/١١٢ طَبع المُنِيرِية بِمصر، كُنىٰ البُخَاريّ: ٣١ الرَّقم «٢٧١»، تَهذِيب الكَمَال: ١١/٢٥١ و: ٢٨/٤٥٦ و: ٣٣/٣٠٦، سَير أَعْلام النُّبلاء: ٢/٦١، الإِصَابَة: ٦/١٦٦، مَنَاقب الخوَارزمي: ٧٥، مُستدَرك الْحَاكِم: ٣/١٣٠، حليَة الأَوليَاء: ١/١٩٠، فَضَائِل الْصَّحَابَة لأَحْمَد بن حَنبل: ٢/٦٨٩، سُبل السَّلام: ١١/٢٩١، ينَابيع المَودَّة: ١/٣٧٥ و: ٢/٨٩ و: ٣/١٤٢. ↔

وعَن الإِمَام أَمِير الْمُؤْمِنِين أنّه قَالَ: «أنَا سَابق العَرَب، وسَلْمَان سَابق الفُرس، وَصُهيب سَابق الرُّوم، وبِلاَل سَابق الحَبش، وخَبّاب سَابق النَّبط». أُنظر، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣/٢٨٥، مَجْمَع الزَّوائد: ٩/٣٠٥، المُصَنَّف لعَبدالرَّزاق الصَّنعاني: ١١/٢٤٢ ح ٢٠٤٣٢، المُعْجَم الصَّغير: ١/١٠٤، المُعْجَم الأوسط: ٣/٢٤١، المُعْجَم الكَبِير: ٨/٢٩ و: ٢٤/٤٣٥، تَأرِيخ المَدِينة: ٢/٤٧٩، سُبل السَّلام: ١/٤٦٨، تَقرِيب التَّهذيب: ٢/٥٨٧، الإِصَابَة: ٣/٣٦٥، أُسد الغَابَة: ٣/٣١، سير أعْلام النُّبلاء: ١/٣٤٩ و: ٨/٥٣٠، مِيزَان الإِعتدال: ١/٣٣٦، الكَامِل لِابْن عَدي: ٢/٧٥ و: ٧/١٦٧، تَأرِيخ دِمشق: ١٠/٤٤٨ و: ٢٤/٢٢٠، الدُّر المنثُور: ٦/١٥٤، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٣/٥٧ ح ٢٦٩٥ و: ٤/١٧٧ ح ٤٧٩٣، كَنز العُمَّال: ١١/٤٠٨ ح ٣١٩٠٩ و ٣٣١٢٣ و ٣٣٦٧٦، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢/١١، الجَامِع الصَّغير: ١/٤١٣ ح ٢٦٩٥ و: ٢/٦٦ ح ٤٧٩٣.

زَوْجَتَهُ وَأَوْلاَدهُ:

تَزَوَّج عَرَبِية تُوفِيت فِي حَيَاته، فَتَزَوَّج عَجْمِية ومَات عَنْهَا. ذُكِر أنَّه تَزَوَّج مَوْلاَة لهُ يُقَال لهَا بقِيرة، كُوفِية ثِقَة. أُنظر، مُسْنَد أحمَد: ٥/٤٣٩، مَجْمَع الزَّوائِد: ٩/٣٤٤، سِير أعْلام النُّبلاء: ١/٤٠٢، المُصَنَّف لعَبدالرَّزاق الصَّنعاني: ٨/١٨٢ ح ٢٥، الأَدَب المُفرد: ٥٩ ح ٢٣٤، المُعْجَم الكَبِير: ٦/٢١٥، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤/٩٢ و ٩٤، التَّأرِيخ الصَّغِير: ١/٩٧، مَعْرفَة الثِّقات للعِجلي: ٢/٤٤٩ ح ٢٣٢٥، إكمَال الكَمَال: ٧/٣٦٢، تَأرِيخ دِمشق: ٢١/٤٥٧، سِير أعْلاَم النُبلاء: ١/٥٥٣، حلية الأَولِيَاء: ١/٢٠٨.

لَهُ سِتّة أَوْلاَد: ثَلاَثة ذكُور عَبد الله وَقَد أَعْقب، ومُحَمَّداً أيضاً أَعْقب، ومِن نَسْله عُلَمَاء وشُعرَاء، وكَثِير، ولاَ يُعْرَف لَهُ عَقب. وثَلاَث بَنَات: وَاحدة كَانَتْ بِأصفهَان، ولهَا عَقب، وأثنتَان كَانتَا بِمِصْر.

روي أنّ سَلْمَان خَطب إلىٰ عُمر بن الخَطَّاب، فَكَرِه عَبدالله بن عُمر ذَلِكَ، فقَال لهُ عَمرو بن العَاص: أنَا أَكْفِيك، فَلقىٰ عَمرو بن العَاص سَلْمَان الفَارِسي، فقَال: لِيهنئك يَاسَلْمَان، فقَال: ومَا هُو؟ فقَال: توَاضَع لَكَ أَمِير الْمُؤْمِنِين، فقَال سَلْمَان: لِمثلِي يُقَال هَذَا؟ والله لاَ نَكَحتها أبداً.

أُنظر، المَبسوط للسَّرخسي: ٥/٢٣، البَحر الزَّخَّار: ٤/٨٠، سَلْمَان المحَمَّدي للشَّيخ عَبدالوَاحد المُظفر الطَّبعة الحَيدرِية سَنَة ١٣٧١ هـ، سُبل السَّلام: ٣/١٣٠، تَأرِيخ الخَمِيس: ١/٣٥١، السُّنن الكُبرىٰ: ٧/٢٧٣، التَّأرِيخ الصَّغِير للبُخاري: ١/٩٧.

وَفَاتُهُ:

« سَلْمَان مِنَّا أَهْل الْبَيْت » [١] وَقَد نَظم هَذَا الحَدِيث أَبُو فِرَاس الحَمْدَاني بِقَوْله [٢] :

كَانَت مودَّة سَلْمَان لَهُم رَحِماً ... وَلَم تَكُن بَيْنَ نُوحٍ وَٱبْنه رَحِم

وَهُو الَّذي أَشَار عَلَىٰ النَّبيّ بِحَفر الخَنْدَق فِي وَقعَة الأَحْزَاب [٣] ، وكَان أَمِيرَاً

↔ اَنتقَل إِلىٰ رَبِّه سَنَة (٣٥هـ) ، ودُفِن فِي اَلْبَلَدِة الْمَعْرُوفَة بِسَلْمَان بَاك عَلىٰ ضِفَاف دِجلَة الشَّرقي ، وتَبعُد ثَلاَثَة فرَاسخ مِن بَغْدَاد ، ويَوْم قَبْرهُ الشَّرِيف أُلوف الزَّائرين مِن كُلّ فَجّ .

أُنظر ، الاِسْتِيعَاب : ٢ / ٥٣ ـ ٥٩ ، الإِصَابَة : ٢ / ٦٠ ، الطَّبَرِيّ : ٢ / ٤٤٣ ، اَبـن هُشـام : ٤ / ٣٣٥ ، مُسْنَد أحمد : ١ / ٥٥ ، الرِّيَاض النَّضرة : ١ / ١٦٧ ، تَأْرِيخ الخَمِيس : ١ / ١٨٨ ، اَبن الأَثِير : ٢ / ١٢٦ ، اَبن كَثِير : ٥ / ٢٤٥ ، تَأْرِيخ اليَعقوبِي : ٢ / ١٠٣ ، أُسد الغَابَة : ٣ / ٢٢٢ .

(١) أُنظر ، تَأْرِيخ دِمَشْق لِاَبْن عَسَاكر الشَّافعي : ١ / ١٥٠ ، السِّيرَة الحَلبِية بِهَامش السِّيرَة النَّبَوِيَّة : ٢ / ٣٠٩ ، كَشف الغُمّة : ١ / ٢٦٧ ، أَعيَان الشِّيْعَة : ١ / ٢٩٢ و ٣٩٤ ، تَأْرِيخ الطَّبري : ٢ / ٢٦٥ ، و : ٣ / ٢٣٤ ، و : ٥ / ٢٩ ـ ٣٣ ، الكَامِل لِاَبْن الأَثِير : ٣ / ١٧٨ ، دَائرة المعَارف الإِسْلاَمِيَّة الشِّيعِية : ١ / ٢٦٢ « مَعرَكة الْخَنْدَق » ، السِّيرَة لِاَبـن هِشَـام : ٣ / ١٨٤ و ١٩٢ و ٢٢٥ و ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ، مغَازي الوَاقدي : ٢ / ٤٤١ و ٤٧٧ ، الإِرْشَاد للشَّيخ المُفيد : ١ / ٩٤ ، كَشف الْيَقِين فِي فَضَائِل أَمِير الْمُؤْمِنِين ٧ : ١٣١ ، تَأْرِيخ اليَعقوبِي : ٢ / ٥٠ ـ ٥١ ، إِمْتَاع الأَسْمَاع للمَقريزي : ٢٣٥ و ٢٣٦ ، تَفْسِير البَغوي المُسمىٰ بِمَعَالِم التَّنزِيل : ٣ / ٥٢٣ ، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ لِاَبْن سَعد : ٢ / ١٧ و ١٨ .

(٢) أُنظر ، تُحفَة الأَحوَذي : ٩ / ١١٢ ، رَوضَة الوَاعظِين : ٢٨٧ ، « شَرْح شَافِيَة أَبي فِرَاس فِي مَناقب آل الرَّسُول وَمَثالب بَني العَبَّاس » : ١١٦ .

(٣) غَزْوَة الْخَنْدَق وَقَعت فِي شوَال سَنَة خَمسَة مِن الْهِجْرَة ، وتُسمىٰ بِغَزْوَة اَلْأَحْزَاب ، وتَأْتِي بَعد غَزْوَة بَنِي النَّضِير كمَا جَاء فِي السِّيرَة الحَلبِيَة بِهَامش السِّيرَة النَّبَوِيَّة : ٢ / ٣٠٩ ، أمّا اَبن قُتَيْبَة فِي مَعَارفه : ١٦١ أَنَّها وَقَعت سَنَة أَربع ويَوم بَني المُصْطَلق ، وبَنِي لِحيَان سَنَة خَمس . ولَسْنَا بِصَدد بيَان سَببها تفصِيلاً بل نُشير إِلىٰ ذَلِكَ إِشَارة وَهِي :

لمَا أَجلىٰ رَسُول الله ﷺ بَنِي النَّضِير مِن الْمَدِينَة بِسَبب نَقضهُم العَهد ، سَارُوا إِلىٰ خَيبر . وخَرَج جَمَاعَة مِنهُم عَبدالله بن سَلّام بن أَبِي الحُقيق النَّضْري ، وحُييّ بن أَخـطَب ، وكِنَانة بـن أَبـي الحُـقيق (الرَّبِيّع) ، وهَوْذَة بن قَيْس الوَالبي ، وأَبو عُمارَة الوَالبي إِلىٰ مَكَّة قَاصدِين أَبا سُفْيَان لِعِلمهم بِشدة عدَاوَته لِلنَّبيّ ﷺ وَتَشوّقه إِلىٰ إِرَاقة الدِّمَاء والْقِتَال لمَا نَاله هُو وزوجته هِند ـ أُمّ مُعَاوِيَة ـ مِنْهُ ﷺ يَوم بَدْر ، ↔

عَلَىٰ زُهَاء ثَلاَثِين أَلفاً مِنْ المُسْلِمِين فِي المَدَائن، وكَان يَخْطب النَّاس فِي عِبَاءة يَفْتَرش بَعْضَها وَيَجعل البَعْض الآخر غِطَاء، وكَان لاَ يَأكل إلاَّ مِنْ عَـمَل يَـده[1]. عَملاً بِقَول نَبي الرَّحْمَة: «مَا أَكَل أَحدكُم طعَاماً قَطّ خَيراً مِن عَمَل يَده، ومَا أَكَل

وسَألوه المعُونَه عَلَىٰ قتَاله ﷺ وَقَالَ لهُم: أنَا لكُم حَيْث تُحبّون فأخرجُوا إِلىٰ قُرَيْش وٱدْعُوهُم إِلىٰ حَرْبه وٱضمَنُوا لهُم النُّصرَة حَتَّىٰ تستَأصلُوه، فطَافُوا عَلىٰ وجُوه قُرَيْش، ودَعَـوهم إِلىٰ حَـرْبه ﷺ فـقَالت قُرَيْش: أَيْدِينَا مَع أَيدِيكُم ونَحْنُ مَعَكُمْ... فتَجهزَت قُرَيْش بِقيَادة أَبِي سُفْيَان وتَبعتها بَعْض القبَائِل، واليَهُود وخَرَجت غَطفَان وقَائدها عُيَيْنَةُ بن حُصين فِي بَنِي فزَارة، والحَارث بن عَوْف فِي بَنِي مُـرّة، وبرّة بن طَرِيف فِي بَنِي أشجَع.

فَلَمَّا سَمع رَسُول الله ﷺ بِإجْتمَاع ٱلْأَحزَاب أَستشَار أَصْحَابه وأَجمَع رَأيهم عَلىٰ البقَاء فِي الْمَدِينَة وحَرْب الْقَوْم إِنْ جَاؤوا إِلَيْهِمْ، وهُنا أَشَار سَلْمَان ؓ بِحَفر الْخَنْدَق، فأمَر رَسُول الله ﷺ بِحَفره وعَمل فِيهِ بِنَفسه، وعَمل فِيهِ الْمُسْلِمُون لمُدة أَكْثَر مِن سِتة أَيَّام وقَطعه رَسُول الله ﷺ أَرْبَعِين ذِرَاعاً بَيْنَ كلّ عَشرة، ولذَا ٱختلَف الْمُهَاجِرُون والأنْصَار فِي سَلْمَان كلّ يَقول هُو مِنّا، فَقطع الرَّسُول ﷺ نزَاع الْقَوْم وَقَالَ قَوله المشهُور: سَلْمَان منّا، سَلْمَان مِن أَهْل الْبَيْت.

وفَرَغ رَسُول الله ﷺ من حفر الْخَنْدَق قَبل قُدُوم قُرَيْش بِثلاثَة أَيَّام.

وحَاصرَت قُرَيْش الْمَدِينَة بِضعَاً وعشرِين لَيْلَة ولَمْ يَكُن بَينهُم حَـرْب إلّا الرَّمـي بـالنَّبل، ولـمّـا رَأىٰ ﷺ الوَهن والضَّعْف فِي قُلوب أَكْثَر الْمُسْلِمِين بَعث إلىٰ عُيَيْنة، والحَارث يَدعُوهُما إِلىٰ الصُّلح، والرُّجُوع عَن حَرْبه عَلىٰ أنْ يُعطِيهم ثُلث ثِمَار الْمَدِينَة، وأَستشَار فِي ذَٰلِكَ أَصْحَابه مِنهُم سَعد بن معَاذ، وسَعد بن عَبادة وغَيْرهما. ولَسْنَا بِصَدد بيَان قَوْل كلّ مِنْهُمَا. بل نَقلنا ذَٰلِكَ بتصرّف من المصَادر التَّالِية:

تَأرِيخ دِمشق لِابْن عسَاكر الشَّافعي: ١ / ١٥٠، السِّيرَة الحَلبِية بهَامش السِّيرَة النَّبَويّة: ٢ / ٣٠٩، تَأرِيخ الطَّبَري: ٢ / ٢٦٥، و: ٣ / ٢٣٤، و: ٥ / ٢٩ ـ ٣٣، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٣ / ١٧٨، السِّيرَة لِابْن هِشَام: ٣ / ١٨٤ و١٩٢ و٢٢٥ و٢٢٠ ـ ٣٢٢، مغَازي الوَاقدي: ٢ / ٤٤١ و٤٧٧، تَأرِيخ اليَـعقوبِي: ٢ / ٥٠ ـ ٥١، إِمْتَاع الأَسْمَاع للمَقرِيزِي: ٢٣٥ و٢٣٦، تَـفسِير البَـغوي المُسـمىٰ بمَـعَالِم التَّـنزِيل: ٣ / ٥٢٣، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ لِابْن سَعد: ٢ / ١٧ و١٨.

(١) أنظر، الْمُعْجَم الكَبِير: ٦ / ٢٤٤، الأَحَادِيث الطّوَال: ٢٩، سِير أعْلاَم النُّبلاء: ١ / ٥٣٦، تَأرِيخ بَغداد: ٩ / ١٩٩، المُصَنَّف لعبدالرَّزاق الصَّنعاني: ٨ / ٤١٨ ح ١٥٧٦٨، شَرح نَهج ٱلبَلاَغة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨ / ٣٥.

أَحدكُم طعَاماً قَطّ خَيراً مِن عَمل يَده»[1]. وَمَن كَان مِن أَهْل الْبَيْت مِثْل سَلمَان فَهُو فِي حُكم آيَة التَّطهِير.

(١) أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٣ / ٩، فَتح البَاري: ٤ / ٢٥٩، المجمُوع: ٩ / ٥٩، إعَانة الطَّالِبِين: ٢ / ٤٠٤، كَشف القِناع: ٦ / ٢٧١، سُبل السَّلام: ٣ / ٥، مُسْنَد الشَّامِيين: ٣ / ١٦٠ح ١٩٩٢، رِيَاض الصَّالِحِين: ٢٩٢ ح ٥٤٣، الجَامِع الصَّغير: ٢ / ٤٨٦ح ٧٨٣٣، العهُود المحمدِية: ٢٩٢، كَنز العُمَّال: ٤ / ٨ح ٩٢٢٣، التَّأرِيخ الكَبِير: ٧ / ٤٢٩ح ١٨٨٢، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٢ / ٥٧٠.

النَّجَف وَالفُوضىٰ

عِنْدَ التَّصْحِيح:

لَقَد شَطَح بِي ٱلْقَلَم فِي الفَصْل السَّابق إِلَىٰ الحَدِيث عَن « أُغَيْلمَة » هَذَا العَصْر. وكَانَت تِلكَ الشَّطحَة أَو ذَاكَ الإِسْتطرَاد نَفْثَة مَصدُور، سُرعَان مَا ذَهَبَت مَع الرِّيح، كَغَيرهَا مِن النَّفثَات وَالحَسرَات، وَٱنْصرَفتُ أَنَا لشَأْني.

وَالآنْ، وَأَنَا أُصَححّ للمَطبَعَة مَا جَاء فِي هَذِهِ « المَلزَمَة » مِن أَخْطَاء عُدّت إِلَىٰ تِلكَ الحَسرَة لأَرىٰ: هَل ذَهَل مُنَضّد الحرُوف عَن كَلمَة أَو حَرف... وَبصُورَة مُفَاجئَة جَالَت فِي رَأسي أفكَار وَأَفكَار عَن أَوضَاع الشُّيُوخ هُنَا وهُنَاك، وَٱدعَاءَاتهم الطَّويلَة العَريضَة، وعَن النَّجف وَنظَامهَا وَطُلابهَا وَأَعلاَمها، وكَانَت تِلكَ الأَفكَار البَاعث الأَوّل عَلَىٰ كتَابَة هَذَا الفَصْل، وَإِلحَاقَه بمَا طُبع مِن فصُول، لصِلَة رَئِيس الدِّين والمَذْهَب بالإِمَام المَعْصُوم نيَابَة أَو وَكَالَة.

حَسنَة الشِّيعَة:

إِنْ كَان للشِّيعَة ـ اليَوْم ـ حَسنَة تُذكَر فَتُقدّر فَهي إِستقلاَل مَنْصب الرِّئَاسَة الكُبرىٰ عَن السِّيَاسيَّة وَالسِّيَاسيِّين، وَتَعيِّين الرَّئِيس الأَوّل، وَإِختيَارَه للمَنْصب الأَكْبَر بالعِلْم، والعَدْل فَقَط لاَ غَير، لاَ بمَرسُوم مِن حَاكم، وَلاَ بشفَاعَة ظَالم، وَلاَ

بإنتخاب مِن مُنظمَة مُعَينَة، أو أَفْرَاد مَعدُودِين، بَل بنَصّ طَبِيعي، مِن سِيرَته، وَشَخصيتَه، وَمُؤهلاَته، وتَأرِيخ حَيَاته مُنذ الطّفُولَة إِلَىٰ عَهْد الشّيخُوخَة حَتّىٰ إِذَا كَانَت طَاهرَة، نَقيّة قُلنَا جَمِيعاً: وَجدنَاه، فَهُو هُو دُون سوَاه... وَقَد آمتَاز الشّيعَة بذَلكَ عَن سَائِر الطّوَائف، تَمَامَاً كَمَا آمتَازُوا بتَفسِير عِصْمَة الأَنْبيَاء مِن أَنّهَا النّزَاهَة عَن الذّنُوب قَبل النُّبوّة وَبَعدهَا.

الفُوضىٰ:

ومِن هُنَا كَانَت هَذِهِ الفُوضىٰ وَالتّطفلاَت، وَهَذَا التّكَالب عَلَىٰ لَقَب تَقي وَأَتقىٰ، وَوَرع وَأورَع، وَزَاهد وَأَزهَد، والعَلاّمَة الأَوحَد، وَحُجّة الله وَآيَته، وَمَرجع عَالي وَأعلَىٰ، وَمُجْتَهد كَبِير وَأَكبَر، إِلَىٰ آخر مَا هُو شَائِع ذَائِع، بخَاصّة فِي إِيرَان، مَصْدَر هَذِهِ الطّنطنَات، وَمَسقَط رَأسهَا... وَقَد أَكثَر التّسابق إِلَىٰ هَذِهِ الأَلقَاب بَعد أَنْ آشتَهرَت الفَتوىٰ بوجُوب الرّجُوع إِلَىٰ الأَعْلَم فِي التّقلِيد.

الفُوضىٰ أَفضَل:

ومَهْمَا يَكُن فَإِنّي أُفَضّل هَذِهِ الفُوضىٰ، وَالتّطفلاَت عَلَىٰ تَدخُل السّيَاسيّة فِي أُمُور الدِّين والمَذْهَب، وَأَرىٰ مُخلصَاً أَنّ هَذَا التّصدع والإِنحرَاف خَير أَلف مرّة مِن تَدخل السّياسيِّين، وأَنْ يَكُون تَعيِّين الرَّئِيس، وَالمَرجع بيَد الحَاكِمين... فَإِنَّهُم نظّموا فَإِنّمَا يُنظّمُون الفَسَاد، وَيَجعلُونه قَانُوناً مُلزِماً يُنفّذ بقوّة الدّولَة، وَإِنْ آختَارُوا فَلاَ يَختَارُون إِلّا مَن هُو أَشدّ خَطرَاً عَلَىٰ الدِّين، وأَكْثَر ضَرّراً مِن كُلّ فُوضىٰ وكُلّ تَطفُل، وَأي شَيء أَضرّ، وَأَخطَر مِن تَصَاغر نَائِب الإِمَام، وَتضَاؤل

الأَمِين عَلَىٰ دِين الله وَشَرِيعَته أَمَام حَاكِم ظَالم، وَفَاسق مُستَهتر، لاَ لشَيء إلَّا لأَنّه يَتَحكم فِي هَذَا المَنْصب وَصَاحبَه؟ لأَجل هَذَا وغَيْرَه مِن المَفَاسد أُفضّل التَّقالِيد النَّجفيَّة بعِلّاتها عَلَىٰ تَدخُل السِّيَاسيَّة، وَأُفضّل هَذِهِ التَّقالِيد أَنَا وكُلّ مُخلصٌ لدِينَه وَأُمّته يُرِيد أَنْ تَتَصاغر الدُّنْيَا وَأَبنَاؤها أَمَام دِين الله، وَعُلمَائه، وَأُمنَائه، أَمَّا مَن أَرَاد العَكس فمَا هُو مِن الدِّين وَلاَ الإِنْسَانيَّة فِي شَيء.

شِيعَة عَلِيّ حَقّاً:

أَنَّ تَأرِيخ الشِّيعَة - أَقصُد شِيعَة عَلِيّ قَولاً وَعَملاً - يَدل بصَرَاحَة وَوضُوح عَلَىٰ أَنَّهُم لَم يُسَالمُوا وَيَتفَاهمُوا فِي يَوْم مِن الأَيَّام مَع السِّيَاسيَّة الظَّالمَة الغَاشمَة، وَلاَ مَع أَي إِنْسَان لاَ يُقِيم للدِّين وَزناً وَلاَ للحَقّ شَأناً... ذَلِكَ أَنَّ الدِّين عِندَهُم فَوق كُلّ شَيء، وَأَعزّ مِن كُلّ عَزِيز، حَتَّىٰ مِن الأَهَل وَالعيَال، والنُّفُوس والأَموال أَمَّا الشَّاهِد عَلَىٰ هَذِهِ الحَقِيقَة فأَصحَاب عَلِيّ وَالحُسَين، وَزَيد بن عَلِيّ، وَشُهدَاء فَخّ، وَغَيرهُم وَغيرهُم مِن العُلمَاء، والشُّعَرَاء مِمَّن ذَكرنَا فِي كِتَاب «الشِّيعَة وَالحَاكمُون».

لَقَد أَصَاب الشِّيعَة مِن السِّجن وَالصَّلب، والتَّقتِيل وَالتَّشرِيد مَا تَعجز عَن وَصفَه الأَلسُن والأَقلام، لاَ لشَيء إلاَّ لأَنَّهُم رَفضُوا الإِنصيَاع، وَالإِنقيَاد إلَّا لمَن اختَارَه الله، وَأَرَاده رَسُول الله، وَارتضَاه أَولِيَاء الله، لاَ مَن أَرَادَه حَاكم، وَمُتَزعم ليُحَلّل لهوَاهُما وَيُحَرّم... ومِن هُنَا كَان لرُؤسَاء الدِّين والمَذَاهب وكلاَء الإِمَام حقاً هَذِهِ المكَانَة فِي النُّفُوس، وَهَذَا التَّعظِيم وَالتَّكرِيم.

الرّئيس:

أنَّ هَذَا الحبّ والإخلاص، وَهَذَا الخضوع والطّاعَة؛ أنَّ هَذَا الشّعُور الدِّيني الخَالص مِن كُلّ شَائبَة الّذي يَحسّه فِي قَرَارَة نَفْسه كُلّ شِيعي فِي الشّرق وَالغَرب نَحو مَن يُمَثّل الدِّين حقّاً؛ أنَّ هَذَا الشّعُور مَا كَان، وَلَن يَكُون، لَو آرتبط هَذَا المَنصب الإلهي بالسّيَاسَة والسَّاسَة مِن قَرِيبٍ أو بَعِيدٍ، وَأنّىٰ للسّيَاسَة وَأَبَاطِيلهَا أنْ يَكُون لهَا مَا لدِين الله مِن عَظمَة وَجلاَل، وَهَيبَة وكَمَال؟.

وَإنْ شَككت فِي شَيء فَلَن أشك أبداً فِي أنَّ هَذَا المَنْصب يَنطَوي عَلَىٰ كَثِير مِن أَسرَار النّبوّة، والإمَامَة الحقّة، وأنّه الدّعَامَة الأُولىٰ للدِين وَالمَذَاهب، وَالدّعَايَة الكُبرىٰ لنَشرهِ وَإعزَازه[1] بَل لبقَائه وَآستمرَاره... ومِن هُنَا كَان لهُ هَذَا التّقدِيس وَالتّعظِيم فِي نَفْس المُوَافق وَالمُخَالف.

الدّعَايَة:

وَلَقَد دلتنَا التّجَارب أنَّ فِي هَذَا المَنْصَب سرّاً عَمِيقاً، لاَ نَجد لهُ أي تَفسِير إلّا فِي قَاعدَة اللّطف العَقليَة، وَالعنَايَة الإلهيّة... ذَلِكَ أنَّ كَثِيراً مَا تُهيأ الإعلاَنَات وَتُعبأ الدّعَايَات لشَخص بعَينَه، حَتَّىٰ نَظنّ مَعهَا أنَّ الرّئَاسَة الدِّينيَّة قَد أَتَت تُجَرجر إلَيه

---

(١) فِي سَنَة (١٩٦٢م) زُرتُ بلاَد العَلويّين فِي سُوريَة، وفِي سَهرَة قَضَيتهَا فِي بَيْت أحد الوجهَاء ببَانيَاس قَالَ لِي عَلوي: نَحنُ لاَ نَعْتَرف بأحدٍ مِن العُلمَاء سوَاك حَتّىٰ «فُلاَن» لاَ نَعْتَرف بهِ، وَآسمىٰ مَرجعاً كَبِيراً؛ لأنّك الوَحِيد الّذي يُدَافع، وَيُكَافح. فَسَاءني مَا سَمعتُ، وَقُلتُ لهُ: أنّك لاَ تَعرف شَيئاً مِن هَذَا البَاب، وَأنَّ مَثَلك مَثل رَأي قَائِد الجَيْش يُحسن القتَال، وَيُدَافع عَن العَاصمَة، وَلوَائهَا، وَيَحرسهَا مِن أعدَائهَا، وَذهل عَن القَاعدَة الأُولىٰ، وَرَئِيس الدّولَة الّذي لَولاَه لَم يَكُن للكيَان مِن عَين وَلاَ أثر، وَلَولا مَن ذَكَرت وَمَنصبَه السَّامي لَم يَكُن للشّيعَة وَالتّشيُّع مِن آسم وَلاَ رَسم. فَقَال: أجل وَأعتَذر. (مِنْهُ ﷺ).

أذيَالهَا، ولَكن سُرعَان مَا يَتبَخّر كُلّ شَيء كَأَنْ لَم يَكُن، وَيَتولىٰ الرِّئَاسَة رَجُل مَا كَان عَلَىٰ البَال، وَلاَ الخَاطر، أَو عَلَىٰ بَال نَاءٍ بَعِيد... وَإِنْ دَلّ هَذَا عَلَىٰ شَيء، فَإِنّمَا يَدلّ عَلَىٰ أَنَّ الدَّعَايَات والإِعلاَنَات، إِنْ أَجدّت، فَإِنّمَا تُجدي فِي السِّلع والبَضَائع، وَالمنَاصب الزَّائلَة الزَّائفَة، أَمَّا فِي الشّؤون الدِّينيَّة، والمَنَاصب الإِلٰهيَّة فَإِنّهَا لاَ تُجدي نَقيرَاً، وَسُبحَان مَن اَصْطَفىٰ لدِينَه الأَطهَار، وَلملّة رسُوله الأَبْرَار.

أخطاؤنا:

قُلتُ: أَنّي أُرجّح الفُوضىٰ عَلَىٰ تَنظِيم السَّاسَة والسِّيَاسيَّة، وأُفَضّل أَنَا وكُلّ عَاقل التَّقالِيد النَّجفيَّة بعلّاتهَا عَلَىٰ أَي تَدخُل خَارج عَن الدِّين وَأَهلَه، ولَيْسَ مَعْنَىٰ هَذَا أَنّي سَأسكُت وَأَصمت عَمّا نَحْنُ فِيهِ مِن عيُوب وأَخْطَاء، حِرصَاً عَلَىٰ الهَيئَة الدِّينيَّة، وَالحَوزَة العِلميَّة، كَمَا يَقُولُون... كَلّا، ثُمَّ كَلّا. كَيف، وَأَنَا مُؤمِن بأَنَّ السَّبِيل إِلَىٰ القَضَاء عَلَىٰ الرَّذيلَة، والأَخطَاء هُو أَنْ نعرفهَا، وَنَعتَرف بِهَا، وَنَشعر بوجُوب الخلاَص مِنْهَا، أَمَّا السُّكُوت وَالصَّمت، أَمَّا التَّجاهل وَغَضّ الطَّرف عَن العيُوب فَمعنَاه الإِمضَاء لهَا، والإِبقَاء عَلَيهَا، وَمَعنَاه أَيْضَاً تَشجِيع الأُغَيْلمَة وَمَن إِلَيهِم عَلَىٰ تَعدي الحُدُود، وَالفُضُول وَالتَّطفُل[1].

ثُمَّ مَا مَعْنَىٰ الأَمْر بالمَعرُوف، والنَّهي عَن المُنْكَر؟ هَل مَعنَاه أَنَّنا مَسؤولُون عَن غَيرنَا، وَلَسنَا مَسؤولِين عَن أَنفسنَا؟ ثُمَّ لمَاذَا نَحرص كُلّ الحِرص عَلَىٰ أَنْ يَستُر بَعضنَا عَلَىٰ بَعْض، وَنَخَاف هَذَا الخَوف مِن النَّقْد وَالصَّرَاحة؟ وهَل مِن سرّ سِوىٰ

(١) إِذَن كَان مِن شُرُوط الأَمْر بالمَعرُوف إِحتمَال النَّفع فَإِنّي لأَرجُو أَنْ يَنْتَفع وَاحد مِن مِئَة بقرَاءَة مَا كَتَبتُ فِي فِقرَة الفُوضىٰ مِن هَذَا الفَصْل، إِنْ كَان مِن عُشّاق الأَلقَاب. (مِنْهُ رحمه الله).

الجُبن، وَالهَلع مِن الفَضَائح، وَالقَبَائِح ؟.

لَو كُنّا عَلَىٰ قَلِيل مِن الوَعي، وَالشّجَاعة أَو عَلَىٰ شَيء مِن حُبّ الخَيْر لأَنفسنَا لرَحّبنَا بالنَّقد والنَّاقِد، بَل وَبَحثنَا عَنْهُ فِي كُلّ مكَان، فَإِنْ لَم نَجده. أَوجَدنَاه، وَخَلقنَاه عَلَىٰ شَريطَة أَنْ يَكُون مُخلصَاً فِي أَهدَافه، خَبِيراً بالأَسوَاء، والأَدوَاء، يَجْب أَنْ نُطَالب هَذَا النَّاقِد وَندعُوه للنَّقد، تَمَاماً كَمَا يَجْب أَنْ نَبحَث عَن الطَّبِيب النَاصح المَاهر، وَندعُوه للعلاَج.

وَبالتَالي، فَأَنّي سَأَنتقد كُلّ عَيبٍ، وَنَقص أَرَاه فِي قَومي الَّذِين أُشهِد الله، وَأَنبيَاءه، وَأَوليَاءه عَلَىٰ المَرَارَة الَّتي أُعَانِيها مِن أَجلِهِم... أَنّي أُدِين لهُم بالإِخلاَص، وَأَتمنىٰ لهُم كُلّ الخَيْر، وأَنْ يَكُونُوا فَوق النَّاس أَجمَعِين، وَلذَلكَ أَنْتَقد كُلّ عَيبٍ فِيهِم وَنَقص، وَأُعلنَه عَلَىٰ المَلأ، وَلاَ أَخشىٰ لَومَة لاَئِم مِن كَبِيرٍ أَو حَقِير، مَا دُمتُ مُخلصَاً لله وَلهُم، وَاعياً مَا أَقوْل، آملاً أَنْ يَتَحسسُوا وَيُشعرُوا بالمَسؤوليَة تُجَاه خَالقهم، وَنَفسهم، وَأُمّتهم.

وَأَهلاً وَمَرحبَاً بمَن يَهدي إِليّ عيُوبي بقَلبٍ طَاهر، وَعَقلٍ سَاهر.

المَهْدِي المُنْتَظِر

حَدّثتُك فِي المُقَدَّمة عَن رسَالتَين تَتصلاَن بهَذَا الفَصْل، وأَنَّ صَاحب إِحدَاهُما اَقتَنع بفِكرَة المَهْدِي المُنْتَظِر، وَاَهتَدىٰ بَعد قرَاءَته... أَمَّا صَاحب الثَّانيَة فَقَد رَآه مُمكناً بَعد أَنْ كَان يَرَاه مُمتَنعاً... إِذَن، لهَذَا الفَصْل أَثَره الصَّالح فِي هدَايَة الحَائِر التَائه عَن سَبِيل الحَقّ، وَهَذَا مَا دعَاني وَشَجعني أَنْ أَضَعه بَيْنَ يَدَيك لتُعطفَه عَلَىٰ الفُصُول السَّابقَة، فَإِنّه الجُزء المُتَمم لهَا، وَاثقاً كُلّ الثّقه أَنّك سَتَنضَم إِلَىٰ صَاحِبَي الرّسَالتَين، إِنْ كُنتَ مِن التَّائهِين، عَن الحَقّ، وَالطَّالبِين لهُ.

الدِّين وَالعقْل:

أَشَاد الإِسْلاَم بالعَقْل وأَحْكَامَه، وَدَعا إِلَىٰ تَحرّره مِن التَّقالِيد وَالأَوْهَام، وَنَعىٰ عَلَىٰ العَرب وَغَير العَرب الَّذِين لاَ يَفقهُون وَلاَ يَعقلُون، ويُؤمنُون بالسّخَافَات وَالخرَافَات، وَقَد أَنزَل الله فِي ذَلك عَشرَات الآيَات، وَتوَاترَت بِهِ عَن الرَّسُول الأَعْظَم الأَحَادِيث وَالرّوَايَات، وَأَفرَد لهُ عُلمَاء المُسْلمِين أَبْوَاباً خَاصّة فِي كُتب الحَدِيث، وَالكَلاَم، والأُصُول.

سُؤال:

وتَسْأَل ـ أَيُّهَا القَارِيء ـ هَل مَعْنَىٰ إِشَادَة الإِسْلاَم بالعَقْل أَنَّه يُدرك صحَة كُلّ

أَصل مِن أُصُول الإِسْلاَم، وكُلّ حُكم مِـن أَحكَـام الشَّـريعَة، بـحَيث إِذَا حَـقَّقنَا وَمَحصنَا أَيّة قَضيَة دِينيَة فِي ضَوء العَقْل لصِدقهَا وَآمَن بِهَا إِيمَانه بأَنَّ الاِثْنَين أَكْثَر الوَاحد ؟.

الجَوَاب :

كَلَّا، وَلَو أَرَاد الإِسْلاَم هَذَا مِن تَأيِيدَه للعَقْل لقَضىٰ عَلَىٰ نَفْسَه بنَفسَه، ولكَان وجُودَه كَعَدمه، وَلَوجَب أَنْ يُؤخذ الدِّين مِن العُلمَاء، وَالفَلاَسفَة لاَ مِـن الأَنْـبيَاء وَالوَحي، أَنَّ للعَقل دَائرَة، وَللدِين أُخرىٰ، وكُلّ مِنْهُمَا يَترك للآخر الحُكـم فِـي دَائِرَته وَٱختصَاصه، عَلَىٰ أَنْ يَقرّ كُلّ مِـنْهُمَا الآخـر، وَلاَ يُـعَارضَه فِـي شَـيء، والإِنْسَان بحَاجَة إِلَىٰ الاِثْنَين، حَيث لاَ تَتم لهُ السّعَادَه وَالنَّجَاح إِلَّا بِهمَا مَعَاً.

إِنَّ الغَرض الأَوَّل الَّذي يَهدف إِلَيهِ الإِسْلاَم مِن الإِشَادَة بِالعَقْل هُـو أَنْ يُـؤمِنْ الإِنْسَان بمَا يَسْتَقل بِهِ مِنْ أَحكَام، وَلاَ يُصَدق شَيئَاً يُكَذّبه العَقْل وَيَأبَاه. إِنَّ العَقْل لاَ يُدرك كُلّ شَيء، وَإِنَّما يُدرِك شَيئَاً، وَلاَ يُدرك شَيئَاً، والَّذي يَعْلم كُلّ شَيء هُو الله وَحدَه. فَوجُود الله، وَعِلْمه، وَحِكْمته، وَإِعجَاز ٱلْـقُرْءَان الدَّال عَـلَىٰ صِـدق مُحمَّد فِي دَعوَته، وَمَا إِلَىٰ ذَاك يُدركهُ العَقْل مُستقلاً، وَيُقدم عَلَيه البُرهَان القَاطع. أَمَّا وجُود المَلاَئِكَة وَالجنّ، وَالسَّير غداً عَلَىٰ صرَاط أَدَق مِنْ الشَّعرَة، وَأَحدّ مِنْ السَّيف، وَشهَادة الأَيدِي، وَالأَرجُل عَلَىٰ أَصحَابهَا، وَتطَاير الكُتُب، وَسُؤال مُنْكَر وَنَكِير، وَنَحو ذَلِكَ مِمَّا لاَ يبلُغهُ الإِحصَاء، وَثَبت بضَرُورَة الدِّين، أَمَّـا هَـذِه فَـلاَ تُفَسّر بالعِلم، ولَيْس فِيهِ لِلعَقْل حُكم بِالنَّفي، أَو الإِثْبَات. إِنَّ الدِّين غَير مَحصُور وَلاَ مَقْصُور فِيمَا يُدركهُ العَقْل، بَل يَتعدَاه إِلَىٰ أُمُور غَيبِيَّة يُؤمِن بوجُودهَا كُلّ مَنْ آمَن بالله، والرَّسُول، واليَوْم الآخر. وَلَكن الدِّين فِي جَمِيع أَحْكَامه وتَـعَالِيمَه لاَ

يُعْلم النَّاس مَا يَرَاه العَقْل محَالاً، أَو مُضرّاً،

وَبالتَالي، فَلَيْس كُلّ مَا هُو حَقّ يَجْب أَنْ يَثْبت بطَرِيق العَقْل، وَلاَ كُلّ مَا لَم يَثْبت بِالعَقْل يَكُون بَاطلاً ـ مَثَلاً ـ إِنَّ مَسْأَلة المَهْدي المُنْتَظِر لاَ يُمكن إِثْبَاتهَا بِالأَدِلّة العَقْلِية، لاَ لأَنَّهَا غَير صَحِيحَة، وَبَاطِلة مِنْ الأَسَاس، بَل لأَنَّهَا لَيْسَت مِن شُؤون العَقْل وَٱختصَاصه، إِنَّ عَجز العَقْل عَنْ إِدرَاك قَضيَة مِنْ القَضَايَا شَيء، وَكَونها حَقّاً أَو بَاطلاً شَيء آخر[١].

العَادَة والعَقْل:

فَرق بَيْنَ مَا هُو مُمتَنع الوقُوع فِي نَفْسَه، بحَيث لاَ يُمْكن أَنْ يَقع بحَال، حَتَّىٰ عَلَىٰ أَيدي الأَنْبيَاء والأَوليَاء، كإِجتمَاع النَّقِيضَين، وَجَعل الوَاحد أَكْثَر مِن ٱثنَين، وبَيْنَ مَا هُو مُمّكن الوقُوع فِي نَفْسَه. ولَكن العَادَة لَم تَجر بوقُوعَه كالأَمثلَة الآتيَة، وَمَا كَان مِن النَّوع الأَوّل يُسمّىٰ بالمحَال العَقْلِي، وَمَا كَان مِن النَّوع الثَّانِي يُسمّىٰ بالمحَال العَادي، وكَثِير مِن النَّاس يَخلطُون بَيْنَ النَّوعَين، وَيَتعذّر عَلَيهم التَّمييز بَيْنَهُما، فَيظنُون أَنَّ كُلّ مَا هُو محَال عَادَة هُو محَال عَقلاً.

وإِلَيكَ الأَمثلَة لقَد ٱعتَدنا أَنَّ لاَ نَرىٰ عَودَة الأَموَات إِلَىٰ هَذِهِ الدُّنيَا، وأَنْ يُولد الصَّبي، وَلاَ يُكَلّم النَّاس سَاعَة ولاَدَته، وإِذَا جَاع أَحدنَا لاَ تَنزل عَلَيهِ مَائِدَة مِن السَّمَاء، وإِذَا أَصَابَه العَمىٰ، وَالبَرص لاَ يَشفىٰ بدُون علاَج. وإِذَا سَبّح الله وَحَمّده لاَ تُرَدّد الجِبَال والطَّير مَعَهُ التَّسبِيح وَالتَّحمِيد، وإِذَا أَخذ الحَدِيد بيَده لاَ يُلِين لهُ

---

(١) أُنظر. فَرَائِدُ فَوَائِدِ الفِكَرْ فِي الإِمَام المَهْدِيّ المُنْتَظِر ﷺ. الشَّيْخ مَرْعِيّ بن يُوسُف المَقْدِسي الحَنْبَلِيّ مِن عُلمَاء القَرْن الحَادي عَشَر الهِجْري، بِتَحقِّيقنَا.

كالشَّمع، وإذَا سَمع مَنطق الطَّير لاَ يَفهم مِنْهُ شَيْئاً كَمَا يَخفىٰ عَلَيهِ حَدِيث ٱلنَّمْل، وَيَعجز عَن تَسخِير الجِنّ فِي عَمَل المحَارِيب وَالتّمَاثِيل. وَلَم يُشَاهد إنسَانٌ مَات مُنذ قرُون، وَلاَ إنقلاَب العَصَا إلَىٰ ثُعبَان، وَلاَ وقُوف مِيَاه البَحر كـالجبَال، وَلاَ جلُوس الإنْسَان فِي النَّار أَو أَنْ يَنَاله أَي أَذىٰ. فكُلّ هَذِهِ وَمَا إِلَيهَا لَم تَجر العَادَة بوقُوعهَا، وَلَم يَألف النَّاس مُشَاهدتهَا، لِذَا ظَنّ مَن ظَنّ أَنَّها مُستَحيلَة فِي حُكم العَقْل، مَع أَنَّها مُمكنَة عَقلاً، بَعِيدة عَادَة، بَل وَقَعت بالفِعل.

فَلَقَد أَخبَر ٱلْقُرْءَان بصَرَاحَة لاَ تَقبَل التَّأوِيل أَنَّ السَّيِّد المَسِيح كَلّم النَّاس وهُو فِي المَهد[1]، وَأَحيَا المَوتىٰ، وَأَبرَأ الأَكمَه والأَبرص[2]، وَأَنزَل مَائِدَة مِن السَّمَاء وأَنَّه مَا زَال حيَّاً وَسَيبقىٰ إِلَىٰ يَوْم يُبعثُون[3]، وأَنَّ النَّار كَانَت بَرداً وَسلاَمَاً عَلَىٰ إبْرَاهِيم[4]، وأَنَّ عصَا مُوسىٰ صَارَت ثُعبَاناً[5]، وأَنَّ الحَدِيد لاَن لدَاود[6]، وَسبَّح

(١) أُنظر، قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَـٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِالصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. مَرْيَم: ٢٩ ـ ٣١.

(٢) أُنظر، قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرَمۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ آلِ عِمْرَانَ: ٤٩.

(٣) أُنظر، قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(مريم: ٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾. مَرْيَم: ٣٤.

(٤) أُنظر، قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾. ٱلْأَنبِيَاء: ٦٩.

(٥) أُنظر، قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾. ٱلْأَعْرَاف: ١٠٧.

(٦) أُنظر، قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُو وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾. سَبَإ: ١٠.

مَعَهُ الطَّير والجِبَال[١]، وأَنَّ سُليمَان آستَخدم الجَان، وَعَرف لُغَة الطُّيُور وآلنَّمْل[٢]. أَنَّ هَذِهِ الخوَارِق محَال بحَسَب العَادَة جَائزَة فِي نَظر العَقْل، وَلَو كَانَت محَالاً فِي نَفْسَهَا لإِمتَنع وقُوعهَا للأَنبيَاء. فَكَذلكَ بقَاء المَهْدِي حيّاً أَلف سَنَة أَو أُلُوف السّنِين وَآختفَاؤه عَن الأَنظار ـ كَمَا يَقُول الإِمَامِيَّة ـ بَعِيد عَادَة، جَائز عَقلاً، وَاقع دِيناً بشهَادَة الأَحَادِيث الثَّابتَة عَن رَسُول الله ﷺ، فَمَن أَنْكَر إِمكَان وجُود المَهْدِي مُحتجّاً بأَنّه محَال فِي نَظر العَقْل يَلزمهُ أَنْ يُنكر هَذِهِ الخوَارِق الَّتي ذَكرهَا آلْقُرْءَان، وَآمَن بِهَا كُلّ مُسلِم، وَمَن آعترَف بِهَا يُلزمه الإِعترَاف بإِمكَان وجُود المَهْدِي، وَالتَّفكِيك تَحكّم وعنَاد. إِذْ لاَ فَرق فِي نَظر العَقْل بَيْنَ بقَاء المَهْدِي حيّاً أُلُوف السّنِين، وَهَذِهِ الخوَارق مِن حَيْث الإِمكَان وجوَاز الوقُوع، مَا دَام الجَمِيع مِن سِنخٍ وَاحد[٣].

---

(١) أُنظر، قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ وَكُلاًّ ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾. ٱلأَنْبِيَاء: ٧٩.

(٢) أُنظر، قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾. ٱلنَّمْل: ١٧ ـ ٢٤.

(٣) قَالَ الشَّيخ أَبُو عَبدالله مُحَمَّد بن يُوسُف بن مُحَمَّد الكَنجي فِي كِتَابه البَيَان فِي أَخبَار صَاحِب الزَّمَان: مِن الأَدلّة عَلىٰ كَون المَهْدِي حيّاً بَاقياً بَعد غَيبَته وإِلَىٰ الآن وأَنَّهُ لاَ إِمتنَاع فِي بقَائه بقَاء عِيسىٰ آبن مَرْيَم،
↔

↔ وَالخُضر، وَإليَاس مِن أَوْليَاء الله تَعَالىٰ، وَبقَاء الأَعور الدَّجال، وَإبليس اللَّعين مِن أَعـدَاء الله تـعَالىٰ، وَهؤُلَآء قَد ثبت بِقاؤهُم بِالكتَاب وَالسُّنَّة».

أُنظر، كفَاية الطَّالب: ٤٧٣، اليوَاقيت وَالجوَاهر فِي بيَان عقَائد الأَكابر: ١٤٥، طَبعة مَصْر.

أَمّا عِيسىٰ عليه السلام فَالدَّليل عَلىٰ بقَائه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، ٱلنِّسَاء: ١٥٩. وَلَم يُؤمن بهِ مُذ نُزُول هَذِه الآيَة وإلَىٰ يَومنا هَذَا أَحد، فَلاَ بُدّ أَنْ يَكُون ذَلكَ فِي آخر الزَّمَان.

وَأَمّا مِن السُّنَّة: فمَا رَوَاه مُسلم فِي صَحيحهِ عَن زُهير بن حَرب بإسنَاده عَن النّوَاس بن سمعَان فِي حَديثٍ طَوِيل فِي قِصَّة الدجَّال قَالَ: فَينزل عِيسىٰ بن مَريَم عِند المنَارة البَيضَاء شَرقي دِمَشـق بَـيْن مَهرُودَتين ـ المَهرُودَتين: هُما ثوبَان مَصبُوغان بورس ثُمّ بزُعفرَان ـ، وَاضعاً كفَّيه عَلىٰ أَجْنحَة مَلَكين.

أُنظر، كفَاية الطَّالب: ٥٢١، كنز العُمَّال: ٨ / ١٨٧، فَيض القَدِير: ٦ / ١٧، شَرح صَـحِيح مُسْـلم للنَّووي: ١٨ / ٦٧.

وَأَيضاً مَا تقدّم مِن قَوْله صلى الله عليه وآله: كَيْفَ أَنتُم إذَا نَزل ٱبْن مَريَم فِيكُم وَإمَامكُم مِنْكُم.

أُنظر، مُسْند أَحْمَد: ٢ / ٣٣٦، و: ٣ / ٣٦٧، صَحِيح البُخاري: ٤ / ١٤٣، صَحِيح مُسلِم: ١ / ١٥٤، شَرح صَحِيح التِّرمذي لِابن عَربي: ٩ / ٧٨، ينَابيع المَودّة: ٥١٨، تَذكرَة الخوَاصّ: ٣٦٤.

وَأمّا الخُضر وَإليَـاس فَـقد قَـالَ ٱبْـن جَـرِير الطَّـبري: الخُـضر وَإلِيَـاس بَـاقيَان يَـسيرَان فِـي الأَرض. أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ١٥٧.

وَأيضاً مَا روَاه فِي صَحيحهِ عَن أَبي سَعِيد الخُدْرِي قَالَ: حدّثنا رَسُول الله صلى الله عليه وآله حَدِيثاً طَوِيلاً عَن الدجّال ـ هَذَا الإسم مُشتقّ مِن الدَّجَل ـ بِفَتح الدَّال وَالجِيم ـ مَعنَاه التَّمويه، وَالتَّغطِية، وَالخُـدطاع، وَالكَذب، وَالدَّجَّال صِفَة لرَجل يَخرج قَبل ظهُور الإمَام، وَيَخرج فِي زَمن قَحط وَجَدب، وَصِفته أَعور وَيَعرف شَيئاً مِن الشَّعوذة وَالسِّحر وَيَقوم بِأعمَال سحريَة يُخيّل للنَّاس أَنّها حقَائِق. أُنظر، عَقد الدُّرَر فِي أَخبَار المُنْتَظَر: ٣٢٤، شَرح صَـحِيح مُسْلِم: ٨ / ١٩٥ و ١٨ / ٤٠، و: ٤ / ٢٢٥٠، وأَحْـمَد فِـي مُسنده: ٣ / ٢٢٤، و: ١ / ٣٧٤، و: ٥ / ١٢٤، الفِتن لِابن كَثِير: ١٧٢، وَالمَسيح الدَّجَّال: ٣٨ ـ ٢٣٨، البُخاري: ٤ / ٥٣٧، و: ٩ / ٧٥، مَجْمع الزَّوائد: ٧ / ٣٣٧، مُستَدرك الحَاكم: ٤ / ٥٣٥ ـ. فكَان فِيما حَدثنا أَنّه قَالَ: يَأتي وَهُو مُحرّم عَلَيه أَنْ يَدخل نقَاب المَدِينَة فَيَنتهي إلَىٰ بَعض السِّـبَاخ الَّـتي تَـلي المَدِينَة فَيخرج إلَيه يُومئذٍ رَجُل هُو خَير النَّاس ـ أَو مِن خَير النَّاس ـ فَيقُول لهُ: أَشهد أَنّكَ الدَّجّال الَّذي ↔

أَحَادِيث المَهْدِي:

أَلَّف عُلمَاء الإِمَامِيَّة كُتباً خَاصّة فِي المَهْدِي، مِنْهُم مُحمَّد بن إِبْرَاهِيم النُّعمَاني، وَالصَّدُوق، وَالشَّيْخ الطُّوسي، وَالمَجلسي الَّذي خَصص لهُ المُجلّد الثَّالث عشَـر

↔ حدّثنا رَسُول الله ﷺ حَدِيثه فيقُول الدَّجّال أرَأيتُم إنْ قَتلتُ هَذَا ثُمّ أَحييتهُ أتشكّون فِي الأَمـر؟ فيقُولون: لاَ. قَالَ: فَيَقتله ثُمّ يُحييهِ فيقُول حِينَ يُحييه: وَالله مَا كُنتُ فيك قَطّ أشدّ بَصِيرة مِـنّي الآنْ. قَالَ: فيُريد الدَّجّال أنْ يَقتُلهُ ثَانياً فَلَن يُسلّط عَليه.

قَالَ إبرَاهِيم بن سَعد: يُقَال: إنّ هَذَا الرَّجُل هُو الخُضر، هَذَا لفَظ مُسلم فِي صَحِيحه. أُنظر، شَـرح صَحِيح مُسلم: ١٨ / ٧١، البَيَان فِي أَخبَار صَاحب الزَّمَان: ١٤٨، كفَاية الطَّالب: ٥٢١.

وَأمّا الدَّلِيل عَلىٰ بقَاء إبلِيس اللَّعين فَآي الكِتَاب العَزِيز وَهُو قَوْله تعَالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾. سُورَة صٓ: ٧٩ ـ ٨١.

وَأمّا بقَاء المَهْدِي فَقد جَاء فِي الكِتَاب وَالسُّنّة.

أمّا الكِتَاب فَقد قَالَ سَعِيد بن جُبَير فِي تَفسِير قَوْله تَعَالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ٱلتَّوْبَة: ٣٣، ٱلصَّف: ٩، ٱلفَتْح: ٢٨.

أُنظر، الدُّرّ المَنثُور: ٣ / ٢٣١.قَالَ: هُو المَهْدِي مِن وِلد فَاطِمَة رَضي الله عَنْها.

وَأمّا مَن قَالَ: فَإنّه عِيسىٰ فَلا تنَافِي بيْن القَولين إذْ هُو مُسَاعد للمَهدي عَلىٰ مَا تَقدّم، وَقـد قَـالَ مُقَاتل بن سُليمَان وَمَن تَابعهُ مِن المُفسّرين فِي تفسِير قَوْله تعَالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ٱلزُّخْرُف: ٦١.

قَالَ: هُو المَهْدِي يَكُون فِي آخر الزَّمَان، وَبَعد خرُوجه يَكُون قِيَام السَّاعَة وَأَمارَاتها. أُنظر، البَيَان فِي أَخبَار صَاحب الزَّمَان للكَنجي الشَّافعي: ١٥٥، كفَاية الطَّالب: ٥٢٨. أُنظر، تفسِير الآيَات فِي كُتب التَّفسِير، كالدُّرّ المَنثُور: ٣ / ٢٣١، المِيزَان فِي تَفسِير ٱلْقُرْءَان: ٥ / ٣٩٤ ـ ٤٠٠.

وَلاَ نُريد أنْ نَقُول للخصم إنّه يَصحّ أنْ يَكُون هَذَا الإِكرَام وَهَذه المُعجزَة لإِبلِيس اللّعِين الَّذي هُو مِن عَهد آدم ﷺ بَل قَبل ذَلكَ وَإلى الآن، وَأنّه سيَبْقَى إلى الوَقت المَعلُوم كمَا صَرّح بِهِ ٱلْقُرْءَان الكَرِيم.

وَلاَ تَصح لأَوليَاء الله تَعَالَىٰ؛ لأَنّ السّبب فِي اشترَاك الوَلي، وَالعَدوّ فِي طُول العُمر وَاحد. لأَنّ حُكم الأَمثَال فِيمَا يَجُوز وَفِيمَا لاَ يَجوز وَاحد. أمّا إذَا أَنكرت أَيُّها ٱلْمُستَشكِل بقَاء إبْلِيس فَهَذا خُرُوج عن ظَاهر الشّريعَة الإِسْلاَمِيّة، وَدَفع إجْمَاع الأُمّة، وَمَا أَجمَع عَلَيه ٱلْمُسْلِمُون فَلا سَبِيل إلىٰ دَفعه بحَالٍ مِن الأَحْوال.

مِن بحَاره، وَذكر هَؤُلاَء العُلمَاء وَغيرهم كُلّ مَا يَتّصل بالمَهدي مِن الأَحَادِيث النَّبويَّة بخَاصّة مَا جَاء فِي كُتب السُّنَّة، وَبصُورَة أَخص الصِّحَاح مِنْهَا. وَقَد أستقصَاهَا السَّيِّد مُحسن الأَمِين فِي القِسم الثَّالث مِن الجزْء الرَّابع مِن «أَعيَان الشِّيعَة» طَبْعَة سَنَة (١٩٥٤م)، وَرَغم ثِقَتي بهَؤُلاَء الأَعْلاَم، وَيَقِيني بصِدقهِم عَمّا يَنقلُونه مِن غيرهم فَإنّي تَتبعتُ بنَفسي مَا تَيسر لِي مرَاجَعَته مِن كتب السُّنَّة خِشيَة الإشتبَاه بالنَّقل، أَو فِي فَهم الحَدِيث وَقَبُوله للتَّأوِيل، ولأَنَّ القُدَامىٰ، وأَكْثَر الجُدَد مِن عُلمَائنَا يَنقلُون عَن الكِتَاب الَّذي يَبلغ المُجلّدات دُون أَنَّ يُشِيرُوا إِلَىٰ رَقم الصَّفحَة، وَلاَ تَأرِيخ الطَّبع، حَتَّىٰ وَلاَ أسم المُجلّد، ورُبَّمَا آكتَفوا بالقَول: «جَاء فِي كُتب السُّنَّة أَو قَالَ السُّنَّة».

وَأَكتَفي هُنَا بنَقل مَا جَاء فِي ثَلاَثَة كُتب مِن الصِّحَاح السِّتة[1]؛ لأَنَّ لَفظ أَحَاديثهَا هُو بالذَّات لَفظ الأَحَادِيث المَروِيَة فِي كُتب الإمَامِيَّة.

قَالَ أبن مَاجَه فِي سُنَنِهِ: قَالَ رَسُول الله: «إِنَّا أَهْل بَيْتٍ آختَار الله لنَا الآخـرَة عَلَىٰ الدُّنيَا، وإِنَّ أَهْل أَهْل بَيْتي سَيُلقَون بَعْدي بَلاَءً، وتشَرِيداً، وَتَطرِيداً، حَتَّىٰ يَأَتي قَوْم مِنْ قِبل المَشْرق مَعْهُم رَايَات سُود، فَيَسأُلون الخَير فَلاَ يعطُونه، فَيُقَاتلُون فَيَنْتَصرُون، فَيُعطَون مَا سَأَلُوا، فَلاَ يَقبلُونه، حَتَّىٰ يَدفعُونهَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْل بيْتي، فَيَملؤهَا قِسطاً، كمَا مَلؤهَا جوراً، فَمَن أَدرك ذَلِكَ فَليأْتِهم وَلو حَبوَاً عَلَىٰ الثَّلج»[2].

---

(١) كُتُب الحَدِيث الصَّحِيحة عِند السُّنَّة: البُخَاري، وَمُسلِم، وأَبُو دَاود، وَالتِرمذي، وَالنَّسَائي، وآبن مَاجَه. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، سُنن أبن مَاجه: ٢ / الحَدِيث رَقم ٤٠٨٢، طَبْعَة سَنَة ١٩٥٣م. (مِنْهُ ﷺ). و: ٢/١٣٦٦ ح ↔

وَذكر أَيضاً : قَالَ رَسُول الله : « يَكُون فِي أُمّتي المَهْدي ، إِنْ قَصُر فَسَبع ، وإلاّ فَتِسع ، تَنْعم فِيهِ أُمّتي نِعمَة لَم يَنْعمُوا مِثْلَها قَطّ ، تؤتىٰ أُكلهَا ، وَلاَ تدّخر مِنْهُم شَيئاً ، وَالمَال يَوْمَئذٍ كَدُوس . فَيَقوم الرَّجُل فَيَقُول :

يَا مَهْدي أَعْطني ؟ فَيَقُول : خُذْ » [1] .

وَذكر أَيضاً : قَالَ رَسُول الله : « المَهْدي منّا أَهْل البَيْت » [2] .

وَذكر أَيضاً : قَالَ رَسُول الله : « المَهْدي مِنْ وِلد فَاطِمَة » [3] .

وَذكر أَيضاً : قَالَ رَسُول الله : « نَحنُ بَني عَبد المُطّلب سَادَة أَهْل الجَنَّة : أَنَا ، وَحَمْزَة ، وعَليّ ، وجَعْفَر ، والحَسَن ، والحُسَيْن ، وَالمَهْدي » [4] .

٤٠٨٢ ، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٤ / ٥٣٤ ح ٨٥٠٠ ، مِصبَاح الزُّجَاجَة : ٤ / ٢٠٣ ، مُسْنَد ابن أَبي شَيبَة : ٦ / ٥٣٧ ح ٣٧٧٢٧ ، مُسْنَد البَزار : ٤ / ٢٥٥ ح ١٥٥٦ ، المُعْجَم الكَبِير : ١٠ / ٨٥ ح ١٠٠٣١ ، السُّنَّة لِابن عَاصم : ٢ / ٦٣٣ ح ١٤٩٩ ، السُّنَن الوَاردَة فِي الفِتَن : ٥ / ١٠٣٠ ، المَنَار المُنِيف : ١ / ١٤٩ ح ٣٤١ ، الفِتَن لنَعِيم بن حمّاد : ١ / ١٣١ ح ٣١٩ ، سِير أَعلاَم النُّبلاَء : ٦ / ١٣١ .

(١) اُنظر ، سُنن ابن مَاجه : ٢ / الحَدِيث رَقم ٤٠٨٣ ، طَبْعَة سَنَة ١٩٥٣م . (مِنْهُ رحمه الله) . و : ٢ / ١٣٦٦ ح ٤٠٨٣ ، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٤ / ٦٠١ ح ٨٦٧٥ ، المُعْجَم الأَوسَط : ٥ / ٣١١ ح ٥٤٠٦ ، الفِتَن لنَعِيم بن حمّاد : ١ / ٣٦٠ ح ١٠٤٨ ، مَجمع الزَّوَائد : ٧ / ٣١٧ ، العِلَل المُتنَاهية : ٢ / ٨٥٩ ح ١٤٤١ .

(٢) اُنظر ، سُنن ابن مَاجه : ٢ / الحَدِيث رَقم ٤٠٨٥ ، طَبْعَة سَنَة ١٩٥٣م . (مِنْهُ رحمه الله) . و : ٢ / ١٣٦٧ ح ٤٠٨٥ ، مسند أَحْمَد : ١ / ٨٤ ح ٦٤٥ ، مُسْنَد ابن أَبي شَيبَة : ٤ / ٥١٣ ح ٣٧٦٤٤ ، مُسْنَد البَزار : ٢ / ٢٤٣ ح ٦٤٤ ، الفِتَن لنَعِيم بن حمّاد : ١ / ٣٧٠ ح ١٠٨٧ ، تَهذِيب التَّهذِيب : ١١ / ١٥٢٠ ح ٢٩٤ ، الفِرْدَوْس بمَأثور الخِطَاب : ٤ / ٢٢٢ ح ٦٦٦٩ ، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٤ / ٦٠٠ ح ٨٦٧ .

(٣) اُنظر ، سُنن ابن مَاجه : ٢ / الحَدِيث رَقم ٤٠٨٦ ، طَبْعَة سَنَة ١٩٥٣م . (مِنْهُ رحمه الله) . و : ٢ / ١٣٦٨ ح ٤٠٨٦ ، الفِتَن لنَعِيم بن حمّاد : ١ / ٣٧٤ ح ١١١٢ ، تَهذِيب الكَمَال : ٩ / ٤٣٧ ، الفِرْدَوْس بمَأثور الخِطَاب : ٤ / ٢٢٣ ح ٦٦٧١ ، العِلَل المُتنَاهية : ٢ / ٨٦٠ ح ١٤٤٦ .

(٤) اُنظر ، سُنن ابن مَاجه : ٢ / الحَدِيث رَقم ٤٠٨٧ ، طَبْعَة سَنَة ١٩٥٣م . (مِنْهُ رحمه الله) . و : ٢ / ١٣٦٨ ح ٤٠٨٧ ، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٣ / ٢٣٣ ح ٤٩٤٠ ، مِصبَاح الزّجَاجَة : ٤ / ٢٠٥ .

وقَالَ أَبُو دَاود السِّجستَاني فِي سُننهِ: « قَالَ رَسُول الله: لَو لَم يَبق مِنْ الدُّنْيَا إلاَّ يَوْم لطَول الله ذَلِكَ اليَوْم، حَتَّىٰ يُبْعث رَجُلاً مِنْ أَهْل بَيْتي يُوَاطىء ٱسْمه ٱسمي، وَٱسْم أبيهِ ٱسْم أَبِي يَملأ الأَرْض قِسطاً وَعَدلاً، كمَا مُلئت ظُلماً، وَجَورَاً »[1].

وفِي حَدِيث آخر: « المَهْدي مِنّي. يَملأ الأَرْض قِسطاً وَعَدلاً، كمَا مُلئَت ظُلماً وَجَوراً، وَيَملك سَبْع سنِين »[2].

وجَاء فِي صَحِيح التّرمذي: « قَالَ رَسُول الله: لاَ تَذْهب الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَملك العَرب رَجل مِنْ أَهْل بَيْتي يُوَاطىء ٱسْمهُ ٱسمي »[3].

وَجَاء فِي الصَّحِيح أَيضاً: « قَالَ رَسُول الله: يَلي رَجل مِنْ أَهْل بَيْتي يُواطىء ٱسْمه ٱسمي، وَلَو لَم يَبق مِنْ الدُّنْيَا إلاَّ يَوْم وَاحد لطوّل الله ذَلِكَ اليَوْم، حَتَّىٰ يَلي »[4].

---

(١) أُنظر، سُنن أَبي دَاود: ٢/ ٤٢٢، طَبْعَة سَنَة ١٩٥٢م. (مِنْهُ ﷺ). و: ٢/ ٢٠٧، مشكَاة المصَابِيح: ١٢٢، حليَة الأَولِيَاء: ٥/ ٧٥، كَنز العُمَّال: ٧/ ١٨٨، مُسنَد أَحمَد: ١/ ٣٧٦، صَحِيح التّرمذي: ٢/ ٣٦، كفَاية الطَّالب: ٤٨١. وَقَد عَلقنَا عَليه فِي كتَاب فَرائِدُ فَوائِدِ الفِكَرْ فِي الإِمَام المَهْدِيّ المُنتَظَر، الشَّيخ مَرْعِيّ بن يُوسُف المَقْدِسي الْحَنْبَلِيّ، مِن عُلمَاء القَرن الحَادي عَشر الهِجْرِي. بِتَحقِيقنا.

(٢) أُنظر، سُنن أَبِي دَاود: ٢/ ٢٠٨ و: ٣/ ٣١٠ ح ٤٢٨٥ و: ٤/ ١٠٧ ح ٤٣٨٥، صَحِيح النَّسائي: ٦/ ١٦١، عَون المَعبُود: ١١/ ٣٧٥، المنَار المُنِيف: ١/ ١٤٤ ح ٣٣٠ و: ١٤٦ ح ٣٣٥، مُختَصر سُنن أَبِي دَاود: ٦/ ١٦٠ ح ٤١١٦، الجَامع الصَّغِير: ٢/ ٦٧٢ ح ٩٢٤٤، كَنز العُمَّال: ٧/ ١٨٩، و: ١٤/ ٢٦٤ ح ٣٨٦٦٥، مُستَدرك الحَاكم: ٤/ ٤٦٥ و ٥٥٤ و ٥٥٧.

(٣) أُنظر، صَحِيح التّرمذي: ٩/ ٧٤، طَبْعَة سَنَة ١٩٣٤م. (مِنْهُ ﷺ). و: ٢/ ٣٦.

(٤) أُنظر، صَحِيح التّرمذي: ٤/ ٥٠٥ ح ٢٢٣٠، مُسْنَد أَحمَد: ١/ ٣٧٦ح ٣٥٧٢ و ٣٥٧٣ و ٤٠٩٨ و ٤٢٧٩، سُنن أَبِي دَاود: ٤/ ١٠٧ ح ٤٢٨٢، الطَّبراني الكَبِير: ١٠/ ١٦٤ ح ١٠٢١٨ و ١٠٢٢٣، مُسْنَد البَزَار: ١/ ٢٨١ و: ٥/ ٢٠٤ ح ١٨٠٤، مُعْجَم ٱبن الأَعرَابي: ٧٨ وفِيهِ « ... حَتّىٰ يَلِي مِن هَذِه ⟺

وجَاء فِي كتَاب «كُنُوز الحقَائِق» للْإِمَام المنَّاوي: «أَبْشري يَا فَاطِمَة المَهْدي مِنْكِ»[(١)].

هَذَا المَهْدي الَّذي أَثبَتهُ الْإِمَام المنَّاوي، وَصِحَاح السُّنَّة، وكَثِير مِنْ مُؤلفَاتِهم هُو بِالذَات المَهْدي المُنْتَظِر الَّذي قَالَت بِهِ الْإِمَامِيَّة، فإِذَا كَان المَهْدي خرَافة وَأُسطُورة فَالسَّبَب الْأَوَّل وَالْأَخِير لهَذِه الْأُسطُورة هُو رَسُول الله. تَعَالىٰ الله وَرَسُوله عُلوّاً كَبِيراً حَتَّىٰ لفَظ «يَملأ الْأَرْض قِسطاً وَعَدلاً، كمَا مُلئت ظُلماً، وَجَوراً»، حَتَّىٰ هَذِه الجُمْلَة الَّتي عَابُوها عَلَىٰ الْإِمَامِيَّة، وَسَخرُوا مِنْهَا ومِنْهُم هِي بِحرُوفها للرَّسُول الْأَعْظَم، لاَ للْإِمَامِيَّة، فإِنْ يَك مِنْ ذَنْبٍ فَالنَّبيّ هُو المَسؤول؟؟!!.

حَاشَا الله، وَالرَّسُول.

إِنَّ الَّذين يَسْخرُون مِنْ فِكْرَة المَهْدي إِنَّما يَسْخرُون مِنْ الْإِسْلَام، ونَبيّ الْإِسْلَام، مِنْ حَيْث يَشعرُون أَو لاَ يَشعرُون. وَيَنطَبق عَلَيهم الحَدِيث الَّذي نَقلَهُ صَاحبُ الْأَعيَان فِي الجُزء الرَّابع عَنْ «فوَائد السِّمطَين» لمُحَمَّد بن إِبرَاهِيم الحَموَيني الشَّافِعِي عَنْ النَّبيّ: «مَن أَنْكَر خرُوج المَهْدِيّ فَقَد كَفر بِمَا أُنزَل عَلَىٰ

↔ الْأُمَة رَجُل مِن أَهْل بَيْتِي»، فَرَائِدُ السِمطَين: ٢/ ٣٢٧ح ٥٧٧، الخَطِيب البَغدَادي: ١/ ٣٧٠، فِتن اَبن كَثِير: ١/ ٣٨، تُحفَة الأَحوذي: ٦/ ٤٨٤ ح ٢٣٣١، كَنز العُمّال: ١٤/ ٢٦٣ح ٣٨٦٥٥، جَمع الجوَامَع: ١/ ٨٨٦، سُنن الدَّاني: ٩٨، بَيَان الشَّافعي: ٤٨١، مطَالب السَّؤول: ٢/ ٨١، عِقد الدّرَر: ٢٧، العِلل المُتنَاهية: ٢/ ٨٥٧ح ١٤٣٥، المُحدّث الفَاضل: ١/ ٣٢٩، مصَابِيح البَغوي: ٣/ ٤٩٢ح ٤٢١٠، عَقِيدَة أَهْل السُّنَّة: ٢٥، السُّنن الْوارِدَة فِي الْفِتَن: ٥/ ١٠٥٢ح ٥٦٨.

(١) أُنظر، كُنُوز الحقَائِق المَطبُوع مَع كتَاب «الفَتْح المُبِين» سَنَة ١٣١٧هـ: ٣. (مِنْهُ ﷺ).

مُحمَّد، وَمَن أنْكر نزُول عِيسَىٰ فَقد كَفر، وَمَن أنْكر خرُوج الدَّجَّال فَقَد كَفر »[١].

قَالَ بَعْض المُؤلِّفِين: « اَختَرع الشِّيعَة فِكْرَة المَهْدي لكَثرَة مَا لاَقُوه وَعَانُوه مِنْ العَسف وَالجَوز، فَسلّوا أنفسهُم، وَمَنّوها بِـالمَهْدِيّ الَّـذي يَـملأ الأَرْض عَـدلاً. وَيَنصفهُم مِنْ الظَّالمِين وَالمُجرمِين »[٢].

وَلَو كَان هَذَا القَائِل عَلَىٰ شَيء مِنْ العِلْم بِسُنَّة الرَّسُول لمَا قَالَ هَذَا، لَقَد تَخيل أشيَاء لاَ أَصل لهَا وَلاَ أَسَاس، ثُمَّ أَعْلَنها عَلَىٰ أَنَّها عَين الحَـقّ وَالوَاقِـع، وَلَستُ أَعرف أَحداً أَجْهَل وَأَجرأ عَلَىٰ البَاطِل مِمَّن يَكتبُ فِي مَوضُوع دِيـني، وَيُـعطي أَحْكَاماً قَاطعَة، قَبل أَنْ يَرجع إِلَىٰ كتَاب الله، وَسُنَّة الرَّسُـول، وَقَـبل أَنْ يَـبْحَث وَيُنقب عَنْ أَقوَال العُلمَاء وَآرَائِهم. إِنَّ العِلْم هُو مَعْرِفَة الشَّيء عَنْ دَلِيله، أَمَّا القَول بِالظنّ وَالتَّخرص، كمَا فَعْل الّذِين أَنْكرُوا وجُود المَهْدي فَجهَالة وضَلاَلَة. ـ

وَبالتَالي، فإِنَّ الإِمَامِيّة لَولاَ هَذِه الأَحَادِيث الَّتي أَورَدهَا أَصْحَاب الصِّحَاح لكَانوا فِي غِنىً عَنْ القَول بِالمَهدِي، وَبُكل مَا يَتصل بِهِ مِنْ قَرِيبٍ أَو بَعِيد، وَلَكن مَا

---

(١) أُنظر، فرَائِد السِّمْطَين فِي فضَائِل المُرتَضىٰ وَالبَتُول والسِّبطِين وَالأَئِمة مِن ذُرِّيتهِم، لإِبرَاهـيم اَبْـن مُحَمَّد بن المُؤيد بن عَبد الله الجُويني الحمُّوَيني، (ت ٧٢٢أو ٧٣٠هـق).: ٢ / ٣٣٤ح ٥٨٥. أَخْرَجَه الإِمَام أَبو بَكْرِ الإِسكَاف فِي فَوائِدِ الأَخبَار، وَلَعل المَقصُود بِهِ أَبِي بَكْرٍ مُحمَّد بن أَحمَد الإِسكَاف، كَان ثِقَةً، بِبغدَاد، وتُوفّىٰ سَنَة اَثنَتِين وَخَمسين وَثَلاَثمئة، الأَنسَاب: ١ / ٢٣٤، الرَّوض الأُنف: ٢ / ٤٣١، لسَان المِيْزَان: ٥ / ١٣٠ ح ٤٣٧. وَلعَـل المُـرَاد بـالكُفر هُـنا غَـير المَـعْنىٰ الفِـقْهي، ورَاجـع العِـطر الوَردي: ٤٤، مُـقدِّمَة اَبـن خَـلدُون: ٣٤٧ فَـصل ٥٣، الفَـتَاوىٰ الحَـدِيثيَّة: ٢٧، عُـرف السَّـيوطي الحَـاوي: ٢ / ٨٣، بُـرهَان المُـتقي: ١٧٠ فَـصل ١٢ ح ٢، لوَائِـح الأَنـوَار الإِلهـية: ٢ / ١٤، القَـول المُخْتَصر: ٢، عِقد الدّرَر فِي أَخبَار المُنتَظَر: ١٥٧.

(٢) أُنظر، عَلىٰ سَبِيل المِثَال كتَاب المنَار المُنِيف: ١ / ١٥٢، وَضُحىٰ الإِسْلاَم، الدُّكـتور أَحْـمَد أَمِـين المَصْري، (الطَّبعَة الخَامِسَة).

العَمَل ! وهُم يَتلُون قَوله تَعَالىٰ : ﴿وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

وبِكَلمَة لَقْد أَخبَر النَّبيّ بِالمَهْدي فَوَجب التَّصدِيق بِهِ، تَمَامًا كَمَا وَجَب التَّصدِيق بمَن سَبق مِنْ الأَنْبِيَاء، لأَنَّ ٱلْقُرْءَان الكَرِيم أَخبَر عَنْهُم[2].

وَبكَلمَة، لَقَد أَخبَر النَّبيّ عَن المَهْدِي فَوَجب التَّصدِيق بِه، تَمَامًا كَمَا وَجَب التَّصدِيق بمَن سَبَق مِن الأَنْبيَاء لأَنَّ ٱلْقُرْءَان الكَرِيم أَخبَر عَنْهُم.

وَرُبَّ قَائِل : أَنَّ الأَحَادِيث النَّبويَّة الَّتي نَقَلتهَا عَن صِحَاح السُّنَّة إِنَّمَا دَلّت عَلَىٰ خرُوج المَهْدِي فِي آخر الزَّمَان، دُون أَنْ تَتَعرض مِن قَرِيبٍ أَو بَعِيدٍ إِلَىٰ وَقتِ ولاَدَته. إِذَن فَمِن الجَائِز أَنَّه يُولَد فِي القَرن الَّذي يَخرج مِنْهُ، لاَ أَنَّه قَد وُلد بالفِعل وَقَبل خرُوجه بقُرُون، كَمَا قَالَ الإِمَامِيَّة.

الجَوَاب :

القَوْل بخُرُوج المَهْدِي وَولاَدَته، وكُلّ مَا يَتّصل بهِ لاَ مُستَند لهُ إِلَّا الأَحَادِيث النَّبويَّة، غَايَة الأَمْر أَنَّ خُرُوجه فِي آخر زَمَان ثَبَت بطَرِيق السُّنَّة والإِمَامِيَّة، أَمَّا وُلاَدَته فَقَد ثَبَتت بطَرِيق الإِمَامِيَّة فَقَط، ولَيْسَ مِن الضَّرُوري لأَنْ يُؤمِن المُسلِم بشَيء أَنْ يَثبت بطَرِيق الفَرِيقَين، وإِنَّمَا الوَاجب أَنْ يُؤمِن بمَا يَثبُت عِنده، عَلَىٰ

---

(١) ٱلحَشر : ٧.

(٢) إِشَارَة إِلَى قَوله تَعَالىٰ : ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ؛ آلِ عِمْرَانَ : ٨٤. وَقَوله تَعَالىٰ : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ ؛ ٱلنِّسَاء : ١٦٣. وَغَيرُ ذَلِكَ مِن الآيَات.

شَريطَة أَنْ لاَ يُنَاهض إيمَانه حُكم العَقْل وَيُصَادمَه، وَقَد بَيّنا أَنَّ بقَاء المَهْدِي حيّاً تمَامَاً كالخَوَارق الَّتي حَدَثت لإبرَاهِيم، وَدَاود، وَسُليمَان، وَمُوسىٰ، وَعِيسىٰ وَغيرهُم مِن الأَنْبيَاء، لاَ تَتنَافىٰ وشَيْئاً مَع حُكم العَقْل بالإِمكَان، لأَنَّهَا قَد حَدَثَت بالفِعل، وَالدَّال عَلَىٰ الوقُوع الإِمكَان بالضَّرُورَة.

هَذَا، وأَنَّ جَمَاعَة مِن كبَار عُلمَاء السُّنَّة قَالُوا بمقَالَة الإِمَامِيَّة، وَآمنُوا بأَنَّ المَهْدِي قَد وُلد وأَنَّه مَا زَال حيّاً. وَقَد ذَكَر السَّيِّد الأَمِين أَسمَاءهُم فِي الجُزء الرَّابع مِن الأَعيَان، وَنَقل الثَّنَاء عَلَىٰ عِلمهِم وَالثِّقَة بدِينهِم عَن كَثِير مِن المَصَادِر المُعتَبرَة عِندَ السُّنَّة، وَهُم:

١ ـ كمَال الدِّين مُحَمَّد بن طَلْحَة الشَّافِعِي فِي كتَابهِ: «مطَالب السّؤول فِي منَاقب آل الرَّسُول».

٢ ـ مُحَمَّد بن يُوسُف الكَنجي الشَّافِعِي، فِي كتَابَيهِ: «البَيَان فِي أَخبَار صَاحبُ الزَّمَان». و «كفَاية الطَّالب فِي مَنَاقب أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب».

٣ ـ عَليّ بن مُحَمَّد الصَّباغ المَّالكي فِي كتَابهِ: «الفُصُول المُهمَّة فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة».

٤ ـ أَبُو المُظَفر يُوسُف البَغدَادي الحَنْفي المَعْرُوف بسِبط ٱبن الجَوري فِي كتَابهِ: «تَذكرَة خوَاصّ الأُمّ».

٥ ـ مُحيي الدِّين بن العَربي الشَّهِير فِي كتَابهِ: «الفُتُوحَات المَكيَّة».

٦ ـ عَبد ٱلرَّحْمَـٰنِ بن أَحْمَد الدَّشني الحَنْفي.

٧ ـ عَطَاء الله بن غِيَّاث الدِّين فِي كتَابهِ: «رَوضَة الأَحبَاب فِي سِيرة النَّبيّ والآل والأَصْحَاب».

٨ ـ مُحَمَّد بن مُحَمَّد البُخَارِي المَعْرُوف بخوَاجة بَارسَا الحَنَفي فِي كتَابهِ : « فَصْل الخِطَاب ».

٩ ـ العَارف عَبد ٱلرَّحْمَـٰنِ فِي كتَابهِ : « مرآة الأَسرَار ».

١٠ ـ الشَّيْخ حَسَن العرَاقي .

١١ ـ أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم البَلاذُري فِي كتَابه : « الحَدِيث المُتَسلسل ».

١٢ ـ عَبد الله بن أَحْمَد المَعْرُوف بٱبْن الخَشّاب فِي كتَابهِ : « تَوَارِيخ مَوَالِيد الأَئِمَّة وَوفيَاتهِم ».

هَذِي هِي مَسأَلة المَهْدي المُنْتَظِر عَرضناها عَلَىٰ العَقْل فَلَم يُنكرهَا ، وعَلَىٰ ٱلْقُرْءَان الكَرِيم فوجدنَا لهَا أَشباهاً وَنظَائِر ، وعَلَىٰ سُنَّة الرَّسُول فكَانَت هِي المَصْدَر الأَوَّل ، وعَلَىٰ عُلَمَاء السُّنَّة فَألفينَاهُم مُجْمِعِين عَلَيهَا ، ومِنْهُم هَؤُلآءِ الَّذِين قَالُوا : إِنَّه وِلد ، وَإِنَّه حَيّ إِلَىٰ أَنْ يَأذَن الله ، فَأينَ مَكَان الغَرَابَة وَالخرَافة فِي قَول الإِمَامِيَّة ؟ ! .

وَكَأَنّي بقَائِل : مَا لكَ وَلهَذِي المَوضُوعَات الَّتي أَكَل الدَّهر عَلَيهَا وَشَرب ؟ أَلَيْس مِنْ الأَجْدَر وَالأَليق بِكَ ، وَبالصَالح العَام أَنْ تَعرض عَنْ هَذِه إِلَىٰ أَوضَاعنَا وَضَياعنَا ، إِلَىٰ الحَدِيث عَنْ الحلُول لمَا نُعَانيه مِنْ مشَاكُلّ وَآلآم .

قُلتُ : أَجْل ، والله . نَحنُ فِي أَشدّ الحَاجَة إِلَىٰ الأَفعَال لاَ إِلَىٰ الأَقوَال . إِلَىٰ السّكُوت عمَّا مَضىٰ وكَان ، وَالإِهتمَام بمَا هُو كَائن ويكُون . وَلَكن مَاذَا نَصْنَع ؟ وَنَحنُ نَقرأ بَيْنَ الحِين وَالحِين كتَاباً أَو مقَالاً يُكفّر المَلاَيين ، وَيطعَنْهَا فِي أَقْدَس مُقَدّسَاتهَا ، وَيَنعتهَا بِالجَهل ، وَالسُّخف ، وأَنَّها لاَ تَصلح للْحَيَاة وَلاَ لشَيء إلاَّ للسُّخريَة وَالإِستهزَاء ، وأَنَّ التَّشيُّع الَّذي تَتمذهب بِهِ لاَ يُعد مِنْ المَذَاهِب

الإسلاميّة في شيء وإنّما هو دين ابتدعه أعداء الإسلام، وخصوم الإنسانيّة ؟!.

ماذا نصنع ؟ هل يجب أن نسكت ونتغاضى عن هذه الهجمات والحملات ؟ هل يحرم علينا الدّفاع عن النّفس، وبيان الحقيقة، وإبطال التّهم الكاذبة الّتي تزداد وتتفاقم بالتجاهل والإغضاء ؟! ثمّ هل يجتمع شمل المسلمين، وتتحد كلمتهم بهذه النّزوات والضّلالات، أو بإثبات أنّ ما قاله الإماميّة في المهدي وغير المهدي هو من الإسلام في الصّميم. وهذي هي المهمّة الّتي يضطلع بها هذا الكتاب[1].

---

(١) أنظر، فرائد فوائد الفكر في الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام تأليف الشيخ مرعيّ بن يوسف المقدسي الحنبليّ من علماء القرن الحادي عشر الهجري، بتحقيقنا الطّبعة الثّانية، محقّقة، ومزيدة، ومنقّحة.



مَن المُنَاجَاة

المُناجَاة

لَقَد بَذَل الأَئِمَّة الهُدَاة : أَقْصىٰ مَا لَدَيهِم مِن جُهْد ليُـخَلّقُوا شِيَعتهُم بأَخْـلاَقِهِم وَيَقْصدُوا بِهم قَصدهِم ، وَسَلكُوا لِذَلِكَ كُـلّ سَـبِيل ، وَلَـم يَـخْتصُروا عَـلىٰ إِلقَـاء الخُطب ، وَالمَوَاعظ ، وَالدُّرُوس ، وَالمُحاضرَات ، وَضَـرب الأَمـثَال ، وَالحِكَـم ، وَإِيرَاد ٱلْقَصَصِ ، وَالحِكَايَات ، بَل أَوجَدُوا لهُم آثَاراً أُخر مِن غَير هَذَا النَّوع ، وَغَير الأَسَالِيب المَألُوفَة فِي فَن التَّربيَة الحَدِيثَة ، وَدَور المُعلمِين وَالمُعلمَات وَعنُوا بهَا عنَايَة خَاصّة ، لأَنَّهَا أَجْدىٰ وَأَبلَغ فِي التَّأثِير وَالتَّهذِيب .

وَقَد اَصْطَلَح الشِّيعَة عَلىٰ تَسمِيَة تِلكَ الآثَار الَّتي لاَ يُقَدّر قَدرهَا إِلاَّ مَن فَتَح الله عَلَيه بأَدَب عِلمَه وَهدَايَته ، اَصْطَلحُوا عَلىٰ تَسمِيتهَا بالأَدعيَة وَالزِّيَارَات ، ولَكنّهَا فِي وَاقع الأَمر إِشرَاق إِلٰهي يُكْمل مَا فِي النَّفْس البَشريَة مِن نَقْصٍ ، وَيُطهّر مَا فِيهَا مِن رِجسٍ ، وَيُصلح مَا فِيهَا مِن فَسَاد ، هِي وَحي مَا فِي ذَلِكَ شَكّ ، وَلَكنّها وَحي المَحبَة وَالإِخْلاَص ، وَفَيض الضَّمِير وَالوجدَان الحَي أَرَاد أَئِمّة الشِّيعَة أَنْ يُجردُوا مِن كُلّ نَفْس رَقِيباً مُلاَزماً لهَا فِي السِّر وَالعَلاَنيَة مُسيطرَاً عَلَيهَا سَيطَرَة السَّيِّد عَلىٰ عَبْدِهِ ، وَالقَائد عَلىٰ جُندَه يُقربهَا مِن الطَّـاعَة ، وَيُـبعدهَا عَـن المَـعصيَة ، فَسـنّوا لأَتبَاعهم أَدعيَة وَمُنَاجَاة رَتبُوهَا عَلىٰ الأَيَّام وَالأَوقَـات ، وَأَمـرُوهُم بـتكرَارهَـا وَمعَاودَتها حَتّىٰ تُصبح لهُم طَبِيعَة ثَانيَة : فَدُعَاء للصَّبَاح ، وَآخر للمَسَاء ، وَفِي كُلّ

يَوْم مِن أَيَّام الشَّهر ، وَفِي كُلّ لَيلَة مِن لَيَالي الجُمْعَة دُعَاء خَاصّ ، وَلكُلّ مِن رَجَب ، وَشَعبَان ، وَرَمضَان وَلَيَالِيه عَشيَةً وَسَحراً ، وَأَيَّامه ظُهراً وَعَصراً أَدعيَة مُعينَة ، وَأَودعُوا هَذِه الأَورَاد مَكَارم الأَخْلاَق بكَاملهَا ، وَعَلىٰ الأَصح أَودَعُوهَا أَخلاَقهُم الكَرِيمَة بالذَات ، وَهِي لاَ تُعَد وَلاَ تُحصىٰ ، وَقَد جَمَعهَا عُلمَاء الإِمَاميَّة فِي كُتب خَاصّة ، مِنْهَا الصَّحِيفَة السَّجَّاديَّة ، وَالإِقبَال لِابْن طَاوس ، وَمِصبَاح الكَفْعَمي ، وَجَامع الأَدْعيَة ، وَالزِّيَارَات نَذْكُر مِنْهَا فِي مَقَامنَا هَذَا بَعْض الفقرَات عَلىٰ سَبِيل الشَّاهد وَالمِثَال :

« أَللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي ، وَصَغَائِرِهَا ، وَبَوَاطِنِ سَيِّئَآتِي ، وَظَوَاهِرِهَا ، وَسَوالِفِ زَلاَّتِي ، وَحَوَادِثِهَا ، تَوْبَةَ مَنْ لاٰ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ ، وَلاَ يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ .

وَقَدْ قُلْتَ يَا إِلٰهِي فِي مُحْكَمِ كِتابِكَ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِكَ ، وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئَآتِ ، وَتُحِبُّ التَّوَّابِينَ ، فَاَقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ ، وَأَعْفُ عَنْ سَيِّئَآتِي كَمَا ضَمِنْتَ ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ .

وَلَكَ يَا رَبِّ شَرْطِي أَلَّا أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ ، وَضَمَانِي أَلَّا أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ »[١] .

أَللَّهُمَّ اَجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي ، وَالتَّظَنِّي ، وَالْحَسَدِ . . . ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ ، وَتَدْبِيراً عَلَىٰ عَدُوِّكَ ، وَمَا أَجْرَىٰ عَلَىٰ لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ ، أَوْ هُجْرٍ ، أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ ، أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ ، أو اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ ، أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ ، وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ ،

(١) أنظر ، الدُّعَاء الحَادِي وَالثَّلاَثُون (دُعَاؤُهُ بِالتَّوْبَةِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة . بتَحقِّيقنَا .

وَذَهَاباً فِي تَمْجيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافاً بِإحْسَانِكَ، وَإحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

أَللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَلاَ أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلاَ أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ القَادِرُ عَلَىٰ الْقَبْضِ مِنِّي، وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي، وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلاَ أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي »[(١)].

« أَللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِصَالِح مَنْ مَضَىٰ، وَٱجْعَلْنِي مِنْ صَالِح مَا بَقِي، وَخُذْ بِي سَبِيل ٱلصَّالِحِينَ »[(٢)].

« أَللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِي أَصُوْلُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالإِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا ٱضْطُرِرْتُ، وَلاَ بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا ٱفْتَقَـرْتُ، وَلاَ بِـالتَّضَـرُّعِ إِلَىٰ مَنْ دُونَـكَ إِذَا رَهِـبْتُ فَـأَسْتَحِقَّ بِـذٰلِكَ خِذْلاَنَكَ، وَمَنْعَكَ، وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »[(٣)].

فَهَل تَرىٰ وَسِيلَة أَيسَر مِن هَذِه الوَسِيلَة، وَأَبعدهَا أَثراً، وَأَعمّها نَفْعاً! وَهَل تَرىٰ شَيئاً أَقْرب إِلىٰ النَّفْس، وَأَدنىٰ مِن القَلْب وَالعَقْل مِن هَذِه الخَشيَة وَالسَّكِينَة؟ وَهَل أَدعىٰ إِلىٰ التَّفكِير، وَالتَّأمل، وَالرّجُوع بالنَّفس، إِلىٰ بَارئهَا مِن هَذَا الشّعُور الدِّيني الَّذي يَبْعَث فِي القَلْب رَغبَةً، وَرَهبَةً، وَحنَاناً، وَرَحمَةً.

أَنَّ هَذَا النَّحو مِن التَّأدِيب لَمْ يَكْتَشفهُ أَحد فِي التَّربيَة الحَدِيثَة بَعْد وَلَم تَهْتَدِ إِلَيهِ رجَالَه الأَخصَائيُون، فَلَم يَكْتَف الإِمَام بتعدَاد المَسَاوي، وَإِضَافَة كُـلّ سَـيئَة إِلىٰ نَتْيجتهَا الحَتمِيَة الَّتي لاَ تَنْفك عَنْهَا بحَال، وَإِنّمَا عَلَّم الإِنْسَان كَيْف يَتّصل بـخَالقه

(١) أُنظر، الدُّعَاء العُشْرُون (دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الأخْلاَقِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتحقِّيقنَا.

(٢) أُنظر، مِصْبَاح المُتهجّد: ١٤٣ و ٢٧٣ و ٥٩٦، الكَافِي: ٢ / ٥٨٦، إقبَال الأَعمَال: ١ / ١٧٣.

(٣) أُنظر، الدُّعَاء العُشْرُون (دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الأخْلاَقِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتحقِّيقنَا.

رَأسَاً وَمِن غَير وَاسطَة ، وَكَيف يَخْلد إلىٰ ضَمِيره وَوجدَانه ، وَيَعْكف عَلىٰ نَفْسَه فَيُهَذبهَا وَيُجَرّد مِنْهَا وَازعَاً يَقف سَدّاً بَيْنهَا وَبَيْن شَهوَاتها وَآندفَاعَاتها ، مُتّجهَاً بهَا إلىٰ الخير ، وَالكَمَال نَاهجَاً مَنْهَج السَّعَادَة وَالفَضِيلَة .

عَلىٰ هَذَا الأَسَاس ، أَسَاس الشُّعُور باللهِ ، وَبالخَير ، وَالتَّجرد مِن الشَّهوَات ، وَالأَهوَاء ، وَتَهذِيب الأَخلاَق وَالطِّبَاع ، وَتَثقِيف العُقُول وَالمَوَاهب . عَلىٰ هَذَا الأَسَاس أَرَاد أَئِمّة الشِّيعَة أَنْ يُقيمُوا بُنيَان الإِنْسَانيَّة لتَسيطر المَحبّة وَالعَدَالَة ، وَيَعم الأَمن وَالسَّلاَم .

وَقَعَت البَشريَة فِي أَشَدّ مِمَّا هِي فِيهِ اليَوْم مِن الجَهْل ، وَالعُدوَان ، وَإِفْشَاء الرَّذِيلَة ، وَالفَحْشَاء ، وَلَم يَنْشلهَا مِن تِلكَ الهُوّة السَّحِيقَة العَمِيقَة القنَابل ، وَالطَّائرَات ، أَنَّ هَذِه تُزِيد المَشَاكل تَعقِيداً وَتَقف حَجر عَثرَة فِي سَبِيل الصَّلاَح وَالإِصلاَح ؛ لأَنَّ الأَدوَاء وَالأَوبَاء لاَ تُعَالج بإِيجَاد أَسبَابهَا البَاعثَة عَلىٰ نُموهَا وَآنْتشَارهَا . لَقَد وَقَع العَالم فِي شَرّ مِمَّا هُو فِيهِ الآن ، فَكَان خَلاَصَه عَلىٰ يَد الرُّسل وَالأَنْبيَاء ، رُسل الرَّحمَة وَالسَّلاَم ، وَأَنبيَاء الإِنْسَانيَّة وَالعَدَالَة ، إِنَّ إِحيَاء رُوح الفَضِيلَة فِي النُّفُوس هِي السَّبِيل الوَحِيدَة المُوصلَة إِلىٰ الرَّاحَة ، وَحُسن العَاقبَة ، وَالسَّعَادَة فِي الدُّنيَا وَالآخرَة .

لَيْسَ الغَرض مِن هَذِه الأَورَاد التَّقرب إلىٰ الله سُبْحَانه بتلاَوتهَا ، وَتَردِيد أَلفَاظهَا ، إِنَّما القَصْد أَنْ نَتفَهّم معَانِيهَا وَمَغازِيها ، فَتُغمر بهَا نفُوسنَا ، وَيَستَغرق بهَا تَفْكيرنَا ، لنَعمَل جَاهِدِين مُعتَقدِين أَنَّ مِن وَرَائنَا قوّة خَفيَة تُرَاقب وَتُحَاسب ، فَتُعِين المُخلص فِي جهَاده ، وَتُمَهد لهُ سَبِيل النَّجَاح ، وَتُشَجعهُ عَلىٰ المُضي وَالنَّشَاط .

«رَبِّي قَوِّ عَلَىٰ خِدمَتك جَوَارِحِي، وَٱشدُّد عَلَىٰ العَزِيمَة جَوَانِحِي وَهَب لِي الجِدّ فِي خَشيَتك، وَالدَّوَام فِي الإِتّصَال بخِدمَتك، حَتَّىٰ أُسْرع إِلَيكَ فِي مَيَادِين السَّابقِين، وَأَشتَاق إِلَىٰ قُربكَ فِي المُشتَاقِين، وَأَدنُو مِنْكَ دُنُو المُخلصِين، وَأَخَافكَ مَخَافَة المُوقنِين»[١].

وَهَل القُرب مِن الله غَير الجِهَاد فِي سَبِيل الصَّالح العَامّ؟.

وَهَل السِّبَاق فِي مَيَادِين الله غَير المُسَارعَة إِلَىٰ الفَضَائِل وَالخَيرَات؟.

وَهَل الإِتّصَال بخِدمَة الله غَيْر المُثَابرَة عَلَىٰ العَمل الَّذي يَعُود بالنَّفع عَلَيك وَعَلىٰ أَهْلك وَأَطْفَالك؟.

«أَللَّهُمَّ أَعطِنِي السّعَة فِي الرِّزق، وَالأَمن فِي الوَطَن، وَقُرّة العَين فِي الأَهل، وَالمَال، وَالوَلَد، وَالصّحَة فِي الجِسم، وَالقُوّة فِي البدَن، وَالسَّلاَمَة فِي الدِّين»[٢].

أَنَّ هَذِه ثَمرَات يُنْتجهَا السَّعي مَع التَّوكل عَلىٰ الوَاحد الأَحد، وَهي تَجْد شَيئاً أَمَس بالعَاطفَة، وَأَسْرَع تَأْثِيراً وَإِنفعَالاً مِن قَول الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام:

«أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وَآلِهِ، وَٱجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبُرتُ، وَأَقْوَىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِيَنّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلاَ الْعَمَىٰ عَنْ سَبِيلِكَ، وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحبَّتِكَ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلاَ مُفَارَقَةِ مَنِ ٱجْتَمَعَ إِلَيْكَ»[٣].

وَأَيّ حُرمَة أَو هَيبَة للمَرء عِندَ زَوّجه وَأَولاَده إِذَا شَابَ رَأسَه وَقلَّ مَالهُ وَلاَ يَوم

(١) أنظر، مِصبَاح المُتهَجد: ٨٤٩، إقبَال الأَعمَال: ٣/٣٣٧.

(٢) أنظر، مِصبَاح المُتهَجّد: ٥٩٥.

(٣) أنظر، الدُّعَاء العِشرُون (دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الأَخلاَقِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتَحقِيقنَا.

كَيَوْمه الأَخِير الَّذي عَلَيه مَدَار سَعَادَته أَو شَقَاته الأَبديَّين.

وَبَعْد، فَإِنَّ هَذِه الكُنُوز لَيْسَت بأَدْعيَة وَلاَ أَورَاد فَحَسب وَإِنّما هِي كتَاب الدَّهر، وَمَدرسَة الحَيَاة، وَثروَة القَلْب وَالعَقْل فَيَجب أَنْ يَقرأهَا المُؤْمِن وَالمُلحِد، لأَنَّـهَا الوَازع الوجدَاني فِي هَذِه الحَيَاة، فَضلاً عَمَّا فِيهَا مِن لَذّة وَمُتعَة وَجمَال.

كَان الشِّيعَة الإِمَاميَّة مُنْذ عَهْد أَئِمّتهم إِلىٰ زَمنٍ قَرِيب يَحفظُون هَذِه الآثَار ذُكُورَاً وَإِنَاثاً، كِبَاراً وَصغَاراً، يَجْتَمعُون فِي المَسَاجد وَفِي بـيُوت يُكـرّرُونهَا خَـاشعِين مُتضَرعِين، فَيَشعر كُلّ وَاحد أَنّه خُلق لعَمل الخَير لاَ للشَّـر، وَوجـدَ للـطَّاعَة لاَ للمَعصيَة، ثُمَّ أَهمَلُوها كمَا أَهملُوا غَيرهَا مِن الشَّعَائِر، وَالعَادَات المُـقدّسَة الَّـتي كَانُوا بهَا مَثَلاً أَعلىٰ لصِدق الإِيْمَان، وَرسُوخ العَقِيدَة.

مِنْ تَسْبِيحَات الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام

قَارَن بَعْض الأَفَاضل بَيْنَ الأَديَان، وَانْتَهت بِهِ المُقَارنَة إِلىٰ أَنَّ تَعَالِيم مُوسىٰ تَهْدُف إِلىٰ السَّعَادَة الدُّنيويَّة المَادِيّة، قَالَ: وَإِلىٰ هَذَا أَشَار القُرْآن الكَرِيم: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾[1].

وَتَهدف تَعَالِيم السَّيِّد المَسِيح إِلىٰ السَّعَادَة الرُّوحيَة الأُخروِيَة، وَإِلَيهِ أَشَارَة الآيَة: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[2].

وَتَعَالِيم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله تَجْمَع بَيْن السَّعَادَتَين.

وَأَظنّ أَنَّ صَاحِب هَذَا الرَّأي أَرَاد أَنْ يُثْبت فَضْل الإِسْلاَم فَسَلك هَذِه السَّبِيل، مَع أَنَّ الشَّوَاهد عَلىٰ فَضْل الإِسْلاَم أَكْثَر مِن أَنْ تُحْصىٰ، وَهَذَا الرَّأي يَسْتَتبع نَفي النُّبوّة عَن مُوسىٰ وَعِيسىٰ وَيَتنَافىٰ مَع رِسَالَة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله الَّتي اعْتَرف صَرَاحَة بِمَا أُنْزل عَلَيهما مِن التَّورَاة وَالإِنْجِيل قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[3].

وَوَجْه المُنَافَاة أَنَّ الأَديَان كُلّها تَهْدف إِلىٰ صَلاَح الإِنْسَان، وَالإِنْسَان مَادّة

---

(١) ٱلْقَصَص: ٤٤.

(٢) مَرْيَم: ١٦.

(٣) آل عِمْرَانَ: ٣ ـ ٤.

وَرُوح، كَان كَذَلِكَ وَمَا يَزَال وَلَن يَزَال، وَلَم يَكُن مَادّة فَقَط فِي عَهْد مُوسىٰ، وَرُوحاً فَقط فِي عَهْد عِيسىٰ، وَجَامعاً لهُما فِي عَهْد مُحَمَّد ﷺ.

إنَّ رِسَالَة الدِّين أَي دِين تَرتكز عَلىٰ الجَانب المَادي وَالجَانب الرُّوحي فِي الْإِنْسَان، وَلاَ تَفصل بَيْنَهُما بحَال. خُذْ أَي تعلِيم مِن تَعَالِيم الدِّين فَإنّك تَجدهَا مُرتَبطَة بالمَادّة ٱرتبَاطاً وَثِيقاً حَتَّىٰ الصَّلاَة فَإنّها ٱعْترَاف مِن المُصلّي بوجُود قوّة دَاعيَة إِلىٰ عَمَل الخَير فِي دُنيَانَا هَذِه.

هَذَا عَليّ بن الحُسَين بن عَليّ كَان يُلَقّب لكَثرَة عِبَادَته وَزُهدَه بِالسَّجَّاد، وَبزَين العَابدِين، نَاجىٰ رَبّه بأَدعيَة جُمعَت فِي الصَّحِيفَة السَّجَّاديَّة، وَأُسلُوبها أَشبَه بأُسلُوب نَهج البَلاَغَة لجَدّه الْإِمَام عَليّ بن أَبي طَالب ﷺ، وَتَبدُو هَذِه الأَدعيَة للوَهلَة الأُولىٰ رُوحيَّة مَحْضَة لاَ تَمت إِلىٰ المَادّة بسَبب، وَلَكن بالتَّأمُل تَظْهَر صِلتهَا الوَثِيقَة بالعَيْش وَبالأُسرَة وَبالمُجتَمع، وإِلَيكَ الأَمْثلَة:

كُلّ يَوْم حَادِث جَدِيد:

مِن دُعَاءٍ لَهُ كَان يُرَدّده فِي الصَّبَاح وَالمَسَاء:

«وَهَذا يَوْمٌ حادِثٌ جَديدٌ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتيدٌ؛ إنْ أَحْسنّا وَدَّعَنَا بِحَمْدٍ، وَإنْ أَسَأنَا فَارَقَنَا بِذَمٍ»[١].

إنَّ كُلّ يَوْم مِن حَيَاة الْإِنْسَان هُو صَفحَة جَدِيدَة تُنْشَر فِي الصَّبَاح، وَتُطوىٰ فِي المَسَاء لتَنْشَر الصَّحفَة التَّاليَة، وَهَكذَا إِلىٰ اليَوْم الأَخِير مِن حَيَاتِه حَيْث تَنْتَهي آخر صَفْحَة مِن الكتَاب، تُوضَع الأَرقَام لكُلّ صَفْحَة بالتَّسَلسُل، وَتُسَجّل فِيهَا الأَعمَال

---

(١) أنظر. الدُّعاء السّادِس (دُعَاؤُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَّاديَّة، بتَحقِّيقنَا.

اليَوميّة بالتَّرتِيب، وَيَقرَأ النَّاس هَذِه الصَّفحَات، فَإِنْ وجـدُوا فِـي صَـفْحَة أَثـرَاً لإِعزَاز الحَقّ، وَإِذلاَل البَاطل قَالُوا: هَذَا يَوْم أَغَر يَـنْطق بـالشُّكر وَالثَّـنَاء عَـلىٰ صَاحبِهِ، لأَنَّه أَحسَن صُحبَته فَٱسْتَقبلَه بعَمل الخَير وَالإِحْسَان، وَفَارقَه بتَرك الشَّر وَالطُّغيَان.

إِنَّ الوَقت أَثمَن مَا فِي الحَيَاة، بَل هُو نَفْس الحَيَاة فَمَن ٱسْـتَخف بـوَقتهِ فَـقَد ٱسْتَخف بحَيَاته، وَالكُسَالىٰ الذِّين تُتَاح لهُم فُرصَة العَـمل، وَلاَ يَـعْملُون يَـجْب عَدّهم مَع الأَموَات، بَل الأَموَات خَير وَأَفضَل، لأَنَّهُم يُزَاحمُون الأَحـيَاء، عَـلىٰ عَيْشهِم وَلُقمَة أَطفَالهم، وَمَن قَضىٰ حَيَاته بـالكَذب، وَالرِّيـاء، وَالخِـيَانَة، فَـقَد ٱنْحَرف بالحَيَاة عَن طَرِيقهَا القَوِيم إِلىٰ سَبِيل المَهَالك وَالمَفَاسد، وَمَـن ٱسْـتعَان بوَقتهِ فِي عَمَل الخَير فَأَرشد الضَّال، وَأَعَان الضَّعِيف، وَأَدرَك اللَّـهِيف فَـقَد أَدّىٰ أَمَانَة الدِّين وَالإِنْسَانيَة حَقّ الإِدَاء، وَٱسْتَحق المَدْح وَالثَّنَاء.

ٱلتَّوبَة:

قَالَ الإِمَام مِن دُعَائِهِ لطَلَب ٱلتَّوبَة:

«أَللَّهُمَّ إِنَّهُ يَحْجُبُنِي عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلاَلٌ ثَلاَثٌ، وَتَحْدُونِي عَلَيْهَا خَلَّةٌ وَاحِـدَةٌ يَحْجُبُنِي أَمْرٌ أَمَرْتَ بِهِ فَأَبْطَأْتُ عَنْهُ، وَنَهْيٌ نَهَيْتَنِي عَـنْهُ فَـأَسْرَعْتُ إِلَـيْهِ، وَنِـعْمَةٌ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَقَصَّرْتُ فِي شُكْرِهَا وَيَحْدُونِي عَلَىٰ مَسْأَلَتِكَ تَفَضُّلُكَ عَلَىٰ مَـنْ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْكَ، وَوَفَدَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ إِلَيْكَ، إِذْ جَمِيعُ إِحْسَـانِكَ تَـفَضُّلٌ، وَإِذْ كُـلُّ نِعَمِكَ ٱبْتِدَاءٌ»[١].

(١) أُنظر، الدُّعَاء الثَّانِي عَشَر (دُعَاؤُهُ فِي الاعْتِرَافِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، بتَحقِّيقنَا.

مِن النَّاس مَن يَفْعَل الوَاجب وَيَترُك المُحرمَات، وَعَمل هَـذَا خَـير مَـحض، وَمِنْهُم مَن خَلَط عَمَلاً صَالحاً وَآخر سَيئاً، وَمِـنْهم مَـنْ يَـتْرك الوَاجب، وَيَـفْعَل المُحَرّم، وَلاَ يَشْكُر النِّعمَة، وَعَمل هَذَا شَرّ مَحض، وَهُو الَّـذي قَـصَده الإِمَـام، وَأَخذ بِيَده إِلىٰ طَرِيق ٱلتَّوْبَة وَالهِدَايَة، وَعَرّفه أَنَّ ذَنْبَه مَهمَا عَـظُم فَـإِنَّ عَـفو الله أَعْظَم، وَأَنَّ الله يَقْبَل التَّائِب وَيُثيبه، لأَنّه لاَ يُعطي النَّاس ٱسْتحقَاقاً. بَل تَـفضُلاً، وَأَنَّ رَحمَته أَقْرَب مِن نِقْمَته، وَرِضَاه أَقْرَب مِن غَضَبه، يُعطي الكَثِير، وَيَـتجَاوز عَن الإِثم الكَبِير، وَلَو عَامَل النَّاس بمَا يَسْتَحقُون ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُـؤَخِّرُهُمْ إِلَـىٰٓ أَجَـلٍ مُّسَـمًّى فَـإِذَا جَآءَ أَجَـلُهُمْ فَـإِنَّ ٱللَّـهَ كَـانَ بِـعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾[1].

ٱلوَالِدَان:

وَقَالَ مِنْ دُعَائِهِ لأَبَوَيه:

«يَا إِلَهِي طُولُ شُغْلِهِمَا بِتَرْبِيَتِي وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِي وَأَيْنَ إِقْتَارُهُمَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلاَ أُدْرِكُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَهُمَا، وَلاَ أَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا»[2]..

يُضَحّي كُلّ مِن الأَب وَالأُمّ بالنَّفس وَالنَّفِيس فِي سَبِيل الوَلَد، فَـيُقَدّم صِـحتَهُ عَلىٰ صِحَتِهِ، وَحَيَاتهُ عَلىٰ حَيَاتِهِ، ثُمَّ لاَ يَبْتَغي مِنْهُ جَزَاءً وَلاَ شكُوراً، وكُلّ رَغبَته أَنْ يَكُون شَيئاً مَذْكُوراً، فيُزَين مَحْضَره، وَيُحيي ذِكْرَه، وَيَسد مَسَده فِي غِيَابه، أَنَّ

---

(١) فَاطِر: ٤٥.

(٢) أُنظر، الدُّعَاء الرَّابع وَالعُشرُون (دُعَاؤُه لِأبويْهِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتَحقِّيقنَا.

الوَلد البَار يُقَابل هَذِهِ التَّضحيَة بالطَّاعة وَالشُّكر فيُؤثر ـ كمَا قَالَ الإِمَام ـ

« أَللَّهُمَّ اجعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ، وَأَبَرُّهُمَا بِرَّ الأُمِّ الرَّءُوفِ، وَاجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وَبِرِّي بِهِمَا أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وَأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ حَتَّىٰ أُوثِرَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا، وَأُقَدِّمَ عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ كَثُرَ »[1].

الْمَالُ :

وَمِن دُعَائِهِ :

« أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِيَ الْعَافِيَةَ مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِهِ وَجْهِي، وَيَحَارُ فِيهِ ذِهْنِي، وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي، وَيَطُولُ بِمُمَارَسَتِهِ شُغْلِي وَأَعُوذُ بِكَ، يَا رَبِّ، مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَفِكْرِهِ، وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِهِ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْهُ، وَأَسْتَجِيرُ بِكَ، يَا رَبِّ، مِنْ ذِلَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَمِنْ تَبِعَتِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْنِي مِنْهُ بِوُسْعٍ فَاضِلٍ أَوْ كَفَافٍ وَاصِلٍ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَالإِزْدِيَادِ، وَقَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ وَالإِقْتِصَادِ، وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَاقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ، وَأَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلاَلِ أَرْزَاقِي، وَوَجِّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي، وَازْوِ عَنِّي مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أَوْ تَأَدِّياً إِلَىٰ بَغْيٍ أَوْ مَا أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْيَاناً أَللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَأَعِنِّي عَلَىٰ صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ »[2].

---

(١) أنظر، الدُّعَاء الرَّابع وَالعُشرُون (دُعَاؤُه لِأبَوَيْهِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتَحقِّيقنَا.

(٢) أُنظر، الدُّعَاء الثَّلاَثُون (دُعَاؤُهُ فِي الْمَعُونَةِ عَلَىٰ قَضَاءِ الدَّينِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتَحقِّيقنَا.

تَعوذَ الْإِمَام مِن الدِّين ، لأَنّه هَمّ ، وَذُلّ ، وَقَلق ، وَٱضْطِرَاب ، حَيرَة فِي النَّـهَار ، وَسَهر فِي اللَّيل ، تَعَوذَ مِن الدَّين ، وَسَأل الله الغِنىٰ عَنْهُ بـرِزقٍ وَاسـع فَـاضل ، أَو كَفَاف وَاصل ، وَلَكن المَال وَحدَه لاَ يُغْني عَن الدَّين إِذَا لَمْ يَكُن مَعَهُ تَدبير ، وَحُسن تَقدِير ، فَقَد يَكُون للمَرء أَملاَك طَائِلَة ، وَلَكنّه يُبَذرهَا فِي غَير وَجههَا ، فَيَضطَرّ إِلىٰ الدَّين ، وَالرُّهونَات ، وَدَفع الرِّبا ، لذَا سَأَل الْإِمَام رَبّه أَنْ يُقومَه بالبَذل وَالْإِقْتصَاد ، أَي بالْإِعْتدَال فِي البَذل وَالْإِنْفَاق ، فَيَأْتِيه المَال مِن الحَلاَل ، وَيَصرفهُ فِي الحَلاَل ، فَلاَ يَأخذ دِرهمَاً مِن غَير حَقّ ، وَلاَ يَضع دِرهمَاً فِي غَير مَـوضْعه ، كـمَا سَأَلهُ أَنْ يَزْوي عنْهُ مِن المَال ، مَا يحْدِث الخُيلاَء وَالكِبريَاء ، وَيُؤدي إِلىٰ البَغي وَالطُّغيَان ، وَمَا رَأيتُ كَلاَمَاً أَجْمَع وَأَوجَز فِي المَال مِن هَذَا الكَلاَم ، كَسب مِن عَمَل حَلاَل ، وَإِنْفَاق فِي سَدّ حَاجَة ، حَيَاة لاَ لَكَ وَلاَ عَلَيك ، وَلاَ شَائبَة فِـيهَا مِـن حَـرَام ، وَلاَ غَطرَسَة وَٱستعلاَء ، وَلاَ ذُلّ وَٱستجدَاء .

وَقَد يَتَساءَل : أَنَّ الْإِمَام سَأَل رَبّه فِي دُعَائِهِ أَنْ يَرْزقهُ صُحبَة الفُقرَاء مَع أَنّه تَعَوّذ مِن الفقْر وَالدَّين ، وَمِن أَقوَاله فِي غَيْر هَذَا الدُّعَاء :

« وَلاَ تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً ، وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلاَ تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُبْتَلَىٰ بِـذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ ، وَالْمَنعِ . وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً ؛ فَإِنِّي لاَ أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلاَ أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً ، وَصُنْ وَجْـهِي بِـالْيَسَارِ ، وَلاَ تَـبْتَذِلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وأُبْتَلَى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ وَٱعْصِمْنِي

مِنْ أَنْ أَظُنَّ بِذِي عَدَمٍ خَسَاسَةً، أَوْ أَظُنَّ بِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ فَضْلاً »[1].

الجَوَاب:

أَنَّ الفقْر كَمَا قَالَ الْإِمَام كَدّاً كَدّاً وَذُلّ، وَهُو فَوق ذَلِكَ يَحْمل صَاحِبهُ عَلىٰ أَنْ يَظنّ الشَّر بأَهْل الخَيْر، وَالخَيْر بأَهْل الشَّر، فَيَذم مَنْ يَسْتَحق المَدْح، وَيَمْدَح مَن يَسْتَحق الذَّم، لِذَا تَعوذ مِنْهُ الإِمَام. فَأَمّا صُحبَة الفُقرَاء فَإِنّها السَّبِيل إِلىٰ مَعْرفَة المُجْتَمع وَأَودّائه، وَالبَاعث عَلىٰ الجِهَاد وَالعَمل لتَغيِّير الأَوْضَاع الفَاسدَة، عَلىٰ العَكْس مِن مُجَالسَة الأَغْنيَاء فَإِنّها تَبعَث عَلىٰ الكَسَل وَالخمُول، وَسُوء الظَّن باللهِ وَالصَّالِحِين مِن عِبَاده.

قَالَ رَسُول الأَعْظَم صلى الله عليه وآله: « لاَ تُجَالسُوا المَوتىٰ »!.

قِيلَ مَنْ هُم يَا رَسُول الله ؟.

قَالَ: كُلّ غَنيّ مُتْرَف »[2].

وَقَالَ الْإِمَام عَليّ عليه السلام: « مُجَالسَة الأَشرَار تُورِث سُوْء الظَّن بالأَخْيَار »[3].

وَقَالَ عليه السلام: « وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَىٰ مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ »[4].

وَقَالَ عليه السلام: « مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ

---

(١) أُنظر، الدُّعَاء العُشْرُون (دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتَحقِّيقنَا.

(٢) أُنظر، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ١ / ٣٧٥ ح ١٥١٠، حلية الأَوْلِيَاء: ٢ / ٣٥١.

(٣) أُنظر، فَيْض القَدِير: ٦ / ٣٧٣.

(٤) أُنظر، الفِرْدَوْس بمأثور الخِطَاب: ٢ / ١٥٩ ح ٢٨١٢، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٦ / ٣٣٠ ح ٣٦٥٦، المُصَنَّف لِابْن أَبي شَيبَة: ٥ / ٣٣٠ ح ٢٦٥٩٤، سُنن ابن مَاجَه: ٢ / ١٤٠٨ ح ٤٢١٠، سُنن أَبي دَاود: ٤ / ٢٧٦ ح ٤٩٠٣، مِصبَاح الزّجَاجَة: ٤ / ٢٣٨، تَفْسِير القُرطُبي: ٥ / ٢٥١.

تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالًا عَلَىٰ اللهِ »[١].

وَقَالَ الْإِمَام مُحَمَّد البَاقر عليه السلام : « إِيَّاكُم وَمُجَالسَة الْأَغْنيَاء، فَإِنَّ الْإِنْسَان يُجَالسهُم، وَهُو يَرىٰ أَنَّ لله عَلَيه نِعْمَة، فَمَا يَقُوم حَتَّىٰ يَرىٰ أَنَّ لَيْسَ لله عَلَيه نِعْمَة »[٢].

الشُّعُور بالمَسْؤوليَة:

وَمِنْ دُعَائِهِ:

« أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظُلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ مَعْرُوفٍ أُسْدِيَ إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمِنْ مُسِيءٍ اعْتَذَرَ إِلَيَّ فَلَمْ أَعْذِرْهُ، وَمِنْ ذِي فَاقَةٍ سَأَلَنِي فَلَمْ أُوثِرْهُ، وَمِنْ حَقِّ ذِي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِنٍ فَلَمْ أُوَفِّرْهُ، وَمِنْ عَيْبِ مُؤْمِنٍ ظَهَرَ لِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ، وَمِنْ كُلِّ إِثْمٍ عَرَضَ لِي فَلَمْ أَهْجُرْهُ »[٣].

إِنَّ مَعْنَىٰ الدِّين أَنْ يَشْعر الْإِنْسَان بالمَسؤوليّة أَمَام الله وَأَمَام نَفْسه، وَأَمَام النَّاس وَفِي هَذِه الكَلمَات القِصَار نَجد التَّفسِير الكَافي الوَافي للشُّعور بالمَسؤوليّة.

فَإِذَا رَأيتَ قَوِّيَاً يَتحكَم بضَعِيف لاَ يَجْد عَلَيه نَاصرَاً إلاَّ الله وَأَهْل الدِّين وَالضَّمِير، وَلَم تَكْتَرث، وَلَم تَشْعر بوجُود رَقِيب خَفي فَاْعْلَم بأَنّه لاَ دِينَ لَكَ، وَلاَ

---

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (٤٠٦).

(٢) أُنظر، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٤ / ٣٤٧ ح ٧٨٦٧، سُنَن التِرمذي: ٤ / ٢٤٥ ح ١٧٨٠، شُعَب الإيمَان: ٥ / ١٥٧ ح ٦١٨١، التَّرغِيب وَالتَّرهِيب: ٤ / ٧٨، البَيَان وَالتَّعرِيف: ١ / ٢٨٨، تُحفَة الأَحوَذي: ٥ / ٣٨٨. قَرِيب مِن هَذَا.

(٣) أُنظر، الدُّعَاء الثَّامِن وَالثَّلاَثُون (دُعَاؤُهُ فِي الاعْتِذَارِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتَحقِيقنَا.

ضَمِير .

وَأي إِنْسَان أَسْدىٰ إِلَيكَ مَعْرُوفاً مَادِيّاً أَو أَدبياً ، وَلَم تَشْعر بوجُوب شُكرَه وَمُبَادَلته ، بَل كَان عِندَك وَمَن يَجْهلك سوَاء فَأَنْت مَلعُون بكُلّ دِين .

وَإِذَا أَسَاء إِلَيك شَخْص ، ثُمَّ ٱعْتَذر وَلَم تَشْعر بِأَنْ عَلَيكَ أَنْ تَقْبل وَتُسَامح فَأَنْت لَئِيم تَبرَأ مِنْك الإِنْسَانيّة ، وَالأَديَان السَّماويَّة .

وَإِذَا سَأَلك سَائِل ، وَأَنتَ تَعْلَم بفَقْرِهِ وَفَاقَته ، وَلَم تَشْعر بأَنَّك أَصْبَحت مَديُوناً لَهُ ، أَو ٱسْتَدَنت دَيناً ، وَلَم تَشعر بوجُوب الوَفَاء فَأَنْتَ فَاقد الإِحسَاس لاَ تُبَالي أَأَحْسَنْت أَمْ أَسَأت .

وَإِذَا رَأَيت عَيباً مِن أَخِيك فَطُرتَ بِهِ فَرحَاً تُعْلنهُ عَلىٰ النَّاس ، وَلَم تَشْعر بأَنَّ مَا أَخْفَيت مِن عيُوبكَ أَضْخَم وَأَعْظَم كُنتَ مِن دُعَاة الفَاحشَة وَالضَّلاَلَة .

وَإِذَا قَادَك الهَوىٰ لاِرْتكَاب إِثم ، وَلَم تَشعر مِن نَفْسك برَادع يَردَعك عَنْهُ فَأَنْت لاَ تُؤْمِن باللهِ وَلاَ بالضَّمِير ، حَتَّىٰ وَلَو حَلَفت بالله أَلف مَرّة فِي اليَوْم ، وَصَلَّيت لهُ فِي الصَّبَاح وَالمَسَاء .

وَبالتَالي فَكُلّ مَا يَخْلق الشّعور بالمَسؤوليَة ، وَالخَوف مِن عَمل الشَّر ، وَالاِطْمئنَان لعَمَل الخَير فهُو مِن الدِّين فِي الصَّمِيم ، وإِلاَّ فَتخرِيف وَأوهَام .

العِزّ الظَّاهِر، وَالذُّل البَاطِن

«أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَلاٰ تَـرْفَعْنِي فِـي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلاٰ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَـاطِنَةً عِـنْدَ نَـفْسِي بِقَدَرِهَا»[1].

كَان الَّذِين يَبْحثُون عَن السُّلُوك يَصفُون نَفْسيَة الفَرد عَلىٰ أَسَاس أَنَّها تَـصْدُر عَن ذاَته وَطَبِيعَنه مُنْفصلَة عَن كُلّ مَا يُحِيط بِهِ مِـن المُـؤثرَات الخَـارجـيَة، ثُـمَّ يُقسمُون هَذِه الظَّوَاهر إِلىٰ نوعَين فَضَائِل وَرَذاَئِل، وَيَـعدُون مِـن النَّـوع الأَوّل: الصّدق، وَالتَّواضع، وَالإِخلاَص، وَالكَرَامَة، وَالشَّجَاعَة، وَمَا إِلىٰ ذَاك، وَمِن النَّوع الثَّاني: الكَذب، وَالرِّيَاء، وَالعُجب، وَالبُخل، وَالجُبن وَمَا أَشْبَه.

وَإِنَّنا نَعرّض أَنْفسنَا للسُّخريَة إِذاَ وَثقنَا بِـهذَا القَـول وَأَخَـذنَاه عَـلىٰ إِطْـلاَقه وَعِلَّاته. أَنَّ الإِنْسَان يَخْضع فِي سُلُوكه لطَبِيعَته وَمزَاجه فِي كَثِير مِن الأَعمَال، مَا فِي ذَلِكَ رَيب، وَلَكنّه يَخْضَع أَيضاً للعَوَامل المُحِيطَة بِهِ، فَيتَأثر بتَقَالِيد الأُسـرَة، وَعَادَات المُجْتَمع، وَنظَام المَدْرسَة، وَالحَركَات الإِقْتصَاديَّة مِن حَيْث يَشعر أَو لاَ

(١) أنظر، الدُّعَاء العُشرُون (دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة. بتَحقِّيقنَا.

يَشْعر ، فَهو مُضْطَر بحُكم هَذِه المُؤثرَات أَنْ يَضغَط أَعصَابه ، وَيُقَدر المَسؤوليَة ، وَيَسِير بأَنَاة وَتَعقُل مَهمَا تَكُن طَبِيعَته وَمَزَاجه ، وَإِلاّ كَان مَقرّه فِي المَارستَان . لِذَا يَبْحَث عُلمَاء النَّفْس فِي هَذَا العَصر الصِّفَات النَّفسيَة للفَرد فِي ضَوء هَذِه الحَقِيقَة ، فَيَقولُون : هَذَا يَكْرَه الظّلم ، لأَنّه ظُلم ، أَو لأَنّه يَنْتَمي إِلىٰ فِئَة تَسْتَغلهَا فِئَة أَعلىٰ ، وَذَاك يُضَحي بأَعزّ مَا لَدَيه فِي سَبِيل وَطنَه وَٱستقلاَله ، لأَنّه يُؤمِن بالحُرّيّة ، أَو باليَوْم الآخر وَيَرجُو أَنْ يُعوّض الله عَلَيه أَضْعَافاً أَو يُؤمِن بهمَا مَعاً ، وَيَقولُون : فُلاَن عَفّ اليَد وَاللِّسَان لأَنَّ تَربيَته ٱتّجهَت بِهِ إِلىٰ هَذَا التَّهذِيب .

وَلَكن هُنَاك بَعْض الظَّوَاهر لَمْ يَتَعرض لهَا عُلمَاء النَّفس وَالأَخلاَق وَلاَ غَيرهم مِن القُدَامىٰ وَالجُدد ، لأَنّهُم لَمْ يُشَاهدُوها وَيَعثرُوا عَلَيهَا ، وَلاَ عَلىٰ نظَائِرهَا وَهُم يَستَقرئُون وَيَحصُون الصِّفَات النَّفسيَة الفِطريَة وَالمُكتَسبَة ، وَلَم تَخطُر لهُم عَلىٰ بَال ، لأَنّهَا أَسمىٰ مِن أَنْ تَكتَشفهَا عقُولهم أَو هِي بَعِيدَة كُلّ البُعد عَن حَيَاتِهم وَأَمْزجتِهم ، هِي مُنحَة يَخصّ الله بهَا صَفوَة الصَّفوَة مِن عِبَادِهِ الأَطهَار أَمثَال الإِمَام زَين العَابدِين الَّذي خَاطَب رَبّه مُنَاجياً :

« أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَلاَ تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا ، وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا »[١] .

أَرَأيتَ إِلىٰ نُور الله يَملأ السَّماوَات والأَرْض ؟! أَرَأيتَ إِلىٰ جَلاَل الله وَعَليَائه وَإِلىٰ رَحْمَته وَآلاَئه ، وَإِلىٰ عَظْمَته وَحِكْمَته ؟! أَنَّهَا جَمِيعاً تَتجَسم فِي هَذَا الخُلق ، وَفي هَذِه النَّفْس .

---

(١) أُنظر ، الدُّعَاء العُشْرُون (دُعَاؤهُ فِي مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ) مِن الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة . بتَحقِّيقنَا .

لَقَد أَلفنَا أَنْ نُسَر وَنَغْتَبط إِذَا ٱرْتَفعنَا دَرجَة، وَلو وَهمِيّة، وَأَنْ نَنْقُل التَّهاني، وَتُقَام لنَا حَفلاَت التَّكرِيم، فَتُتلىٰ الخُطب، وَتُنشد القَصَائد، وَتُدبج المَقَالاَت، بَل لَقَد أَلفنَا أَنْ نُطَالب وَنُعَاتب مَن لاَ يُقَدم التَّهنئَة عَلىٰ هَذِه الدَرجَة الزَّائفَة الَّتي نَالهَا بالوَسَاطَة وَالشَّفَاعَة، أَو عَلىٰ حِسَاب أَهْل العِلْم وَالعَدل، أَو لإِعَانَة الرَّئِيس الخَائِن عَلىٰ الْإِثم وَالعُدوَان، نُهنيء أَمثَال هَذَا، وكَان الأَولىٰ أَنْ نُعَزّيه عَلىٰ شقَائهِ وَمِحْنَته. أَجل، لَقَد ٱعتَدنا عَلىٰ ذَلِكَ، أَمّا العَكْس، أَمّا أَنْ نَطْلب ذُلاً بَاطنَاً إِذْ حَدَث عِزّة ظَاهر. أَمّا أَنْ نَسأَل دَرجَة مُنْخَفضَة عِندَ أَنْفسنَا إِذَا ٱرْتَفعنَا دَرجَة عِندَ النَّاس، فَهَذَا شَيء لَمْ نَرَه، وَلَم نَسْمَع بهِ، وَلَم يَخْطر لنَا عَلىٰ بَال.

لَقَد دَلّتنَا التَّجارب عَلىٰ أَنَّ ذَات الشَّخص تَتغَيّر وَتَتبَدل إِذَا تَغيّرت ظُرُوفه وَأَحوَاله، فَنَحنُ نَعْرف رِجَالاً كَانُوا مِثَال التَّوَاضع وَدمَاثَة الخُلق عِندمَا كَانُوا فُقرَاء معْوزِين، ثُمَّ أَصْحَبوا أَخْبَث مِن الأَفَاعي، وَأَضرّ مِن الحَشرَات السَّامّة حِين صَارُوا مِن ذَوي الثَّرَاء وَاليَسَار. كَان اللُّؤم كَمِيناً فِي أَنْفسهِم يُغَطِيه الضَّعف، وَيُخفِيه العَجْز. وَلمَّا أَحسُوا القُوّة مِن أَنْفسهِم رَجعُوا إِلىٰ حَقِيقتهِم وَظَهر دَنَسهُم بأَوْضَح مَعَانِيه، تَمَامَاً كَالذِين يُظهرُون الوَلاَء للشَّعب، وَهُم بَعيدُون عَن الكَرَاسي، حَتَّىٰ إِذَا أَخذُوا مِنْهَا بنَصِيب تَحالفُوا مَع أَلدّ أَعدَائه، وَسَاومُوا للإِحْتِفَاظ بهَا عَلىٰ أَرْضه وَسَمَائه.

هَذِه هُو شَأن اللَّئِيم الخَبِيث يَتعَاظم وَيَطغىٰ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾[1]، أَمَّا الطَّيبُون الَّذِين يَشعرُون بالمُجْتَمع وَيَهتمُون بشُؤونه، وَيَتوجعُون لأَوْجَاعه، فَلاَ تُبدّل أَو تُغيّر الأَوضَاع مِن طَبِيعتهِم شَيئَاً سوَاء

(١) ٱلْعَلَق: ٨.

أَرَفعتهُم الظُّرُوف إلىٰ الأَعْلىٰ ، أو ٱنْحطّت بِهم إلىٰ الأَسفَل ، فَحَقِّيقتهِم فِي الحَالَين وَاحدَة : آمنُوا بالعَدَالَة ، وَالمُسَاوَاة ، وَهُم ضُعفَاء لاَ يَقدرُون عَلىٰ شَيء ، وَبَقوا عَلىٰ إيمَانهِم وَمَبدئهِم ، وَالعلُو لَمْ يَنْحرف بِهم عَن سَبِيل الرُّشد ، وَلَم تَحْدث لهُم كِبرَاً وَلاَ عُجبَاً وَلاَ فَخرَاً ، وَلَو حَدَث ذَرّة مِن هَذِه فِي قُلوبِهم لقَضَت عَلىٰ كُلّ مَا فِيهَا مِن إيمَان وَتَقدِير للمَسؤوليّة ، لذَا طَلَب الإمَام ، وَهُو العَلِيم الحَكِيم ، إنْ لاَ يَرفَع فِي النَّاس دَرجَة إلاَّ حَطّ عِندَ نَفْسَه مِثلهَا ، هَذَا هُو العِزّ بمَعنَاه الصَّحِيح ، وَهَذي هِي العَظمَة عِندَ الله وَالنَّاس . أَنَّك عَظِيم إذَا تَجَردَت عَن أَنَانِيتك ، وَدِنتَ بِدِين الحُبّ وَالإِنْسَانيَّة ، وَرَأَيت لنَفسَك عَين مَا تَرَاه لأَضعَف مَخلُوق بدُون تَفَاوت ، أَمّا الَّذي عَلَيكَ فَيَخْتَلف بإخْتلاَف مَقْدَرتك وَأَجوَائك . فَالمُسَاوَاة إنّمَا تَكُون فِي الحقُوق الَّتي يَلزم الإِنْسَان حِفظهَا وَالمُطَالبَة بهَا ، أَمّا الوَاجبَات فَهي عَلىٰ كُلّ بحَسَبه ، وَالسَّبيل الوَحِيد لتَأديَة الوَاجب عَلىٰ وَجْهِهِ الأَكمَل أَنْ لاَ يَغْتَر الإِنْسَان بإرْتفَاع شَأنه عِندَ النَّاس ، وَأَنْ يَكُون مَعْهُم حَيْث كَانُوا ، وَمَتىٰ تَخَيَّل أَنّه فَوقهم ، وأَنَّهُم دُونه حَال هَذَا بَيْنَه وَبَيْن قِيَامه بالوَاجب المُقدّس ، وَمِن هُنَا قَالَ الرَّسُول الأَعْظَم ﷺ : « أَللَّهُمَّ أَحْيني مِسْكِينَاً ، وَأَمِتْني مِسْكِينَاً ، وَٱبْعَثْني مَعَ المَسَاكِين »[1] .

لَقَد ٱعْتَدنَا أَنْ نَقُول : فُلاَن مُتَوَاضع إذَا تَلَقىٰ النَّاس بالبِشْر وَالتّرحَاب ، وَٱتّسع صَدرَه لجَلِيسَه ، وَأَصْغىٰ للسُّخف مِن حَدِيثه ، نَقُول : أَنّه مُتوَاضع وَلَو كَان قَلْبَه لاَ يَعْرف إلاَّ اللُّؤم وَالحِقْد ، وَنَفْسَه إلاَّ الكَذب وَالرِّيَاء . أَنَّ المُتوَاضع حَقّاً مَن ٱتّعَظ

(١) أُنظر ، سُنن التّرمذي : ٤ / ٥٧٧ ح ٢٣٥٢ ، سُنن أبن مَاجَه : ٢ / ١٣٨١ ح ٤١٢٦ ، سُنن البَيْهقي الكُبرىٰ : ٧ / ١٢ ح ١٢٨٣١ ، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٤ / ٣٥٨ ح ٧٩١١ ، مَجْمَع الزَّوَائِد : ١٠ / ٢٦٢ ، مِصْبَاح الزّجَاجَة : ٤ / ٢١٨ .

بقَول الْإِمَام، وَعَمل بهِ، وَلاَ يَغْتَر بمَال أَو جَاه، مَن شَكر نِعْمَة المَال بالبَذْل وَالْإِنْفَاق، وَنِعْمَة الجَاة بإِسْتخدَامه فِي طَاعَة الله وَصَالح الجَمَاعَة، أَنَّ الله سُبْحَانه يَمْتَحن عَبْدَه بشَتىٰ الوَسَائِل، ليُظهرَه للنَّاس عَلىٰ حَقِيقَته، كَي لاَ يَتهمُوا أَمِيناً، وَلاَ يَأتمنُوا خَائناً، وَمِن أَظْهَر دَلاَئل الخِيَانَة وَسُوء النِّيَة الْإِسْتعلاَء وَالتَّعاظم.

وَبالتَالي فَإِنَّ الْإِنْسَانيَّة فِي كُلّ زَمَان وَمَكَان بحَاجَة مَاسّة لقَائِد فِي أَخلاَق الْإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام.

التَّصوف وَأَهْل الْبَيْت

أَهْتَم أَهْل الْبَيْت عليهم السلام إهْتمَامَاً بَالغَاً بـالأَدعيَة، وَالأَورَاد وَوَضـعُوا لهَـا صِـيغَاً خَاصّة، حفَظهَا عَنْهُم شِيَعتهُم وَأَتبَاعهُم، وَأَلَفُوا فِيهَا الكُتُب وَالمُجلّدَات قَالَ زَكي مُبَارَك فِي المُجلّد الثَّاني مِن كتَاب «التَّصوف الإِسلاَمي»:

«كَانَت أَدعِيَة زَين العَابدِين مِمَّا أَهْتَم بهِ الشِّيعَة إهْـتمَامَاً شَـدِيدَاً، فَـصَحّحوا روَايَاتهَا، وَنَقدُوها، وَكَتبُوهَا بالذَّهَب فِي كَثِير مِن البُلدَان... وَالصُّوفيَّة يَعْتَقدُون أَنَّ زَين العَابدِين كَان مِن أَهْل الأَسرَار»[1].

وَتَكلمتُ عَن هَذِه الأَدعيَة وَالأَورَاد فِيمَا سَبق. وَالآن أَقْتَطف جُمَلاً مِن دُعَاء كَان يَدعو بهِ الإِمَام الشَّهيد الحُسَين بن عَليّ عليه السلام فِي يَوْم عَرَفَة.

القَضاء وَالقَدَر:

«مِنهُ»: «الحَمْد لله الَّذي لَيسَ لقَضَائهِ دَافِع، وَلاَ لعَطَائِه مَانِع، وَلاَ كصُنْعِهِ صُنْع صَانع»[2].

---

(١) أنظر، التَّصوف الإِسلاَمي، زَكي مُبَارَك: ٢ / ١٧٦.

(٢) أُنظر، كتَاب الإِقبَال لاِبْن طَاوس: ٣٤٩، مِن دُعَاء الحُسَين يَوْم عَرفَة.

يُنْسَب القَضَاء إِلىٰ الله سُبْحَانه، وإِلىٰ غَيْرِهِ، وَنِسْبَته إِلَيهِ عزَّوجلّ تأتي علىٰ مَعْنَيَيْن: الأَوّل علىٰ مَعْنَىٰ الخَلق وَالتَّكوين، كَقَوله تَعَالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[1].

أي أَوجَدهُنَّ وَكَونَهُنَّ. الثَّاني عَلىٰ مَعْنَىٰ الأَمر وَالحُكم التَّشريعي، كَقَوله سُبْحَانه فِي الآيَة: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2].

أي أَمَر بذَلِكَ، وقَالَ عزَّ مَن قَائِل: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[3].

وَإِذَا نُسبَ القَضَاء إِلىٰ الإِنْسَان يَكُون عَلىٰ مَعْنَىٰ الحُكم، كقَوله فِي الآيَة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[4].

أَي مِمَّا حَكَمتَ وَأَمَرتَ.

وَ «مِنْهُ»: «أَللَّهُمَّ اجْعَلْني أَخْشَاكَ كَأَنّي أَرَاكَ، وَأَسْعَدْني بتَقْوَاكَ، وَلاَ تَشْقِني بمَعْصِيَتكَ... وَبَارِك لِي فِي قَدَرِكَ حَتَّىٰ لاَ أَتَعجَلُ مَا أَخْرّتَ، وَلاَ أَستَأخِرُ مَا عَجّلْتَ».

كُنتُ، وَمَا زِلتُ أَتسَاءَل: هَل الَّذِين يَعصُون الله، وَيَتجَاوَزون حدُودَه يُؤمنُون باللهِ وَاليَوْم الآخر، أَو أَنَّهم يَتَظاهرُون بالإِيْمَان رِيَاءً وَنِفَاقاً؟... وَبِكَلمَة هَل يَجْتَمع الإِيْمَان مَع العصيَان؟.

---

(١) فُصِّلَتْ: ١٢.

(٢) الإِسْرَاء: ٢٣.

(٣) يُوسُف: ٤٠.

(٤) النِّسَاء: ٦٥.

تَسَاءلتُ عَن ذَلِكَ، وَلَم أَجد الجَوَاب المُقْنِع لاَ عِندَ نَفْسي وَلاَ فِيمَا سَمِعتُ وَقَرَأتُ، وَرُبّما يُجَاب عَن هَذَا التَّساؤل:

أَوّلاً: بأَنَّ العَاصِين يُؤمنُون بالله، وَلكنّهُم يَرجُون عفوَه، وَمَغْفرَته، وَيَعْتَمدُون عَلىٰ قَوْله سُبْحَانه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

وَبَدِيهَة أَنَّ الغُفرَان لاَ يَأتي جُزَافاً، بَل لاَ بُدّ لَهُ مِن سَبَب تَقتَضِيه الحِكْمَة الإلهيّة، وَإِلاّ لَمْ يَكُن للتَّكلِيف وَتَشرِيع القَوَانِين مِن فَائِدَة وَكَان الطَّائِع وَالعَاصي، وَالمُحْسن وَالمُسيء سوَاء فِي نَفي المَسئُوليّة وَعَدم العِقَاب، وَكُلنَا يَعْلَم أَنَّ سَبَب الغُفرَان هُو ٱلتَّوْبَة، وَالإِنَابَة، وَالرّجُوع إِلىٰ طَاعَة الله مَع النَّدم، وَالعَزم عَلىٰ عَدَم العَودَة إِلىٰ العصيَان، أَمّا مَن أصرّ عَلىٰ الذّنُوب، وَبخَاصّة الكَبَائِر مِنْهَا فَأَمره صَعْب عَسِير.

ثَانِياً: أَنَّهُم مُؤمنُون، وَلَكن إِيمَاناً ضَعِيفاً لاَ يَقوىٰ عَلىٰ مُقَاومَة العَاطفَة وَالمُغريَات، فَإِذَا اصطَدم مَعْهَا كَان مَغلُوباً لاَ غَالباً، فَكَما أَنَّ ضَعِيف الجِسم يَتغَلب عَلَيه مَن هُو أَشَدّ وَأَقوى كَذَلكَ ضَعِيف الإِيْمَان تَصْرَعه الأَهوَاء وَالشَّهوَات.

وَمَهمَا يَكُن، فَإِنَّ الإِيْمَان لاَ يَتجزأ فَإِذَا صَلّىٰ الإِنْسَان وَصَام، وَهَلّل وَكَبّر بدَافع الدِّين، فَيَنْبَغي لَهُ أَيضاً أَنْ يَمْتَنع عَن الكَذب، وَالرِّيَاء، وَالدَّس، وَالخِيَانَة وَمَا إِلىٰ ذَلِكَ مِن المُحرمَات وَالمُوبقَات، يَمْتَنع عَنْهَا بهَذَا الدَّافع، وَإِلاّ كَان إِيمَانه تَصوراً وَتَخَيُلاً، أَشبَه بأَريحيَة البَخِيل وَاهتزَاره حِين يَستَمع إِلىٰ حَدِيث الشّجَاعَة. إِنَّ المُؤمِن حَقّاً هُو الّذي يَعْمَل، وَكَأَنّه فِي يَوْم الحِسَاب يَنْظر إِلىٰ الخَلاَئِق، وَهُم أَمَام

(١) ٱلنِّساء: ١١٦.

الله سُبحَانه يُجازي كُلاًّ بأَعْمَاله، تَماماً كمَا قَالَ الحُسَين عليه السلام: «أَللَّهُمَّ اجْعَلْني أَخْشَاكَ كَأَنّي أَرَاكَ، وَأَسْعِدْني بتَقْوَاكَ، وَلاَ تَشْقِني بمَعْصِيَتكَ».

وَكَمَا قَالَ أَبُوه أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام: «أُعبد الله كَأَنَّكَ تَرَاه، فَإِنْ لَم تَكُن تَرَاه فَإِنَّه يَرَاك»[1].

وَ «مِنْهُ»: «أَللَّهُمَّ اجْعَل غِنَاي فِي نَفْسي، وَاليَقِين فِي قَلْبي، وَالإِخْلاَص فِي عَمَلِي، وَالنُّور فِي بَصْري، وَالبَصِيرَة فِي دِيْني»[2].

إنَّ كُلّ وَاحد مِن النَّاس كَائِناً مَن كَان يَحتَاج إِلىٰ النَّاس وَمَحَال أَنْ يَتمّ المُجْتَمع وَيَكْتَمل بدُون التَّعاون، فَأَنْت مُتمّم مَا فِي غَيرك مِن نَقصٍ، وَغَيرك مُتمّم مَا فِيكَ مِن نَقْصٍ، وَالكُلّ يَسيرُون فِي طَرِيق الإِكْتمَال الإِجْتمَاعي. وإِذَا لَمْ يَكُن الإِنْسَان كَائِناً مُسْتقلاً عَنْ غَيرِهِ، فَكَيف سَأَل الحُسَين رَبّه سُبْحَانه أَنْ يَجْعَله غَنيّاً فِي نَفْسه؟!.

الجوَاب:

إنَّ التَّعاون عَلىٰ الخَير فَضِيلَة مِن غَير شَكّ، لأَنّه ضَرُورَة إِجْتمَاعيَّة، أَمّا العَيْش عَلىٰ حِسَاب الآخرِين، وَبَيع الدِّين وَالكَرَامَة بالدُّنيَا وَحُطَامها فَرَذِيلَة مَمقُوتَه يَتعوذ بهَا كُلّ مُخلص، كمَا يَتعوذ مِن الشَّيطَان، وَالحُسَين عليه السلام سَأَل رَبّه الغَني عَنْ

(١) أنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٦ / ٢٠، صَحِيح مُسْلِم: ١ / ٢٩، سُنن ابن مَاجه: ١ / ٢٤ ح ٦٤، سُنن أَبي دَاود: ٢ / ٤١٢ ح ٤٦٩٥، سُنن النِّسائي: ٨ / ١٠٢، مجمَع الزَّوائد: ١ / ٣٩ و: ٢ / ٤٠، فَتح البَاري: ١٣ / ٣٥٥، المُصَنّف لِمحَمَّد بن أَبي شَيبَة الكُوفي: ٧ / ٢٠٨ ح ١ و: ٨ / ١٢٨ ح ٢٤، مكَارم الأَخْلاَق لِلطَّبرسي: ٤٥٩، حَاشِية رَدّ المحتَار: ١ / ١٠، كَنز العُمَّال: ٢ / ٦ ح ١٢٤، أَمَالي الطُّوسي: ٥٢٦، مُسْنَد أَحمَد: ٢ / ٤٢٦، إحيَاء علُوم الدِّين: ٤ / ٣٩٧، شَرح أُصُول الكَافِي: ٨ / ٢١٧.

(٢) أُنظر، مِصبَاح المُتهَجّد: ١٠٥ و ٢١٥، مِفتَاح الفَلاَح: ١٩٥.

كُلّ مَوقف مُشِين يَمس مِن دِيْنه وَكَرَامَته، سَأَلهُ أَنْ يَكُون غَنيَّاً فِي عَمَلِهِ وَجِدّه وَإِجْتهَاده، وَاثقاً بالله دُون غيره، مُفْتَقراً إِلَيهِ دُون سوَاه.

قَالَ الْإِمَام الصَّادق عليه السلام:

«اتّقوا الله وَصُونُوا أَنْفسكُم بالوَرَع... وَالْإِسْتغنَاء بالله عَنْ طَلَب الحوَائِج إِلىٰ صَاحب السُّلطَان، وَأَعلمُوا أَنَّه مَن خَضَع لصَاحب سُلطَانٍ، وَلمَن يُخَالفهُ عَلىٰ دِينَه طَلَباً لمَا فِي يَدَيه مِن دُنيَاه أَذَلّه الله وَمَقْته عَلَيه، وَوَكّله إِلَيهِ، فَإِنْ هُو غَلَب عَلىٰ شَيء مِن دُنيَاه فَصَار إِلَيهِ مِنْهُ شَيء نَزَع الله البَرَكَة مِنْهُ، وَلَم يَأجرهُ عَلىٰ شَيء يُنْفَقه فِي حَجٍّ، وَلاَ عِتْقٍ، وَلاَ بِرٍ»[1].

وَنُقل عَن الشَّيخ البَهَائي أَنَّه عَقَّب عَلىٰ هَذَا الحَدِيث بقَوْله:

«صَدَق الْإِمَام، فَقَد جرّبنَا ذَلِكَ، وَجرّبه المُجربُون قَبْلنَا، وَاتّفقَت الكَلْمَة مِنَّا وَمِنْهُم عَلىٰ عَدَم البَركَة فِي تِلكَ الْأَموَال، وَسُرعَة نفَادهَا وَإِضْمحلاَلهَا، وَهُو أَمر ظَاهر مَحسُوس يَعْرفهُ كُلّ مَنْ حَصَل عَلىٰ شَيء مِن تِلكَ الْأَموَال المَلعُونَة».

وَجَاء فِي الحَدِيث الشَّرِيف عَن الرَّسُول الْأَعْظَم صلى الله عليه وآله:

«أَللَّهُمَّ ارْزق مُحَمَّداً وَآل مُحَمَّد الكَفَاف، وَالْعفَاف»[2].

وَقَالَ الحُسَين عليه السلام:

«أَللَّهُمَّ حَاجَتي الَّتي إِنْ اعْطَيتنيهَا لَمْ يَضرني مَا مَنَعْتَني، وَإِنْ مَنَعْتنيهَا لَمْ يَنْفَعني مَا اعْطَيتني، أَسَألك فكَاك رَقَبَتي مِن النَّار».

---

(١) أنظر، الكَافِي: ٥/ ١٠٥ ح ٣، عِقَاب الأَعمَال: ٢٩٤ ح ١، التَّهذِيب: ٦/ ٣٣٠ ح ٣٥، فِقْه الرِّضَا: ٣٦٧، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٧/ ١٧٨ ح ٤.

(٢) أُنظر، الكَافِي: ٢/ ١٤٠ ح ٢ ـ ٣، كَنز الْعُمَّال: ٦/ ٤٨٣ ح ١٦٦٤٧، تَأْرِيخ دِمشق: ٤/ ١١٦.

هَذِه هِي أُمنيَة الأَبرَار « النَّجَاة مِن النَّار » وَلاَ شَيء سوَاهَا ، فَإِنْ حَصلُوا عَلَيهَا ، ثُمَّ فَقدُوا كُلّ شَيء حَتّىٰ المَاء وَالهَوَاء ، وحَتّىٰ لَو قُطّعُوا إِرباً إِرباً فـهُم الرَّابـحُون المُنْتَصرُون ، وَإِنْ فَقَدُوهَا ، ثُمّ مَلكُوا الكَون بمَا فِيهِ مِـن أَرْضـه إِلىٰ سَـمَائه فـهُم الخَاسرُون المُغبُونُون ، وهَذَا مَعْنَىٰ قَول الحُسَين عليه السلام فِي هَذَا الدُّعَاء الَّـذي نَـحنُ بصَدَده مُخَاطباً رَبّه : « مَاذَا وَجد مَنْ فَقَدك ؟ ! وَمَا الَّذي فَقَد مَن وَجَدك ؟ ! » .

وَلَم تَكُن أَقوَال الحُسَين إِلاَّ نَبضاً مِن أَعمَاق قَلْبَه يَتمرس بهَا وَيَـحيَاها ، وَلَـو جَرت عَلَيه الكَوَارث وَالخُطُوب ، فَلَقد قَالَ ، وَالسُّيُوف تَنْهَال عَلَيه مِن كُلّ جَانب : « هَوّن عَليَّ مَا نَزلَ بِيّ أَنَّه بعَيْن الله » .

فَالحُسَين يُسَرّ بالأَلَم وَالمُصَاب مَا دَام لله فِـيهِ رِضـىٰ ، فَـالحِكمَة وَالصَّـلاح وَالخَير هُو مَا يَخْتَاره الله ، وَإِنْ كَان فِيهِ ذِهَاب النَّفْس ، وَالأَهل وَالمَال ، فَإِنْ حَصَل شَيء مِن هَذَا فِي سَبِيل الله ، أَو حَصَلت مُجْتَمعَة لَمْ تَضْطَرب النَّفْس ، وَيَـتَزعزَع الإِيْمَان ، لأَنَّ رِضي الله هُو المَطْلَب وَالهَدَف .

هَذَا مَبْلَغ أَهْل الْبَيْت مِن الدِّين وَاليَقِين بـالله ، وهَـذِه مَـنْزلَتهم مِـن العِـلْم بـهِ سُبْحَانه ، وَالتَّوجه إِلَيهِ بالفِعْل قَبل القَول ، وَهَذَا هُو التَّجرد عَـن الدُّنـيَا وَغـايَاتها وَالغِنَاء فِي جَنْب الله عزّوجلَّ ، وَالإِلتجَاء إِلَيهِ ، وَهَذَا هُو التَّجلي وَالإِشرَاق وَالنُّور وَالكَشف ، وَبُلُوغ الكَمَال ، وَمَاذَا بَقِي لأَهل التَّصوف بَعْد قَول الحُسَين عليه السلام : « مَاذَا وَجد مَنْ فَقَدك ؟ ! وَمَا الَّذي فَقَد مَن وَجَدك ؟ ! » .

وَقَالَ : « إِلٰهي إِنَّ اَخْتلاَف تَدبِيرك ، وَسُرعَة طوَاء مَقَادِيرك مَنَعَا عِبَادك العَارِفِين بِكَ مِن السّكُون إِلىٰ عطَاء ، وَاليَأس مِنْكَ فِي بَلاَء » .

لَيْسَ للعَارِفِين وَأَهْل اليَقِين حَالاَت ، وَلاَ شَـخصيَات تَـتحوّل وَتَـتبَدل تَـبعَاً

للظُّرُوف وَالمُلاَبسَات، فَإِيمَانهم بالله أقوىٰ مِن أَنْ تُزَعزهُ الحَوَادث، وَثقَتهم بهِ فِي السَّرّاء تَمَامَاً كثِقَتهم فِي الضَّرّاء، لاَ يَبْطرُون عِندَ الصّحَة وَالغِنىٰ وَلاَ يَيأسُون عِندَ المَرض وَالفقْر، لأَنّ الحَالَين فِي طَرِيق الزَّوَال. قِيلَ لبَعْض الحُكمَاء: «مَالنَا لاَ نَرَاك فَرحَاً وَلاَ حَزِيناً؟.

فَقَال: لأَنَّ الغَائِب لاَ يَتلاَفىٰ بالعبْرَة، وَالآتي لاَ يُستَدَام بالحبْرَة.

وَقَالَ عزَّ مَنْ قَائِل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

وَمَا دَام الأَمر إِلىٰ مَقَادِير الله سُبْحَانه تَرْفَع الوَضيع، وَتُغني الفَقِير، وَتُمرض السَّلِيم، وَتُشفي السَّقِيم فَعَلاَم السّكُون إِلىٰ العَطَاء، وَاليَأس فِي البَلاَء؟!.

وَقَالَ:

«إِلٰهي أمرتَ بالرّجوع إِلىٰ الآثَار، فَأرْجِعني إِلَيكَ بكسوَة الأَنوَار، وَهِدَايَة الإِسْتبصَار، حَتّىٰ أَرْجع إِلَيكَ مِنْهَا، مَصُون السِّر عَن النَّظر إِلَيهَا، وَمَرفُوع الهِمّة عَن الإِعْتمَاد عَلَيهَا، إِنّك عَلىٰ كُلّ شَيء قَدِير».

يَقُول: إِلٰهي إِنّك خَلَقتَ الكَائِنَات، وَهي تَدل عَلَيكَ مِن كَبِيرهَا إِلىٰ صَغِيرهَا، وَأَمرتَنَا بالنَّظر فِيمَا أَوْدَعته فِيهَا مِن الحِكْمَة وَبدَائع الصُّنع وَالتَّكوِين لتَحصل لنَا المَعْرفَة مِن طَرِيقهَا بقُدرَتك وَعَظمَتك. وَلَكنّا نَسأَلك أَنْ تَهِبنَا نُوراً وَٱسْتبصَاراً مِن عِندَك، لنُؤمِن بِكَ مُبَاشَرة دُون أَنْ نَرجَع إِلىٰ الآثَار من خَلق السَّموَات والأَرْض، حَتّىٰ إِذَا رَأينَاهَا لَمْ نَزْدَد مَعْرفَة وَيَقِيناً بِكَ، بَل يَكُون رجُوعنَا إِلَيهَا كَخروجنَا مِنْهَا، لأَنّها لَمْ تُفْتَح لنَا أَبوَاباً جَدِيدَة للإِيمَان بِكَ بَعْد أَنْ زُودَت قُلوبنَا بالنُّور وَالسَّكِينَة.

---

(١) ٱلأَنْعَام: ١٧.

وَهَذَا هُو سَبِيل الصُّوفيَة الَّذي يَنْتَهي بالإِنْسَان إِلىٰ الإِيْمَان بـاللهِ عَـنْ طَـرِيق القَلْب لاَ عَنْ طَرِيق العَقْل وَأَقيسَته المَنْطقِيَة .

اَللّٰهُ كَرِيم

إِنَّ مَبدَأ النَّقص فِي الإِنْسَان ـ أَي إِنْسَان غَير مَعصُوم ـ وعَلَىٰ الأَصَح مَبدَأ أَهليَّة الإِنْسَان وَقَابليتَه للنَّقص، أَنَّ هَذَا المَبدَأ لاَ يُنقَض بحَال، فالإِنسَان أَبـدَاً وَدائـمَاً عُرْضَة للخَطَأ فِي القَوْل والعَمَل مَا دَام لاَ يَعْلَم الغَيب، وَمَا دَامَت أَفكَارَه وَبوَاعثَه تَتَجمّع مِن هُنَا وهُنَاك، وهُو دَائمَاً وَأَبداً عُرْضَة للوقُوع فِي الخَطِيئَة مَا دَامَت فِيهِ غَرِيزَة الرِّضىٰ وَالغَضَب، وَعَاطفَة الحُبّ وَالبُغض، وَشَهوَة الطَّعَام وَالجِنس.

ومِن هُنَا كَان كَمَال الإِنْسَان نِسبِيَاً، فَمَن يَشعر بأَنَّ أَفكَارَه وَآرَاءه تَـصورَات يَحسبهَا هُو إنعكَاسَاً عَن الوَاقِع، وأَنَّهَا تُخطيء وَتُصِيب فَهُو كَامل بالقِيَاس إِلَىٰ مَن يَرَاهَا عَين الوَاقِع.

أَنَّ العَاقِل اللَّبِيب يَبحَث عَن الحَقِيقَة، وَيَبذُل قُصَارىٰ جُهدَه للوصُول إِلَيهَا، فَإِنْ رَأىٰ أَنَّه قَد بَلَغها مَضىٰ عَلَىٰ رَأيَه، وعَمَل بِهِ حَتَّىٰ يَتَبيَّن لهُ خَير مِنْهُ. ومَن قَـالَ: هَذَا رَأي وَكَفىٰ، وهُو الحَقّ وَلاَ شَيء سوَاه فَهُو أَبعَد النَّـاس عَـن المَـعرِفَة، لأَنَّ أَسَاس العِلْم أَنْ يَتّهم الإِنْسَان نَفْسَه وَيَحتَمل الخَطأ فِي أَفكَارَه كَمَا يَحتَمل فِـيْهَا الصَّوَاب.

وكَذَلكَ ٱلمُؤْمِنُون بالدَّار الآخرَة يَفعلُون مَا يُؤمَرُون، وهُم يَرجُون رِضـىٰ الله وَثوَابه، لأَنَّهُم عَملُوا لهُ بإخلاَص وفِي نَفْس الوَقت يَخَافُون مِن غَـضَبه وَعـقَابه

خَشيَة التَّقصِير وَالتَّفرِيط، كمَا وَصَفهُم الإمَام عَليّ بن أبي طَالب عليه السلام: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ -أي أنفس الْمُؤْمِنِينَ- فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ»[1].

وَتَرىٰ هَذَا الوَصف مُجسماً فِي أَقوَالِهِم وَشعُورهُم، وهُم يُنَاجُون خَالق الكَائنَات، وَيَتضرعُون إلَيهِ طَلَباً للعَفو وَالمَغفرَة، وَإنّك لتَحسّ، وَأَنتَ تَقرَأ تِلكَ المُنَاجَاة أَنَّهُم قَد تَجردُوا عَن الشَّهوَات، وَمحُوا مِن أَنفسهِم جَمِيع الأَهوَاء وَالغَايَات، وَقَد تَرَاني أَيُّهَا القَاريء مُغَالياً فِي قَولي هَذَا، لأَنّك تَرىٰ مَع مَن يَرىٰ أَنَّ الإنْسَان مَهْمَا سَمىٰ بأَخلاَقه فَإنّه لاَ يَرتَقي إلَىٰ مَا فَوق الظُّرُوف وَالبِيئَات وَلَكن بمَاذَا تُفسّر هَذِهِ الذَّروَة فِي كَلاَم الإمَام زَين العَابدِين عليه السلام، وهُو يُنَاجي رَبّه الكَرِيم بقَوْله:

«رَبِّ أَفْحَمَتْنِيْ ذُنُوبِي، وَانْقَطَعَتْ مَقَالَتِي، فَلاَ حُجَّةَ لِي، فَأَنَا الأَسِيرُ بِبَلِيَّتِي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي، الْمُتَرَدِّدُ فِي خَطِيئَتِي، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي، الْمُنْقَطَعُ بِي.

قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْقِفَ الأَذِلاَّءِ الْمُذْنِبِينَ، مَوْقِفَ الأَشْقِيَاءِ الْمُتَجَرِّينَ عَلَيْكَ، الْمُسْتَخِفِّينَ بِوَعْدِكَ. سُبْحَانَكَ! أَيَّ جُرْأَةٍ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ؟ وَأَيَّ تَغْرِيرٍ غَرَّرْتُ بِنَفْسِي!....

مَوْلاَيَ إرْحَمْ كَبْوَتِيْ لِحُرِّ وَجْهِي، وَزَلَّةَ قَدَمِي، وَعُدْ بِحِلْمِكَ عَلَىٰ جَهْلِي، وَبِإحْسَانِكَ عَلَىٰ إسَاءَتِي، فَأَنَا الْمُقِرُّ بِذَنْبِي، الْمُعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِي، وَهَذِهِ يَدِيْ،

(١) انظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (١٩٣). (منهُ رحمه الله).

وَنَاصِيَتِي ، أَسْتَكِينُ بِالْقَوْدِ مِنْ نَفْسِي ؛ إِرْحَمْ شَيْبَتِي ، وَنَفَادَ أَيَّامِي ، وَاقْتِرَابَ أَجَلِي ، وَضَعْفِي ، وَمَسْكَنَتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي »[١].

وَنتسَاءل : هَل انْتَقل هَذَا الشُّعور إِلَىٰ الإِمَام بالعَدوىٰ ، أَو اكتَسبَه مِن البِيئَة ، وَقَد عَاش فِي عَصْر الأُمويِّين ، عَصْر الظُّلم والفَسَاد . وقَديماً قِيل : النَّاس عَلَىٰ دِين ملُوكهِم ؟ .

كَلَّا ، لاَ سَبَب لهَذَا اليَقِين إِلَّا المَعْرفَة بقَدر الله وَعَظَمَته ، وإِلَّا النَّظر العَمِيق يَخْتَرق الحُجب وَالظَّوَاهر ، وَيُدرك الحَقَائق الَّتي تَطمئن إِلَيهَا النَّفس ، وَيقرّها العَقْل .

لَقَد تَاقَت نَفْس الإِمَام إِلَىٰ الخَيْر ، لأَنَّهَا جُبلَت مِن الخَيْر ، وَأَتَاه اليَقِين ، لأَنّه جَرىٰ مَع فِطرَة الله الَّتي فطَر النَّاس عَلَيْهَا ، وَتَمَرد عَلَىٰ كُلّ مَا اعتَرضَه مِن عوَامل البِيئَة وَالظُّرُوف الَّتي تُعمي البَصَائِر ، وَتُفسد الضَّمَائر .

وقَالَ :

« أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْهِبُكَ يَا إِلَهِي مَا لاَ لم يَنْقُصُكَ بَذْلُهُ ، وَأَسْتَحْمِلُكَ مَا لاَ يَبْهَظُكَ حَمْلُهُ ، أَسْتَوْهِبُكَ ـ يَا إِلَهِي ـ نَفْسِيَ الَّتِيْ لَمْ تَخْلُقْهَا لِتَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ ، أَوْ لِتَطَرَّقَ بِهَا إِلَىٰ نَفْع .... أَنَّ تَفْعَلُ ذٰلِكَ يَا إِلَهِي بِمَنْ خَوْفُهُ مِنْكَ أَكْثَرُ مِنْ طَمَعِهِ فِيكَ وَبِمَنْ يَأْسُهُ مِنَ النَّجَاةِ أَوْكَدُ مِنْ رَجَآئِهِ لِلْخَلَاصِ ؛ لَا أَنْ يَكُونَ يَأْسُهُ قُنُوطاً ، أَوْ أَنْ يَكُونَ طَمَعُهُ اغْتِرَاراً ؛ بَلْ لِقِلَّةِ حَسَنَاتِهِ بَيْنَ سَيِّئَاتِهِ ، وَضَعْفِ حُجَجِهِ فِي جَمِيعِ تَبِعَاتِهِ »[٢].

(١) أُنظر ، الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة : الدُّعَاء الثَّالِث وَالخَمسُون دُعَاؤُهُ فِي التَّذَلُّل للهِ عزَّ وَجَلّ .

(٢) أُنظر ، الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة : الدُّعَاء التَّاسِع وَالثَّلاَثُون دُعَاؤُهُ فِي طَلَب العَفْو .

ولَيْسَ هَذَا اَعْتِرَافاً بالذّنب، وإنَّمَا هُو ضَرب مِن عِبَادَة العَارفِين، وَنَـوع مِـن إنكَار الذَّات، وَمَظهَر مِن مَظَاهر السَّيطرَة عَلَىٰ الأَهوَاء وَالشَّهوَات، وَأُسلُوب فَرِيد فِي الإِرشَاد وَالرّجُوع إِلَىٰ الله سُبْحَانَه، والخَوْف مِن حسَابِهِ وَعقَابه، وَحُجّة بَالغَة عَلَىٰ مَن يَصر عَلَىٰ الخَطِيئَة، وَالجَهل، وَالضَّلالَة. فَمِن النَّاس مَن يَسهَل عَلَيهِ كُلّ شَيء إلّا الإعترَاف بالخَطِيئَة، فَشَجعهُ الإِمَام عَلَىٰ الإِقرَار بالذّنب وَطَلب اَلتَّوْبَة، وَضَربَ لهُ مَثلاً مِن نَفسه، لِيُفهمَهُ بأَنَّ الإعترَاف بالذّنب والإِقلاَع عَنْهُ كـفَّارَة لهُ، وَالإِصرَار عَلَيهِ جُرم لاَ يُغْتَفر.

أَمَّا قَوْل الإِمَام: «أَسْتَوْهِبُكَ ـ يَا إِلٰهِي ـ نَفْسِيَ الَّتِيْ لَمْ تَخلُقْهَا لِتَمْتَنِعَ بِـهَا مِـنْ سُوءٍ»، أَمَّا هَذَا النَّوع مِن المَنطق فَسنُعَلق عَلَيهِ بَعد أَنْ نَنقُل الكَلمَات التَاليَة:

«أَللَّهُمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إرَادَتَكَ، أَوْ زَالَ عَنْ مَـحَبَّتِـكَ مِـنْ خَـطَرَاتِ قَلْبِي، وَلَحَـظَاتِ عَيْنِي، وَحِكَايَاتِ لِسَانِي، تَوْبَةً تَسْلَمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَةٍ عَلَىٰ حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأْمَنْ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيْمِ سَطَوَاتِكَ.

أَللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِـنْ خَشْـيَتِكَ، وَاَضْـطِرَابَ أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ، فَقَدْ أَقَامَتْنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ، فَإِنْ سَكَتُّ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ»[1].

قَد يَرىٰ البَعْض هَذِهِ الأَقوَال شُكرَاً أَو اَستعطَافَاً، أَو تَنبِيهَاً للغَافلِين، أَمَّـا أَنَـا فَأَرَاها إحتجَاجَاً بكُلّ مَا فِيهِ مِن مَـعْنَىٰ، وَدفَـاعَاً «حَسَب الأُصُـول المَـرعيّة» وَلَيْسَ فِي قَولي هَذَا جُرأَة عَلَىٰ الله سُبْحَانَه، وَتَهجُم عَلَىٰ عَظَمَته، فَقَد جَاء فِـي

(١) أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجَّاديَّة: الدُّعَاء الحَادي وَالثَلاثُون دُعَاؤُهُ بِالتَّوبَةِ.

الذِّكر الحَكِيم: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ﴾(١).

وَبَديهَة أَنَّ نَفي الحُجّة يَستَلزم إِمكَان ثبُوتهَا، فَإِذَا قُلت: لَمْ أُسَافر فَمعنَاه أَنَّ السَّفر مَقدُور لَك، وَلكنَّك لَمْ تَفعَله.

هَذَا، وأَنَّ الله عَادل حَكِيم، وَالعَادل لاَ يُعَاقب حَتَّىٰ يُحَاكم، وَلاَ يُحَاكم حَتَّىٰ يُؤمّن المُتّهَم، وَيُزِيل عَن نَفْسَه الخَوْف عَلَىٰ حقّه فِي الدّفَاع، ومَهْمَا كَان يَوْم القِيَامَة رَهيبَاً وَعَجيبَاً، وكَان الحسَاب دَقِيقَاً وَعَسِيراً فكُلّ نَفْس تَطمَئن إِلَىٰ حُكم الله وَعَدلَه، وتَعْلَم عِلْم اليَقِين أَنَّها لاَ تَظلم شَيْئَاً فَإِذَا جَزَعَت وَخَافت فَإِنّمَا تَخَاف مِن ذنُوبهَا وَسَيئَاتهَا.

وَلَكن هَذِهِ السَّيئَات لاَ تَسلُب صَاحبهَا حَقّ الدّفَاع عَن النَّفس، فَإِنَّ المُذنِب وَالبَريء فِيهِ سوَاء، وعَلَىٰ الحَاكِم أَنْ يَفسَح المجَال للإِثنَين دُون تَفَاضُل، حَتَّىٰ وَلَو ظَهَرت قَرَائِن الإِقتنَاع وَدلاَئل الإِدَانَة، بَل أَنَّ المُذنِب أَولىٰ مِن البَريء فِي هَذَا الحَقّ، فَإِنَّ لهُ بَعد ثبُوت الجُرم عَلَيهِ أَنْ يُدلي بأَسبَاب العَفو عَنْهُ، أَو التَّخفِيف مِن العُقُوبَة، بخَاصّة إِذَا وَجد السَّبِيل إِلَىٰ ذَاك، وَلاَ شَيء أَكْثَر مِن السُّبل إِلَىٰ مَغفرَة الله وَرَحمَته، ومِنْهَا الإِعترَاف بالتَّقصِير وَطَلَب العَفو وَالرّضْوَان.

لَقَد كَتَب الله عَلَىٰ نَفْسَه الرَّحمَة، وَخَاطَب عِبَادَه بقَولَه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٢).

إِذَن يَحق لكُلّ مَن يُحَاكَم بَيْنَ يَدَيه أَنْ يَطلُب العَفو وَالرَّحمَة، وَيَحتَج بتَفَضُله

(١) ٱلنِّسَاء: ١٦٥.

(٢) ٱلزُّمَر: ٥٣.

وَإحسَانَه وَعَدم إفتقَارَه إلَىٰ شَيء، وَٱسْتَمع إلَىٰ مَنطق الإمَام الصَّارم الحَازم:

«أَللَّهُمَّ فَإِنِّي ٱمْرُؤٌ حَقِيرٌ، وَخَطَرِي يَسِيرٌ، وَلَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَكِنْ سُلْطَانُكَ أَللَّهُمَّ أَعْظَمُ، وَمُلْكُكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبِينَ»[١].

وَهَذِهِ حَقِيقَة صَافيَة نَقيَّة، وَدستُور إلٰهي لاَ تَحول دُون تَطبِيقَه القِوىٰ مُجْتَمعَة. وَبوَاقع الحَال لاَ يُطبق هَذَا الدّستُور إلَّا عَلَىٰ مَن دَان بِهِ وَآمَن بالله وَثوَابه وَعقَابه، أَمَّا الجَاحد فَقَد قَطَع الطَّرِيق عَلَىٰ نَفْسَه، وَٱختَار لهَا سُوء المَصِير وَالتَّكذِيب وَإعلاَن الحَرب عَلَىٰ الله، وَلَم يَدّع لهَا حُجّة تَستَند إلَيهَا، وَعُذراً تَعتَذر بِهِ.

أَجل، أَنَّ الله كَتَب الرَّحمَة عَلَىٰ نَفْسَه، ولَكن لمَن آمَن بِهَا وَأَيقَن. وهُو يَغفر الذّنُوب، وَلَكن للمُؤمِن، لأَنَّ ذَنبَه لاَ يَخرجَه عَن الأيمَان، فَلَهُ أَنْ يَتَذرَع بإِيمَانه، وأَنْ يَسأَل الله العَفو، وَلاَ يَقطَع الرَّجَاء حَتَّىٰ وَلَو رَأىٰ العَذَاب وَجهاً لوَجه، كَمَا أَسلَفنَا مِن قَوْل الإمَام: «لَئن أَدخَلتَني النَّار لأُخبَرنَّ أَهلهَا بحُبي لَك». وَبمَاذَا يَتَذرَع الجَاحد بَعد يَأسَه وقَوْلَه: لاَ رَبّ، وَلاَ بَعْث، وَلاَ نشُور، وَلاَ جنَّة، وَلاَ نَار. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٢]؟!

قَد يَكُون الَّذي يَستَمع إلَىٰ مُنَاجَاة الإمَام عَالِمَاً، أَو فَيلسُوفَاً، أَو أَدِيبَاً، أَو مُؤرّخاً، وَقَد يَكُون جَاهلاً، وَقَد لاَ يُؤمن بشَيء، ومَهْمَا يَكُن فَإنّه يَشعر فِي قَرَارَة نَفْسَه بالرَّهبَة، وَالجَلاَل لهَذَا المَنطق، لأَنّه يُعبّر عَن وَاقع لاَ رَيب فِيهِ، وَيَفرُض

(١) أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجَّاديّة: الدُّعَاء الخَمْسُون دُعَاؤُهُ فِي الرَّهْبَة.

(٢) ٱلمُؤمنُون: ٣٧.

نَفْسه عَلَىٰ كُلّ إِنْسَان مِن حَيْث يَشعُر أَو لاَ يَشعُر : ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[1] .

وَهَذَا مَا أَرَادَه الإِمَام مِن مُنَاجَاته ، أَرَاد أَنْ يَعُود بالنُّفُوس إِلَىٰ فِطرتهَا ، وَيُحيِّيها بالأَمل وَالشّجَاعَة ، وَيَحملهَا عَلَىٰ اليَقِين بأَنَّ سَبِيل الأَمَان وَالنَّجَاة هُو الإِيمَان بالله ، وأَنَّ أَبْواب الرَّجَاء وَالخَلاَص مَفتُوحَة أَمَام المُؤْمِن وَإِنْ كَثُرت ذُنُوبَه وَتَنوعَت ، وأَنَّه لاَ نَجَاة وَلاَ أَمَان لجَاحد فِي كُلّ حَال ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[2] .

قَرّر الإِمَام هَذِهِ الحَقِيقَة بكُلّ هُدُوء وَبأُسلُوب يَأخذ بمجَامع القُلُوب ، وَيُزِيل مِنْهَا الشّكُوك بمَنطق يُدْهش العُقُول لبَسَاطَته ، ولَكنَّه أَقوىٰ تَأثِيراً مِن جَمِيع الوَسَائِل ، وَالأَقيسَة الَّتي يَتَذرَع بِهَا العُلمَاء ، والفَلاَسفَة . وهُنَا سرّ الإِعجَاز .

وَمِن الخَيْر أَنْ نَنقُل بهَذِهِ المُنَاسبَة الحَدِيث التَالي :

لمَّا نَزَلت هَذِهِ الآيَة : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[3] .

قَالَ رَسُول الله : ﴿رَّبِّ زِدْنِى﴾ .

فَنَزل قَوْلَه تَعَالىٰ : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَايُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾[4] .

فَقَال الرَّسُول : ﴿رَّبِّ زِدْنِى﴾ . فَنَزل قَوْلَه تَعَالىٰ : ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا

(١) ٱلنَّمْل : ١٤.

(٢) ٱلنِّسَاء : ٤٨.

(٣) ٱلنَّمْل : ٨٩.

(٤) ٱلأَنْعَام : ١٦٠.

كَثِيرَةً﴾[١] . وَالكَثِير عِندَ الله لاَ يَدخُل فِي حسَاب[٢] .

ومِن أَحكَام الفِطرَة أَنَّه إِذاكَان لَدَيك دِين عَلَىٰ غَيرُك فَأَنتَ مُخيَّر بَيْنَ أَنْ تعفُو عَنْهُ ، أَو تَأخذَه دُون زيَادَة ، أَمَّا إِذاكَان الدَّين عَلَيك فَإِنْ شِئتَ رَددتَه كَمَا هُو عَدلاً وَإِنصَافاً ، أَو زُدتَ تَفضلاً وَإِحسَاناً .

وَجَاء فِي الحَدِيث أَنَّ أَعرَابيّاً سَأَل النَّبيّ ﷺ : « مَن يَلي حِسَاب الخَلق يَوْم القِيَامَة ؟ .

فَقَال النَّبيّ : الله عزّوجلّ .

فَقَال الأَعرَابي : هُو نَفْسَه ؟ .

قَالَ النَّبيّ : نَعَم . فَتَبسم الأَعرَابي . وَلمَّا سَأَلهُ النَّبيّ عَن ذَلِكَ ؟ .

قَالَ : نَجوَنَا وَرَبّ الكَعبَة ، إِنَّ الكَرِيم إِذَا قَدَر عَفَا ، وإِذَا حَاسَب سَمح .

قَالَ النَّبيّ : لاَ كَرِيم أَكرَم مِن الله ..... »[٣] .

وَلسَائِل أَنْ يَسأَل : لَو أَنَّ إِنسَاناً عَمَل للصَّالح العَام ، فَشَق طَرِيقَاً ، أَو بَنىٰ مَدرسَة ، أَو مُستَشفىٰ ، وهُو لاَ يُؤمِن بالله وَلاَ باليَوم الآخر ، فَهَل يُثَاب عَلَىٰ عَمَله هَذَا ، وَيُعَد عِند الله مِن الطَّيبين الأَخيَار ؟ .

وَالجَوَاب :

أَنَّ الفِعل الحَسَن مَطلُوب لِذَاتَه لاَ يُغَيّره القَصد عَن حَقِيقَته ، وَلاَ لَون الفَاعل عمَّا هُو عَلَيهِ ، فإِنتشَار العِلْم ، وَتَطبِيب المَرضىٰ ، وَتيسِير المَواصلاَت كُلّ ذَلِكَ وَمَا

---

(١) اَلبَقَرَة : ٢٤٥ .

(٢) أُنظر . تَفسِير الدُر المَنثُور : ٣ / ٢٣٩ .

(٣) تَقدَّمَت تخرِيجَاته .

إلَيهِ مَحبُوب عِندَ الله سُبْحَانَه سوَاء أَحَصل مِن مُتَدَين أَو جَاحد. ولَكن الَّـذي لاَ يَعْتَرف بوجُود الله، وَلاَ يَعمَل ٱنقيَاداً لدَعوَته لَيْسَ لهُ أَنْ يَطلب مِنْهُ الأَجر وَالجَزَاء مَا دَام لَمْ يَقصد وَجهَه الكَرِيم، كَمَا أَنَّه لاَ يَجْب عَلَيهِ سُبْحَانَه أَنْ يُثِيب مَن لاَ يَشعر بقوّته وَجلاَله، وهَل تَقدَر أَنْتَ مَن لاَ يَرَاك شَيْئاً كَائناً مَن كَان ؟ !.

أَنَّ هَذَا الرَّجُل الَّذي فَعَل الخَيْر لوَجه لاَ لشُهرَه وَلاَ للدّعَايَة إِلَىٰ نَفْسَه لاَ شَكّ أَنَّه إنسَاني يَستَأهل الحَمْد والثَّنَاء مِن النَّاس عَلَىٰ مقَاصدَه النَّبيلَة، وَعَملَه مِن أَجل الإِنْسَان، وَلَكن الفَرق بَعِيد جداً بَيْنَ مَن يَعمَل لخَير النَّاس، وهُو مُؤمِن بأَنَّه فَرض أَوجَبه عَلَيهِ مَبدَأ أَسمىٰ، وأَنَّه مَسؤول عَن العَمَل لاَ يَجُوز لهُ تَركَه بحَال، وبَيْنَ مَن يَفعَله وهُو لاَ يَرىٰ نَفْسَه مُلزمَاً بشَيء أَو مَسؤولاً عَن شَيء.

أَنَّ الثَّواب مِن الله لاَ يَجْب إِلَّا مَع قَصد الطَّاعَة لهُ المُقَارن للتَّعظِيم وَالإِجلاَل. هَذَا إلَىٰ أَنَّ الله سُبْحَانَه لاَ يَقبَل إِلَّا مِن المُتّقِين الَّذِين يُؤمنُون بهِ وَبلقَائه فِي يَـوْم الدِّين وَبهَذَا نَطَق ٱلْقُرْءَان الكَرِيم: ﴿لَـئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَـمَلُكَ وَلَـتَكُونَنَّ مِـنَ ٱلْخَـسِرِينَ﴾[1].

وَقَولَه تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَـٰٓئِكَ حَـبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾[2].

وَقَولَه تَعَالىٰ: ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَـحَبِطَتْ أَعْـمَـٰلُهُمْ فَلَانُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[3].

أَي لاَ قِيمَة لهُم عِندَنا وَلاَ كَرَامَة، وَلاز نَعتَمد بِهم وَلاَ بأَعمَالهم، لأَنَّهُم أَوقَعُوهَا

(١) ٱلزُّمَر: ٦٥.

(٢) ٱلبَقَرَة: ٢١٧.

(٣) ٱلكَهَف: ١٠٥.

عَلَىٰ غَير الوَجه الَّذي يَستَحقُون عَلَيهِ الأَجر وَالثَّواب .

وَمَهْمَا يَكُن ، فَإِنَّ كُلًّا مِن الإِيمَان وعَمَل الخَيْر جُـزء مُـتَمم للـثَّاني لاَ يُـغني أَحدهُما عَن الآخر ، وَبهذَا صَرّحَت الآيَة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَـلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَـيَوٰةً طَـيِّبَةً وَلَـنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْـرَهُم بِأَحْسَـنِ مَـا كَـانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

إِذَن الإِيمَان بالله شَرط أَسَاسي لجَزَائه وَثوَابه .

أَنَّ مَن يُؤمِن بالله واليَوْم الآخر يُقَابل غَداً بَيْنَ حَسنَاته وَسَيئَاته وَيَـنظُر أَيَّـتها أَكْثَر ، فَإِنْ كَانَت الإِسَاءَة كَان كمَن لَن يُحسِن ، وَإِنْ كَان الإِحسَان ، كمَن لَم يُسيء ، إِذْ الأَكثَر يَنفي الأَقل ، وَإِنْ تَساويَا كَان كمَن لَم يَصدُر عَنْهُ شَيء ، هَذَا فِيمَا يَعُود إِلَىٰ حَقّ الله فَقَط .

أَمَّا حَقّ النَّاس كَالزّنىٰ ، والسَّرقَة ، وَالعُدْوَان ، فَالعِقَاب مُستَحق عَلَىٰ كُلّ حَال ، وَلاَ تَقَارن وَتوَازن بَيْنَ مَا قَلّ وَكثُر .

أَمَّا الجَاحد ، أَمَّا مَن لاَ يُؤمِن بالله وَلقَاء رَبّه فَلاَ يَعد مُـطيعاً وَعَـاصياً فِـي آنٍ وَاحد ، بَل هُو عَاص فَحَسب ، لأَنَّ الجحُود سَيئَة لاَ تُقبَل مَعَهَا حَسَنَة ، وَلَيْسَ بَعد الشِّرك إِلَّا العَذَاب .

قِيل لأَحد العُلمَاء : هَل يَدخُل النَّار أَحد بدُون حسَاب ؟ .

قَالَ : نَعَم .

قِيل : وَهَل مِن العَدْل أَنْ يُعَاقب الله دُون أَنْ يُحَاسب ؟ .

قَالَ : مَن لَمْ يَعمَل حَسنَة وَاحدَة فِي حَيَاته كُلّها ، وكَانَت جَمِيع أَعمَاله سَيئَات لاَ يَحتَاج إِلَىٰ حسَاب .

وَالحَمْد لله أَوّلاً وَآخراً ، وَالصَّلاَة عَلَىٰ سَيّدنَا مُحمَّد وَآله الأَطْهَار .

---

(١) النَّحل : ٩٧.

الفهارس الفنية العامة

فَهْرَس الْآيَات

المائدة

الأنعام

فَهْرَس الْأَحَادِيث

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
عَظمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ -أي أنفس الْمُؤْمِنِينَ- فَصَغُرَ مَا دُونَهُ	١٤٤
لَقَد كَشَفَ الله الغطَاء لأصحَاب الحُسَين حَتَّىٰ رَأوا مَنَازلهُم	١٤٥
مَا خَلَق الله العِبَاد إلّا ليَعْرفُوه، فَإذَا عَرفُوه عَبدُوه	١٤٧
الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ	١٤٧
مَن حَاوَل أمراً بمَعْصِيَة الله كَان أفوَت لِمَا يَرجُو	١٤٨
إنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إلَّا مَا مَلَّكَنَا	١٤٩
الوَفَاء مُرُوءَة، وَالإسْتكبَار صَلَف	١٤٩
دِرَاسَة العِلْم لُقَاح المَعْرفَة؛ وَطُول التَّجَارب زِيَادَة فِي العَقْل	١٥١
شَرّ خِصَال المُلُوك الجُبْن عَن الأعدَاء، وَالقَسوَة عَلىٰ الضُّعفَاء	١٥١
السَّاكتُ عَن الْحَقّ شَيْطَان أخرَس	١٥١
أَفْضَل الْجِهَاد كَلِمَة عَدلٍ عِندَ إمَام جَائِر	١٥٢
لَوْلاَ ثَلاَث مَا وَضع ابْن آدَم رَأسَه لشَيء: الفَقْر وَالمَرْض	١٥٤
مَا افْتَقر النَّاس وَلاَ جَاعُوا وَلاَ عَروا إلَّا بذنُوب	١٥٤
إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أمْوَالِ الأغْنِيَاءِ أقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ	١٥٤ و ٢٤٠
إلٰهي أنَا بَيْنَ يَدَيك لاَ ذُو بَرَاءَة فَاعْتَذر	١٥٥
يَا شَيخ! هَل قَرَأت القُرْآن؟	١٦١
كَيف نُصَلّي عَلَيكَ يَا رَسُول الله فَقَالَ: قُولُوا: أللَّهُمَّ صَلّ	١٦٤
مَا يَمْنَعني مِن ذَلكَ، بلسَاني نَزَل الْقُرْءَان؟	١٧١
مَا خَلَق الله حَلاَلاً وحراماً إلَّا وَلَهُ حَدّ	١٧٢
حَلاَل مُحَمَّد حَلاَل أبَداً إلىٰ يَوْم الْقِيَامَة	١٧٣

طَرَف الحَدِيث	الصَّفحَة

طرف الحديث	الصفحة

طَرَف الحَدِيث	الصَّفحَة
إلٰهي أمرتَ بالرّجوع إلىٰ الآثار، فأرْجِعني إليكَ بكسوَة الأنوَار	٤٥١
إلٰهي إنك خلقتَ الكائنَات، وَهي تدل عَليكَ مِن كَبيرهَا إلىٰ	٤٥١
رَبِّ أفحَمَتْنِيْ ذُنُوبِي، وَانْقطعَتْ مَقَالَتِي، فلاَ حُجّةَ لِي	٤٥٤
أللّهُمَّ إنِّي أسْتَوْهِبُكَ يَا إلٰهِي مَا لا لم يَنْقُصكَ بَذْلُهُ	٤٥٥
أسْتَوْهِبُكَ -يَا إلٰهِي- نَفسِيَ الَّتِيْ لَمْ تَخْلُقْهَا لِتَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ	٤٥٥
أللّهُمَّ فإنِّي امْرُؤٌ حقِيرٌ، وَخطَرِي يَسِيرٌ، وَلَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيد	٤٥٨
لئن أدخَلتَني النَّار لأُخبرَنَّ أهلهَا بحُبي لَك	٤٥٨
لاَ كَرِيم أكرَم مِن الله	٤٦٠

فَهْرَسُ المصَادِر المَطْبُوعَة وَالمَخْطُوطَة

١. القُرْآن الكَرِيم، كِتَاب الله تَبَارَك وتَعَالىٰ الحَيّ القَيُّوم.

حَرْف الأَلف

٢. الإِبانة عَن أُصُول الدِّيَانة، لِابْن بَطَّة الفَلكي، دِمَشق، الطَّبعة الأُولىٰ.

٣. الإِبانة عَن أُصُول الدِّيَانة، لأَبي الحَسن عَليّ بن إِسمَاعِيل الأَشعَريّ، طَبعَة القَاهرَة ١٣٥٩ هـ، وَطَبعَة مَكتَبة دَار البَيَان دِمَشق ١٤٠١ هـ.

٤. الإِتحَاف بِحُبّ الأَشرَاف، للشَّبرَاويّ الشَّافِعيّ (ت ١١٧٢ هـ ق)، تَحقِيق: مُحمّد جَابر، المَطبعَة الهِندِية العَربِية ١٢٥٩ هـ وَطَبعَة ـ مَصْر ١٣١٣ هـ، وأُعيد طَبعَه فِي ـ إيرَان ١٤٠٤ هـ، وَطَبعَة دَار الكتَاب الإِسلاَمي بِتَحقِّيقنا.

٥. إتحَاف السَّادَة المُتقِين بِشَرح إحيَاء عُلُوم الدِّين، لأَبي الفَيض مُحمّد بن مُحمّد الحُسَيْنيّ الزّبَيديّ، طَبعَة دَار الفِكر ـ بَيرُوت.

٦. إسعَاف الرَّاغبِين فِي سِيرة المُصْطَفىٰ وَأَهل البَيْت الطَّاهِرِين (بهَامش نُور الأَبصَار)، للشَّيخ مُحمّد بن عَليّ الصَّبان، طَبع العُثمَانِية.

٧. الآثَار البَاقِية عَن القرُون الخَالِية، لِمُحمَّد بن أَحْمَد البَيرُوني. طَبْعَة لَيبك عَام ١٩٢٣م.

٨. الأَخْبَار الطِّوَال، لأَحمَد بن دَاود الدّينوريّ (أَبُو حَنِيفَة ت ٢٨٢ هـ)

تَحْقِّيق : عَبدالمُنعم عَامر . طَبْعَة دَار المَسِيرة ـ بَيْرُوت ، طَبْعَة دَار إحـيَاء الكُـتْب العَربية سَنَة (١٩٦٠ م) .

٩. الأَنوَار القُدسيَّة فِي بَـيَان العـهُود المُـحمّديَّة ، عَـبدالوهّـاب بـن أَحـمد الشَّعرَاني ، أُخذ بالوَاسطَة .

١٠. الأَنوَار القُدسيَّة للسَّنهُوتي ، أُخذ بالوَاسطَة .

١١. الإرشَاد الهَادي إِلىٰ مَنْظُومَة الهَادِي فِي العَقَائِد الزَّيدِيَّة ، لِابْن الوَزِيـر ، (مَخْطُوط) ، دَار الكُتب المَصْرِيَة رَقَم « ٥٨٧ » .

١٢. أَسْبَاب النُّزول ، أَبِي الحَسَن عَـليّ بـن أَحْـمَد بـن مُـحَمَّد الوَاحِـدِي . (ت ٤٦٨ هـ/ ١٠٧٦ م) وَبِهَامشه النَّاسخ وَالمَـنْسُوخ لِهِـبَة الله سَـلاَمَة . عَـالم الكُتْب . بَيْرُوت : لُبْنَان .

١٣. الإستِيعَاب فِي مَعْرِفَة الأَصْحَاب ، يُوسُف بن عَبدالله بن مُحَمَّد القُرطبي أَبُو عُمْر المَشهُور بِابن عَبد البر النمري ، (ت ٤٦٣هـ) . تَحْقِّيق : عَليّ مُحَمَّد مُـعوض دَار الكُتْب العِلْمِيَة . بَيْرُوت ـ لُـبْنَان . وتَـحْقِّيق عَـليّ البَـجَاوي . طَـبْعَة القَـاهِرَة وَبِهَامش الإِصَابَة .

١٤. أُسد الغَابَة فِي مَعْرِفَة الصَّحَابَة ، لأَبِي الحَسَن عِزِّ الدّين عَليّ بن أَبِي الكَرَم مُحَمَّد ابن مُحَمَّد بن عَـبد الكَـرِيم الشّـيبَانيّ المَـعْرِوف بِابـن الأَثِـير الجَـزْريّ (ت ٦٣٠ هـ ق) ، تَحْقِّيق : مُـحَمَّد إِبـرَاهِـيم ، طَـبْعَة ـ القَـاهرَة ١٣٩٠ هـ ، وَطُـبع بِالأُفست فِي المَكْتَبَة الإِسْلاَمِيَّة للحَاج رِيَاض ، وَطَبع المَطْبَعَة الوَهبِية بِمَصْر .

١٥. أَسْنىٰ المَطَالب فِي نَجَاة أَبِي طَالب ، لأَحمد زَيني دَحلاَن (ت ١٣٠٤ هـ ق) ، طَبعَة ـ مَصر ١٣٠٥ هـ . وَطَبع دَار الكتَاب العَربي بَيرُوت ١٤٠٥ هـ .

١٦. أَسْنىٰ المَطَالب فِي أَحَادِيث مُخْتَلفة المَرَاتب ، لمُحَمّد بن دَويش الحوت

البَيْرُوتِي ، دَار الكتَاب العَربي ١٣٩١هـ، وَمَطبعَة مُصطفىٰ ـ مَصر ١٣٥٥ هـ، طَبعة مَصر ١٤١٦ هـ، طَبعَة دَار الفِكر الإِسلاَمي بَيرُوت ١٤٠٨ هـ.

١٧. أَسْنىٰ المَطَالب فِي منَاقب عَليّ بن أَبي طَالب ، لمُحَمّد بن عَليّ بن يُوسف الجَزريّ الشّافعيّ (ت ٨٣٣ هـ ق) ، طَبعَة ـ مَكّة المُكَرمَة ١٣٢٤ هـ، وَطَبع دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربي ١٣٢٨ هـ.

١٨. الإِشرَاف عَلىٰ فَضل الأَشرَاف ، لإِبرَاهيم الحَسنيّ الشّافعيّ السّمهوديّ المَدنيّ تَحقِيق : سَامي الغُرِيري ، طَبع دَار الكتَاب الإِسلاَمي .

١٩. الإِصْبَاح عَلىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتّاح ، الإِمَام النّاصر لدِين الله إِبرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أَحمَد المُؤيدي ، تَحقِّيق : السَّيِّد العَلاَّمة عَبدالرَّحمن بن حُسِين شَايم ، طَبْع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد الثَّقَافِية .

٢٠. الإِصَابَة فِي تَمييز الصَّحَابة ، مُحَمَّد بن حَبِيب البَغْدَادِي . طَبْعَة مَولاىٰ عَبدالحَفِيظ . القَاهرَة (١٣٢٨ هـ) .

٢١. الإِصَابَة فِي تَمييز الصَّحَابة ، (بهَامش الإِستِيعَاب لابْن عَبدالبَر) . أَحْمَد ابن حَجر العَسْقلاَني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) . دَار العُلوم الحَدِيثة . وَطَبعات أُخرىٰ لاَحقَة .

٢٢. الأَعلاَم ، قَاموس تَرَاجم لأَشهر الرِّجَال ... خَير الدِّين بن مَحمُود بن مُحَمَّد ابن عَليّ بن فَارس ، أَيلول سبتَمبر ١٩٩٢ م دَار العِلم بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

٢٣. أَعْلاَم النِّسَاء ، عُمر رِضا كحَالة سَنَة (ت ١٤١٣ هـ) مُؤسَّسَة الرِّسَالة بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

٢٤. الأَغَاني ، لأَبِي الفَرج الإِصبهَانِي (ت ٣٥٦ هـ) ، تَحقِّيق : خَلِيل مُحييّ الدّين دَار الكُتُب المَصْرِيَة ، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٥٨ هـ، وَكَذا طَبْعَة دَار الفِكر بَيْرُوت عَام (١٤١٢ هـ) .

٢٥. الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة ، لأَبِي مُحَمَّد عَبد الله ابن مُسْلِم المَعْرُوف بابن قُتيبة الدّينوريّ (ت ٢٧٦ هـ ق) ، مَكْتَبَة ومَطْبَعَة مُصْطَفىٰ بَابي الحَلبي ، مَصْر ١٣٨٨ هـ.

٢٦. السِّيرة الحَلبِية (إِنْسَان العُيُون فِي سِيرة الأَمِين المَأمُون) ، عَليّ بن بُرهَان الشَّافعي الحَلبي ، دَار الفِكر العَربِي بَيْرُوت ١٤٠٠ هـ.

٢٧. الأَنْسَاب ، عَبدالكرِيم مُحَمَّد السَّمعاني (ت ٥٦٢ هـ). طَبْعَة لَيدن . وبتَحْقِّيق : عَبدالرَّحمَن المَعْلَمي اليمَاني . طَبْعَة ـ بَيْرُوت . الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م دَار الجنَان بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

٢٨. أَنْسَاب الأَشْرَاف ، لأَحمد بن يَحْيَىٰ بن جَابر البَلاَذريّ ، (ت ٢٧٩ هـ ق) ، تَحْقِّيق : كمَال الحَارثيّ ، طَبْعَة مَكْتَبَة الخَانجيّ ـ مَصْر ١١٢٥ هـ ، طَبْعَة مَكْتَبَة المُثنَّىٰ بَغْدَاد ١٣٩٦ هـ ، وتَحْقِّيق المَحمُودي ، مُؤسّسة الأَعلمي بَيْرُوت .

حَرْف البَاء

٢٩. البدَاية والنّهاية ، لأَبِي الفدَاء إِسْمَاعِيل بن كَثِير الدّمشقي ، تَحْقِّيق : عَليّ شِيري ، دَار الكُتُب العِلْمِيَة ، الطَبْعَة الخَامسَة ، (١٤٠٩) هـ ، مَطْبَعَة السّعادة مَصْر عَام ١٣٥١ هـ.

٣٠. كتَاب بَحر الدَّم فِيمَن تَكلّم فِيهِ الإِمَام أَحْمَد ، طَبعَة القَاهرَة .

٣١. البدَاية والنّهَايَة ، مُحَمَّد بن عَبدالحرّ الكنَاني (ت ١٣١٢ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٣٥١ ـ ١٣٥٨ هـ).

٣٢. بِشَارة المُصطَفىٰ لشِيعَة المُرتَضىٰ ، عمَاد الدّين أَبُو جَعْفَر مُحمّد بن القَاسم الطّبري ، المَطْبعَة الحَيدرِية ، النَّجف الأَشرَف ، الطَّبعَة الثّانِية ١٣٨٣ هـ ، وَنَشر مَطْبعَة الخَانجي مَصْر ١٤٠٠ هـ.

٣٣. بُغيَّة الوعَاة فِي طَبقَات اللُّغوين والنُّحاة، جَلاَل الدِّين السِّيوطي (ت ٩١١ هـ). طَبْعَة مَصْر سَنَة ١٣٢٦ هـ. طَبْعَة أُخرىٰ بتَحْقِّيق: مُحَمَّد أَبُو الفَضْل إبرَاهِيم. القَاهرَة (١٩٦٤م).

٣٤. البُلدَان، لأَبِي بَكر أَحْمَد بن مُحَمَّد الهَمدَاني المَعْرُوف بِآبن الفَقِيه، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف، طَبْعَة لَيدن.

٣٥. البيَان وَالتّبيُين، لعَمرُو بن بَحر الجَاحظ، (ت ٢٥٥ هـ ق)، شَرح حَسَن السّندوبيّ، نَشر دَار الجَاحظ ١٤٠٩ هـ، وَمَطبعَة الإستقَامة، الطَّبعَة الثَّالثَة القَاهرَة ١٣٦٦ هـ، وَطَبعَة دَار الوَعي سُوريا ١٤٠٢ هـ.

٣٦. بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرِفة المَذْهَب، لعَلي بن عَبدالله بن القَاسم آبن مُحَمَّد بن الإِمَام القَاسم بن مُحَمَّد الحَسَني الشَّهاري الصَّنعَاني، تَحقِيق عَبدالله بن عَبدالله بن أَحْمَد الحُوثي، طَبع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد بن عَليّ الثَّقَافِية.

حَرْف التَّاء

٣٧. تَأرِيخ بَغْدَاد، لأَحمد بن عَليّ الخَطِيب البَغداديّ، طَبْعَة دَار السَّعادة مَصْر.

٣٨. التَّأرِيخ يَحْيَىٰ بن مَعِين (ت ٢٣٣هـ)، روَاية عَبَّاس الدُّوري. تَحْقِّيق: أَحْمَد مُحَمَّد نُور سَيف. طَبْعَة مَكَّة المُكَرمة ١٩٧٩م.

٣٩. التَّأرِيخ الكَبِير لِمحَمَّد بن إسْمَاعِيل البُخاريّ، طَبْعَة حيدر آبَاد الدّكن.

٤٠. تَأرِيخ جُرجَان. للسَّهمي حَمْزَة بن يُوسُف (ت ٤٢٧ هـ). طَبْعَة حَيدر آبَاد الدّكن ١٣٦٩ / ١٩٥٠ م.

٤١. تَأرِيخ آبْن خُلدُون، المُسمىٰ التَّأرِيخ أَو العِبر ودِيوَان المُبتَدأ أو الخَبر. عَبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد المَشهُور بآبن خُلدُون (ت ٨٠٨ هـ)، طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربيّ

بَيْرُوت ١٩٧١ هـ.

٤٢. تَأرِيخ الخُلفَاء لعبدالرَّحْمَن بن أَبِي بَكر السّـيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تَـحْقّيق مُحيي الدِّين عبدالحَمِيد، طَبْعَةالقَاهرَة، ١٩٥٩ م) طَبْعَة دَار السّعادة مَصْر عَـام (١٤١٦ هـ).

٤٣. تَأرِيخ الخَمِيس فِي أحوَال أنفس نَفِيس، لحُسين بن مُحَمَّد بـن الحَسَـن الدّياربكريّ (ت ٩٦٦ هـ)، طَبْعَة القَاهرَة ١٢٨٣ هـ.

٤٤. تَأرِيخ دِمشق، حَمْزَة بن أَسد القَلانسي (ت ٥٥٥ هـ). طَبْعَة بَيْرُوت عَام (١٩٠٨ م).

٤٥. تَأرِيخ دِمَشق، عَليّ بن الحُرّ بن عَسَاكر (ت: ٥٧١ هـ). طَـبْعَة دِمشـق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ م. طَبْعَة (١٩٨٢ م).

٤٦. تَأرِيخ الْإِسْلاَم، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثمان الذّهـبيّ، (ت ٧٤٨ هـ) مَكْـتَبَة القُدسي القَاهرَة (١٣٦٨ هـ تَحْقِّيق بَشَار عوَاد مَعْرُوف طَبْعَة القَاهرَة (١٩٧٧ م).

٤٧. تَأرِيخ الْإِسْلاَم السِّيَاسي وَالدِّيني والثَّقافِي وَالْإِجتَماعي، الدُّكتُور حَسَن إبرَاهِيم، طَبْعَة دَار الكِتَاب بَيْرُوت ١٤٠١ هـ.

٤٨. تِأرِيخ الْإسلاِم وَوَفيَّات المَشَاهِير وَالْأَعلام، لشَمس الدّين مُـحَمّد بـن أَحمَد الذَّهبيّ (ت ٧٤٨ هـ ق)، تَحقِيق: عُمر عَبد السّلام تَدمريّ، طَبعَة دَار الرّائد العَربي ـ القَاهرة ١٤٠٥ هـ، وَنَشر دَار الكتَاب العَربي ـ بَيرُوت ١٤١١ هـ وَطَـبعَة حَيدر آبَاد الدّكن ١٣٥٤ هـ.

٤٩. تَأرِيخ الطَّبريّ تَأرِيخ الرُّسل والأُمم وَالمُلوك، لأَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بن جَرِير الطَّبريّ (... ـ ٣١٠ هـ)، تَحقِّيق مُحَمَّد أَبُو الفَضل إِبرَاهِيم دَار المَعَارِف القَـاهرَة (١٩٦٠ م) طَبْعَة أُوربا، طَبْعَة الإستقَامة مَصْر.

٥٠. تَأرِيخ آبْن عَسَاكر (تَأرِيخ دِمشق)، الأَجزَاء الَّتي حَقَّقَها الـمحمُودي، تَرجمَة الإمَام عَليّ والإمَام الحَسَن والإمَام الحُسَيْن.

٥١. تَأرِيخ المَدِينَة المُنورَة (أَخْبَار المَدِينَة)، لعُمر بن شَيبَة. تَحْقِيق: فَهِيم مُحَمَّد شَلتُون. دَار التُّراث والدَار الإسْلاَمِيَّة ١٩٩٠ م بَيْرُوت: لُبْنَان.

٥٢. تَأرِيخ اليَعقُوبيّ، أَحْمَد بن أَبِي يَعْقُوب بن جَعْفَر العَبَّاسي المَعْرُوف باليَعقُوبيّ، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف ١٣٥٤ هـ.

٥٣. تَأرِيخ اليَعْقُوبي، لِابْن وَاضح. طَبْعَة دَار صَادِر بَيْرُوت. وأيضاً النَّجَف.

٥٤. تَاج العَرُوس فِي جوَاهر القَامُوس، مُحَمَّد مُرتضىٰ الزَّبِيدي. طَبْعَة مَصْر.

٥٥. التِّبيَان فِي آدَاب حَمَلة القُرآن، للنَّووي، أُخذ بِالوَاسطَة.

٥٦. تُحفَة النَّاظِرين، فِيمَن وَلّي مَصْر مِنْ الوِلاَة وَالسَّلاَطِين، طَبعَة مَصْر.

٥٧. تُحْفَة الأَحوَذي بِشَرح جَامع التّرمذي، لعَبدالرَّحمن بن عَبدالرَّحِيم المُباركفُوري، طَبع سَنَة (١٢٨٢ هـ)، دَار الكُتب العِلمية.

٥٨. تُحفَة الأَزهَار، لِابْن شَدقَم، أُخذ بالوَاسطَة.

٥٩. تُحفَة الأَحبَاب، للسَّخاوي، أُخذ بالوَاسطَة.

٦٠. التُّحفة اللَّطيفة فِي تأرِيخ المَدينَة الشَّريفَة، طَبْعَة الرِّيَاض.

٦١. التُّحفَة الأَنسيَّة عَلىٰ المُقدَّمة الأَجرُوميَّة، لشَمس الدِّين مُحَمَّد الأَزهَري المَالكي، طَبع مَطْبعَة الفجَّالة.

٦٢. تُحف العُقُول، لأَبي مُحَمّد الحَسن بن عَليّ الحرَّاني المَعرُوف بِآبن شُعبَة، مُؤسَّسة النّشر الإسلاَمي ـ قُم، الطّبعَة الثّانِية ١٤٠٤ هـ، وإنْتشَارات جَامعَة مُدرسِين، وَطَبعَة دَار إحيَاء التُّراث العَربيّ ١٤٠٦ هـ.

٦٣. التَّذكرَة، لِعبد الرّحمان بن عَليّ بن مُحَمّد بن عَليّ البَكري الحَنبلَي

البَغدَادي (اَبن الجَوزي الحَنفي) ، طَبعَة حَيدر آبَاد الدّكن .
٦٤. تَتمّة المُخْتصر لِابن الوَردي : (حَيَاة الإمَام مَالِك) ، أُخذ بالوَاسطَة .
٦٥. تَذكرَة الحفَّاظ ، مُحمَّد أَحْمَد بن عُثمَان الذّهبيّ ، (ت ٧٤٨ هق) ، تَحْقِّيق : أَحْمَد السّقا ، طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٤٠٠ هـ ، طَبْعَة حَيدر آباد الدّكن ١٣٨٧ هـ طَبْعَة دَار إحيَاء التُّراث العَربيّ مَكْتَبَة الحَرم المَكيّ بِمَكّة المُكرَمَة .
٦٦. تَذكرَة الخوَاص (تذكرَة خوَاص الأُمّة) ، ليُوسُف بن فَرغلي بن عَبد الله المَعْرُوف بِسبط اَبْن الجَوزيّ ، الحَنبَليّ ثُمَّ الحَنفيّ ، نَزِيل دِمشق (ت ٦٥٤ هـ) ، طَبْعَة ـ بَيْرُوت الثَّانِيَة ١٤٠١ هـ ، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف ، طَبْعَة مَصْر .
٦٧. تَرجَمَة الإمَام عَليّ بن أَبِي طَالب ﷺ ، مِن تَأرِيخ دِمشق الكَبِير ، لعَليّ بن هِبة الله المَعْرُوف بِاَبن عسَاكر ، طَبْعَة دِمشق .
٦٨. تَرجَمَة الإِمَام الحُسَيْن مِن كتَاب الطَّبْقَات الكَبِير القِسْم الغير المَطبُوع ، لِابْن سَعِيد الزُّهري (٢٣٠ هـ) . تَحْقِّيق : السَّيِّد عَبدالعَزِيز الطَّباطَبائي . نَشْر مُؤسَّسَة آل البَيْت لإحيَاء التُّراث . ١٤١٥ هـ .
٦٩. تَرجَمَة الإِمَام الحَسَن مِن تَأرِيخ دِمشق الكَبِير (٥٧١ هـ) ، تَحْقِّيق : مُحَمَّد بَاقر المَحمُودي . مُؤسَّسَة المَحمُودي . (١٤٠٠ هـ) .
٧٠. تَفرِيح الخَاطر فِي تَرجمَة عَبدالقَادر ، طَبعَة عِيسىٰ البَابي الحَلبي وَشُركاؤه عَام « ١٣٣٩ هـ » .
٧١. تَفْسِير رُوح المَعَانِي ، لأَبي الفَضْل شهَاب الدِّين السَّيِّد مُحمّد الآلُوسي ، طَبْعَة مَكْتَبة المُثنىٰ بَغدَاد ١٣٩٦ هـ .
٧٢. تَفْسِير القُرآن العَظِيم ، (تَفْسِير اَبْن كَثِير) ، لإِسمَاعِيل بن عُمر بن كَثرير البَصريّ الدّمشقيّ ، (ت ٧٧٤ هـ) . طَبْعَة بَيْرُوت دَار المَعْرِفَة ١٤٠٧ هـ ، طَبْعَة دَار

إحياء التراث العربيّ، طَبْعَة دَار صَادِر.

٧٣. تَفْسِير البَيْضَاويّ، (أنوَار التّنزِيل وَأسرَار التّأويل)، لأَبي سَعِيد عَبدالله ابن عُمر الشّيرازيّ البَيضَاويّ، طَبعَة دَار النّفَائس ١٤٠٢ هـ، وَطَبعَة مُصطَفىٰ مُحَمّد ـ مَصْر.

٧٤. تَفْسِير الكَشّاف، لأَبي القَاسم جَار الله مَحمُود بن عُمر بن مُحَمّد بن أَحمَد الزّمَخشري (ت ٥٣٨ هـ)، طَبعَة دَار المَعرفَة بَيرُوت، قُم، دَار البَلاَغَة.

٧٥. تَفْسِير الثّعلبي (الكَشف وَالبيَان فِي التّفسِير)، لأَحمَد بن مُحَمّد بن إبرَاهيم النّيسابُوري، (ت ٤٣٧ هـ)، مَطبُوع الجُزء الأَوّل عَلىٰ الحَجر، وَ(مَخطُوط) فِي مَكتبَة المَرعَشي النّجفي العَامّة.

٧٦. تَفسِير الخَازن لعَلاَء الدّين الخَازن الخَطِيب البَغدَاديّ، (ت ٧٢٥ هـ ق)، طَبعَة دَار الفِكر ـ بَيرُوت ١٤٠٩ هـ، وَطَبعَة مَصر ١٤١٥ هـ دَار الكُتب العَربية الكُبرىٰ.

٧٧. تَقرِيب التّهذِيب، مُحَمّد بن حَبِيب البَغدَادِي (ت ٢٤٥ هـ). تَحقِيق: عَبدالوهَاب عَبداللطِّيف. طَبْعَة القَاهرَة (١٣٨٠ هـ).

٧٨. تِهذِيب التّهذِيب، لأَبي الفَضل أَحمَد بن عَليّ بن حَجر العَسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ ق)، تَحقِيق: مُصطَفىٰ عَبد القَادر عَطا، طَبعَة دَار الكُتب العِلمِية الطَّبعَة الأُولىٰ ـ بَيرُوت ١٤١٥ هـ، وَمَطبعَة مَجْلس دَائرة المعَارف النّظامِية الهُند ١٣١٥ هـ، النّاشر، دَار صَادر بَيرُوت ـ مصَور مِن طَبعَة دَائرة المعَارف العُثمَانية، حَيدر آباد ـ الهِند ١٣٢٥ هـ.

٧٩. تَهْذِيب تَارِيخ دِمشق الكَبِير لِابْن عسَاكر، الشّيخ عَبدالقَادر رَيدرَان. دَار المَسيرة بَيْرُوت: لُبنَان.

٨٠. تَهذِيب الأَحكَام، لأَبي جَعْفَر مُحَمّد بن الحَسَن الطُّوسي (المُتوفّىٰ ٤٦٠هـ)،

تَحقِّيق الحُجَّة السَّيِّد حَسَن الخرسَان ، الطَّبعَة الثَّالِثة ، بَيْرُوت دَار الأَضوَاء عَام (١٤٠٦ هـ).

٨١. تَهْذِيب الأَسْمَاء وَاللُّغَات ، يَحيَىٰ بن شَرف مُحي الدِّين (ت ٦٧٦ هـ). طَبْعَة القَاهِرَة (١٣٤٩ هـ).

٨٢. تَهْذِيب الكَمَال ، يُوسُف بن عَبدالرَّحمَن المَزي (ت ٧٤٢ هـ). طَبْعَة دَار المَأمُون دِمشق ، ومَطبَعَة مُؤسَّسَة الرِّسَالة.

حَرف الثَّاء

٨٣. الثُّقَات ، لأَبِي حَاتِم مُحمَّد بن حبَّان بن أَحْمَد التِّمِيمِي البَستي ، (٣٥٤ هـ) الطَبْعَة الأُولىٰ ، مَطْبَعَة مَجلس دَائِرَة المَعَارف العُثْمَانِيَّة بحَيدر آبَاد الدّكن ، الهِند ، عَام ١٣٦٩ هـ.

٨٤. ثَمرَات الأَورَاق ، للشَّيخ تَقّي الدِّين أَبي بَكْر بن عَليّ المَعرُوف بأَبن حُجَّة الحَموي ، أُخذ بِالوَاسطَة.

حَرف الجِيم

٨٥. جَامع الأُصُول فِي أَحَادِيث الرّسول ، لأَبي السّعادَات مَجد الدّين المُبَارك بن مُحمّد أَبن مُحمّد المَعرُوف بِأَبن الأَثِير الشِّيبَاني الشّافعي ، (ت ٦٠٦ هـ) طَبعَة الفَجَّالة مَصر ١٤٠٦هـ.

٨٦. جَامع البَيَان عَن تَأوِيل القُرآن ، أَبِي جَعْفَر مُحمَّد بن جَرِير الطَّبري (المُتوفَّىٰ ٣١٠ هـ).

٨٧. الجَامع الصَّحِيح (سُنن التّرمذي) ، لأَبِي عِيسَىٰ مُحمَّد بن عِيسَىٰ بن سَورَة

التِّرمذي (ت ٢٩٧ هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث ، بيروت .

٨٨. الجامع الصحيح (صحيح مسلم) بشرح النووي ، لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيشابوري (ت ٢٦١ هق) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

٨٩. الجامع الصغير ، في أحاديث البشير النذير جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هق) ، الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣٦٥ هـ .

٩٠. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبيّ (ت ٦٧١ هـ) ، طبعة الفجالة القديمة مصر . . والطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني .

٩١. الجرح والتعديل ، عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس المنذر (ت ٣٢٧ هـ) . تحقيق : عبدالرحمن المعلمي اليماني . حيدر آباد .

٩٢. جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي ، لعلي بن عبد الله الحسني السمهودي (٨٤٤ ـ ٩١١ هـ) ، تحقيق : الدكتور موسى بناي العليلي ، مطبعة العاني بغداد ١٤٠٥ هـ ، نشر وزارة الأوقاف العراقية .

٩٣. الجمل ، للشيخ المفيد . طبعة الحيدرية . النجف الأشرف . العراق . سنة (١٣٨١ هـ.ق) .

٩٤. جمهرة أنساب العرب ، عليّ بن أحمد بن جزم (ت : ٦٥٥هـ) . تحقيق : عبدالسلام هارون . طبعة القاهرة (١٩٦٢ م) .

حرف الحاء

٩٥. الأحكام السلطانية ، لأبي الحسن عليّ بن محمد البصري البغدادي

المَاوَردي ، الطَّبعَة الأُولىٰ مَصْر ، ١٣١٩ هـ.

٩٦. الإْحكَام لِابْن حَزم ، لعَليّ بن أَحْمد بن حَزم الأُندلسي ، أَبُو مُحمّد ، دَار الحَدِيث ، القَاهرَة ، ١٤٠٤ هـ، طَبْعَة ١.

٩٧. الإْحكَام للآمُدي ، لعَليّ بن مُحمّد الآمدي ، أَبُو الحَسن ، دَار الكتَاب العَربي . بيْرُوت ١٤٠٤ هـ، تَحقِّيق : الدّكتُور سيّد الجُميلي .

٩٨. حَاشِية البجِيرمي عَلىٰ شَرح النَّهج لمُحَمّد علي البجِيرمي ، المَطْبعَة الهِندِية العَربية مَصْر ١٣١٣ هـ.

٩٩. حَاشِيَة الشَّيخ عَليّ عَلىٰ نهَايَة المُحتَاج إلىٰ شَرْح المِنهَاج ، لشَّمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حَمْزَة الرَّمليّ (ت ١٠٠٤ هـ ق) ، طَبعَة القَاهرة ـ مَصْر (١٢٤٥ هـ).

١٠٠. حَاشِية ردّ المُخْتَار عَلىٰ الدُّر المُخْتَار لِابْن عَابدِين ، المَطْبع المُصطفَائي ، لَكهنو .

١٠١. الحَاوي للفتَاوي ، لجَلاَل الدِّين عَبد الرَّحمن بن أَبي بَكْر مُحَمَّد السّيُوطيّ (ت ٩١١ هـ ق) ، تَحقِّيق : مُحيي الدِّين ، طَبعَة السَّعادَة ـ مَصْر ١٣٥٦ هـ.

١٠٢. الحَاكم فِي مَعْرِفَة علُوم الحَدِيث ، لأَبِي عَبد الله مُحَمَّد بن عَبد الله بن الحَاكم النّيشابوري (ت ٤٠٥ هـ) ، طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربِي .

١٠٣. الحَدَائِق الوَردِيَّة فِي مناقِب الأَئِمَّة الزَّيدِيَّة ، لأَبِي عَبدالله الشَّهيد حُمَيد ابن أَحْمَد المحَلي التِّمِيمي الوَادعِي ، مَطْبُوع ، ومَخْطُوط فِي مَكْتَبَة آل كَاشف الغِطَاء بِرَقم « ٧١٣ » ، ومُصَوَّرَة عن مَخْطُوطة نُسخَت سَنَة (١٣٥٧ هـ) . دَار أُسَامة . دِمَشْق ١٤٠٥ هـ.

١٠٤. حليَة الأَوليَاء وطَبَقَات الأَصفيَاء ، أَحْمَد بن عَبدالله . أَبُو نَعِيم الإِصبهَانِي (المُتوفّىٰ ٤٣٠ هـ) .

١٠٥. حَيَاة الصّحَابة ،لمُحمّد بن يُوسف إليَاس الحَنفي الهِندي ، طَبع لاَهُور .
١٠٦. حَيَاة الحَيوَان الكُبرىٰ ، مُحَمَّد بن مُوسىٰ الدّميري (ت ٨٠٨ هـ). طَبْعَة المَكْتَبَة الإسْلاَمِيّة ـ بَيْرُوت .
١٠٧. الحَيوَان ، للجَاحظ . طَبْعَة القَاهرَة ١٣٦٥ هـ، وَكَذا طَبْعَة الحَلبي مِن سَنَة (١٣٥٧ هـ).

حَرْف الخَاء

١٠٨. خَصَائِص أَمِير المُؤْمِنِين ـ ضِمن السُّنن ، الحَافظ النّسائي (٣٠٣ هـ) دَار الكُتُب العِلْمِيَة ـ بَيْرُوت .
١٠٩. خَصَائص أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب ، للحَافظ أَبِي عَبدالرَّحمَن أَحْمَد اْبن شُعيب النَّسائي . دَار الكِتَاب العَربي ، بَيْرُوت : لُبْنَان .
١١٠. الخَصَائِص الكُبرىٰ (كفَاية الطَّالب اللَّبيب فِي خَصَائص الحَبِيب) ، جَلاَل الدِّين السّيوطي . طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربي .
١١١. خُزَانة الأَدَب وَلُب لُبَاب لسَان العَرْب ، عَبدالقَادر بن عُمر البَغْدَادِي . طَبْعَة عَام ١٢٩٩ هـ.
١١٢. خُلاَصَة الأَقوَال فِي مَعْرِفَة الرِّجَال (رِجَال العَلاَّمَة الحِلي) ، لجَمَال الدّين أَبِي مَنْصُور الحَسَن بن يُوسُف بن عَليّ بن المُطهر الحِلي (ت ٧٢٦ هـ)، تَصحِيح مُحمَّد صَادق بَحر العُلُوم ، مَنْشورَات الشَّريف الرَّضي ، الطَبْعَة الأُولىٰ (١٤٠٢هـ).
١١٣. خُلاَصة تَذهِيب تَهذِيب الكَمَال ، أَحْمَد بن عَبدالله الخَزرَجي الأَنصَاري (ت ٩٢٣ هـ). طَبْعَة بُولاق (١٣٠١ هـ)، وَكَذا طَبْعَة سَنَة (١٣٩١ هـ).
١١٤. الخُطَط التَّوفِيقيَة ، لعَليّ مُبَارك بَاشا بن سُليمَان بن إبرَاهِيم الرَّوجي

المَصْري ، أُخذ بالوَاسطَة .

حَرْف الدَّال

١١٥. دَائِرَة مَعَارف القَرن العشرِين ، مُحَمَّد فَريد وَجدي . دَار المَعْرِفَة ، بَيْرُوت .
١١٦. دَائِرَة المَعَارِف الإِسْلاَمِيَّة ، نَقَلها إِلىٰ العَربِية مُحَمَّد ثَابت الفَندي و آخرُون . دَار المَعْرِفَة . بَيْرُوت ـ لُبْنَان .
١١٧. دُرَّر الأَصْدَاف فِي فَضل السَّادَة الأَشرَاف ، لعَبد الجوَاد بن خُضر الشَّربِيني .
١١٨. الدُّر المَنْثُور فِي طَبْقَات رَبَّات الخدُور ، العَاملي ـ زَينَب (ت ١٣٣٢ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٣١٢ هـ).
١١٩. الدُّر المَنْثُور فِي التَّفسِير بِالمَأثُور ، جَلاَل الدِّين السّيوطي (ت ٩١١ هـ). دَار الفِكر بَيْرُوت : لُبْنَان .
١٢٠. دَلاَئل النُّبوَّة ، أَبُو نَعِيم أَحْمَد بن عَبدالله الأَصبهَاني (ت ٤٣٠ هـ). نَشر دَار الوَعي ـ حَلب (١٣٩٧ هـ).
١٢١. دَلاَئِل النُّبوَّة ، أَبُو بَكر أَحْمَد بن الحُسَيْن البَيهقي (٤٥٨ هـ) نَشر دَار الوَعي حَلب ١٣٩٧ هـ.
١٢٢. دِيوَان أَبي الأَسود الدُّؤليّ ، تَحقِّيق : عَبد الكَرِيم الدُّجيليّ ، طَبْعَة بَيرُوت (١٤١٩ هـ).
١٢٣. دِيوَان أَبي طَالب ، جَمع وَتَحقِّيق : العَانيّ ، المَطْبعَة الخَيريَّة بغَدَاد ١٤٢٠ هـ، وَطَبعَة دَار كُوفَان ـ المَملَكة المُتحدَة فِلندَه ، وَطَبعَة فَيض رسَان ـ بَمبي .
١٢٤. دِيوَان البُوصِيريّ (ت ٨٤٠ هـ ق) ، تَحقِّيق : مُحَمَّد الكَوثريّ ، طَبعَة دَائرَة المعَارف العُثمَانيَّة ـ بيرُوت ١٤٠٦ هـ.

١٢٥. دِيوَان المُتنبي ، تَحقِّيق : عَليّ الطَّيب الزّغلُول ، طَبعَة دَار الكتَاب العَربي ـ بَيرُوت (١٤١٥ هـ).

١٢٦. الدُّرر الكَامنة فِي أَعيَّان المِئة الثَّامنة ، مُحَمَّد بن حَبِيب البَغْدَادِي (ت ٢٤٥ هـ). تَحْقِّيق : عَبدالمَعِين خَان . طَبْعَة حَيدر آباد (١٩٧٢ م).

١٢٧. الدِّيبَاج المُذهب فِي مَعْرِفَة أَعيَّان المَذهب ، إِبرَاهِيم بن عَليّ ٱبْن فَرحُون (ت ٧٩٩ هـ). تَحْقِّيق : مُحَمَّد الأَحمدي أَبُو النُّور . طَبْعَة القَاهرَة (١٣٥١ هـ).

١٢٨. ديوَان أَمِير المُؤْمِنِين وَسيِّد البُلغَاء وَالمُتَكلمِين عَليّ بن أَبِي طَالب ، النَّاشر : دَار ٱلنَّجْم . بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

حَرف الذَّال

١٢٩. الذُّريَّة الطَّاهرَة ، لمُحمّد بن أحمَد الدّولابي (مَخْطُوط) ، وَتَحقِيق : مُحَمّد جوَاد الجَلالي ، مُؤسَّسة النَّشر الإِسلاَمي ١٤٠٧ هـ.

١٣٠. ذَخَائر العُقبىٰ فِي منَاقب ذَوي ٱلْقُرْبَىٰ ، لُمحبّ الدّين أَحْمَد بن عَبدالله الشّهير بالُمحبّ الطّبري ، (ت ٦٩٤ هـ ق) ، نَشره حُسام الدّين القُدسي بالقَاهرَة ١٣٥٦ هـ.

١٣١. ذَيل المُذِيل فِي تأرِيخ الصَّحَابة وَالتَّابعِين لِابْن جَرِير الطَّبري مُلحق بأَحد أجزَاءه مِن تأرِيخ الأُمم والمُلوك مُؤسَّسَة الأَعلَمي بَيْرُوت .

١٣٢. ذَيل المُذَيل لتَّأرِيخ بَغدَاد ، طَبْعَة دَار السَّعادة مَصْر

١٣٣. الذَّهَب المَسبُوك فِي ذِكر مَن حَجَّ مِن الخُلفَاء والمُلوك ، أَحْمَد بن عَليّ المَقْرِيزِي (ت ٨٤٥ هـ). تَحْقِّيق : الشّيال . طَبْعَة القَاهرَة ١٩٥٥ م .

حَرْف الرَّاء

١٣٤. رِبِيع الأَبْرَار، لأَبي القَاسم جَار الله مَحمُود بن عُمر بن مُحَمّد بن أَحمَد الزّمخشري (ت ٥٣٨هـ).

١٣٥. رِجَال النَّجاشي، لأَبي العَبَّاس أَحْمَد بن عَليّ النَّجاشي تَحْقِّيق مُحَمَّد جوَاد النَّائِيني طَبْعَة دَار الأَضوَاء بَيْرُوت.

١٣٦. رَشفَة الصَّادي مِن بحُور فَضَائل بَني الهَادي، لأَبي بَكْر بن شَهاب الدّين العَلوي، الحُسَيْنيّ الشّافعي، طَبع مَصر ١٣٠٣ هـ.

١٣٧. الرَّوض الأُنف، لعَبدالرَّحمن بن عَبدالله السُّهيلي (٥٨١ هـ) تَحْقِّيق طَه عَبدالرَّؤوف سَعد طَبْعَة القَاهرَة.

١٣٨. الرِّيَاض النَّضرة فِي فَضَائل العَشرَة، لُمحّب الدِّين الطَّبريّ الشّافِعِيّ (ت ٦٩٤ هق)، طَبْعَة بَيْرُوت ١٤٠٣ هـ، وَطَبْعَة ثَانِية فِي مَصْر، ودَار الغَرب الإِسْلاَميّ بَيْرُوت ١٩٩٦ م، تَحقِّيق: عِيسىٰ عَبدالله مُحمّد مَانع الحمْيَري.

١٣٩. رَغبَة الآمل مِن كتَاب الكَامل (شَرْح الأَعلاَم لكتَاب الكَامل للمُبرد)، السَّيِّد اَبن عَليّ المَرصَفي. طَبْعَة مَصْر ١٣٤٦.

١٤٠. الرَّوْض النَّضِير شَرْح مَجْمُوع الفِقْه الكَبِير، لشَرف الدِّين الحُسين بن أَحمَد اَبن صَالح السِّياغي: ١ / ٧٧، طَبع مَكْتَبة المُؤيد الطَّائف سَنَة ١٩٨٦.

١٤١. الرَّوض الفَائِق فِي المَوَاعظ وَالرَّقَائِق، الشَّيخ شُعِيب عَبدالله بن سَعد المَصْري ثُمَّ المَكّي المَشهُور بالحُريفِيش (المُتوفّىٰ ٨٠١ هـ). طُبع فِي القَاهرة بجُزئَين وَكَذلك طُبع طَبعَة بُولاَق.

حَرْف الزَّاي

١٤٢. زَاد المَسِير فِي عِلم التّـفسِير لعَـبدالرَّحـمن بـن الجَـوزِي البَـغْدَادي (٥٠٨هـ) ،المَكتب الإِسْلاَميّ بَيْرُوت .

١٤٣. الزُّهد ، الإِمَام أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حَنبل (ت ٢٤١ هـ). طَبْعَة دَار الكُتُب العِلْمِيَة ـ بَيْرُوت .

١٤٤. زُهر الأَدَب وَثمر الأَلبَاب ، إبرَاهِـيم بـن عَـليّ الحُـصري القَـيروَانـي (ت ٤٥٣ هـ). تَحْقِّيق : مُحي الدِّين عَبدالحَمِيد . طَبْعَة القَاهِرَة ١٩٥٣ م .

حَرْف السِّين

١٤٥. سُبل السّلام شَرْح بلُوغ المَرَام مِن جَمْع أَدلة الأَحكَام ، لمُحَمَّد بن إسمَاعِيل الكَحلاني ثُمَّ الصّنعاني اليَمني ، مَطْبعَة مُصطفىٰ البَابي الحَـلبي وَأَوْلاَده بِـمَصر ، الطّبعَة الرّابعَة ١٣٧٩ هـ.

١٤٦. سُبل الهُدىٰ وَالرَّشاد ، لصَّالح الشَّامي . طَبْعَة مَصْر .

١٤٧. سِرّ السِّلسِّلة العَلوِية (مَخْطُوط) ، حيَاة الإِمَام زَيد .

١٤٨. سَفِينة البحَار ، المُسمَّىٰ سَفِينة بحَار الأَنوَار وَمَدِينة الحُكم وَالآثَار . عَبَّاس ابن مُحَمَّد رِضا القُمي . طَبْعَة النَّجف سَنَة ١٣٥٥ هـ.

١٤٩. السَّقِيفة (أَو) أَئِمَّة الشِّيْعَة ، سَلِيم بن قَيس الكوفِي الهـلاَلي العَـامري (المُتوفّىٰ ٩٠ هـ). طَبْعَة مُؤسَّسَة الأَعلمي . بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

١٥٠. السُّنن الكُبرىٰ ، لأَبِي بَكـر أَحْـمَد بـن الحُسَيْن بـن عَـليّ البَـيهقي (ت ٤٥٨ هق) ، تَحْقِّيق : مُحَمَّد مُحيي الدّين عَبد الحَـمِيد ، دَار إِحـيَاء التُّـرَاث العَربي ـ بَيْرُوت ١٤٠٥ هـ. وتَحْقِّيق : مُحَمَّد عَبد القَادر عَطا ، طَـبْعَة دَار الكُـتُب

العِلْمِيّة، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ بيْرُوت ١٤١٤هـ مُصَوَّرَة مِن دائِرَة المَعارِف العُثمانِية، حَيدر آبَاد الدّكن ١٣٥٣ هـ.

١٥١. سُنن ابْن مَاجه، لأَبِي عَبد الله مُحَمَّد بن يَزيد بن مَاجه القَزوِينيّ (ت ٢٧٥هق)، تَحْقِيق: فُؤاد عَبد البَاقي، دَار إِحيَاء التُّراث، بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٩٥ هـ. ونَشْر دَار الفِكر، طَبْعَة ـ بيْرُوت ١٣٧١ هـ.

١٥٢. سُنن التّرمذي، لأَبِي عِيْسَىٰ مُحَمَّد بن عِيْسَىٰ بن سَورة التّرمذي (ت ٢٩٧ هـ) تَحْقِيق: أَحْمَد مُحَمَّد شَاكر، دَار إِحيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت.

١٥٣. سُنن الدَار قُطني، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن عُمر البَغْدَادِي المَعْرُوف بالدَار قطني، (ت ٢٨٥ هـ) تَحْقِيق: أَبُو الطّيب مُحَمَّد آبادي، عَالم الكُتب، بَيْرُوت، الطَبْعَة الرّابعة ١٤٠٦هـ، طَبْعَة بُولاَق بالقَاهِرَة.

١٥٤. سُنن النّسائِي، الحَافظ المُتوفّىٰ سَنَة (٣٠٣هـ). طَبْعَة دَار الكُتب العِلْمِيّة. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

١٥٥. سُنن أَبي دَاود، لأَشعث السّجستانيّ الأَزديّ (ت ٢٧٥ هـ ق)، إعدَاد وَتَعلِيق: عِزّت عَبد الدّعاس، طَبْعَة دَار الْحَدِيث الطَّبْعَة الأُوْلىٰ ـ حِمص ١٣٨٨ هـ وطَبْعَة مُصطَفىٰ البَابيّ ـ مَصْر ١٣٩١ هـ.

١٥٦. سِير أَعْلاَم النُّبلاء، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمان الذَّهَبي (ت ١٣٧٤ م). تَحْقِيق: مَجْمُوعة مِن البَاحثِين تَحت إِشرَاف: شُعِيب الأَرنَاؤط. مُؤَسَّسَة الرِّسَالة بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

١٥٧. السِّيرة النَّبوِّية، لأَبي مُحَمَّد عَبد المَلك بن هِشام بن أَيُوب الحمْيَري، (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ ق)، تَحقِّيق: مُصْطَفىٰ السّقا، وإِبرَاهِيم الأَنبَاري، وعَبد الحَفِيظ شَلبي، مَكْتَبَة المُصْطَفىٰ، قُم، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٥٥ هـ.

١٥٨. السِّيرة النَّبوَّية بهَامش السِّيرة الحَلبِية، لأَحمد بن زَيني بن أَحْمَد دَحلاَن (ت ١٣٠٤ هـ) طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربِي بَيْرُوت ١٤٠٨ هـ.

١٥٩. الشَّافِي ـ فِي الجوَاب عَلىٰ الرِّسَالة الخَارقة للفَقِيه عَبدالرَّحِيم بن أَبِي القَبائل، تَأليف الإِمَام عَبدالله بن حَمْزَة الحَسَني (٥٦١ ـ ٦١٤). الطَبْعَة الأُولىٰ ١٩٨٩م. مَنْشُورات مَكْتَبَة اليَمَن الكُبرىٰ، اليَمَن ـ صَنْعَاء.

حَرف الشِّين

١٦٠. شَذرَات الذَّهب فِي أَخْبَار مَن ذَهَب، لأَبِي الفَلاَح عَبد الحَي المَعْرُوف بأَبن العِمَاد (ت ١٠٨٩ هـ ق)، تَحْقِيق: الأَرنَاؤط، طَبْعَة ـ بَيْرُوت، ودِمشق ١٤٠٩ هـ، ونَشْر مَكْتَبَة القُدسي، القَاهِرَة ١٣٥٠ هـ.

١٦١. شَرْح البَحر الرَّائق، لزَين الدّين بن إِبرَاهِيم بن مُحمّد المَعرُوف بأَبن نُجِيم المَصْري الحَنفي.

١٦٢. شَرْح نَهج البَلاَغة، للشَّيخ مُحمَّد عَبده، طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربيّ ١٤٠٦ هـ، طَبْعَة الفَجَّالة الجَدِيدَة ـ مَصْر ١٤٠٣ هـ.

١٦٣. شَرْح نَهْج البَلاَغَة؛ للخُوئيّ، طَبْعَة دَار الفِكر بَيْرُوت ١٤٠٦ هـ.

١٦٤. شَرْح نَهْج البَلاَغة، لِابن أَبِي الْحَدِيد المُعتَزليّ (ت ٦٥٦ هـ ق)، تَحْقِّيق: مُحمَّد أَبُو الفَضل، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٤٠٩ هـ.

١٦٥. شَرْح نَهج البَلاَغَة، ابْن أَبِي الْحَدِيد، عَبدالحَمِيد بن هِبة الله (ت: ٦٥٥ هـ). طَبْعَة بَيْرُوت (١٣٧٤ هـ). وبتَحْقِّيق: مُحمَّد أَبُو الفَضل إبرَاهِيم. طَبْعَة دَار إِحيَاء الكُتُب العَربِية ـ مَصْر.

١٦٦. شَرْح الشُّريشي عَلىٰ المَقامَات الحَريريَة، أُخذ بالوَاسطَة.

١٦٧. الشِّفَاء بِتَعرِيف حقُوق المُصْطَفىٰ، لقَاضي أَحْمَد بن عَيَّاض بن مُحَمَّد بن عَبد الله آبن مُوسىٰ بن عَيَّاض اليَحصبُي، أُندلسِي الأَصْل، (٤٩٦ هـ ـ ٥٤٤ هـ) طَبْعَة بيْرُوت.

١٦٨. شَوَاهد التّنزيل لقوَاعد التّفضِيل، لأَبِي القَاسم عُبيد الله بن عَبد الله النّيسابوري المَعْرُوف بالحَاكم الحَسكَاني (مِن أَعْلاَم القَرن الخَامس، والمُتوفّىٰ بَعد سَنَة ٤٧٠ هـ)، تَحقِّيق: مُحَمَّد بَاقر الـمحمُوديّ، مُـؤسَّسَة الطّبع والنّشـر، طَهرَان، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ ١٤١١ هـ.

١٦٩. الشَّجرَة المُبَاركة فِي أَنْسَاب الطَّالبيين، مُحَمَّد بن عُمر. الفَخر الرَّازي (٦٠٦هـ). تَحْقِّيق: السَّيِّد مَهدي الرَّجَائي. طَبْعَة مَكْتَبَة المَرعشي النَّـجْفي ـ قُـم سَنَة (١٤٠٩ هـ).

١٧٠. شَرْح ديوَان حَسَّان بـن ثَـابت، وَضَـعة وَضَـبط الدِّيـوَان وصَـحَحه: عَبدالرَّحمَن البَرقُوقي. دَار الكِتَاب العَربِي. بَيْرُوت: لُبْنَان.

١٧١. شَرْح المُوَاهب اللَّدنِية لُمحَمَّد عَبدالبَاقي الزَّرقاني (١١٢٢هـ)، دَار المَعْرِفَة بَيْرُوت.

١٧٢. الشِّعر وَالشُّعرَاء، عَبدالله بن مُسْلِم آبْن قُتِيبَة (ت ٢٧٦ هـ). تَحْقِّيق: أَحْمَد شَاكر. طَبْعَة القَاهرَة (١٩٦٦م).

١٧٣. الشَّمَائل الُمحَمَّدية، مُحَمَّد بن عِيْسَىٰ التّرمذي (ت ٢٧٩ هـ). تَحْقِّيق: عِزَّت عُبِيد الدَّعاس. حِمص (١٩٧٦م).

حَرف الصَّاد

١٧٤. صَحِيح البُخَاري، لأَبِي عَبدالله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إبرَاهِيم بن المُغِيرَة

الجَعفي البُخَاري، (ت ٢٥٦ هـ)، تَحقِّيق: مُصْطَفىٰ دِيب البَغا، دَار اَبْـن كَـثِير، بَيْرُوت، الطَبْعَة الرّابعَة ١٤١٠ هـ، ومطبَعَة المُصطفَائِي ١٣٠٧ هـ.

١٧٥. شَرْح صَحِيح البُخَاريّ، عَبد الله مُحَمَّد بن إسْمَاعِيل، لَمحمُود بن أَحْمَد العَينيّ (ت ٨٥٥هـق)، مطبَعَة الفَجَّالة الجَدِيدَة ـ مَصْر ١٣٧٦ هـ.

١٧٦. صَحِيح التّرمذيّ، لِعيسىٰ بن سَورة التّرمذيّ، (ت ٢٩٧ هـ ق)، طَـبْعَة بَيْرُوت ١٤٠٥ هـ. مطبَعَة المَكْتَبَة السّلفِية بِالمَدِينة المُنورَة.

١٧٧. الصَّحِيح مِن سِيرَة النَّبيّ الأَعظم ﷺ، السَّيِّد جَعْفَر مُرْتَضىٰ العَامِلي. دَار الهَادي دَار السِّيرة. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

١٧٨. صَـحِيح مُسْـلِم، لأَبِـي الحُسَيْن مُسْلِم بـن الحَـجَّاج القُشِيري النّيسابُوري، (ت ٢٦١ هـ ق)، تَحقِّيق: مُحَمَّد فُؤاد عَبد البَاقي، طَبْعَة ـ بَـيْرُوت ١٣٧٤ هـ. دَار الحَدِيث ـ القَاهرَة، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ، ودَار إحـيَاء التُّـرَاث العَربِي، بَيْرُوت.

١٧٩. صَفوَة الصَّفوة، لأَبِي الفَرج عَبدالرَّحمَن بن عَليّ الجَـوزِي (٥٩٧ هـ). مُؤسَّسَة الكُتُب الثَّقَافِية. بَيْرُوت: لُبْنَان. وبتَحقِّيق: مَاخُوري قَلعَجي.

١٨٠. الصَّوَاعق المُحرقة، لِابْن حَجر الهَيثمي (٩٧٤ هـ). تَحقِّيق: عَبدالوَهَّاب اللَّطِيف. مَكْتَبَة القَاهرَة.

حَرْف الضَّاد

١٨١. الضُّعفَاء الصَّغِير، مُحَمَّد بن إسْمَاعِيل البُخَاري (ت ٢٥٦ هـ). تَحقِّيق: مَحمُود إبرَاهِيم زَايد. دَار الوَعي ـ حَلَب (١٣٩٦ هـ).

١٨٢. الضُّعفَاء الكَبِير، أَبُو جَعْفَر العُقَيلي (٣٢٢ هـ). تَحقِّيق الدُّكتُور: عَبدالمُعطي

أَمِين القَلعجي . دَار الكُتُب العِلْمِيَة ـ بَيْرُوت . الطَبْعَة الأُولىٰ (١٤٠٧ هـ) .

حَرْف الطَّاء

١٨٣. الطّبقات الكُبرىٰ ، لمحَمَّد بن سَعد الوَاقدي الزُّهري (ت ٢٣٠ هـ) ، دَار صَادِر ، بَيْرُوت ١٤٠٥هـ ، طَبْعَة أُوربا ، طَبْعَة لَيدن .
١٨٤. طَبْقَات الشّافِعِية ، لعَبد الوَهَّاب بن عَليّ تَاج الدِّين السَّبكي (٧٧١ هـ) ، تَحْقِّيق : الحلُو ، والطّناحي ، دَار إِحيَاء الكُتْب العَربية بالقَاهرَة ١٣٩٦ هـ .
١٨٥. طَبْقَات الحفّاظ ،لعَبد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكر جَلاَل الدّين السّيوطي (ت ٩١١ هـ) ، طَبْعَة بُولاَق .
١٨٦. طَبْقَات الحَنَابلة ، لأَبِي يَعلىٰ ، تَحْقِّيق : مُحَمَّد حَامد الفَقي ، مطَبْعَة السُّنَّة المحَمَّدية .
١٨٧. طَبْقَات الشّافِعِية الكُبرىٰ ، لتَقي الدّين أَبِي الحَسَن عَليّ بن عَبد الكَافيّ السّبكيّ (ت ٧٧١ هـ ق) ، تَحْقِّيق : عَبد الفتّاح مُحَمَّد الحلُو ، وَمَحمُود مُحَمَّد الطّناحي ، دَار إِحيَاء الكُتب العَربية . طَبْعَة عِيسَىٰ البَابيّ ـ مَصْر ١٣٨٣ هـ .
١٨٨. طَبْقَات الفُقهَاء ، إِبرَاهِيم بن عَليّ الشِّيرَازي ، أَبُو إِسحَاق (ت ٤٧٦ هـ) ، تَحْقِّيق : إِحسَان عَبَّاس . الطَبْعَة الثَّانِيَة ـ بَيْرُوت ١٩٨١م ، وَكَذَلك طَبْعَة ـ بَغْدَاد .

حَرْف العَين

١٨٩. العِقد الفَرِيد ، أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبد رَبِّه الأُندلسِي (ت ٣٢٨ هـ) . دَار الكُتُب العِلْمِيَة . بَيْرُوت : لُبْنَان . وبتَحْقِّيق أَحْمَد أَمِين وَجمَاعة ، طَبْعَة القَاهرَة . وتَحْقِّيق : مُحَمَّد سَعِيد العريَان .

١٩٠. عُمدَّة الطَّالب فِي أَنْسَاب آل أَبِي طَالب ، لِابْن عنبَه أَحمَد بن عَليّ جمَال الدِّين الحُسَيْنيّ (ت ٨٢٨ هـ) ، المَطْبَعة الحَيدرِية النَّجف الأَشرَف عَام ١٣٨٠ هـ.

١٩١. عُيُون الأَثر ، لأَحمد بن عَبدالله بن يَحْيَىٰ المَشهُور بِاَبن سَيّد ٱلنَّاس (ت ٧٣٤ هـ ق) ، طَبْعَة دَار المَعْرِفَة ـ بَيْرُوت ١٤٠١ هـ ، طَبْعَة القُدسي ١٣٥٦ هـ.

١٩٢. عُيُون أَخبَار الرّضاﷺ ، لأَبي جَعْفر مُحمّد بن عَليّ بن الحُسَيْن بن بَابوَيه القُمي المَعرُوف بِالشَّيخ الصّدوق (ت ٣٨١ هـ) ، ، مَنشُورَات المَكتَبة الحَيدرِية ، النّجف الأَشرَف.

١٩٣. عُيُون الأَخبَار وَفنُون الآثَار ، لِابْن قُتيبة الدّينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، طَبْع دَار الكِتَاب العَربِي ، وطَبْع قَدِيم.

١٩٤. عُيُون الأَخبَار ، لِابْن قِتِيبة . طَبْعَة المُؤسَّسة المَصْرِيَة العَامة . سَنَة ١٣٩٢ هـ.

١٩٥. العِقْدُ الَّثمينُ في إِثبَاتِ وِصَايَةِ أَمِيرِ المُؤمِنِينﷺ ، للقَاضي الحَافظ الضَّابط المُحَدث شَيخ الإِسْلاَم مُحمَّد اَبن عَليّ بن مُحمَّد الشَّوْكَانيّ اليَمَانيّ الصَّنعانيّ المُتوفّىٰ بِمَدِينة صَنعَاء فِي جُمَادَىٰ ٱلْأَخِرَة سَنَة ١٢٥٠ هـ. تَحقِّيق : سَامي الغُريري.

١٩٦. العقُود الجَوهريَّة فِي مَدَائح الحَضرة الرِّفَاعيَّة ، طَبع مَصر سَنَة « ١٣٠٦ هـ ».

١٩٧. العِلل ومَعْرِفَة الرِّجَال ، أَحْمَد بن مُحمَّد بن حَنبل (ت ٢٤١ هـ) . تَحْقِّيق : الدُّكتُور طَلعت قُورج بَيكت ودَاود إِسْمَاعِيل جَراح أوغلي . طَبْعَة أَنقره (١٩٦٣ م).

١٩٨. عُمدَة القَارىء (شَرْح صَحِيح البُخَاري) ، بَدر الدِّين مَحمُود بن أَحْمَد العَيني (٨٥٥ هـ) . دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي ـ بَيْرُوت .

١٩٩. العُمدّة ، الحَسَن بن رَشِيق (ت ٤٥٦ هـ) . تَحْقِّيق : مُحمَّد مُحيي الدِّين عَبدالحمِيد طَبْعَة القَاهرَة .

حَرْف الغَين

٢٠٠. الغَارَات ، لأَبي إِسحَاق إِبرَاهِيم بن مُحَمّد بن سَعِيد المَعرُوف بآبن هِلال الثّقفي ، مَنْشُورات أنجمن آثَار ملّي ـ طَهرَان .

حَرْف الفَاء

٢٠١. الإِفَادة فِي تَارِيخ الأَئِمَّة السَّادَة ، لِلإِمَام النَّاطق بِالحَقّ أَبِي طَالب يَحْيَىٰ آبن الحُسين بن هَارون الهَارُوني الحَسَني ، تَحقِّيق : إِبرَاهِيم بن مَجد الدِّيـن بـن مُحَمَّد المُؤيدِي ، وَهَادي بن حَسَن بن هَادي الحَمزَّاوي ، مَنْشورَات مَركَز أَهْـل البَيْت للدِّرَاسَات الإِسلاَمِيَّة ، اليمَن صَـعْدَة ، الطَّـبعَة الأُولىٰ عَـام (١٤٢٢ هـ). وَ (مَخْطُوط).

٢٠٢. فَتح البَاري شَرْح صَحِيح البُـخَاري ، مُـحَمَّد بـن حَـبِيب البَـغْدَادِي (ت ٢٤٥ هـ). طَبْعَة بُولاق (١٣٠١ هـ). طَبْعَة السَّلفِية (١٣٩٠ هـ).

٢٠٣. فَتح البَاري شَرْح صَحِيح البُخَاري ، لأَحمَد بن عَليّ بن مُحَمَّد بن حَجر العَسقلاَني ، (ت ٨٥٢ هق) ، النّاشر : دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي ، بَيْرُوت ، والمطْبَعَة السّلفية مَصْر ١٣٨٠ هـ ، وتَحْقِّيق : عَبد العَزِيز بن عَبدالله بن بَاز ـ القَاهرَة ١٣٩٨ هـ

٢٠٤. اَلْفَتْح القَدِير (تَفْسِير) ، لُمحَمَّد بن عَليّ الشّوكَاني ، (ت ١٢٥٠ هـ) ، دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي ، طَبْعَة دَار الكُتْب العِلْمِيَة بَيْرُوت ١٤٠٣ هـ.

٢٠٥. الفُتُوح ، أَحْمَد بن أَعْثَمْ الكُوفِي . أَجزَاء . دَائِرَة المَعَارِف الحَيْدَرِيَّة . النَّجف ١٩٦٢ م / ١٣٨٢ هـ.

٢٠٦. فُتُوح البُلدان ، أَحْمَد بن يَحْيَىٰ البَلاَذري (ت ٢٧٩ هـ). تَحْقِّيق : رَضوَان مُحَمَّد رَضوَان . السَّعَادَة ، القَاهرَة (١٩٩ م) ، وَكَذا طَبْعَة (١٣١٩ هـ).

٢٠٧. **الفَخرِي فِي أَنْسَاب الطَّالبِيين**، للسّيد عزّ الدّين بن أَبِي طَالب إسْمَاعِيل ٱبن الحُسَيْن. تَحْقِّيق: السَّيِّد مَهدي الرَّجَائي. مَكْتَبَة آية الله العُظمىٰ المَـرعَشي. قُم (١٩٨٩م / ١٤٠٩هـ).

٢٠٨. **الفُرْدُوس بِمَأثُور الخِطَاب**، لأَبي شجَاع شِيرَويه بن شَهردَار بن شِيرَويه بن فَنا خُسرو الدّيلمي الهَمدَاني (إلْكِيا) (ت ٥٠٩ هـ ق)، تَحقِيق: السّعيد بن بَسيوني زَغلول طَبعَة دَار الكُتب العِلميَة بَيرُوت، الطَّبعة الأَولىٰ ١٤٠٦هـ، و ١٤١٩هـ.

٢٠٩. **فرَائِد السّمْطَين فِي فضَائِل المُرتَضىٰ وَالبَتُول والسِّبْطَين وَالأَئِمة مِـن ذُريتهم**، لإِبرَاهيم ٱبْن مُـحَمَّد بـن المُـؤيد بـن عَـبد الله الجُـويني الحـمُويني، (ت ٧٢٢ أو ٧٣٠ هـ ق)، تَـحْقِّيق: مُـحَمَّد بَـاقر الـمحمُودي، طَـبْعَة مُـؤسّسة المَحمُودي بَيْرُوت ١٣٩٨هـ.

٢١٠. **فَيض القَدِير**، لمحَمَّد بن عَـليّ الشّـوكاني، (ت ١٢٥٠ هـ)، طَـبْع دَار الصَّحَابَة.

٢١١. **فَيض القَدِير شَرْح الجَامِع الصَّغِير**، لأَبِي زَكرِيا يَحْيَىٰ بن مُـحَمَّد عَـبد الرّؤوف المَناويّ (ت ١٠٣١ هـ ق)، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ القَاهرَة ١٣٥٦هـ.

٢١٢. **الفُصُول المُهمَّة فِي مَعْرِفة الأَئِمَّة**. عَليّ بن مُحمَّد الصَّباغ المَالكِي (٨٥٥هـ). مُؤسَّسَة الأَعلمي للمَطبُوعات ـ بَيْرُوت. (١٤٠٨ هـ)، وَكَذا طَـبْعَة الحَـيْدَرِيَّة ـ النَّجف. الْعِرَاق عَام (١٣٨١ هـ)، وَكَذا طَبْعَة دَار الحَدِيث قُم.

٢١٣. **الفَضَائل**، لأَبي الفَضل سَدِيد الدّين شَاذان بن جِبرِيل بن إِسمَاعِيل بن أَبي طَالب القُمي (ت ٦٦٠ هـ)، طَبعَة دَار الكتَاب العربيّ بَيرُوت ١٤٠٦ هـ، وَالمَطبعَة الحَيدرِية النَّجف الأَشرَف، الطَّبعة الأُولىٰ ١٣٣٨ هـ.

٢١٤. **فَضَائل الصّحَابة**، لأبِي عَبدالله أَحمَد بن مُحمّد حَنْبل الشّيبَانيّ (٢٤١هـ)،

تحقِّيق : وَصي الله بن مُحمّد عبَّاس ، دَار العِلم ، الطَّبعَة الأُولىٰ ١٤٠٣ ه، وَطَبْعَة جَامعَة أُمّ القُرىٰ السّعودِية .

٢١٥. فَضَائل الخَمْسَة مِن الصّحَاح السِّتة ، لمُرتَضىٰ الحُسَيْنيّ الفَيروز آبَادي ، مُؤسَّسَة الأَعلمي للمَطبُوعات ، بَيْرُوت ، الطَبْعَة الثّالثَة ١٩٧٣ م .

٢١٦. الفَصل فِي المِلل وَالأَهوَاء وَالنِّحل ، عَليّ بن أَحْمَد بن حَزم (ت ٤٥٦ ه) . طَبْعَة القَاهرَة (١٣٢١ ه) .

٢١٧. الفَهْرَست ، لأَبِي جَعْفر مُحمَّد بن الحَسَن المَعْرُوف بِالشَّيخ الطّوسيّ (ت ٤٦٠ ه ق) ، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٤١٢ ه .

٢١٨. الفصُول اللُّؤلؤيَة فِي أُصول العِتْرَة النَّبوِيَّة ، لإِبرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عَبدالله اَبن إِبرَاهِيم اَبن عَليّ المُرْتَضىٰ الصَّنعَاني الشَّهير بِالوَزِيري الزَّيدِي ، مَخْطُوط .

٢١٩. فوَات الوَفِيّات ، مُحَمَّد بن شَاكر الكُتْبي (ت ٧٦٤ ه) . تَحْقِّيق : إِحسَان عَبَّاس . طَبْعَة بَيْرُوت (١٩٧٣ م) .

حَرْف القَاف

٢٢٠. قَاموس الرِّجَال فِي تَحْقِّيق روَاة الشِّيْعَة وَمُحدثِيهم ، لُمحَمَّد تَقي بن كَاظم التُّستري (ت ١٣٢٠ ه) ، مُؤسَّسَة النّشر الإِسْلاَميّ ، قُم الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٤١٠ ه .

٢٢١. القَامُوس المحِيط ، لُمحَمَّد بن يَعقُوب الفَيروز آبَادي ، مطْبَعَة مُصْطَفىٰ البَابي الحَلبي القَاهرَة ، الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٩٥٢ م .

٢٢٢. القَامُوس ، لُمحَمَّد مُرتَضىٰ الزّبيديّ (ت ١٢٠٥ ه ق) ، طَبْعَة دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي ـ بَيْرُوت ١٤٠٥ ه .

٢٢٣. قُرّة العُيُون بِأَخبَار اليَمَن المَيمُون ، لأَبي الضِّيا عَبدالرَّحمن بن عَليّ الدّيبع

الشَّيبَاني الزُّبيدي (الرَّازي) ، حَقَقَّه وَعَلَّق عَلَيه مُحَمَّد بن عَليّ الأَكوع الحـوَالي طَبع بَيرُوت سَنَة ١٩٨٨ . (وَمَخْطُوط) .

٢٢٤. **القَول المُبين فِي فَضَائِل أَهْل البَيْت المُطَهرِين** عليهم السلام ، **مُحَمَّد بن عَـبدالله** سُليمان العزيّ ، طَبع مُؤَسَّسة الإِمَام زَيد بن عَليّ الثَّقَافِية .

حَرْف الكَاف

٢٢٥. **الكَافِي (الأُصُول)** ، المطبَعَة الإِسْلاَمِيَّة . عَام (١٣٨٨ هـ . ق) . طَهرَان ، ثُمَّ طَبعَ سَنَة (١٣٧٧ هـ . ق) الحَيدرِي . طَهرَان ـ إِيرَان .

٢٢٦. **الكَامل فِي التَّأرِيخ** ، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن أَبِي الكرَام مُحَمَّد مُحَمَّد بن عَبدالكَرِيم الشَّيبَاني المَعْرُوف بِأَبن الأَثِير (ت ٦٣٠ هـ) . عُني بمرَاجَعَة أُصـوله : نُخبَة مِن العُلمَاء . دَار الكِتَاب العَربِي . بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

٢٢٧. **كتَاب الهوَاتف** لِابْن أَبي الدُّنيا ، أُخذ بِالوَاسطَة .

٢٢٨. **كَنز العُمّال فِي سُنن الأَقوَال وَالأَفعَال** ، لعَلاَء الدّين عَليّ المُتّقي أَبن حُسَام الدّين الهِندي (ت ٩٧٥ هـ) ، تَصحِيح صَفوَة السّقا ، مَكـتَبة التُّـرَاث الإِسـلاَمي ـ بَيْرُوت ، الطّبعة الأُولىٰ ١٣٩٧ هـ ، وَطَبْع دَار الوَعي حَلب ١٣٩٦ هـ .

٢٢٩. **كَشف الغُمَّة فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة** ، لعَليّ بن عِيْسَىٰ الإِربليّ (ت ٦٨٧ هـ) ، تَصحِيح هَاشم الرّسولي المَحلاتي ، دَار الكِـتَاب الإِسْـلاَميّ ، بَـيْرُوت ، الطَـبْعَة الأُولىٰ ١٤٠١ هـ ، طَبْعَة تَبريز بدُون تأرِيخ .

٢٣٠. **كَشف الغُمَّة فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة** ، لعَليّ بن عِيْسَىٰ الإِربليّ (ت ٦٨٧ هـ) ، تَصحِيح هَاشم الرّسولي المَحلاتي ، دَار الكِـتَاب الإِسْـلاَميّ ، بَـيْرُوت ، الطَـبْعَة الأُولىٰ ١٤٠١ هـ ، طَبْعَة تَبريز بدُون تأرِيخ .

٢٣١. كَشف المُرَاد، لجمَال الدّين أَبِي مَنْصُور الحَسَن بن يُوسُف بن عَليّ بن المُطهر الحِلي (ت ٧٢٦ هـ) طَبْعَة دَار الفِكر، ودَار إِحياء التُّرَاث بَيْرُوت.

٢٣٢. كَشف الظّنُون، عَبدالرَّحمَن بن مُحَمَّد بن إدرِيس الرَّازي، آبْن أَبِي حَاتم (ت ٣٢٧هـ). طَبْعَة أستَانبُول (١٩٤١ م).

٢٣٣. الكَامل فِي الضُّعفَاء، عَبدالله بن عَدي (ت ٣٦٥هـ). تَحْقِّيق: عَبدالمُعطي قَلعجي. طَبْعَة بَيْرُوت ١٩٨٤ م.

٢٣٤. كَشف الظّنون عن أَسَامي الكُتْب وَالفنُون، لمُصطَفىٰ بن عَبدالله القَسْطَنطِيني (ت ١٠٦٧ هـ ق)، طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٣٨٩ هـ.

٢٣٥. كَشف الظّنون عن أَسْمَاء الكُتْب والفنُون، حَاجي خَلِيفة، مَنْشورَات مَكْتَبَة المُثنّىٰ، بَغْدَاد.

حَرف اللاَّم

٢٣٦. اللُّبَاب، لأَبي السَّعَادَات مَجد الدّين المُبَارك بن مُحمّد بن مُحمّد المَعرُوف بِأبن الأَثِير الشَّيبَاني الشّافِعِي، (ت ٦٠٦ هـ)، طَبعَة بُولاَق.

٢٣٧. لبُاب النّقول فِي أَسبَاب النّزول، لعَبد الرّحمن بن أَبي بَكْر جَلاَل الدّين السّيُوطي (ت ٩١١ هـ)، طَبعَة مُصْطفَىٰ البَابي الحَلبي.

٢٣٨. لسَان العَرَب، لأَبي الفَضل جمَال الدّين مُحمَّد بن مُكرم بن مَنظُور الأَفريقي المَصْري، (ت ٧١١ هـ ق)، الطَبْعَة الأُولىٰ دَار صَادِر ـ بَيْرُوت ١٤١٠ هـ.

٢٣٩. لسَان المِيزَان، لأَبِي الفَضل أَحْمَد بن عَليّ بن حَجر العَسقلاَنيّ (ت ٨٥٢ هـ ق)، تَحقِّيق: عَادل أَحْمَد عَبد المَوجُود، وعَليّ مُحمَّد مُعوض، طَبْعَة دَار الكُتب العِلمِيَة بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٦ هـ.

حَرْف المِيم

٢٤٠. مَآثر الإِنَافة فِي مَعَالم الخِلاَفة، لأَحمد بن عَبدالله القَلْقَشندي (ت ٨٢١هـ) تحقِّيق: عَبد السّتار فرَّاج، طَبْعَة عَالم الكُتب بَيْرُوت.

٢٤١. المَآثر النَّفِيسَة فِي مناقب السَّيِّدة نَفِيسَة، لجمَال الدِّين مُحمد الرُّومي، طَبعَة الحَجْر.

٢٤٢. المِئة المُخْتَارة، لعَمرُو بن بَحر الجَاحظ بن مَحبُوب الكنَاني اللّيثي (ت ٢٥٥ هـ).

٢٤٣. المُختَصر فِي أَخْبَار البَشر، (تأرِيخ أَبِي الفدَاء)، لعمَاد الدّين إِسْمَاعِيل أَبُو الفدَاء، (ت ٧٣٢ هق)، نَشر مَكْتَبَة القُدسيّ، طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٤٠٨ هـ، طَبْعَة إدَارة ترحَاب السُّنَّة ـ بَاكستَان، المَكْتَبَة الإِعدَادِية.

٢٤٤. المُدونَّة الكُبرىٰ للإِمَام مَالِك، طَبع القَاهرَة.

٢٤٥. مُخْتَصر تَأرِيخ العَرب، سيّد أَمِير عَليّ، أُخذ بِالوَاسطَة.

٢٤٦. مَجْمَع الزّوَائد وَمَنبع الفوَائد، لعَليّ بن أَبِي بَكْر الهَيثميّ (ت ٨٠٧هق)، تَحْقِّيق: عَبدالله مُحَمَّد دَرويش، طَبْعَة دَار الفِكر، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ بَيْرُوت ١٤١٢ هق)، مُصَوَّرَة عن طَبْعَة القُدسيّ ١٣٨٩ هق، طَبْعَة ـ القَاهرَة الثَّانِيَة بدُون تأرِيخ.

٢٤٧. المَحَاسن، لأَبي جَعْفر أَحمَد بن مُحَمّد بن خَالد البَرقي (ت ٢٨٠ هـ)، تَحقِيق: السَّيِّد مَهدي الرَّجَائي، المَجْمَع العَالمي لأَهل البَيْت ـ قُم، الطّبعَة الأُولىٰ ١٤١٣ هـ.

٢٤٨. مُحَاضرَات الأُدبَاء، الرَّاغب الإِصفهَاني، طَبعَة بَيرُوت.

٢٤٩. المُخْتَصَر، الحَسن بن سُيلمَان الحِلي، طَبعَة النَّجف الأَشرف.

٢٥٠. المُحَلىٰ، لأَبي مُحَمّد عَليّ بن أَحمَد بن سَعِيد ٱبن حَزم الظّاهري، دَار الفِكر.

٢٥١. مُروج الذَّهَب وَمَعَادن الجَوهر، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن الحُسَيْن المَسعُوديّ (ت ٣٤٦ هق)، تَحْقِيق: مُحَمَّد مُحييّ الدّين عَبد الحَمِيد، مطْبَعَة السّعادة، الطّبْعَة الرّابعة ـ القَاهرَة ١٣٨٤ ه.

٢٥٢. المُستَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين، لأَبِي عَبدالله مُحَمَّد بن عَبدالله الحَاكم النّيسابُوري، دَار الكُتُب العِلْمِيَة ـ بَيْرُوت، الطّبْعَة الأُولىٰ ١٤١١ ه، طَبْعَة حَيدر آبَاد.

٢٥٣. مُسْنَد الإِمَام زَيد بن عَليّ زَين العَابدِين، جَمع عَليّ بن سَالم الصّنعانيّ، طَبعَة دَار الصَّحَابة ١٤١٢ ه. طَهرَان دَار الكُتب الإسلاَميَّة، الطّبعَة الثّانِية.

٢٥٤. مُسْنَد أَحْمَد، لُمحَمَّد بن حَنبل الشّيبانيّ (ت ٢٤١ هق)، تَحْقِّيق: عَبد الله مُحَمَّد الدّرويش، طَبْعَة دَار الفِكر، الطَبْعَة الثّانِيَة ـ بَيْرُوت ١٤١٤ ه، طَبْعَة جَامعة أُم القُرىٰ السّعودية، طَبْعَة دَار العِلم ١٤٠٣ ه.

٢٥٥. مُسْنَد ٱبْن مَاجه، لُمحَمَّد بن يَزيد القَزوينيّ (ت ٢٧٥ هق)، تَحْقِّيق: فُؤاد عَبد البَاقي، نَشر دَار الفِكر، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٣٧١ ه، دَار إِحيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٩٥ ه.

٢٥٦. مُسْنَد الطّيالسيّ، لسُليمان بن دَاود الطّيالسيّ (ت ٢٠٤ هق)، طَبْعَة دَار صَادِر ـ بَيْرُوت ١٤٠٢ ه.

٢٥٧. المَصَابِيح، لأَحمَد بن إِبْرَاهِيم بن الحَسَن بن عَليّ بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن سُليمان ٱبن دَاود بن الحَسَن بن الحَسَن السِّبط بن أَمِير المُؤمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب: ٢٤٨، تحقِيق عَبدالله بن عَبدالله بن أَحْمَد الحُوثي، طَبع مُؤسَّسة الإِمَام

زَيد آبن عَليّ الثّقافِية .

٢٥٨. مَصَابِيح السُّنَّة ، البَغوي الشّافِعي ، طَبع مُحَمّد عَليّ صَبِيح .

٢٥٩. مَطَالب السّؤول فِي مناقب آل الرّسول ، لكمَال الدّين مُحَمّد بن طَلحَة الشّافعي (ت ٦٥٤ هـ) ، النَّجف الأَشرف ، وَنُسخَة خَطيّة فِي مَكتبَة المَرعَشي قُم .

٢٦٠. المُصنَّف ، عَبدالرَّزاق بن هَمَّام الصَّنعاني (٢١١ هـ) . تَحقِّيق : حَبيب الرّحمن الأَعظمي . مَنْشُورات المَجلس العِلمي ، طَبْعَة بَيرُوت سَنَة (١٣٩٠ هـ) وَمَا بَعدها .

٢٦١. المَعَارف ، لأبي مُحَمّد عَبد الله بن مُسْلم المَعرُوف بِآبن قُتَيبَة الدّينوريّ (ت ٢٧٦ هـ ق) ، حَقّقه وَقَدمَّ لهُ ثَروت عُكَاشه : مَنشورَات الشَّرِيف الرّضيّ الطّبعَة الأُولىٰ ١٤١٥ هـ .

٢٦٢. مَعَالم التّنزيل ، لمُحَمّد الحُسَيْن بن مَسعُود الفرّاء البَغويّ (ت ٥١٦ هـ ق) ، تَحقِيق : خَالد مُحَمّد العَك ، وَمروَان سوّار ، نَشر دَار المَعرفَة ، الطّبعَة الثّانِية ـ بَيرُوت ١٤٠٧ هـ .

٢٦٣. مَعَالم العِترَة النّبوّية وَمَعارف الأَئِمَّة أَهْل البَيْت الفَاطِمية ، لأَبي مُحَمّد تَقيّ الدّين عَبدالعَزيز بن مَحمُود بن المُبارك بن الأَخضر الجنَابذي الحَنْبلي (٥٢٤ ـ ٦١١ هـ) ، (مَخطُوط) ، وَمَطبُوع فِي بَيرُوت ١٤٠٧ هـ .

٢٦٤. مُعجَم الأُدبَاء ، لأَبي عَبدالله يَاقوت الحَمويّ البَغدَاديّ المغَازيّ (ت ٦٢٦ هـ ق) ، طَبعَة دَار المَأمُون ـ بَغدَاد ١٣٥٥ هـ .

٢٦٥. مُعْجَم البُلدَان ، لأَبي عَبدالله شَهاب الدّين يَاقُوت بن عَبدالله الحَمويّ الرّوميّ (ت ٦٢٦ هـ) ، طَبعَة دَار إِحيَاء التّراث العَربيّ بَيرُوت الطّبعة الأُولىٰ ١٣٩٩ هـ ق .

٢٦٦. المُعجَم الصَّغِير، لأَبِي القَاسم سُليَمان اَبن أَحْمَد بن أَيُوب بن مُطير اللّخمي الشّامي الطّبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد عُثْمان، دَار الفِكر، بيْرُوت، الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٤٠١ هـ.

٢٦٧. المُعْجَم الأوسَط، أَبُو القَاسم سُليمان بن أَحْمَد الطَّبري (٣٦٠هـ). مَكْتَبَة المَعَارِف - الرِّيَاض. الطَبْعَة الأُولىٰ (١٤٠٧ هـ). قَام بإِخرَاجه: إِبرَاهِيم مُظفر وآخرُون. تَحت إِشرَاف: مَجْمَع اللُّغة العَربِية ـ مَصْر.

٢٦٨. المُعْجَم الكَبِير، لأَبِي القَاسم سُليَمان بن أَحْمَد اللَّخمي الطَّبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تَحْقِّيق: حَمدي عَبد المَجِيد السّلفي، دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي، بيْرُوت الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٤٠٤ هـ

٢٦٩. المُعْجَم الأوسط، لأَبِي القَاسم سُليَمان اَبن أَحْمَد بن أَيُوب بن مُطِير اللّخمي الشّامي الطّبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تَحْقِّيق: طَارق بن عُوض الله، وعَبد الحَسَن بن إِبرَاهِيم الحُسَيْنيّ، دَار الحَرمين، القَاهرَة، ١٤١٥ هـ.

٢٧٠. مُعْجَم رِجَال الحَدِيث، السَّيِّد أَبُو القَاسم بن عَليّ أَكبر الخُوئي، طَبْعَة دَار إِحيَاء التُّرَاث بيْرُوت ١٤٠٦ هـ، وَمَنشُورات مَدِينة العِلم، قُم، الطَبْعَة الثَالثة ١٤٠٣ هـ.

٢٧١. المُعمّرون وَالوَصايا، لأَبي حَاتم السِّجستَاني (ت ٢٥٠ هـ)، تَحقِيق: عَبد المُنعم عَامر، الطَّبعَة المَيمَنية بمَصر ١٣٥٦ هـ.

٢٧٢. المِعيَار وَالموَازنة، لأَبي جَعْفر مُحَمّد بن عَبدالله الإِسكَافي (ت ٢٤٠ هـ)، تَحقِيق: مُحَمّد بَاقر المَحمُودي.

٢٧٣. مَجْمَع البَيَان فِي تَفْسِير القُرْآن، لأَبِي عَليّ الفَضل بن الحَسَن الطّبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ ق)، طَبْعَة دَار المَعْرِفَة ـ بيْرُوت ١٤١٩ هـ، طَبْعَة دَار إِحيَاء التُّرَاث

العَرِبي .
٢٧٤. المَغَازي ، لمُحَمّد بن سَعد الوَاقدي الزُّهري ، (ت ٢٣٠ هـ) ، تَحقِيق : الدّكتور مَارسُون جُونس ، مُؤسَّسة الأَعلمي للمَطبُوعات ، بَيرُوت ، وَطَبعَة مَصر ، الدّار العَامرة .
٢٧٥. المُغني ، لأَبِي مُحَمَّد مُوفق الدّين مُحَمَّد بن عَبد الله بن أَحْمَد بن قُدَامة المَقدسي (ت ٦٢٠ هـ) ، دَار الكِتَاب العَربِي بَيرُوت ١٣٥٩ هـ ، طَبْعَة مُحَمَّد عَليّ صَبيح وَأَولاَده .
٢٧٦. المُغني ، لأَبِي مُحَمَّد عَبدالله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامة المَقدسيّ ، عَلىٰ مُخْتَصر لأَبِي القَاسم عُمر بن الحُسَيْن بن عَبد الله بن أَحْمَد الخَرقي مطَبْعَة المنَار ـ مَصْر ١٣٤٢ هـ .
٢٧٧. مُغني الُمحتَاج إلىٰ مَعْرِفَة معَاني أَلفَاظ المِنهَاج ، الشَرْح للشَّيخ مُحَمَّد الشّربيني الهجري ، دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي ، بَيْرُوت .
٢٧٨. مُقدَّمة اَبن خُلدُون ، لِابْن خُلدُون المَغربي (ت ٨٠٨ هـ) ، دَار الجَبل بَيرُوت .
٢٧٩. مُقَدِّمَة كتَاب المَجْمُوع ، شَرْح المُهَذب للنَّووي ، أُخذ بِالوَاسطَة .
٢٨٠. المِلل والنِّحل ، لأَبِي مَنْصُور عَبد القَاهر بن طَاهر بن مُحَمَّد الّتمِيمي البَغْدَادِي (ت ٤٢٩ هـ) ، تَحْقِيق : البِير نَصري نَادر ، طَبْعَة دَار المَشرق ، بَيْرُوت ١٩٧٠ م .
٢٨١. المِلل والنِّحل ، لأَبِي اَلْفَتْح ، مُحَمَّد بن عَبد الكَريم الشّهرستَاني (ت ٥٤٨ هـ) عَلىٰ هَامش (الفَصل) ، لِابْن حَزم الظَّاهري ، الطَبْعَة الثَّانِيَة ، أُفست ، دَار المَعْرِفَة بَيْرُوت .

٢٨٢. مناقب آل أَبِي طَالب، لأَبِي جَعْفر رَشِيد الدّين مُحمَّد بن عَليّ بن شهر آشوب المَازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، المطبَعَة العِلْمِيَة قم، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف.

٢٨٣. مناقب أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب، لُمحَمَّد بن سُليَمان الكُوفِي القَاضي (ت ٣٠٠ هـ)، تَحقِّيق: مُحَمَّد بَاقر الـمحمُودي، مَجْمَع إحيَاء الثّقافة الإِسْلاَميّ، قُم، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ.

٢٨٤. مَنَاقب المغَازلي، لأبي الحَسن عَليّ بن مُحَمّد بن مُحَمّد الوَاسطي الشّافِعِي المَعرُوف بِأبن المغَازلي (ت ٤٨٣ هـ)، إعدَاد: مُحَمّد بَاقر المَحمُودي، دَار الكُتب الإِسلاَمية، طَهرَان، الطّبعَة الثّانِية ١٤٠٢ هـ.

٢٨٥. مناقب السَّيِّد الرِّفَاعي للبَكْري، أُخذ بالوَاسطَة.

٢٨٦. المِنَن وَالأَخلاَق فِي بَيَان وجُوب التّحدث بنعمَة الله، الشَّعرَاني.

٢٨٧. مقَاتل الطَّالبيين، أَبُو الفَرج عَليّ بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد القَرشي الإِصبهَانِي الأُمـوري (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ). شَرْح وتَحقِّيق: السَّيِّد أَحمَد صَقر. مُؤسَّسَة الأَعلمي. بيْرُوت ـ لُبْنَان.

٢٨٨. مَقْتَل الحُسَيْن عليه السلام ومَصْرع أَهْل بَيْتَه وَأصحَابه بِكربلاَء (المُشتَهر: مَقْتَل أَبِي مِخْنَف)، أَبُو مِخْنَف لوط بن يَحيَىٰ. مَكتَبَة العُلوم العَامة. البَحْرين. مَكتَبَة الخير. صَنْعَاء ـ ج. ي. (مُصور عن أَصل مَخطُوط) يَقع فِي (١٤٤) صَفحَة.

٢٨٩. مَقْتَل الحُسَيْن، لمُوفق بن أَحمَد المَكي الخوَارزمي الحَنفي (ت ٥٦٨ هـ)، تَحقِيق: مُحَمّد السّماوي، مَكتبَة المُفيد، قُم، وَطَبع مَطبعَة الزّهراء عليها السلام.

٢٩٠. مُنْتَخب كَنز العُمَّال، عَليّ بن حسَام الدِّين بن عَبدالمَلك (٨٨٥ـ٩٧٥ هـ). دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي. بيْرُوت ـ لُبنَان.

٢٩١. مَوسُوعَة المِلل والنِّحل، أَبِي ٱلْفَتْح الشّهرستاني عَام ١٩٨١ م. بدُون ذِكر

لإسم الدَار النَّاشر.

٢٩٢. مَودّة القُربىٰ، للسَّيِّد عَليّ بن شَهاب الدّين الحُسَيْنيّ العَلوي الشّافِعِي الهَمدَاني، طُبع ١٩٩٠م.
٢٩٣. مِيزَان الإعتدَال فِي نَـقد الرِّجَـال، لأَبِـي عَـبد الله مُـحَمَّد بـن أَحْـمَد الذّهبي، (ت ٧٤٨ هـ ق)، تَحقِّيق مُحمَّد البَجَاوي، طَـبْعَة دَار المَـعْرِفَة للـطّباعَة والنّشر بَيْرُوت ١٩٦٣م، وطَبْع القَاهرَة ١٣٢٥ هـ، دَار الفِكر بَيْرُوت.
٢٩٤. المِيزَان فِي تَفْسِير القُرْآن، لُـمحَمَّد حُسِـين الطَّـباطَبائِي، دَار الكُـتُب الإِسْلاَمِيَّة، طَهران، الطَبْعَة الثَّالِثة ١٣٩٧ هـ.
٢٩٥. مِيزَان الإعتدَال، مُحَمَّد بن أَحْمَد بـن عُـثْمان الذَّهَـبي (ت ٧٤٨ هـ). تَحقِّيق: عَليّ البَجَاوي. طَبْعَة القَاهرَة (١٩٦٣م).
٢٩٦. مُعْجَم مَا ٱستعْجم مِن أَسْمَاء البِلاَد والمَواضع، عَبدالله بن عَـبدالعَـزِيز البَكْري (ت ٤٨٧ هـ). تَحقِّيق: مُصْطَفىٰ السَّقاء. طَبْعَة القَاهرَة (١٩٤٥م)، وَكَذا الطَبْعَة الثَّالِثة لعَالم الكُتُب. بيْرُوت ـ لُبْنَان. سَنَة (١٤٠٣ هـ).
٢٩٧. مُـعْجَم المَـطبُوعَات العَـربِية وَالمُـعرَبة، سـركِيس، يُـوسُف إليـان (ت ١٣٥١ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٩٢٨م).
٢٩٨. المَعْرِفَة والتَّارِيخ، يَعقُوب بن سُفيَان الفَسَوِيّ (ت ١٢٧٧ هـ). تَحقِّيق: أَكرَم ضِيَاء العُمري. طَبْعَة بَيْرُوت (١٩٨١م).
٢٩٩. مَعْرِفَة علُوم الحَدِيث، مُحَمَّد بن عَبدالله الحَاكم (ت ٤٠٥٦ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٩٣٧م).
٣٠٠. معَاهد التَّنصِيص علىٰ شَوَاهد التَّلخِيص، عَبدالرَّحمَن بن عَبدالرَّحـمَن العَبَّاسي (ت ٩٦٣ هـ).

٣٠١. مفتاح السَّعَادَة وَمصبَاح السَّعَادَة، لطَاش كُبرىٰ زَادة. طَبْعَة حيدر آبَاد عَام (١٣٢٩ هـ).

٣٠٢. مَنْهَل السَّاعة، فِي ذِكر شَيء مِمَّا كَان عَلَيه بَعْض صَفوَة السَّادة مِن الزُّهد وَالوَرَع وَالعِبَادة، السَّيِّد العَلاَّمة عَليّ بن مُحَمَّد العَجري، تَحقِيق: عَبدالله بن حمُود العزيّ، طَبع مُؤسَّسة الإمَام زَيد بن عَليّ الثَّقافِية.

٣٠٣. المُوطأ، مَالك بن أَنس بن مَالك الأَصبحي الحِميَري. تَحقِّيق: مُحَمَّد فُؤاد عَبدالبَاقي. المَكْتَبَة الثَّقافِية. بَيرُوت ـ لُبنَان بِالإضَافة إلىٰ طَبعَات أُخرىٰ، وَكَذا طَبْعَة القَاهرَة.

حَرْف النُّون

٣٠٤. النّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث والأَثر، لأَبِي السّعادات مُبَارك بن مُبَارك الجَزري المَعْرُوف بابن الأَثِير الشَّيبَاني الشَّافِعي (ت ٦٠٦ هـ)، تَحقِّيق: طَاهر أَحْمَد الزّاوي، مُؤسَّسَة إسمَاعِيليان، قُم، الطَبْعَة الرّابعة ١٣٦٧ هـ.

٣٠٥. نهَايَة الإرَب فِي فنُون الأَدَب، لشَهَاب الدّين النّويريّ (ت ٧٣٢ هـ ق)، تَحقِّيق: كمَال مَروَان طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٢٤٩ هـ.

٣٠٦. نهَايَة الإرَب فِي مَعْرِفَة أَنْسَاب العَرْب، لأَحمَد بن عَبدالله القَلقَشنديّ (ت ٨٢١ هـ ق)، نَشر إدَارة البحُوث العِلْمِيَة، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٤٠٢ هـ.

٣٠٧. نهَايَة الإرَب فِي مَعْرِفَة أَنْسَاب العَرْب، للقَلقَشندي. طَبْعَة بَغْدَاد.

٣٠٨. نُزهَة المَجَالس وَمُنتَخب النّفَائس، لعَبدالرّحمَن بن عَبد السّلام الصّفوري الشّافعي، القَاهرة.

٣٠٩. نُور الأَبْصَار فِي مناقب آل بَيْت النّبي المُختَار، لمُؤمِن بن حَسَن مُؤمِن

الشّبلنجيّ (ت ١٢٩٨ هـ)، طَبْعَة دَار الكُتب العِلْمِيَة، بَيْرُوت، الطّبْعَة الأُولىٰ ١٣٩٨ هـ.

٣١٠. النّزَاع وَالتّخَاصم فِيما بَيْن بَني أُميَّة وبَني هَاشم، تَحقِيق: حُسين مُؤنس القَاهرة دَار التّعارف سَنَة ١٩٨٨ م.

٣١١. نَسَب قُريْش، لأَبِي عَبدالله المُصعب بن عَبدالله بن المُصعب الزُّبَيْري (١٥٦ ـ ٢٣٦ هـ). عُني بِنَشره. إليفي بروفنسال. دَار المَعَارِف ـ القَاهرَة.

٣١٢. نُظم دُرر السّمْطَين فِي فضَائل المُصطَفىٰ وَالمُرتَضىٰ وَالبَتُول والسِّبْطَين، جمَال الدّين مُحَمّد ابن يُوسف الزّرَندي، (٦٩٣ ـ ٧٥٠ هـ)، طَبع بَيرُوت، دَار الثّقافة للكتَاب العَربي ١٤٠٩ هـ.

٣١٣. نهَاية الإِرَب فِي فنُون الأَدب، لشهاب الدّين النّويريّ (ت ٧٣٢ هـ ق)، تَحقِيق: كمَال مَروَان طَبعَة ـ القَاهرة ١٢٤٩ هـ.

٣١٤. نهَاية الإِرَب فِي مَعرفَة أنسَاب العَرب، لأَحمد بن عَبدالله القَلقشنديّ (ت ٨٢١ هـ ق)، نَشر إدَارة البحُوث العِلمِية، طَبعَة ـ بَيرُوت ١٤٠٢ هـ.

٣١٥. نَصْب الرّايَة، عَبدالله بن يُوسُف الزّيلَعي (ت ٧٦٢ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٩٣٨ م).

٣١٦. النُّجوم الزّاهرة فِي مُلوك مَصْر والقَاهرَة، ابْن تَغري بَردي، يُوسُف الأَتَابكي (ت ٨٨٤ هـ). القَاهرَة (١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ م).

٣١٧. نُور العَين فِي مَشْهد الحُسين، لأَبي إِسحَاق الإِسفرَاييني، طَبع القَاهرَة.

٣١٨. النّزَاع وَالتّخَاصم فِيما بَيْن بَني أُميَّة وبَني هَاشم، تَحقِيق: حُسين مُؤنس القَاهرة دَار التّعارف سَنَة ١٩٨٨ م.

٣١٩. نُظم دُرر السّمْطَين فِي فضَائل المُصطَفىٰ وَالمُرتَضىٰ وَالبَتُول والسِّبطين،

جمَال الدّين مُحَمّد اٌبن يُوسف الزّرَنـدي ،(٦٩٣ ـ ٧٥٠ هـ)، طَـبع بَـيرُوت ، دَار الثّقافة للكتَاب العَربي ١٤٠٩ هـ.
٣٢٠. نَقْض العُثمَانِية ، لأَبي جَعْفر مُحمّد بن عَبدالله الإِسكَافي (ت ٢٤٠هـ).

حَرْف الهَاء

٣٢١. هَدِيَّة العَارِفين فِي أَسْمَاء المُصتفِين ، إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد البَابَاني البَغْدَادِي (ت ١٣٣٩ هـ). طَبْعَة أستانبُول (١٩٦٠ م).
٣٢٢. الهَاشمِيَات وَالعَلويَات ، قَصَائِد الكُمَيْت ، وَاٌبن أَبي الحَدِيد
٣٢٣. الهِدَاية الكُبرىٰ للخُصيبي

حَرْف الوَاو

٣٢٤. وَسَائِل الشِّيْعَة إِلىٰ تَحصِيل مسَائل الشَّرِيعَة ، مُحَمَّد بن الحَسَن الحـرّ العَاملي ، طَبْع مُؤسَّسَة آل الْبَيْت ١٤١٤ هـ.
٣٢٥. الوَفَاء بأَخْبَار المُصْطَفىٰ ، لِابْن الجَوزِي . طَبْعَة ١٣٩٥ م . مطَبْعَة السَّعَادَة . مَصْر .
٣٢٦. الوَافِي ، لُمحَمَّد مُحْسِن بن مُرْتَضىٰ الفَيض الكَاشَانيّ ، نَشْر مَكْتَبَة الإِمَام أَمِير المُؤْمِنين عَليّ عليه السلام إصفهَان ١٤٠٦ هـ.
٣٢٧. الوَافِي بالوَفِيَّات ، لصَفيّ الدّين خَلِيل بن أَيـبك الصّـفدي ، دَار النّشـر فرانز شتانيز ـ قيسبادان .
٣٢٨. وَفِيَّات الأَعْيَان وَأنبَاء أَبْنَاء الزّمان ، لشَّمْس الدّين أَبِي العَبَّاس أَحْمَد بن مُحَمَّد البَرمكيّ المَعْرُوف باَبن خَلّكان (ت ٦٨١ هـ ق) ، تَحْقِّيق : الدّكتور إحسَان

عبّاس، طَبْعَة دَار صَادِر ـ بيْرُوت ١٣٩٨ هـ.

٣٢٩. وَقعَة صِفّين، لنَصر بن مزَاحم المَنقريّ، تَحْقِّيق وشَرْح عَبدالسَّلاَم هَارُون، القَاهرَة، الطَبْعَة الثَّانِيَة ونَشْر مَكْتَبَة السَّيِّد المَرعشيّ النّجفيّ قُم ١٣٨٢ هـ.

حَرْف اليَاء

٣٣٠. يَنَابِيع المَوَدَّة لذَوي ٱلْقُرْبَىٰ، لسُليَمان ٱبن إبرَاهِيم القَندُوزيّ الحَنفيّ (ت ١٢٩٤ هـ)، تَحْقِّيق: عَليّ جَمَال أَشْرَف الحُسَيْنيّ، طَبْعَة أُسوة الطَبْعَة الأُولىٰ ـ قُم ١٤١٦ هـ، وَالطَّبْعَة الحَيْدَرِيَّة فِي النَّجَف الأَشْرَف.

٣٣١. اليَمَن عَبر التَّأرِيخ، لأَحمَد حُسِين شَرف الدِّين، الرِّيَاض مَطَابع الأُوفست ١٩٨٠م.

٣٣٢. يَتِيمَة الدَّهر فِي محَاسن أَهْل العَصْر، أَحمَد بن مُحَمّد بن إبرَاهِيم الثَّعلِبي النِّيسَابُوري، تَحقِيق: مُحَمّد مُحيي الدِّين عَبدالحَمِيد، دَار الكُتب العِلمِيَة.